حاشية العلّامة مصطفى العروسي

المسمّاة

نتائج الأفكار القدسية

في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية

لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري

المتوفى ٩٢٦ هـ

ضبطه وصححه وخرّج آياته وأحاديثه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

المجلد الثاني

٣ - ٤





دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

بيروت - لبنان

حاشية العلامة مصطفى العروسي

المسماة

نتائج الأفكار القدسية

في بيان معاني

شرح الرسالة القشيرية

لشيخ الإسلام زكريا بن محمد الأنصاري

المتوفى ٩٢٦ هـ

ضبطه وصححه وخرج آياته وأحاديثه

الشيخ عبد الوارث محمد علي

الجزء الثالث




دار الكتب العلمية

أسسها محمد علي بيضون سنة 1971

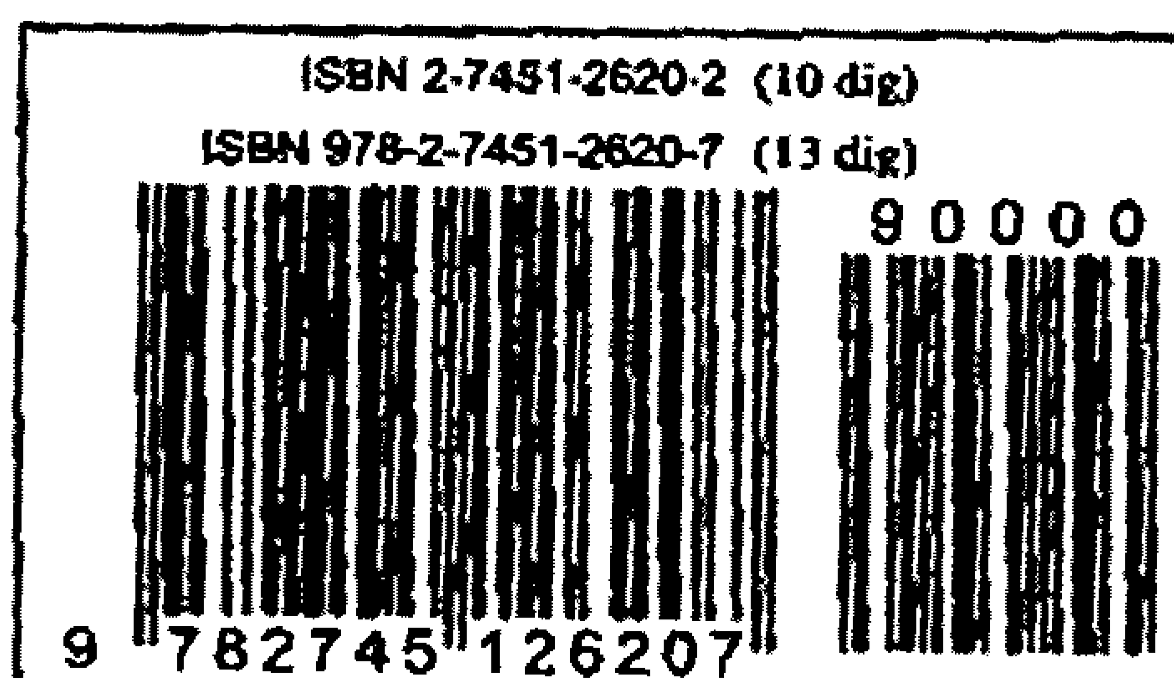
بيروت - لبنان

Title: Natā°ij al-°afkār al-qudsiyyah fī bayān ma°ānī Šarḥ al-Risālah al-Qušayriyyah

Classification	: *Sufism*
Author	: Muṣṭafā al-ʿArūsī
Editor	: ʿAbdul-Wāriṯ Muḥammad ʿAlī
Publisher	: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah
Pages	: 1508 (2 volumes)
Year	: 2007
Printed in	: Lebanon
Edition	: 2nd

الكتاب: حاشية العلامة مصطفى العروسي
المسماة: نتائج الأفكار القدسية
في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية

التصنيف	: تصوف
المؤلف	: العلامة الشيخ مصطفى العروسي
المحقق	: الشيخ عبد الوارث محمد علي
الناشر	: دار الكتب العلمية - بيروت
عدد الصفحات	: 1508 (4 أجزاء بمجلدين)
سنة الطباعة	: 2007
بلد الطباعة	: لبنان
الطبعة	: الثانية





دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

الطبعة الثانية
٢٠٠٧ م - ١٤٢٨ هـ

دار الكتب العلمية
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971
بيروت - لبنان

Mohamad Ali Baydoun Publications Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax:+961 5 804813
P.o.Box:11-9424 Beirut-lebanon
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة،
مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢ ٥ +٩٦١
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ +٩٦١
ص.ب: ٩٤٢٤-١١ بيروت - لبنان
رياض الصلح - بيروت ٢٢٩٠ ١١٠٧

http://www.al-ilmiyah.com
sales @al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

باب الجوع وترك الشهوة

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ [البقرة: ١٥٥] ثم قال في آخر الآية: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ فَبَشِّرْهُم﴾ [البقرة: ١٥٥] فيها (بجميل الثواب على الصبر على مقاساة الجوع وقال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]) أي حاجة إلى ما يؤثرون به.

باب الجوع وترك الشهوة

اعلم أنَّ الجوع مندوب إليه بآيات القرآن الشريف وأخباره ﷺ الصريحة، وبأفعاله بموافقة القريحة، وحقيقته حبس النفس عن داء الامتلاء والبطنة، وذلك من منازل العوام في ابتداء سيرهم لحاجتهم إلى النشاط في الإرادة، ورقة القلب بترك العادة ليحصلوا بذلك الحسنى وزيادة، أما الجوع عند الخواص فهو تفرّق وبقاء للإحساس، ووقوف مع البشرية، وكل ذلك نقص عندهم فهم رضي الله تعالى عنهم غذاء نفوسهم بالذكر وراحة أرواحهم بالفكر فهم دائماً على موائد المعارف، وشراب طوارق اللطائف رضي الله عنهم ورضوا عنه، فافهم.

ولله درّ الرازي حيث قال: من استقبح باب المعاش بغير مفاتيح الأقدار وكل إلى المخلوقين فتدبره فإنه من لطف الحكمة. (قوله: ولنبلونكم بشيء) أي لإظهار الشرف عند الخلق، فيتميز المبطل من المحق، وعبارة أبي السعود ولنبلونكم لنصيبنكم إصابة من يختبر أحوالكم أتصبرون على البلاء وتستسلمون للقضاء بشيء من الخوف والجوع أي بقليل من ذلك، فإنّه ما وقاهم منه أكثر بالنسبة إلى ما أصابهم بألف مرّة، وكذا ما يصيب به معانديهم وإخبارهم بذلك قبل الوقوع ليوطنوا أنفسهم عليه، ويزداد يقينهم عند مشاهدتهم له حسبما أخبر به، وليعلموا أنّه يسير له عاقبة حميدة. (قوله: فبشرهم فيها بجميل الثواب على الصبر الخ) أي فدل ذلك على أنّ الجوع مطلوب كما أشار له الشارح، واعلم أنّ الصبر على ثلاثة مقامات بعضها فوق بعض: تحمّل مشقة، وتجرّع غصة في الثبات على ما يجري به القضاء، وهو صبر الله، وذلك من أخلاق العوام، وحبس النفس على شهود تصاريف الحق، وهو يسهل طرق التحمل، وهو من أخلاق المريدين ويقال له: صبر الله وحبس النفس على شهود المبلي في البلاء والمعذب في

وفي ذلك مدح على الجوع وترك الشهوة فهما مطلوبان، وقد طلبا صريحاً في الصوم.

وروى الترمذي خبر «ما ملأ ابن آدم وعاءً شراً من بطنه حسب ابن آدم أكلات أي لقمات يقمن صلبه، فإنْ كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه، وثلث لنفسه»[1] ومن ثم كان التقلل من الدنيا ممدوحاً، ولذلك زهد الله نبيه في الدنيا لما عرضت عليه جبال تهامة تسير معه ذهباً وفضة حيث شاء فقال: «يا رب أجوع يوماً وأشبع يوماً إن جعت تضرّعت وإنْ شبعت شكرت»[2] وفوائد ذلك كثيرة وأقلها زوال

العذاب، وهو يفيد التلذذ بالبلوى، ويقال له: الصبر على الله وهو من أخلاق العارفين ولذا قال قائلهم شعراً:

ألفت الضنى حتى تطاول مكثه ... فلو زال عن جسمي بكته الجوارح

(**قوله**: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الخ) [الحشر: ٩] أي يقدّمون غيرهم على أنفسهم بما يحتاجون إليه. (**قوله: وفي ذلك**) أي في عدّ الإيثار المذكور من أخلاقهم مدح أي ثناء عليهم بالجوع وترك الشهوة وهو يقتضي طلبهما ضمناً. (**قوله: وقد طلبا صريحاً في الصوم**) أي الحكمة قمع النفس ورياضتها لتطهر من رجس حظوظها ومألوفاتها، ثم إذا عملت ذلك تعلم قبح ما ظهر في هذا الوقت من تبديل هذه الحكمة بسيء البدعة المذمومة التي هي تكثير المأكولات والمشروبات لغرض المباهاة، والعجب، والفخر بالدنيا حتى صار الإنسان لا يدعو إلا مثله، أو أعلى منه ليفتخر عليه بما أعدّه من ذلك التوسع، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(**قوله: وروى الترمذي خبر الخ**) أي فقد جمع صلى الله عليه وسلم في هذا الخبر طب الاجسام وطب الأرواح، كيف وهو عليه الصلاة والسلام طب القلوب والمعول عليه في هول الخطوب، ما تقدم منها بتقدير العزيز في الدنيا، وما تأخر بحكمة الحكيم في الأخرى، فالله تعالى يرزقنا شرف متابعته ولا يحرمنا فضل شفاعته إنّه جواد كريم رؤوف رحيم. (**قوله: حسب ابن آدم**) أي كافيه، وقوله: فإنْ كان لا محالة أي لا غنى له عن الأكل فيكفيه ثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه بفتح الفاء لا غير. (**قوله: ومن ثم**) أي مما دلت عليه الآيات والأخبار كان التقلل في الدنيا ممدوحاً أي مثنى على فاعله موعوداً عليه بالأجر. (**قوله: ولذلك**) أي لكون التقلل ممدوحاً زهد الله نبيه في الدنيا أي دله عليه وهداه إليه حين عرضت عليه الخ. (**قوله: إن جعت تضرّعت**) أي دعوتك مبتهلاً

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ٤٧) وأحمد بن حنبل (٤، ١٣٢).
(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٥، ٣٥).

المشغلات والغفلة عن الطاعات، والتلذذ بالمناجاة وسائر العبادات أخذاً من الأدلة، وقد تضمنت الآية الأولى أن الله يبتلي عباده بالجوع ليعلم صبرهم وقيامهم بحقه حال الشدة والرخاء، وقد قال تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن﴾ الآيتين [العنكبوت: ١، ٢] **(أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا عبد الله بن أيوب قال: حدثنا أبو الوليد الطيالسي قال: حدثنا أبو هاشم**

وإنْ شبعت شكرت أي بصرف ما أنعمت به عليّ من القوى في طاعتك لأنال ما وعدت به الشاكرين من عبادك. **(قوله: وفوائد ذلك)** أي التقلل المذكور كثيرة. **(قوله: وأقلها زوال المشغلات الخ)** أي التي تنشأ غالباً عن التوسع في الدنيا. **(قوله: ليعلم صبرهم)** أي ليظهر عمله للملأين وإلا فهو تعالى العالم بالعلم المطلق. **(قوله: وقد قال تعالى: الم أحسب الناس الخ)** اعلم أنْ الحسبان ونظائره لا يتعلق بمعاني المفردات بل بمضامين الجمل المفيدة لثبوت شيء لشيء أو انتفائه عن شيء بحيث يتحصل منها مفعولاً إما بالفعل كما في عامة المواقع وإما بنوع تصرف فيها.

كما في الجمل المصدرة بأنْ والواقعة صلة للموصول الاسمي، أو الحرفي، فإنْ كلاً منها صالحة لأن يسبك منها مفعولاً لأن قوله تعالى: ﴿أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ٢] في قوة أنْ يقال: أحسبوا أنفسهم متروكين بلا فتنة بمجرد أنْ يقولوا: آمنا أو أنْ يقال: أحسبوا تركهم غيره مفتونين بقولهم: آمنا حاصلاً متحققاً، والمعنى على إنكار الحسبان المذكور واستبعاده، وتحقيق أنه تعالى يمتحنهم بمشاق التكاليف كالمهاجرة والمجاهدة، ورفض ما تشتهيه النفس، ووظائف الطاعات، وفنون المصائب في الأنفس والأموال ليتميز المخلص من المنافق، والراسخ في الدين من المتزلزل فيه، ويجازيهم بحسب مراتب أعمالهم، فإنْ مجرد الإيمان وإنْ كان عن خلوص لا يقتضي غير الخلاص من النار خلوداً.

روي أنها نزلت في ناس من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جزعوا من أذية المشركين، وقيل في عمار: قد عذب في الله، وقيل في مهجع مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: رماه عامر بن الحضرمي بسهم يوم بدر فقتله فجزع عليه أبوه وامرأته، وهو أوّل من استشهد يومئذٍ من المسلمين، فقال: رسول الله ﷺ: «سيد الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة»[1]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٣] متصل بقوله: **(أحسب)** أو بقوله **(يفتنون)** والمعنى أن ذلك سنة قديمة مبنية على الحكم البالغة جارية فيما بين الأمم كلها فلا ينبغي أنْ يتوقع خلافها.

---

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٣/ ٣٢٤) وابن حجر في (الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٢٧).

صاحب الزعفراني قال: حدثنا محمد بن عبد الله عن أنس بن مالك) رضي الله عنه (أنه حدثه قال: جاءت فاطمة رضي الله عنها بكسرة خبز لرسول الله ﷺ فقال: «ما هذه الكسرة يا فاطمة قالت قرص خبزته ولم تطب نفسي حتى أتيتك بهذه الكسرة»[(1)] فقال) لها («أما أنه أوّل طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام»[(2)] وفي بعض الروايات جاءت فاطمة رضي الله عنها بقرص شعير) فيه دلالة على طلب الجوع، وليس المراد منه تعذيب النفس به بل تعويدها الكف عن الشهوات، وخفة الجوارح للطاعات، ولهذا كان (الجوع من صفات القوم) أي الصوفية (وهو أحد أركان المجاهدة) في الطاعة (فإنّ أرباب السلوك تدرّجوا إلى اعتياد الجوع والإمساك عن الأكل) الزائد على ما تقوم به البنية (ووجدوا ينابيع الحكمة) الحاصلة بالطاعة (في الجوع وكثرت

(قوله: فقال لها أما أنّه أوّل طعام الخ) تدبر ما تضمنه هذا الخبر من حال تقلل السيد الكامل، وما تحمله لنيل زيادة الفضائل مع ما منحه الله تعالى من الكمالات ومعالي المقامات بل هو السر في كمال الإنسان، والواسطة العظمى في سابق علم الرحيم الرحمن، وتفكر في شفقة الولد على الوالد، وبذل المقل الواجد لتتحقق ما أنت عليه من القسوة وغاية التقصير، وذلك منك على خطر خطير، فعسى أن تتأثر نفسك الخبيثة وتنزجر عن عاداتها الخسيسة فتتأسى بسيد الكائنات لتندرج مع كمل أهل السعادات رضي الله عنهم وأرضاهم.

(قوله: وليس المراد منه تعذيب النفس به الخ) احترز بذلك عن قيام الإنسان على نفسه بغير شاهد العلم بأنْ يخلقها بغير المشروع مما يوجب تعذيبها أما سياستها بشاهد العلم فمندوب إليه مرغب فيه مثاب فاعله. (قوله: ولهذا) أي لما علم من طلب الجوع والتقلل، وإنّه خُلق محمدي وطريق أحمدي كان الجوع من صفات القوم ونعوتهم التي لا ينفكون عنها. (قوله: وهو أحد أركان المجاهدة) أي فهي لا تتحقق إلا بواسطة حيث هو السبب الأعظم في النشاط للعبادة، وتنوير القلوب وإفاضته على الأسرار، وإشراق النور على مرآة القلوب، ولهذا زاد القوم فيه حتى اقتصروا على ما تقوم به البنية من الغداء طلباً للخيرات والجدّ في الإرادات.

(وقوله: تدرّجوا الخ) أشار به إلى أنّه ينبغي القيام على النفس تدريجاً لئلا تمل إذ هي بطبعها حرون روّاغة والله أعلم. (قوله: ووجدوا ينابيع الحكمة في الجوع) أي لما

---

(1) أخرجه ابن سعد في (الطبقات الكبرى ١/ ٢/ ١١٤).

(2) أخرجه العراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٨٠) والطبراني في (المعجم الكبير ١/ ٢٣٢) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٣٩١) وابن سعد في (الطبقات الكبرى ١/ ٢/ ١١٤) والسيوطي في (جمع الجوامع ٤٢٣٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٦٦٨٠).

الحكايات عنهم في ذلك). (**سمعت محمد بن أحمد بن محمد الصوفي يقول: سمعت عبد الله بن عليّ التميمي يقول: أدب الجوع أنْ لا ينقص)** العبد (**من عادته**) وفي نسخة عادتك (**إلا مثل أذن السنور**) كأن بعضهم يزن قوته بقطعة خشب خضراء كل ليلة، وهي تنقص كل يوم نقصاً يسيراً ينتفع به، فإذا وصل إلى حد، اعتاده واستمر عليه. (**وقيل: كان سهل بن عبد الله لا يأكل الطعام إلا في كل خمسة عشر يوماً**) تقليلاً للأكل (**فإذا دخل شهر رمضان كان لا يأكل**) طعاماً (**حتى يرى الهلال**) ليلة شوّال (**وكان يفطر كل ليلة على الماء القراح**) أي الخالص الذي لا يشوبه شيء طلباً للخفة في الطاعة وتحرّزاً من كراهة الوصال.

(**وقال يحيى بن معاذ: لو أنّ الجوع يباع في السوق**) مثلاً (**لما كان ينبغي لطلاب الآخرة إذا دخلوا السوق أنْ يشتروا غيره**) لما يترتب عليه من الحكم التي منها الاستغناء عن كثير من المزاحمة في الأسواق والمعاداة لمن زاحمه فيها والقنع بما قسم الله به والسلامة في البدن، فإن غالب الأمراض إنما تكون من كثرة الأكل والتمتع باللذائذ. (**أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبيد الله قال: حدثنا علي بن الحسين الأرّجاني قال: حدثنا أبو محمد عبد الله بن أحمد الإصطخري بمكة حرسها الله تعالى قال: قال سهل بن عبد الله لما خلق الله تعالى الدنيا جعل في الشبع المعصية**،

تخلقوا بالجوع المشروع أشرقت لهم أنوار القلوب، وانصقلت مرائي بصائرهم ونبع وتفجر من أعينها ينابيع الحكمة التي هي ثمرة العبادة والرياضة فاخرجها من مكامن الصدور ترجمان الأشواق فآثر العمل بها ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] فكانوا ممن يرزق بهم أهل الأرض، ويباهى بهم أهل السماء، فهم القوم لا يشقى جليسهم، ولا يمل حديثهم رضي الله عنهم ورضوا عنه، ورضي عنا ببركات أنفاسهم. (**قوله: أدب الجوع الخ**) المراد منه أنّ الرياضة لا تطلب إلا على التدريج لتشوّف الشارع ﷺ لحفظ الصحة ولخوف الملل، والسآمة لو ارتضاها دفعة واحدة. (**قوله: فإذا وصل إلى حد الخ**) أي فعلى العبد أنْ يكرّر ذلك حتى يصل إلى حد تقوم به البنية، فيستمر عليه لصيرورته عادة له حينئذ فلا يضره الدوام عليه. (**قوله: وقيل كان سهل الخ**) فيه تنبيه على كماله بفنائه عن كامل حظوظ نفسه رضي الله تعالى عنه. (**قوله: وتحرّزاً من كراهة الوصال**) أقول: المنصوص في كتب الفروع حرمة الوصال لا كراهيته إذ الوصال من خصوصيات النبي ﷺ نعم انْ حمل كلامه على كراهة التحريم كان له وجه. (**قوله: لما كان ينبغي الخ**) أي وذلك لأنه السبب في سلوك سبيل الحق، وترك معاداة الخلق. (**قوله: والمعاداة لمن زاحمه فيها**) أي وسوق الجوع قليل الزحمة لكساد بضاعته بسبب قلة الراغب فيه.

(**قوله: لما خلق الله تعالى الدنيا الخ**) الغرض الحث على الجوع، والزجر عن

والجهل، **وجعل في الجوع العلم والحكمة)** لأن العبد إذا شبع تحرّكت شهواته، وإذا جاع ذلّ وفترت همته عن كثير من الأمور الدنيويات، وتفرّغ القلب للإجتهاد في الطاعات ونال العلم والحكمة بفضل خالق الأرض والسموات.

(وقال يحيى بن معاذ: الجوع للمريدين رياضة) أي تقوية على رياضة أنفسهم **(وللتائبين تجربة)** بتعوّد أنفسهم الجوع واستئناسهم به **(وللزهاد سياسة)** لأنفسهم حتى لا يلتفتوا للحاجات الدنيوية **(وللعارفين مكرمة)** يكرمهم الله بها ليشغلهم بمناجاته، وبالتلذذ بها عن المطاعم والمشارب. فعلم أنَّ الجوع لا يستغنى عنه مريد متفرغ للطاعة، ولا تائب عن الذنب، ولا زاهد قد أعرض عن الدنيا، ولا عارف كمل شغله بالمولى. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: دخل بعضهم على بعض الشيوخ فرآه يبكي فقال له ما لك تبكي فقال: إني جائع فقال: ومثلك)** في جلالة القدر **(يبكي من الجوع فقال:)** له: **(أسكت)** لا تعترض عليّ **(أما علمت أن مراده)** تعالى **(من جوعي أنْ أبكي)** أي ما جوّعني إلا لأبكي تارةً له وتارةً عليه.

وفي هذا دلالة على رضاه بما يجريه الله عليه في وقته لأنه إذا ابتلاه بالجوع وصبره عليه، فهو راض به. **(سمعت أبا عبد الله الشيرازي رحمه الله يقول: حدثنا**

الشبع مع بيان ما ينشأ عن كل بمقتضى حكمة الإيجاد فقال: جعل أي خلق في الشبع أي فيما زاد عن المشروع منه المعصية كبيرها وصغيرها، والجهل بالنافع ديناً ودنيا، وجعل أي خلق في الجوع المشروع العلم والحكمة أي العلم النقلي والذوقي، والحكمة الناشئة عن العمل بذلك، فيترقى بذلك إلى حالات المشاهدات والمكاشفات.

(قوله: أي تقوية الخ) أي فالجوع من سبل الرياضة الجارية على سنن متابعة سيد الكاملين وإمام المرسلين ﷺ. **(قوله: وللتائبين تجربة)** أي بامتحان النفس بمشاق الجوع ليسهل عليها بعده الأشق منه لتمرنها به. **(قوله: وللزهاد سياسة)** أي لقيامهم به على النفس تدريجاً. **(قوله: ليشغلهم بمناجاته الخ)** أي فالذكر والفكر غذاء أرواحهم وحياة أنفسهم فيه يقوم ناسوتهم، ويقوم لاهوتهم نفعنا الله ببركة أنفاسهم.

(قوله: فقال: اسكت اما علمت الخ) أي فهو يشير إلى أنه دائماً على شهود تصاريف الحق تعالى في الخلق فهو حينئذ بالله وفي الله، ولله، فتطبعه قد غلب على طبيعته، ودوام اشتغاله قد أفنى بشريته. **(قوله: تارةً له الخ)** أي تارةً من أجل تصاريف أحكام الحق، وتارةً من أجل عدم الوصول إلى درجة الوصال والقرب. **(قوله: وفي هذا دلالة الخ)** أي ووجه ذلك أنّه قد فني في صفات أفعال الحق تعالى. **(قوله: فمكث خمسين ليلة الخ)** فيه تنبيه على فناء بشريته إذ حياته بالذكر والفكر.

محمد بن بشر قال: حدثنا الحسين بن منصور قال: حدثنا داود بن معاذ قال: سمعت مجالداً يقول: كان الحجاج بن فرافصة معنا بالشأم فمكث خمسين ليلة لا يشرب الماء ولا يشبع من شيء يأكله) إذ العبد قد يستغني عن الماء مدة طويلة بخلاف الطعام لأن فيه من البلة وما تشربه من الماء ما يكفيه. (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا بكر الغزالي يقول: سمعت محمد بن علي يقول: سمعت أبا عبد الله أحمد بن يحيى الجلاء يقول: دخل أبو تراب النخشبي من بادية البصرة مكة حرسها الله تعالى فسألنا عن أكله فقال: خرجت من البصرة وأكلت بنباج) بكسر النون قرية بالبادية أحياها عبد الله بن عامر قاله الجوهري: (ثم) أكلت أيضاً (بذات عرق و) خرجت (من ذات عرق إليكم فقطع) أبو تراب (البادية بأكلتين) لطيّ الأرض له أو لكونه لم يأكل الطعام وكل منهما خارق للعادة فهو كرامة. (وسمعته) أيضاً (يقول: حدثنا علي بن النحاس المصري قال: حدثنا هرون بن محمد الدقاق قال: حدثنا أبو عبد الرحمن بن الدرقش قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: سمعت عبد العزيز بن عمير يقول: تجوّع صنف من الطير أربعين صباحاً ثم طاروا في الهواء فرجعوا بعد أيام فكان يفوح منهم رائحة المسك) فيه إشارة إلى أنَّ من طال جوعه تطهر من دنسه، وفاحت منه رائحة طيبة لما أدركه من كثرة شغله بربه والطير في كلامه نزله في منزلة من يعقل، فأعاد عليه ضميره. (وكان سهل بن عبد الله إذا جاع قوي) لتعوّده الجوع (وإذا أكل شيئاً) زائداً على ما تقوم به البنية (ضعف) لضعف أمعائه عن حملها الطعام. (وقال: أبو عثمان المغربي الرباني) أي المنسوب إلى الرب أي المالك (لا يأكل في أربعين يوماً والصمداني) أي المنسوب إلى الصمد أي:

(قوله: دخل أبو تراب الخ) قد تقدمت هذه القصة فلا تغفل. (قوله: صنف من الطير الخ) يشير إلى تنبيه النوع العاقل بإفادة خلق غيره مما لا يعقل عى أنْ يتخلق خلقه، ولا سيما إذا تأمل ما يترتب على ذلك من ذكاء الرائحة، وخفة الطيران لتكثر أعماله ويسمو مقداره، والله هو الموفق لمن يشاء من عباده. (قوله: وكان سهل بن عبد الله الخ) أقول: وهكذا شأن النفس في كامل مألوفاتها إذا استرسل معها صاحبها تزيد شهواتها، وتكثر غفلاتها، وتفحش بطالتها، ثم إذا قام عليها بالسياسة والرياضة انكفت عن ذلك، وعظم انقيادها، ودام تسديدها، ويصرح بذلك قول صاحب البرأة:

والنفس كالطفل إنْ تهمله شبّ على ... حب الرضاع، وإنْ تفطمه ينفطم

(قوله: الرباني لا يأكل الخ) أي وذلك لحسن تربيته بألطاف ربه، وقوله: والصمداني لا يأكل الخ أي بإعانة من له الأمر كله، فالله تعالى يرزقنا التوفيق على يد أحسن رفيق.

المقصود في الحوائج على الدوام، أو الذي لا يطعم لا يأكل **(في ثمانين يوماً)**. في ذلك دلالة على شرف الهمة وعلوّ الدرجة. **(وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عليّ بن إبراهيم القاضي بدمشق يقول: سمعت محمد بن علي بن خلف يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: مفتاح)** أعمال **(الدنيا الشبع)** لأنه يحرّك شهوته التي منها شهوة الفرج، والعبد إذا تزوّج وسلم من الفساد كثرت كلفته، وإن جاءته أولاد فقد حصلت عنده الأعداء، وتوالت عليه جهة الفساد.

قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤] **(ومفتاح)** أعمال **(الآخرة الجوع)** لأنه يحرّك للطاعة. **(سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول: سمعت علي بن الحسين الأرجاني يقول: سمعت أبا محمد الإصطخري يقول: سمعت سهل بن عبد الله و)** قد **(قيل له: الرجل يأكل في اليوم أكلة)** واحدة **(فقال:)** هذا **(أكل الصدّيقين)** وهم من كملت رغبتهم في أحوال الآخرة **(قال: فأكلتين)** يأكل **(قال:)** هذا **(أكل)** سائر **(المؤمنين قال: فثلاثة)** يأكل **(قال: قل لأهلك)** إذا أكلت ثلاث أكلات **(يبنون لك معلفاً)** شبهه بالدواب التي لا همة لها إلا

(قوله: مفتاح أعمال الدنيا الشبع) أي وذلك لأنه إذا شبع بإبلاغ نفسه ما تتمنى من ملذوذاتها قويت شهواتها، ونمت حركاتها لطلب تحصيل الألذ ولا نهاية لذلك باعتبار سجيتها، ثم بعد ذلك تقوى على طلب حظ الفرج، وغاية ثمرته نيل الأولاد بعد قضاء الوطر، وذاك وهذا من دنيّ الثمرات بل قد يكون من أكبر المضار حيث الشبع مع كونه من حظ النفس الحيوانية قد يوجب الطغيان والبعد عن رحمة الرحيم الرحمن، وثمرة الولد قد تضر كذلك بشهادة قوله: تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ﴾ [التغابن: ١٤] الآية، فإذا تأملت بعين الاعتبار، ونظرت بنور الاستبصار ترجع عن هذا الحظ الحيواني الفاني إلى ما به حياة الروح الرحماني، فتأخذ من الأول ما به نعيم الأخرى، فتشمر ساعد الجدّ على الطريق الأخرى، ثم أقول: وحيث كان الأمر كله لله، فلا اعتماد في شيء إلا على الله.

(قوله: ومفتاح أعمال الآخرة الجوع) أي لأنه يرقق القلب، ويوجب زيادة أنواره، ويكثر في توارد الحكم عليه، ويثمر خفة البدن والنشاط للعبادة. **(قوله: فقال: هذا أكل الصدّيقين)** أي لأنه من الأخلاق المحمدية، ومن التوسط في الأحوال البشرية.

(قوله: قال هذا أكل سائر المؤمنين) أي ممن فترت همتهم عن المتابعة بقوّة ما ثبت لهم من العادة. **(قوله: قل لأهلك الخ)** أي لأنّ ذلك من شأن الحيوان إذ هو الذي يطلب الأكل في كل الأحيان، أقول: ومن أقبح البدع ما أحدثه أهل زمننا من التوسع في

في كثرة الأكل والشرب التي هي سبب قلة الفهم (وسمعته) أيضاً (يقول: حدثنا عبد العزيز بن الفضل قال: حدثنا أبو بكر السائح قال: سمعت يحيى بن معاذ يقول: الجوع نور) لأنه يسوق إليه، بتفرّغ القلب به للخيرات (والشبع نار) لأنه يسوق إليها، لأنه إنما يكون عن قوّة الشهوة الحاملة غالباً على تناول الحرام (والشهوة مثل الحطب) مع النار (يتولد منه) معها (الإحراق ولا تطفأ ناره حتى يحرق صاحبه. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: دخل يوماً رجل من الصوفية) وعليه ثياب (على شيخ فقدّم إليه طعاماً) يأكل فأكل فرأى قوّة همته فيه، فعلم أنه جائع (ثم قال له: مذ كم) يوماً (لم تأكل فقال: مذ خمسة أيام فقال:) فما الذي حملك على جوع خمسة أيام، وعليك ثياب، وأنت شره في الأكل (جوعك جوع بخل عليك ثياب وأنتَ تجوع ليس هذا جوع فقر) وهو ما يختار معه الجوع على الشبع، فوظيفة العبد إذا قدم له طعام أنْ يأكل منه بأدب وقلة شره، فأدبه الشيخ بأنْ يكون جوعه جوع المساكين المختارين لا جوع المضطرّين. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سعيد الرازيّ يقول: سمعت العباس بن حمزة يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: قال أبو سليمان الداراني لأنْ أترك من عشائي لقمة أحب إليّ من أنْ أقوم الليل) من أوّله (إلى آخره)

الأطعمة المختلفة في الطعوم والطبائع، وجمعها في وقت واحد وتناولها على الترتيب شيئاً بعد شيء، ويتناولونها على هذه الكيفية حتى لا يدعون فراغاً لشرب ماء ولتنفس ضروري، فيصلون بعد ذلك إلى درجة من لا يعقل ويقعون في أمراض خطرة دينية وبدنية، وصار ذلك الحال هو الغالب عند أرباب المظاهر ومن تشبه بهم من غيرهم، وأضر شيء ما أحدثه أهل الوقت من آلات وأواني لا يحل استعمالها ولا اتخاذها، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: الجوع نور والشبع نار) أي فليأخذ العبد لنفسه ما يختاره من ذلك فإن الجوع يثمر خفة البدن، وهي تعين على كثرة العبادة والذكر، وهي تثمر الأنوار في القلوب، والشبع بضد ذلك فإنّه يثقل البدن، ويفتر عن العبادة، ويقسي القلب ويقوي الشهوة المؤذية لنيل الحرام الموصل إلى النار. (قوله: يتولد منه معها الإحراق) أي فكما أنّ النار الحسية بملابسة الحطب ومماسته يحصل بها الإحراق المحسوس، فكذا ما شابهها من الشهوة مع الشبع فثمرتهما لصاحبهما الإحراق، وهو معنوي في الدنيا حقيقي في الأخرى.

(قوله: دخل يوماً رجل الخ) محصله الحث على عدم الشح وملازمة العفة، وطرق الأدب في تناول المأكولات في حالة الانفراد والاجتماع حيث ذلك من محاسن الاتباع.

لأنّ حال العبد مع الجوع في عبادته بعض الليل أقرب إلى الخشوع والتلذذ بها من قيامه وهو شبعان كل الليل كما هو معروف عند أهله. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا القاسم جعفر بن أحمد الرازي يقول: اشتهى أبو الخير العقلاني السمك سنين)** وقد كان ترك شهوته له ليعوّد نفسه ترك شهواتها، ودام على ذلك مدة وهو يجاهد نفسه في أنّ لا يعطيها شهوتها، ولا يحل عهده مع الله تعالى **(ثم ظهر له ذلك)** أي السمك **(من موضع)** أي وجه **(حلال)** فأراد أنْ يأكل منه **(فلما مدّ يده إليه ليأكل)** منه **(أخذت شوكة من عظامه إصبعه فذهبت في ذلك يده)** تأديباً له لعدم وفائه بما عزم عليه من ترك شهوته **(فقال: يا رب هذا)** جزاء **(لمن مدّ يده بشهوة إلى حلال فكيف)** والعياذ بالله **(بمن مدّ يده بشهوة إلى حرام. سمعت الأستاذ)** الإمام **(أبا بكر بن فورك)** رحمه الله **(يقول: شغل العيال)** أي الإشتغال بهم بكسب المال، والقيام بحقوقهم **(نتيجة متابعة الشهوة)** بكسرها **(بالحلال)** من التزوج ونحوه **(فما ظنك بقضية شهوة الحرام)** أي إذا اشغلت العبد شهوة الحلال في أعمال الدنيا عن أعمال الآخرة فما ظنك بمن أشغلته فيها عن ذلك شهوة الحرام. **(سمعت رستم الشيرازي الصوفي)** رحمه الله **(يقول: كان أبو عبد الله بن خفيف في دعوة)** إلى طعام **(فمدّ واحد من أصحابه يده إلى طعام)** وفي نسخة إلى الطعام ليأكل منه **(قبل الشيخ لما كان به من الفاقة)** أي الحاجة **(فأراد بعض أصحاب الشيخ أن ينكر)** وفي نسخة ينكت **(عليه لسوء أدبه حيث مدّ يده إلى الطعام قبل الشيخ فوضع)** بعض أصحابه **(شيئاً بين يدي هذا الفقير، فعلم الفقير أنه أنكر)** وفي نسخة نكت **(عليه لسوء أدبه)** بمد يده إلى الطعام قبل الشيخ **(فاعتقد)** أي عزم **(أن لا يأكل خمسة عشر يوماً عقوبة لنفسه، وتأديباً لها، وإظهاراً لتوبته)** وفي نسخة للتوبة **(من سوء أدبه وكان قد أصابته فاقة قبل ذلك)** حملته على مدّ يده قبل الشيخ، ولا حاجة لهذا فقد قدم ما يغني عنه. **(سمعت محمد بن عبد الله الصوفي يقول: حدثنا أبو الفرج الورثاني قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن جعفر قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحرث قال: حدثنا**

(قوله: أقرب إلى الخشوع) أي لأنَّ فراغ البطن يوجب زيادة نور الباطن الذي به ينال التلذذ بالعبادات والمناجاة. **(قوله: لعدم وفائه بما عزم عليه)** أي وقد قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] إنْ قلت: لم يجب الوفاء في هذه الحالة للإباحة بشاهد العلم قلت: نعم بالنسبة للعوام أما بالنسبة للخواص فيعاملون بالأشق لعلوّ همتهم ودوام رعايتهم.

(قوله: شغل العيال) المراد الحث على علوّ الهمة بإفادة أنَّ النفس إذا اشتغلت

سليمان بن داود قال: حدثنا جعفر بن سليمان قال: سمعت مالك بن دينار يقول: **من غلب شهوات الدنيا)** بكماله شغله بربه **(فذاك)** هو **(الذي يفرق)** بفتح الراء أي يخاف وفي نسخة يفر **(الشيطان من ظله)** كما قال النبي ﷺ لعمر بن الخطاب رضي الله عنه «ما سلكت فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجك»(١). **(وسمعته)** أيضاً **(يقول سمعت منصور بن عبد الله الأصبهاني يقول: سمعت أبا علي الروذباري يقول: إذا قال الصوفي بعد خمسة أيام أنا جائع)** فلا صبر له على الجوع **(فألزموه السوق وأمروه بالكسب)** بخلاف من لم يقل ذلك: إما لتعوّده الصبر على الجوع. **(قوله: أو لخرق العادة له في حصول قوته من غير كسب، وهو المعبر عنه بغير حساب كما قالت مريم عليها السلام، لما قيل لها:** ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران: ٣٧]). **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق)** رحمه الله **(يقول: حاكياً عن بعض المشايخ أنه قال: إن أهل النار غلبت شهوتهم حميتهم)** عن المطاعم **(فلذلك افتضحوا)** بارتكاب شهواتهم لأنّ حمى الله محارمه، فمن غلبت شهوته تقواه افتضح، ومن غلبت تقواه شهوته نجح. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: قيل لبعضهم: ألا تشتهي فقال:)** نعم **(أشتهي ولكن)** مع ذلك **(أحتمي)** عن المشتهيات فأخاف شهوتي **(قال: وقيل لبعضهم ألا تشتهي فقال:)** نعم **(أشتهي أنْ لا أشتهي)** ليس هذا تمنياً

بالمباحات بل بالمطلوبات بنوع الحظ كان ذلك من متابعة الشهوة، فما ظنك إذا اشتغلت بالمحرم. **(قوله: من غلب شهوات الدنيا الخ)** مراده بشهوات الدنيا ما يعم التشوف إلى جزاء الأعمال إذ هو من نوع الحظوظ، وتلك الغلبة تثمر له الرضا بما يجريه الحق تعالى من عطاء، ومنع، وصحة، وبلاء وغير ذلك إذ لا ينفك قدر الحق عن لطف وانكار ذلك جهل بالعقليات والعاديات والشرعيات، إذ ما من بلاء إلا والعقل قاضٍ بإمكان ما فوقه مع شهوده أعظم من بلائه في غيره، ولا تجتمع البلايا بشخص واحد قط، وما من بلية إلا وهي مكفرة من ذنوب صاحبها، أو موجبة له ثواباً ومخففة عنه عقاباً.

(قوله: من غلب شهوات الدنيا) أي بأنْ قام على نفسه بسياسة النفوس وراضها على أحسن الأخلاق حتى فنيت شهواتها وحظوظها، ودام اشتغالها بعبادة مولاها، فكان ممن يخافه الشيطان. **(قوله: إذا قال الصوفي الخ)** أقول: ذلك من المبالغة في حمل النفس على تحمل المشاق طلباً لرضا الحق تبارك وتعالى.

(قوله: غلبت شهوتهم حميتهم) أي حيث أرخوا لأنفسهم العنان ولم يراقبوا وعيد الديان، ولذا كان جزاؤهم الافتضاح على رؤوس الأشهاد. **(قوله: ليس هذا تمنياً الخ)**

---

(١) أخرجه البخاري (فضائل أصحاب النبي ٦، وبدء الخلق، ٤).

لرجوعه إلى شهوة الدنيا عما هو فيه من طاعة ربه فإنه نقص وإنما هو إخبار عن حسن حاله وبعده عن شهوات نفسه، وقلة خطورها بباله لكمال شغله بربه عن شهواته الدنيوية، وهذا كقول أبي يزيد لما سئل أين أبو يزيد؟ فقال: أين أبو يزيد أنا في طلب أبا يزيد رحم الله أبا يزيد فإنه إخبار عن كونه مشغولاً بربه عن نفسه **(وهذا أتم)** مما قبله لأنه إخبار عن عدم شهوته، وذلك إخبار عنها، ولكنه احتمى عنها.
(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي) رحمه الله **(يقول: أخبرنا أحمد بن منصور قال: أخبرنا ابن مخلد قال حدثنا أبو الحسين الحسن بن عمرو بن الجهم قال: سمعت أبا نصر التمار يقول: أتاني بشر ليلة فقلت الحمد لله الذي جاء بك)** إلينا **(جاءنا قطن من خراسان فغزلته البنت وباعته واشترت لنا لحماً) (فتفطر عندنا فقال)** له **(لو أكلت عند أحد أكلت عندكم ثم قال إني لأشتهي الباذنجان منذ سنين ولم يتفق لي أكله فقلت)** له: **(إنّ فيها)** أي الطبخة **(الباذنجان من الحلال فقال حتى يسمح لي فيه الباذنجان)** بحيث يكون أكلي له طاعة فآكله. **(سمعت أبا عبد الله بن باكويه الصوفي رحمه الله يقول سمعت أبا تراب الصغير يقول: أمرني أبو عبد الله بن خفيف أنّ أقدم إليه كل ليلة عشر حبات زبيب وذات ليلة من الليالي أشفقت عليه من ألم الجوع فحملت إليه خمس عشرة حبة فنظر إليّ كالمنكر عليّ وقال)** لي: **(من أمرك بهذا)** أي حمل الزائد على العشر **(وأكل)** مما حملته **(عشر حبات وترك الباقي)** فيه دلالة على كمال محافظته على ما حصل له من الاستقامة في أدب النفوس والاكتفاء باليسير واعتياد التقلل من الطعام وإن كان شهياً لذيذاً حيث اكتفى بعشر حبات زبيب في وقت إفطاره، قيل: وربما كان يتسحر لصومه بمثلها. **(سمعت محمد بن عبد الله بن عبيد الله يقول: سمعت أبا العباس أحمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت أبا الحسين الرازي يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: سمعت أبا تراب النخشبي يقول: ما تمنت نفسي)** عليّ شيئاً **(من الشهوات إلا مرة واحدة تمنت)** عليَّ **(خبزاً وبيضاً وأنا في سفر فعدلت إلى قرية)** لأقضي فيها ما تمنته نفسي **(فقام)** لي

أي فما يظهر من العبارة غير مراد بل الغرض الإخبار عما صار إليه تحدثاً بالنعمة.

(**قوله: وهذا أتم**) أي لفقد حظ النفس فيه، ووجوده في الأوّل ممنوعاً منه. (**قوله: أتاني بشر الخ**) فيه تنبيه على كماله في القيام على النفس حتى لم يأكل عند أحد، ولا يقدم على مباح من الأفعال.

(**قوله: فنظر إلى الخ**) أقول: مثل هذا غذاؤه الذكر والفكر لاضمحلال بشريته، والله ذو الفضل العظيم. (**قوله: سمعت أبا تراب الخ**) تقدمت هذه الحكاية غير أنّ في

(واحد) من أهلها **(وتعلق بي وقال هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة)** فعرفت أنه تأديب من ربي لميلي إلى شهوتي **(ثم عرفني رجل منهم)** سخره الله تعالى له لحسن سيرته، وكمال معرفته بربه **(فقال: هذا أبو تراب النخشبي فاعتذروا إلي)** في ضربهم لي **(فحملني رجل)** منهم **(إلي منزله)** إكراماً لي وشفقة علي **(وقدم إلي خبزاً وبيضاً فقلت لنفسي: كلي)** ما تمنيتيه، وفي نسخة كل **(بعد سبعين درة)** قاله: توبيخاً لها والله أعلم.

ذكرها هنا نوع مغايرة، وهي في قوله ما تمنت نفسي الخ المفيد أنّه لم يقع ذلك منه غير هذه المرة، ولم يصرح بذلك فيما تقدم. (قوله: **فقلت لنفسي كلي الخ**) إنْ قلت كان من حقه عدم الأكل، قلت: لعله علم بالإذن له فيه بعد القصاص عليه.

باب الخشوع والتواضع

وسيأتي بيانهما وكل منهما محمود (قال الله عز وجل ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾) [المؤمنون: ١، ٢] وقال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا

باب الخشوع والتواضع

أقول هو إنما يكون بجمع القلب على مراقبة الرب، ومن له الأمر، فيثمر ذلك له تصاغر النفس في حال انقيادها ومناجاتها لبارئها، ولا سيما عند ورود قوارع الأوامر والنواهي وتجليات جلال الحق على عباده الكاملين، واعلم أنَّ حالة الخشوع قد تتوالى على العبد فتصير من منازلاته، فيدوم على استصغار النفس مع كل طارق للحق تعالى وللخلق، وفائدة مثل هذا الحال الرفعة في الدارين بإشارة خبر: «من تواضع لله رفعه الله»، ومع هذا فمقام البسط بمشاهدات جمال الحق لا يجامعه بل يكون بدله هذا، وقيل: الخشوع إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق، والتواضع الانقياد إلى الحق وعدم الاعتراض، والفرق أنَّ الأوّل خاص بالحق، والثاني عام له وللخلق. اهـ.

فائدة: من أسباب الخشوع والتواضع شهود إحاطة العلم القديم بسائر الكائنات، وشهود جلال عظمة الذات والصفات. **(قوله: قد أفلح المؤمنون الخ)** الفلاح الفوز بالمرام، والنجاة من المكروه والإفلاح الدخول في ذلك، وقد يجيء متعدياً بمعنى الإدخال فيه، وعليه قراءة من قرأ على البناء للمفعول، وكلمة قد ههنا لإفادة ما كان متوقع الثبوب من قبل، فالمعنى قد فازوا بكل خير ونجوا من كل ضير حسبما كان ذلك متوقعاً من حالهم، والتعبير بصيغة الماضي للدلالة على تحققه لا محالة بتنزيله منزلة الثابت، والمراد بالمؤمنين إما المصدّقون بما علم ضرورة أنّه من دين سيدنا محمد ﷺ من التوحيد، والنبوة، والبعث، والجزاء، ونظائرها فقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢] وما عطف عليه صفات مخصصة لهم، وإما الآتون بفروعه أيضاً كما ينبىء عنه إضافة الصلاة إليهم فهي صفات موضحة، والخشوع الخوف والتذلل أي خائفون من الله تعالى متذللون له ملزمون أبصارهم

خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] أي في الصلاة وغيرها. (**أخبرنا أبو الحسن عبد الرحيم بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المزكي قال: أخبرنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري قال: حدثنا علي بن الحسن قال: حدثنا يحيى بن حماد قال: حدثنا شعبة عن أبان بن ثعلب عن فضيل الفقمي عن إبراهيم النخعي عن علقمة بن قيس عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»**)[1] أي لا يدخلها أبداً إنْ كأن الكبر كفراً كأن تكبر على نبي وإلا فلا يدخلها مع الفائزين. (**ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان**) أي لا يدخلها دخول خلود لما صح أنّ طائفة من المؤمنين يدخلون النار ثم يخرجون منها بالشفاعة (**فقال**

مساجدهم، رُوي أنَّه ﷺ «كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء»[2] فلما نزلت (**رمى بصره تحت مسجده**) وأنه رأى مصلياً يعبث بلحيته فقال عليه الصلاة والسلام: «لو خشع قلبه لخشعت جوارحه»[3]. (**قوله: يدعوننا رغباً ورهباً**) أي رغبة في وعدنا وخوفاً من وعيدنا، وبذلك تعلم أنَّ الاعتدال في استواء صفة الخوف والرجاء حيث امتدح الله تعالى عباده المؤمنين بذلك، والاعتدال أنْ يستعمل العبد كلاً منهما على حسب ما جاء عن سيد البشر ﷺ بأن يقدّم الخوف في حال الصحة، والرجاء في حال المرض، والله اعلم.

(**قوله: أي في الصلاة وغيرها**) أقول: فالخشوع في الصلاة يجمع الهمة بشاهد أدب المتابعة على ما هم بشأنه، وهو مقام الإحسان في العبادة، ودرجة الكاملين من العبيد التواضع مع وجود الرفعة في المقام والوضيع لا يتم له ذلك إلا إذا استقام من كان أرضاً فهو الله أرضى، ومن تعالى لا يقال له: تعال تواضع أهل التحقيق ذهاب وصفهم في الطريق، وتواضع الظاهر مع النفس استشراف، وتواضع الباطن ذلة وصغار واعتراف من قبل الحق بالإنصاف، فهذا هو المتواضع بلا خلاف فافهم.

(**قوله: لا يدخل الجنة الخ**) أقول: وذلك من الوعيد الشديد المفيد أنَّ الكبر وإنْ قل فهو من الكبائر وهي خطرة بالعبد، فعلى العاقل سلوك سبيل التواضع مع الحق، ومع الخلق ليسلم من هذه المخاوف العظيمة.

(**قوله: وإلا فلا يدخلها مع الفائزين**) أي بالسبق إلى دخول الجنة بل بعد التطهير إن

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ٣٦١) (وصاحب الأذكاء النورية ٣١٢).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٢٦٧، ٦، ٤٨).

(٣) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٢٨٩) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٨٩١) والألباني في (إرواء الغليل ٢/ ٩٢) وابن المبارك في (الزهد ٢١٣) والقرطبي في (التفسير ١٢/ ١٠٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٥٠).

رجل:) لما سمع ذلك (يا رسول الله إنّ الرجل يحب أنْ يكون ثوبه حسناً) ولعله حسنة أي أهو من الكبر، (فقال: «إنَّ الله تعالى جميل يحب الجمال»[1]) فليس ذلك بكبر إذ (الكبر) كائن، (من بطر الحق) بفتح الباء والطاء المهملة أي رده وإبطاله (وغمص الناس) بصاد مهملة أي احتقارهم، ولأنّه عبارةٌ عن تعاظم العبد على غيره، وما ذكر ليس كذلك بل فيه إظهار النعمة، وهو مطلوب، والخبر رواه مسلم بلفظ: «الكبر بطر الحق وغمص الناس» بطاء مهملة، وهو بمعنى غمص، والكبر ضد التواضع «ومن تواضع لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله»[2]. وأخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا محمد بن الفضل بن جابر قال: حدثنا أبو إبراهيم قال: حدثنا علي بن مسهر عن مسلم الأعور عن أنس بن مالك قال: «كان رسول الله ﷺ يعود المريض ويشيع الجنائز ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم قريظة والنضير»[3] راكباً (على حمار مخطوم بحبل من ليف وعليه أكاف) أي برذعة (من ليف)، ثم بين الخشوع والتواضع بقوله: (الخشوع الانقياد للحق) أي السكون إليه، وقبوله إذا سمعه من أي قائل كان.

لم يساعد بالعفو والإحسان. (قوله: فليس ذلك بكبر) أي بل هو من إظهار نعمة الله تعالى بإبداء أثرها، وذلك مندوب إليه ما لم يؤد إلى خيلاء في النفس وإلا كان من أسباب العطب. (قوله: ومن تواضع لله) أي بتمام الانقياد بشاهد المتابعة رفعه الله أي رقاه إلى الدرجات الرفيعة الحسية والمعنوية الدنيوية، والأخروية، وبالضد يعلم حكم ضده. (قوله: يعود المريض الخ) هذه جملة من أخلاقه ﷺ ذُكرت ليتبعه فيها من سبقت له السعادة في الدنيا والدين، وعيادة المريض أنْ تزوره في مرضه، وتشييع الجنائز تبعيتها إلى أنْ تدفن، وقوله: ويركب الحمار أي وهو عريان كما ورد كذلك، وقوله: مخطوم الخ أي به مقود من ليف، وقوله: أي برذعة هي ما يجعل على ظهر الحمار ليركب عليها. (قوله: الانقياد للحق) أي تلقيه بالقبول والقيام على النفس به سمعه من أي إنسان كبيراً كان أو صغيراً، حراً أو عبداً، وذكراً أو أنثى. (قوله: والتواضع هو الاستسلام الخ) أي فلا يعامل وقته إلا بما اقتضاه أمره فإنْ كان تكليفاً فيطلبه وإن كان تعريفاً فيرضى به، ولذا قال عمر بن عبد العزيز: أصبحت ما لي سرور إلا في مواقع القدر.

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ١٤٧) وابن ماجه (دعاء ١٠) وأحمد بن حنبل (٤، ١٣٣، ١٣٤، ١٥١).

(٢) أخرجه مسلم (بر ٦٩) والترمذي (بر ٨٢) والدارمي (زكاة ٣٤) والموطأ (صدقة ١٢) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٨٦).

(٣) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٤١٧٨).

(والتواضع هو الاستسلام للحق، وترك الاعتراض على الحكم) من الحاكم وهو أعم من الخشوع لأنه يستعمل فيما بين العباد وفيما بينهم وبين الرب بخلاف الخشوع لا يستعمل إلا في الثاني ولا يقال: خشع العبد لمثله ويقال: تواضع له **(وقال حذيفة: أوّل ما تفقدون من دينكم الخشوع)** في العبادة وقد ظهر ذلك ظهوراً كثيراً حتى صارت أكثر الصلوات تجري على حكم العادات، (و) قد **(سئل بعضهم عن الخشوع فقال: الخشوع قيام القلب بين يدي الحق)** تعالى **(يهم مجموع)** أي بهمة عظيمة بحيث يعبد الله كأنه يراه **(وقال سهل بن عبد الله: من خشع قلبه لم يقرب منه الشيطان)** بل يفر منه كما كان يفر من عمر بن الخطاب رضي الله عنه. **(وقيل: من علامات الخشوع للعبد أنه إذا أغضب أو خولف أو رد عليه)** في شيء لم يتعين عن حاله بل يبادر إلى **(أن يستقبل ذلك بالقبول)** ممن فعل به ذلك. **(وقال بعضهم: خشوع القلب)** لكونه مفضياً إلى معرفة العبد رؤية الله إياه **(قيد العيون)** بل وجميع

وقال أبو مدين: احرص على أنْ تصبح مفوّضاً مستسلماً لعله ينظر إليك فيرحمك، وقال عبد الواحد الرضا باب الله الأعظم، ومستراح العابدين، وجنة الدنيا قال بعضهم شعراً:

رياح القضا اتبع ودر حيث دارت
وسلم لسلمى وسر حيث سارت

(قوله: وهو أعم الخ) أقول: التفرقة عموماً وخصوصاً مرجعها اللفظ والإطلاق مع قرب المعنى. **(قوله: أوّل ما تفقدون الخ)** أقول: لما كان الخشوع من مكملات العبادة ومن أعظم أسباب قبولها كان أوّل مفقود فهو من إمارات نقص الدين ومن أسباب قلة الخيرات بشاهد قوله جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. **(قوله: قيام القلب)** أي دوامه على مراقبة من له العبادة، وقوله: بين يدي الحق يريد باليدين القدرة والإرادة، ولو عبر بهما لكان أظهر. **(قوله: من خشع قلبه)** أي دام على مراقبة جلال الحق باستحضار سلطان الخوف منه تعالى لم يقرب منه الشيطان أي لأنَّ من خاف الله أخاف الله منه كل شيء فافهم.

(قوله: أنْ يستقبل ذلك بالقبول) أي لأنَّ الغافل ينظر ماذا يفعل والعارف الكامل ينظر ماذا يفعل الله به، قال صاحب الحكم العطائية إنما استوحش العباد والزهاد من كل شيء لغيبتهم عن الله في كل شيء فلو شهدوه في كل شيء لم يستوحشوا من شيء، قلت: بل كانوا يستأنسون بكل شيء لرؤية مطلوبهم في كل شيء، قال أبو العباس: ليس الرجل الذي لا يدخل الظلمة، ولا الذي يدخل الظلمة بالظلمة إنما الرجل الذي يدخل الظلمة بالنور فافهم.

(قوله: قيد العيون) أي يكون سبباً في منعها عن التطلع والاستشراف بالنظر إلى

الجوارح (**عن النظر**) إلى المشتهيات والوقوع في المنهيات وشغلها بأنواع الطاعات (**وقال محمد بن علي الترمذي: الخاشع من خمدت نيران شهواته**) وانكسرت جوارحه عن السعي فيما لا يرضاه ربه (**وسكن دخان صدره وأشرق نور التعظيم في قلبه فماتت**) بذلك (**شهواته وحيي قلبه فخشعت**) أي من اتصف بذلك خشعت (**جوارحه**) لكمال معرفته بربه، وهذا معنى قوله ﷺ لمن رآه يعبث في الصلاة بلحيته: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه»[1] أي لو استشعر أنَّه تعالى يسمعه ويراه تأدب في نفسه وقلبه وجوارحه. (**وقال الحسن البصري: الخشوع الخوف الدائم اللازم للقلب**) هذا إنما هو سبب الخشوع فإنَّ العبد إذا خاف سبباً بعد عنه وخشع أي سكن عن طلبه. (**وسئل الجنيد عن الخشوع فقال**) هو (**تذلل القلوب لعلام الغيوب**) وإنما تذلل لمن علمت كماله واقتداره على نفعها وضررها والتواضع

شيء ما من مشتهيات النفس، ولذا قيل: إذا أردت أنْ تعصي مولاك فاعصه بحيث لا يراك، وحيث كان هو الرقيب والحسيب، فعلى العاقل أنْ ينكف عن المخالفات كما أشار إلى ذلك كله بقوله: قيد العيون وإنما خصها بالذكر لأنَّ معظم المهالك بسببها، وإلا فالغرض كف سائر الجوارح والله أعلم.

(**قوله: الخاشع من خمدت نيران شهواته الخ**) أقول: ومثله لا ينفر من شيء، ولا يستوحش لشيء، ولا تضره المخالطة، ولا تزيده العزلة، ولا تغيره الدنيا ولا يكترث بالأخرى، فهو حينئذ مصداق قول سيد البشر ﷺ: «المؤمن آلف مألوف ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»[2] إذ من مشاهدة الخلق توحيد الملك الحق، فالرؤية في هذه الدار بالبصر على قدرها فيها بالبصيرة، فأعظم الناس معرفة أكثرهم في الآخرة رؤية، فلزم مراعاة السبب لتحصيل المسبب فافهم.

(**قوله: الخاشع من خمدت الخ**) أي فقد بين رضي الله عنه ثمرة الخشوع لينبه على أنَّ الخشوع إذا لم يثمر مثل ذلك فلا عبرة به إذ هو حينئذٍ دعوى بلا دليل. (**قوله: وسكن دخان صدره**) مراده بذلك ما بقي من حظ النفس بعد خمود نار الشهوة القوية، وقوله: واشرق نور التعظيم في قلبه أي تعظيم الآمر والناهي الناشيء من جلاء البصيرة بعد ذهاب نار الشهوة ودخانها المقتضي موت النفس الحيوانية وحياة الروح الإنسانية.

(**قوله: لو خشع قلب هذا الخ**) أي فقد أشار سيد أطباء القلوب إلى حمل العاقل

---

(١) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٢٨٩) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٣/ ٢٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٨٩١) والألباني في (إرواء الغليل ٢/ ٩٢) وابن المبارك في (الزهد ٢١٣) والقرطبي في (التفسير ١٢/ ١٠٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ١٥٠).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٢، ٤٠٠، ٥، ٣٣٥).

يحصل بالرفق (**قال الله عز وجل**: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾) [الفرقان: ٦٣] أي برفق بلا تكبر ولا إعجاب وهو المراد ذكره بقوله: (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: معناه متواضعين متخاشعين وسمعته أيضاً يقول: هم الذين لا يستحسنون**) استحسان تعجب (**شسع نعالهم إذا مشوا**) الشسع أحد سيور النعل وهو مثال (**واتفقوا على أنَّ الخشوع محله القلب ورأى بعضهم رجلاً منقبض الظاهر منكسر الشاهد**) أي غاض البصر (**قد روى**) أي جمع (**منكبيه فقال له يا فلان الخشوع ههنا وأشار إلى صدره لا هاهنا وأشار إلى منكبيه**) فالمطلوب خشوع القلب لا تكلف الجوارح كما دل عليه حال الرجل المذكور، ومتى خشع قلب العبد

على الخشوع بالقلب لتتبعه الجوارح الباقية حتى يصل بذلك إلى درجة الكمال إذ صلاح الجوارح بصلاح القلب، وفسادها بفساده، وقد أشير إلى ذلك في خبر آخر حيث قال فيه: «ألا وهي القلب». (**قوله: فقال: هو تذلل القلوب**) أقول: لما كان بها تذلل باقي الجوارح اقتصر عليها. (**قوله: وعباد الرحمن الخ**) كلام مستأنف مسوق لبيان أوصاف خلق عباد الرحمن وأحوالهم الدنيوية والأخروية بعد بيان حال المنافقين، والإضافة للتشريف، وهو مبتدأ خبره ما بعده من الموصول، وما عطف عليه إلى آخر السورة ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: ٦٣] أي بسكينة وتواضع، وهوناً مصدر وصف به ونصبه إما على أنه حال من فاعل يمشون، أو على أنه نعت لمصدره أي يمشون هينين لينين من غير فظاظة أو مشياً هيناً. (**قوله: وعباد الرحمن الخ**) أقول: وجه امتداحهم بذلك كونه من الأخلاق المحمدية إذ كان ﷺ مشيه الهوينى والعفو والصفح عن زلة الجاهل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذ قد ورد أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي»[1] فقال: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] والخير كله في متابعته عليه الصلاة والسلام. (**قوله: ورأى بعضهم رجلاً الخ**) أقول: لعله قد اطلع على عدم خشوعه القلبي بسبب ما ظهر على جوارحه مما لم تشهد له أدلة المتابعة، فأنكر عليه بما ذكر، ورؤيته كذلك كانت وهو في الصلاة بدليل قوله بعد ولهذا الخ. (**قوله: ولهذا**) أي لكون الخشوع محله القلب روي الخ أقول، لما كان خلاف الخشوع قد يكون تارة بالزيادة عن الواردة في هيئة الجوارح بالتكلف، وتارة يكون بالعبث والحركة قال ولهذا الخ.

---

(١) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٧٢) والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٣٢٧) والفتني في (تذكرة الموضوعات ٨٧) والألباني في (السلسلة الضعيفة ٧٢) والمتقي الهندي في (كنز العمل ٣١٨٩٥).

تبعه الجوارح بالإنكسار والتذلل (و) لهذا (روي أنَّ النبي ﷺ رأى رجلاً يعبث في صلاته بلحيته فقال: «لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه» وقيل شرط الخشوع) أي الكامل بأنْ يحضر العبد قلبه ويستغرق (في الصلاة أنْ لا يعرف) المصلي (من على يمينه ومن على شماله) ومن على غيرهما، ومن كمل حضور قلبه في صلاته ومناجاته لربه حسن منه أنْ يقول لمن معه في الصلاة: السلام عليكم لأنه كان غائباً ثم قدم عليهم، وإلا فمن هو حاضر ببدنه بين يدي الله وقلبه مغرق فيما يحبه ويهواه، فلم يغب عن نفسه، ولا عما معه فهو حاضر معهم، فلا يحسن معه ذلك (ويحتمل أنْ يقال: الخشوع إطراق السريرة بشرط الأدب بمشهد الحق تعالى) والحضور معه (أو يقال: الخشوع ذبول يرد على) البدن ناشئاً من (القلب عند إطلاع الرب، أو يقال الخشوع ذوبان القلب وإنخناسه عند سلطان الحقيقة) أي كمال الحال (أو يقال: الخشوع مقدمات غلبات الهيبة) من الحق (أو يقال: الخشوع قشعريرة ترد على القلب

(قوله: لو خشع قلب هذا الخ) أي لأنّ أسرار القلوب تبدو على صفحات الوجوه فإذا تأدب القلب تأدبت سائر الجوارح. (قوله: شرط الخشوع الخ) يشير بذلك كما صرّح به الشارح إلى أنَّ الخشوع لا يتم إلا إذا أدى إلى غيبة المصلي عمن معه بواسطة استغراقه في لذة مناجاته، ولذا شرع له السلام في التحلل من الصلاة لشبهه بمن قدم على جماعة بعد غيبته عنهم.

(قوله: إطراق السريرة الخ) أي عدم التفاتها إلى غير الحق بشرط الأدب بمراعاة طرق المتابعة بمشهد الحق وحضور القلب بمراقبة إحاطة العلم بحركاته وسكناته الظاهرة والباطنة، وذلك يزيد بكثرة شهود الآثار العجيبة، ومن أجل ذلك كان بعض العارفين يختار سكنى المدن الواسعة لكثرة الآثار فيها فيشهد المؤثر فيها، وقد سئل بعضهم عن رؤية الله في الآخرة فقال: هي رؤية وجود لا أنه في محدود فافهم.

(قوله: أو يقال: الخشوع ذبول) أي انقباض وهيئة انكسار يرد على البدن والجوارح الظاهرة ناشئاً ذلك من خشوع القلب باجتماع همه على مراقبة ربه فيما قام به من حقه. (قوله: أو يقال: الخشوع ذوبان القلب) بشهود سطوات القهر مع انفراد الحق بالأفعال وانخناسه وصموته بسبب الحيرة في المخلص مما هو فيه الناشيء من غلبات طوارق الحقيقة فتدبر.

(قوله: أو يقال: الخشوع قشعريرة الخ) أقول: كل قد تكلم بحسب ذوقه من صافي شرابه ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ﴾ [الرعد: ٤]. (قوله: كان الشأن الخ) محصله أنَّ الذي ينبغي للعبد كتم الحال الذي يتعبد به إذ هو من الأسرار ما دام قادراً على كتمه، وإلا فلا حرج عليه إذ ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:

بغتة عند مفاجأة كشف الحقيقة) وكلها ترجع إلى تغير القلب، وتذلله، وسكونه بأن يستشعر نظر الحق إليه حتى لم يبق فيه وسع لغير ما هو فيه، وهذه الحالة أعلى رتب الخاشعين. **(وقال الفضيل بن عياض: كان)** الشأن عند السلف **(يكره أنْ يرى الرجل غيره من الخشوع)** أي خشوعه **(أكثر مما في قلبه)** إذا لم يعجز عن إظهاره، وإلا فلا يكره ذلك لعجزه عن كتمه، فالعبد متى كان قادراً على كتم الأحوال الغالبة على القلوب، ولم يكتمها كان مرتكباً مكروهاً بل إنْ أظهرها رياء أو تشبعاً بما لم ينله، فهو مراء كذاب، وقد قال ﷺ «المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور»[1] ومتى لم يقدر على كتمها بأنْ غلبت عليه بحيث أثرت في جوارحه بغشيان أو صياح أو بكاء لم يكره له عدم كتمها لعجزه. **(وقال أبو سليمان الداراني: لو اجتمع الناس على أنْ يضعوني)** عن قدري **(كاتضاعي عند نفسي لما قدروا عليه)** لأنَّ اتضاعي مع الحق والخلق في غاية الكمال، وهذا إنما قاله ليقتدى به فيه لا لرياء ونحوه. **(وقيل: من لم يتضع عند نفسه لم يرتفع عند غيره)** لأنَّ من لم يتضع لم يعرف قدر نفسه وربما ظهر منه الكبر على الناس فينزل قدره عندهم بخلاف من اتضع عند نفسه فإنّه يرتفع عند غيره لخبر «من تواضع لله رفعه الله»[2]. **(وكان عمر بن عبد العزيز لا يسجد)** في الصلاة **(إلا على التراب)** لكمال تواضعه لربه حيث وضع أرفع ما فيه، وهو وجهه على التراب تذللاً لربه، ورجاء لقبول عمله والعفو عن خطئه وزلله. **(أخبرنا عليّ بن أحمد الأهوازي قال: حدثنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا إبراهيم بن عبد الله**

٢٨٦] فإنْ أظهره مع القدرة على إخفائه كره له ذلك ومحله في حال الصدق، وعدم المراآة وإلا حرم للرياء، أو التشبع بما لم ينل، والله أعلم.

(قوله: المتشبع بما لم ينل) هو كناية عمن ادعى شيئاً لم يثبت له فهو في هذه الحالة كلابس ثوبي زور أي كمن جعل لكميه كمين آخرين ومثلهما بهما ليوهم غيره أنهما ثوبان مع أنّه واحد في الحقيقة، وفعل مثل ذلك من الزور والبهتان. **(قوله: لو اجتمع الناس الخ)** فيه تنبيه على أنّه قد بلغ غاية التواضع والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء من عباده. **(قوله: لم يرتفع عند غيره)** أي لكونه يزاحمهم في الرياسة. **(قوله: بخلاف من اتضع عند نفسه فإنّه يرتفع الخ)** أي لنزاهته عما من شأنهم التزاحم عليه، فيكون ذلك منه سبباً في إقبالهم عليه. **(قوله: وكان عمر بن عبد العزيز الخ)** أقول: وبمثله يقتدى، فالله

---

(١) أخرجه البخاري (نكاح ١٠٦) ومسلم (لباس ١٢٦، ١٢٧) والترمذي (بر ٨٧) وأحمد بن حنبل (٦، ١٦٧، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (٣، ٧٦).

قال: حدثنا أبو الحسن علي بن يزيد الفرائضي قال: حدثنا محمد بن كثير وهو المصيصي عن هرون بن حيان عن حصيف عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»[1]) تقدم الكلام عليه. (**وقال مجاهد رحمه الله: لما أغرق الله سبحانه قوم نوح شمخت الجبال**) غير الجودي أي ترفعت (**وتواضع الجودي**) جبل بالجزيرة بقرب الموصل أي قصر إلى وجه الأرض (**فجعله الله سبحانه وتعالى**) بتواضعه (**قراراً لسفينة نوح عليه السلام**) بقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِيِّ﴾ [هود: ٤٤] أي وقفت على الجودي لأنَّ من تواضع لله رفعه فالجودي لما لم ير نفسه أهلاً لحلول النبي والمؤمنين عليه أعطاه الله تلك المنزلة، وفيه دلالة على جواز خلق الحركات في الجمادات. (**وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يسرع في المشي ويقول: إنه أسرع للحاجة وأبعد من الزهو**) والعجب ولا ينافي ذلك مدحه تعالى من يمشي على الأرض هوناً أي بسكينة وتواضع لأن إسراع عمر رضي الله عنه كان كذلك. (**وكان**) أمير المؤمنين (**عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يكتب شيئاً وعنده ضيف فكاد السراج ينطفىء فقال الضيف: أقوم إلى المصباح فأصلحه**) استأذنه في ذلك لأنه لا ينبغي للضيف أنْ يتصرف في دار من أضافه إلا بإذنه (**فقال**) له (**لا**) إذ (**ليس من الكرم**) والأخلاق المحمودة (**استعمال الضيف**) بل إكرامه لخبر: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه». (**قال: فآتيه الغلام**) يصلحه (**قال: لا هي**) أي نومته (**أوّل نومة نامها**) الليلة فلا تشوش عليه نومه (**فقام**)هو (**إلى البطة**) التي فيها الدهن

يرزقنا الاهتداء ببركة أحبته أجمعين. (**قوله: تقدم الكلام عليه**) أي وحاصله أنّه قد يكون كفراً أو فسقاً، فعلى الأوّل لا يدخل الجنة أصلاً لخلوده في النار، وعلى الثاني لا يدخلها مع السابقين بل بعد نار التطهير إنْ لم يصادفه العفو. (**قوله: وقال مجاهد الخ**) غرضه بيان أنّ سر «من تواضع لله رفعه الله» سار في الجماد كالإنسان، فإذا تأمله العاقل حمل نفسه على التواضع لأنّه يحقق الألفة والاجتماع، ودوام الانتظام، وذلك هو المقصود من العالم. (**قوله: يسرع في المشي**) أقول: لما كان الإسراع قد لا ينافي الهوينى بأنْ كان بسعة الخطوة من غير إسراع نقلها تمدح به في أخلاق عمر رضي الله عنه. (**قوله: وكان أمير المؤمنين الخ**) أقول: فيما ذكر من أخلاقه رضي الله عنه ما يفيد سبق عناية الله به

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ١٤٨، ١٤٩) وأبو داود (لباس ٢٦) والترمذي (بر ٦١) وابن ماجه (مقدمة ٩) (فتن ٢٧) (زهد ١٦) والدارمي (مقدمة ٧) وأحمد بن حنبل (١، ٤٥١، ٣، ١٦٤، ٢١٥، ٤، ١٥١).

(وجعل الدهن) أي الذي أفرغه منها (في المصباح) وردها مكانها ثم جلس (فقال له: الضيف قمت بنفسك يا أمير المؤمنين) متعجباً من ذلك لمخالفته عادة الولاة فضلاً عن الخلفاء (فقال له) عمر (ذهبت وأنا عمر ورجعت وأنا عمر) أي ما نقص مما أنا عليه شيء، وفيه دلالة على كمال تواضعه وبعده عن رؤية النفس وكمالها. وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يعلف البعير ويقيم البيت أي يكنسه (ويخصف النعل) أي يخرزها (ويرقع الثوب ويحلب الشاة ويأكل مع الخادم ويطحن معه إذا أعيا) أي تعب (وكان لا يمنعه الحياء أن يحمل بضاعته من السوق إلى أهله وكان يصافح الغني والفقير ويسلم مبتدئاً) على من يستقبله من حر أو عبد (ولا يحقر ما دعي إليه) من المطاعم ونحوها (ولو إلى حشف التمر وكان هين المؤنة لين الخلق كريم الطبيعة جميل المعاشرة مطلق الوجه بساماً من غير ضحك محزوناً من غير عبوسة) بوجهه (متواضعاً من غير مذلة جواداً من غير سرف رقيق القلب رحيماً بكل مسلم لم يتجشأ قط من شبع) لأنه لم يشبع قط (ولم يمد يده) ولا غيرها (إلى الطمع) في ذلك دلالة على كمال تواضعه ﷺ مع أنه أشرف الخلق، وعلى أنَّ

حيث طهرت نفسه من رجس الحظوظ. (قوله: ذهبت وأنا عمر الخ) أقول: بل يزداد بزيادة الأجر في خدمته بنفسه لأجل زيادة إكرام ضيفه فذهب مأجوراً وعاد محبوراً. (قوله: كان يعلف البعير الخ) ذكر جملة من أخلاقه ﷺ الدالة على زيادة كمال خلقه ليقتدي به كامل العقل فيندرج في جملة المقربين المحبين له عليه الصلاة والسلام. (قوله: ويرقع الثوب) أي يخيط عليه ما يسد به خروقه من لونه أو من غير لونه. (قوله: إذا أعيا) أي حصل له عي وتعب.

(قوله: أنْ يحمل بضاعته) أي ما يلزم له أو لأهله. (قوله: وكان يصافح الغني والفقير) أي: بأنْ يسوي بينهما فيها. (قوله: ولا يحقر الخ) كيف وقد ثبت أنّه ما عاب طعاماً قط. (قوله: ولو إلى حشف التمر) أي رديئه. (قوله: وكان هين المؤنة) أي يرضى بما تيسر منها، ولا يتكلف الزيادة. (قوله: لين الخلق) أي سهل الخلق قريب الرضا. (قوله: كريم الطبيعة) أي كرماً جبلياً بدون تكلف. (قوله: طلق الوجه) أي غير عبوسة. (قوله: من غير ضحك) أي من غير إظهار صوت. (قوله: محزوناً من غير عبوسة) لعل حزنه باعتبار اطلاعه على حال أمته، وإلا فقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وعصمه من كل شر. (قوله: متواضعاً) أي مخفوض الجناح كرماً من غير مذلة كيف والعزفي متابعته. (قوله: جواداً) أي واسع البذل على ما ينبغي. (قوله: رقيق القلب) أي رحيمه كيف وهو رحمة للعالمين. (قوله: لم يتجشأ الخ) التجشؤ هو تنفس المعدة بصوت من زيادة الامتلاء مع أنّه ﷺ ما شبع من طعام قط، وما أكل مرققاً قط أي طعاماً

تعاطي الأسباب لا ينافي التوكل ولا المقامات العالية. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصر الصائغ يقول: سمعت مردريه الصائغ يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: قرّاء الرحمن عز وجل أصحاب خشوع وتواضع**) لعلمهم بالله وبأنفسهم، وبما كلفهم به مولاهم من القيام بحقه وبعجزهم عن ذلك (**وقرّاء القضاة**) أي الولاة (**أصحاب عجب وتكبر**) غالباً لأنَّ غالبهم يتقرب منهم لينال من دنياهم، ويعظم جاهه، وينفذ كلمته. (**وقال الفضيل**) أيضاً (**من رأى لنفسه قيمة**) يفضل بها غيره ليتكبر عليه (**فليس له في التواضع نصيب، وسئل عن التواضع فقال: تخضع للحق وتنقاد له وتقبله ممن قاله**) صغيراً أو كبيراً شريفاً أو وضيعاً حراً أو عبداً ذكراً أو غيره نظراً للقول لا للقائل، فهو إنما يتواضع للحق وينقاد له (**وقال الفضيل:**) أيضاً (**أوحى الله سبحانه إلى الجبال أني مكلم واحد منكم نبياً فتطاولت الجبال**) أي ترفعت غير طور سيناء (**وتواضع طور**) أي جبل (**سيناء فكلم الله سبحانه عليه موسى لتواضعه**) فيه دلالة على جواز خلق الحياة والفهم والإخبار والحركات في الجمادات. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت علي بن أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت إبراهيم بن فاتك يقول: سئل الجنيد عن التواضع فقال**) هو (**خفض الجناح**) للخلق (**ولين الجانب**) لهم ليقربوا منه فينتفعوا به، ويكون بحيث أنه إنْ آذاه غيره بأذيّة حملها فلا يؤاخذه بها، (**وقال**

منخولاً. (**قوله: قراء الرحمن الخ**) يشير إلى أنّ رتبة العبد بحسب ما أُضيف إليه، فمن انتسب إلى الرحمن وانقطع إليه عما سواه كان صاحب خشوع وتواضع بحسب ما ناله من شاهد علمه بربه وبنفسه، ومن انتسب إلى غيره تعالى من أُولي المظاهر لزمه غالباً العجب والكبر بواسطة كثرة غفلاته لعدم المنبه له، فاختر لنفسك ما يحلو.

(**قوله: لأنّ غالبهم يتقرب الخ**) أي فيكون أقل كسبه حينئذٍ إقراره إياهم على منكرات الأخلاق بل ربما يروّجها لهم بتمويهات الأباطيل.

(**قوله: من رأى لنفسه قيمة الخ**) أي فمن ظن أنّه على شيء له به مقدار يفضل به غيره يكون من المتكبرين الجاهلين، فليس له في التواضع الذي هو أكبر أسباب الرفعة نصيب. (**قوله: تخضع للحق الخ**) أي فالموفق من إذا سمع الحق رجع إليه على أي لسان كان سماعه. (**قوله: على جواز خلق الحياة الخ**) أي ولا مانع من ذلك، فقد ثبت تسبيح الحصى في كفه ﷺ. (**قوله: فقال هو خفض الجناح الخ**) أي امتثالاً للشارع عليه الصلاة والسلام. (**قوله: حملها فلا يؤاخذه بها**) أي ويسهل هذا السبيل الرجوع إلى مصدر الكائنات مع احتمال حكمة التأديب والتربية.

(**قوله: مكتوب الخ**) أي فالتواضع مندوب إليه وسبب لنيل الدرجات الكاملة حتى

وهب: مكتوب في بعض ما أنزل الله تعالى من الكتب إني أخرجت الذر) بالمعجمة أي بني آدم (من صلب آدم فلم أجد قلباً أشد تواضعاً من قلب موسى عليه السلام فلذلك اصطفيته) أي اخترته نبياً (وكلمته) فما ميزه تعالى: على امته وخصه بكلامه إلا لما اختص به من كمال تواضعه. (وقال ابن المبارك: التكبر على الأغنياء، والتواضع للفقراء من التواضع) الغرض منه التنفير عن التواضع للأغنياء لدنياهم، وإلا فالتكبر مذموم لكل أحد فقيراً كان أو غنياً، والتواضع محمود لكل أحد، فالمذموم منه التواضع للأغنياء لدنياهم، وللفقراء لفقرهم، والمحمود التواضع لله سواء كان مع الأغنياء أو الفقراء. (وقيل لأبي يزيد:) البسطامي (متى يكون الرجل متواضعاً) كاملاً (فقال: إذا لم يرَ لنفسه مقاماً ولا حالاً) يفضل بهما غيره (ولا يرى أنَّ في الخلق من هو شر منه) لكمال شغله بربه، فلا يرى لنفسه قدراً. (وقيل: التواضع نعمة) عظيمة لما يترتب عليها في الآخرة والدنيا لكن أكثر الناس لا يعدونه نعمة بل مذلة وقلة همة، ولهذا (لا يحسد عليها) إذ الحسد لا يكون إلا على النعم المعروفة للحاسد (والكبر) لكونه مذموماً (محنة) وبلية (لا يرحم عليها) إذ الرحمة إنما تكون على المصاب المتواضع (والعز في التواضع) لأن الكبر (فمن طلبه في الكبر لم يجده. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: الشرف في التواضع) وإن كان صاحبه جليل القدر لاعترافه بكمال العبودية

في الشرائع القديمة. (قوله: فلم أجد قلباً الخ) فيه أنَّ ذلك ينافي ما نقل عن بعضهم أنَّه كان فيه شدّة بخلاف أخيه هارون فإنَّه كان محبباً في قومه، ولهذا طلب سيدنا موسى إرساله معه ليصل به إلى ما هو المراد منه، ويمكن أنْ يقال لا منافاة لكون تواضعه وشدته عليه السلام إنما هو للحق وبالحق، والله أعلم.

(قوله: التكبر على الأغنياء الخ) المراد والله أعلم أنَّ الذي ينبغي للإنسان أنَّه لا يرجو الفضل إلا من الله، ولا يعول في شيء على ما سواه، وفي ذلك حمل على علو الهمة بما يظهر منه التكبر، وإلا فالكبر مذموم وكبيرة مطلقاً. (قوله: فلا يرى لنفسه قدراً) أقول: هذا من الشارح بيان للمراد من قوله: ولا يرى أنَّ في الخلق الخ إذ اعتقاد الشرية في نفسه أو غيره غير مقصود وغير مراد. (قوله: وقيل التواضع نعمة) أي بشاهد العلم، وقوله: لا يحسد عليها أي بغلبة الجهالات على الإنسان، وقوله: والكبر لكونه مذموماً محنة الخ ذلك مبالغة في التنفير عن الكبر وإلا فكل مصيبة ينبغي رحمة المصاب عليها ولا سيما إذا كانت دينية والله أعلم.

(قوله: والعز في التواضع) أقول: وشاهده إما للعيان أو قريب منه. (قوله: الشرف في التواضع) قد أشار الشارح إلى وجه ذلك حيث قال: لاعترافه بكمال العبودية أي وهي

ولخبر: «من تواضع لله رفعه». **(والعز في التقوى)** لأنها سببه **(والحرّية)** التي توجب عدم المزاحمة على الأراذل في الأرزاق **(في القناعة)** بما في اليد، وفي ذلك أنشدوا

أطعت مطامعي فاستعبدتني. ولو أني قنعت لكنت حراً، **(وسمعته أيضاً يقول: سمعت الحسن الساوي يقول: سمعت ابن الأعرابي يقول: بلغني أنّ سفيان الثوري قال: أعز الخلق خمسة أنفس عالم زاهد)** في الدنيا **(وفقيه صوفي، وغني متواضع وفقير شاكر، وشريف سني)** لأن من غلب عليه شيء إمتنع عليه المصير عادة إلى ضدّه، فالجمع بينهما عزيز شريف، فالغالب على العالم معرفة وجوه الإستدلال، فهو كامل معظم عند الناس، ومن كان كذلك بعد عن الزهد في الدنيا لأنه غارق في معظمهما وهو الجاه ولهذا قيل: آخر ما يخرج من رؤوس الصدّيقين حب الرياسة والغالب على الفقيه معرفة الأحكام ورجوع الناس إليه فيها فيغلب اختلاطه بهم والصوفي منقطع بقلبه عنهم مشغول بربه والغالب على الغني الشهرة والكبر ويصعب عليه التواضع والغالب على الفقير الصبر على قلة النعم الدنيوية مع المشقة بعيداً عن الشكر عليها لفقده لها والغالب على الشريف المنتسب لأولاد النبي ﷺ من أولاد فاطمة أنه لا يعظم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما حق تعظيمهما فلا يكون سنياً. **(وقال يحيى بن معاذ: التواضع حسن في كل أحد لكنه في الأغنياء أحسن والتكبر سمج)** بإسكان الميم وكسرها أي قبيح **(في**

من أشرف ردآت الإنسان، ولهذا قد نوّه بها في أشرف المواطن عنه ﷺ كقوله جل شأنه: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]. **(قوله: والعز في التقوى)** أي ومن أجل ذلك كانت خير الزاد أي أفضل ما يعده الإنسان للشدائد في المعاد. **(قوله: في القناعة)** أي الرضا بالمقسوم، وعدم التشوّف إلى زائد وقوفاً مع مراد الحق تعالى. **(قوله: أطعت مطامعي)** أي استرسلت مع شهوات نفسي فاستعبدتني أي صيرتني عبداً بل الرق في ذلك أقوى، وقوله: **(ولو أني قنعت)** أي رضيت بما قسمه الله لي بحكمته لكنت حراً أي لكنت تخلصت من رق شهواتي. **(قوله: أعز الخلق خمسة)** أقول: قد تكفل الشارح ببيان الوجه على أحسن منوال. **(قوله: حب الرياسة)** أي التقدم على الغير وسبب ذلك رؤية الفضيلة للنفس، وهي من أقوى الحجب المانعة من نيل القرب. **(قوله: فيغلب اختلاطه بهم)** أي ويلزم من ذلك غالباً ميل قلبه إليهم. **(قوله: والغالب على الفقير الصبر الخ)** أي إذا كان موفقاً وإلا فلا يصبر بل يقلق ويشكو. **(قوله: إنه لا يعظم أبا بكر وعمر)** أقول ولعل السبب حنو الطبع إلى الأصل، فلما ثبت تقدمهما رضي الله تعالى عنهما بإرادة الحق وإشارة الصدق على أصلهم كان ذاك سبباً في عدم زيادة تعظيمهما كما ينبغي والله أعلم.

(قوله: فلا يكون سنياً) أي بل بدعياً لتركه سنة الجماعة وقد ثبت عنه ﷺ خبر «إنما

كل أحد لكنه في الفقراء أسمج) أي أقبح، وذلك لوجود أسباب التكبر في الأغنياء من المال والجاه وغيرهما، وفقدهما في الفقير فكان تواضع الأغنياء أحسن من تواضع الفقراء وتكبر الفقراء أقبح من تكبر الأغنياء. **(وقال ابن عطاء: التواضع قبول الحق ممن كان)** صغيراً أو كبيراً إلى غير ذلك مما مر نظيره، وهذا معلوم من ذاك.

(وقيل: ركب زيد بن ثابت) بغلته بعد ما صلى على جنازة **(فدنا ابن عباس)** منه **(ليأخذ بركابه فقال له: مه** أي كف عن هذا **(يا ابن عم رسول الله ﷺ فقال: هكذا أمرنا أن نفعل بعلمائنا** أي تكرمهم ونجلهم **فأخذ زيد بن ثابت يد ابن عباس)** وفي نسخة فقال زيد بن ثابت: أرني يدك فأخرجها إليه **(فقبلها وقال: هكذا أمرنا أن نفعل بأهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم)** ظاهره أنه فعل ذلك مكافأة لما فعل معه حيث قبل يده التي أمسك بها الركاب ويحتمل أنه فعل ذلك خوفاً من دخول آفة الكبر والعجب عليه، فيكون تعظيماً لا مكافأة، ويحتمل أنّه فعل ذلك للأمرين معاً. **(وقال عروة بن الزبير رضي الله عنه: رأيت عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعلى عاتقه قربة ماء فقلت: يا أمير المؤمنين لا ينبغي لك هذا فقال: لما أتاني الوفود سامعين مطيعين دخلت في نفسي نخوة)** أي كبر وعظمة **(فأحببت أن أكسرها)** وأؤدبها، وهكذا دأب الصالحين إذا رأوا من أنفسهم شيئاً لا يليق أدبوها بمخالفة

يأكل الذئب من الغنم القاصية»[1] فالله تعالى يوفقنا لما عليه أهل السنة والجماعة. **(قوله: التواضع حسن)** أقول: لا يطلب على وجود الشمس دليل. **(قوله: لوجود أسباب التكبر الخ)** أي وإنْ كانت ناشئة عن حمق وغفلة إذ المال والجاه لا يفتخر بهما إلا مع التوفيق في بذلهما بشاهد علم الشرع.

(قوله: وقيل: ركب زيد بن ثابت الخ) تأمل يا أخي إنصاف أهل الشرف تعلم سبب ما خصهم الله به من المزايا والتحف، فالله يوفقنا لمتابعتهم ولا يحرمنا من بركاتهم.

(قوله: ويحتمل أنّه فعل ذلك للأمرين معاً) أقول: وذلك هو اللائق بمثله نفعنا الله به.

(قوله: رأيت عمر بن الخطاب الخ) انظر ما كان عليه رضي الله عنه وعناية من قوّة مراقبته أحواله تحفظاً على مقامه، وما أهل له من الفضل حيث كان دائم القيام على نفسه خشية إعجابها بما ظهر لها بسبب الرياسة، وهذا يكون من الكمال، والله تعالى ولي

---

(١) أخرجه أبو داود (صلاة ٤٦) والنسائي (إمامة ٤٨) وأحمد بن حنبل (٥، ١٩٦، ٦، ٤٤٦).

الهوى وتحميلها الأمور الشاقة (**ومضى بالقربة إلى حجرة إمرأة من الأنصار فافرغها في إنائها. سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: رؤي أبو هريرة وهو أمير المدينة، وعلى ظهره حزمة حطب وهو يقول: طرّقوا**) أي وسعوا الطريق (**للأمير**) هو نظير ما مر عن عمر آنفاً. (**وقال عبد الله الرازي: التواضع ترك التمييز في الخدمة**) بأنْ لا يميز بين الصنعة الرفيعة والوضيعة، ولا بين كون المخدوم حراً، وكونه عبداً، ولا بين كونه فقيراً، وكونه غنياً. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد بن هارون يقول: سمعت محمد بن العباس الدمشقي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: من رأى لنفسه قيمة**) يفضل بها غيره (**لم يذق حلاوة الخدمة**) إذ لا يذوقها إلا من كمل إخلاصه، ورأى توفيقه للخدمة من جملة النعم عليه، وذلك مفقود فيمن رأى لنفسه قيمة (**وقال يحيى بن معاذ: التكبر على من تكبر عليك بماله**) أي إعراضك عنه (**تواضع**) لأنك صغرت ما صغره الله تعالى حيث لم تلتفت إلى تكبر المتكبرين. (**وقال الشبليّ رحمه الله ذلي**) في نفسي بمعرفتي بقدرها وبقلة ما يحصل لي من الخير منها وبعجزها عن قيامها بما عليها لربها وبسرعة نقضها لعهدها (**عطل ذل اليهود**) المذكور في قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيۡنَ مَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [آل عمران: ١١٢] فهم أذل الخلق والمعنى ذلي في نفسي أعظم من ذل اليهود في أنفسهم لأنّ ذلهم قهري، وذلي عن علم بما عليه نفسي من النقص وهذا لا يلزم منه جحده لفضل ربه عليه لأنّ ما ذكر من الذل بالنظر لنفسه، وما هو فيه من الفضل جار عليه من ربه فهو ذليل عزيز (**وجاءه**) أي الشبلي (**رجل فقال له الشبلي: ما أنت**) أي ما حالك، وفي نسخة من أنتَ (**فقال: يا سيدي النقطة**) أي حالي أو أنا كالنقطة (**التي تحت الباء**) فكما أنها دليل على معرفتها وتمييزها عن غيرها كذلك حالي، أو

الإفضال. (**قوله: ترك التمييز في الخدمة الخ**) محصله أنّ التواضع فناء المراد من العبد بواسطة شهود مراد الرب تعالى. (**قوله: من رأى لنفسه قيمة**) هو قريب مما قبله. (**قوله: التكبر على من تكبر عليك الخ**) مراده كما قدمناه حث الإنسان على علو الهمة بقصرها على من أوجدها وعدم التفاتها إلى ما سواه لا حملها على الكبر على الأغنياء، إذ الكبر قبيح ومذموم مطلقاً.

(**قوله: ذلي الخ**) الغرض المبالغة فيما حصل له من مقام التواضع تحدثاً بنعمة ربه، وليقتدى به في ذلك. (**قوله: وذلي عن علم**) أي فقد تخلقت به اختياراً بشاهد ذوق العلم، وذلك لما رأيت من خيره وشر ضدّه. (**قوله: أي حالي وأنا الخ**) مراده أنّ حاله

أنا كسائر المخلوقات دليل على محدثي **(فقال له: أنت شاهدي)** أي حاضري يعني حالك مستقيم **(ما لم تجعل لنفسك مقاماً)** دخول هذا في التواضع من حيث أنَّ المسؤول جعل نفسه كالنقطة التي تحت الباء دون التي فوق الحروف، فنزل نفسه ولم يرَ لها قدراً **(وقال ابن عباس رضي الله عنهما من التواضع أنْ يشرب الرجل من سؤر)** أي بقية مشروب **(أخيه)** إذ لا يأنف من ذلك إلا المتكبرون ولو حسن ظن العبد شرب من سؤر كل شارب من المسلمين لأنَّ الولاية مخفية فيهم **(وقال بشر:)** تأديباً لبعض أصحابه لما رآهم يسلمون على أبناء الدنيا لدنياهم، ويعتلون بأنّهم إنما يقصدون الزيارة.

(سلموا على أبناء الدنيا بترك السلام عليهم) يعني ترككم السلام عليهم أسلم لكم من السلام عليهم على الوجه المذكور لأنّه حينئذ ليس بطاعة بل فيه خطر **(وقال:)** أبو صالح **(شعيب بن حرب: بينا أنا في الطواف إذ لكزني إنسان بمرفقه فالتفت إليه فإذا هو الفضيل بن عياض فقال: يا أبا صالح إنْ كنت تظن أنّه شهد الموسم شر مني ومنك فبئس ما ظننت)** أنتَ فيه دلالة على كمال معرفة الفضيل بنفسه، وبأنه لا يعتمد على عمله، فلما كان بهذه الصفة وظنه بالناس حسناً نبه أخاه شعيباً على ذلك ليكمل تواضعهما مع كمال أعمالهما.

(وقال بعضهم: رأيت في الطواف إنساناً) من عمال الخليفة **(بين يديه)** جماعة **(شاكرية)** يشكرونه ويمدحونه وهم بأمره **(يمنعون الناس لأجله عن الطواف)** أمرهم بذلك تكبراً لئلا يخالط الفقراء **(ثم رأيته بعد ذلك بمدّة على جسر ببغداد يسأل الناس**

يتعرّف به نفسه كالنقطة يتميز بها الحرف المعلوم أو أنَّ ذاته ونفسه دليل على الصانع المبدع هذا محل ما أشار له الشارح، لكن قوله: فقال له: أنت شاهدي الخ يرجح الأوّل. **(قوله: لأنّ الولاية مخفية فيهم)** أي وأقلها ولاية الإيمان ثم العرفان، ثم الكشف، ثم العيان. **(قوله: سلموا على أبناء الدنيا الخ)** يشير بذلك إلى أنَّ السلامة مقدمة على الغنيمة، فحملهم على ترك السلام، لذلك قال بعضهم شعراً:

وقائلة ما لي أراك مجانباً ... أموراً وفيها للتجارة مربح

فقلت لها ما لي بربحك حاجة ... فنحن أناس بالسلامة نفرح

(قوله: نبه أخاه الخ) أي بذلاً للنصح إذ المؤمن أخو المؤمن يحب له مثل ما يحب لنفسه. **(قوله: ثم رأيته بعد ذلك الخ)** أي وهذا حال من اعتاد المخالفات، وترفع بالخيالات، فعلى العاقل الرجوع إلى سبيل المتابعات لتدوم له معالي الكرامات، إذ العاقبة للمتقين والدرجات للمتواضعين من العارفين.

شيئاً فعجبت منه) ففهم عني ذلك وبيّن لي السبب (فقال لي: أنا تكبرت في موضع يتواضع الناس هناك) يعني فيه (فابتلاني الله سبحانه بالتذلل في موضع يترفع فيه الناس) حيث نقم عليه الخليفة لما وصل إليه ببغداد وسلبه جميع ما هو فيه وصار فقيراً يسأل الناس (وبلغ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه أنّ إبناً له اشترى فصاً) في خاتم يلبسه (بألف درهم فكتب إليه عمر بلغني أنك اشتريت فصاً بألف درهم) فهذا حال المتكبرين (فإذا أتاك كتابي هذا فبع الخاتم واشبع) بثمنه (ألف بطن) فإنه أفضل لك عند الله (واتخذ خاتماً من درهمين) فأقل (واجعل فصه حديداً صينياً) بكسر المهملة نسبة إلى صين بلدة وذلك لأنه أثبت للنقش عليه لصلابته (واكتب عليه رحم الله امرأ عرف قدر نفسه) لتتذكر به كلما رأيته قدرها وتتواضع لربك، وأمره بالأمور المذكورة من مقابلة الشيء بضده لأنه لما نوى الكبر أمره بفعل الخير الذي فيه تواضع ليقابل الشر بالخير فيمحو أثره. (وقيل: عرض على بعض الأمراء مملوك) ليشتريه (بألوف دراهم فلما أحضر الثمن) للبائع (استكثره فبدا له في شرائه) أي نشأ له فيه رأي وهو عدم شرائه (فرد الثمن إلى الخزانة) بكسر الخاء (فقال له العبد: يا مولاي اشترني فإنّ فيّ بكل ألف درهم من هذه الدراهم خصله تساوي أكثر من ألف درهم فقال: وما هي فقال: أقلها وأدناها ما لو اشتريتني وقدمتني) متكلماً (على جميع مماليكك لا أغلظ في نفسي، وأعلم أني عبدك) فلا أتكبر (فاشتراه) فيه دلالة على أنّ معرفة قدر النفس من أفضل الخصال التي تقصد في الإنسان وهي أصل التواضع. (وحكي عن رجاء بن حيوة أنه قال: قومت ثياب عمر بن عبد العزيز) مع رفعة قدره (وهو يخطب باثني عشر درهماً وكانَ) ملبوسه (قباء وغمامة وقميصاً وسراويل، ورداء وخفين وقلنسوة) فيه دلالة على كمال تواضعه، (وقيل مشى عبد الله بن محمد بن واسع مشياً لا يحمد) أي متبختراً في مشيته، وهي مشية يبغضها الله إلا في الحرب

(قوله: فقال لي الخ) أقول: ومثله يرجى له الخير حيث قد اعترف بذنبه وتقصيره والله أعلم.

(قوله: واكتب عليه الخ) أي ليدوم على علم مبداه ومنتهاه حيث هو من عدم إلى عدم، وما بين ذلك عجز وتعرض لكل شيء مما سبق به القضاء والقدر، ثم هو إذا دام على استحضار ذلك دام له إحسان الله وإنعامه. (قوله: فيه دلالة على أنّ معرفة قدر النفس الخ) أي وتنبيه على أنّ هذا العبد قد وثق بحفظ نفسه، وذلك من الدرجات الرفيعة. (قوله: فيه دلالة على كمال تواضعه) أي وفيه تنبيه أيضاً على نزاهة نفسه، وغاية إعراضه عن الدنيا في حال التمكن منها.

(قوله: أي متبختراً الخ) أقول: وسبب ذلك غفلته عما منه بدا، وإليه يصير، وما

(**فقال له أبوه:**) كلاماً يعرفه به أصله (**و**) (**تدري بكم اشتريت أمك**) اشتريت (**بثلاثمائة درهم وأبوك لا أكثر الله مثله في المسلمين أباً وأنت**) أي والحالة أنك (**تمشي هذه المشية**) ليس هذا منه دعاء على المسلمين بل في كلامه إشارةً إلى التقصير في تأديبه لولده في الصغر حتى تبختر في مشيه في الكبر، والمعنى لا أكثر الله فيهم مثله من الآباء الذين لا يؤدبون أولادهم في الصغر حتى يتعوّدوا ذلك في الكبر، فهو دعاء للمسلمين بأنْ يجعلهم الله ممن يؤدّبون أولادهم كما أمروا به.

(**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن محمد الفرّاء يقول: سمعت حمدون القصار يقول: التواضع أنْ لا ترى لأحد إلى نفسك حاجة لا في الدين ولا في الدنيا**) بأنْ لا ترى لنفسك قدراً ولا فعلاً مع علمك بأنّ مولاك منفرد بالأفعال، فإنْ حمدون بعجز نفسه، وبقدرة مولاه، وبأنّه لا ضارّ، ولا نافع، ولا معطي، ولا مانع له ولغيره إلا إياه، فمن استقر ذلك في قلبه عرف عدم احتياج الناس إليه.

(**وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: ما سررت في**) زمن (**إسلامي إلا ثلاث مرات مرة كنت في سفينة وفيها رجل مضحاك**) أي كثير الضحك منه (**كان يقول: كنا نأخذ العلج**) وهو الرجل من الكفار (**في بلاد الترك هكذا، وكان يأخذ بشعر رأسي ويهزني**) ويقول: ذلك (**فيسرني ذلك لأنه لم يكن في تلك السفينة أحد أحقر في عينه مني**) حتى فعل بي ذلك (**و**) المرة (**الأخرى كنت عليلاً**) أي مريضاً (**في مسجد**) في ليلة مطيرة (**فدخل**) إلي (**المؤذن وقال لي اخرج فلم أطق**) الخروج (**فأخذ برجلي وجرني إلى خارج المسجد**) فطلبت موضعاً أستكن فيه فأتيت إلى قميم حمام أي

بين ذلك من العجز عن جلب ما ينفع، ودفع ما يضر وإلا فما كان له سبيل سوى التواضع.

(**قوله: إشارة إلى التقصير الخ**) أي لأنّ من أدب ولده صغيراً سر به كبيراً. (**قوله: التواضع أنْ لا ترى الخ**) مراده حث الإنسان على فنائه عن نفسه بما ظهر من أفعال الحق على يدها من حاجات الخلق ليدوم عبداً لله مشاهداً تصاريفه فيه، وفي غيره ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨]. (**قوله: بأن لا ترى لنفسك قدراً الخ**) أي بل ترجع: في جميع ما تراه من الكائنات إلى أنها مظاهر أسمائه تعالى وصفاته لا تأثير لغيره فيها، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢]. (**قوله: وقال إبراهيم بن أدهم: الخ**) أقول: يدل ذلك على أنه قد تجرد عن حظوظ البشرية بشهود تصاريفه تعالى في عبيده بل ربما ترقى عن ذلك إلى درجة شهود الفاعل على الحقيقة في الفعل، فسر

موضع كناسته فدخلت فيه فإذا رجل يوقد فيه النار هو مشغول بذلك، فسلمت عليه فلم يلتفت إليّ ولا كلمني، فلما فرغ من شغله أقبل وسلم عليّ، واعتذر عن ذلك بأنه أجير ولا يمكنه تبطيل ما هو فيه وانبسط معي، ورأيت عنده فضلاً وخيراً، فكان من جملة ما ذكر لي أنه سمع بفتى من العباد والزهاد يقال له: إبراهيم بن أدهم وأنّ له زماناً يسأل الله أنْ يجتمع به قال: فقلت في نفسي: قد ساقني إليك مجروراً وعرفته بنفسي. (و) المرة (**الثالثة كنت بالشام، وعليّ فرو فنظرت فيه فلم أميز بين شعره وبين القمل لكثرته فسرني ذلك**) فسروره في الأوليين بكونه لم يجد في نفسه كبراً ولا لها قدراً حيث صبر على ذلك ولم يطلب الإنتقام ممن فعل به ذلك مع أنَّه من أبناء الملوك الذين عادتهم الانتقام، وفي الأخيرة بكمال شغله بربه، وكثرة عبادته وإعراضه عن راحة نفسه، وبالجملة سر في الجميع بصنع الله به، ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]. (**وفي حكاية أخرى عنه قال: ما سررت بشيء كسروري**) بما وقع لي في يوم، وذلك (**أني كنت يوماً جالساً فجاء إنسان ودل عليّ**) وجه سروره بذلك علم مما مر آنفاً أو كل ذلك لكمال معرفته بربه ورؤيته أنَّ الأفعال كلها منه لا من غيره، ولا يعترض على ما ذكر بأنَّ المتعاطي لذلك عاص، فكيف سكت هو له ولم يغير المنكر لأنّه يحتمل أنّه كان عاجزاً عن التغيير بفعله ولسانه، وأنّه غير بقلبه ولم يظهر، ويحتمل أنّه غير بلسانه، ولا حاجة به إلى أنْ يذكره لغيره حتى ينقل عنه، وإنما ذكر ما ذكره لمعرفته بنعم الله عليه حيث نقله من شرف المملكة إلى شرف الطاعة. (**وقيل: تشاجر أبو ذر وبلال رضي الله عنهما فعير أبو ذر بلالاً بالسواد**) حيث قال له: يا ابن السوداء (**فشكاه إلى رسول الله ﷺ فقال: «يا أبا ذر إنّه**) وفي نسخة ما علمت إنه وفي أُخرى أما علمت أنّه (**بقي في قلبك من كبر**

بذلك رضي الله تعالى عنه. (**قوله: فإذ رجل الخ**) يعلم من ذلك أنّه ينبغي للإنسان أنْ لا يحتقر غيره بدناءة حرفته إذ الخلق محل أسرار الحق، ولا يدري المقبول من المخذول بل الذي ينبغي استعماله الإكرام والتعظيم لجميع المسلمين إذ لا أقل من شرف الإيمان وهو لا يضاهي ولا يقدر قدره.

(**قوله: بكونه لم يجد الخ**) أي وبستر حاله الذي بينه وبين مولاه عن الغير. (**قوله: وبالجملة سر الخ**) أي بواسطة ذوق: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع» لأنه لا يخلو عن الحكم والمصالح. (**قوله: ولا يعترض على ما ذكر الخ**) أي مع أنَّ مثل هذا الاعتراض وقوف مع الظاهر ولا يجترأ به على مثل هذا ممن ترقى إلى الأحوال الكاملة.

(**قوله: فقال: يا أبا ذر الخ**) تأمل فيما أدب به سيد الكمل ﷺ أبا ذر بما محصله أنْ

الجاهلية شيء») وفي رواية: «يا أبا ذر ليس لابن بيضاء على ابن سوداء فضل الناس من آدم وآدم من تراب». **(فالقى أبو ذر نفسه)** على الأرض **(وحلف أنْ لا يرفع)** وفي نسخة يحمل **(رأسه)** عنها **(حتى يطأ بلال خده بقدمه فلم يرجع)** رأسه **(حتى فعل بلال)** ذلك إبراراً لقسمه. **(ومر الحسن بن علي رضي الله عنهما بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه)** أدباً معه **(فنزل وأكل معهم)** وإنْ كان ذا جاه وحرمة تواضعاً ولخبر: «من دعي فليجب ولو إلى كراع». **(ثم حملهم إلى منزله وأطعمهم وكساهم وقال: اليد)** أي النعمة **(لهم)** حيث أحسنوا أولاً وبذلوا ما أمكنهم **(لأنهم لم يجدوا غير ما أطعموني ونحن نجد أكثر منه. وقيل: قسم عمر بن الخطاب رضي الله عنه الحلل بين الصحابة)** الحاصلة **(من غنيمة، فبعث إلى معاذ حلة يمنية فباعها واشترى)** بثمنها **(ستة أعبد وأعتقهم فبلغ ذلك عمر)** رضي الله عنه **(فكان يقسم الحلل بعده فبعث إليه حلة دون تلك)** الحلة **(فعاتبه معاذ فقال له عمر لا معاتبة لأنك بعت الأولى فقال معاذ: وما عليك)** في ذلك **(ادفع إلي نصيبي)** ودعني أتصرف فيه بما شئت **(وقد حلفت)** بسبب ذلك **(لأضربن بها)** أي بالحلة **(رأسك فقال عمر)** رضي الله عنه **(هذا رأسي بين يديك وقد يرفق الشيخ بالشيخ)** فيه دلالة على كمال تواضع عمر رضي الله عنه مع كونه خليفته.

الشرف إنما هو في حسن الخُلق لا في حسن الخَلق، إذ الإنسان باعتبار الذات مجردة عن الأخلاق لا فرق بينه وبين غيره إذ الكل أولاد أب وأم، فحينئذٍ من الحمق النظر إلى حسن الذات مع الغفلة عن التخلق بجميل الصفات.

(قوله: فألقى أبو ذر نفسه الخ) أقول: وبمثل هذا ثبتت سيادتهم وعلت درجتهم لتمام انقيادهم لسيد المرشدين، وإمام العارفين من النبيين والمرسلين. **(قوله: حيث أحسنوا أولاً)** أي فلهم فضيلة التقدم بفعل جهد المقل.

باب مخالفة النفس وذكر عيوبها

مخالفة النفس مطلوبة وقال الله عز وجل: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾ [النازعات:

باب مخالفة النفس

اعلم أنَّ النفس ثلاثة: أمّارة ولوامة ومطمئنة، فالأمارة تمازج صاحب مقام الإسلام، واللوامة تمازج صاحب مقام الإيمان، والمطمئنة تساكن صاحب مقام الإحسان، شعر:

هذب النفس بالعلوم لترقى ... وترى الكل فهي للكل بيت

إنما النفس كالزجاجة والعقـ ... ـل سراج وحكمة الله زيت

فإذا أشرقت فإنك حي ... وإذا أظلمت فإنك ميت

واعلم أنَّ القوم إذا أطلقوا النفس فإنما يريدون الروح الوضيعة الحيوانية المباينة للروح الرفيعة النورانية حيث أفادوا أنَّ رضا القدوس في مخالفة النفوس، شعر:

إذا طالبتك النفس يوماً بحاجة ... وكان لها نحو الهواء طريق

فخالف هواها ما استطعت فإنّها ... هواها عدوّ والخلاف صديق

وقال بعضهم: النفس تطلق على حقيقة الشيء وذاته، ووجوده، وعلى ما يفارق الإنسان بالموت، وعلى الذم وعلى الأخلاق المذمومة، وهذا هو المراد عند أهل هذا الشأن غير أنَّ الأصل في إطلاقها أنْ يرادفها العين والذات والوجود قال تعالى: ﴿تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ﴾ [المائدة: ١١٦] والباري تعالى منزه عن الدم وعن الأخلاق المذمومة، وعن الانفصال والاتصال، فالمراد بنفسه وجوده وذاته بما لها من الصفات.

(قوله: وذكر عيوبها) اعلم أنَّ عيوب النفس جلية وخفية، والنظر في الجلية سهل قريب، وإزالة الخفية، والنظر فيها مشكل صعب، فمنها الاعتماد على العمل وإرادة غير ما أُقيم فيه العبد، وحب التدبير مع الله تعالى، والاستعجال في الدعاء، والتشكك في الوعد والوعيد، والاعتراض عند فوات المراد، وفقد الإخلاص وحب الشهرة، وإيثار الخلطة وانطباع الأكوان في مرآة القلب واسترسال القلب في أودية الغفلة، وقلة المبالاة بالهفوة، والاحتجاب عن الحق برؤية الأكوان، وإرادة حكم الوقت وإحالة العمل على الفراغ، وطلب حالة غير التي هو فيها والوقوف عند ما يبدو من كشف ونحوه، والطلب

٤٠] أي قيامه بين يديه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: أخبرنا تمام قال: حدثنا محمد بن معاوية النيسابوري قال: حدثنا علي بن أبي علي بن عتبة بن أبي لهب عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ) قال: «أخوف

منه ومن غيره ولغيره، ورؤية صفو الدنيا وطلب الأشياء بالنفس، والرجوع لغير الله في البداية، والرجوع عنه في النهاية إلى غير ذلك، والداعي لكثرة العد للعيوب وإنْ كان بعضها يغني ذكره عن بعض لغرض الإيضاح وزيادة التنفير منها، واعلم أنَّ مخالفة النفس وإرجاعها عن عيوبها دليله ثابت بالنقل، وبدليل العقل إذ الخير كله في خلافها، والشر كله في وفاقها، فعلى المريد الجد وتشمير الساعد في رياضتها وقمع شهواتها ليترقى إلى ذوق حلاوة العبادة، فيتمرن عنده الرجوع إلى العادة بواسطة ما شاهده بنور البصيرة، وبما تجلى على مرآة قلبه من آيات الاعتبار على أنَّ كل ذلك من أخلاق العوام ممن يخاف عليهم سوء الأسقام.

أما الخواص المقربون فهم عن نفوسهم فانون وعن عاداتها غائبون بما أسكرهم من شرب شراب المشاهدات، وكرع راوق المكافحات رضي الله تعالى عنهم وأرضاهم عنا، وقيل: قد أوحى الله إلى داود عليه السلام: «داود حذر أصحابك أكل الشهوات فإنَّ النفس المتعلقة بشهوات الدنيا عقلها محجوب عني» فحينئذ مخالفة النفس والتجرد عن حظوظها رأس العبادة لأنها من أعظم حجاب بين العبد وربه إذ من طلعت طوارق نفسه غربت شوارق أنسه، ومن رضي عن نفسه أهلكها، وكيف يصح الرضا عنها، وقد قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] الآية ونهاية الأمر أن عيوب النفس لما كانت كثيرة ظاهرة وباطنة لزم عدها تفصيلاً ليتحر المكلف عن الوقوع فيها، ومن ذلك تكفلوا نفعنا الله بهم بذكر العيوب في أبوابها مع بيان غوائلها ومهلكاتها، فجزاهم الله عنا أحسن الجزاء.

(قوله: وأما من خاف مقام ربه) أي إحاطة عمله بحركاته وسكناته أو قيامه بين يديه كما ذكره الشارح، وإضافة المقام للرب للتفخيم، وفيه إشعار باللطف كما هو شأن الرب وصفة ذاته العلية، ومقتضاها، وغير ذلك، فهو بحسب ما يعرض للعبد من المخالفات بالقضاء والقدر.

(قوله: ونهى النفس عن الهوى) أي الميل إلى الشهوات بدون شاهد علم المتابعة.

(قوله: فإن الجنة هي المأوى) أي فجزاؤه ذلك، وأل في الجنة للجنس الشامل للأعلى وغيره.

(قوله: أخوف ما أخاف على أمتي) أي أعظم ما أخافه عليهم اتباع الهوى أي

ما أخاف على أمتي اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق»[1] قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣] وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]

متابعته والاسترسال على مقتضاه، وإنما كان ذلك أعظم ما يخافه لأنه الغالب فيهم بمقتضى الطبع، فقل من ينجو منه إلا بإعانة الحق تعالى، وقوله: وطول الأمل عطفه على اتباع الهوى من عطف السبب على المسبب كما لا يخفى، كما أن قصر الأمل سبب في العدول عنه وسلوك طريق المتابعة بالتطبع، والمجاهدة بشاهد العلم.

(قوله: فيصدر عن الحق) أي لأن طبيعة النفس الميل إلى الدنيء والباطل، ولهذا احتاجت في ردها عن ذلك إلى القيام عليها بسياسة الشرع. **(قوله: أفرأيت من اتخذ إلهه هواه)** أقول في ذلك مبالغة ومجاز بسبب زيادة انقياد النفس إلى الهوى مع الإشارة إلى أن ذلك من نوع الإشراك والعياذ بالله تعالى.

تنبيه: اعلم أن حظوظ النفس بما طبعت عليه ترجع إلى الميل للذيذ والنفرة من الكريه، والإنسان مع ذلك مأمور منهي موعود متوعد، فينبغي له حينئذ إذا خطر له لذيذ أن ينظر فيه بشاهد العلم والعقل أهو جائز أو لا كمحرم أو مكروه، فإن كان الأول أقدم وشكر وإلا أحجم وزجر، وأدب نفسه بما أدب به المتقون أنفسهم، وزجرها بما زجروها به، وذلك بالجد في المحظورات والمكروهات، وبالتدريج في غير ذلك من المألوفات.
(قوله: قال تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الفرقان: ٤٣]**)** أي تعجب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى، فكأنه عبده، أي أنظرت فرأيته فإن ذلك مما يفضي إلى العجب كان أحد الجاهلية يستحسن حجراً فيعبده، فإذا رأى أحسن منه رفضه ورجع إلى الآخر، فكأنه اتخذ آلهة شتى، ولهذا قرىء آلهة هواه، وقوله: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية: ٢٣] أي خذله عالماً ضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التي فطر الناس عليها.

(قوله: وقال: ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه) أي لا تطع في تنحية الفقراء من مجلسك من أغفلنا قلبه أي جعلناه غافلاً لبطلان استعداده للذكر بالمرة مثل أولئك الذين يدعونك إلى طرد الفقراء من مجلسك فإنهم غافلون عن ذكرنا على خلاف ما عليه المؤمنون، وفي ذلك تنبيه على أن الشرف بحلية النفس لا زينة الجد والأصل، وقوله: واتبع هواه أي وافق ما دعته نفسه الخبيثة الغافلة عن ذكر الرب وكان أمره فرطاً ضياعاً وهلاكاً، والتعبير عنهم بالموصول للإيذان بعلية ما في حيز الصلة للنهي عن الإطاعة لأولئك الغافلين المتبعين هواهم.

---

(١) أخرجه الترمذي (حدود، ٢٤) (فتن ٥٩) (زهد، ٢) وابن ماجة (حدود، ١٢) (زهد، ٢١) وأحمد بن حنبل (١، ٢٢، ٤٤، ٣، ٧، ٣٠، ٣٨٢، ٤، ١٢٦، ٥، ٤٢٨، ٤٢٩).

(وأما طول الأمل فينسي) صاحبه **(الآخرة)** لاشتغاله حينئذٍ غالباً بالدنيا **(ثم اعلم أنَّ مخالفة النفس)** في هواها **(رأس العبادة)** لما مرّ من الأدلة **(وقد سئل المشايخ)** الصوفية **(عن الإسلام فقالوا:)** هو **(ذبح النفس)** وفي نسخة النفوس **(بسيوف المخالفة)** وهو أول الطريق، وذلك لأنَّ النفس إذا اعتادت اللذات لا تنصرف إلى الطاعات إلا بالمجاهدات والتوبيخات الشديدة، ومن ثم سميت هذه الأمور سيوفاً وذبح النفوس قهرها ونقلها عن هواها **(واعلم أنَّ من نجمت)** أي طلعت **(طوارق نفسه)** أي آثار خواطرها **(أفلت)** أي غربت من قلبه **(شوارق أنسه)** بالله أي علاماته

(قوله: وقال: ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله) أي ولا تتبع يا داود الهوى أي هوى النفس في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا، فيضلك عن سبيل الله بالنصب على أنه جواب النهي، والمعنى فيكون الهوى واتباعه سبباً في ضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تشريعاً وتكويناً.

(قوله: وقال: ولا تتبع الهوى الخ) أي ولذا قيل: إنه رؤي رجل جالس في الهواء فقيل له بم نلت هذا فقال: تركت الهوى فسخر لي الهواء، وقال إبراهيم الخواص: من ترك شهوة ولم يجد ثمرة الترك في قلبه فهو كاذب في تركها. **(قوله: وأما طول الأمل الخ)** لما ذكر دليل قبح متابعة الهوى بالآيات القرآنية شرع في ذكر دليل قبح طول الأمل بالأدلة العقلية، فقال فيها: وأما طول الأمل فنسي صاحبه الآخرة أي ينسى ويلهى عن الاشتغال بأعمال الآخرة بسبب انهماكه في شهوات الدنيا وفي ذلك كناية عن الخذلان والطرد عن مدارج السعادة. **(قوله: رأس العبادة)** أي جماعها وأسها، وذلك لأن بمخالفتها هواها يتحقق تكليفها بما أمرها مولاها.

(قوله: عن الإسلام) أي الذي هو بمعنى الانقياد الظاهري والباطني، وقوله: فقالوا: هو ذبح النفس الخ أقول: ترجع جميع الأخلاق المذمومة تحت كلمة واحدة، وهي حب الدنيا وشهواتها، ولذلك جعلهاﷺ رأس كل خطيئة. **(قوله: هو ذبح النفس الخ)** فيه إشارة إلى أن إرجاع النفس عن هواها الذي هو بمقتضى سجيتها أمر في غاية الصعوبة يشبه الذبح لها، وحيث كان كذلك فعلى الحاذق الجد في حالة كونه مستعيناً بالله تعالى فيه، حيث أن سائر الممكنات في قبضة قدرته سبحانه وتعالى. **(قوله: وذبح النفوس قهرها ونقلها عن هواها)** أي وذلك يشبه الذبح لصعوبة مرارته عليها فكأنها قد ذبحت وعدمت حياتها بحسب ما فقدته من مألوفاتها وعاداتها. **(قوله: واعلم أن من نجمت الخ)** أي وذلك لأن طوارق النفوس من الظلمات، وهي لا تجامع أنوار الطاعات التي هي من إمارات الأنس بالله، ولأن الاشتغال بشيء ينافي الاشتغال بغيره في حين واحد.

قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] والدنيا والآخرة ككفتي الميزان فمتى مالت إحداهما ارتفعت الأخرى. وقال ذو النون المصري مفتاح العبادة أي سببها الذي يتوصل به إليها **(الفكرة)** أي التفكر في كيفية إيقاعها فمن لم يتفكر فيها ولم يعلمها فقد ضل عن الهدى، وعمل بمقتضى الهوى **(وعلامة الإصابة)** للمأمورات والمنهيات **(مخالفة النفس والهوى ومخالفاتهما ترك شهواتهما)** وفي نسخة ومخالفتها ترك شهواتها **(وقال ابن عطاء: النفس مجبولة)** أي مطبوعة **(على سوء الأدب)** لميلها لكل لذيذ ونفرتها عن كل كريه **(والعبد مأمور بملازمة الأدب)**

(قوله: قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤) أي فالآية الشريفة تفيد بما تضمنته من استحالة قلبين في جوف واحد ان الاشتغال بشيء لا يجامع الاشتغال بغيره، فمن اشتغل بالدنيا أعرض عن الأخرى، وبالعكس، فالآية من قبيل مثل ضربه الله تعالى تمهيداً لما يعقبه من قوله: ﴿وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ﴾ [الأحزاب: ٤] الخ وقيل: هو رد لما كان العرب تزعم من أن اللبيب الأريب له قلبان، وذكر الجوف للتقرير كما في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. **(قوله: أي التفكر في كيفية إيقاعها)** أي اللازم له الأداء بشاهد العلم وفائق المراقبة حتى يرجى القبول، وإلا كان العمل من الفاسد المعلول. **(قوله: وعلامة الإصابة الخ)** أي إمارة إصابة العبد وموافقته لصواب العمل الموصل إلى القبول ونيل المأمول، مخالفة النفس والهوى أي إجراء العمل المتعبد به بشاهد الحق لا بشاهدهما.

(قوله: ومخالفاتهما ترك شهواتهما) أي ولا يتم ذلك إلا بفعل المأمورات واجتناب المنهيات على أحسن طرق السداد. **(قوله: مجبولة الخ)** أي ولهذا المعنى إشارة الصديق بقوله: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] الآية، والمعنى أن النفس مستمرة منذ عقلت إلى وقت التكليف، أو وقت اليقظة وسن الغفلة والرجوع إلى الاستقامة على الإقدام على ما خطر لها من الأفعال والإحجام عما تخشاه في الاستقبال مبادرة إلى الحال وإن كان فيه عطبها في المآل، قال أبو الحسن الشاذلي رضي الله تعالى عنه: إذا أكرم الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له العبودية بين عينيه، وستر عنه الحظوظ، وجعله يتقلب في عبوديته والحظوظ عنه مستورة كأنه في معزل عنها، وإذا أهان الله عبداً في حركاته وسكناته نصب له الحظوظ وستر عنه العبودية، فهو يتقلب في شهواته وعبودية الله تعالى عنه بمعزل وإن كان يجري عليه شيء منها في الظاهر.

(قوله: أي مطبوعة على سوء الأدب) اعلم أن الأدب منحصر في المتابعة على سنن الشريعة المحمدية سواء في العبادات ومحاسن الأخلاق والعادات، فمن خرج عن ذلك في حركاته وسكناته فهو قد أساء أدبه بمتابعة نفسه وهواه المنهي عنها بشاهد العلم.

بالطاعات (**فالنفس تجري بطبعها في ميدان**) بفتح الميم وكسرها أي محل (**المخالفة**) لأوامر الله لسوء عادتها (**والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة**) أي يردها عن سوء ما تطلبه، ويحملها على ما ينفعها في الدنيا والآخرة (**فمن أطلق عنانها فهو شريكها**) ومتسبب (**معها في فسادها. وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد رحمه الله يقول: النفس الأمّارة بالسوء هي الداعية إلى المهالك**) في دنياها وأخراها (**المعينة للأعداء**) من الشيطان، والدنيا، والمال، والولد والزوجة في مرادهم إذ لا يتم مرادهم إلا بإعانة النفس وتزيينها لذلك (**المتبعة للهوى المتهمة بأصناف الأسواء**) وعداوة المذكورين ثابتة بالكتاب قال تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣] أي الشيطان ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]

(**قوله: والعبد يردها بجهده**) أي يقوم عليها بسياسة التعليم وأدب التفهيم حتى تنتقل بالتطبع عن الطبع لما تشاهده من باهر أدلة السمع فتذوق مرارة ما كانت تستحليه فلا تعاود شيئاً مما كانت تشتهيه.

(**قوله: فمن أطلق عنانها الخ**) أي والضرر العظيم في إرخاء العنان كما يوضحه دليل القرآن. (**قوله: هي الداعية الخ**) أي لأنه قد يكون هلاكها الحسي في قضاء شهوة لها في الدنيا، وفي الأخرى بكون هلاكها بارتكابها المخالفات، ووقوفها مع العادات والمألوفات. (**قوله: المعينة للأعداء**) أي وحيث كان كذلك، فعلى الحاذق أن يردها قهراً عن ميلها وتزيينها للشيء القبيح المهلك لها ويحملها على العمل بطريق المتابعة وسبيل الاستقامة.

(**قوله: ولا يغرنكم بالله الغرور**) الغرور المبالغ في الغرور بأن يحملكم على المعاصي بتزيينها لكم، وترجيكم التوبة والمغفرة. (**قوله: من لم يتهم نفسه الخ**) أي حيث هي بطبعها مائلة إلى كل خلق دنيء كالرياء مثلاً، وهو كما قال المحاسبي: إرادة العبد العباد بطاعة الله تعالى وقيل: هو إظهار صور الطاعات طلباً للدنيا، وفيه كالذي قبله نوع من النظر فتأمله، واعلم أن النفس قد وصفها الحق تعالى في كتابه العزيز بصفات وسماها بأسماء فقال تعالى: حكاية عن يوسف صلوات الله وسلامه على نبينا وعليه ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ﴾ [يوسف: ٥٣] قلت: قد أراد من النفس جنسها لا نفساً معينة ثم استثنى منها من رحمه الله، وقال تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة: ١ و٢] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٧، ٢٨] فقد اختلفت نعوتها باختلاف أحوالها فسميت أمارة بالنظر لما جبلت عليه من الميل إلى الشهوات، ولوامة لانتباهها من رقدة الغفلات، ومطمئنة لما عرفته من طرق الخيرات،

وقال: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ﴾ [التغابن: ١٤]. (**وقال أبو حفص: من لم يتهم نفسه**) بما تبديه له من النصر (**على دوام الأوقات ولم يخالفها في جميع الأحوال**) التي تميل إليها (**ولم يجرها إلى مكروهها في سائر أيامه كان**) باتباعها (**مغروراً**) بالأدلة الواضحة (**ومن نظر إليها باستحسان شيء**) صدر (**منها فقد أهلكها**) في الدنيا والآخرة (**وكيف يصح لعاقل الرضا**) أي رضاه (**عن نفسه**) وتسليمه لها ما ادّعته من الخيرات (**والكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل يقول**: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِيٓ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت إبراهيم بن مقسم ببغداد يقول: سمعت ابن عطاء يقول: قال الجنيد: أرقت) بكسر الراء أي سهرت (**ليلة فقمت إلى وردي**) من الصلاة (**فلم أجد ما كنت أجده من الحلاوة والتلذذ بمناجاتي لربي فتحيرت**) في سببه (**فأردت أن أنام فلم أقدر**) عليه، وأنا على هذا الحال (**فقعدت**)

وأيقنته الآيات البينات من إنعام مولاها وفضله عليها في دنياها وأخراها (**أقول**:) ومن آثار النفس الأولى قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٣٠] وقوله: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف: ١٨] وبهذا الاعتبار كانت عدوة للإنسان، ومن آثار الثانية قوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي﴾ [القصص: ١٦] وقوله: ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ومن آثار الثالثة قوله تعالى: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]. (**قوله: وكيف يصح لعاقل الخ**) الاستفهام للإنكار فالمعنى لا يصح لعاقل الرضا عن نفسه الخ. (**قوله: وما أبرىء نفسي الخ**) أقول: ينبغي أن يكون الحكم باعتبار جنس النفس، وإلا فأنفس الأنبياء والمرسلين بل وأنفس الأولياء والعارفين مطهرة باعتبار عينها وذاتها، فيجب على كل مكلف تعظيم الأنبياء بأسرهم، وكذا الملائكة على الجميع صلوات الله وسلامه فمن قال في أعراضهم شيئاً تعريضاً أو تصريحاً، فقد كفر، والعياذ بالله تعالى، قال بعضهم في كتب الفروع: من قال إن رسول الله وسخ أو يتيم أو راعي غنم أو فقير في معرض التنقيص، فهو كافر والعياذ بالله تعالى.

(**قوله: وما أبرىء نفسي**) أي لا أنزهها عن السوء قاله عليه السلام: هضماً لنفسه الكريمة البريئة عن كل سوء أو بعداً عن التزكية والإعجاب عند ظهور كمالات النزاهة، إن النفس لأمارة بالسوء أي النفس البشرية التي من جملتها نفسي في حد ذاتها مائلة إلى الشهوات إلا ما رحم ربي من النفس التي يعصمها عن الوقوع في المهالك، ومن جملتها نفسي وقيل: الاستثناء منقطع أي لكن رحمة بي هي التي تصرف عنها السهوء.

(**قوله: يقول: قال الجنيد الخ**) تقدمت هذه الحكاية فإعادتها لمناسبة المقام.

لأذكر الله في غير صلاة (**فلم أطق القعود ففتحت الباب وخرجت**) انتظر الفرج (**فإذا رجل ملتف في عباءة**) بالمد (**مطروح على الطريق فلما أحس بي رفع رأسه وقال: يا أبا القاسم**) تأخرت عني (**إلى الساعة**) أي لم تخرج من حين تحيرت أو هذا مكاشفة بحال الجنيد (**فقلت**) له: (**يا سيدي**) جئتني (**من غير موعد**) بوقت (**فقال: بلى**) جئتك بموعد فإلي (**قد سألت محرك القلوب أن يحرك لي قلبك**) أي فالوقت الذي طلبتك فيه منه هو أوّل ما حركك فهو الموعد (**فقلت قد فعل ذلك**) أي حركني لك (**فما هي حاجتك فقال: متى يصير داء النفس دواءها فقلت: إذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها فأقبل على نفسه وقال: اسمعي فقد أجبتك بهذا الجواب سبع مرات فأبيت**) أن تقبليه (**إلا أن تسمعيه من الجنيد وقد**) وفي نسخة فقد (**سمعت**) ذلك منه (**وانصرف عني ولم أعرفه ولم أقف عليه بعد**) فعلم أنَّ الدواء النافع للنفس

(**قوله: فقلت: إذا خالفت النفس هواها الخ**) أقول: ومما يجب خلافها فيه حب الرياسة، وذلك يكون على وجهين وسببين أحدهما الجهل بالنفس وما هي عليه من الخسة والنقص، وبما دعيت إليه وكلفت به من التعبد والتذلل لمولاها في كل تصرفاتها إما على وجه الوجوب أو الندب، وثانيهما حب الدنيا وهو أعظمهما، ومن جملة أقسام حب الدنيا محبة الرياسة والعلو، فلامتلاء القلب بمحبتها تظهر هذه الآثار على ظاهر العبد، ومما يخلص من ذلك شهود تحقير الدنيا، والرجوع إلى أقدار الله تعالى، وإن حركاته وسكناته لا تغير شيئاً مما وقع به القضاء والقدر وتفكره في قدر نفسه، وأصلها وأحوالها في دنياها وفقرها وعجزها، وذلها عن تحصيل منافعها الدنيوية والأخروية إلا بعونه سبحانه وتعالى.

واعلم أن من أخلاقها المذمومة التي يجب خلافها فيها سبقها إلى ظن السوء بل إلى اعتقاده في محل تساوي الاحتمالات عند ذوي العقول والسداد، فإذا رأت من شخص فعلاً أو حالاً محتملاً من غير دليل على الترجيح سبق إليها سوء الظن بفاعله وحمله على الوجه القبيح، وهذا بعيد عن الدين وأخلاق المؤمنين، وقد روى الترمذي يرفعه إلى أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث»[1] قال أبو عيسى: حديث حسن صحيح. (**قوله: إذا خالفت النفس الخ**) أي لأن موافقة النفس طاعة للشيطان فخالف نفسك واعتبر بآدم عليه السلام لما اتبع هواه في أكله من الشجرة هبط من الفردوس الأعلى إلى الحضيض الأسفل، وبنوح عليه السلام لما اتبع هواه في تخليص ولده من الغرق رد الله تعالى عليه بقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦] الآية

---

(١) أخرجه البخاري (وصايا ٨) (نكاح ٤٥) (فرائض ٢) (أدب ٥٧، ٥٨) ومسلم (بر ٢٨) والترمذي (بر ٥٦) والموطأ (حسن الخلق ١٥) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٤٥، ٢٨٧، ٣١٢، ٣٤٢، ٤٦٥، ٤٨٠، ٤٨٢، ٤٩٢، ٥٠٤، ٥١٧، ٥٣٩).

مخالفة هواها بما يرضي مولاها، وإنما كان دواؤها لقهرها عليه المخالف لطبعها الذي تلتذ به. (**وقال أبو بكرالطمستاني: النعمة العظمى الخروج من النفس**) أي من مشتهياتها بالإشتغال بالطاعات (**لأنّ النفس أعظم حجاب بينك وبين الله تعالى**) لأنّها أمارة بالسوء. (**وقال سهل بن عبد الله ما عبد الله بشيء مثل مخالفة النفس والهوى**) اللذين ميلهما إلى ما يسخط المولى لما فيهما من المشقة الشديدة. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا**

وبإبراهيم عليه السلام فإنه لما استراح ساعة في مضجعه قيل له قم واذبح ولدك، وبيعقوب عليه السلام لما فرح بيوسف عليه السلام ساعة حبس في بيت الأحزان أربعين سنة، وبيوسف عليه السلام لما التفت يوماً إلى جماله، وقال: لو كنت عبداً ماذا كنت أساوي فبيع بثمن بخس وحبس في السجن بضع سنين، وبموسى عليه السلام فإنه لما ظن أنه أعلم أهل زمانه وتاه بعلمه وفضله ابتلي بالخضر عليه السلام، وبداود عليه السلام لما مال إلى حظ نفسه ابتلي بالبكاء والنحيب أربعين سنة، وبسليمان عليه السلام لما استعظم ملكه سلبه وألقي على كرسيه جسد، وبزكريا عليه السلام لما التجأ إلى غير الله واستتر في بطن الشجرة شق بالمنشار طولاً، فتأمل يا أخي وخالف نفسك وهواها، فإن من أقبل على الله فهو له ملاطف، وعليه بالبر والإحسان عاكف ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]. (**قوله: لأن النفس أعظم حجاب**) أي ولهذا قال إبراهيم بن أدهم: على القلب ثلاثة أغطية الفرح والحزن والسرور، فإذا فرحت بالموجود فأنت حريص والحريص محروم، وإذا حزنت على المفقود فأنت ساخط والساخط معذب، وإذا سررت بالمدح فأنت معجب والمعجب محبط عمله أقول: ويدل له قوله جل شأنه: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣]. (**قوله: أعظم حجاب الخ**) اعلم أن الحجاب على نوعين حجاب بصر، وحجاب بصيرة، فحجاب البصر عيبك العارض الذي هو النقص والفناء، ولا زوال لهما إلا في الآخرة، فلا رؤية إلا هناك، وحجاب البصيرة هو الصفات الذميمة، فإذا زالت كشفت لك الحقيقة.

قال في لطائف المنن: إنما حجاب الغيوب وجود العيوب، فالتطهير من العيب يفتح باب الغيب هذا، والحجاب إذا أطلق فهو باعتبار العبد لتعالي الرب عن ذلك علواً كبيراً. (**قوله: ما عبد الله بشيء الخ**) أي ولذا قيل: إن البدن إذا سقم لا ينجع فيه طعام، ولا شراب، ولا نوم، وكذلك القلب إذا تعلق بحب الدنيا لم تنجع فيه المواعظ، وكذلك نقل عن إبراهيم بن أدهم أنه قال: مفتاح العبادة الفكرة، وعلامة الإصابة مخالفة النفس أقول: ولذا قيل: من عرف نفسه عرف ربه فافهم.

عمر الأنماطي يقول: سمعت ابن عطاء وقد سئل عن أقرب شيء إلى مقت الله فقال: رؤية النفس و) رؤية **(أحوالها)** استحساناً **(وأشد)** قبحاً **(من ذلك مطالعة الأعواض)** بأنْ يطلب العوض من الله **(على أفعالها)** أي النفس مع أنَّ ما هي فيه من جملة فضل الله عليها **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت إبراهيم الخوّاص يقول: كنت في جبل اللكام)** بالشام **(فرأيت**

(قوله: رؤية النفس) أي بشهود خير صدر عنها، وقوله: وأشد قبحاً من ذلك أي من شهود ذلك مطالعة الأعواض أي تطلع العبد إلى جزاء الأعمال، وإنما كان أشد قبحاً لما فيه من الغفلة عن تصاريف الحق في العبيد فضلاً وإحساناً، والكلام في رؤية الاستحسان والاستعظام والاتكال لا رؤية العلم بإيقاع الأعمال فإن ذلك نور وهدى، فليس بحجاب بل هو به مأمور، وعلى فعله مشكور فتأمل.

تنبيه:

من آفات النفس الاغترار ببعض الأعمال، وبظواهرها مع الغفلة عن بواطنها وآفاتها، وأصل الاغترار خدعة النفس عما هو أولى بها واشتغالها بغيره، قال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥] وذلك لاغترار الخلق بجمال الظاهر مع الغفلة عن خبث الباطن، فهي متاع لحظة يغتر به العبد من الخير الدائم ثم لما كانت مقامات الدين متفاوتة ورتبه مختلفة كان الاغترار بما حصل عما لم يحصل مع إمكان حصوله من جملة الخذلان، ومن اغتر بما حصل من العلوم وسعة مجالها وتفاوتها كان من الغافلين المدعين للإحاطة بكل معلوم، كذلك من تيسر له بعض الأعمال ودام على ذلك في كثير من الأحايين فاغتر بذلك وغفل عن أعمال قلبه، وكذلك إن غفل عن تحصيل المعرفة واليقين والتنقل في درجات المربين كان مغروراً بما حصل من أعماله عما هو أفضل منها فهذه محالّ اغترار المغرورين بأعمال الدنيا والدين في الجملة، **(أقول)** ومن ذلك الاغترار بالله عز وجل، ويكون من الكافرين، أو العاصين من المؤمنين، وذلك بالنسبة للكافرين بسبب ما أسبغ عليهم من نعمه الدنيوية، فظنوا أن ذلك لكرامتهم عنده كما حكاه سبحانه وتعالى عن بعضهم بقوله: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾ [فصلت: ٥٠] وعن آخرين منهم بقوله: ﴿وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦] فاغتروا بذلك النعيم الدنيوي حتى ظنوا حصول نعيم الآخرة لاستحقاقهم لذلك وأهليتهم له، واغترار المسلمين يكون من العاصي والمطيع، فالمطيع يغتر بأعماله الحاصلة مع الغفلة عما لم يحصل مع إمكانه، واغترار العاصي بالإمهال وتأخير العقوبة عن الحال مع دوام عوافيهم وتيسر أرزاقهم ورجائهم العفو منه تعالى مع تكاسلهم عن القيام بحقه تعالى، وكل ذلك غرور وأماني باطلة سهل طريق ذلك شيطانهم وخبث نفوسهم.

رماناً) وكنت عزمت على تركه لله تعالى (**فاشتهيته**) لما مررت به (**فدنوت**) منه (**فأخذت منه**) رمانة (**واحدة فشققتها فوجدتها حامضة**) فلم يأكل منها شيئاً أدّب بذلك لمخالفته عزمه قال: (**فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلاً مطروحاً قد اجتمع عليه الزنابير**) أي الدبر (**فقلت: السلام عليك فقال: وعليك السلام يا إبراهيم فقلت له: وكيف عرفتني فقال: من عرف الله تعالى لا يخفى عليه شيء**) بأنْ ييسر الله له كل ما يريده تارة بالسؤال، وتارة بغيره (**فقلت**) له (**أرى لك حالاً مع الله تعالى، فلو سألته أنْ يحميك ويقيك الأذى من هذه الزنابير**) التي تلدغك كان خيراً لك (**فقال: وأنا**) أيضاً (**أرى لك حالاً مع الله تعالى، فلو سألته أنْ يقيك شهوة الرمان**) كان خيراً لك (**فإنَّ لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا**) وألم الدنيا أهون من ألم الآخرة (**فتركته ومضيت**) خشية أنْ أشتغل به فيفسد علي توكلي، دل كلام المطروح الأوّل على أنّه من العارفين، وكلامه الثاني على أنّه من المكاشفين. (**وحكي عن إبراهيم بن شيبان أنّه قال: ما بت تحت سقف ولا في موضع عليه غلق أربعين سنة**) لأنَّ ذلك سبب للانتباه والإعانة على قيام الليل (**وكنت أشتهي في أوقات أنْ أتناول شبعة عدس فلم يتفق**) لي ذلك (**فكنت وقتاً بالشام فحمل إليّ غضارة**) بمعجمتين أي آنية من طين جوّاء خضرة (**فيها عدس فتناولت منه**) شيئاً (**وخرجت فرأيت قوارير**) من زجاج يحفظ فيها الخمر ليعرف حسنه (**معلقة فيها شيء شبه نموذجات**) بضم النون وبذال معجمة أي قطرات من مائع (**فظننته خلا فقال لي بعض الناس أيش**) أي أي شيء (**تنظر هذه**) التي في القوارير (**نموذجات الخمر وهذه**

(**قوله: فلو سألته أن يحميك الخ**) قال ذلك شفقة وخوفاً عليه من أن يشتغل بالألم عن غيره من سيء أحواله. (**قوله: ما بت تحت سقف الخ**) أقول: لعل ذلك بسبب غيبته عن نفسه، فلا ينافي ما ندب إليه من مراعاة النفس والبدن بشاهد العلم المشار إليه بخبر «إن لبدنك عليك حقاً»[1] الحديث.

(**قوله: وكنت أشتهي في أوقات الخ**) في هذه القصة تنبيه على رفعة مقام الشيخ وسبق عناية الله به تعجيل عقوباته على ما يفرط منه من شهواته المباحة في حق غيره ليتنبه على دوام حسن الحال بالاستغراق في شهود الكبير المتعال.

---

(١) أخرجه البخاري (صوم ٥١، ٥٤، ٥٥) (تهجد ٢٠) (نكاح ٨٩) (أدب ٨٤، ٨٦) ومسلم (صيام ١٨٢، ١٨٧) وأبو داود (تطوع ٢٧) (صوم ٥٦) والترمذي (صوم ٤٤) (رضاع ١١) (تفسير سورة ٩، ٢) (زهد ٦٤) والنسائي (صيام ٧٦) وابن ماجه (نكاح ٣) والدارمي (نكاح ٣) وأحمد بن حنبل (٦، ٢٦٨).

الدنان) التي في هذه الأماكن كلها **(خمر فقلت في نفسي: لزمني فرض)** وهو صب هذه الخمر **(فدخلت حانوت الخمار ولم أزل أصب تلك الدنان وهو)** أي الخمار **(يتوهم أني أصبها بأمر السلطان)** أي لما رأى من جدي وإقدامي **(فلما علم)** أنه ليس بأمره **(حملني إلى ابن طولون)** والي الثغر إذ ذاك **(فأمر بضربي مائتي خشبة)** أي مائتي ضربة بها **(وطرحني في السجن، وبقيت فيه مدة حتى دخل أبو عبد الله المغربي أستاذي ذلك البلد)** فأخبر بما أصابني **(وشفع لي)** عند الوالي وأخرجني **(فلما وقع**

(قوله: فعلت شبعة عدس الخ) أقول: وهكذا تصنع شهوات النفس لأن شأن النفس الخلف في وعدها، والنقض لعهدها، فكثيراً ما تعد الصبر عند حلول المصائب، والسكون عند خوف المعاطب، فإذا حلت بها المصيبة جزعت وإذا توهمت عطباً هلعت ونفرت ونقضت ما عليه عزمت، ورفضت ما بالسكون في وقت هجومه وعدت، وبهذا الاعتبار كانت النفس عدوة للإنسان حيث تغره بوعدها ويسكن بجهله لقولها، فإذا جاء وقت الحاجة إلى الوفاء بما وعدت أخلفت، أو إلى الإعراض عما التزمت الإعراض عنه شرهت وطمعت، وهذا كله شأن أعظم الأعداء وأكبر المخادعين، فالله تعالى يقينا شرها بجاه سيد المرسلين.

فائدة:

اعلم وفقني الله وإياك أن الذي تنتفي به الغرة عن المغتر مختلف بحسب ما اغتر به كل إنسان، فإذا كان الغرور بالعلم فداؤه النظر في مقدار العلم بالإضافة إلى ما يجوز في حقه، وبالإضافة إلى ما ناله غيره ممن هو أرقى منه كالأنبياء والأولياء والسلف الصالح، فإنه إذا تفكر في ذلك علم أن الذي أوتيه بالنسبة لذلك كلا شيء على أن حق مثله أن يشكر، ولا يكفر، وإذا كان الغرور بعمله فيداويه بالتفكر في نفسه هل قام بحق الله تعالى عليه وراقبه فيه فيما طلبه منه ونهاه عنه، وذلك بالنسبة إلى سائر جوارحه الظاهرة والباطنة، فإنه إذا أتقن التفكر في ذلك تحقق عجزه وتقصيره وتفريطه في كثير من حقوق ربه، وأيضاً لو نظر إلى أعمال من تقدمه من الأنبياء والأولياء والسلف الصالح لعلم أن أعماله كلا شيء بالنسبة لذلك.

دقيقة:

من المغترين طائفة فهمت كلام أرباب الأحوال، والمقامات، وعرفت بعض إشاراتهم وأدركت المعاني التي أشاروا إليها فغرها ذلك حتى اعتقدت تخلقها بتلك الأحوال وذلك لكونها لم تفرق بين العلوم والأحوال، وربما قوي عليها ذلك الاغترار حتى صرحت بالاتصاف بذلك، ودعت غيرها من الناس إلى التخلق بمثل خلقها، فيجب على مثل هؤلاء الردع عن غرتهم، وتنبيههم على سنة رقدتهم بأن يمتحنوا أنفسهم في المواطن التي تحتاج إلى كمال التوكل، وتمام الرضا والتسليم، أو الزهد والورع، أو غير

بصره) أي أستاذي **(عليّ قال لي أيش فعلت)** حتى أصابك هذا الأمر **(فقلت)** فعلت **(شبعة عدس)** نفضت عليّ عزمي **(و)** في مقابلتها ضربت **(مائتي خشبة)** وسجنت تلك المدة **(فقال لي: نجوت مجاناً)** أي بلا بدل يعني بلا عقوبة في الآخرة بل عجلت لك العقوبة في الدنيا لشهوتك الدنيوية **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغداديّ يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريّ السقطيّ يقول: إنّ نفسي تطالبني منذ ثلاثين أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعمتها)** ذلك، وإنما ذكر هذا لمن يقتدي به من أصحابه ليكمل مجاهدته لنفسه، وتعظيمه لربه، ومخالفته لما تركه لوجهه **(وسمعته أيضاً يقول: سمعت جدّي يقول: آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه)** لأنّ من رضي عنها فقد استحسن جميع ما يرد منها وكفي بذلك آفة ومصيبة، **(وسمعته)** أيضاً

ذلك من مقامات الموفقين فإن وجدوا من أنفسهم أنها راغبة عند تيسر أسباب الدنيا شديدة التوثب على ذلك علموا أن الحاصل عندهم علم الزهد لا حال الزهد، وهكذا في المقامات والأحوال فيرجعون بذلك عن حال الدعوى، ويرفعون أكف الضراعة إلى الله تعالى بالتوبة من عظيم هذه البلوى والله أعلم.

(قوله: فقلت: فعلت شبعة الخ) أي ويدل لذلك خبر: «ما أصاب المؤمن من مصيبة إلا بذنب ارتكبه»، والذنوب تختلف باختلاف مقامات المذنبين. **(قوله: فقال لي: نجوت مجاناً الخ)** أقول: موضع الاستشهاد من هذه الحكاية أنه رأى إقدامه على فسخ عقده مع ربه وأكل شهوته التي تركها لربه نقضاً منه لذلك العقد، وهو صحيح، ولهذا أجابه شيخه بقوله: نجوت مجاناً حيث كان أدبك من ربك في عاجل دنياك، ولم يؤخر ذلك لأخراك. **(قوله: بل عجلت لك الخ)** أي وفي ذلك البشارة له بأنه من جملة المحبوبين كما يشهد لذلك خبر «إذا أحب الله عبداً عجل له العقوبة في الدنيا»[1]. **(قوله: إن نفسي تطالبني الخ)** أقول وهذا منه رضي الله تعالى عنه غاية في التعليم والإرشاد إلى دفع هوى النفس، وذلك أن نفسه اشتهت عليه هذه المدة غمس جزرة في دبس، وربما تكرر له ذلك في أوقات، وهو يمنع نفسه من ذلك وفاء لله بما عزم عليه.

(قوله: لمن يقتدي به) أو تحدثاً بنعمة ربه. **(قوله: آفة العبد رضاه الخ)** أقول: ويلزم من ذلك أن أصل كل طاعة وعفة وتيقظ في عدم رضا العبد عن نفسه، ولذلك علامات ثلاث اتهامها، والحذر من آفاتها، وحملها على المكاره في عموم أوقاتها، كما أن لرضا العبد عن نفسه أمارات ثلاث: رؤية الحق لنفسه، ودوام الشفقة عليها والإغضاء

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ٥٧) وأحمد بن حنبل (٤، ٨٧).

(يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت الحسن بن علي القرمسيني يقول: وجه عصام بن يوسف البلخي شيئاً) لا شبهة فيه (إلى حاتم الأصم فقبله منه فقيل له: لم قبلته) منه على خلاف عادتك في عدم قبولك شيئاً من صلات الملوك (فقال: وجدت في أخذه ذلي وعزه، وفي ردّه عزي وذله، فأخترت عزه على عزي وذلي على ذله) فقبلته منه إدخالاً للسرور عليه، وشفقة على قلبه من انكساره بالردّ عليه. (وقيل لبعضهم: إني أريد أنْ أحج على التجريد فقيل له: جرّد أوّلاً قلبك عن السهو) عما أمرت بحضور قلبك فيه من مناجاة الله في الصلوات بالقراءة والدعاء وإخلاص النية (و) جرّد (نفسك عن اللهو) وهو الميل إلى الشهوات والتلذذ بالمطعومات (و) جرّد (لسانك عن اللغو) وهو ما لا نفع فيه (ثم أسلك) أي اذهب (حيث شئت) متى شئت فعلم أنَّ التجريد ليس هو ما يعرفه أكثر الناس من مفارقة الأهل، والكسب، والمال فقط بل هو التخلي مطلقاً عما يخشى العبد ضرره في دنياه وأخراه.

(وقال أبو سليمان الداراني: من أحسن في ليله كوفيء في نهاره، ومن أحسن في نهاره كوفيء في ليله) تقدّم هذا لكنه ذكر ثم بلفظ كفى من الكفاية والسلامة، وهنا بلفظ كوفيء من المكافأة والمجازاة.

(ومن صدق في ترك شهوة كفي مؤنتها) أي مؤنة شرّها، وأزال الله تلك الشهوة من قلبه في الدنيا، وزهده فيها ببركة صدقه في تركها له تعالى (والله أكرم من أنْ يعذب قلباً) وفي نسخة عبداً (ترك شهوة لأجله، وأوحى الله سبحانه إلى داود عليه

عن عيوبها بواسطة حب تزكيتها من حيث أنه يرى منها القبيح حسناً. (قوله: فاخترت الخ) أقول: وهذا شأن المؤمن يحب لأخيه مثل ما يحب لنفسه بل قد يترقى إلى درجة الإيثار.

(قوله: فقال له: جرد أولاً الخ) أقول: وقريب من هذا ما يحكى أن بشراً الحافي جاءه جماعة من الشام وطلبوا منه أن يحج معهم فقال لهم: نعم، ولكن بشروط ثلاثة أن لا نحمل معنا شيئاً، ولا نسأل أحداً شيئاً، ولا نقبل من أحد شيئاً، فقالوا له: أما الأول والثاني فنقدر عليه، وأما الثالث فلا نقدر عليه، فقال لهم: أنتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج. (قوله: من أحسن في ليله الخ) أقول: ولهذا شاهد من العلم لما ثبت أن عمل الليل يعرض وقت الفجر وعمل النهار يعرض وقت المساء، وعند القبول ينال العبد فوق المأمول.

(قوله: والله أكرم الخ) أي وقد قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾

السلام: يا داود حذر وأنذر أصحابك كل الشهوات فإنّ القلوب المعلقة بشهوات الدنيا عقولها عني محجوبة) بالشهوات لقوله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] ولأنّ القلوب إذا امتلأت بشيء اشتغلت عن غيره بما هي فيه لخبر: «حبك الشيء يعمي ويصم»، فمن اشتغل بالله وبمناجاته عمي عن الاشتغال بشهواته وبالعكس. **(ورؤي رجل جالساً)** وفي نسخة جالس **(في الهواء فقيل له: بم نلت هذا المقام فقال: تركت الهوى)** بالقصر أي العمل بمقتضاه **(فسخر لي الهواء)** بالمدّ، فمن ترك الهوى شغلاً بطاعة المولى صح أن تنخرق له العادات من حمله على الماء والهواء ومن غيره.

[العنكبوت: ٦٩] فوعدهم بالعون منه، وهو أكرم الأكرمين، وأصدق المحسنين هذا وفي ذلك إشارة إلى أن ترك شهوة لله تعالى قد يكون سبباً في غفران غير ذلك من الذنوب. **(قوله: حذر وأنذر أصحابك الخ)** مراده من الأصحاب من يخاف الله تعالى، فإنه لو عرضت للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف، ولو عرضت للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف. **(قوله: فإن القلوب الخ)** اعلم أنهم إنما يريدون من القلوب اللطيفة الإنسانية المعبر عنها بالنفس البشرية، وهي المرادة في حال الإطلاق لا الروح، إذ الروح جسم لطيف نوراني ليس له قبل الجسم صورة لبساطته في عالمه العلوي، فإذا حل في الجسم اكتسب الصورة في الحال منه، وهو حادث ليس بقديم، ولا يفنى بعد خلقه، وهو من عالم الأمر الرباني والإطلاع على حقيقته عسر لأنه من الأسرار المضنون بها على كثير من الخلق، وهو غريب في السفليات أصل في العلويات شعر:

الروح من نور أمر الله منشؤها ... والأرض منشأ هذا القالب البدن

فالروح في غربة والجسم في وطن ... فارعوا زمام غريب نازح الوطن

اهـ.

فائدة:

اعلم وفقني الله وإياك أنك إذا تحققت قبح صفات النفس المذمومة، وعلمت ما تثمره من الآفات وتحجب عنه من الخيرات، يلزمك أن تقوم عليها بالتخلص من ذلك شيئاً فشيئاً، وتجاهدها عن هواها بالرفق قليلاً قليلاً، فإنها إن حملت الأثقال نفرت، وإن رفق بها في الحمل والسير وصلت، فهي دابتك ومركبك، فمن رفق بدابته وأحسن سياستها وصل، ومن حملها فوق طاقتها وأرغمها في سيرها وقفت أو هلكت، ومن حمل مركبه وسعها وأخذ أحسن العدة والآلة وجعل عقله حارسا لهواه في وقت هيجان البحر وخوف الغرق نجا وسعد، ومن أوسقها فوق طاقتها وأهمل عدتها واشتغل بالرغبة في كثرة أجرتها أفضى به ذلك عند هيجان البحر إلى الغرق، فتزل به القدم ويندم والله أعلم.

(وقيل: **لو عرض للمؤمن ألف شهوة لأخرجها بالخوف**) الذي امتلأ قلبه به فلا يجد لها محلاً تنفذ فيه. (**ولو عرض للفاجر شهوة واحدة لأخرجته من الخوف**) لامتلاء قلبه بها وضعف خوفه. (**وقيل: لا تضع زمامك في يد الهوى**) الذي منشؤه ميل النفس إلى ما تشتهيه (**فإنه يقودك إلى الظلمة، وقال يوسف بن أسباط: لا يمحو الشهوات من القلب**) ويحمله على الطاعات (**إلا خوف مزعج، أو شوق مقلق**) أي لا يحصل ذلك إلا بالخوف أو الرجاء، فمن استقام على الطاعات ولذت له المناجاة أعرض عن الشهوات (**وقال الخوّاص: من ترك شهوة فلم يجد عوضها**) كفرحه بتركها وتلذذه بقربه من ربه (**في قلبه فهو كاذب في تركها وقال جعفر بن محمد بن نصير: دفع إليّ الجنيد درهماً وقال: اشتر لي التين الوزيري**) وهو أطيب أنواع التين، وكان قبل قد عزم على أنْ لا يأكله لتعلق قلبه به، ودعاء نفسه إليه (**فاشتريته له**) وكان صائماً (**فلما أفطر**) أي دخل وقت وإفطاره (**أخذ واحدة**) من التين (**ووضعها في فمه**) ناسياً لعزمه (**ثم**) تذكر فحينئذٍ (**ألقاها**) من فمه (**وبكى**) بكاء شديداً (**وقال**) لي: (**احمله**) أي خذه واذهب به (**فقلت له في ذلك**) أي ما سببه (**فقال: هتف في قلبي**) هاتف فقال: (**أما تستحي شهوة تركتها من أجله**) تعالى، وفي نسخة من أجلي (**ثم تعود إليها**) وهذا من إكرام الله له بحيث نبهه على الوفاء بعزمه (**وأنشدوا**) في ذلك (**نون الهوان من الهوى مسروقة**) أي مسروقة من الهوى الذي هو الهوان مآلا فكان هوى، وإنما سرقت نونه، فمن ركب الهوى وغفل عن نونه وقع في الهوان (**وصريع كل هوى صريع هوان**) فكل من اتبع هواه حصلت له الإهانة في دنياه وأخراه. (**واعلم أنَّ للنفس أخلاقاً ذميمة، فمن ذلك الحسد**) وسيأتي ولها أربعة أنواع الأمّارة

(**قوله: الذي امتلأ الخ**) أشار بذلك إلى أن المراد بالخوف إنما هوالكامل منه لا مطلق الخوف. (**قوله: لأخرجته من الخوف**) أي لقوة شهوته بواسطة كثرة جهالته وضعف خوفه بسبب وهن بشريته بتوالي غفلته. (**قوله: إلا خوف مزعج**) أي بأن كان كاملاً، وقوله: أو شوق مقلق أي بأن كان قوياً، فالمراد الخوف والرجاء بشاهد العلم بحيث يستعمل كلاً فيما يوافقه. (**قوله: من ترك شهوة الخ**) الغرض المبالغة في صدق الترك. (**قوله: نون الهوان الخ**) المعنى أن الشخص إن لم يراقب ما تميل إليه نفسه بشاهد العلم وقع في الهوان ديناً ودنيا، إذ النفس بما جبلت عليه من الشهوات لا تدعو إلا لما به إهانتها أو هلاكها، فعلى العبد أن يدوم مراقباً لها بالتحفظ من حظوظها لأن الهوى إذا غلب العبد صرعه الهوان للزومه لغلبة الهوى، وذلك معنى قوله: وصريع كل هوى صريع هوان. (**قوله: واعلم أن للنفس الخ**) مراده الدخول على كلام المصنف حيث ذكر باب الحسد.

بالسوء، واللوّامة والملهمة، والمطمئنة، قال تعالى: إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ * وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ * وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [يوسف: ٥٣، القيامة: ٢، الشمس: ٧] و ﴿ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ [الفجر: ٢٧] فالأمارة بالسوء نفس الكافر، واللوّامة نفس العصاة من المؤمنين، والملهمة نفس عامة المؤمنين الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر

(**قوله: أربعة أنواع**) أقول: بل ستة بزيادة الراضية والمرضية، وقيل: أكثر من ستة.

(**قوله: قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣]**) تقدم الكلام عليها. (**قوله: ﴿ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ [القيامة: ٢]**) أي النفس المنبعثة التي تلوم النفوس يومئذ على تقصيرها في التقوى، وفائدة دخول لا النافية على فعل القسم توكيد القسم قالوا: إنها مثلها في قوله تعالى: ﴿ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الحديد: ٢٩] وقيل: هي للنفي أي لكن لا لنفي الأقسام بل لنفي ما ينبىء هو عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه، وكأن المعنى لا أقسم به لأعظمه إقسامي به فإنه حقيقي بأكثر من ذلك، وأما ما قيل من أن المعنى نفي الإقسام لوضوح الأمر فقد عرفت ما فيه، وفي الإقسام بيوم القيامة قبل من الجزالة ما لا يخفى.

(**قوله: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس: ٧]**) أي أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها، والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام، أو للتكثير وهو الأنسب للجواب، ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس: ٨] أي أفهمها وعرفها حالها من الحسن والقبيح ومآل كل منهما ومكنها من الاختيار لأيهما شاءت وتقديم الفجور لمراعاة الفواصل.

(**قوله: ويا أيتها النفس المطمئنة**) حكاية لأحوال من اطمأن قلبه في الدنيا، وصفت سريرته فيها، فترقى في معارج الأسباب والمسببات حتى انتهى إلى المبدأ المؤثر بالذات، فاكتفى واستغنى به دون غيره في وجوده وسائر شؤونه، وقيل: هي النفس المؤمنة المطمئنة أي بقول الله ذلك بالذات كما كلم موسى بن عمران عليه السلام، أو المراد المقول لها ذلك على لسان الملك عند تمام حساب الناس، وهو الأظهر، وقيل: المقول لها ذلك عند الموت، وقيل: عند البعث ارجعي إلى ربك أي إلى موعوده أو إلى أمره راضية بما أوتيت من النعيم المقيم مرضية عند الله عز وجل ﴿ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴾ أي في زمرتهم وادخلي جنتي معهم، وانتظمي في سلك المقربين واستضيئي بأنوارهم، فإن الجواهر المقدسة كالمرايا المتقابلة، والله أعلم.

(**قوله: فالأمارة بالسوء الخ**) انظروا وجه الأمارة بالسوء على نفس الكافر مع أن الظاهر التعميم، وقوله جل شأنه: ﴿ إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ [يوسف: ٥٣] يشهد للتعميم بجعل أل في النفس للجنس، والمراد بالسوء في الآية الكريمة الميل للشهوات، وذلك عام في جميع المخالفات فتأمل.

سيئاً، والمطمئنة نفس الأنبياء والأولياء والصدّيقين وقيل: غير ذلك: واللوّامة إنْ أطاعت المطمئنة لامت ذاتها في الدنيا، وإنْ أطاعت الأمارة بالسوء لامت ذاتها في الآخرة.

والله أعلم.

(قوله: والمطمئنة نفس الأنبياء الخ) اعلم أن الاطمئنان يتفاوت قوة وضعفاً فلا يقال بالتسوية في أرواح الأنبياء وما عطف عليها.

خاتمة:

نسأل الله حسنها اعلم أيدك الله تعالى أن هذا المتقدم ذكره من أحوال المراقبين لقلوبهم المتجسسين على أعمالهم بواسطة إعانة ربهم، فإن واعظ الله في قلب كل مسلم فهم لخواطر القلوب مراقبون ولطوارق النفس بالهوى حارسون اتهامهم لأنفسهم فما تدعو إليه عتيد، وتأديبهم لها فيما اطلعوا عليه من نقص أكيد قد بعدوا عن الراحات، ولذت لهم المشقات، وأقبلوا بالجد على تحصيل الباقيات الصالحات، وأعرضوا بقلوبهم عن أنواع الشهوات، وعن أصناف المطاعم والمشارب اللذيذات، وقد استعانوا على ذلك بالزهد في الدنيا حيث كان أصل جميع الخيرات، فالله تعالى بفضله يوفقنا لأحسن طرق المتابعات بجاه حبيبه خاتم عقد النبوات والرسالات.

باب الحسد

هو تمني العبد زوال النعمة عن غيره سواء أراد رجوعها إليه أم لا، وهو حرام

باب الحسد

أقول: الحسد تمني زوال نعمة الغير عنه، فهو من الكبائر، أما الحسد على معنى المنافسة فهو ينقسم إلى: مندوب، ومكروه، ومباح، فإنه إنْ تمنى مثل ما لغيره مما يقربه إلى ربه فهو مندوب وإنْ تمنى مثل ما لغيره مما كرهه الشارع، أو أباحه كان حكمه كذلك من الكراهة أو الإباحة.

واعلم أنَّ الحسد على معنى تمني زوال نعمة الغير عن ذلك الغير عظيم إثمه عند الله قد هلك به كثير قديماً وحديثاً، وبه هلك إبليس وجنوده من الكفار، قال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ﴾ [البقرة: ١٠٩]، وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ففي الآية الأولى تمنوا زوال النعم بعد تحققها وفي الثانية كرهوا حصول الخير لهم، وعلى كلّ فقد تحقق فيهم معنى الحسد وحكم الحسد التحريم، وسببه الاعتراض على فعل الحكيم، وثمرته دوام الهمّ الجسيم، فالله تعالى يرزقنا السلامة والتسليم بجاه الرسول العظيم.

وقال بعضهم: سببه كثرة الجهالات وقلة اليقين ودناءة الطبع، وسوء الأدب، وعدم القنع بالمقسوم، وعدم الرضا بقضاء الحكيم، والبعد عن مقامات العبودية حتى كأنه ينازع أحكام الربوبية، وينسب الظلم إلى الله في أحكامه في العبيد تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، فهو حينئذٍ من الكبائر والداآت الخطرة، فعلى من قام بقلبه داء الحسد المبادرة إلى علاجه بالرجوع إلى معرفة النفس، ووقوفه تحت قهر العبودية، وتسليم الكائنات إلى حكمة المدبر الحكيم خصوصاً ولا فائدة في المنازعة لما قضاه الحكيم بل جميع المقدّرات لا بدّ من كونها على موجب إرادته تعالى، ولا يعود شؤم الحسد إلا على من قام به، أما في الدنيا فبالهمّ والغمّ، وأما في الآخرة فبالعذاب الأليم، ثم أقول: مرجع الحسد إلى رؤية تقديم النفس بشهود فضيلتها على الغير، وربما جرّ ذلك إلى داء الكبر أيضاً، وهو من الداآت القبيحة فلا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

(**قوله: هو تمني العبد زوال النعمة الخ**) قال بعضهم. وسبب ذلك حب الدنيا

لأنَّ فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى وقد يطلق مجازاً على الغبطة وتسمى بالمنافسة كما في خبر «لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً ورجل آتاه الله علماً»[1] الحديث، وهي تمني العبد أنْ يكون له مثل ما لغيره ويستعاذ من شر الحاسد.

(قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾) [الفلق: ١] أي الصبح ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ ثم قال: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٢ ـ ٥] فختم

والحرص عليها، وقد يقضي ذلك بصاحبه إلى تمني زوالها عن الغير، وثمرة الحسد دوام تعذيب من قام به بدوام شهوده ما تمنى زواله مما لم يكن في وسعه زواله، وقد ينشأ الحسد عن العداوة والبغضاء، وعن الكبر والعجب والرياء، وذلك لكراهته في المحسود، أو لحرصه على انفراده بصفات الكمال ليدوم له التعظيم من العباد. **(قوله: لأنَّ فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى)** أي يستلزم ذلك، ومن المعلوم إنْ لازم المذهب ليس مذهباً وإلا كان الحاسد كافراً لا آثماً بعصيانه بغير الكفر فقط، والحاصل أنَّ الحسد يلزمه نسبة الظلم كما تقدم والاعتراض على الحكيم العليم في أحكامه، وسبب ذلك الحرص والجهل وحب الدنيا، والعداوة، والبغضاء، وحب الرياسة، وحب النفس، والكبر، وحب التفرد بالمزايا الدنيوية، وغير ذلك من الصفات والأخلاق الذميمة. **(قوله: أنْ يكون له مثل ما لغيره)** أي مع عدم تمني الزوال عن ذلك الغير بل ربما تمنى زيادة ذلك الغير فيما منحه الحق تعالى والله أعلم.

(قوله: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق: ١] الخ الفلق الصبح لأنه يفلق عنه الليل، وقيل: كل ما يفلقه الله تعالى كالأرض عن النبات والجبال عن العيون، والسحاب عن الأمطار، والحب والنوى عما يخرج منها، وغير ذلك، وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبيء عن النور عقيب الظلمة، والسعة بعد الضيق، والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعادة العائذ مما يعوذ عنه وإنجائه منه، وتقوية لرجائه بتذكير بعض نظائره، فيزيد في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه تعالى، وقوله: ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ [الفلق: ٢] أي من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائناً من كان، وذلك كما ترى عام لجميع الشرور، وإضافة الشر إلى المخلوقين لكونهم مما أسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستتبعة للكون، والفساد، وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن شوائب الشر، وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾ [الفلق: ٣] تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندراجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الإستعاذة منه لكثرة وقوعه أي ومن شر ليل معتكر ظلامه، وأصل الغسق الإمتلاء يقال: غسقت العين إذا امتلأت

---

(١) أخرجه البخاري (علم ١٥) (زكاة ٥) (أحكام ٣) (تمني ٥) (اعتصام ١٣) (توحيد ٤٥) وأحمد بن حنبل (٢، ٩، ٣٦).

السورة التي **جعلها عوذة** بفتح العين وضمها أي تعويذاً **بذكر الحسد أخبرنا أبو الحسين الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا إسماعيل بن الفضل قال: حدثنا يحيى بن مخلد قال: حدثنا معافى بن عمران عن الحرث بن شهاب عن معبد عن أبي قلابة عن ابن مسعود رضي الله عنه أنَّ النبي ﷺ قال: «ثلاث هنّ أصل كل خطيئة فاتقوهن واحذروهن» وقد بينها مع علتها بقوله: «إياكم والكبر فإنّ إبليس حمله الكبر على أنْ لا يسجد لآدم وإياكم والحرص»[1] على اتباع الشهوات (**فإنّ آدم حمله الحرص على أنْ أكل من الشجرة وإياكم والحسد فإنّ ابني آدم إنما قتل أحدهما**) وهو قابيل (**صاحبه**) وهو هابيل (**حسداً**) ولا يكاد ينجو منه أحد

دمعاً، وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه، وقوله: إذا وقب أي دخل ظلامه في كل شيء لأنّ حدوث الشر فيه أكثر، والتحرّز منه أصعب وأعسر، ولذلك قيل: الليل أخفى للويل، وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ﴾ [الفلق: ٤] أي ومن شر البنات والنساء السواحر اللاتي يعقدن عقداً في خيوط، وينفثن عليها، وقوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥] أي إذا أظهر ما في نفسه من الحسد، وعمل بمقتضاه بترتيب مقدّمات الشرّ ومبادىء الإضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً. ورد عنه ﷺ أنّه قال: «من قرأ المعوّذتين فكأنما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى». (**قوله**: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾) [الفلق: ٥] أقول: شر الحسد يكون بتقدير الله تعالى، وقد ذكروا أنّ الشخص العائن إذا نظر للمعيون من غير طريق المتابعة مع الشره تنفصل من عينه أجزاء سمية تتصل بالمعيون يحصل عندها الضرر بتقدير الله تعالى.

(**قوله: فإنّ إبليس حمله الكبر الخ**) أي فكان ذلك سبباً لطرده الأبدي، ولعنته السرمدية. (**قوله: فإنّ آدم حمله الحرص الخ**) أقول: ذلك بحسب الظاهر حيث الظاهر أنّه من الحرص على إتباع الشهوات، وإلا فذلك باعتبار الباطن من أسباب إبراز المقدّرات المرادات له تعالى، فهو حينئذٍ إنما حرص على مظاهر الخيرات، ولو لم يترتب عليه إلا وجود الإنسان الكامل، والنعمة العظمى التي هي الحقيقة المحمدية، وباقي ذوات الرسالة لكفى ثمرة.

(**قوله: ولا يكاد ينجو منه أحد**) أي بحسب سلطان النفوس، ومساعدة الهوى، وإعانة الشيطان أعاذنا الله وأحبتنا من ذلك. (**قوله: لخبر ثلاث الخ**) المراد أنَّ ذلك بالنسبة لمن لم تسبق لهم عناية العصمة، أو الحفظ، وإلا فكثير من النفوس خلقت مطهرة

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٢٢٦) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٥٦١) وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٤٩١) والسيوطي في (جمع الجوامع ٩٣٠٢).

لخبر: «ثلاث لا ينجو منهن أحد الطيرة والظن أي السيء والحسد»، وسأنبئكم بالمخرج من ذلك إذا تطيرت فامض، وإذا ظننت فلا تحقق وإذا حسدت فلا تبغ **(وقال بعضهم الحاسد جاحد لأنه لا يرضى بقضاء الواحد)** تعالى لأنه تعالى يريد إسباغ النعم على عبيده، والحاسد يريد زوالها عنهم، فهو لا يرضى بقضاء الواحد، **(وقيل: الحسود لا يسود)** لا دنيا ولا أخرى بل يعود عليه فيهما ضرر الحسد، وهو ألم الهم والحزن في الدنيا، وألم العقوبة في الآخرة، **(وقيل في قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾** [الأعراف: ٣٣] **قيل: ما بطن الحسد)** والمشهور أنه معاصي القلب من حسد وغيره كالعجب والحقد، وسوء الظن، **(وفي بعض الكتب الحاسد عدوّ نعمتي)** لأنه يكره رؤيتها على غيره **(وقيل: أثر الحسد يتبين فيك)** أيها الحاسد **(قبل أن يتبين في عدوّك)** وهو المحسود لأنَّ الحاسد متألم في نفسه متنكد

من هذه العيوب الخسيسة. **(قوله: إذا تطيرت فامض)** أي افعل الأمر الذي ظننت شؤمه بواسطة الطيرة، وقوله: وإذا ظننت فلا تحقق أي فلا تعمل بمقتضى ما ظننته، وقوله: وإذا حسدت فلا تبغ أي، وإذا مالت نفسك للحسد بحسب طبعها الدنيء فقم عليها بشاهد العلم، ولا تتجاوز ما أمرت به ونهيت عنه.

(قوله: الحاسد جاحد) أي منكر ومعترض على أفعال الحكيم لأنه لو وقف مواقف الأدب، وسلم لمن له الأمر كله ما صدر منه حسد لأحد من المخلوقين. **(قوله: لأنه لا يرضى الخ)** أي فهو كأنه كذلك، وإلا كان كافراً خالداً في نار جهنم. **(قوله: الحسود لا يسود)** أي لا يثبت له سودد وتقدّم وحظ بل إنما يثمر له الحسد مجرد الضرر، والهمّ والغمّ إذ المقدّر كائن لا محالة، والله أعلم.

(قوله: وقيل في قوله سبحانه: الخ) إنما حمل على ذلك لقبح الحسد وفحشه، وزيادة شؤمه وضرره بالنسبة لغيره من داآت القلب الباطنة، وإلا فمعنى الآية الكريمة عام إذ المعنى ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف: ٣٣] أي ما تفاحش قبحه من الذنوب، قيل: ما يتعلق منها بالفروج ما ظهر منها وما بطن بدل من الفواحش أي جهرها وسرّها، وذلك كما ترى عام في كل ذنب. **(قوله: والمشهور أنه معاصي القلب)** أي أنَّ ما بطن من الفواحش هو معاصي القلب مما ذكره الشارح لا خصوص الحسد.

(قوله: عدوّ نعمتي) أي عدوّ من أنعمت عليه إيثاراً لنفسه بها، وكراهة لرؤيتها على غيره. **(قوله: وقيل: أثر الحسد الخ)** الغرض الزجر عن الحسد ببيان أنَّ ضرره لو قدر يتحقق في الحاسد قبل المحسود بل قبل حسده لأنَّه ما أظهر الحسد إلا بعد امتلائه بهم الحقد والحسد الكامن في سرّه، وكفى بذلك مضرة.

(قوله: بل قد لا يظهر الخ) أي إذا حفظ الله تعالى المحسود لا يتأثر بالحسد.

يظهر أثر الحسد فيه قبل ظهوره في المحسود بل قد لا يظهر أثره في المسحود أصلاً فتدوم النعم عليه، **(وقال الأصمعي: رأيت أعرابياً أتت عليه مائة وعشرون سنة فقلت له ما أطول عمرك فقال: تركت الحسد)** الموجب للهموم والأحزان **(فبقيت)** عمراً طويلاً بخلوّي عن الهموم والأحزان المضعفة للأبدان، **(وقال ابن المبارك: الحمد لله الذي لم يجعل في قلب أميري)** الذي هو حاكم عليّ من الحسد **(ما جعله في قلب حاسدي)** إذ لو جعل في قلبه ذلك لضاعت مصالحي ومصالح جميع رعيته. **(وفي بعض الآثار)** وفي نسخة الأخبار **(إنّ في السماء الخامسة ملكاً يمرّ به عمل عبد له ضوء كضوء الشمس فيقول له الملك:)** إذا عرف أنه مشوب بحسد **(قف فأنا ملك الحسد إضرب به وجه صاحبه فإنّه حاسد)** فيردّ عمله فيه دلالة على شدّة التنفير من الحسد. **(وقال معاوية رضي الله عنه: كل إنسان أقدر)** أنا **(على أن أرضيه إلا الحاسد فإنّه لا يرضيه إلا زوال النعمة)** عن المحسود، وأنا لا أقدر عليه لأنّه بيد الله تعالى بخلاف غيره، فإنه يتأتى رضاه عادة بغير مطلوبه. **(ويقال: الحاسد ظالم غشوم لا يبقي ولا يذر)** أي لا يدع شيئاً مما له دخل في إزالة النعم، فلا راحة له في الدنيا، ولا في الآخرة، **(وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما رأيت ظالماً أشبه**

(قوله: فقال: تركت الحسد الخ) يفيد ذلك أنَّ ترك الحسد من أسباب طول العمر، ولا مانع من ذلك حقيقة بالنسبة للعمر المعلق على ذلك، أو المراد أنهما خلا العمر عن أسباب الضعف فكأنه طال بواسطة دوام الصحة، ولذة العافية. **(قوله: وفي بعض الآثار الخ)** يفيد ذلك أنَّ قبح الحسد وذمه مما قرّرته الشرائع القديمة، وقد أكدت ذلك الشريعة الخاتمة، وكذا دليل العقل فهو مذموم شرعاً وعقلاً.

(قوله: كل إنسان) أي له غضب أقدر أنا على أنَّ أرضيه بما يزول به غضبه إلا الحاسد فإنّ غضبه منشؤه ثبوت النعمة لغيره وهو لا يرضيه إلا زوالها، وذلك بيد الله تعالى لا قدرة لغيره عليه بخلاف غير الحاسد، فإنّه يمكن، رضاؤه بغير مطلوبه، وهو قد يتيسر لنا ... **(قوله: الحاسد ظالم غشوم الخ)** إنما كان غشوماً لأنَّ الظالم شأنه التعدّي على ما للغير مما له به انتفاع، والحاسد ليس كذلك بل أثر حسده دوام ضرره بكمده وغمه.

(قوله: ما رأيت ظالماً الخ) أقول: ذلك من إشارات الحكمة وعبارات الصدق، ويشبه ذلك ما ثبت عن سيدنا الحسن السبط حيث قال: ما رأيت حقاً أشبه الباطل كالموت.

فائدة:

الحسد محرّم لأنّه من عمل القلوب، وإنْ لم تساعدها الجوارح فإنْ ساعدتها كان ذلك زيادة في شره وإثمه، ويدل لما قلناه مدحه تعالى بقول: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ

بمظلوم من الحاسد) من حيث أنّه قام به **(غم دائم ونفس متتابع)** أي كتنفس الصعداء فهو بذلك في صورة مظلوم مع أنه ظالم يطلب ما ليس له طلبه. **(وقيل: من علامات الحاسد أن يتملق)** أي يتردّد إلى المحسود ويتلطف به ويظهر أنّه محب له **(إذا شهد)** أي حضر **(ويغتاب إذا غاب)** عنه **(ويشمت بالمصيبة إذا نزلت)** به وكلّ من الغيبة والشماتة معصية زائدة على معصية الحسد، وقد قيل في قوله تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠] إنّ المراد بالحسنة النعمة، وبالسيئة المصيبة وإنّه أريد بالأوّل الحسد وبالثاني الشماتة، ثم نبه على أنهما لا يضرّان المسحود ولا المشموت به إذا اتقى وصبر بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران: ١٢٠]. **(وقال معاوية)** رضي الله عنه: **(ليس في خلال الشرّ)** أي خصاله **(خلة)** بفتح الخاء أي خصلة **(أعدل من الحسد)**

حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا﴾ [الحشر: ٩] فإنّه قد نفى عن قلوبهم الحسد على ما أوتي غيرهم، ولم يذكر جوارحهم، فدل على أنّ الحسد من أعمال القلوب خاصة. **(قوله: من علامات الحاسد الخ)** يشير بذلك إلى أنّ معصية الحسد تجمع معاصي غيرها كالممالقة، وهي من المداهنة والغيبة والشماتة، أقول: والكبر أيضاً، فإنّ سببه حب التقدّم وشهود فضيلة النفس على الغير، هذا، والمداهنة المذكورة من قبيل التصنع والرياء، وهو محرّم قال جل شأنه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾ [هود: ١٥] إلى قوله: ﴿وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٩] قال مجاهد: هم أهل الرياء، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٤٠] قال مجاهد: أيضاً هم أهل الرياء، وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩] قال مجاهد: ما قالوه: بألسنتهم ولكن علمه تعالى من قلوبهم، فالرياء من الكبائر محبط لثواب العمل بل لذاته إنْ كان اعتقادياً، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: وكل من الغيبة الخ)** أقول: بل معصية الغيبة والشماتة ربما تكون أقبح من معصية الحسد إذ الغيبة من محبطات ثواب الأعمال، والشماتة ترجع إلى محبة ضرر الغير، وهو قرين الشرك بالله تعالى في الإثم اهـ.

فائدة شريفة للشفاء من داء الحسد

وهي أنْ يلهم الإنسان التفكر فيما يعتقده بعلم الشريعة والعادة والعقل من أنه لا فاعل غيره تعالى ولا مقدّم ولا مؤخر سواه، ولا تأثير لغيره في شيء أصلاً، والإلتفات إلى أنه معارض حكم ربه بجهله والتفكر فيما مضى له من الوقت على هذه الحالة من زيادة الآثام، وعدم وصوله إلى شيء من المرام، فبكل ذلك ربما يرجى له الشفاء من هذا الداء العضال. **(قوله: ليس في خلال الشر الخ)** ليس المراد مدح الحسد بل إفادة أنّ

حيث (**يقتل الحاسد**) هماً وغماً (**كما قتل المحسود**) بزوال نعمه إنْ زالت، ولما كان الحاسد هالكاً بمعصيته ورجع شؤم معصيته عليه سمي الحسد عدلاً لكونه أهلك من يستحق الهلاك. (**وقيل: أوحى الله سبحانه إلى سليمان بن داود عليهما السلام أوصيك بسبعة أشياء لا تغتابن صالح عبادي**) بخلاف الفاسق المجاهر والمبتدع (**ولا تحسدن أحداً من عبادي فقال سليمان عليه السلام: يا رب حسبي**) أي يكفيني هذان في الزجر لعظم أمرهما، فلا تذكر لي بقية السبعة، ولعله ذكرها له في وقت آخر. (**وقيل: رأى موسى عليه السلام رجلاً عند العرش فغبطه**) أي فتمنى أنْ ينال مثل ما ناله (**فقال:**) لمن بحضرته (**ما صفته فقيل**) له: (**كان لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله**) فيه دلالة على أنَّ من ترك الحسد لله رفعه الله (**وقيل: الحاسد**) الذي

شؤمه لو وقع بالمحسود بتقدير العزيز العليم يقع بالحاسد أيضاً، فهو حينئذٍ كقصاص الجاني، فلذا جعل الحسد عدلاً. (**قوله: بخلاف الفاسق الخ**) أي فإنّه تجوز غيبته لكن بما تجاهر وابتدع به دون غيره من المعايب التي لم يتجاهر بها.

تنبيه:

من داآت النفس حقدها على من آذاها وإرادة وقوع الضرر به، والشماتة به عند ذلك، وهكذا، وسببه جهلها بربها برؤية صدور الأفعال من غيره، ومحبة استعجال الراحة للنفس، والانتقام ممن وقع منه الأذى، فإنَّ القلب مصرّ على محبة الانتصار على الفور، فيمنعه ذلك من شهود سوابق الأقدار، فيبقى قلبه وهو مصرّ على تحصيل غرضه، ودفع المدعي لنفسه، وهذا معنى الحقد، وعنه تكون الشماتة مع أنَّ الفرح بوقوع البلاء بالمسلمين حرام بخلاف ما إذا تمنى الإنسان أنْ يأخذ الله له حقه ممن ظلمه على وجه القصاص، فإنّه جائز، واعلم أنَّ دواء الحقد هو بالإلتفات إلى أنَّ إضمار الحقد والسوء للغير معصية ناجرة، وهو لا يدري أيحصل ما أضمره للغير أو لا، وأيضاً فالخلق قد أمروا بالتحابب والمودّة، والحقد والعداوة ضدّ ذلك مع أنّه عذاب للنفس ناجز، ودوام غمّ وهمّ مع عدم الفائدة في ذلك عاجلاً وآجلاً.

(**قوله: ولعله ذكرها له في وقت آخر**) أي لأنَّ بيانها لازم لتجتنب لأنّه لا يستغنى عنه بالمذكور. (**قوله: كان لا يحسد الناس الخ**) منه يعلم أنَّ ترك عظائم الجرائم يكون سبباً في الترقي إلى الدرجات الرفيعة، وهو الحق. (**قوله: وقيل: الحاسد الذي إذا رأى الخ**) أي وذلك لزيادة حبه للدنيا وإيثاره نفسه، فهو لا يحب أنْ تكون لغيره، فإذا أبصرها لغيره بهت وتحير.

فائدة:

اعلم أنَّ الدنيا منها محمود ومنها مذموم، فما أخذ من الدنيا للدنيا، فمذموم، وما

(إذا رأى) على محسوده (نعمة بهت) ببنائه للمفعول أفصح من بنائه للفاعل أي دُهش وتحير تعجباً من حلولها لمن حلت به، وذلك لكمال استحسانه لها (وإذا رأى) عليه (عثرة) أي نقمة (شمت) أي فرح بها (وقيل: إذا أردت أن تسلم من) شر (الحاسد) وإعانتك له على حسده لك (فلبس عليه أمرك) أي استر نعم الله عليك لئلا يتمنى زوالها.

(وقيل: الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له) بمعنى أنّه كاره للنعم عليه (بخيل بما لا يملكه) نشأ ذلك من الحسد، (وقيل: إياك أنْ تتعنى) أي تتعب نفسك (في مودة من يحسدك) ليزول حسده لك (فإنّه لا يقبل إحسانك) قبولاً يزول به حسده لك، فيضيع تعبك، (وقيل: إذا أراد الله سبحانه أنْ يسلط على عبد عدواً) له (لا يرحمه سلط عليه حاسده) لأنّه لا يترك ممكناً يتسبب به في زوال النعمة، ولأنّ تمنيه لزوال النعمة طبع له لا يتغير غالباً بخلاف غيره، فإنّ عداوته إنما حدثت بسبب، فإذا زال زالت (وأنشدوا) في ذلك (وحسبك من حادث بامرىءٍ. ترى) أنت (حاسديه له

أخذ منها للآخرة فمحمود، ويدل لذلك قوله ﷺ: «من طلب الدنيا حلالاً لا مكاثراً مفاخراً لقي الله وهو عليه غضبان، ومن طلبها استعفافاً عن المسألة وصيانة لنفسه جاء يوم القيامة ووجهه كالقمر ليلة البدر»(١). (قوله: وذلك لكمال استحسانه لها) أي مع استصغار من أوتيها. (قوله: شمت) أي لخفي عداوته. (قوله: وقيل: إذا أردت الخ) فيه إرشاد لطرق التحفظ من شر العائن والحاسد.

(قوله: وقيل: الحاسد مغتاظ الخ) أي فهو أظلم ظالم وأبخل بخيل. (قوله: إياك أنْ تتعنى الخ) فيه إرشاد لطريق راحة النفس عما لا يجدي تنبيهاً على أنّ داء الحسد عضال لا دواء له. (قوله: وحسبك من حادث الخ) أي كافيك أيها المخاطب مشاهدة هذه الصفة في الحاسد حيث قد بالغ هذا الشاعر برحمة الحاسدين لاستبعادها في العادة عسى أنْ تنكف عن التخلق بمثل خلقه كيف وهو أصل الأخلاق الذميمة مثل العجب، والكبر، والرياء، والحرص، والغضب، والبخل، والشح وغير ذلك من معضل الداآت، فقد طرد اللعين بالعجب طرداً أبدياً، ولعن لعناً سرمدياً، وقال ﷺ: «ثلاثة مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه» وقال أيضاً: «ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال

---

(١) أخرجه البخاري (شرب ٤) (خصومات ٤) (رهن ٦) (شهادات ١٩، ٢٠، ٢٣، ٢٥) (تفسير سورة ٣، ٣) (إيمان ١١، ١٧) (أحكام ٣٠) (توحيد ٢٤) ومسلم (إيمان ٢٢٠ ـ ٢٢٢، ٢٢٤) وأبو داود (إيمان ١) والترمذي (بيوع ٤٢) (تفسير سورة ٣، ٤، ٢١) وابن ماجه (أحكام ٨) وأحمد بن حنبل (١، ٣٧٧، ٣٧٩، ٤١٦، ٤٢٦، ٤٤٢، ٤٦٠، ٢، ١١٨، ٤، ١٩٢، ٣١٧، ٥، ٢٥، ٢١١، ٢١٢).

راحمينا) فيه دلالة على أنَّ الحاسد لا رحمة له على غيره إلا على من ابتلي ببلاء عظيم لكونه حينئذٍ لا يراه في نعمة، إذ الحاسد لا يرحم من هو في نعمة بل يتمنى زوالها عنه. **(وأنشدوا)** أيضاً **(كل العداوة قد ترجى إماتتها)**. وفي نسخة مودتها **(إلا عداوة من عاداك من حسد)** لما مرّ قبيل الباب السابق **(وقال ابن المعتز: قل للمحسود إذا تنفس)** تنفس المكروب **(طعنة)**. أي رزقك الله طعنة في قلبك **(يا ظالماً، وكأنه مظلوم)** فهو ظالم في صورة مظلوم كما مرّ **(وأنشدوا)** أيضاً **(وإذا أراد الله نشر فضيلة. طويت)** أي سترت بأن سترها صاحبها عن غيره **(أتاح)** أي قدر **(لها لسان حسود)** ينشرها ويظهرها قصداً لإزالتها لأنَّ الحاسد لا يزال يذكر نعم المحسود ليتم له الحسد لأنَّه لا يكون إلا في النعم **(ومن الأخلاق المذمومة للنفس اعتياد الغيبة)** والله أعلم.

ذرة من كبر» وقال: «حسب امرىء من الشر أنْ يحتقر أخاه المسلم»[1] وقال: «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل»[2] وقال: «البخيل بعيد من الله»[3] الحديث، وقال: «اتقوا الشح فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم»[4] وكل هذه الأخلاق الخبيثة ممتدة من شجرة زقوم اللعن، والطرد، والبعد نعوذ بالله من ذلك كله.

(قوله: كل العداوة الخ) أي لأنَّ مرجع هذه العداوة إنما هو الطبع الخبيث، وهو لا يقبل التغير. **(قوله: قل للمحسود الخ)** المراد أنَّك إذا رأيت حاسداً يتنفس الصعداء كمداً بواسطة ما بطن فيه من داء الحسد قل له طعنة بقصد الدعاء عليه بها لدفع ضرره عن المسلمين.

وقوله: يا ظالماً أي حيث تعدى حدود الله على غير من ظلمه، وقوله: وكأنه مظلوم أي لما ظهر عليه من الكرب والحزن والسقم بداء حسده لغيره بجهله وغفلته. **(قوله: وإذا أراد الله الخ)** المعنى أنَّه إذا تعلقت إرادته تعالى بإظهار فضيلة عبد سترها ليتم له حظها أتاح أي قدر لها أي لإظهارها لسان حسود يكرره كرهاً قصداً، ومحبة في زوالها عمن منحها. **(قوله: اعتياد الغيبة)** أقول: احترز بلفظ إعتياد عن الأمر الإتفاقي الواقع من فلتات اللسان، ثم تداركه صاحبه بالإقلاع والعزم على عدم العود مع دوام الندم على ذلك، فمثل هذا لا يعد من الأخلاق المذمومة.

---

(١) أخرجه أبو داود (أدب ٣٥) ومسلم (بر ٣٢) والترمذي (بر ١٨) وابن ماجه (زهد ٢٣).
(٢) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/٦) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/١٦١) وابن عراق في (تنزية الشريعة ٢/١٠٣).
(٣) أخرجه الترمذي (بر ٤٠).
(٤) أخرجه مسلم (بر ٥٦) وأحمد بن حنبل (٢، ١٦٠، ١٩١، ١٩٥، ٤٣١، ٣، ٣٢٣).

باب الغيبة

هي ذكر الإنسان بما فيه مما يكره سواء كان في بدنه أم دينه أم دنياه كماله، ومماته، وولده، وزوجته، وخادمه وحركته، وبشاشته، وعبوسته سواء ذكرته بلفظك، أم بكتابك أم رمزت به أم أشرت إليه بعينك أم بغيرها، وهي محرمة إلا لأمور مذكورة في الفقهيات، وسيأتي بعضها.

باب الغيبة

أي وهي من كبائر الذنوب لما ورد فيها من الوعيد الشديد الذي لا يقبل التأويل، بل هي من أقبح الكبائر لأنها سبب في إتلاف ثمرة العمل بالطاعة، ولأنّها إنما تكون غالباً عن حسد المغتاب، وكل هذا سببه الجهل والغفلة، والظلم بقوّة الظلمة أعاذنا الله وأحبتنا من ذلك، وقال بعضهم: الغيبة من الأخلاق الذميمة وسببها ملاحظة الآنية، ومنشأ ذلك الجهل وعمي البصيرة، وعدم الإلتفات إلى عظمة الله تعالى وعظمة أسمائه وصفاته، وإلا فلو عرف نفسه وربه لاستحيا من الله تعالى أنْ يكون غافلاً عنه في وقت من الأوقات ولحظة من اللحظات فإنّ جميع الكائنات قيامها، وتدبيرها، وإيجادها، وإمداد وجودها بالله تعالى، وإليه مردها قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل: ٥٣] وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أنّ الرب تعالى به وجود الأشياء، وإليه مردها تدبر تفهم والله أعلم. **(قوله: هي ذكر الإنسان بما فيه الخ)** أي سواء كان ذلك في غيبته أو في حضوره، ومن ذلك يعلم أنّ ذكره بما ليس فيه مما يكرهه أقبح وأعظم إثماً، وهذا خلق أهل زماننا في وقت مسامرتهم، وكان ذلك عندهم من المباحات وقد تطرق ذلك إلى الخاصة، فلا حول ولا قوّة العليّ العظيم.

(قوله: وهي محرمة إلا لأُمور الخ) أي مثل التجاهر بالمعاصي بشرط أنْ يكون بعين ما تجاهر به زجراً له عن ذلك ويقصد وجه الله تعالى بالإنكار عليه لا لحظ النفس، وبشرط أمن الفتنة في الإنكار وعلم أنها تثمر ترك المعصية من ذلك المتجاهر، وأنْ لا يكون ذلك على رؤوس الأشهاد إنْ أفاد الإنكار في السر مع من تجاهر بالمعصية دون

(**قال الله سبحانه**: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾، الآية) [الحجرات: ١٢] أي فكرهتموه والمعنى فاغتيابه في حياته كأكل لحمه بعد مماته، وقد عرض عليكم الثاني فكرهتموه فاكرهوا الأول. (**أخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين بن الحسن بن الخليل قال: حدثنا علي بن الحسن قال: حدثنا إسحاق بن عيسى ابن بنت أبي داود بن هند قال: حدثنا محمد بن أبي حميد عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رجلاً قام وهو مع رسول الله ﷺ قبل ذلك جالس فقال بعض القوم: ما أعجز فلاناً فقال**) له (ﷺ: «أكلتم أخاكم»[1] أي لحمه (**واغتبتموه**)، **وأوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام من مات تائباً من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة**،

حضور أحد. (**قوله: قال الله تعالى**: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ﴾ [الحجرات: ١٢] أي لا يذكر بعضكم بعضاً بالسوء في غيبته، وسئل ﷺ عن الغيبة فقال: «أن تذكر أخاك بما يكره، فإن كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته»[2]، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنّ الغيبة أدام كلاب الناس، وقوله تعالى: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢] تمثيل وتقرير لما يصدر عن المغتاب مما يتعلق بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه، طبعاً وشرعاً وعقلاً مع مبالغات من فنون شتى الإستفهامي والتقريري، وإيذان إسناد الفعل إلى أحد إيذاناً بأن أحداً لا يفعل ذلك، وتعليق المحبة بما هو في غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان، وبجعل المأكول أخاً للآكل ميتاً، وإخراج تماثلهما مخرج أمر بين غني عن الإخبار، وقرىء ميتاً بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم، وقيل من الأخ والفاء في قوله: فكرهتموه لترتيب ما بعدها على ما قبلها من التمثيل كأنه قيل: حيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه أي جبلتم على كراهته، واتقوا الله بترك ما أمرتم بتركه، والندم على ما صدر منكم من قبل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢] مبالغ في قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم. (**قوله: كأكل لحمه بعد مماته**) أقول: التقييد بما بعد الممات لزيادة التنفير بشاهد النفس، ولأنه الممكن في الغالب. (**قوله: واغتبتموه**) عطفه على قوله: أكلتم أخاكم للتفسير لأن المعنى المراد من الأكل إنما هو الغيبة له بذكر ما يكرهه. (**قوله: من مات تائباً من الغيبة الخ**) الغرض المبالغة والزجر، وشدة التنفير من الغيبة وإلا فالتوبة المستوفية لشروطها تقطع أثر الذنب، وفاء بالوعد الحق، والخبر الصدق. (**قوله: فقال**

---

(١) أخرجه العقيلي في (الضعفاء ١/ ٣٠٩).

(٢) أخرجه ابن حجر في (الكشاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف ١٥٨).

ومن مات مصراً عليها فهو أول من يدخل النار) فيه دلالة على شدّة أمر الغيبة، وعلى أنَّ من دخل النار بسببها يطول مكثه فيها، ومن تاب منها يتأخر دخوله الجنة لما تقدم له منها، وللمقاصة بما عليه من الحقوق لمن اغتابه، **(وقال عوف: دخلت على ابن سيرين فتناولت الحجاج)** أي اغتبته **(فقال ابن سيرين: إنَّ الله سبحانه حكم عدل فكما يأخذ)** الحق **(من الحجاج)** لمن ظلمه **(يأخذ)** **(للحجاج)** ممن اغتابه **(وإنك إذا لقيت الله غداً)** أي يوم القيامة **(كان أصغر ذنب أصبته أشد عليك من أعظم ذنب أصابه الحجاج)** إذ لا تزر وازرة وزر أخرى، فالأولى لكل أحد أن يشتغل بنفسه، وإن عظمت ذنوب غيره فإنه إنما يطالب بجرمه وإنْ قل، لا يجرم غيره وإن كثر. **(وقيل: دعى إبراهيم بن أدهم إلى دعوة فحضر فذكروا رجلاً لم يأتهم فقالوا: إنّه ثقيل فقال إبراهيم: إنما فعل بي هذا نفسي حيث حضرت)** لشهوة الطعام **(موضعاً يغتاب فيه الناس فخرج ولم يأكل ثلاثة أيام)** فيه دلالة على أنَّ من حضر الغيبة ورضي بها كان شريكاً فيها، ولما فرط إبراهيم في الحضور مع من لا يحترز منها أدب نفسه بالجوع ثلاثة أيام مقابلة للشيء بضده هذا مع أنه لم يرض الغيبة بل أنكرها بحسب قدرته، وقام ولم يأكل.

(وقيل: مثل الذي يغتاب الناس كمثل من نصب منجنيقاً) بفتح الميم والجيم

ابن سيرين: الخ) مراده الزجر عن الغيبة شفقة على المغتاب، وكراهة في الحجاج أن يصله شيء من النفع بالوقيعة فيه من غيره. **(قوله: كان أصغر ذنب)** أي في زعمك، وقوله: أصبته أي فعلته، وقوله: أشد عليك أي لأجل ما يترتب عليه من العقوبة التي مرجعها نفسك، وذاتك، وقوله: من أعظم ذنب الخ الغرض التنفير عن ذكر عيوب الغير وإلا فذنب الحجاج عظيم، ولا سيما أذية آل بيت الرسول، وخير أصحابه على أن ذلك من ورع ابن سيرين، فحمل على مثل حاله ومقامه من الورع، وإلا فلا غيبة في الحجاج لتجاهره بالفسق والعصيان. **(قوله: أنْ يشتغل بنفسه)** أي لأن قوله في غيره ممن تحقق ذنبه مما لا يعنيه ولا فائدة له فيه. **(قوله: وقيل دعي إبراهيم الخ)** قد تقدمت هذه القصة، وإنما أعادها أولاً لمناسبة المقام، وثانياً للتصريح بالقول المغتاب به. **(قوله: ولما فرط)** أي في البحث عن الحاضرين قبل حضوره ليعلم أنهم لهم به مناسبة أولاً. **(قوله: وقيل: مثل الذي يغتاب الناس الخ)** أقول: وسبب ذلك كله المزاحمة على الدنيا، وحب إيثار النفس بها مع أنَّ الإنسان لو نظر إليها بعين قلبه لأبصر حقيقة فنائها وخستها، قال بعضهم: تركت الدنيا لسرعة فنائها وقلة غنائها، وخسة شركائها، وقال بعض العلماء: ما سطع لي زينة الدنيا إلا وكشف لي عن باطنها فظهر لي الطرد عنها، قال أبو طالب

(يرمي به حسناته شرقاً وغرباً) حيث **(يغتاب واحداً خراسانياً، وآخر شامياً، وآخر حجازياً، وآخر تركياً)** وآخر غير ذلك **(فيفرق حسناته فيقوم ولا شيء معه)** منها لأنَّ الناس يقتص من بعضهم لبعض مظالم كانت بينهم في الدنيا بالحسنات والسيئات، فمن عليه حق أخذ من حسناته، فإنْ فنيت وضع عليه من سيئات من له الحق، فالذي يغتاب الناس من كل قطر يفرق حسناته يميناً وشمالاً. **(وقيل: يؤتى العبد يوم القيامة كتابه فلا يرى فيه حسنة فيقول: أين صلاتي وصيامي وطاعتي فيقال: ذهب عملك كله باغتيابك الناس)** لما مر آنفاً. **(وقيل: من اغتيب بغيبة غفر الله له نصف ذنوبه)** لأنَّ العبد إذا فعل معصية كان عليه إثمها كاملاً، فإنْ اغتيب بها نقص إثمها لما حصل له من الأجر باغتياب من اغتابه، وجعل النقص نصفاً لأنَّه أعدل. **(وقال سفيان بن الحسن: كنت جالساً عند إياس بن معاوية فنلت من إنسان)** أي اغتبته **(فقال لي: هل غزوت في هذا العام الترك والروم فقلت: لا، فقال: سلم منك الترك والروم وما سلم منك أخوك المسلم)** فيه تأديب حسن، وإرشاد إلى تغيير المنكر في الغيبة على الفور، فإنَّه لو قال له: إنَّك مغتاب ربما نفرت نفسه منه. **(وقيل: يعطى الرجل كتابه فيرى فيه حسنات لم يعملها فيقال له: هذا بما اغتابك الناس)** أي باغتيابهم لك **(وأنت لم تشعر)** بذلك، فيه دلالة على أنَّ حسنات المغتاب تنقل إلى صحيفة من اغتيب. **(وسئل سفيان الثوري)** عن قوله ﷺ: «إنَّ الله يبغض أهل البيت اللحمين» بكسر المهملة أي كثيري اللحم فقيل: من هم **(فقال: هم الذين يغتابون الناس فكأنهم**

المكي: من شهد الدنيا بأوّل وصفها لم يغتر بآخره، ومن عرفها بباطن حقيقتها لم يعجب بظاهرها ومن كوشف بعاقبتها لم ينسر بعاجلتها، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] الآية، فافهم، وأقول: يكفي هذا زاجراً إذ كيف يسهل السعي فيما حصل من الأعمال التكليفية بإتلاف ثمرتها بعد مشقة تأديتها، ولا سيما بإيصال الثمرات للأعداء إنْ كانت هناك عداوة، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(قوله: يؤتى العبد الخ) هذا تأييد لما قبله. **(قوله: لأنَّ العبد إذا فعل معصية الخ)** هذا بيان للمراد مما قبله بحمله على ذنب واحد فعله عبد من العبيد اغتابه غيره به، فالنقص الحاصل بفعل الذنب جبر نصفه بالأجر المرتب على غيبة غيره له وإلا فظاهر العبارة أنَّ الله تعالى يغفر نصف ذنوب من وقعت عليه الغيبة لا نصف ذنب واحد.

(قوله: فقال لي هل غزوت الخ) يشير إلى أنَّ المؤمل في الأخ المسلم نفع أخيه وضرر عدوه، فالمغتاب بجهله قلب حقيقة الحال، فضر الأخ وسلم منه العدو، وهذا لم يكن من شأن العاقل فضلاً عن المسلم. **(قوله: وقيل: يعطى الرجل الخ)** هو قريب مما

يأكلون لحومهم) وقال: هم الذين يكثرون أكل اللحم كما كان عمر رضي الله عنه ينهى عن مداومة أكل اللحم خوفاً من تعود الشهوات والإسراف في النفقات، ولأنَّ أهل الدين والعلم قلما يكونون كثيري اللحم والسمن، فإنَّ السمن غالباً إنما يكون عن كثرة الأكل، وكثرة الأكل تكون عن الغفلة والتمتع بالشهوات، وهذا المعنى ليس مراداً هنا. **(وذكرت الغيبة عند ابن المبارك فقال: لو كنت مغتاباً أحداً لاغتبت والداي لأنهما أحق بحسناتي)** لانتفاعهما بها، فيه زجر عن الغيبة، وإنها تضر في الدنيا والآخرة. **(وقال يحيى بن معاذ)** مخاطباً الخطاب العام **(ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال إنْ لم تنفعه فلا تضره، وإنْ لم تسره فلا تغمه، وإنْ لم تمدحه فلا تذمه)** المقصود طلب عدم الأذية بالغيبة وغيرها، وفيه إشارة إلى أنّه ينبغي للعبد أنْ يكون نافعاً لغيره كالملائكة لا ضاراً كالشياطين والحيات ونحوهما.

(وقيل للحسن البصريّ: إنَّ فلاناً اغتابك فبعث إليه طبق حلواء، وقال: بلغني أنك أهديت إليَّ حسناتك فكافأتك) بذلك هذا من أحسن التأديب والإرشاد إلى ترك الغيبة فإنَّه نبهه بذلك على أنَّه أهدى إليه أحسن ما عنده مما ينتفع به في الآخرة فكافأه على ذلك من طيبات الدنيا، وهي الحلواء، وبعضهم فعل أتم من ذلك بلغه أنَّ رجلاً اغتابه فقال: والله لأغيظن من أمره بذلك، فقيل: ومن أمره بذلك فقال: الشيطان، ثم قال: اللهم اغفر له فلم يرض بأنَّه يكافئه بالعفو عنه فقط بل سأل الله له المغفرة ليتخلص من ذنبه، ويغيظ عدوه الذي أمره بذلك. **(أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصريّ قال: أخبرنا أحمد بن عمرو القطواني قال حدثنا سهل بن عثمان العسكريّ قال: حدثنا الربيع بن بدر عن أبان عن أنس بن مالك**

قبله، وإنما ذكره للمبالغة في التنفير. **(قوله: خوفاً من تعود الشهوات والإسراف في النفقات)** أي وذلك خروج عما هو الأفضل في حق العبد المكلف من التقلل في الدنيا اقتداء بسيد الكائنات، ففي ذلك أجر الإقتداء بالسيد الكامل مع ما ينضاف إلى ذلك من التفرغ للعبادة بالنشاط وجمع الهمة لعدم الشواغل، وما يوجب التثاقل والتكاسل من التوسع. **(قوله: وهذا المعنى الخ)** أي وإنْ كان منقولاً وارداً. **(قوله: فقال: لو كنت مغتاباً أحداً الخ)** المراد إفادة البعد عن الغيبة مطلقاً، وعلى الفرض البعيد لو اتفقت الغيبة لخصت بالوالدين لأنّهما الأحق بالحسنات من الولد. **(قوله: ليكن حظ المؤمن منك الخ)** أي فأقل درجة للمؤمن ما ذكره، وإلا فالكامل ينفع الأخ ويسره ويثني عليه الخير. **(قوله: فبعث إليه طبق حلو الخ)** أقول: يدل ذلك منه على زيادة عمله وقوّة يقينه وفنائه عن نفسه، وبلوغه أعلى درجة في الإرشاد، ومحبة الخير لإخوانه المؤمنين. **(قوله: وبعضهم فعل أتم من ذلك)** أقول: وجهه غني عن الإيضاح فهو مقام رفيع ودرجة عالية ومحبة خير

قال: قال رسول الله ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء عن وجهه فلا غيبة له» أي فلا حق له فيها فيما تجاهر به، ولا غيبة فيه، فلا إثم على من اغتابه فيه لأنه لم يكشف ستراً بل هو الذي كشف ستر نفسه، ولأنّه لم يتألم بما يقال فيه لأنّه الذي استحسنه وأظهره.

(**سمعتُ حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا طاهر محمد بن أسيد الرقي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: قال أبو القاسم الجنيد: كنت جالساً في مسجد الشونيزية**) ببغداد (**انتظر جنازة أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم**) أي مراتبهم (**جلوس ينتظرون الجنازة فرأيت فقيراً عليه أثر النسك**) أي العبادة (**يسأل الناس**) شيئاً (**فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه**) عن ذل السؤال (**كان أجمل به فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء**) كثير (**من الورد بالليل حتى البكاء والصلاة وغير ذلك فثقل عليّ جميع أورادي فسهرت، وأنا قاعد فغلبتني عيناي فرأيت ذلك الفقير جاؤوا به على خوان**) بكسر الخاء (ممدود) يؤكل عليه(**وقالوا لي: كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال فقلت: ما اغتبته إنما قلت في نفسي شيئاً فقيل لي: ما أنت ممن يرضى منك بمثله**) أي بمثل قولك هذا لكونك من أهل العلم والعمل، فأنت مقصر بجهلك إنَّ ذلك غيبة بخلاف من ليس بمثلك (**اذهب فاستحله فأصبحت فلم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند تراد الماء أوراقاً من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه فقال**) لي مكاشفاً لي بما وقع في نفسي وتأذى به: (**يا أبا القاسم تعود**) إلى ما صدر منك (**فقلت**) له: (**لا**) أعود (**فقال: غفر الله لنا ولك**) كل ذلك إكرام للجنيد ليتخلص في دنياه وأخراه من هذا الفقير. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميَ رحمه الله يقول: سمعت أبا طاهر الأسفرايني يقول: سمعت أبا جعفر البلخيَ يقول: كان عندنا شاب من أهل بلخ**

للإخوان زائدة. (**قوله: من ألقى جلباب الحياء**) أي بأن كان لا يبالي من فعل الذنوب جهلاً منه وحمقاً، فكان بذلك ممن عني سيد الكاملين بقوله: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»، ومثله لا حرمة له، فلا غيبة محرمة في حقه.

(**قوله: كنت جالساً الخ**) فيه تنبيه على مؤاخذة الكمل بخواطر قلوبهم تطهيراً لهم ليدوموا على بساط الأنس وموائد الجمال. (**قوله: فثقل على جميع أورادي**) أي بسبب شؤم الاعتراف بالغفلة عن السر في القضاء.

(**قوله: كل ذلك إكرام للجنيد**) أي بسبب تعجيل ما أيقظه ونبهه، ورجعه عما لابسه من تلك الخواطر التي لا تليق بكامل مثله. (**قوله: يقول: كان عندنا شاب الخ**) أقول:

وكان يجتهد) في الطاعة **(ويتعبد إلا أنه كان أبداً يغتاب الناس ويقول:)** الأولى فيقول: **(فلان كذا وفلان كذا، فرأيته يوماً عند المخنثين)** بسكر النون وبفتحها، وبالمثلثة أي المتشبهين بالنساء في أفعالهم وأقوالهم **(الغسالين)** للثياب **(خرج من عندهم فقلت)** له: **(يا فلان ما حالك)** أي ما سبب ما أنت فيه من هذا الحال **(فقال: تلك الوقيعة في الناس)** أي اغتيابي لهم **(أوقعتني)** في بلية فقد **(ابتليت بمخنث من هؤلاء)** المخنثين **(وأنا هو ذا أخدمهم من أجله)** بسبب محبتي لذلك المخنث **(وتلك الأحوال)** والمقامات التي كنت فيها ذهبت بسبب تلك الوقيعة **(فادع الله لي لعله يرحمني)**.

والابتلاء أقل طرق الجزاء في الاعتراض فنسأل الله العافية لنا ولإخواننا المؤمنين.

باب القناعة

هي الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من مأكل وملبس وغيرهما، وهي ممدوحة ومطلوبة.

باب القناعة

هي لغة: الرضا بالمقسوم، وعدم التشوف إلى ما سواه، يقال: قنع الرجل يقنع قناعة فهو قنع وقنوع، ويقال: أقنعه إذا أرضاه، ويقال: قانع أيضاً، ومن ذلك قول لبيد:

فمنهم سعيد آخذ بنصيبه ومنهم شقي بالمعيشة قانع

وثمرتها تفريغ القلب للمناجاة والسلامة من غرر التعرض للآفات والتحبب لخالق الأرض والسموات.

واعلم أنَّ القناعة باعتبار حال موصوفها أنواع ثلاثة: الأوّل الرضا بالمقسوم من غير إشراف على زائد مع التوفيق في طرق البذل، وهذا النوع من أخلاق العوام، والثاني الاكتفاء بما تندفع به الحاجة من غير التفات لغيره، وذلك من شيم الخواص، والثالث الاستغناء بالذكر، وسكر الفكر عن الإحساس بشيء من حظوظ النفس، وهو من منازل خواص الخواص العارفين رضي الله تعالى عن الجميع ورضي عنا ببركاتهم، ثم القناعة بأنواعها المذكورة من أسباب المزيد وطرق الإحسان، فالله يرزقنا التوفيق لمحابه، وسبب القناعة التكليفي حث الشارع عليها، وإرشاده إليها، وعلم ما يقاسيه الإنسان بفقدها من العذاب الناجز في قلبه وبدنه، فيكون دائم الهم متعوب الجسد لا يجد راحة ولا يكتفي بحاصل، ولا يرضى عن أحد من الخلق والله أعلم.

(**قوله: هي الاكتفاء بما تندفع به الحاجة**) أي الرضا بذلك بذوق: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع»، ثم إذا انضم لذلك شهود أنَّ الزائد عن ذلك ربما يطغى تحقق الرضا المذكور، وحسن الظن بالله تعالى. (**قوله: وهي ممدوحة**) أي مثني على المتخلق بها ومطلوبة أي طلبها الشارع من المكلفين على سبيل الندب، أو الوجوب، وذلك باعتبار ما استغنى عنه بوصف القناعة بما قسم له من نصيبه. (**قوله: قال الله تعالى**: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] الخ المعنى

(قال الله تعالى: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة﴾ [النحل: ٩٧] قال كثير من أهل التفسير: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة. أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي قال: أخبرنا أبو عمرو محمد بن جعفر بن مطر قال: حدثنا محمد بن موسى الحلوانيّ قال: حدثنا عبد الله بن إبراهيم الغفاريّ عن المنكدر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «القناعة كنز لا يفنى»)[(١)] وقال ﷺ: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[(٢)] أي

والله أعلم من عمل صالحاً أيّ عمل كان، وفيه تحريض لكل مؤمن على العمل الصالح، وقوله تعالى: ﴿مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ﴾ مبالغة في بيان شموله للكل وهو مؤمن قيد به لأنه لا اعتداد بأعمال الكفرة في استحقاقهم الثواب، وتخفيف العذاب لقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣] وإيثار إيراده بالجملة الإسمية الحالية على نظمه في سلك الصلة لإفادة وجوب، دوامه، ومقارنته للعمل الصالح، وقوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ أي في الدنيا بأنْ يعيش عيشاً طيباً فإنْ كان موسراً فظاهر، وإنْ كان معسراً فطيب عيشه بالقناعة والرضا بالقسمة، ويؤجر الأجر العظيم كالصائم يطيب نهاره بنعيم ليله بخلاف الفاجر، فإنّه إنْ كان معسراً فظاهر، وإنْ كان موسراً فلا يدعه الحرص وخوف الفوات أنْ يتهنأ بعيشه. (قوله: الحياة الطيبة في الدنيا القناعة) أقول: كيف لا تكون هي القناعة، وهي سبب المزيد المرتب عليه الشكر. (قوله: القناعة كنز لا يفنى) أي لأنّها تثمر سكون القلب لمرادات الرب وتقطع عن الشواغل الدنية، وتحمل على علو الهمة اهـ.

روى مسلم يرفعه إلى حكيم بن حزام قال: «سألت النبي ﷺ فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم سألته فأعطاني، وقال: إنّ هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بطيب نفس بورك له فيه ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه، وكان كالذي يأكل ولا يشبع واليد العليا خير من اليد السفلى فقال حكيم، فقلت: يا رسول الله والذي بعثك بالحق لا أرزأ بعدك أحداً شيئاً حتى أفارق الدنيا، وكان أبو بكر يدعوه فلم يقبل منه، وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فلم يقبل منه شيئاً فقال عمر: إني أشهدكم يا معشر المسلمين على حكيم».

(قوله: من حسن إسلام المرء تركه الخ) منه يعلم أنّ اشتغال الإنسان بما يزيد عن

(١) أخرجه السيوطي في (الدر المنثور ١/ ٣٦١) والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/ ٥٩٠).

(٢) أخرجه ابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٣/ ٩٠٧، ٤/ ١٥٨٨، ٦/ ٢٣٤١) والهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/ ١٨) وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٢٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣/ ٨٢٩١).

وهو ما لا حاجة له به، وقال: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»، وثمرة القناعة في الدنيا السلامة من المطالبة بالحقوق، وما يتبعها من التعب، وفي الآخرة السلامة من طول الحساب. (**أخبرنا أبو الحسن الأهوازي قال: أخبرنا محمد بن عبيد البصري قال: حدثنا عبد الله بن أيوب المقري قال: حدثنا أبو الربيع الزهراني قال: حدثنا إسماعيل بن زكريا عن أبي رجاء عن برد بن سنان عن مكحول عن واثلة بن الأسقع عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كن ورعاً تكن أعبد الناس»**)[1] لأنَّ الورع يتجنب ما يضره شرعاً، فيكون أعبد الناس (**وكن قنعاً تكن**

قدر حاجته بشاهد علم المتابعة يصير إسلامه غير حسن، وذلك ظاهر لأنّه خلاف القصد من حكمة إيجاده التي هي تفرغه لعبادة ربه والله أعلم.

(**قوله: وقال: اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً**) أي لا زائداً عليه مما شأنه أنْ يشغل عما للحق تعالى، فهو حينئذ دعاء لهم رحمة بهم وشفقة عليهم.

(**قوله: السلامة من المطالبة الخ**) أي مع ما فيها من نوع الإذلال وشغل الفكر بما لا ضرورة إليه، وقوله: وما يتبعها من التعب أي اللازم في الغالب، ولا سيما لمن تهافت على التحصيل. (**قوله: وفي الآخرة السلامة الخ**) أي السلامة من طول الحساب على طرق التحصيل والبذل، وقد ورد من نوقش الحساب هلك. (**قوله: «كن ورعاً تكن أعبد الناس»**) أي من أعبدهم. (**قوله: كن ورعاً الخ**) أقول قد جمع ﷺ في هذا الخبر الشريف سبل الرشاد ديناً ودنيا بأوجز عبارة ولطف إشارة، فسبحان من خصه بجوامع الكلم ومنح التوفيق من عنه فهم. (**قوله: تكن أشكر الناس**) قلت: الشكر ضامن لثلاثة أشياء ضبط النعم عن الزوال، وتغير الحال بالانتقال وزيادتها في الحال، وبركتها في المآل، واتصال العبد بمولاه على وجه العافية بلا إخلال قالت الحكماء: الشكر قيد الموجود وصيد المفقود، وقالوا أيضاً: من لم يشكر النعم سلبها من حيث لا يعلم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبرهيم: ٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١] أي إذا غيروا ما بأنفسهم من الطاعة وهي شكر النعم غير الله ما بهم أي ما من به عليهم من الإحسان، وفي ذلك أنشدوا:

---

(١) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٤٢١٧) والهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ٣١٨) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٨/ ١٦٠) والمنذري في «الترغيب والترهيب ٢/ ٥٦٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٤٣٤٩٨) والألباني في (السلسلة الصحيحة ٩٣٠) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٥) وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ١٦٨) والخرائطي في (مكارم الأخلاق ٣٩) وأبو نعيم في (تاريخ أصبهان ٢/ ٣٠٢) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٢٣٣) في (الكامل في الضعفاء ٩/ ٢٤٣٣) والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٤٥).

أشكر الناس) لأنَّ القنع يكتفي بما فتح الله به عليه فتكثر نعم الله عليه، فيكون أشكر الناس بخلاف الشره لأنه لا يرى من النعم إلا العظائم فيقل شكره **(وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمناً)** كاملاً لأنَّ محبة ذلك من أشرف الأخلاق وكمال الأخوّة في الدين **(وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلماً)** كاملاً لأنه ﷺ قال: «أوصاني جبريل بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»[1] **(وأقل الضحك فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب)** لتوالي الغفلات عليه عن أمر الآخرة كما قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] فجعل الكفر والغفلة عن الله موتاً، والإيمان والطاعة والمعرفة بالله

إذا كنت في نعمة فارعها ... فإنَّ المعاصي تزيل النعم
وداوم عليها بشكر الإلٰه ... فإنَّ الإلٰه سريع النقم
إذا تم شيء بدا نقصه ... توقع زوالاً إذا قيل تم

(قوله: لأنَّ القنع) أي القانع من الخلق يكتفي الخ أي فهو لا يتشوف إلى زائد عما فتح الله به عليه بل يراه زائداً عما يستحقه فتكثر نعم الله عليه لأنَّ ذلك ثمرة شكره بوعد الصدق، قال تعالى: **(لئن شكرتم لأزيدنكم)**. **(قوله: ما تحب لنفسك)** أي مثل ما تحبه لها. **(قوله: تكن مؤمناً)** أي تكن كامل الإيمان بمحبتك لغيرك من النعم مثل ما تحبه لنفسك، وأكمل من ذلك إيثارك لغير ذلك بالفعل أو محبة إيثاره بالنعم. **(قوله: تميت القلب)** أي تزيده موتاً وإلا فأصل الضحك يميته لأنَّ سبب الضحك كثرة الغفلات، وعموم الجهالات، وذلك بإشارة: «لو علمتم مثل ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً» اهـ.

فائدة: إذا عزم العبد الموفق على القناعة وأخذ الكفاف فليأخذه من وجوهه المحمودة شرعاً، ويبعد عن السبل المائلة إلى الإنحراف، وذلك ككسبه بنفسه من صناعة بالنصح، أو تجارة بالصدق، أو صيد البر والبحر أو ما يجري هذا المجرى، واعلم أنَّ أخس الاكتساب الأكل بالدين، والتشبه بالزهاد، وملازمة مواطن الصدقات مع دعوى التوكل إذ ذلك أوساخ مذمومة. **(قوله: فجعل الكفر الخ)** أقول: ذلك تقريب للعقول بما تعهد في الموت من عدم الإحساس لمن قام به، وعدم انتفاعه بشيء لانقطاع أعماله، وإلا فالكفر أقبح وأضر.

(قوله: والإيمان والطاعة والمعرفة بالله حياة) أي فكما أنَّ الحياة تفيد الحس بالملذوذات وبها تتم المنافع، فكذلك الإيمان وما عطف عليه بل فائدة ذلك المنافع الدنيوية والأخروية، والمعيشة الهنية المرضية السرمدية.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٤٥٨) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١/ ٢٩١، ٢٩٢) والسيوطي في (الدر المنثور ٢/ ١٥٩) وابن أبي شيبة في (المصنف ٨/ ٣٥٩).

حياة. (**وقيل: الفقراء**) من الدنيا (**أموات**) قلوبهم بغفلتها عن أمور الآخرة (**إلا من أحياه الله بعز القناعة**) ورضي بما يسره الله له فقلبه حي لانتفاء الغفلة عنه، (**وقال بشر الحافي: القناعة ملك لا يسكن إلا في قلب مؤمن**) كامل لأنه محل شريف.

(**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد الشعراني يقول: سمعت إسحاق بن إبراهيم بن أبي حسان الأنماطي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: القناعة**) أي منزلتها (**من الرضا بمنزلة الورع من الزهد هذا**) أي القنع (**أول**) منازل (**الرضا وهذا**) أي الورع (**أول**) منازل (**الزهد**) لأنّ القناعة هي الرضا بما قسم الله ومتى تمكن العبد فيها رضي بكل ما يجريه الله عليه، والورع هو الإعراض عما فيه شبهة، ومتى تمكن العبد فيه خفّ عليه مقام الزهد الذي هو الإعراض عما لا شبهة فيه.

(**وقيل: القناعة السكون عند عدم المألوفات**) لرضاه بما أجراه الله عليه، فلا يطلب زيادة عليه بمعاملة غيره (**وقال أبو بكر المراغي: العاقل من دبر أمر الدنيا بالقناعة والتسويف**) لأنّ العاقل يتصرف في كل محل بما يليق به لمعرفته أنّ الدنيا زائلة فيكتفي بما تيسر له، وإنْ تشوفت نفسه لزيادة سوّف لها الآمال تمشية لحالها كأنْ يقول: إنْ عشت لوقت آخر كان كيت وكيت، فيقنعها بما حصل في الوقت (**وأمر الآخرة بالحرص والتعجيل، وأمر الدين بالعلم والاجتهاد، وقال أبو عبد الله بن**

(**قوله: الفقراء من الدنيا أموات**) أي فالتقلل من الدنيا لا يمدح، وتحسن عاقبته إلا إذا صاحبه القنع والرضا بالمقسوم، فالمراد بالفقراء من فقرهم إضطراري. (**قوله: وقال: بشر: الخ**) يريد أن وصف القنع لا يكون إلا لمن سبقت له العناية بطهارة القلب من رجس الشهوات مع قوّة اليقين، وصدق التفويض لأنّ النور لا يجامع الظلمة. (**قوله: القناعة أي منزلتها الخ**) أي فهي أساس الرضا كما أنّ الورع أساس الزهد، وقد وضح الشارح ذلك. (**قوله: القناعة السكون الخ**) أي وذلك لا يكون إلا بفناء مراد العبد في مراد الرب ويسهل ذلك ذوق: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع»، وما ذكره نتيجة القناعة وثمرتها لا عينها كما هو واضح. (**قوله: العاقل من دبر الخ**) أي الكيس من دبر نفسه في الدنيا بالتخلق بالقناعة وسلاها وقت انزعاجها وقلقها بالتسويف بل وبالرضا بالمقسوم نظراً إلى أنّ المزيد ربما كان استدراجاً، وذلك وخيم العاقبة، قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٤٤] قال سهل: أي نمدهم بالنعم وننسيهم الشكر عليها حتى إذا ركنوا للنعمة وحجبوا عن المنعم أخذوا، وقيل: كلما جدّدوا معصية جدّدنا لهم نعمة وأنسيناهم الاستغفار من تلك المعصية، وذلك مأخوذ من قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]. (**قوله: وأمر الآخرة الخ**) أي ودبر أمر

خفيف: القناعة ترك التشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود) لأنّ من استغنت نفسه بما تيسر لها لم يتشوف إلى زيادة على ما حصل له.

(وقيل: في معنى قوله تعالى: ﴿لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ [الحج: ٥٨] يعني بالرزق الحسن **(القناعة وقال محمد بن علي الترمذي: القناعة رضا النفس بما قسم لها من الرزق ويقال: القناعة الإكتفاء بالموجود، وزوال الطمع فيما ليس بحاصل)** كل ذلك علم مما مرّ. **(وقال وهب: إنّ العز والغنى خرجا يجولان)** أي يطوفان **(يطلبان رفيقاً فلقيا القناعة فاستقرا)** عندها فمن تمكن فيها حصل له العز بالله والإستغناء به عن غيره. **(وقيل: من كانت)** له **(قناعته سمينة)** أي غزيرة **(طابت له كل مرقة)** فيه إشارة إلى أنّ من كملت قناعته اكتفى بأيسر شيء من الدنيا. **(وقيل: مرّ أبو حازم بقصاب)** أي جزار **(معه لحم سمين فقال)** له: **(خذ يا أبا حازم)** من هذا اللحم **(فإنّه سمين فقال: ليس معي درهم)** آخذ به **(فقال: أنا أنظرك فقال: نفسي**

الآخرة بالحرص أي الجد والتعجيل خوف الفوات بفجأة الأسباب، ودبر أمر الدين بالعلم تعلماً والاجتهاد في تحصيل ثمرة ذلك من العبادة عملاً بقوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [آل عمران: ١٣٣]. **(قوله: القناعة ترك التشوف الخ)** أي وذلك بشاهد أن منع الله عين عطائه إذ لا يمنع مع بخل، ولا من عدم مع ما يترتب على المنع من دوام اللجا إليه والاستمرار بين يديه، وحسن الاختيار فيما وجه به إليه فهو تعالى إنما يمنع رحمة بالعبد غير أنّ شهود العطاء في المنع إنما يكون من صدّيق، هذا، وقوله: ترك التشوف الخ أقول: ذلك من فوائد القناعة وثمرتها إذ هي الرضا، وترك التدبير تسليماً لحكم العليم الخبير.

(قوله: وقيل: في معنى قوله تعالى: الخ) أقول: كل قد تكلم بحسب شربه من القناعة وما منحه منها، وما ذاقه من معناها. **(قوله: القناعة الإكتفاء الخ)** قال الشيخ محيي الدين بن عربي قدس سره: إذا منعك فذاك عطاؤه، وإذا أعطاك فهو منعه فاختر الترك على الأخذ **(أقول)** ومحل ذلك إذا كان العطاء صارفاً للعبد عن باب سيده فلعله اعتبر الشأن والغالب. **(قوله: وقال: وهب الخ)** مراده الحث على القناعة لأجل نيل العز والغنى بأبلغ عبارة، وأوجز إشارة. **(قوله: طابت له كل مرقة)** أقول: ذلك كناية عن الرضا بالقليل المتيسر سواء كان مرقاً أو غيره. **(قوله: فقال نفسي الخ)** أقول: ولذا قال بعض الحكماء، الصبر على العدم أيسر من تقلد المنن مع ما فيه من صرف الوجه إلى المخلوق والأنس به، وربما أدّى للاعتماد عليه، فكان سبب الطرد والإبعاد عن باب الكريم المنان مع ما في ذلك من شغل الوقت بهم المكافأة طلباً للسلامة، وإلا كان ذليلاً في الخلق، وقد قيل: عز النزاهة أشرف من سرور الفائدة، وقال أبو الحسن: اهرب من

أحسن نظرة) بكسر الظاء أي تأخيراً وصبراً **(لي منك)** فيه إشارة إلى أنَّ من كمل زهده في شيء قلت رغبته فيه وقوي صبره عنه، ولم يذل نفسه في تحصيله **(وقيل لبعضهم: من أقنع الناس فقيل: أكثرهم للناس معونة)** على مقاصدهم **(وأقلهم عليهم مؤنة)** لأنَّ من قنع بما يسره الله عليه تفرغ من هموم الدنيا، وأعان الناس، ومن رفع مؤنته عنهم، ولم يزاحمهم فيما بأيديهم اكتفى بما يسره الله له، ففي ذلك دلالة على كمال قناعته باليسير من الدنيا، وهذا استدلال بثمرة القناعة عليها **(وفي الزبور «القانع غني وإنْ كان جائعاً»)** لأنّ غناه ليس بما يملكه أو يأكله بل بما يختاره الله له من جوع وشبع وغيرهما، **(وقيل وضع الله تعالى خمسة أشياء في خمسة مواضع العز في**

خير الناس أكثر مما تهرب من شرهم، فإنْ خيرهم يصيبك في قلبك وشرهم يصيبك في يدك، ولأنْ تصاب في بدنك خير من أنْ تصاب في قلبك، ولعدوّ ترجع به إلى الله خير من صديق يصدك عن الله تدبر تفهم والله سبحانه أعلم.

تنبيه: منع الله تعالى عين عطائه، وعطاء الخلق عين المنع، فحيث كان كذلك وجب الإعراض عنهم بتحقق الإقبال عليه تعالى، وذلك يوجب وجود إكرامه وإحسانه بلا مهلة، ولا تراخ، ولذا قال صاحب الحكم العطائية: جل ربنا أنْ يعامله العبد نقداً فيجازيه نسيئة، قلت: فجزاء الحق جميعه معجل إذ الآتي قطعاً كالموجود في الحال، وذلك لأنَّ الكريم إذا أعطى كمل وإذا خوّل نوّل، وإذا تفضل أوصل، والعبد فقير في الحال والمآل، فيقدم له بالحكمة ما يحتاج إليه ويؤخر له بها ما تفضل به عليه، فافهم والله تعالى أعلم.

(قوله: نفسي أحسن) نظرة وجه ذلك البعد عن متابعة الشهوات وذل المنة والدين وحمل النفس على علو الهمة. **(قوله: أكثرهم للناس معونة)** فيه تنبيه على أنَّ من قصر نظره على الحق ورضي بما أولاه بحكمه ثبت غناؤه وانتفع به أحباؤه، وقوله: وأقلهم عليهم مؤنة أقول في وصية عليّ كرم الله وجهه، لا تجعل بينك وبين الله منعماً، واعدد نعمه عليك مغرماً، فلله در القائل **(شعراً)**:

فلا ألبس النعما وغيرك ملبسي ولا أقبل الدنيا وغيرك واهبي

جبر الله صدع قلوبنا بالإقبال عليه، ومنَّ علينا في كل حال بالدوام بين يديه.

(قوله: وفي الزبور الخ) أي فهي من الشرائع القديمة، وقد أكدتها الشريعة الخاتمة.

(قوله: القانع غنيّ) أي كالغني في استغنائه عن غيره، فكما أنَّ الغني لا ينظر إلى غيره استغناء بماله، فكذلك القانع اكتفاء بقناعته قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(قوله: وقيل: وضع الله خمسة أشياء الخ) أي جعلها متلازمة في الوجود، ولا

الطاعة والذل في المعصية) لأنّ المطيع عزيز في الدنيا والآخرة والعاصي ذليل فيهما **(والهيبة في قيام الليل)** لأنَّ من قامه وتذلل بمناجاته لمولاه فقد أجلّ الله، ومن أجلَّ الله وترك راحته ولذته للتنعم بمناجاته أجلّه الله عنده وعند الناس، وجعل له عندهم هيبة **(والحكمة في البطن الخالي)** لأنَّ خلوه أبلغ في بلوغها وإصابة الحقّ فيها، بخلاف غير الخالي لأنَّ البطنة تذهب الفطنة **(والغنى في القناعة)** لما مرّ أنها كنز لا يفنى. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت نصر بن محمد يقول: سمعت سليمان بن أبي سليمان يقول: سمعت أبا القاسم ابن أبي نزار يقول: سمعت إبراهيم المارستاني يقول: انتقم من حرصك)** على الدنيا **(بالقناعة كما تنتقم من عدوّك بالقصاص)** لأنّ من اشتدّ حرصه على الدنيا كان حرصه عليها عدوّاً له يوقعه في الشر، فإذا أراد أن ينتقم منه قنع منها باليسير زهداً فيها، وإعراضاً عن جمالها وحبها. **(وقال ذو النون المصريّ: من قنع)** وتفرغ لعبادة مولاه **(استراح من)** مزاحمة **(أهل زمانه)** في الأسواق وغيرها **(واستطال على أقرانه)** أي عز في نفسه، وارتفعت مرتبته عليهم في الدنيا والآخرة، واستغنى عنهم بفضل الله عليه **(و)** لهذا

يصح أن يطلب على وجود الشمس دليل كما هو غني عن التوضيح. **(قوله: لأنَّ خلوه أبلغ في بلوغها)** أي بلوغها الدرجات بالخفة لأداء العبادات.

(قوله: والغنى في القناعة) هو محل شاهد الباب. **(قوله: كما تنتقم من عدوّك الخ)** أي فينبغي للإنسان أنْ يقوم على نفسه حتى يقطع عنها علق الحرص قطعاً لا يبقى لها معه أثر.

(قوله: لأنَّ من اشتد حرصه الخ) توضيح للتشبيه في كلام المصنف، وذلك ظاهر. **(قوله: من قنع استراح الخ)** ترغيب في القناعة ببيان ثمرتها، ووجهه شهود أنَّ لا فعل لغيره سبحانه، ولذا قال الشيخ الأكبر قدّس سره، من شهد الناس لا فعل لهم فقد فاز، ومن شهدهم لا حياة لهم فقد جاز، ومن شهدهم عين العدم فقد وصل فافهم.

(قوله: واستطال على أقرانه) أي لأنه قد تفرغ لعبادة ربه، وذلك أعلى ما يمنحه العبد، ولذا قال صاحب الحكم العطائية: كفى من جزائه إياك على الطاعة أنه يرضاك أهلاً لها أي، فما جرى عليك من وجوه الكمال فمنة ورحمة واجهتك منه قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] وقال: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] وتوضيحه إنَّ الطاعة كمال فالمنة عليك فيها بتوفيقك لها، وهي أمان لك في الدنيا والآخرة، فالمنة بتأمينك فيهما، وعز وغنى لك في الدارين بسبب ما أودع الله فيها من الخواص، وما وعد عليها من الثواب. **(قوله: أي عز في نفسه)** أي ولذا قيل: عز من قنع، وذل من طمع. **(قوله: وقال**

(قيل: من قنع استراح من الشغل) بغير الطاعة (واستطال على الكل) بالعز والمروءة، (وقال الكتاني: من باع الحرص بالقناعة ظفر بالعز والمروءة) لما مرّ. (وقيل: من تبعت عيناه ما في أيدي الناس طال حزنه وهمه) على امتيازهم عنه لأنّ المقادير لا تجري على وفق غرضه (وأنشدوا) في ذلك:

(وأحسن بالفتى من يوم عار ... ينال به الغنى كرم وجوع)

أحسن مبتدأ خبره كرم وجوع، والمعنى يوم يكون العبد فيه جائعاً كريم النفس عن الحرص والشره أحسن من يوم يكون فيه ذا عار وذل لينال بذلك الغنى (وقيل: رأى رجل حكيماً يأكل ما تساقط من البقل على رأس ماء فقال) له: (لو خدمت السلطان لم تحتج إلى أكل هذا) البقل المرمي لأنّ فيه نقصاً ومذلة في الدنيا عند أربابها (فقال) له: (الحكيم وأنت لو قنعت بهذا) الذي قنعت أنا به (لم تحتج إلى خدمة السلطان) التي فيها مذلة في الدنيا والآخرة عند العقلاء. (وقيل: العقاب) لما فيه من القوة على الطيران والعلو في الجوّ (عزيز في مطاره) أي طيرانه، أو محل طيرانه (لا يسمو) أي يعلو (إليه طرف صياد) أي بصره (ولا طمعه) في أن يصيده (فإذا طمع) العقاب (في جيفة علقت على حبالة) أي شبكة يصاد بها (نزل من مطاره إليها (فتعلق في حباله) أي شباكه فكذلك القنوع لا يزال عزيز النفس سالماً من المذلة حتى يلوح له شيء من الدنيا، فيطمع في نيلها، فيزول عزه ويحل به ذله، ولهذا لما دخل الحسن البصريّ مكة ورأى رجلاً من أولاد فاطمة قد أسند ظهره إلى الكعبة،

الكتاني: الخ) هو قريب مما قبله. (قوله: من تبعت عيناه الخ) ذلك ترغيب في القناعة بتوضيح غوائل ضدها، ويدل لذلك قوله جل شأنه ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾ [الحجر: ٨٨] الآية. (قوله: وأحسن بالفتى الخ) أحسن مبتدأ، وقوله: كرم وجوع خبره وقوله: ينال به الغنى صفة ليوم عار، وأنت خبير بأنْ أفعل التفضيل بحسب الظاهر فقط، وإلا فلا حسن في الغنى مع العار. (قوله: فقال له الحكيم الخ) أي فقد أشار له بأن مذلة الدنيا فقط أخف من مذلة الدنيا والآخرة، وهو كذلك بشاهد النقل والعقل.

(قوله: وقيل: العقاب الخ) هذا المثال الغرض منه تحذير ذي الهمة من السقوط عنها، فإنَّ الحرمان بعد ذوق لذة الوصول من أقبح ما يلاقي الإنسان في الدنيا، فالميل إلى الشيء الدنيء بعد الترفع إلى منازل العز موجب للإنحطاط في الدركات، وربما كان سبباً لدوام الإبعاد، والعياذ بالله تعالى، فالدوام على علوّ الهمة يوجب دوام العز، وانحطاطها يوجب حلول الذل، فإياك وسقوط الهمة.

(قوله: ولهذا لما دخل الحسن الخ) قد تقدم ذكر ذلك وأعاده لمناسبة المقام.

وهو يعظ الناس، فسأله ما ملاك الدين فقال: الورع فقال: وما فساده فقال: الطمع فقال له: مثلك يصلح أن يعظ الناس. (**وقيل: لما نطق موسى عليه السلام بذكر الطمع فقال: لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال له الخضر:**) وهو عند الأكثرين نبي، وقيل: ولي (**هذا فراق بيني وبينك**) المشهور أنه إنما قال ذلك بحكم الشرط، وهو قوله: إنْ سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني مع أنّ ما قاله هنا قد يقال ليس فيه طمع لأنّ أخذ الأجرة على العمل لا طمع فيه، وقد تقدم في الآية أنهما استطعما أهلها لا موسى وحده (**وقيل: لما قال موسى عليه السلام ذلك**) أي ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] (**وقف**) خرقاً للعادة (**بين يدي موسى والخضر عليهما السلام ظبي وكانا جائعين الجانب الذي يلي موسى عليه السلام غير مشوي**) أي نيء ففيه تعب للطمع (**والجانب الذي يلي الخضر مشوي**) فلا تعب فيه لعدم الطمع (**وقيل: في قوله تعالى:** ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣] هو أي النعيم (**القناعة في الدنيا**) وفي قوله: ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٤] أي الجحيم (**الحرص في**) وفي نسخة على (**الدنيا**) هذا تفسير باللازم لأنّ من قنع باليسير استراح سره، وقل تعبه، فكان منعماً، ومن اشتدّ حرصه كثر تعبه، وقلت راحته وكان معذباً (وقيل: في قوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾ [البلد: ١٣] أي فكها من ذل الطمع، وقيل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] يعني البخل

(**قوله: وقيل: لما نطق موسى بذكر الطمع**) أي بذكر ما هو على صورته كما يرشد إليه قوله: ﴿قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] لأنّ الأجر ليس من الطمع في شيء، وحينئذ فلا حاجة لما أطال به الشارح.

(**قوله: بذكر الطمع**) أقول: لعل العنوان به للإشارة إلى أنّ ما ذكره ليس من ملائمات مقامه لأنّ شأن مثله التقى والإعراض عن سفساف الأشياء.

(**قوله: المشهور الخ**) الغرض التورك على المصنف في نسبة الطمع لسيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام، وقد علمت ما فيه. (**قوله: ففيه تعب للطمع**) لا تغفل عن كون المراد منه ما هو على صورته. (**قوله: وقيل في قوله تعالى الخ**) هو وما بعده من قبيل تكثير الأدلة على طلب القناعة. (**قوله: هو أي النعيم القناعة وقوله: هو أي الجحيم الحرص**) أقول: إنما حملا على ما ذكر تفخيماً للقناعة وتقبيحاً للحرص، وإلا فالذي ذكر في معناها أنّها مسوقة لبيان نتيجة الحفظ والكتاب المذكورين قبلها من الثواب والعقاب يوم القيامة، ومثل ذلك يقال في الآيات بعدها فتدبر معانيها عند من يعانيها. (**قوله: استراح سره الخ**) أي استراح في الدنيا والآخرة ومثل ذلك يقال في مقابله: خلافاً لما يظهر من كلام الشارح، وإنْ كان فيه مجاراة لكلام المؤلف. (**قوله: أي فكها من ذلك**

والطمع ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣] يعني بالسخاء والإيثار، وقيل في قوله تعالى: حكاية عن سليمان عليه السلام ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ﴾ [ص: ٣٥] أي مقاماً في القناعة أنفرد به من بين أشكالي وأكون راضياً فيه بقضائك) وقدرك (وقيل: في قوله تعالى) حكاية عن سليمان عليه السلام ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [النمل: ٢١] يعني لأسلبنه القناعة ولأبتلينه بالطمع يعني أسأل الله سبحانه أنْ يفعل به ذلك كل ذلك يدل بهذه التفاسير على أنَّ القناعة باليسير من الدنيا وصف محمود، وأنَّ الطمع فيها، والبخل بها وصف مذموم (وقيل لأبي يزيد: بم وصلت إلى ما وصلت) إليه من مقامك العظيم؟ (فقال: جمعت أسباب) الوصول إلى (الدنيا فربطتها بحبل القناعة) باليسير منها (ووضعتها) أي الأسباب (في منجنيق الصدق) في البعد عنها (ورميت بها في بحر اليأس) من رجوعي إليها (فاسترحت) من تعبها ووصلت إلى ربي أي دام شغلي به دون غيره. (سمعت محمد بن عبد الله الصدفي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن فرحان بسامرة) بلدة ببغداد، وأصله سر من رأى (يقول: سمعت خالي عبد الوهاب يقول: كنت جالساً عند الجنيد أيام الموسم، وحوله جماعة كثيرون من العجم والمولدين، فجاءه إنسان بخمسمائة دينار ووضعها بين يديه وقال) مقصودي (تفرقها على هؤلاء الفقراء فقال: ألك غيرها فقال: نعم لي دنانير كثيرة فقال: أتريد غير ما تملك فقال: نعم فقال له الجنيد: خذها فإنك أحوج إليها منا ولم يقبلها) منه لأنَّه مع جماعته الذين سلموا انقيادهم إليه هم أغنياء بالله وبذكره ومناجاته، فلا حاجة لهم بالمال، وفي ذلك دلالة على أنَّ الجنيد أراد أن ينقل هذا الإنسان إلى أعلى من درجته، وأن يعرفه أنّ لله عباداً أغنياء به، وبمناجاته لأنَّه لما حسنت نيته وهان عليه بذل خمسمائة دينار لواحد معه جماعة من أهل الخير دل على قوّة ميله إلى أهل الخير وبعده عن الدنيا في الجملة والله أعلم.

الطمع) أي من الذل الناشىء عن الطمع، فهو من إضافة المسبب إلى السبب.

(قوله: كل ذلك يدل الخ) أي والشيء إذا تكرّر مدحه دل على طلبه طلباً حثيثاً، فعلى الإنسان القيام على نفسه بالتخلق بالقناعة ليفوز بالعز والشرف. **(قوله: فقال: جمعت أسباب الخ)** المراد أنَّه اتصف بالقناعة على وجه لا يمكن انفكاكه عنه، فكان ذلك من أسباب وصوله إلى ربه حيث قطع عن نفسه أسباب الشهوات التي هي من أقوى الحجب بين العبد وربه.

(قوله: يقول: كنت جالساً الخ) في ذلك تنبيه على أنَّ سهولة الإنفاق في وجوه الخيرات لا تكفي في شرف النفس إلا إذا صاحب ذلك عدم التطلع إلى زائد عما منح بوصف قناعة القلب.

باب التوكل

هو الاعتماد على الله تعالى وقطع النظر عن الأسباب مع تهيئتها ولهذا قال

باب التوكل

اعلم أنَّ حقيقة التوكل هي كلتك أمرك إلى مولاك، والتجاؤك إلى علمه ومراقبته ليدبر أمرك، ويكفيك همك، وهو بهذا المعنى من أخلاق العوام، إذ هو في طرق الخواص عمى عن الكفاية، ورجوع إلى الأسباب لأنك برفضك لها ووقوفك مع التوكل صار بدلها فكأنك معلق بما رفضته من حيث اعتقادك الانفصال عن تلك الأسباب، فحقيقة التوكل عند القوم كلة الأمر في تخليص القلب من علة التوكل بشاهد علمه أنَّ الله سبحانه لم يترك شيئاً هملاً بل فرغ من الأشياء وقدّرها، وإنْ اختل منها شيء في المفعول أو تشوّش في المحسوس، أو اضطراب في المعهود، فهو المريد، وشأنه سوق المقادير إلى المواقيت، فالتوكل إراحة النفس من كل النظر، ومن مطالعة السبب سكوناً إلى ما سبق في القسمة مع استواء العالمين في النظر، ومع علم أنَّ الطلب لا يجمع، والتوكل لا يمنع، فمتى طلب بتوكله عوضاً كان توكله معلولاً، وقصده مدخولاً، فإذا تخلص من رق الأسباب، ولم يلاحظ في توكله سوى خالص حق الله تعالى عليه كفاه الله كل مهم.
والتوكل لغة: إظهار العجز، والاعتماد على غيرك والاسم التكلان، وهذا معناه شرعاً أيضاً، وهو ينقسم إلى واجب ومندوب، والثاني متفاوت في الرتب والمقامات، فالواجب ما حبس على فعل الواجبات، وحجز عن فعل المحرمات، ولا تخفى الصور المحققة لذلك على من له إلمام، والمندوب اعتماد القلب على حسن صنيع الرب في سائر الحركات والسكنات، وعدم الالتفات إلى الأسباب اشتغالاً عنها بموجدها في كامل الأوقات.

(**قوله: هو الاعتماد الخ**) أي ثقة بالوعد الصدق، وقوله: وقطع النظر عن الأسباب عطف لازم، وذلك يتحقق بشهود أنَّه لا مؤثر في شيء سواه تعالى. (**قوله: مع تهيئتها**) أي مع العمل بها قياماً بطلبها، وذلك لا ينافي التوكل إلا مع الاعتماد عليها، والركون إليها، وإلا فكل منهما مطلوب شرعاً. (**قوله: ولهذا قال ﷺ:**) أي في قصة الأعرابي الذي قال له في شأن ناقته حين سأله: ادعها وأتوكل فقال له: إرشاداً له «اعقلها

ﷺ: «اعقل وتوكل» ويقال: هو كلة الأمر كله إلى مالكه، والتعويل على وكالته يعني عملاً بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩] ويقال: هو ترك السعي فيما لا تسعه قدرة البشر ويقال: هو ترك الكسب وإخلاء اليد من المال وردّ بأنَّ هذا تأكل لا توكل، وسيأتي شيء مما يقارب ذلك، والتوكل ممدوح ومطلوب. **(قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾** [الطلاق: ٣] أي كافيه **(وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾** [التوبة: ٥١] وقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣] وقضية هذا أنَّ التوكل من لوازم الإيمان فينتفي بإنتفائه إذ الإيمان هو التوحيد، ومن اعتمد على غير الله لم يوحده بالحقيقة، وإنْ وحده باللسان. **(أخبرنا الإمام أبو**

وتوكل»[1] أي فالتوكل لا ينافيه الأخذ بالسبب لأنَّ التوكل من أعمال القلوب، والكسب من أعمال الجوارح، فالمدار على أنَّ العبد لا يعتمد على غيره تعالى في شيء من الأشياء.

(قوله: ويقال: هو كلة الأمر الخ) أي تفويضه إلى مالكه وموجده، ومدبره بسابق حكمته العلية. **(قوله: والتعويل)** أي الاعتماد على وكالته أي تصرفه في خلقه من غير التفات إلى غير ذلك، وذلك كما ترى لا ينافي الأخذ بالأسباب. **(قوله: ويقال: هو ترك السعي الخ)** أي ترك التدبير فيما غاب عنا أمره مما استأثر الله به وقوفاً مع الأدب في حق الرب تبارك وتعالى.

(قوله: بأنَّ هذا تأكل الخ) أي لأنَّ فيه إبطال حكمة الأسباب، وذلك عين الابتداع.

(قوله: قال الله عز وجل: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾) [الطلاق: ٣] أي من يفوّض إليه أمره فهو كافيه في جميع أموره ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمۡرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣] أي يبلغ ما يريده لا يفوته مراد، ولا يعجزه مطلوب، وقرىء بالغ بالتنوين، وعدمه وأمره بالنصب والجرّ، وقوله تعالى: ﴿قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا﴾ [الطلاق: ٣] أي تقديراً وتوقيتاً، أو مقدراً وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى، وتفويض الأمر إليه لأنَّ العبد إذا علم أنَّ كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقديره تعالى لا يبقى له إلا التسليم للقدر، والتوكل عليه تعالى، ومن ذلك يؤخذ معنى الآيتان المذكورتان بعدها فتدبر.

(قوله: من لوازم الإيمان) أي من لوازم كمال الإيمان كما لا يخفى، نعم لو اعتقد الشخص التأثير لغير الله تعالى انتفى عنه أصل الإيمان كما أشار له الشارح، والحاصل أنَّ اعتماد الأسباب مع اعتقاد أنَّ التأثير في كل شيء له تعالى لا يضر في أصل الإيمان، وإنْ ضر في كماله. **(قوله: ومن اعتمد على غير الله الخ)** أقول: من ذلك شهود الحسن

---

(١) أخرجه الترمذي (قيامة ٦٠).

بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدثنا يونس بن حبيب بن عبد القاهر قال: حدثنا أبو داود الطيالسي قال حدثنا حماد بن سلمة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «أريت الأممُ بالموسم»[1] أي موسم الحاج وهو مجمعهم **(فرأيت أمتي قد ملؤوا السهل والجبل، فأعجبني كثرتهم وهيئتهم فقيل لي: أرضيت)** بذلك **(قلت: نعم قال: ومع هؤلاء سبعون ألفاً)** أيضاً **(يدخلون الجنة بغير حساب لا يكتوون)** أي لغير حاجة **(ولا يتطيرون)** من شيء أي لا يعتقدون

لنفسه، فالكمال في الفناء عن النفس اعتماداً على ما للرب تعالى، ولذا قال بعضهم في دعائه: اللهم امح ما مني إليك بإثبات ما منك إليّ حتى أكون في كل شيء بك لا بنفسي، واختر لي فإني لا أملك خيرة لنفسي.

(قوله: **إنّ رسول الله الخ**) أفاد هذا الخبر الشريف طلب التوكل ببيان ثمرته من دخول الجنة بغير حساب بل ثمرة التوكل كفاية الله عبده كل مهم ديني ودنيوي، ولهذا حكي أنَّ سيدنا موسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام انتهى ذات يوم بأغنامه إلى وادٍ كثير الذئاب، وكان قد بلغ به التعب، فبقي متحيراً إنْ اشتغل بحفظ الأغنام عجز عن ذلك لغلبة النوم عليه وشدة التعب، وإنْ طلب الراحة والسكون ربما تعدى الذئب على غنمه، فرمق بطرفه إلى السماء وقال: أحاط علمك ونفذت إرادتك وسبق تقديرك، ثم وضع رأسه فنام، فلما استيقظ وجد ذئباً واضعاً عصاه على عاتقه وهو يرعى الأغنام فتعجب موسى من ذلك فأوحى الله إليه يا موسى كن كما أريد أكن لك كما تريد.

وحُكي أنَّ الجراد وقع على زرع رابعة العدوية فلما جاءها الخبر خرجت فرأت الجراد فقالت بعد أن رمقت بطرفها إلى السماء وقالت: إلهي رزقي قد تكفلت به فإنْ شئت فأطعم رزقي أعداءك، وإنْ شئت فأطعمه أحبابك وأولياءك، فطار عنه الجراد.

(قوله: **لا يكتوون**) أي لا يفعلون ذلك معتمدين عليه بل يرجعون فيه، وفي غيره إلى خالق الأسباب ورب الأرباب، وبذلك تعلم أنَّ فعل ذلك إذا دعا له داعٍ لا يضر ويخرج عن التوكل، ويشهد له خبر ابن عباس رضي الله عنهما حيث قال: كنت خلف رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام ألا أعلمك كلمات إحفظ الله يحفظك إحفظ الله تجده تجاهك إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أنَّ الأمة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أنْ يضروك

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٨٧) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٢٢٩) والهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/ ٢٠١) والساعاتي في (منحة المعبود ٢٦٦٦).

ما كانت تعتقد الجاهلية من التطير بالطير وغيره **(ولا يسترقون)** أي برقى الجاهلية **(وعلى ربهم يتوكلون.فقام عكاشة)** بتخفيف الكاف وتشديدها **(ابن محصن الأسدي فقال: يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ:** «اللهم اجعله منهم» فقام آخر فقال: ادع الله أنْ يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ: «سبقك بها عكاشة» أي بسبقه. **(وسمعت عبد الله بن يوسف الأصبهاني يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: سمعت أبا بكر الوجيهيّ يقول: قال، أبو علي الروذباري: قلت لعمرو بن سنان إحك لي عن سهل بن عبد الله)** التستري **(حكاية فقال: إنه قال: علامة المتوكل**

بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»[1]. اهـ.

فقوله: لا يكتوون ليس المراد منه النهي عن التداوي بالرقي أو بغيره بل عن الاعتماد على شيء سواه تعالى كما يدل له خبر «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله»[2] **(قوله: ولا يتطيرون)** أي لا يعوّلون عليها لكراهتها شرعاً بل يمضون على ما عزموا عليه كما هو المطلوب شرعاً.

فائدة:

التوكل هو الاعتماد على الخالق دون رؤية الخلائق، فلا يمنع الأخذ بالأسباب شهود الملك الوهاب فافهم ولا تعول على من لم يعلم. **(قوله: أي برقي الجاهلية)** احترز بذلك عن رقي الإسلام، فهي جائزة شرعاً كما يدل له حديث أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه «حيث رقى بالفاتحة على قطيع من الغنم» الحديث. **(قوله: وعلى ربهم يتوكلون)** أي ولو أخذوا بالأسباب، وبذلك تعلم أنّ التداوي لا ينافي التوكل بل هو مأذون فيه كما يشهد له خبر شريك قال: قالت الأعراب: يا رسول الله ألا نتداوى قال: «نعم يا عباد الله تداووا فإنّ الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء»[3] وقال «دواء إلا داء واحداً» قالوا: يا رسول الله وما هو؟ قال: «الهرم» وقال فيه حديث حسن صحيح. **(قوله: «سبقك بها عكاشة»)** أي فهو بسبب سبقه قد حاز الفضيلة، فالسبق إلى الخيرات محمود ومندوب إليه.

(قوله: علامة المتوكل الخ) اعلم أنّ الكسب لا ينافي التوكل، وما ذكر هنا فهو

---

(١) أخرجه الترمذي (قيامة ٥٩) وأحمد بن حنبل (١، ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه السلام ب ٢٦ رقم ٦٩) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٤/ ٢٧٦).

(٣) أخرجه الترمذي (طب ٢) وأبو داود (طب ١، ١١) وابن ماجه (طب ١) وأحمد بن حنبل(٣، ١٥٦، ٤، ٢٧٨).

ثلاث لا يسأل) عن حاجته أحداً من خلق الله إلا عند الضرورة لأنّ السؤال ذل **(ولا يردّ)** شيئاً أعطيه بلا سؤال لخبر: «ما أتاك من غير مسألة، فخذه فإنما هو رزق رزقكه الله» **(ولا يحبس)** ما حصل بيده خوفاً من تغير المقسوم لمنافاته التوكل. **(وسمعت الشيخ أبا عبد الله الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ يقول: سمعت أبا موسى الدبيلي يقول قيل لأبي يزيد: ما التوكل؟ فقال لي: ما تقول أنت:)** فيه **(فقلت: إنّ أصحابنا يقولون: لو أنَّ السباع والأفاعي)** أي الحيات **(عن يمينك ويسارك)** أي وغيرهما **(ما تحرّك لذلك سرك)** لقوّة يقينك بالله واعتمادك عليه **(فقال له أبو يزيد: نعم هذا قريب، ولكن لو أنَّ أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون، ثم وقع لك تمييز عليهما)** بأنْ ميزت أحدهما على الآخر يعني اخترت لنفسك شيئاً **(خرجت من جملة التوكل)** لأنَّ الاعتماد على الله تعالى ينافي أنْ تنسب لنفسك فعلاً لأنّك لا تعلم مصلحتك في أيّ

باعتبار حال بعض المتجردين الذين لم يتوجه عليهم الأمر بالكسب لقلة عائلتهم وقوّة صبرهم وكمال اشتغالهم بربهم، وإعراضهم عن الفضول، فهم لا يرجعون إلى الكسب إلا عند الضرورة، وإلا فكم من تارك للكسب لم يشم رائحة التوكل، وكم من مكتسب عنده من التوكل ما لا يعلمه إلا الله تعالى، ولدى الإمتحان بعروض ما لا يلائم النفس يتحقق الإنسان بما هو عليه من التخلق إن كان التوكل أو خلافه تدبر.

(قوله: ثلاث الخ) أقول: وأسباب تيسيرها شهود العلم بالله وبصفاته، وانفراده بالتصرف في الملك، وأنّه لا يكون إلا ما يريد ولا ضار ولا نافع غيره، وعلم أن المسبب يقع عند السبب لا به بل بقدرة رب الأرباب الفاعل المختار، والتفكر في ثمرات التوكل، وما وعد الله به المتوكلين في أخراهم، وما منحهم به في دنياهم وغير ذلك من فوائد التوكل، فإنْ قلت: هل من أسباب التوكل مجانبة الأسباب من جهة أنّه إذا لم يبق للعبد سبب ولا معلوم تسكن نفسه إليه يرجع إلى الله ويعتمد عليه؟ قلت: ذلك جهل محض سببه سوء الاعتياد إذ الأخذ بالأسباب مع عدم الاعتماد عليها تابع للإيمان وقوة اليقين بانفراد الحق تعالى بالأفعال والأحكام.

(قوله: فقلت: إنَّ أصحابنا الخ) أقول: يدل ذلك على غلبة عناية الله تعالى بهم حتى شغلهم عن الخوف من غيره، واعلم أن أحوال المتوكلين منها سكون القلب عند البليات، وعدم الوثوق بما هم عليه من الأسباب العاديات والتثبت عند الأسباب المحصلة للمطلوبات، ومراعاة أحسن وجوهها، والإعراض عن خسيسها، فحينئذ المتوكل ساكن الفؤاد سديد الاعتماد متحرك بالأمر فيما بينه وبين ربه والعباد.

(قوله: ولكن لو أنَّ أهل الجنة الخ) فيه تنبيه على وصوله إلى مقام الفناء عن مراداته

جهة لا في النعيم، ولا في العذاب، فلا يليق بك تمييز ولا اختيار، وذكر نعيم الجنة، وعذاب الآخرة لأنهما أشدّ من غيرهما، وإلا فليسا بمرادين بل المراد مطلق النعيم، والعذاب، وهذا كما فعل بإبراهيم الخليل عليه السلام، وأبي مسلم الخولاني، فقد كان دخولهما في النار رحمة وشرفاً لهما يذكران به في الدارين، وذلك بعدم اختيارهما لنفسهما شيئاً.

(و) لهذا (**قال سهل بن عبد الله**) التستري: (**أوّل مقام في التوكل أنْ يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي الغاسل بقلبه كيف أراد لا يكون له حركة ولا تدبير**) لأنَّ من وثق بكريم، واعتمد عليه سكنت نفسه له، وكان معه كالميت لا حياة به، ولا حركة، واستراح قلبه من هم التقدير والاختيار إلا ما أمره به ربه ونهاه عنه، (**وقال حمدون**) القصار: (**التوكل هو الاعتصام بالله تعالى**) أي الاعتماد عليه. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا بكر محمد بن أحمد البلخيّ يقول: سمعت محمد بن حامد يقول: سمعت أحمد بن خضرويه يقول: قال رجل لحاتم الأصم:**) عن شك في مجرى أسباب الرزق أو غفلة عنه (**من أين تأكل فقال**: ﴿وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٧]، واعلم أنَّ التوكل محله القلب والحركة بالظاهر) وهي السبب(**لا تنافي توكل القلب بعد ما تحقق العبد**

في مراد الحق سبحانه وتعالى. (**قوله: أوّل مقام في التوكل الخ**) أقول: ومما يسهل للإنسان مثل هذا التخلق علمه بعجزه عن تبديل رزقه كعجزه عن تغيير خلقه، وله الإشارة بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [الروم: ٤٠] فإنَّه قد أضاف هذه الأفعال إلى نفسه خاصة، فلا يقدر أحد غيره على شيء منها، وتفكره في قول الحسن: العز والغنى يجولان في طلب التوكل، فإذا ظفرا به أوطنا، فمن قصر نظره عليه تعالى أدرك العز واستغنى عن سائر الخلق.

(**قوله: أن يكون العبد الخ**) إنْ قلت: هذا يعارض طلب التدبير في القربات وأنواع الطاعات، قلت: لا معارضة لأنَّ المرجع إلى تدبير الله وأمره لا إلى اختيار العبد وغرضه، واعلم أنَّ أعلى التوكل طلب التخلص من الوقوف مع التوكل. (**قوله: كالميت بين يدي الغاسل الخ**) أي ويدل لذلك قوله ﷺ: «إنَّ الله تعالى جعل الروح والراحة في الرضا واليقين» وقيل، لله على الناس ثلاثة: اتباع نبيه، والتوكل عليه، والصبر على ذلك إلى الموت فمن لم يتبع فمبتدع، ومن لم يتوكل فمدبر، ومن لم يصبر فمنازع». (**قوله: من أين تأكل**) أي كيف سلوك سبيله مع ربط الأسباب والمسببات جهلاً منه بأنَّ الله هو الخالق لكل شيء، والقادر على الربط والفك.

(**قوله: والحركة بالظاهر**) أي بقصد الامتثال لا تنافي التوكل أي بشهود أنَّ الله هو

أنَّ التقدير) للأشياء (من قبل الله تعالى) وسيأتي بيانه (فإنْ تعسّر شيء) على عبده (فبتقديره) تعالى يحصل بسهولة (وإنْ اتفق شيء) ويسر (فبتيسيره) عز وجل. (أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصريّ قال: حدثنا غيلان بن عبد الصمد قال: حدثنا إسماعيل بن مسعود الجحدريّ قال: حدثنا خالد بن يحيى قال: حدثني عمي المغيرة بن أبي قرة عن أنس بن مالك قال: جاء رجل على ناقة له فقال: يا رسول الله أدعها) أي اتركها (وأتوكل فقال) عليه الصلاة والسلام: «اعقلها وتوكل» فيه دلالة على أنّ التسبب لكونه فعل الجارحة لا ينافي التوكل لكونه فعل القلب بل قد يجب التسبب. (وقال إبراهيم الخواص: من صح توكله) على الله (في نفسه صح توكله) عليه (في غيره) لأنّ العبد إذا عرف عجزه، وإنّ أفعاله كلها مخلوقة لله اطرد له ذلك في سائر الخلق لأنهم مثله في العجز والخلقة.

(وقال بشر الحافي: يقول أحدهم: توكلت على الله تعالى و) هو (يكذب على الله تعالى) إذ (لو توكل على الله لرضي بما يفعل الله به) لأن الرضا بذلك من ثمرات التوكل

الفاعل المختار. (قوله: فإنْ تعسر شيء فبتقديره) أي بقضائه وقدره، ومن ذلك ما قيل:

ما لا يكون فلا يكون بحيلة ... أبداً وما هو كائن سيكون

يسعى الذكي فلا ينال بسعيه ... حظاً ويحظى عاجز ومهين

(قوله: جاء رجل) أي أعرابي كما ثبتت بذلك الرواية. (قوله: «اعقلها وتوكل») أي فالتدبير الذي هو تقدير شؤون تكون في المستقبل مما يخاف أو يرجى إذا كان مصحوباً بالتفويض لم يكن من التدبير المنهي عنه، وهو كذلك عند أهل الحق، وإنْ أطلق عليه اسم التدبير فهو مجاز بخلافه بحكم النفس، والعقل، والهوى فافهم.

(قوله: فيه دلالة على أنّ التسبب الخ) أقول: في ذلك إشارة إلى أنّ الذي ينبغي للعبد الموفق أنْ يقف مع السبب بظاهر الجوارح امتثالاً، ويخلص باطنه إلى التفويض اعتماداً على أنّ الله تعالى هو الفاعل المختار لما يريد فيكون حينئذ مسلماً ومؤمناً والله الموفق. (قوله: من صح توكله على الله في نفسه) أي ذاته بأنْ اعتمد على الله تعالى، وفوّض أمر صلاحها إليه بسبب علمه بالعجز والقصور عن جلب ما ينفعه، ودفع ما يؤلمها صح توكله عليه في غيرها من سائر الخلق إذ هم مثله في العجز والقصور، فإذا ثبت قلبه على ذلك لم يثق، بغيره تعالى، فيلزم أنْ يفوض أمره إليه.

(قوله: لأنّ العبد الخ) محصله يعلم مما أوضحناه قبله. (قوله: وقال بشر الحافي الخ) مراده الحث على التخلق الباطني بالكمالات كالظاهري بأنْ يكون باطن الإنسان كظاهره في الأخلاق الشريفة، وذلك أقل درجات الكمال وأعلاها زيادة حال الباطن بالنسبة للظاهر.

فمن رأى أنّ جميع ما هو فيه نعمة من الله عليه رضي بجميع ما يجريه عليه، فيكون صادقاً في توكله. (**وسئل يحيى بن معاذ متى يكون الرجل متوكلاً؟ فقال: إذا رضي بالله تعالى وكيلاً**) عنه فإنّه يكفيه، قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥] فمن علم سعة رحمته حتى عمت كل مرحوم، ورضي بجريان أفعاله عليه، فقد اعتمد بقلبه عليه.

(**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت محمد بن علي بن الحسين يقول: سمعت عبد الله بن محمد بن الصامت يقول: سمعت إبراهيم الخواص يقول: بينا أنا أسير في البادية، وإذا أنا بهاتف يهتف فالتفت إليه فإذا أعرابي يسير فقال لي: يا إبراهيم التوكل**) يكون (**عندنا**) بالوادي (**أقم عندنا**) بها (**حتى يصح توكلك ألم تعلم أنّ رجاءك لدخول بلد فيه أطعمة تحملك**) على الإقامة فيه (**اقطع رجاءك عن البلدان وتوكل**) على الله، ليس المراد أنَّ الأسباب تنافي التوكل على الله بل المراد أنّه ينبغي للعبد أنْ يمتحن نفسه في دعوى التوكل عليه، والإعراض عن الأسباب في الأماكن التي يغلب فيها الإنقطاع عن الأسباب بخلاف غيرها كالبلدان لأنَّ النفس ساكنة فيه إلى المعتاد والمعارف، فإن رأى فيها نقصاً كملها، أو صحة شكر. (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت محمد بن أحمد الفارسيّ يقول: سمعت ابن عطاء و**) قد (**سئل عن حقيقة التوكل**) يعني عن غلبة أحوال المتوكلين على القلب (**فقال:**) حقيقته (**أنْ لا يظهر فيك انزعاج**) وقلق وميل (**إلى الأسباب مع شدّة فاقتك**) أي حاجتك (**إليها ولا تزول**) أنت (**عن حقيقة السكون**)

(**قوله: فقال: إذا رضي بالله تعالى وكيلاً الخ**) محصله الرضا بالمقادير الملائم منها وغير الملائم. (**قوله: يقول: بينا أنا أستريح الخ**) محصله الإرشاد على طرق مراقبة حال النفس في دعواها وصول مقام من مقامات الكمال بالتأول في أدلة صدقها بامتحان درجة قربها بل والحث على العزلة، وقصد سبيل الغربة، فعسى أنْ يستوحش من الخلق بواسطة الترقي إلى الاستئناس بالحق.

(**قوله: لأنَّ النفس ساكنة فيه إلى المعتاد والمعارف**) لعله والمتعارف يعني من وجود الأقوات وغيرها. (**قوله: فقال: أنْ لا يظهر فيك الخ**) محصله الحث على علو الهمة بالتحلي بكمال التفويض، ودوام سكون السر، وعدم الالتفات إلى ما سوى الحق سبحانه وتعالى من سبب أو مسبب، ولو كان ذلك في حالة الفاقات والضرورات فناء في مرادات رب الكائنات وذلك هو مثل قول بعضهم: إنّه سكون بلا اضطراب واضطراب بلا سكون، فإنَّ الانزعاج إلى الأسباب هو الاضطراب عن الاحتياج، والسكون بلا اضطراب هو الوقوف مع الله تعالى وقت الأخذ بالأسباب.

والميل **(إلى الحق)** تعالى **(مع وقوفك عليها)** أي على الأسباب واشتغالك بها، فاعتمادك يكون على ربك وإنْ تعاطيتها. **(سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: شرط التوكل ما قاله أبو تراب النخشبي: وهو طرح البدن في)** أحكام **(العبودية، وتعلق القلب بالربوبية، والطمأنينة إلى الكفاية)** من الله لأنه تعالى وعد بها بقوله: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] أي كافيه كما مر، **(فإنْ أعطي)** شيئاً منها **(شكر، وإنْ منع صبر وكما قال ذو النون)** المصري: **(التوكل ترك تدبير النفس والإنخلاع)** أي التبري **(من الحول والقوة وإنما يقوى العبد على التوكل إذا علم أنَّ الحق سبحانه يعلم ويرى)** جميع **(ما هو فيه. سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت أحمد بن محمد القرمسيني يقول: سمعت الكتاني يقول: سمعت أبا جعفر بن أبي الفرج يقول: رأيت رجلاً يعرف بجمل عائشة مع الشطار يضرب بالسياط، فقلت له: أي وقت يكون ألم الضرب عليكم)** أيها الشطار **(اسهل فقال: إذا كان من ضربنا لأجله يرانا)** لأنَّ العبد إذا رأى أنه لا يفعل به إلا ما هو صلاح له قوي نشاطه لتحمل المشاق وصبره عليها

(قوله: وهو طرح البدن في أحكام العبودية) أي وذلك يتحقق بالتسليم والرضا بأحكام الحكيم لاءمت النفس أم لم تلائمها، وبما ذكر يتم له التخلق بحق عبوديته للبارىء تعالى. **(قوله: وتعلق القلب بالربوبية)** أي بأنْ يدوم على مراقبة الله تعالى في كامل حركاته وسكناته. **(قوله: والطمأنينة إلى الكفاية الخ)** أقول: ذلك بالنسبة للمريد وإلا فالعارف المحقق قوته الذكر، وحياته الفكر، فلا التفات له إلى غير ذلك.

(قوله: فإنْ أعطي شكر الخ) أقول: وذلك من أخلاق المريدين وإلا فالكاملون نعتهم أنهم إذا أعطوا آثروا، وإنْ منعوا شكروا لأنهم يعدّون البلاء من النعم، والعطاء من النقم. **(قوله: التوكل ترك تدبير النفس الخ)** أقول: ذلك جارٍ على ما قدمنا من تعاطي الأسباب مع تعلق القلب بالله تعالى لا بها، والاعتماد عليه لا عليها.

(قوله: ترك تدبير الخ) أي على معنى السكون إلى ذلك، وإلا فالتدبير مندوب إليه بذوق خبر: «التدبير نصف المعيشة»، فحينئذ المذموم من التدبير هو المجرد عن التفويض للحق تعالى، وأما المصحوب به فهو عين المتابعة. **(قوله: وإنما يقوى العبد على التوكل)** أي على التحقق بوصفه إذا علم أنَّ الحق سبحانه يعلم ويرى جميع ما هو فيه أي وكون ذلك يحقق له حقيقة التوكل لأنَّه حيث تحقق له إحاطة علمه تعالى به يثبت قلبه، ويفوّض أمره ليقين أنَّ الحق لم يترك شيئاً هملاً، ولا يفعل شيئاً سدى بل لحكمة علية، وأسرار إلهية قد يغيب علمها، ويدق فهمها. **(قوله: فقال: إذا كان الخ)** محصله شهود أنَّ ذلك لمصلحة التأديب لحكمة مصلحة النفس.

بخلاف من لا يرى ذلك فإنّ ألم ما ذكر في الحالة المذكورة أصعب، وسمي هذا الشاطر بجمل عائشة الكائن في الوقعة المعروفة لكثرة صبره على المشاق. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن محمد يقول: قال الحسين بن منصور:)** الحلاج **(لإبراهيم الخواص: ماذا صنعت في هذه الأسفار وقطع هذه المفاوز)** بلا زاد والبعد عن الأوطان والأحباب؟ **(قال: بقيت في التوكل أصحح نفسي عليه)** وأمتحنها به ولا التفت إلى الأسباب لتعلق قلبي بربي الذي لا يفارقني، فلا يتغير **(فقال)** له **(الحسين: أفنيت عمرك في عمران باطنك)** بالأخلاق الحميدة من زهد وتوكل ورضا ومحبة **(فأين الفناء)** أي فناؤك **(في التوحيد)** واستغراقك به وإعراضك عنك نقله بذلك من حال رفيع إلى حال أرفع منه كما هو شأن أهل الخير إذا اجتمعوا. **(سمعت أبا حاتم السجستاني رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر السراج يقول: التوكل ما قاله أبو بكر الدقاق: وهو رد)** همّ **(العيش إلى يوم واحد وإسقاط همّ غد)** هذا يرجع إلى قصر الأمل فمن قصر أمله قلت حوائجه ورجعت إلى حوائج وقته خاصة **(قال: وهو كما قال سهل بن عبد الله رحمه الله: التوكل الاسترسال)** في جميع أحواله **(مع الله تعالى على ما يريد)** بأنْ يسلم لمولاه ويترك اختياره، ويجري معه راضياً بما يقدره عليه.

(قوله: في الوقعة المعروفة) أي وهي خروج عائشة رضي الله عنها محمولة على الجمل قاصدة باجتهادها الخروج على سيدنا عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، وقد اشتهرت هذه الوقعة بوقعة الجمل. **(قوله: فقال له الحسين: الخ)** محصله الحمل على أكمل الأحوال بالفناء عن شهود مقامات الكمال، والغرض بذلك بذل النصح حتى لا يقف مع حسن الحال.

(قوله: وهو رد همّ العيش الخ) أي لأنَّ خلاف ذلك مغاير لما طلب من الإنسان، وعكس له حيث قام بما ضمن له، وكفي أمره، وترك ما أمر به من وظائف وقته. قال في التنوير: وكيف يثبت لك عقل أو بصيرة واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك فيما طلب منك؟ حتى قال بعضهم: إنَّ الله ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة وطلب منا الدنيا.

(قوله: رد هم العيش الخ) المراد الحث على الاهتمام بالعبادة، وترك الاشتغال بما لا يجدي من خبيث العادة كما يشير إلى ذلك خبر: «إذا أصبحت معافى في جسدك آمناً في سربك عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفا». **(قوله: وهو رد همّ العيش الخ)** أقول: هو كما قال سهل بن عبد الله: التوكل هو الاسترسال مع الله على ما يريد، فهذان القولان من علامات التوكل فإنَّ من صح عنده أنَّ الله سبحانه ضامن لكفايته وقت حاجته لا يهتم في غير وقتها بل الكمال أنْ لا يهتم أصلاً. **(قوله: بأنْ يسلم لمولاه الخ)** أي ويعبر عن

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن جعفر بن محمد يقول: سمعت أبا بكر البرذعي يقول: سمعت أبا يعقوب النهرجوري يقول: **التوكل على كمال الحقيقة ما وقع لإبراهيم عليه السلام**) وهو مكتف مربوط في كفة المنجنيق بين السماء والأرض يهوي إلى نار لم يتمكنوا من إيصاله إليها لا لا بكفة المنجنيق من شدة حرها كما أشار إلى ذلك بقوله: (**في الوقت الذي قال لجبريل عليه السلام:**) لما قال له: إذ ذاك ألك حاجة (**أما إليك فلا**) فأعرض عنه وتعلق بالله (**لأنه غابت نفسه بالله تعالى**) أي فيه (**فلم ير مع الله غير الله**) لفنائه عن غيره (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت سعيد بن أحمد بن محمد يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان الخياط يقول: سمعت ذا النون المصري**) (و) قد (**سأله**) رجل فقال له: ما التوكل (**فقال: خلع الأرباب**) وهو ما سوى الله مما يملك القلب عادة، ويصير مسخراً له من درهم ودينار وغيرهما كما قال ﷺ «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة»[1] فجعله عبداً وجعلهم له أرباباً (**وقطع**) الاعتماد على (**الأسباب**) بحيث لم يبق له معتمد سوى رب الأرباب، (**فقال**) له (**السائل زدني**) في البيان بعبارة أفهمها (**فقال: القاء النفس في**) أحكام (**العبودية**) بأنْ تكون دائماً مشتغلاً بما أمرت به ونهيت عنه (**وإخراجها من الربوبية**) أي سلبها عن القدرة على شيء مما ينفعها أو يضرها، وإضافة ذلك إلى خالقها، وحاصل هذا اعمل بما أمرك الله به

ذلك بفناء مراد العبد في مراد الرب. (**قوله: التوكل على كمال الحقيقة**) أي على الحقيقة الكاملة، فهو من إضافة الصفة للموصوف، وفيه أنَّ الحقيقة لا تتفاوت فحرر. (**قوله: يهوي إلى نار الخ**) قيل: إنْ شدتها وحرارتها كانت تدرك من مسيرة أربعة أشهر. (**قوله: لأنه غابت نفسه الخ**) أي ولذا قوبل بما لم يقع لغيره من الخوارق حيث قال جل جلاله: ﴿يَٰنَارُ كُونِي بَرۡدٗا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فلم تحرق النار إلا حبل كتافه بل قيل: إنّه لولا قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمًا﴾ لهلك بشدة البرد. (**قوله: فقال خلع الأرباب الخ**) فيه إشارة إلى أنّ تعلق القلب بما سوى الله تعالى بالاعتماد نوع من الشرك والعياذ بالله تعالى.

(**قوله: وقطع الاعتماد على الأسباب**) عطف تفسير لما قبله أي فيهيء السبب امتثالاً مع اعتماده على الفاعل المختار. (**قوله: القاء النفس في أحكام العبودية**) أي وذلك يتحقق بالرضا والتسليم وترك التدبير مشتغلاً بما أمر به، ونهي عنه معتمداً على إعانة مولاه متبرئاً من حوله وقوته. (**قوله: أي سلبها عن القدرة الخ**) أي ويلزم من ذلك ترك التدبير والتفويض في كل شيء للعليم الخبير. (**قوله: فقال: إنْ كان لك الخ**) يريد الحث

---

(١) أخرجه البخاري (جهاد ٧٠) (رقاق ١٠) وابن ماجه (زهد ٨).

ونهاك عنه، وأخرج نفسك من القدرة إلى ما ذكر، وذلك كله، وما يأتي من نحوه تعريف للتوكل باللازم نظراً لما يفهمه المخاطب. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن محمد المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: سمعت حمدون و)** قد **(سئل عن التوكل فقال: إنْ كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى ذلك في عنقك)** فعجل قضاءه، ولا تغتر بكثرة ما تملكه **(ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أنْ تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أنْ يقضيه عنك)** فاعتمد على الله وحسن ظنك به ولا تيأس أنْ يقضي عنك ما عليك.

(وسئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل فقال:) هو **(التعلق بالله)** أي الاعتماد عليه **(في كل حال فقال: السائل زدني)** في البيان **(فقال: ترك الاعتماد على كل سبب)** ولو لم يباشر المطلوب بل كان **(يوصل إلى سبب)** آخر يباشر المطلوب **(حتى يكون الحق)** تعالى **(هو المتولي لذلك)** بحيث يكون اعتمادك عليه لا على السبب أجابه أوّلاً بحقيقة التوكل، وعبر عنه بالتعلق بالله، فلما عسر عليه فهمه قال له: اترك الأسباب في تحصيل مقصودك. **(وقال سهل بن عبد الله: التوكل حال النبي ﷺ والكسب سنته فمن بقي على حاله)** ﷺ بأنْ وصل إليه **(فلا يتركن سنته)** ليس المراد أنَّ التوكل ينافي الكسب، وأنَّه ليس من سنته ﷺ بل المراد بحاله ﷺ أنْ يكون السابق لقلب العبد في تحصيل مقصوده اعتماده على الله تعالى، وبسنته أنْ يكون السابق لقلب العبد العاجز عن الحال المذكور في تحصيل مقصوده اعتماده على الكسب المعتاد من حيث أنَّ سنة الله ورسوله جرت به كما هو العادة في ربط المسببات بالأسباب مع اعتقاد أنَّ الفاعل هو الله تعالى، وأنَّه لا فعل للأسباب. **(وقال أبو سعيد الخراز: التوكل**

على التحقق بمقام العبودية والانقياد لأحكام الربوبية، فلا يفوت وظيفة الحال، ولا يدبر أحكام المآل.

(قوله: فقال: هو التعلق بالله الخ) محصله طلب الاعتماد على الحق تعالى في المقصود، ولو مع تحقق السبب الموجود فافهم. **(قوله: التوكل حال النبي الخ)** أي التوكل صفة النبي وخلقه ومقامه، وقوله: والكسب سنته أي الأخذ بالأسباب شريعته وطريقته، والثاني لا ينافي الأول من حيث أنَّ مرجعه إلى الانقياد والوقوف مع الحكم المعتاد، فهما خلقان كاملان وإنْ كان الأول أكمل، والله بالحال أعلم، فالتوكل المندوب هو دوام العلم والعمل بأنَّ الحق تعالى لا فاعل غيره حتى تغلب أحكامه على القلب، وتتبعه الجوارح وإلا فكل مؤمن متوكل.

(قوله: والكسب سنته) أي شريعته وأحكامه التي شرعها لعباده ولم يجعلها مناقضة لتوكلهم واكتفى منهم بالتوكل الواجب الذي يمنعهم من تعاطي المحرمات أو من التفريط

اضطراب) في الأسباب الواجبة على العبد لمؤنه (بلا سكون) إليها (وسكون) بالقلب إلى الله تعالى واعتماد عليه (بلا اضطراب) والتفات بالقلب إليها عند تغيرها.

(وقيل: التوكل) أي إمارته (أن يستوي عندك الإكثار والتقلل) من الدنيا فإن كثرت عليك سمحت بها وأنفقتها، وإنْ قلت عنك لم تتغير ولم تتعلق. (وقال ابن مسروق: التوكل الاستسلام) والانقياد (لجريان القضاء والأحكام) بأنْ تفوض أمرك إلى الله تعالى وتترك اختيارك، وهذا من أعلى مقامات التوكل. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الحيري يقول: التوكل الاكتفاء بالله) أي بتدبيره تعالى (مع الاعتماد عليه) هذا علم مما مرّ. (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت محمد بن محمد بن غالب يحكي عن الحسين بن منصور) أنه (قال: المتوكل المحق) هو الذي (لا يأكل شيئاً) من غير ضرورة (وفي البلد من هو أحق به منه) بل يؤثره به اعتماداً على أنَّ الله لا يضيعه، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت منصور بن أحمد الحربي يقول: حكى لنا ابن أبي شيخ أنّه قال: سمعت عمر بن سنان يقول: اجتاز بنا إبراهيم الخواص فقلنا له: حدثنا بأعجب ما رأيته في أسفارك فقال) له (لقيني الخضر عليه

في الواجبات. (قوله: التوكل اضطراب الخ) محصله أنَّ الأَخذ بالأسباب امتثالاً بدون اعتماد والاطمئنان القلبي بواسطة قوة الإيمان، وتقدم أنَّ الحركة الجسمانية لا تنافي سكون القلب. (قوله: أنْ يستوي عندك الخ) أي فلا يكون عندك اجتهاد، وتهافت في طلب المزيد من الدنيا، لذا قال صاحب الحكم العطائية: اجتهادك فيما ضمن لك وتقصيرك فيما طلب منك دليل على انطماس البصيرة منك، أقول: وفي تعبيره بالاجتهاد إشارة إلى أنّ ما دونه من الطلب لا يقدح في التوكل بل قد يكون مطلوباً شرعاً وجوباً أو ندباً، ثم اعلم أنَّ التوكل بهذا المعنى هو بالنسبة لحال المريدين، أما بالنسبة للعارفين والمحققين فيكون ميلهم إلى التقلل أكثر من ميلهم إلى الإكثار اعتباراً بشأن كل منهما، ونهاية الحال أنَّ التوكل لا يتم مقامه للعبد إلا إذا كان نعته الرضا بما يجري به القضاء.

(قوله: سمحت بها) أي على طريق المواساة لإخوانك المسلمين الفقراء، وذلك باعتبار حال المريدين، أما العارفون فمقامهم الإيثار والرضا لأنفسهم بحالة الإقتار. (قوله: وهذا من أعلى مقامات التوكل) أقول: وأعلى منه طلب التخلص من الوقوف مع التوكل خشية الحجاب عما هو أكمل منه من المقامات. (قوله: المتوكل المحق الخ) في ذلك تنبيه على علو الهمة بالتحلي بحقيقة التوكل مع الإيثار بكمال فناء النفس عن الحظوظات. (قوله: فقال: لقيني الخضر الخ) أقول: ويشهد له ما رُوي أنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما عزل خالد بن الوليد عن إمارة المسلمين بالشام قال له: إني

السلام فسألني الصحبة فخشيت) منه **(أنْ يفسد عليّ توكلي لسكوني إليه ففارقته)** حفظاً لمقام التوكل، والحاصل أنّ الخواص لما لقي الخضر امتحنه الله به في دعوى مقام التوكل وثبته، وإلا فالخضر مستغن عن صحبته لكمال قوّته. **(وسئل سهل بن عبد الله عن التوكل)** أي عن حال قلب المتوكل **(فقال: هو قلب عاش مع الله تعالى)** أي اعتمد عليه **(بلا علاقة)** أي تعلق بغيره. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: للمتوكل)** من حيث هو **(ثلاث درجات التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض)** وكل من الأخيرين أعلى مما قبله كما أفاده كلامه هنا، وفيما يأتي **(فالمتوكل يسكن إلى وعده)** تعالى بقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] وله اختيار **(وصاحب التسليم يكتفي بعلمه)** تعالى بحاله، فإنه يعلم ما هو فيه **(وصاحب التفويض يرضى بحكمه)** تعالى أي بكل ما يجريه الله عليه وافق غرضه، أو خالفه، ولا اختيار لهما لأنهما سلما وفوضا الأمور إليه تعالى يفعل بهما ما هو صلاح لهما، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: التوكل بداية والتسليم وسايط والتفويض نهاية)** فالتوكل

لم أعزلك عنهم لشيء نقمته عليك، ولكني رأيت قلوب المسلمين ساكنة إليك فأردت أنْ أرد قلوبهم إلى الله. **(قوله: فقال لقيني الخ)** أقول: مرجع حاله إلى الفرار من شهود غيره تعالى بالسكون إليه. **(قوله: فخشيت منه الخ)** أي وذلك لأنَّ الخضر إما نبي أو ولي، والنفوس في العادة تطمئن إلى وجود من هذا نعته، وتسكن إليه في حاجاتها، وذلك منافٍ للتوكل لأنّه الاعتماد على الله تعالى وحده دون أحد من الخلق. **(قوله: فقال: هو قلب الخ)** منه يعلم أنه لا يتم هذا المقام إلا بتجرد القلب عن شهود غيره تعالى والسلام. **(قوله: أي عن حال قلب المتوكل)** مراده بيان معنى قول المؤلف: هو قلب الخ وإنْ الأظهر أنّ يقول: هو عيش القلب الخ. **(قوله: فالمتوكل يسكن إلى وعده)** أي يطمئن سره اعتماداً على ما وعده به الله تعالى من الكفاية، وذلك أوّل درجات التوكل، فصاحب هذا المقام متطلع إلى الكفاية على حسب الوعد واثق بها، ولذا قيل: علامته الرضا بالواقع والتقوى في الطلب، وحفظ الأدب في الأسباب. **(قوله: يسكن إلى وعده)** أي بسبب قوة الرجاء وزيادة اليقين**(قوله يكتفي بعلمه)** أي بواسطة زيادة مراقباته لإحاطة العلم القديم، وأنّه لا يعزب عنه شيء. **(قوله: وصاحب التفويض يرضى بحكمه)** أي بواسطة أنّه يشهد المعذب في العذاب، والمبلي في البلاء، ومن ذلك ما قيل في هذا المعنى:

ألفت الضنى حتى تطاول مكثه ... فلو زال عن جسمي بكته الجوارح

(قوله: ولا اختيار لهما) أقول: والفرق بين المقامين حينئذٍ إحساس الأوّل بمظهر التقدير من ألم أو لذة وفرقه بينهما، ووجدان اللذة دائماً حتى فيما لا يلائم النفس بشهود مصدر الفعل فيه في المقام الثاني.

اعتماد، والتسليم راحة ورقاد، والتفويض رضا بجريان الأحكام. **(وسئل الدقاق عن التوكل)** أي إمارته **(فقال: الأكل)** في الحال **(بلا طمع)** وتشوف إلى ما كل في الإستقبال وثوقاً بلطف الله به في كل حال. **(وقال يحيى بن معاذ لبس الصوف)** أي زيّ الصالحين **(حانوت)** أي تسبب **(والكلام في)** ترجيح **(الزهد حرفة)** لأنّه يدل على أنّ المتكلم زاهد لا مال عنده فيميل الناس لإكرامه دون غيره من الفقراء وإن كانوا أفقر منه **(وصحبة القوافل)** في الأسفار بغير زاد **(تعرض)** للتسبب وسكون إلى من سافر معهم فإنّهم لا يتركونه غالباً **(وهذه كلها علاقات)** أي تعلقات بالأسباب كما عرفت أي فينبغي للعبد قطعها لأنّه يكون متعلقاً بها، وهو لا يشعر ويعتقد أنّه قد صح اعتماده على الله ونفسه ساكنة إلى غيره. **(وجاء رجل إلى الشبلي يشكو إليه كثرة العيال)** وضيق الحال وكان موقناً بأنّ الله هو الرزاق ولكنه لما قلق وغفل حين امتحن بالفقر شكى إلى الشبيلي ليجد منه راحة بالدعاء أو بغيره **(فقال)** له: **(ارجع إلى بيتك فمن ليس رزقه على الله تعالى فاطرده عنك)** نبهه بهذا التنبيه الحسن ليرده إلى أصل إيمانه ويذكره بما يفرغ قلبه من هم نفسه وغيره. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أحمد بن عطاء يقول: قرأت على محمد بن الحسين قال سهل بن عبد الله: من طعن في**

(قوله: التوكل بداية) هو قريب مما قبله. **(قوله: الأكل في الحال الخ)** هو من البداية وقيل: إنّ الدنيا كنهر طالوت لا ينجو منه شارب إلا من اغترف غرفة بيده. **(قوله: لبس الصوف الخ)** الغرض من ذلك إخفاء الحال والبعد عن لقلقة المقال وعلو الهمة عن التعرض للنوال. **(قوله: والكلام في الزهد حرفة)** أي لأنّ صاحبه قد قنع بنقل عبارات الزهاد، ولم يتخلق بمثل أخلاقهم. **(قوله: فيميل الناس لإكرامه)** أي الشأن ذلك وإلا فإنّ كان عن قصد من العبد فهو حينئذٍ مراء، والعياذ بالله تعالى. **(قوله: وصحبة القوافل تعرض)** أي للاعتماد على زاد الحجاج، وكل ذلك نقص في مقام التوكل. **(قوله: فقال له: ارجع إلى بيتك الخ)** فيه حسن تنبيه وتعليم للتوكل، وإيقاظ للغافل عن ربه المهتم برزقه، وإنّ كان اهتمامه لمؤنة العيال من جملة الطاعات، ولكن انتظاره لوعد ربه وفرجه أولى. **(قوله: ليرده إلى أصل إيمانه)** أي ليكسب راحة نفسه اكتفاء بشهود إحاطة علم الله تعالى به، فيثق بالكفاية على حسب وعد الحق عبده بها. **(قوله: من طعن في الحركة الخ)** مراده، والله أعلم أنّه لا يطعن متسبب على غير متسبب ولا العكس، فإنّ من قال لا يحصل رزق إلا بسبب فقد طعن في الإيمان بأنّ الله قادر على إيجاد الرزق بدون سبب، ومن قال: الأسباب تناقض التوكل فقد ابتدع وخالف السنة التي شرعها الله لعباده مع طلبه التوكل منهم.

الحركة) أي الكسب **(فقد طعن في السنة)** أي سنة الله ورسوله فإنها جرت بذلك كحفر الخندق، ولبس الدرع، وتحصن المسلمين وحمل الأزواد في الأسفار، وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾ [الأنفال: ٦٠] وتقدم أن الحركة بالظاهر لا تنافي التوكل **(ومن طعن في التوكل)** وقال: إنّ المقدر يحصل بفعل الله وبفعل غيره **(فقد طعن في الإيمان)** بالله حيث أشرك معه في الفعل غيره، فالفاعل إنما هو الله والخلق ممتثلون أمره ناظرون إلى قدره في كسبهم **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أحمد بن علي بن جعفر يقول: سمعت جعفراً الخلدي يقول: قال إبراهيم الخواص: كنت في طريق مكة فرأيت شخصاً وحشياً فقلت:)** هو **(جني أم أنسي؟ فقال: جني)** وكان مؤمناً **(فقلت:)** له: **(إلى أين)** تذهب؟ **(فقال: إلى مكة فقلت: بلا زاد فقال: نعم)** ولا استبعاد إذ **(فينا)** أيضاً كأنتم أيها الأنس **(من يسافر على التوكل)** أي معتمداً على الله لا على غيره **(فقلت أيش التوكل فقال: الأخذ من**

(قوله: من طعن في الحركة) أي في العمل بالأسباب والخلق في الطعن ولم يفصل فقد طعن في السنة أي في الطريقة المحمدية، وذلك لأنَّ الحق التفصيل بين حركة لم يصاحبها اعتماد على السبب بل كان معها تفويض إليه سبحانه وتعالى وبين ما إذا كان معها اعتماد على السبب وعدم تفويض، فالأولى محمودة، والثانية مذمومة، ويدل لما ذكرناه قول المهدوي: من لم يكن في دعائه تاركاً لاختياره راضياً باختيار الحق تعالى له فهو مستدرج اهـ.

فحينئذٍ ينبغي للإنسان الأخذ بالأسباب امتثالاً مع عدم الاعتماد عليها بل مع التفويض لما يجريه الحكيم إيماناً إذ لا منافاة بين الحركة والتفويض. **(قوله: وقد قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم﴾ [الأنفال: ٦٠] الخ)** أي فأفادت الآية الكريمة طلب الأخذ بالأسباب ومقتضى الإيمان بالله عدم الاعتماد على غيره تعالى، فحينئذٍ يعلم أنّه لا منافاة بين التوكل المطلوب، والأخذ بالأسباب المندوب.

(قول: لا تنافي التوكل) أي لأجل اختلاف محليهما إذ الحركة بالجوارح والتوكل بالقلوب. **(قوله: وبفعل غيره)** أي بقدرة خلقها الله تعالى فيه، وإلا بأنْ قال: بفعل غيره تعالى استقلالاً كان كافراً، والعياذبالله تعالى. **(قوله: فقد طعن في الإيمان)** أي لأنَّ مقتضى الإيمان اعتقاد أنّ لا فاعل غيره تعالى في شيء من الأشياء. **(قوله: فقال جني الخ)** فيه دلالة على وقوع رؤية الجن من بني آدم وظهورهم عليهم، ولا استبعاد فيه، ولا استحالة لأنّه جائز التشكل بغير الصوره الأصلية، وفيه دلالة أيضاً على إيمان بعضهم، ويرشد إليه قوله جل شأنه: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا﴾ [الجن: ١]. **(قوله: ولا استبعاد)** أي لأنَّ المحبة تدني البعيد وتسهل الصعب. **(قوله: إذ فينا الخ)** أي لأنهم مكلفون وفيهم

الله تعالى) بأنْ ترى أنَّ الفعل منه. (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت الفرغاني يقول: كان إبراهيم الخواص مجرداً في التوكل يدقق فيه و) مع ذلك (كان لا يفارقه إبرة وخيوط وركوة ومقراض) أي مقص لغلبة الحاجة إليها (فقيل له: يا أبا إسحاق لم تحمل هذا) أي ما ذكر من الثلاثة (وأنت تمتنع من كل شيء) من الأسباب (فقال: مثل هذا لا ينقض) أي يناقض (التوكل لأنَّ لله سبحانه علينا فرائض) من صلاة ونحوها (والفقير) من المال (لا يكون عليه إلا ثوب واحد فربما يتخرق) وفي نسخة يتمزق (ثوبه فإذا لم يكن معه إبرة وخيوط) فقد (تبدو) أي: تظهر (عورته فتفسد عليه صلاته) وإذا كانا معه تدارك ذلك بهما (وإذا لم يكن معه ركوة) فقد (تفسد عليه طهارته) وإذا كانت معه تدارك ذلك، وإذا لم يكن معه مقراض فيطول شاربه فيفوته قصد المأمور به، فالأمور المذكورة محتاج إليها في تحصيل العبادة المأمور بها (فإذا رأيت الفقير بلا ركوة ولا إبرة ولا خيوط فاتهمه في كمال صلاته، وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: التوكل صفة المؤمنين، والتسليم صفة الأولياء، والتفويض صفة الموحدين) لأنَّ المتوكل يرى السبب، ويعتمد على الله في أموره، والولي مسلم إلى الله في سائر أموره، والموحد صارت نفسه محلاً لجريان قدرة الله تعالى فيه لكمال تفويضه (فالتوكل صفة العوامّ) لا عوامّ المؤمنين بل عوام الخواص السالكين لنيل مقام التوحيد فإنّهم على ثلاث درجات متوكل، وولي وموحد كما عرفت (والتسليم صفة الخواص، والتفويض صفة خواص الخواص) فكلهم في الحقيقة خواص، فمطلق الخاص ينقسم إلى عوام وخواص وخواص خواص، ولم ينل رتبة التوكل من المؤمنين إلا خواصهم،

أصحاب مقامات وأحوال. (قوله: فقال: مثل هذا لا ينقض التوكل) أي ويؤيده أنَّ التوكل محله القلب والأخذ بالأسباب، لا يمنع منه باعتبار ذات الأسباب بل باعتبار اعتمادها على أنّ ما ذكر من وسائل الطاعات المأمور بها شرعاً هذا، وبالتأمل في باقي كلامه يعلم أنّ هذا الأستاذ لم يكن له مباحات لنقله إياها بحسن قصده إلى الطاعات. (قوله: فالأمور المذكورة محتاج إليها) أي فهي حينئذٍ من الوسائل التي لها حكم المقاصد. (قوله: فاتهمه في كمال صلاته) أي بتضييع ما عساه يلزم لأجلها. (قوله: التوكل صفة المؤمنين الخ) الغرض إفادة تفاوت درجات التوكل باعتبار حال المتوكلين قوّة وضعفاً. (قوله: لأنَّ المتوكل يرى السبب) أي يعلم مدخليته بتقدير الله ويعتمد على الله تعالى بشهود أنّه لا فاعل غيره ولا مؤثر إلا هو والولي يسلم للاكتفاء بإحاطة العلم القديم به والموحد فانٍ عن نفسه مستغرق في ربه.

(قوله: لا عوامّ المؤمنين الخ) يريد أنّ تسميتهم عوام إنما هو باعتبار من فوقهم في

(وسمعته) أيضاً (يقول: التوكل) أي الكامل (صفة الأنبياء) جميعهم وإنْ اختص بعضهم بصفة كما قال: (والتسليم صفة إبراهيم عليه السلام) لما مرّ له مع جبريل (والتفويض صفة نبينا محمد ﷺ) قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣] وقال ﷺ: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر»[(١)] وقد ثبت له الشفاعة والمقام المحمود دون غيره. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت أبا جعفر الحداد يقول: مكثت بضع عشرة سنة أعتقد التوكل) على الله أي عقدته على نفسي (وأنا أعمل في السوق وآخذ كل يوم أجرتي، ولا أنتفع منها بشربة ماء، ولا بدخلة حمام، ولكن كنت أجيء بأجرتي إلى الفقراء في الشونيزية) وأفرقها عليهم (وأكون مستمراً على حالي) هذا مقام بالغ في التوكل لأنَّ من عرف بالكسب والإستغناء عنه بالنسبة لمن يعلم أنه يفرقه، وبه بالنسبة لا يعلم ذلك انصرف الناس عن مساءلته بشيء من الدنيا، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الخواص يقول: سمعت الحسين أخا سنان يقول: حججت أربع عشرة حجة حافياً على التوكل) أي متوكلاً على الله (فكان يدخل في رجلي شوكة، فأذكر أني قد اعتقدت التوكل) على الله أي عقدت (على نفسي) وفي نسخة اعتقدت على الله (فأحكها) أي الشوكة (في الأرض وأمشي) ولا أشتغل بإخراجها، وهذا ظاهر في الشوك الخفيف الذي لا يضره، وإلا فليس له إهماله، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت محمد بن عبد الله الواعظ يقول: سمعت خير النساج يقول: سمعت أبا حمزة يقول: إني لأستحيي من الله تعالى أنْ أدخل البادية، وأنا شبعان، وقد اعتقدت

الدرجة، وإلا فهم في أنفسهم خواص. (قوله: التوكل أي الكامل الخ) أي وإلا فأصل التوكل ثابت لغيرهم من البشر، فكل تكلم بحسب شربه وذوقه. (قوله: والتفويض صفة نبينا) أي خلقه ومقامه وحاله. (قوله: أنا سيد ولد آدم ولا فخر) أي والشيء إذا أطلق إنما يتبادر منه الفرد الكامل فحينئذٍ المراد السيادة في كل مقام وحال، وبذلك يتم المقصود. (قوله: يقول مكثت الخ) أقول: ذكره ذلك من قبيل التحدث بالنعمة، أو بقصد أنْ يقتدي به غيره. (قوله: لأنَّ من عرف بالكسب الخ) محصله أنَّ هذا الأستاذ استعمل طريق ستر حاله عن غيره اعتماداً على ربه تعالى.

(قوله: فأذكر أني الخ) أي والاشتغال بإخراجها ينافي كمال توكله. (قوله: وإلا فليس له إهماله) أي بدليل «إنَّ لبدنك عليك حقاً» الحديث. (قوله: «إني لأستحيي من

---

(١) أخرجه أبو داود (سنة ١٣) وابن ماجه (زهد ٣٧) وأحمد بن حنبل (١، ٥).

التوكل) أي عزمت عليه **(لئلا يكون سعيي اعتماداً على الشبع زاداً أتزوّده)** لا على الله فاستحياؤه لكونه مع عزمه أنه معتمد على ربه خشي أنْ يكون من الكذابين لكونه اعتمد على شبعه، ففيه دليل على كمال معرفته بالله، ودوام مراقبته له. **(وسئل حمدون عن التوكل، فقال: تلك درجة لم أبلغها بعد، وكيف يتكلم في التوكل من لم يصح له حال؟)** أي غلبة حال **(الإيمان)** على قلبه، وهذا من باب الإشفاق على النفس بأنْ يخشى عليها أنه إن ذكرت شيئاً من المقامات وفهم عنها أنه حالها، ولم تكن كذلك كان سبباً لمنع الله إياها ذلك المقام، **(وقيل: المتوكل كالطفل لا يعرف شيئاً يأوي إليه)** مما ينفعه أو يضره **(إلا ثدي أمه كذلك المتوكل لا يهتدي)** في أموره إلى شيء **(إلا إلى ربه)**. روي **(عن بعضهم قال: كنت في البادية فتقدمت القافلة، فرأيت قدامي واحداً فتسارعت)** إليه **(حتى أدركته، فإذا هي امرأة بيدها عكازة)** وفي نسخة ركوة وعكازة **(تمشي على التئدة فظننت أنها أعيت فأدخلت يدي في جيبي فأخرجت)** لها عشرين درهماً فقلت لها **(خذيها وامكثي حتى تلحقك القافلة فتكتري بها ما تركبيه ثم ائتيني)** وفي نسخة تأتيني **(الليلة حتى أصلح أمرك فقالت بيدها هكذا في الهواء فإذا في كفها دنانير فقالت لي: أنت أخذت الدراهم من الجيب، وأنا أخذت الدنانير من الغيب)** وجه تعلق ذلك بالتوكل بالنسبة للمرأة ظاهر وبالنسبة للرجل أنه متوكل حيث دفع لهذه المرأة في مثل هذه البرية عشرين درهماً ووعدها بأنْ يصلح من حالها زيادة، وحسن اعتماده على ربه بأنْ يعوضه عن ذلك، وازداد يقيناً بما أخذته المرأة من الغيب، **(ورأى أبو سليمان الداراني بمكة رجلاً لا يتناول شيئاً إلا شربة من ماء زمزم فمضى عليه أيام)** وهو كذلك، وكان يكتفي به اعتماداً

الله تعالى» الخ) أقول: ذلك منه من باب الإشفاق على النفس واتهامها في دعوى المقام فخشي من اعتماد نفسه في حالة دخوله الصحراء ما حصلته من الشبع، فتكون قد سكنت واعتمدت على غير الله تعالى، وهذا شأن أولي الحزم والتمكين في الأعمال، ومن هذا القبيل ما يأتي بعد هذا عن حمدون رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(قوله: وهذا من باب الإشفاق الخ) أي ستراً لحاله وحملاً للسامع على أنْ لا يكون حاله نقل عبارات ذوي المقامات بل التخلق بما به نيل الكرامات. **(قوله: فإذا هي امرأة الخ)** فيه تنبيه على أنّ الفضل مواهب لا يختص بذكر ولا أنثى ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ [المائدة: ٥٤]. **(قوله: بالنسبة للمرأة ظاهر)** أي لأجل عدم قبولها منه شيئاً وثوقاً بالكفاية على حسب وعد الحق سبحانه وتعالى. **(قوله: فقال أبو سليمان: الخ)** أي والغرض الإرشاد لطرق قطع علق القلب من غير الحق سبحانه وتعالى عسى أنْ يترقى لدرجة الكمال، وذلك منه بذلاً للنصيحة مع الإخوان كما هو شأن الكامل منهم.

على أنّه لما شرب له كما جاء في الحديث **(فقال)** له **(أبو سليمان يوماً: أرأيت لو غارت زمزم أيش كنت تشرب؟ فقام وقبل رأسه وقال: جزاك الله خيراً حيث أرشدتني)** إلى ما هو الأكمل **(فإني كنت أعبد زمزم)** أي متعلقاً بها ساكناً إلى غير الله **(منذ أيام ومضى)** عن ذلك إلى ما هو الأكمل، وهذا من أكمل الإنصاف، والتواضع، والإنقياد إلى الحق، وتوبيخ النفس على السكون لغير الله، وعلى القنع بحاله الذي هو فيه، وعلم بما ذكر أنَّ لله أنْ يؤدب الرجال بالنساء ليعلم كل صادق أنَّ ألطاف الله ونعمه لا تنحصر في جهة **(وقال إبراهيم الخواص: رأيت في طريق الشام شاباً حدثاً)** بفتح الدال تأكيد لما قبله **(حسن المراعاة فقال لي: هل لك في الصحبة فقلت: إني أجوع)** اعتماداً على ما عودني الله به من اللطف والقوّة **(فقال)** له **(الشاب: إن جعت جعت معك فبقينا أربعة أيام)** لم نأكل شيئاً **(ففتح علينا بشيء فقلت)** له: **(هلم)** أي تعال كل **(فقال)** لي **(اعتقدت)** أي عزمت **(أنْ لا آخذ بواسطة)** وأنت واسطة فقلت له **(يا غلام دققت)** في الكلام في التوكل **(فقال لإبراهيم لا تبهرج)** أي لا تطريني بالمدح **(فإنّ الناقد بصير)** وأنا لست بمدقق لأني في أول المقام لا في أعلاه، وكيف أكون مدققاً بمجرّد عدم أخذي بواسطة **(مالك والتوكل ثم قال: أقل)** درجات **(التوكل)** وهو أولها **(أنْ ترد عليك موارد الفاقات)** أي الحاجات **(فلا تسمو)** أي تعلو **(نفسك إلا إلى من إليه الكفايات)** وهو الله تعالى، وفي ذلك دلالة على أنَّ الله أرى إبراهيم مع كمال قوته ورفعة حاله من حاله أقوى من حاله ليتزايد في حاله، ويتأدب مع ربه، وفيه دلالة على أنَّ لله أَنْ يؤدب الكبار بالصغار في السن كما مر نظيره في حكاية المرأة.

(وقيل: التوكل نفي الشكوك، والتفويض إلى مالك الملوك) أطلق التوكل على التفويض كما يطلق على التسليم وإنْ كانا أعلى منه كما مر لأنّهما من ثمراته، واعتبر نفي الشك لأنَّ التوكل إنما يكون عن قوّة اليقين، وهو بعيد عن الشك. **(وقيل:**

(قوله: فقام وقبل رأسه الخ) أي لأنَّ نفسه كانت ساكنة إلى ذلك، وهكذا جدهم وشدة طلبهم لتحصيل رتبهم وتمكين مقاماتهم التي ندبهم إليها مليكهم، فلا يسكنون إلى سبب من الأسباب ولا يزالون عاكفين على الباب هاربين من كل شغل عنه أو حجاب جعلني الله وإياكم منهم، ولا أبعدني وإياكم عنهم إنّه جواد كريم.

(قوله: وعلم بما ذكر أنَّ لله الخ) أقول: تأخرت هذه العبارة من تقديم، فحقها أنْ تذكر عقب قصة المرأة قبل هذه، فقوله: أنَّ يؤدب الخ أي وأنْ يرشد إلى الأعلى مما عليه الإنسان على لسان بعض العبيد المقربين.

دخل جماعة على الجنيد رحمه الله فقالوا: **أين نطلب الرزق؟ فقال: إنْ علمتم في أي موضع هو فاطلبوه منه قالوا: فنسأل الله تعالى ذلك**) أي الرزق (**فقال: إنْ علمتم أنّه ينساكم فذكروه فقالوا: ندخل البيت فنتوكل فقال: التجربة**) بأنْ تدخلوا البيت مجربين الله هل يرزقكم أو لا (**شك**) في ضمانه للرزق ما قاله: كلام بالغ في تعليم التوكل سواء وجدت الأسباب أم لا لأنّ الرزق عند أهل الحق ما ينتفع به العبد لا ما يملكه بل، ولا ما يأكله فإنّه قد يأكل شيئاً ثم يقذفه من جوفه، ويكون رزق غيره لا رزقه، فلا قدرة له على معرفة رزقه، فإنّه لا يعرف ما الذي ينتفع به (**قالوا: فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة**) واعتمادكم بقلوبكم على الله، واشتغالكم بما أمرتم به، (**وقال أبو سليمان**) الداراني (**لأحمد بن أبي الحواريّ يا أحمد إنْ طرق الآخرة كثيرة وشيخك**) وهو أنا (**عارف بكثير منها إلا هذا التوكل المبارك، فإني ما شممت منه رائحة**) فيه دلالة على كمال أبي سليمان، وإقراره على نفسه بأنْ أعلى مقامات التوكل، وهو التفويض كما مر لم يتمكن فيه بعد إما حقيقة، أو تأديباً لنفسه بتقصيرها في نيلها أعلى المقامات، وإما تأدباً وتبرؤاً من حوله وقوته، وهو اللائق بحاله وكمال

فائدة:

قال لقمان لابنه: «يا بني الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فإنْ استطعت أنْ تكون سفينتك فيها الإيمان بالله، وحشوها العمل بطاعة الله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو» قلت، وهذا المثل من الحكمة التي شهد الله له بها حيث قال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ [لقمان: ١٢] ومعاني هذا المثل لا تخفى على من له المام وذوق. (**قوله: كما مر نظيره في حكاية المرأة**) أقول: وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام الكفاية. (**قوله: فقال: إنْ علمتم الخ**) أقول: هذا منه رضي الله عنه حسن في تعليم التوكل، وتعريف السائل طرق الإعراض عن اعتماد الأسباب مع الأخذ بها للأمر بذلك لأنّ الرزق لا تتعين جهة تحصيله إذ هو المنتفع به على طريق أهل الحق لا ما لا يملك فقط، وقوله: إنْ علمتم أنّه ينساكم الخ إشارة إلى أنّ ما سبق في علمه أنه يصل إليكم لا بدّ من وصوله، وقوله في جوابهم: التجربة شك الخ، فيه تنبيه على أنّ دخول البيت، والقعود فيه، والحركة سواء بالنظر إلى حصول المقدور. (**قوله: فقال: إنْ علمتم الخ**) أقول: يحتمل أنّه تكلم باعتبار حاله ومقامه تحدّثاً بالنعمة، ورجاء للاقتداء به، أو لما رأى من استعداد المخاطبين فحملهم على كمال التوكل. (**قوله: قال: ترك الحيلة**) أي ترك السكون إليها كما أشار إليه الشارح.

(**قوله: إما حقيقة أو تأديباً لنفسه**) الأولى الاقتصار على قوله حقيقة لما تقدّم من أنّ التفويض مقام سيدنا محمد ﷺ الذي لم يشاركه فيه غيره. (**قوله: الثقة بما في يدي الله**)

معرفته. (**وقيل: التوكّل الثقة بما في يدي الله تعالى، واليأس عما في أيدي الناس**) هذا سبب التوكل الذي هو الإعتماد على الله لا نفسه، (**وقيل: التوكل فراغ السر عن التفكر في التقاضي في طلب الرزق**) هذا من ثمرات التوكل لا نفسه، فإنّ من توكل على الله ولم يلتفت إلى غيره من الأسباب استراح قلبه من هم الاكتساب، وإن أمر بالاكتساب. (**وسئل الحرث**) المحاسبيّ (**رحمه الله عن المتوكل هل يلحقه طمع؟ فقال: يلحقه**) في ابتداء تخلقه بمقام التوكل (**من طريق الطباع**) الناشىء من عادته المتقدّمه (**خطرات**) من الطمع (**ولا تضره شيئاً ويقويه على إسقاط الطمع**) بالكلية حتى الخطرات (**اليأس مما في أيدي الناس**) وإذا قطع يأسه مما في أيديهم اعتمد بقلبه على من يتفضل عليه وعليهم. (**وقيل: جاع النوريّ في البادية**) عشرة أيام (**فهتف به هاتف**) أي صاح به صائح فقال له: (**أيما أحب إليك سبب**) من الأسباب المعتادة (**أو كفاية**) وقوّة بأنْ يخرق الله لك العادة فيما يغنيك عن الطعام والشراب زيادة على ما قواك وأغناك (**فقال**) له: الأحب إليّ (**الكفاية**) التي (**ليس فوقها نهاية**) أي: بالنسبة لحاله وإلا فغيره قد رزقه الله من الصبر عن الطعام والشراب أكثر من صبره المذكور في قوله (**فبقي**) بعد ذلك (**سبعة عشر يوماً لم يأكل**) شيئاً، (**وقال أبو علي الروذباري: إذا قال الفقير بعد خمسة أيام أنا جائع فألزموه السوق ومروه بالعمل والكسب**) لأنَّ ذلك يدل على عدم كمال شغله بالله وعدم صبره، وشدّة ميله إلى الطعام ومن هذه صفته بقاؤه مع سببه وانتقاله شيئاً فشيئاً عن عاداته أولى من خروجه عما بيده جملة، وتقدمت الإشارة إلى هذا مع الإشارة إلى أنه ينبغي للعبد أنْ لا يخلي نفسه عن السبب الشرعيّ كحمل الزاد في الأسفار إلا إذا رزقه الله الصبر عن الطعام والشراب مدة يستغني فيها عن الناس وسؤالهم. (**وقيل: نظر أبو تراب النخشبي إلى صوفيّ مد يده إلى قشر بطيخ**) مرمي في التراب (**ليأكله**) بعد ثلاثة أيام لم يأكل فيها شيئاً (**فقال له: لا يصلح لك التصوف إلزم السوق**) لما مرّ آنفاً، (**وقال أبو يعقوب الأقطع البصري: جعت مرة بالحرم عشرة أيام فوجدت ضعفاً**) ببدني من

أي بما في تقديره على حسب سابق علمه وحكمته. (**قوله: من همّ الإكتساب**) أي من هم السكون إليه والاعتماد عليه. (**قوله: هل يلحقه طمع: الخ**) فيه بشرى بأنَّ الخطرات في ابتداء السير ببقايا الطبع لا تؤثر في الضرر بل تزول بقوة الحال في دوام السلوك. (**قوله: وقيل: جاع النوري الخ**) في ذلك إشارة إلى أنَّ العبد قد يرزق قوّة الطاعم والشارب بكفاية الله تعالى، ولا مانع منه إذ كل من السبب والمسبب بإيجاد الله تعالى.

(**قوله: فألزموه السوق**) أي لأنه لم يستعمل طريق التجرد في القيام على النفس

الجوع (فحدثتني نفسي بطلب شيء) آكله (فخرجت إلى الوادي لعلي أجد شيئاً يسكن ضعفي فرأيت سلجمة) هي نبت (مطروحة) على الأرض (فأخذتها فوجدت في نفسي منها وحشة، وكأنَّ قائلاً يقول لي: جعت عشرة أيام، وآخره يكون حظك سلجمة متغيرة فرميت بها ودخلت المسجد فقعدت، وإذا أنا برجل أعجمي جلس بين يدي ووضع قمطرة) وهي ما يصان فيه المكاتيب (وقال: هذه لك فقلت: كيف) أي لم (خصصتني بها؟ فقال: اعلم أنا كنا في البحر منذ عشرة أيام وأشرفت السفينة على الغرق فنذر كل واحد منا إنْ خلصنا الله أنْ يتصدق بشيء، ونذرت أنا إنْ خلصني الله عز وجل أنْ أتصدق بهذه) القمطرة (على أول من يقع عليه بصري من المجاورين) بالحرم (وأنت أول من لقيته فقلت: افتحها ففتحها فإذا فيها كعك سميد) أي حسن الدقيق (مصري ولوزه مقشر وسكر كعاب) أي عقد (فقبضت قبضة من ذا، وقبضة من ذا، وقبضة من ذا وقلت) له (رد الباقي على صبيانك هو) أي الباقي (هدية مني لكم) أي لصبيانك (وقد قبلتها) أي القمطرة بما فيها فاقبل هديتي للباقي (ثم قلت في نفسي: رزقك يسير إليك من عشرة أيام، وأنت تطلبه من الوادي) حاصل ذلك أنَّه لما شرفت همته وألقى السلجمة، ثم رجع إلى الحرم مؤدباً نفسه في عدم صبرها عن الطعام، وفي شرهها معتمداً على الله بأنْ يأتيه بما هو أشرف وأطيب من السلجمة أتاه العجمي بالقمطرة وأعلمه بسبب نذره منذ عشرة أيام فوبخ نفسه، وقال لها: الله يسوق لك رزقك الطيب منذ عشرة أيام، وأنتَ تطلبيه من الوادي، ثم أمسك نفسه عن قبولها بشره، وقال للعجمي: افتحها فلما فتحها ووجد ما فيها مما ذكر لم يأخذها كلها بل أخذ منها ما ردّ جوعه في الوقت وقال له: قد قبلتها وفاء بنذرك، ووهبت الباقي منها لصبيانك، وهذا كمال في كسر النفس مع شدّة الحاجة إلى الطعام، ورفع الهمة والإعتماد على الله في أنْ يأتي له بمثله أو بأرفع منه عند الحاجة. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: كنت عند ممشاذ الدينوريّ فجرى حديث الدين فقال: كان عليّ دين)

تدريجاً. (قوله: إذا أنا برجل أعجميّ الخ) أي ولذا قيل: «من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه». (قوله: حاصل ذلك الخ) أقول: ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]. (قوله: بل أخذ منها الخ) أي كما هو شأن مثله في النظر إلى حاجة الحال دون الاستقبال.

(قوله: كنت عند ممشاذ الخ) محصله أنَّ من استدان في طاعة يرجى له الوفاء بإقداره من الله على الوفاء في الدنيا، أو بإرضاء الخصوم عنه في الآخرة. (قوله: فما

لزمني في طاعة كافتراض لمن رآه محتاجاً من الفقراء **(فاشتغل)** له **(قلبي فرأيت في النوم كأنّ قائلاً يقول: يا بخيل أخذت علينا هذا المقدار خذ)** ولا تبالي **(عليك الأخذ، وعلينا العطاء فما حاسبت بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً ولا غيرهم)** الأولى غيرهما، وذلك لأنّ من عامله عرف حاله، وأنّه لا مال له، وأنّ معاملته محض خير، وإنما عامله على أنّه إذا فتح الله عليه بشيء أتاهم به ونبه في الرؤيا على أنّ الله تعالى إنْ لم يقض الدين عنه في الدنيا أرضى عنه أربابه في الآخرة لأنّه إلتزمه لوجهه، وسماه بخيلاً لأنّه خاف أنْ لا يقضي الله عنه دينه بغير سبب فكأنه بخل بمال غيره، وهو أقبح البخل. **(ويحكى عن بنان الحمال)** أنّه **(قال: كنت في طريق مكة أجيء من مصر ومعي زاد فجاءتني إمرأة)** وكانت مكاشفة أدبني الله بها لزعمي أني تمكنت في التوكل، وقد حملت الزاد **(و)** ذلك أنّها **(قالت لي: يا بنان أنت حمال تحمل على ظهرك الزاد وتتوهم أنه لا يرزقك)** بدونه **(قال: فرميت بزادي ثم أتى عليَّ ثلاث)** من الأيام **(لم آكل)** فيها شيئاً **(فوجدت خلخالاً)** بفتح الخاء **(في الطريق فقلت في نفسي: أحمله حتى يجيء صاحبه فربما يعطيني شيئاً فأرده عليه، فإذا أنا بتلك المرأة فقالت لي: أنت تاجر تقول)** في الخلخال: **(حتى يجيء صاحبه فآخذ منه شيئاً)** وأدفع له خلخاله ولم لا تدفعه لله فلا تأخذ منه شيئاً **(ثم رمت إليَّ شيئاً من الدراهم وقالت: أنفقها)** على نفسك **(فاكتفيت)** أي فأخذتها واكتفيت **(بها إلى قريب من مكة)** وفي نسخة من مصر، فأدب بنان مع علوّ رتبته مرتين بالمرة الأولى إنكارها عليه حمل

حاسبت بعد ذلك الخ) المراد أنّه ما أشغل نفسه بعد ذلك بطريق الوفاء اعتماداً على ما تكفل به الحق تعالى، وإلا فالواجب على كل مكلف أنْ يحاسب نفسه على حق غيره ليوفيه عند القدرة عليه، وهذا أولى مما أشار له الشارح نفعنا الله ببركات علومه.

(قوله: الأولى غيرهما) أي مع أنه يمكن إجراؤه على رأي من يقول: إنَّ الجمع ما فوق الواحد. **(قوله: وذلك)** أي وجه عدم محاسبته بعد ذلك بقالاً ولا قصاباً، ومحصله أنَّ من عامله متساهل في حقه لعلمه حاله، فلم يكن هذا الدين كغيره لابتنائه على المساهلة، وحينئذٍ فلو بخل به كأنه بخل بمال غيره كما ذكره الشارح.

(قوله: ويُحكى عن بنان الخ) فيه تنبيه على أنَّ الفضل لا يختص بذكر ولا أنثى، وأنَّ الكامل قد يؤدّب بغيره سواء كان أعلى أو أدون أو مساوياً. **(قوله: ولم لا تدفعه لله الخ)** مرادها رضي الله عنها حمله على علوّ الهمة ليكمل له شرف نفسه حتى يترقى إلى درجة قصر الأمل عليه تعالى.

(قوله: ومن يتق الله يجعل له مخرجاً الخ) يحتمل أنها جملة إعراضية مسوقة لتأكيد

الزاد مع زعمه التمكن في التوكل، والثانية قولها له، أنت تاجر إلى آخره، وإعانتها له على حالها بما أعطته له من الدراهم. **(ويحكى عن بنان)** أيضاً **(أنه احتاج إلى جارية تخدمه فانبسط إلى إخوانه)** في تحصيلها له **(فجمعوا له ثمنها وقالوا: هو ذا)** وحيث **(يجيء النفر)** الذين يبيعون الجواري **(فنشتري)** لك منهن **(ما يوافقك فلما ورد)** علينا **(النفر)** و **(اجتمع رأيهم على واحدة وقالوا إنها تصلح له فقالوا لصاحبها: بكم هذه؟ فقال: إنّها ليست للبيع فألحوا عليه، فقال: إنّها لبنان الحمال أهدتها إليه إمرأة من سمرقند، فحملت إلى بنان وذكرت له هذه القصة)** في ذلك دلالة على أنّ الله تعالى يعتني بمن توكل عليه، ويقضي له حوائجه، وهو لا يشعر وفاء بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢] فلما علم تعالى حاجة بنان إلى من يخدمه لعجزه، وعلم بذلك أصحابه واشتغلوا بتدبير أمره، ألقى الله في قلب تلك المرأة بسمرقند إرسال هذه الجارية إليه، وأعظم فوائد التوكل سلامة المتوكل من نزغات الشيطان، فإنّ الله تعالى أخبر عدوّه بذلك حيث قال له: بعد قوله له: ﴿وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤] إلى آخره إن عبادي أي خواصي

ما سبق من وجوب مراعاة حدود الله بالوعد على الإتقاء عن تعديها كما أنّ ما تقدم من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥ﴾ [الطلاق: ١] مؤكدة له بالوعيد على تعديها، فالمعنى حينئذٍ ومن يتق الله، فطلق للسنة ولم يضارّ المعتدة، ولم يخرجها من مسكنها، واحتاط في الأشهاد وغيره من الأمور يجعل له مخرجاً مما عساه يقع في شأن الأزواج من الغموم، والوقوع في المضايق ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٣] أي من وجه لا يخطر بباله ولا يحتسبه، ويحتمل أنْ يكون كلاماً جيء به على نهج الاستطراد عند قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [الطلاق: ٢] فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أولياً، وعنه ﷺ أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة»[1] وقال ﷺ: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم، ومن يتق الله» الخ، فما زال يقرؤها ويعيدها، ورُوي أن عوف بن مالك الأشجعي أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله ﷺ وقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة، فقال ﷺ: «اتق الله وأكثر لا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم» ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب، ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] معناه كافيه في جميع أموره والله أعلم.

(قوله: سلامة المتوكل الخ) أي بسبب تفويض أمره إلى باريه، وتركه تدبير ما

---

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٨/ ١٦٠).

المعتمدين علي ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن الحسن المخزومي يقول: حدّثنا أحمد بن محمد بن صالح قال: حدّثنا محمد بن عبدون قال: حدّثنا الحسن الخياط قال: كنت عند بشر الحافي فجاءه نفر فسلموا عليه فقال: من أين أنتم قالوا: نحن من الشام جئنا لنسلم عليك؛ ونريد الحج فقال: شكر الله تعالى لكم فقالوا)** له **(تخرج معنا فقال:)** أخرج **(بثلاث شرائط)** أحدها **(لا نحمل معنا شيئاً)** من الزاد **(و)** ثانيها **(لا نسأل أحداً شيئاً و)** ثالثها **(إنْ أعطانا أحد شيئاً لا نقبله فقالوا)** له **(أما أنْ لا نحمل فنعم، وأما أنْ لا نسأل فنعم وأما أنْ لا نقبل إنْ أعطينا، فهذا لا نستطيعه فقال)** لهم: **(خرجتم متوكلين على زاد الحجيج)** لأنهم إذا رأوكم لا تحملون زاداً علموا حاجتكم فاعطوكم **(ثم قال)** لي بشر **(يا حسن الفقراء ثلاثة فقير لا يسأل وإنْ أعطي لا يأخذ، فذاك من جملة الروحانيين)** بضم الراء، وهو من ارتفعت همتهم عن الخلق وعاشوا بدوام ذكرهم لمولاهم، **(وفقير لا يسأل، وإنْ أعطي قبل فذاك مما يوضع لهم موائد في حظائر القدس)** أي الطهر فقلبه مطهر من التدنس بالأغيار ناظر إلى ما يجريه الله عليه بحسن الاختيار، **(وفقير يسأل)** عند الحاجة **(وإنْ أعطي قبل قدر الكفاية فكفارته)** أي كفارة سؤاله **(صدقه)** بأنْ لا يسأل حتى يصدق في جوعه واحتياجه وعلامة صدقه فيهما أنْ يأخذ ما تندفع به ضرورته في وقته، وفيما قاله دليل على اختلاف مقامات المتوكلين. **(وقيل لحبيب العجمي: لم تركت التجارة؟ فقال: وجدت الكفيل)** برزقي **(ثقة)** وهو رزق في طيب لا شبهة فيه ولا منة، وهو مضمون على الله بقوله: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فما دام العبد حياً لا بد له من رزق إما قوت، أو كفاية وقوّة كما مرّ، **(وقيل: كان في الزمن الأوّل رجل**

يعنيه. **(قوله: الفقراء ثلاثة الخ)** أقول الأوّل مقامه التسليم، والثاني التفويض، والثالث مطلق التوكل، وهي مرتبة في الفضيلة على هذا الوجه فأعلاها الأوّل، ثم الثاني، ثم الثالث. **(قوله: وعاشوا بدوام ذكرهم الخ)** أي فقوتهم بالذكر، وحياتهم بالفكر. **(قوله: وفقير لا يسأل)** أي بسبب عزته باتصافه بمقام التفويض لما يجريه العليم الحكيم. **(قوله: فقلبه مطهر الخ)** أي حيث لم يؤمل غير مولاه، ولم يتطلع إلى ما سواه، فلذلك كان جزاؤه من جنس عمله، وشرفه من مصدر أمله. **(قوله: فكفارته الخ)** يشير إلى أنّ مثل هذا من النقص الذي له جابر، فهو به بعيد عن نيل هاتيك الحظائر بذوق خبر: «اليد العليا خير من اليد السفلى»، ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٧٤]. **(قوله: وقيل لحبيب العجمي: الخ)** ليس الغرض من ذلك ذم تعاطي الأسباب بل الإشارة إلى ترقي الأحباب بانقطاعهم إلى شهود تصاريف رب الأرباب فافهم. **(قوله: وقيل: كان**

في سفر ومعه قرص فقال: إن أكلته مت) جوعاً (فوكل الله تعالى به ملكاً وقال: إن أكله فارزقه) غيره (وإن لم يأكله فلا تعطه شيئاً) غيره (فلم يزل القرص معه إلى أن مات) جوعاً (ولم يأكل) شيئاً (وبقي عنده القرص) فيه دلالة على التحذير من الحرص على الحاصل، وأقبح الحرص حرص العبد على الشيء حتى لا ينتفع به في نفسه فضلاً عن غيره من المحتاجين إليه كما هنا، وفائدة هذه الحكاية أنَّ الحق تعالى إنما ضمن الكفاية للمحتاجين، وهذا قد أغناه بالقرص، فاعتمد عليه فقد تسبب في إهلاك نفسه بحرصه عليه، وفيه تنبيه على أنَّ المتوكل يكون وثوقه بما في يد الله أوثق مما في يديه، (وقيل: من وقع في ميدان التفويض يزف إليه المراد) أي مراد الله الذي له فيه صلاح، وهو يريد كل ما أراده الله، فما أراده الله فهو مراده بتوفيق الله له فيزف إليه (كما تزف العروس إلى أهلها، والفرق بين التفويض والتضييع، إنّ التضييع في حق الله تعالى) بأنْ يترك العبد ما أمره الله به، أو يفعل ما نهاه عنه (وذلك مذموم، والتفويض في حقك) أيها العبد لأنّه إنما يكون فيما لم يأمرك الله به، ولم ينهك عنه بل أباحه لك، وخيرك فيه، فلا تعرف مصلحتك فيه فتضيفها لمن يعرفها (وهو محمود) كما علم. (وقال عبد الله بن المبارك: من أخذ فلساً من حرام فليس بمتوكل) مطلقاً لأنّه فوت التوكل الواجب والمندوب. (سمعت محمد بن عبد الله

في الزمن الأوّل الخ) فيه تنبيه على أنَّ الحذر لا يمنع القدر، ومن اعتمد على شيء وُكّل إليه، فالله تعالى يجعل اعتمادنا في كل شيء عليه.

(قوله: أوثق مما في يديه) أقول: بل الكمال في عدم الوثوق بما في يد العبيد أصلاً بشهود أنَّ الله تعالى يفعل ما يريد. (قوله: وقيل: من وقع في ميدان التفويض الخ) أي بواسطة فنائه عن جميع ما له من المرادات تحقق بأسباب السعادات، وترقياً إلى درجة أرباب العنايات، فمراده فانٍ في مراد الحق وهمته عالية في طريق الصدق. (قوله: يزف إليه المراد الخ) أي لأنَّ المقدر لا بدّ من أنّه يكون، ومع شرف المقاصد يكون فوق ما تدركه الظنون، وفي ذلك إشارة إلى راحة سره وهنائه بطرح نفسه في أحكام عبوديته. (قوله: والفرق بين التفويض الخ) الغرض من ذلك إفادة أنَّ التفويض المطلوب فيما أباحه الحق تعالى لعبده من المرادات لا فيما طلبه منه من العبادات والطاعات، ولا فيما نهاه عنه من أسباب الهلكات، فترك ذلك بزعم التفويض تضييع وتعرض للهلاك والذم الفظيع. (قوله: بل أباحه لك، وخيرك فيه) أي مما خفي عنك وجه المصلحة فيه أخذاً، أو تركاً، فحينئذٍ يلزمك أنْ ترجع فيه عن مرادك لمراده، وعن اختيارك لاختياره قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] وقال ﷺ: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع». (قوله: لأنه فوت التوكل الواجب

الصوفي رحمه الله يقول: سمعت نصر بن أبي نصر العطار يقول: سمعت علي بن محمد المصري يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: دخلت البادية مرّة بغير زاد) على عزم التوكل (فأصابتني) فيها (فاقة فرأيت المرحلة) أي القرية (من بعيد فسررت بأني قد وصلت) أي بقرب وصولي إليها (ثم أفكرت في نفسي أني سكنت) فيها (واتكلت على غيره) تعالى في تحصيل ما أنا محتاج إليه، فكرهت ذلك، وعزمت على مخالفة نفسي (فآليت) أي حلفت على (أن لا أدخل المرحلة إلا أنّ أحمل إليها فحفرت لنفسي في الرمل حفيرة، وواريت جسدي فيها إلى صدري) حتى أبعد عن الإتكال على أهل المرحلة (فسمعوا) وهم فيها (صوتاً في نصف الليل عالياً يقول: يأهل المرحلة إنّ لله تعالى ولياً حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه فجاءني جماعة فأخرجوني وحملوني إلى القرية) فقوي بذلك يقيني، وتمكن توكلي على ربي، وهذا وأمثاله يفعلون ذلك لتعلم اليقين، وهو أنّ يغلب على القلب أنَّ الحق تعالى على كل شيء قدير، وفيما ذكر دلالة على مراعاة الوفاء بالعهد مع الله فيما عزم عليه العبد من نيل المقامات الرفيعة. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسن المخزومي يقول سمعت ابن المالكي يقول: قال أبو حمزة الخراساني: حججت سنة من السنين فبينا أنا أمشي في الطريق إذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي أنْ أستغيث) بأحد (فقلت: لا والله لا أستغيث، فما استتممت هذا الخاطر حتى مرّ برأ من البئر رجلان فقال أحدهما للآخر: تعال حتى نسد رأس هذا البئر لئلا يقع فيها أحد فأتوا) الأولى فأتيا (بقصب وبارية) وهو ما ينسج من قصب (وطموا) الأولى وطميا وفي نسخة (رأس البئر فهممت أنْ أصيح، ثم قلت في نفسي: أصيح) وفي نسخة أشكو (إلى من هو أقرب) إليّ (منهما وسكنت) وفي نسخة وسكت (فبينما أنا بعد ساعة إذا أنا بشيء جاء وكشف عن رأس البئر وأدلى رجله) فيها (وكأنه يقول لي؛ تعلق بي في همهمة) وفي نسخة بهمة (له كنت أعرف ذلك منه) أي فهمت منها أنه يقول: تعلق بي (فتعلقت به فأخرجني، فإذا هو سبع) سخره الله لي (فمرّ) أي جاوزني (وهتف بي هاتف) فقال (يا أبا حمزة أليس هذا

والمندوب) أي والأوّل إنما يكون بعد التحقق بالمتابعات، والثاني في المباحات والعادات. (قوله: يقول: دخلت البادية الخ) أقول: في ذلك إشارة إلى أنَّ كمال التوكل لا يكون ما بقي في القلب سكون إلى ما سواه تعالى بل لا بدّ في تحققه من تجريد القلب عن علق السوى بل، وعن السكون إلي ذلك التجريد. (قوله: فسمعوا وهم فيها صوتاً الخ) لعل الحكمة إظهار شرف هذا الأستاذ في أهل وقته، وإلا فطرق الإسعاف كثيرة. (قوله: حجبت سنة من السنين الخ) أقول: شاهده قوله جل شأنه: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ

أحسن) من نجاتك قبل طم رأس البئر **(نجيناك بالتلف من التلف)** يعني بالمتلف أي بالسبع، أو بتلف تغطية البئر **(فمشيت وأنا أقول: نهاني حيائي منك)** يا الله **(إن أكتم الهوى)**. أي الحب **(وأغنيتني بالفهم منك عن الكشف * تلطفت في أمري فأبديت شاهدي)**. أي حالي الحاضر **(إلى غائبي)** أي لحالي الغائب عني **(واللطف يدرك باللطف * تراءيت لي بالغيب حتى كأنما. تبشرني في الغيب أنك في الكف * أراك وبي من هيبتي لك وحشة. فتؤنسني باللطف منك وبالعطف * وتحيي محباً)** لك **(أنت في الحب حتفه. وذا عجب كون الحياة مع الحتف)** أي الموت، فالعبد لا يعيش مع مولاه حتى يموت عن أغراض نفسه وهواه، والغرض من جملة الأبيات أنّ الله يرى العبد من عجائب قدرته ولطفه ما يغنيه عن فكره، وكشفه، ومن الحكاية السابقة أنَّ المتوكل يرى أنّ الأفعال كلها من الله، فإنّه المحرك له والمسكن، وقد

﴿مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢]. **(قوله: نجيناك بالتلف من التلف)** أي خلصناك بسبب التلف من سبب التلف باعتبار الشأن في كل منهما.

(قوله: نهاني حيائي منك أنْ أكتم الهوى الخ) المعنى والله أعلم بأسرار عباده، إنّ ما أمر به من كتم المحبة للحق لكونها من الأسرار الواجب إخفاؤها على الغير قهره على إظهارها الحياء من الله تعالى بواسطة ترادف نعمه وألطافه الموجبة لزيادة الثناء، وقوله: واغنيتني بالفهم منك عن الكشف، المعنى أنّه بإزالة حجاب الجهالات عن قلبه بإشراق أنوار المعارف الإلهية صار غنياً عن كشف العيان كما يشير إليه قول بعضهم، لو كشف عني الحجاب ما ازددت يقيناً، وقوله: تلطفت في أمري الخ يريد رضي الله عنه أنَّ الحق تعالى بلطفه به كان توفيقه في إظهار ثمرات محاسن أعماله على حسب ما دلت عليه متابعة سيد الكمل ﷺ، فكان ذلك له إمارة على ما غاب عنه مما استأثر الله بعلمه من القبول والفوز بالمأمول، وهذا وذاك لطف بلطف إذ هو الفاعل لما يريد، وقوله: تراءيت لي بالغيب الخ معناه أنّه يعجزه عن الوصول إلى حضرة ربه لكونه من غيب الغيب المطلق الذي لا يدرك كنهه عقل، ولا يسع التعبير عنه نقل ظهر له الحق ظهوراً يبشره به أنّه بإحاطة علمه به يكفيه كل مهماته على وجه السرعة، فهو تعالى بإحسانه إلى عبده كأن ما يحتاج إليه ذلك العبد ويسأله مولاه حاضر في كفه، وقوله أراك ولي من هيبتي الخ معناه أنّه بما منحه من علم جلال الله تعالى وعظمته تلحقه هيبة تؤثر فيه وحشة بسبب سطوات خوفه منه تعالى فيلهم في هذه الحالة مقام الرجاء في عموم الرحمة الإلهية، وسبقها مظاهر الغضب، فعند ذلك يبدل الله وحشته بمظاهر الخوف أنساً بتجلي بسط الرجاء والإحسان، وقوله: وتحيي محباً الخ معناه أنَّ حياة المحب للحق سبحانه وتعالى في حتفه أي هلاكه من جهة نفسه، فبفنائه عن حظوظها، وعن عاداتها، ومألوفاتها بشاهد

كان قادراً على أنْ يحفظ هذا من الوقعة في البئر لكنه أوقعه فيها ليظهر تحقق توكله عليه، ولهذا لم يصح في البئر حين سد رأسها مع أنه كان متمكناً من إزالة البارية عن رأسها بلا كلفة إنْ تعين عليه الطلوع. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت أبا سعدان التاهرتي)** بفتح الهاء وإسكان الراء **(يقول: سمعت حذيفة المرعشي يقول: وكان قد خدم إبراهيم بن أدهم وصحبه فقيل له: ما أعجب ما رأيت منه؟ فقال: بقينا في طريق مكة أياماً لم نجد طعاماً نأكله، ثم دخلنا الكوفة فأوينا إلى مسجد خراب فنظر إليّ إبراهيم بن أدهم، وقال: يا حذيفة أرى بك أثر الجوع قلت: هو ما رأى الشيخ فقال عليّ:)** أي جئني **(بدواة وقرطاس فجئت به فكتب)** في القرطاس ما يحقق مقام التوكل مع تعاطي الأسباب وهو **(بسم الله الرحمن الرحيم أنت المقصود إليه بكل حال، والمشار إليه بكل معنى)** كما قيل: وظنوني مدحتهم جميعاً. وأنتَ بما مدَحتهم مرادي **(أنا حامد أنا شاكر أنا ذاكر)**. هذه مما أمر العبد بها **(أنا جائع أنا نائع)** أي عطشان **(أنا عاري)** هذه أي أضدادها مما يفتقر إليها العبد فيأتيه الله بها **(هي)** أي الأمور المذكورة **(ستة وأنا الضمين لنصفها)**. الأوّل بأمرك **(فكن)** أنت **(الضمين لنصفها)** الثاني **(يا جاري)** أي قريباً من المحسنين بمعنى كن مستمراً على ذلك، وإلا فهو تعالى قد ضمن لهم

المتابعات، والمجاهدات تكون حياته، فكانت حياة النفس ووجودها بفنائها، ولذلك قال:

وذا عجب كون الحياة مع الحتف

تأمل المقام ومني عليك السلام ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

(قوله: ليظهر تحقق توكله) أي فهو من عناية ربه به رضي الله تعالى عنه. **(قوله: أنتَ المقصود بكل حال، والمشار إليه بكل معنى)** يريد رضي الله تعالى عنه أنَّ العبد على اختلاف أحواله بتقلبه في مظاهر الآثار تارة بعبارات، وأخرى بإشارات، مرجع عبارته ومركز إشاراته ذات بارئه تعالى وقوفاً مع ظواهر المتابعات، وعملاً بواجب الأحكام الشرعيات، فهي وإنْ ظنها القاصر رجوعاً إلى الآثار المقصود منها نور الأنوار المتجلي بجلاله وجماله على أعين بصائر الاستبصار. **(قوله: وظنوني مدحتهم الخ)** معناه أنَّ من وقف مع الظواهر ولم يترق إلى طهارة السرائر يظن أنَّ ثناء غيره على الخلق غفلة عن الإله الحق، وما دري أنّه لمظاهر الأسماء والصفات، فهو في الحقيقة راجع إلى عين الذات فافهم.

(قوله: فكن أنت) أي بطريق الفضل والإحسان. **(قوله: وإلا فهو تعالى الخ)** أي ففائدة الدعاء حينئذٍ الامتثال والتعبد لقوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

(قوله: فورب السماء والأرض إنه لحق) الضمير عائد على ما في قوله: «وما توعدون»

ذلك، وأقسم عليه بقوله: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] وقوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦] فمعنى البيت أنا فعلت ما أمرتني به فتفضل عليّ بما ضمنته (**مدحي لغيرك**) يا الله كأنه (**لهب**) وفي نسخة وهج (**نار خضتها. فأجر عبيدك من دخول النار**). أي من مدح غيرك (**ثم دفع إليّ**) إبراهيم (**الرقعة**) المكتوبة (**وقال: أخرج ولا تعلق قلبك بغير الله وادفع الرقعة إلى أوّل من يلقاك**) فلا يكون لك اختيار في شخص دون آخر (**قال: فخرجت فأوّل من لقيني رجل كان على بغلة فأخذ مني الرقعة وبكى، وقال: ما فعل صاحب هذه الرقعة؟ فقلت في المسجد الفلاني: فدفع إلي**) البشرى (**صرة فيها ستمائة دينار، ثم لقيت رجلاً آخر فقلت له: من صاحب هذه البغلة؟ فقال لي: هو نصراني فجئت إلى إبراهيم بن أدهم فأخبرته بالقصة فقال لا تمسها**) أي الصرة (**فإنه يجيء الساعة، فلما كان بعد ساعة وافى النصراني**) بالمجيء (**وانكب على رأس إبراهيم بن أدهم وأسلم**).

أي من الثواب لأنّ الجنة في السماء السابعة، ولأنّ الأعمال مكتوبة ومقدرة فيها، وثواب الأعمال كذلك، أو عائد على ما ذكر من أمر الآيات، والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة قوله: ﴿مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] أي فكما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أنْ لا تشكوا في حقيقته. (**قوله: مدحي لغيرك الخ**) المراد الغير باعتبار ذاته، وقطع النظر عن موجده وإلا إذا كان من حيث أنه أثر للحق تعالى ومدحه بالطريق الصدق، فلا ضرر فيه حينئذٍ والله أعلم.

خاتمة:

نسأل الله حسنها، اعلم وفقني الله وإياك أنّه إذا أوصلك مولاك بفضله إلى درجة المتوكلين، ورزقك بإحسانه الاعتماد عليه فيما تحتاج إليه في أمر الدنيا والدين، وتجسست في أوقاتك على جميل صنعه بك في كل حين استراحت نفسك من هم التدبير، وعذاب التقدير، فيما لم يأمرك به ربك، ولا ندبك إليه العليم الحكيم، ولاحت لقلبك لوائح الرضا والتسليم، وشممت نسيم التفويض لأمره أطيب نسيم، وقذفك مقام التوكل على ساحل كرم ربك وحسن الاعتماد على ما يجريه عليك من عنده، أو بواسطة العباد، فعليك بحقيقة التوكل، ومقام الشكر لتنال بذلك أعلى مقام الذكر، فتكون دائماً مع إخوانك المتقين، وتجلس على موائد المحبوبين المحبين، فالله لا يحرمنا وإياك متابعة سيد المرسلين آمين يا رب العالمين.

باب الشكر

هو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم من حيث أنه منعم عن الشاكر أو غيره ويقال: هو الثناء على المنعم بإنعامه ويكون بالقلب، واللسان، والأركان كما سيأتي مع

باب الشكر

أقول: الشكر عند المحققين هو الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى ذلك يكون وصف الحق به من باب التوسع، والمجاز على معنى أنه المجازي عليه، فسمي جزاء الشكر شكراً كما سمى جزاء السيئة سيئة، وجزاء الاعتداء اعتداء، وقيل: شكر الحق تعالى هو إعطاوه الكثير من الثواب على القليل من العمل، وقيل: الشكر هو الثناء على المحسن بذكر إحسانه، وعليه، فلا إشكال لأنه تعالى أثنى على عبيده الطائعين بذكر طاعتهم، وهي من قبيل الإحسان، والعبد يُسمى شَكوراً لثنائه على الله تعالى بذكر نعمه التي هي من أعظم أنواع الإحسان. واعلم أنّ الشكر من منازل الأكابر، ومن صفات النبيّ ﷺ وهو يستدعي المزيد وقد أمر به الحق تعالى حيث قال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢]، وفي الحديث «أفلا أكون عبداً شكوراً»[١] فهو واجب على كل نعمة من حركة أو سكون، أو حياة، أو مطعم، أو مشرب، أو لباس، أو فراش، أو صحة، أو مرض إذ كل ذلك من النعم، ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم ٣٤، النحل: ١٨] فاستعمل الجدّ في الشكر، ولا تغفل عن واجب حق الله عليك في جميع الأنفاس، والحركات، والسكنات، والخطرات، والإرادات ظاهراً وباطناً على الدوام والاستمرار، إذ في كل زمن تتجدّد عليك النعم فيه وتتوارد عليك الألطاف مع زيادات يعجز عنها الإدراك وتقف العقول. (**قوله: هو فعل ينبىء الخ**) أقول: وسيأتي إنّه رؤية المنعم لا رؤية النعم، قلت: ويؤيده أنّ أيوب عليه السلام صبر على البلاء فقيل له: نعم العبد وسليمان عليه السلام شكر على النعم فقيل له: نعم العبد، وذلك لاتفاقهما في المقام بعدم الالتفات إلى النعمة والنقمة لفقدان اللذة والألم باعتبار كمال المحو،

---

(١) أخرجه البخاري (تهجد ٦) (تفسير سورة ٤٨، ٢) ومسلم (منافقين ٧٩ ـ ٨١) والترمذي (صلاة ١٨٧) والنسائي (قيام الليل ١٧) وابن ماجه (إقامة ٢٠٠) وأحمد بن حنبل (٤، ٢٥١، ٢٥٥، ٦، ١١٥).

زيادة، وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾) [إبراهيم: ٧] أي توفيقاً ونعماً فيزيد شكركم على ذلك، وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا﴾ [سبأ: ١٣] وقال: ﴿اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤] وقال: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ: ١٥] (وحدّثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن عبدان قال: حدّثنا أبو الحسن الصفار قال: حدّثنا الإسقاطي قال: حدّثنا منجاب قال: حدّثنا يحيى بن يعلى عن أبي

وانسلاب صفات البشرية عنهما انسلاباً انقلب معه الصبر شكراً، والشكر صبراً فعدم التمييز بينهما فكانا كما قيل:

رَقَ الزجاج وراقت الخمر ... وتشابها فتشاكل الأمر

فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

قوله: هو فعل ينبىء الخ هذا تعريف للشكر اللغوي، أما هو عرفاً واصطلاحاً فهو صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه، فيما خلق من أجله كما لا يخفى. (قوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾) [إبراهيم: ٧] الخطاب لبني إسرائيل، والعبرة بعموم اللفظ والمعنى لئن شكرتم ما خولناكم من نعمة الإنجاء وإهلاك العدوّ، وغير ذلك من النعم الفائقة عن الحصر، وقابلتموه بالإيمان والطاعة لأزيدنكم نعمة إلى نعمة، ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧] أي وكفران ذلك غمصه، واعلم أنَّ من عادة الكرام التصريح بالوعد، والتعريض بالوعيد، فما ظنك بأكرم الأكرمين، ويحتمل في معنى الآية الكريمة غير ذلك. (قوله: وقال: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ﴾ [سبأ: ١٣] الخ كرر الآيات لغرض تأكيد الطلب فافهم والله أعلم.

(قوله: اعملوا آل داود شكراً) حكاية لما قيل لهم، وشكراً نصب على أنه مفعول له، أو مصدر لاعملوا لأنّ العمل للمنعم شكر له، أو لفعله المحذوف أي اشكروا شكراً، أو حال أي شاكرين أو مفعول به أي اعملوا شكراً، وقوله: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] أي المتوفر على أداء الشكر بقلبه ولسانه وجوارحه أكثر أوقاته، ومع ذلك لا يوفي حقه لأنّ التوفيق للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية، ولذا قيل: الشكور من يرى عجزه عن الشكر، وقوله: وقال: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ [سبأ: ١٥] حكاية لما قيل لهم على لسان نبيهم، تكميلاً للنعمة، وتذكيراً لحقوقها، أو لما نطق به لسان الحال، أو بيان لكونهم أحقاء، أنْ يقال لهم ذلك. (قوله: فبكت الخ) أي بكت حزناً على مفارقه تلك الأنوار ومشاهدة نور الأبصار، وقالت: وأي شيء من شأنه الخ ووجهه أنّه مع تحقق ما ثبت له من الكرامات والكمالات، وما وعد به من أرفع المقامات لم يسلك في عمره طريق الراحات ولم يختر لنفسه الكريمة خلاف الرياضات والمجاهدات، إذ الكامل قابل للكمال، والحق تعالى دائم الإحسان والإفضال، فعلى العاقل أنْ يقتدي بسيد الكمل، ولا يقصد إلا ما عليه المعوّل، والله أعلم.

خباب عن عطاء، قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها مع عبيد بن عمير فقلت) وفي نسخة فقال لها عبيد بن عمير: (أخبرينا بأعجب ما رأيت من رسول الله ﷺ فبكت وقالت: وأي) شيء من (شأنه لم يكن عجباً) بمعنى أعجب، فإنَّ كلاً من شؤونه إذا علمت به قلت: إنَّه أعجب من غيره (إنَّه أتاني في ليلة فدخل معي في فراشي، أو قالت في لحافي حتى مس جلده جلدي، ثم قال: «يا بنت أبي بكر ذريني») أي اتركيني (أتعبد لربي قالت: قلت: إني أحب قربك) مني، ثم وافقته في مطلوبه (فأذنت له) فيه (فقام إلى قربة من ماء فتوضأ) منه (فأكثر صب الماء) على أعضائه فأحسن وضوءه (ثم قام يصلي فبكى) وهو قائم (حتى سالت دموعه على صدره ثم ركع فبكى) وهو راكع (ثم سجد) القياس، ثم رفع رأسه فبكى، ثم سجد (فبكى ثم رفع رأسه فبكى فلم يزل كذلك حتى جاء بلال فآذنه) بالمد أي أعلمه (بالصلاة فقلت له: يا رسول الله ما يبكيك وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك، وما تأخر قال: «أفلا أكون عبداً شكوراً ولم لا أفعل»)[1] أي أبكي (وقد أنزل الله عليَّ أنّ

(قوله: ثم قام يصلي فبكى الخ) يحتمل أنّ بكاءه ﷺ لكونه في مثل هذا الوقت قد تجلى له الحق تعالى بسطوات الجبروت والعظمة، فاستولى على نفسه مقام الخوف والهيبة، ويحتمل أنّه تجلى الله عليه بمشهد الجمال والإحسان، فأشرف بذلك على التقصير على حسب علوّ همته كما يشير إليه خبر: «سبحانك ما عبدناك حق عبادتك»، ويدل لما ذكرناه قوله ﷺ: «ولم لا أفعل» الخ تأمل.

(قوله: ثم قام يصلي فبكى الخ) أقول: إنما وقع له ذلك في الصلاة لأنها طهرة للقلوب، واستفتاح للغيوب، ومحل للمناجاة ومعدن للمصافاة تتسع فيها ميادين الأسرار، وتشرق فيها شوارق الأنوار بإفاضة دقائق العلوم، ورقائق المعارف، فيجد المصلي في كل سورة معنى بل من كل آية بل من كل حرف ويتجدّد ذلك عليه على حسب الفيض والقصد والهمة، فهي الجامعة للإشارات واللطائف، والدقائق، والرقائق، فيسري ذلك من القلب إلى سائر الجوارح والقوالب فيظهر عليها سمت الباطن ونور العمل، وأسراره حتى لقد قيل: من كثرت صلاته في الليل حسن وجهه في النهار، وقال الشيخ الترمذي: دعا الله الموحدين إلى هذه الصلوات الخمس رحمة منه عليهم، وهيأ لهم ألوان الضيافات لينال العبد من كل قول وفعل شيئاً من عطاياه، فالأفعال كالأطعمة، والأقوال كالأشربة هي عرس الموحدين إلى آخر ما قال نفعنا الله ببركات علومه.

(قوله: ولم لا أفعل) أي لا ينبغي عدم بكائي، وقد أنزل الله علي ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ

---

(١) أخرجه البخاري (تهجد ٦) (تفسير سورة ٤٨، ٢) ومسلم (منافقين ٧٩ ـ ٨١) والترمذي (صلاة ١٨٧) والنسائي (قيام الليل ١٧) وابن ماجه (إقامة ٢٠٠) وأحمد بن حنبل (٤، ٢٥١، ٢٥٥، ٦، ١١٥).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤] الآية، قال أبو السعود: المفسر جملة مستأنفة سيقت لتقرير ما سبق من اختصاصه تعالى بالسلطان القاهر، والقدرة التامة مصدرة بكلمة التأكيد اعتناء بتحقيق مضمونها أي في إنشاء السموات على ما هي عليه في ذواتها وصفاتها من الأمور التي يحار في فهم أجلاها العقول والأرض على ما هي عليه ذاتاً وصفةً، واختلاف الليل والنهار أي في تعاقبهما في وجه الأرض، وكون كل منهما خلقة للآخر بحسب طلوع الشمس وغروبها التابعين لحركات السموات، وسكون الأرض أي في تفاوتهما بازدياد كل منهما بانتقاص الآخر، وانتقاصه بازدياده باختلاف حال الشمس بالنسبة إلينا قرباً وبعداً بحسب الأزمنة، وباختلافهما وتفاوتهما بحسب الأمكنة، فإنَّ البلاد القريبة من القطب الشماليّ أيامها الصيفية أطول، ولياليها الصيفية أقصر من الأيام البعيدة منه، ولياليها، وذلك باعتبار الطول والقصر، وباعتبار نفسها، فإنّ كرية الأرض تقتضي أنْ تكون بعض الأوقات في بعض الأماكن ليلاً، وفي مقابله نهاراً، وفي بعضها صباحاً، وفي بعضها ظهراً، أو عصراً، أو غير ذلك، والليل قيل: إنّه اسم جنس يفرق بين واحده وجمعه بالتاء كتمر وتمرة، والليالي جمع ليلة وهو جمع غريب كأنهم توهموا أنها ليلة والنهار اسم لما بين طلوع الفجر وغروب الشمس قاله الراغب: تقديم الليل على النهار إما لأنّه الأصل فإنّ غرر الشهور تظهر في الليالي، وأما لتقدمه في الخلقة حسبما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾ [يس: ٣٧] أي نزيله عنه فيخلفه لآيات اسم إنّ دخلته اللام لتأخره عن خبرها، والتنكير للتفخيم كماً وكيفاً أي لآيات كثيرة عظيمة لا يقادر قدرها إدالة على تعاجيب شؤونه التي من جملتها الاختصاص بالملك العظيم، والقدرة التامة لأُولي الألباب لذوي العقول المجلوة الخالصة عن شوائب الحس والوهم المتجردين عن العلائق النفسانية المتخلصين عن العوائق الظلمانية المتأملين في أحوال الحقائق، وأحكام النعوت المراقبين في أطوار الملك، وأسرار الملكوت المتفكرين في بدائع صنائع الملك الخلاق المتدبرين في روائع حكمه المودعة في الأنفس والآفاق الناظرين إلى العالم بعين الاعتبار والشهود المتفحصين عن حقيقة سر الحق في كل موجود مثابرين على مراقبته وذكراه غير ملتفتين إلى شيء سواه إلا من حيث أنه مرآة لمشاهدة جماله، وآلة لملاحظة صفات كماله، فإنّ كل ما ظهر من مظاهر الإبداع وحضر من محاضر التكوين والاختراع سبيل إلى عالم التوحيد، ودليل قوي على الصانع المجيد ناطق بآيات قدرته، فهل من سامع واعٍ، ومخبرٍ بأنباء علمه وحكمته؟ فهل من داعٍ يكلم الناس على قدر عقولهم ويرد جوابهم بحسب مقولهم؟ يجاوز تارة بأحسن عبارة ويلوح أخرى بألطف إشارة مراعياً في الجواب إيهامهم وتقريعهم، وإنْ من شيء إلا يسبح

الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع) أي الاستكانة والتذلل، وهذا سبب للشكر لا نفسه لما مرّ **(وعلى هذا القول يوصف الحق سبحانه بأنّه شكور توسعاً)** وفي نسخة، فوصف الحق سبحانه بأنّه شكور توسع **(لا حقيقة)** لانتفاء ما ذكر في حقه **(ومعناه)** في حقه **(أنه يجازي العباد على الشكر)** أي يثيبهم عليه **(فسمى جزاء الشكر شكراً كما قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا﴾)** [الشورى: ٤٠] إذ مجازاته تعالى حق لا سيئة، وأما على ما مرّ، فالله تعالى شكور بمعنى أنّه يثني على عباده الصالحين كما سيأتي، وإنّ كان أصل الكل منه تعالى، فمن كمال فضله أنّه يبتدىء بالإحسان ويثني على فاعله **(وقيل: شكره تعالى إعطاؤه الكثير من الثواب على العمل اليسير من قولهم: دابة شكور إذا أظهرت من السمن فوق ما تعطي من العلف)** قال الجوهريّ رحمه الله: الشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل **(ويحتمل أنّ يقال: حقيقة الشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه إليه فشكر العبد لله تعالى ثناؤه عليه بذكره إحسانه إليه وشكر الحق سبحانه للعبد ثناؤه عليه بذكر إحسانه)** أي طاعته **(له)** تعالى كما بين ذلك بقوله: **(ثم إنَّ إحسان العبد)** لله **(طاعته لله سبحانه وإحسان الحق سبحانه)** للعبد **(إنعامه على العبد بالتوفيق للشكر له وشكر العبد على الحقيقة إنما هو نطق اللسان)** وفي نسخة القلب وفي أخرى العبد **(وإقرار القلب بإنعام الرب تعالى)** وخضوع بالأركان. **(والشكر)** من حيث هو **(ينقسم إلى)** ثلاثة أقسام **(شكر باللسان**

بحمده، ولكن لا تفقهون تسبيحهم، فتأمل في هذه الشؤون والأسرار إنَّ في ذلك لعبرة لأولي الأبصار. اهـ. مع بعض تصرف.

(قوله: الاعتراف بنعمة المنعم الخ) أي وعلى ذلك فنسبة الشكر له تعالى مجازية كما صرح به الشارح. تصرف **(قوله: فسمى جزاء الشكر شكراً)** أي من إطلاق اسم السبب الشرعي على المسبب كما هو ظاهر. **(قوله: وأما على ما مر)** أي من أنّه يطلق على الثناء على المنعم بإنعامه، فالله تعالى شكور حقيقة بمعنى أنّه يثني على عباده الصالحين **(قوله: وإن كان أصل الكل منه تعالى)** إي بدليل قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] فافهم. **(قوله: طاعته لله سبحانه)** أي مع الإخلاص فيها له تعالى حتى تقابل بجزاء له عليها، ولا يتم ذلك إلا بالصدق فيها، وهو لا يكون إلا بالتبري من الحول والقوة بشهود المنة له تعالى بالتوفيق، ومع ذلك كله لا يحسن للعبد طلب جزاء منه لنفسه إذ الأمر منه وإليه.

(قوله: شكر باللسان الخ) وهو لغوي لا غير وقوله: وشكر بالبدن وهو لغوي واصطلاحي باعتبار شمول الجوارح للظاهرة والباطنة. **(قوله: وهو اعتكاف على بساط الشهود)** أي بشرط قوة الرجاء في القبول مع الدوام على مقام التحفظ، ومشهد الاحترام، والقيام بحقيقة المتابعة من غير تشوف إلى عطاء أو منع.

وهو اعترافه بالنعمة بنعت الإستكانة) والخضوع **(وشكر بالبدن والأركان وهو اتصاف)** العبد **(بالوفاء والخدمة)** للمشكور **(وشكر بالقلب وهو اعتكاف)** منه **(على بساط الشهود)** أي حضور الفضل ورؤيته **(بإدامة حفظ الحرمة)** وحقيقة الشكر إنما تحصل بالثلاثة عند الإمكان. **(ويقال:)** الشكر بالنسبة إلى مقامات الصالحين ثلاثة **(شكر هو شكر العالمين يكون من جملة أقوالهم)** لأنهم لا علم عندهم إلا بالشكر باللسان، فشكرهم إنما يكون بالنطق به **(وشكر هو نعت العابدين يكون نوعاً من أفعالهم)** أي طاعتهم **(وشكر هو شكر العارفين يكون باستقامتهم له في عموم أحوالهم)** وهؤلاء انتقلوا عن أعمال الجوارح إلى أحوال القلوب، **(وقال أبو بكر الوراق: شكر النعمة مشاهدة المنة)** أي معرفتها **(وحفظ الحرمة)** أي معرفة قدرها ومنزلتها، وهذا سبب للشكر لا نفسه، **(وقال حمدون القصار: شكر النعمة أن ترى نفسك فيه طفيلياً)** بأن تضيف النعمة إلى فاعلها، وتتبرأ من إضافتها إليك، وهذا قد يرجع إلى الاعتراف

قال خير النساج رحمه الله: ميراث أعمالك ما يليق بأفعالك، فاطلب ميراث فضله وكرمه فهو أولى بك فافهم. **(قوله: إنما تحصل الخ)** أي فيكون حينئذٍ من الشكر الاصطلاحي بشاهد علم الشريعة المحمدية.

(قوله: ويقال الخ) إذا تأملت تجد يرجع لما قبله بل ما قبله أتم وأظهر وأكمل. **(قوله: بالنسبة إلى مقامات الخ)** أقول: إذا عرفت معنى الصالح من هذا القائم بحق الحق، وحق الخلق تعلم ما في الشارح من النظر فتدبره. **(قوله: باستقامتهم الخ)** أي فهم يتشوفون إلى السلامة فقط لأنَّ العبد من حيث هو أعماله مدخولة، وأحواله معلولة فهو صاحب ريبة، ومن كان كذلك فرأس ماله غنيمة السلامة من عقوبة ما هو عليه في محله فضلاً عن غيره شعر:

وقــائـلــة مــا لــي أراك مــجــانـبــاً ... أمــوراً وفــيــهــا لــلــتــجــارة مــربــح
فـقـلـت لـهـا: مـا لـي بـربـحـك حـاجـة ... فـنـحـن أنـاس بـالـسـلامـة نـفـرح

(قوله: مشاهدة المنة) أي بالتفضل والإحسان منه تعالى إذ لا يستحق العبد شيئاً مع مالكه المطلق، فحينئذٍ لا ينبغي له أنْ يطلب جزاء على عمله حيث لا عمل له في الحقيقة، ولهذا قال صاحب الحكم العطائية، إذا أراد أنْ يظهر فضله عليك خلق لك القدرة ونسبه إليك، وقال: لا نهاية لمذامك أنْ أرجعك إليك لا تفرغ مدائحك إنْ أظهر جوده عليك، قلت: لأنك أنت من حيث أنتَ محل كل نقص وريبة، ومن حيث فضله محل كل خير وإفضال حدث عن البحر في الوجهين ولا حرج. **(قوله: أنْ ترى نفسك فيه طفيلياً)** أي بواسطة علمك أنْ لا استحقاق لك ولا مقابل للنعمة من جهتك بل النعمة بمحض إحسان الله عليك لا غير.

بالنعمة، وإضافتها للمنعم، **(وقال الجنيد رحمه الله: الشكر)** أي من غالب الناس **(فيه علة لأنه)** أي الشاكر **(طالب لنفسه المزيد)** المذكور في قوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] **(فهو واقف مع الله سبحانه على حظ نفسه)** من طلب الزيادة، **(وقال أبو عثمان: الشكر معرفة العجز عن الشكر)** لأنَّ من رأى شكره نعمة عليه أمره بالشكر عليها، وشكره الثاني نعمة، فيؤمر بالشكر عليها، وهكذا فيتسلسل أو يقطعه عن الشكر الموت، فيعجز عنه بكل حال، وهذا نحو قول الصديق رضي الله عنه: «العجز عن درك الإدراك إدراك». **(ويقال: الشكر على الشكر أتم من الشكر)** المطلق لتكرره بلا نهاية **(وذلك بأن ترى شكرك بتوفيقه تعالى، ويكون ذلك التوفيق من أجل)** أي أعظم **(النعم عليك فتشكره على الشكر ثم تشكره على شكر الشكر إلى ما لا يتناهى)** ولا قدرة لك عليه، **(وقيل: الشكر إضافة النعم إلى موليها بنعت الاستكانة)** والخضوع له هذا يرجع إلى أنه الاعتراف بنعمة النعم مع التذلل، وتقدم أنه ليس بشكر، **(وقال الجنيد: الشكر أنْ لا ترى نفسك أهلاً للنعمة)** لأنَّ من

(قوله: فيه علة الخ) أي والكمال في إيقاع الشكر لوجه الذات العلية من غير إشراف النفس على شيء في مقابلة ذلك الشكر. **(قوله: وهذا نحو قول الصديق الخ)** أي ونقل عنه أيضاً قوله: سبحان من لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا العجز عن معرفته وحينئذٍ لا يتأتى للعبد إيقاع عبادته على الوجه الذي يليق به تعالى. **(قوله: العجز عن درك الخ)** أي فدليل صحة علم الإنسان مع الجدّ في العمل اعترافه بالعجز عن إدراك كنه الذات العلية، فيكون علمها عنده بمظاهر الأسماء والصفات لا غير والله أعلم.

(قوله: ويقال: الشكر على الشكر أتم الخ) أقول: ويؤيده أنَّ الحمد المقيد أفضل من الحمد المطلق لأنه يثاب على الأوّل ثواب الواجب بخلاف الثاني، فإنّه يثاب عليه ثواب المندوب، ولهذا المعنى أشار صاحب الحكم حيث قال: كن بأوصاف ربوبيته متعلقاً، وبأوصاف عبوديتك متحققاً، وأوصاف الربوبية أربعة: الغنى والعز، والقدرة، والقوة، والتعلق بها الاعتماد عليها، وأوصاف العبودية أربعة الفقر، والذلة والعجز، والضعف، والتحقق بها أنْ تراها ملازمة لك، ويختلف الحال باختلاف التعلق والتحقق، فالأوّل موقف الأدب والتعظيم، والثاني موطن البسط والتكريم هذا رسول الله ﷺ أطعم ألفاً من صاع، وشدَّ على بطنه حجراً من الجوع. **(قوله: أتم من الشكر المطلق الخ)** أقول: لعل وجهه ما يؤدّي إليه من العجز المحقق لحقيقة العبودية التي هي من أفضل ردآت الإنسان، وأكمل حلية يتحلى بها. **(قوله: هذا يرجع الخ)** أي والكمال في شهود المنعم قبل النعم، وذلك من شيم الخواص والله أعلم.

(قوله: أنْ لا ترى نفسك أهلاً للنعمة الخ) أي فيلزم أنْ تدوم على حفظ الحرمة،

لم ير ذلك ورأى أنّ النعمة فضل من الله استحيا من الله أنْ يكون شكره جزاء عليها لأنّه إذا لاحظ شكره نعمة أخرى احتاج إلى شكر، فهو يتبرأ من أنْ يكون شاكراً أبداً، **(وقال رويم: الشكر)** أي كماله **(استفراغ الطاقة)** فيه **(وقيل: الشاكر** هو **(الذي يشكر على الموجود والشكور)** هو **(الذي يشكر على المفقود، ويقال: الشاكر)** هو **(الذي يشكر على الرفد)** أي العطاء لكونه لا يعرف نعمة سواه **(والشكور)** هو **(الذي يشكر على الرد ويقال: الشاكر الذي يشكر عن النفع والشكور الذي يشكر على**

وملازمة الأدب، وهو يرجع لثلاث: إقامة الفرائض واتباع السنن ومجاملة الخلق، كما قال عليه الصلاة والسلام: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن»[1]، وهذه الأصول من تركها حرم الوصول. **(قوله: أن لا ترى نفسك الخ)** ومنه يعلم أنّه لا يصح للإنسان دعوى فيها حيث هي أي النعمة بالنسبة له من العواري المملوكة لغيره، وليس من الشرع ولا العقل، ولا المروءة ادعاء ما ليس للإنسان إذ العواري مستردة ومؤداة، والمجاز مرفوع بالحقيقة، فحينئذٍ عليه أنْ يلزم التذلل والافتقار في جميع الأحوال، قال رسول الله ﷺ: «لا أحد أغير من الله»[2] الحديث والغيرة في حقه تعالى منع ما هو له من وصف أو حتى أن يكون لغيره، وقد قال عليه الصلاة والسلام، يقول الله تعالى: «العظمة إزاري والكبرياء ردائي، فمن نازعني فيهما قذفته في ناري»[3]

(قوله: استفراغ الطاقة فيه) أي بأنْ يصرف جميع ما أنعم الله به عليه من القوى الظاهرة والباطنة في عبادة ربه على طريق متابعة سيد الكاملين ﷺ. **(قوله: هو الذي يشكر على المفقود)** أي بسبب فناء مراده في مراد ربه، وهذا المعنى قريب مما قبله إنْ لم يكن عينه.

(قوله: هو الذي يشكر على المفقود) أي ويؤثر بالموجود، فهو حينئذٍ مندرج اندراجاً أوّلياً فيمن أثنى عليهم الحق بقوله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]. **(قوله: والشكور الذي يشكر على البلاء)** أقول: وله مقامان الأوّل يكون

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٣١٩).

(٢) أخرجه البخاري (كسوف ٢) (توحيد ١٥، ٢٠) (نكاح ١٠٧) (تفسير سورة ٦، ٧، ٧، ١) ومسلم (توبة ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦) (كسوف ١) والترمذي (دعوات ٩٥) والنسائي (كسوف ١١) والدارمي (نكاح ٣٧) والموطأ (كسوف ١) وأحمد بن حنبل (١، ٣٨١، ٤٢٦، ٤٣٦، ٦، ١٦٤، ٣٤٨، ٣٥٢).

(٣) أخرجه أبو داود (لباس ٢٥) وابن ماجه (زهد ١٦) وأحمد بن حنبل (٢، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢).

المنع، ويقال: الشاكر الذي يشكر على العطاء، والشكور الذي يشكر على البلاء، ويقال: الشاكر الذي يشكر عند البذل، والشكور الذي يشكر عند المطل) وكلها متقاربة وسمي الأول في كل منها شاكراً لكونه لا يعرف نعمة سوى العطاء والثاني شكوراً لأنه رأى زيادة على ذلك حيث رأى البلاء والمنع والمطل نعماً لكونها مختارة لله العالم بمصالحه. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الأستاذ أبا سهل الصعلوكي يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجنيد يقول: كنت بين يدي السري) السقطي (ألعب وأنا ابن سبع سنين، وبين يديه جماعة يتكلمون في الشكر فقال لي: يا غلام ما الشكر فقلت: أنْ لا تعصي الله بنعمه) هذا ببركة دعاء السريّ له أنْ يسدده الله (فقال: يوشك أنْ يكون حظك من الله لسانك قال الجنيد رحمه الله: فلا أزال أبكي على هذه الكلمة التي قالها السريّ) خوفاً من أنْ لا يكون لي من الله إلا تسديد لساني. (وقال الشبلي: الشكر رؤية المنعم لا رؤية النعمة) بأنْ يكون السابق منهما إلى القلب رؤية المنعم كما قال بعضهم: ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله أي الغالب على قلبه رؤية الله ومراقبته فأي شيء حدث فيه يكون مذكراً له رؤية الله، فإنّه ذاكر له غير غافل عنه، وهذا أكمل من قول بعضهم: ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله معه لأنّ مفاده أنّ رؤية النعم مذكرة للمنعم معها فيذكر

بالإشراف على ما يترتب على ذلك من الفضل ونيل الدرجات، والثاني وهو الأكمل يكون بشهود المبلي في البلاء، والمعذب في العذاب. (قوله: فقال: يوشك أن يكون الخ) أقول: لعله يقصد هضم نفس الجنيد خوفاً من وقوفه مع حلاوة النطق، ونشر الحكم، فهو حمل له على التعلق بأوصاف الحق ظاهراً وباطناً، والتحقق بنعوته قولاً وفعلاً لأنّ الجزاء من جنس العمل، ولذا قيل لبعض المختصين: بمَ أدركت ما أدركت قال: وحدته بأفضل التوحيد، وخدمته خدمة العبيد وأطعته فيما أمرني ونهاني، فكلما سألته أعطاني، وفي الإشارة عن الله تعالى عبدي أنا الذي أقول للشيء كن فيكون، فاطعني أجعلك تقول للشيء: كن فيكون. (قوله: رؤية المنعم) أي وذلك أعلى المقام في الشكر لأنّ من هذا نعته برضا محبوبه يطيب وقته، وبغير هذا يتناهى مقته، فلو علم رضاه ولو بكونه في الجحيم كان ذلك عنده هو النعيم المقيم، والنعيم مع السخط هو العذاب الأليم.

عذابي فيك يحلو لي ومر الصبر أحلى لي

(قوله: فأي شيء حدث فيه الخ) محصله أنّ الواردات إذا وردت على القلب تكون مذكرة له رؤية الله على وجه جزئي، وذلك لا ينافي أنّه ذاكر له على وجه كلي غير غافل عنه، فلا يقال: إنّ في كلامه تدافعاً. (قوله: وهذا أكمل من قول بعضهم الخ) أي لأنّ فيه الغناء عن النفس وما لها من الحظ في ذات الحق سبحانه وتعالى.

المنعم مع ذكر النعمة. (**وقيل: الشكر قيد الموجود**) أي حفظه (**وصيد المفقود**) الممكن الموعود به من الزيادة في قوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] من توفيقي وطاعتي وهذا من ثمرات الشكر لا نفسه. (**وقال أبو عثمان: شكر العامة**) يكون (**على المطعم والملبس**) ونحوهما من النعم الظاهرة كنعمة الإسلام والعافية، وتيسير الرزق، والنيل، والمطر (**وشكر الخواص**) يكون (**على ما يرد على قلوبهم من المعاني**) التي يعرفها الفقهاء والأولياء، كمعرفة الأحكام، وكصرف الغفلات على القلوب بالورع، والزهد وغيرهما، وأعلاها معرفة الأولياء (**وقيل: قال داود عليه السلام: إلهي كيف أشكرك وشكري لك نعمة من عندك**) توجب شكراً، فأنا عاجز عن شكرك (**فأوحى الله إليه الآن قد شكرتني، وقيل: قال موسى عليه السلام في مناجته**) ربه: (**إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال:**) قد (**علم أنّ ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكره لي**) حاصل كلامهما عليهما السلام أنّ الله أعلمهما أنّ معرفتهما بالعجز عن شكر نعمته عليهما غاية في شكره، (**وقيل: كان لبعضهم صديق**) فابتلي بكذب عليه أو بغيره (**فحبسه السلطان فأرسل إليه**) أي إلى صاحبه بذلك (**فقال له صاحبه:**) أي كتب إليه (**اشكر الله تعالى**) فإنّ هذه نعمة ساقها الله إليك لك فيها أجر (**فضرب الرجل فكتب إليه**) أي إلى صاحبه (**فقال:**) أي فكتب إليه (**أشكر الله تعالى فجيء**) إليه في الحبس (**بمجوسيّ مبطون وقيد وجعلت**) وفي نسخة وجعل (**حلقة من قيده علي**) بمعنى في (**رجل هذا وحلقة**) من رجل هذا (**على**) بمعنى في (**رجل المجوسي**) بحيث لا يمشي أحدهما إلا بمشي الآخر (**فكان يقوم المجوسي**) بسبب بطنه لبيت الخلاء (**بالليل مرات وهذا**) الصديق (**يحتاج أنْ يقوم**) معه ويقف (**على رأسه حتى يفرغ**) من قضاء حاجته ثم يرجعا إلى مكانهما (**فكتب إلى صاحبه**) بذلك (**فقال:**) أي فكتب إليه صاحبه (**أشكر الله فقال:**) أي فكتب إليه (**إلى**

(**قوله: قيد الموجود الخ**) أي وذلك لا يكون إلا بالرجوع إلى الله فيه بلا علة، والوقوف بين يديه بنعت المسكنة شعر:

أدب العبيد تذلل ... والعبد لا يدع الأدب
فإذا تكامل ذله ... نال المودة واقترب

(**قوله: يكون على المطعم الخ**) أي وذلك لبقاء نفوسهم بكامل حظوظها. (**قوله: كنعمة الإسلام**) إنما كانت من الحظوظ لأنّ مرجعها محبة تحسين الظاهر، والكامل هو من لم يعول إلا على حسن السرائر. (**قوله: كمعرفة الأحكام الخ**) لف ونشر مرتب. (**قوله: فقال: قد علم الخ**) أفاد أنّ جماع كل خير شهود الرب بوصفه، ووقوف العبد عند

متى تقول:) أشكر الله **(وأيّ بلاء فوق هذا)** البلاء **(فقال له:)** أي فكتب إليه صاحبه **(لو وضع الزنار)** بضم الزاي **(الذي في وسطه)** وهو علامة الشرك **(في وسطك كما وضع القيد الذي في رجله في رجلك ماذا كنت تصنع)** نبهه بذلك على أنَّ ما من بلاء إلا وفوقه ما هو أعظم منه من بلايا الدين والدنيا، وعلى أنَّ ذلك كله بقضاء الله وقدره، وقد سلمك الله من بلاء الشرك، فاشكر الله تعالى على ذلك، وهكذا يداوي الإنسان نفسه، ويتدرج في معرفة النعم ليعظم شكره، وينعت بكونه شكوراً فيعرف نعم الدنيا والدين، ثم ينتقل إلى البلايا فيعرف أنها نعمة باعتبار الأجر عليها، أو اختيار المولى لها بحسب درجة المبتلى، وقد يستبعد ذلك، ولا استبعاد عن التأمل، فإنَّ المريض يفرح بالدواء الكريه لما يرجوه به من العافية، ويرى تيسير حصوله من النعم عليه، والصانع الذي يتعاطى الأعمال الشاقة كالبناء يفرح بتيسيرها له، وإنَّ

حده إذ من لوازم ذلك الإعراض عن الكل، والإقبال على الحق تعالى بالكل. **(قوله: فقال له: لو وضع الزنار الخ)** أي فالنعمة العظمى أنه رزقك الطاعة وألهمك الغنى به عنها، والقيام بحق العبودية أفضل الطاعات، فقد قيل: النعمة العظمى الخروج من سجن النفس إلى فضاء شهود المنة، وقيل: النعمة ما وصلك بالحقائق، وقطعك عن الخلائق، وقيل: النعمة ما أسلاك عن دنياك، وأدناك من مولاك، وقيل: النعمة ما لا توجب ندماً، ولا تعقب ألماً، والحاصل أنّه ما دام الإنسان على توفيقه، واستمر على تحقيقه، فهو منغمر في أعظم النعم، وإنْ تقطع جسمه إرباً، ولاقى في كل أوقاته وصباً فافهم.

(قوله: لو وضع الزنار الخ) المراد الحث على الرضا بما قدره الحق والصبر على ما قضاه وأمضاه، حيث هو الفاعل المختار، وهو العالم بالمصالح والقادر على إيصالها للعبيد، فحق العبودية التخلي عن كل شيء إلا عنه، والتحلي بما يرضيه عنه والدوام على ذلك حتى يلقاه بلا فترة ولا تقصير، ويعبر عن ذلك بعبارات طاعة الله تعالى والفناء به عنها، والصدق في العبودية، والقيام بحقوق الربوبية، وامتثال أمره، والاستسلام لقهره، وقد قال ﷺ: «إنَّ الله لا يسأل الخلق عن ذاته، ولا عن صفاته، ولا عن قضائه وقدره ولكن عن أمره ونهيه فاطلب ربك من حيث يطلبك» فافهم. **(قوله: لو وضع الزنار الخ)** أي بمقتضى قابلية الطبع من النقص الذاتي إذ الكمال عرض من تجلي نعت الجمال. **(قوله: وعلى أنَّ ذلك كله بقضاء الله وقدره)** أي الكائن بالحكمة على طريق الابتلاء والامتحان ليكرم العبد إن صبر أو يهان عند البهتان قال تعالى: ﴿الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ [العنكبوت: ١، ٢]. **(قوله: وقيل دخل رجل الخ)** هو قريب مما قبله وقوله: لو دخل اللص قلبك الخ أي من جهة أنك عرضة لطوارق القضاء والقدر.

كانت شاقة لما يرجوه بها من الأجرة، فقد صار الشاق لذيذاً لما يترتب عليه. **(وقيل: دخل رجل على سهل بن عبد الله فقال له: إنّ اللص دخل داري وأخذ متاعي فقال له:)** على وجه التذكير له بما فوق ذلك من البلايا **(اشكر الله تعالى لو دخل اللص قلبك وهو الشيطان وأفسد)** عليك **(التوحيد ماذا كنت تصنع)** عرفه بذلك نعمة الله عليه، فيما صرفه عنه من البلاء الذي هو أعظم من بلائه، فإنّ بلاء الآخرة أشدّ من بلاء الدنيا، **(وقيل: شكر العينين أنْ تستر عيباً تراه بصاحبك، وشكر الأذنين أنْ تستر عيباً تسمعه فيه)** تقدم أنَّ الشكر يكون بالقلب، واللسان، وبالأفعال، إنّه بالأفعال الطاعات وهذا بيان شكر الأفعال بأنْ يشكر الله على نعمة البصر، فيطيعه به وكذلك نعمة السمع وبقية الأركان، **(وقيل: الشكر التلذذ)** من العبد **(بثنائه على ما لم يستوجبه من عطائه)** تعالى له فيه إشارة إلى حقيقة الشكر بالحال وهو زيادة على ما

(قوله: أنْ تستر عيباً الخ) أقول: وقلّ أن يخلو أحد من عيب فأنت أيها الناظر لذلك العيب إلى حلم الله في حال طاعتك له أحوج منك إلى حمله إذا عصيته لأنَّ الشأن والغالب مصاحبة العلل للطاعات، وعدم النشاط فيها وقلة الاحترام مع الغفلة عن كل ذلك، والكلام مع المريدين المبتدئين وإلا فالكامل لا يرى خلاف الكمال بشهادة خبر: «المؤمن مرآة المؤمن»، وقد أوحى الله إلى نبي من أنبيائه «قل لعبادي الصدّيقين لا تغتروا فإني إن أتمم عدلي وقسطي أعذبهم غير ظالم لهم»، وقل لعبادي المؤمنين لا تقنطوا فإنّه لا يكبر عليّ ذنب اغفره لهم، ولا تدري أيها الناظر من أي الفريقين أنت وصاحبك، ثم اعلم أنَّ الستر من عيوب النفس مما تميل إليه الطباع إلا أنّه مختلف، فمن العامة من يطلبه خشية سقوطه من نظر الخلق، ومن الخاصة من يطلبه خشية سقوطه من نظر الحق، فكان رجوع الفرقة الأولى حجة عليهم لا لهم، ورجوع الثانية من تحقيق إيمانهم، ثم هم فيه على مراتب، فمنهم من يطلبه خوف العذاب، ومنهم من يطلبه خوف الحجاب، ومنهم من يطلبه خوف فوات الثواب، ومنهم من يطلبه إشفاقاً من الطرد عن الباب، وكل ذلك راجع لما ذكرناه من خشية السقوط من نظر الحق فافهم.

(قوله: وقيل: شكر العينين الخ) إنما اقتصر على ذلك لتأكيد احترام الأخ، وإلا فالواجب سترهما عن كل منهي عنه، ثم اعلم أنَّ من الأسباب الباعثة على ذلك النظر فيما جبل عليه الإنسان من النقص الذاتي إذ لولا الفضل لم يكن أهلاً للقبول بل، ولا للوجود لأنَّ النفس إنما تعمل الخير بوقاية تكون بينها وبين وصفها الأصلي، وبعد الدخول في العمل، فهي أصل العلل على أنَّ ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر. **(قوله: وقيل: الشكر التلذذ الخ)** أقول: يرجع ذلك إلى شهود المنعم في النعمة، ولهذا كان من نعت العارفين المحبين كما ذكره الشارح نفعنا الله بعلومه. **(قوله: على ما لم يستوجبه**

مرّ من أقسام الشكر، فإنّ العبد إذا اعترف بالنعمة للمنعم، وأثنى عليه بها كان شاكراً، وإنْ لم يلتذ بها حينئذٍ فتلذذ، بالثناء زيادة على محبته، وفي محبة العظيم للمثني عليه، وهذا شكر المحبين العارفين. (**سمعت السلمي يقول: سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت الحسن بن يحيى يقول: سمعت الجنيد يقول: كان السري إذا أراد أنْ ينفعني**) بشيء (**يسألني**) عنه حتى يبينه لي على عادة المشايخ في افتقادهم حال المريدين هل انتفعوا به؟ وهل عزمهم قوي في الاقتداء به (**فقال لي يوماً أبا القاسم إيش الشكر فقلت له: أنْ لا يستعان بشيء من نعم الله تعالى على معاصيه فقال: من أين لك هذا؟ فقلت: من مجالستك**) فسررت بذلك، ويؤخذ مما ذكر أنّ الشيخ إذا علم حال المريد وأنه شديد الرغبة في نيل الفوائد منه، والاقتداء به يسأله عما ينفعه، ويخصه بفوائده المختصة به، والنافعة له، (**وقيل: التزم الحسن بن علي الركن فقال: إلهي نعمتني فلم تجدني شاكراً وابتليتني فلم تجدني صابراً**) ضمن ذلك كمال الثناء على الله حيث اعترف فيه بالنعمة وبالتقصير عن الشكر، وبأنه غير صابر على البلاء وبأنّ الله هو الفاعل للخير والشر، ثم اعترف بفضل الله عليه في حالة نقصه فقال: (**فلا أنت سلبت النعمة بتركي الصبر إلهي ما يكون من الكريم إلا الكرم**) والكرم لا يكون إلا من الكريم، (**وقيل: إذا قصرت يدك عن المكافأة**) للناس بأن عجزت عنها (**فليطل لسانك بالشكر**) لأنه الممكن، والشكر الكامل عند الإمكان يكون بالقلب واللسان والأفعال، (**وقيل: أربعة لا ثمرة**

(**الخ**) أي لأنّ العبد من حيث هو محل لكل عيب ونقص أصلاً وفصلاً سواء كان طائعاً أو عاصياً معافى أو مبتلى، ولله در القائل: ما هناك إلا فضله، ولا نعيش إلا في ستره، ولو كشف الغطاء لكشف عن أمر عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] فما وصل إلى العبد هو من محض فضل الحق سبحانه وتعالى إذ الأمر منه وإليه، ولولا ذلك ما استحق العبد شيئاً.

(**قوله: فقال: من أين لك هذا الخ**) أقول: ولهذا أعاد القصة وإلا فهي قد تقدمت. (**قوله: فسررت بذلك**) أي لأنه قد شهد مرجع الأمر، فالحمد في الحقيقة لمن ستر وليس هو لمن شكر، فحقيقته الشكر لمن له حقيقة الفضل. (**قوله: فقال: إلهي الخ**) فيه اعتراف بما جبل عليه الإنسان من كثرة الغفلة عن الإحسان فلله دره. (**قوله: ما يكون من الكريم إلا الكرم**) فيه الثناء على الله تعالى بوصفه الحق، والحق أحق، فلله دره. (**قوله: والكرم لا يكون إلا من الكريم**) أفاد الشارح بهذه الزيادة أنّ الكرم مختص به تعالى لأنّه الكريم على الحقيقة، فحينئذ لا ينبغي أنْ يقصد غيره، ولا يرجى سواه. (**قوله: والشكر الكامل الخ**) أي ولهذا قيل:

لأعمالهم: مسارة الأصم) أي من يساره بشيء (وواضع النعمة عند من لا يشكر) النعم (والباذر) بذره (في) الأرض (السبخة والمسرج) سراجه (في الشمس وقيل: لما بشر إدريس عليه السلام بالمغفرة) وامتلأ قلبه سروراً بذلك (سأل) الله (الحياة) أي إطالتها (فقيل له فيه:) أي فقال له ما لك: لم سألتها (فقال: لأشكره) فيها (فإني كنت أعمل قبله للمغفرة فبسط له الملك جناحه وحمله عليه إلى السماء) الرابعة، والسادسة، أو السابعة، وقيل: إلى الجنة، وبالجملة لما عزم على هذا الشكر العظيم سخر الله له الملك، فحمله إلى مقام شريف كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧] وهو مقيم به وهذا من ثمرات الشكر وفاء بقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. (وقيل: مرّ بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام بحجر صغير يخرج منه الماء الكثير فتعجب منه) لمخالفته العادة (فأنطقه الله معه) أي مقارناً لتعجبه (فقال

أفادتكم النعماء مني ثلاثة ... يدي ولساني والضمير المحجبا

(قوله: وقيل: أربعة لا ثمرة الخ) ما كأنه يعني إلا أهل زماننا، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: وواضع النعمة الخ) أقول: ذلك بالنسبة للثمرة الدنيوية لا الأخروية بدليل خبر: «في كل كبد رطبة أجر»، فافهم. (قوله: ورفعناه مكاناً علياً) قيل: هو شرف النبوة والزلفى عند الله عز وجل، وقيل: علو الرتبة بالذكر الجميل في الدنيا، وقيل: الجنة، وقيل: السماء السادسة أو الرابعة رُوي عن كعب في سبب رفعه أنّه سئل ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال: يا رب قد مشيت فيها يوماً فأصابني ما أصابني، فكيف من يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها، فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال: يا رب ما الذي قضيت فيه فقال: إنّ عبدي إدريس سألني أنْ أخفف عنك حملها وحرها فأجبته فقال: يا رب إجعل بيني وبينه خلة فأذن الله تعالى له فرفعه إلى السماء. (قوله: وهذا من ثمرات الشكر) أقول: بل من ثمرات العزم عليه ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]. قوله: فأنطقه معه الخ) فيه تنبيه على أنّه ينبغي للإنسان أنْ يكون على قدم الخوف من سطوات سوابق التقدير، وعلى بساط الشكر لأنعام اللطيف الخبير إذ هو الأحق من الحجر بالخوف والاعتبار، والأولى بمقام الشكر والاستبصار عند الامتحان والاختبار. (قوله: فأنطقه الله) أي بلسان القال، أو مجازاً على إرادة الحال، فالحق على ذاك وذا قدير يفعل ما يشاء، وهو اللطيف الخبير. (قوله: ناراً وقودها الناس والحجارة) أي ناراً يتقد بها الناس والحجارة إيقاد غيرها بالحطب، وأمر المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة للمبالغة في التحذير.

مذ سمعت الله تعالى يقول: ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] **فأنا أبكي من** خوفه أي من خوفي إياه أنْ يجعلني من تلك الحجارة (**قال**) الحاكي لذلك (**فدعا ذلك النبي أنْ يجير الله ذلك الحجر فأوحى الله تعالى إليه أني قد أجرته من النار**) وعلم الحجر ذلك (**فمر**) أي جاوزه (**ذلك النبي**) عليه السلام بعد علمه بذلك بناء على أنه لا يبكي (**فلما عاد**) إليه بعد مدة (**وجد الماء يتفجر منه مثل ذلك**) التفجر الأول (**فتعجب منه**) أيضاً (**فأنطق الله ذلك الحجر معه**) بما يأتي في جواب قوله: (**فقال له: لم تبكي**) ثانياً (**وقد غفر الله لك**) بدعائي (**فقال ذلك**) البكاء (**كان بكاء الحزن والخوف، وهذا**) البكاء (**بكاء الشكر والسرور**) ومقصود ذلك أنَّ كمال العبد في شكره وأنْ يكون متعبداً بشكره متذللاً رائياً زيادة فضل الله عليه بإلهامه لشكره مع نظره إلى نفسه، وعدم صلاحيته لما منَّ به عليه. (**وقيل الشاكر**) كائن (**مع المزيد لأنه في شهود النعمة**) أي حضورها (**قال تعالى:** ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والصابر مع الله تعالى لأنه بشهود المبلي له قال الله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] يرى في كل من الأمرين على الغالب إذ ليس كل شكر لطلب المزيد فقد يشكر العبد، ولا يخطر بباله المزيد، فلا يكون معه، وليس كل صبر يرى فيه المبلي فقد يصبر العبد ولا يكون مع الله أي ناظراً له في حال بلائه. (**وقيل: قدم وفد على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وكان فيهم شاب فأخذ يخطب**) ويتكلم (**فقال عمر: الكبر الكبر**) أي قدموا للتكلم الأكبر فالأكبر (**فقال له الشاب: يا أمير المؤمنين**) الكبر قد يكون بالسن، وقد يكون بالفضل، والتقدم هنا إنما هو بالكبر بالفضل إذ (**لو كان الأمر**) أي التقدم هنا (**السن لكان**) غيرك مقدماً عليك إذ (**في**

(**قوله: ومقصود ذلك الخ**) أي وإلا كان من الامتحان ونوع الغرور والله أعلم.
(**قوله: وقيل: الشاكر كائن مع المزيد الخ**) أي وإنْ كان لكماله لا يلتفت إلى ذلك استغراقاً في لذة مشهود المنعم، فلا نظر له إلى ما سواه تعالى، وهذا من النادر كما أشار إليه الشارح. (**قوله: لأنه في شهود النعمة**) أقول: هو باعتبار حال العوام المنعم عليهم كما لا يخفى على من له بصيرة. (**قوله: وقيل: قدم وفداً الخ**) فيه تنبيه على أنَّ الفضائل لا تختص بكبير في السن، ولا بصغير لكونها بسابق عناية المولى اللطيف الخبير مجرد كبر السن، وإنْ كان من مظان تنزل الرحمات لا يلزم أنْ يكون سبباً في إبلاغ معالي الكمالات، لأنَّ مناطها طهارة القلب من ظلمة الجهالات، وزيادة أنوار عرفان التجليات، ولهذا كان الشاب المذكور ممن منح الحكم القولية الناشئة من شوارق الأنوار الإلهية والله أعلم.

المسلمين من هو أسن منك) فعرف منه فضله ورفعته على من معه (**فقال**) له: (**تكلم فقال:**) يا أمير المؤمنين (**لسنا وفد الرغبة**) أي الطلب لشيء منك (**ولا وفد الرهبة**) أي الخوف من شيء نطلب منك خلاصه (**أما الرغبة فقد أوصلها إلينا فضلك**) ونحن ببلادنا (**وأما الرهبة فقد آمننا منها عدلك**) ونحن هناك أيضاً (**فقال له**) أمير المؤمنين: (**فمن أنتم**) أي أيّ وفد أنتم (**فقال: وفد الشكر جئناك نشكرك وننصرف**) على ما نحن عليه من فضلك وأمنك، وفائدة ذلك التأكيد في طلب تبليغ الشكر لمن يستحقه، فإذا كان المنعم حاضراً والنعم متوالية، والقلب، واللسان صامت عن الشكر كان من أقبح القبائح عادة وشرعاً (**و**) لذلك (**أنشدوا: ومن الرزية**) أي البلية (**أنْ شكري صامت. عما فعلت**) من البر (**وإنْ برك**) لي (**ناطق**) أي ظاهر ثم وبخ نفسه بقوله: (**أأرى الصنيعة**) لي (**منك ثم أسرها**). أي أخفيها (**إني إذاً ليد الكريم**) أي لنعمته (**لسارق**) فجعل إخفاءه النعم سرقة، وذلك مذموماً، فإنه تعالى إذا أنعم على عبد بنعمة أحب أنْ يظهرها. (**وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام ارحم عبادي المبتلى والمعافى فقال: ما بال المعافى**) أي لم أرحمهم؟ (**فقال: لقلة شكرهم على عافيتي إياهم**) فالتارك للشكر محروم فيرحم على ما فاته من الشكر لنعمة العافية، ومن الزيادة الموعود بها عليه وجمع ضمير المعافى بإعتبار الجنس الصادق بالجمع.

(**وقيل الحمد**) وهو الثناء على الله بذكر صفاته الجميلة، وأفعاله الحسنة يكون (**على الأنفاس**) الصالحة (**والشكر**) يكون (**على نعم الحواس**) وهي تبع للقلوب، فالحمد أفضل من الشكر لأنه جعل على أعظم النعم، وهي الأنفاس الصالحة، وهي من أعمال القلوب. (**وقيل: الحمد**) سببه (**ابتداء منه**) تعالى بأن تحمده على ما تفضل به عليك بغير سبب منك (**والشكر اقتداء منك**) به بأنْ تجعله جزاء لنعمته عليك فمن أحسن إليك ينبغي أن يحسن وإنْ كان الجيمع من فضله وإحسانه. (**وفي الخبر**

(**قوله: وفائدة ذلك الخ**) أي فائدة ذكر هذه الحكاية هنا تأكيد طلب الشكر لمن يستحقه. (**قوله: ومن الرزية أنْ شكري صامت الخ**) محصله الاعتراف بتقصيره عن حق الشكر مع توارد النعم وظهورها، فكان كمن كتم صنيعة كريم، وأسرها فأشبه حاله حال السارق، وذلك وصف ذميم نشأ عن خلق سقيم. (**قوله: أحب أنْ يظهرها**) أي لخبر: «إنَّ الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده. (**قوله: فيرحم على ما فاته الخ**) أي ويؤيد ذلك قولهم: ليس المصاب من فقد الأحباب إنما المصاب من حرم الثواب. (**قوله: وقيل: الحمد الخ**) المراد إبداء فرق بين الحمد والشكر باعتبار ما يقع كل بإزائه وفي مقابلته، وأنَّ الحمد بذلك

الخبر الصحيح: «**أول من يدعى إلى الجنة الحامدون لله على كل حال**» لكثرة خيرهم وطاعتهم لأنّهم يرون أنّ جميع ما هم فيه نعمة وافق غرضهم أم لا، ومن هذه سنته هو الذي يحمد الله على كل حال. (**وقيل: الحمد**) لله يكون (**على ما دفع**) من البلاء، (**والشكر**) له يكون (**على ما صنع**) من نعم العطاء، ففيه إشارة إلى أن نعمة البلاء أفضل من نعمة العطاء لما مر من أنّ الحمد أفضل من الشكر. (**وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن**) عند عجوز (**فسألته عن حاله فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى**) أي أحب (**ابنة عم لي و**) هي (**كذلك كانت تهو إلي فاتفق أنها زوجت مني فليلة زفافها**) وفي نسخة فلما زفت إليّ بالليل (**قلنا**): أي قال كل منا لصاحبه: (**تعال حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا**) أي على اجتماعنا على وجه حلال (**فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا إلى صاحبه**) لينال شهوته منه (**فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك**) مع زيادة أي قال كل منا لصاحبه: تعال حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله على ما من علينا به من الاجتماع وما وفقنا له من الشكر، وصلينا تلك الليلة أيضاً ودمنا على ذلك (**فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة**) وفي نسخة الحالة (**كل ليلة**) ثم

الاعتبار أفضل من الشكر وهو كذلك في هذا المقام، فتدبره وعليك السلام.

(**قوله: وفي الخبر الصحيح الخ**) أي ويؤيده خبر: «الحمد لله على كل حال، وأعوذ بالله من حال أهل النار». (**قوله: ففيه إشارة إلى أنّ نعمة البلاء أفضل**) أي باعتبار ما يترتب عليها من الأجر عند الصبر على أن العطاء قد يكون منعاً. (**قوله: وحكي عن بعضهم الخ**) في ذلك تنبيه على أنّ الشيخ والشيخة بلغا أعلى درجة في قهرالنفس حتى نبتت منها فقاما بشكر المنعم طول عمرهما، وليس ذلك ببعيد على من سبق له التأييد ﴿وَرَبُّكَ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخۡتَارُۗ﴾ [القصص: ٦٨]. (**قوله: وما وفقنا له من الشكر الخ**) أي وبهذا استغرقا هذه المدة شكراً، ومع ذلك يفنى العمر ولا يقومان بواجب هذا المقام وفي قوله ﷺ: «لا أحصي ثناء عليك أنتَ كما أثنيت على نفسك»[(1)] كفاية وشاهد عدل على ما ذكرنا وكذا قول الصديق الأكبر العجز عن درك الإدراك إدراك، فلا يحمد الله ويشكره حق حمده وشكره إلا هو تبارك وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (صلاة ٢٢٢) وأبو داود (صلاة ١٤٨) (وتر ٥) والترمذي (دعوات ٧٥، ١١٢) والنسائي (طهارة ١١٩) (تطبيق ٤٧، ٧١) (قيام الليل ٥١) وابن ماجه (دعاء ٣) (إقامة ١١٧) والموطأ (مس القرآن ٣١) وأحمد بن حنبل (١، ٩٦، ١١٨، ١٥٠، ٦، ٥٨، ٢٠١).

قال هو لها: **(أليس)** الأمر **(كذلك يا فلانة فقالت)** له **(العجوز:)** الأمر **(كما يقول الشيخ:)** وهذا يكون حال من عرف مقدار النعم، ورغب في تواليها عليه، فشكرها بالقلب والفعل واللسان، وفائدة ذكر العجوز والشيخ الإعلام بأنهما داما على الاشتغال بالله تعالى من حالة الصبا إلى تلك الحالة.

(قوله: وهذا يكون حال من عرف مقدار النعم الخ) أي ولذا قيل:

شكرت وما شكري ببالغ قدركم ... ولا همتي تعلو لذاك ولا قدري

باب اليقين

قوله فمن أحسن إليك الخ كذا في السنح، والصواب أحسن إليه بالبناء

باب اليقين

أقول: هو نور يقذف في القلب به يدرك العبد الموفق أنْ ما سوى الحق سبحانه وتعالى من قبيل الظل، قال في لطائف المنن: وأشبه شيء بالكائنات إذا نظرت إليها بعين البصيرة وجود الظل، والظل لا هو موجود باعتبار مراتب الوجود، ولا هو معدوم باعتبار مراتب العدم، وإذا ثبتت ظلية الآثار لم تنسخ أحدية المؤثر لأنّ الشيء إنما يشبه بمثله، ويضم إلى شكله فمن شهد ظلية الآثار لم يعقه ذلك عن الله تعالى، فإنَّ ظل الأشجار في الأنهار لا يعوق السفن عن التسيار، ومن هنا يتبين لك أن الحجاب ليس أمراً وجودياً بينك وبين الله، وإلا لكان أقرب إليك منه، فرجعت حقيقة الحجاب إلى توهم الحجاب، ويؤيد ذلك قول صاحب الحكم العطائية، لولا ظهوره في المكونات ما وقع عليها وجود أبصارهم، ويعني بالأبصار ما يشتمل أبصار البصائر بل كادت أنْ تكون عدماً محضاً، ونفياً صرفاً، ثم اعلم أنَّ ظهوره تعالى فيها للدلالة بها عليه، فلا وجود لشيء سوى أحدية الحق تعالى فافهم.

وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي رحمه الله تعالى: اليقين نور يجعله الله تعالى في قلب العبد حتى يشاهد به أمور الآخرة، ويخرق به كل حجاب بينه وبينها حتى يطالع الآخرة كالمشاهد لها، وقال ﷺ: «إنَّ النور إذا دخل القلب انفسح وانشرح» قيل: يا رسول الله هل من علامة يعرف بها؟ قال: «التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود»[1] والاستعداد للموت قبل نزوله، فاليقين إذا أشرق نوره كشف عن الآخرة والدنيا، فيحصل العلم بأنَّ الآخرة خير من الدنيا، قال بعضهم، علم اليقين يحصل عن قاطع البرهان، وعين اليقين يحصل عن شهود العيان، وحق اليقين تحقيق ضرورة العيان بالوجدان، مثاله ما استفيد بالعلم المتواتر علم اليقين، ورؤيته عين اليقين، والحلول به

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٣٢٧، ٣٢٨، ١٠/ ٢٥٥) والسيوطي في (الدر المنثور ٣/ ٤٤، ٥/ ٣٢٥) وابن كثير في (التفسير ٣/ ٣٢٨) والقرطبي في (التفسير ٢/ ١٠٤، ٧، ٨١).

للمجهول، وتبديل إليك بإليه مصحح هو راجع إلى توالي العلم بالمعلوم حتى يغلب على القلب كالعلم الضروري، وسببه النظر في مخلوقاته تعالى الدالة على وجوده، وكمال صفاته، وهو ممدوح ومطلوب (قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ

حق اليقين، وذلك كمكة، واعلم وفقني الله تعالى وإياك أنَّ اليقين شعبة من الإيمان لأنَّه يجمعه، والمعرفة، والصدق، والإخلاص والشهادة، وغير ذلك من أحوال القلب، فاليقين جزم القلب بالمعلومات الغيبية التي جاءت على ألسنة الرسل على نبينا، وعليهم الصلاة والسلام، بسبب توالي العلم بها حتى أشرقت أنوارها، وسطعت شموس استبصارها، فسكنت إليها القلوب، ووصلت إلى المطلوب من غير شك ولا ريب ولا تردّد في غيب، لأنها بواسطة تلك الأنوار صارت كالعيان من كل ما يدرك بحواس الإنسان تدبر تفهم والله أعلم.

(قوله: هو راجع إلى توالي العلم الخ) أي فسببه ومرجعه توالي العلم بالمعلوم حتى يغلب على القلب هذا العلم، فيصير كالعلم الضروريّ من كل ما لا يحتاج إلى نظر واستدلال. (قوله: وسببه النظر الخ) أي سبب اليقين وجزم القلب بالمعلوم النظر في مخلوقاته تعالى، فيستدل بها على الصانع الأكبر دلالة الأثر على المؤثر لوجوب افتقاره إليه لثبوت إمكانه.

(قوله: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾) [البقرة: ٤] معطوف على الموصول الأوّل على تقدير وصله قبله وفصله عنه مندرج معه في زمرة المتقين من حيث الصورة والمعنى معاً، أو من حيث المعنى فقط اندراج خاصين تحت عام إذ المراد بالأوّلين الذين آمنوا بعد الشرك والغفلة عن جميع الشرائع كما يؤذن به التعبير عن المؤمن به بالغيب، وبالآخرين الذين آمنوا بالقرآن بعد الإيمان بالكتب المنزلة قبل كعبد الله بن سلام، وأضرابه، وقوله: ﴿وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤] الإيقان العلم بالشيء ينفي الشك والشبهة عنه، ولذلك لا يسمى علمه تعالى يقيناً أي يعلمون علماً قطعياً مزيحاً لما كان أهل الكتاب عليه من الشكوك والأوهام التي من جملتها زعمه أنَّ الجنة لا يدخلهاإلا من كان هوداً أو نصارى، وأنَّ النار لا تمسهم إلا أياماً معدودات، واختلافهم في أن نعيم الجنة هل هو من قبيل نعيم الدنيا أو لا، وهل دائم أو لا؟ وفي تقديم الصلة وبناء يوقنون على الضمير تعريض بمن عداهم من أهل الكتاب، فإنْ اعتقادهم في أمور الآخرة بمعزل عن الصحة فضلاً عن الوصول إلى مرتبة اليقين والآخرة تأنيث الآخر كما أنَّ الدنيا تأنيث الأدنى غلبتا على الدارين فجرتا مجرى الأسماء.

(قوله: قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ﴾ الخ) [البقرة: ٤] وجه الاستدلال بهذه الآية الشريفة على طلب اليقين أنَّه تعالى أثنى به على عباده، فدل على أنه ممدوح

﴿وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤]) وروي في الخبر: «تعلموا اليقين فإني أتعلمه». (حدثنا الأستاذ الإمام أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك رحمه الله تعالى قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمود بن خرزاذ الأهوازي بها قال: حدثنا أحمد بن سهل بن أيوب قال: حدثنا خالد يعني ابن يزيد قال: حدثنا سفيان الثوري وشريك بن عبد الله، وسفيان بن عيينة عن سليمان التيمي عن خيثمة عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال: «لا ترضين أحداً بسخط الله تعالى»[1]) بأن تفعل معهم شيئاً يسخط الله عليك، فإن الله يسخطهم أيضاً عليك (ولا تحمدن أحداً على فضل الله عز وجل) لأنه المتفضل لا غيره، وهذا لا ينافي خبر: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله»، فتأمل. (ولا تذمن أحداً على ما لم يؤتك الله فإنّ رزق الله لا يسوقه) إليك (حرص حريص ولا يرده عنك كراهة كاره، وإن الله تعالى بعدله وقسطه جعل الروح) بفتح الراء أي الراحة (والفرح في الرضا واليقين، وجعل الهم والحزن في

ومطلوب. (قوله: وروي في الخبر تعلموا اليقين الخ) معناه جاهدوا أنفسكم على تحصيل اليقين بتكرار النظر في المعلومات حتى يغلب علمها على قلوبكم، فيكون ذلك من أقوى أسباب وصولكم إلى خالقكم بالإيقان والعرفان بل والمشاهدة والعيان. (قوله: لا ترضين أحداً بسخط الله) أي لا ينبغي أنْ يصدر منك أمر تقصد به إرضاء أحد يكون ذلك الأمر يسخط الله أي يوجب سخطه وغضبه لكونه مما نهى الله عنه. (قوله: فإنَّ الله يسخطهم أيضاً عليك) أي معاملة لك بضد مقصودك حيث لم ترجع إليه سبحانه مع كونه هو الفاعل لا غيره مما سواه لاشتراك الجميع في العجز، والافتقار الذاتيين. (قوله: ولا تحمدن أحداً الخ) أي لا تحمدن أحداً مع الغفلة عن المنعم الحق، وإلا فلا بأس به بل هو مندوب إليه. (قوله: ولا تذمن أحداً الخ) أي لا تذمنه مع شهودك أو المعنى سبحانه وتعالى هو الفاعل لما يريده وإنَّ ما سواه مجار لأحكامه وتصاريفه، أو المعنى لا تذمن أحداً بغير شاهد العلم الشرعي.

(قوله: فإنّ رزق الله) أي ما قدر الله أنّه يكون رزقاً لك لا يسوقه إليك حرص حريص أي محبة جلبه بتهافت في طرق الجلب، ولا يرده عنك كراهة كاره، وذلك بشاهد: «ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن».

(قوله: في الرضا واليقين) أي الرضا بالقسمة الأزلية واليقين أي الثقة بما وعد به

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الكبير ١٠/ ٢٦٦) والهيثمي في (مجمع الزوائد ٤/ ٧١) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٢/ ٥٤٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٥٩٦١) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٤/ ١٢١، ٧/ ١٣٠).

الشك) والمراد به مطلق التردد (و) في (السخط)، و (أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن سعيد الرازي قال: حدثنا عياش بن حمزة قال: حدثنا أحمد بن أبي الحواري قال: قال أبو عبد الله الأنطاكي: إنّ أقل اليقين إذا وصل إلى القلب يملأ القلب نوراً) أي يصير القلب به على بصيرة من الأمور بحيث يصير به المعلوم مشاهداً، أو كالمشاهد بارتفاع الحجب الجسمانية، وامتناع العلائق الطبيعية (وينتفي عنه كل ريب) أي شك بالمعنى السابق (ويمتلىء القلب به) أي بما ذكر من نور الكشف ونفي الريب (شكراً) لما هو فيه من النعم (و) يمتليء (من الله تعالى خوفاً) من سقوطه عن منزلته، ومن عظمة الله تعالى. (ويحكى عن أبي جعفر الحداد) أنه (قال: رآني أبو تراب النخشبي وأنا في البادية جالس على بركة ماء ولي ستة عشر يوماً لم آكل ولم أشرب فقال لي: ما جلوسك) أي ما سببه (فقلت:) له(أنا بين العلم واليقين انتظر ما يغلب) عليّ منهما (فأكون معه يعني إنْ غلب عليّ العلم شريف، وإن غلب) عليّ (اليقين مررت) وصبرت لأن الله قادر على أنْ يرويه بلا ماء أو يرسل إليه ولياً وملكاً يسقيه (فقال: سيكون لك شأن) أي ارتفاع ومن شأنه مواصلته ستة عشر يوماً، ولم يأذن لنفسه في الشرب بل انتظر ما يفعل الله به ليتقوى يقينه بخوارق العادات. (وقال أبو عثمان الحيري: اليقين قلة الاهتمام) بالمطعم ونحو (لغد) هذا من جملة اليقين وإلا، فلليقين متعلقات كثيرة،

الحق تعالى من الكفاية. (قوله: في الشك) أي التردّد بسبب الغفلة عن كون جميع الأشياء تخرج عن قبضة قدرته تعالى وإرادته. (قوله: وفي السخط) أي عدم الرضا بما قسمه الله تعالى بحكمته السنية. (قوله: يملأ القلب نوراً) أي زيادة على النور الحاصل بمجرّد الإيمان بل هو حقيقة النور فإذا تم لعبد شاهد بعين بصيرته أنَّ ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، فحينئذ يسكن قلبه ويرتاح من هم التفكر وأحزان التذكر بشاهد خبر: «من آمن بالقدر أمن من الكدر». (قوله: ويمتلىء القلب شكراً) أي بواسطة شهوده أنَّه مغمور بنعمة ربه زيادة عما يستحقه في نفسه بسبب تقصيره، ونقصه الذاتي له فافهم.

(قوله: يعني إنْ غلب عليّ العلم الخ) أي فهو في انتظار ما يفتح الله عليه به ليعمل به في نفسه هل هو العلم المؤدّي لاعتبار الأسباب، أو اليقين الذي يوجب الرجوع إلى تدبير رب الأرباب.

(قوله: اليقين قلة الاهتمام الخ) أي لأنَّ العبد الموفق لا يفوت وظيفة الحال بالاشتغال بما لا يعنيه من حكم الاستقبال، ويرشد إلى ذلك خبر: «إذا أصبحت معافاً في جسدك آمناً في سربك عندك قوت يومك، فعلى الدنيا العفا»، ولا يخفى أنَّ قلة الاهتمام لغد من ثمرات اليقين لا نفس اليقين.

(وقال سهل بن عبد الله: اليقين) كائن (من زيادة الإيمان ومن تحقيقه، وقال سهل أيضاً: اليقين شعبة من الإيمان وهو دون التصديق) لا بمعنى أصل الإيمان بأن يكون مؤمناً معتقداً ما يجب اعتقاده في الله ورسوله بل بمعنى الصدّيقية التي هي أعلى درجات اليقين بأنْ يعلم العبد حقيقة الإيمان بالبرهان ويتوالى عليه حتى يغلب حكمه على قلبه، (وقال بعضهم: اليقين هو العلم المستودع في القلوب يشير هذا القائل) بذلك (إلى أنّه غير مكتسب) يحتمل أنَّ هذا القائل شبه ذلك بالضروري لأنه بتوالي العلم على القلب يصير كالعلم الضروري، ويحتمل وهو الظاهر أنَّه لا يسمى موقناً إلا من ارتفعت درجته عن العلوم الكسبية والضرورية العادية بأنْ أُلهم غرائب العلوم، واطلع على سرائر الملك والملكوت، ففيه إشارة إلى أنّ هذا من أعلى درجات الموقنين. (وقال سهل رحمه الله تعالى: ابتداء اليقين مكاشفة، ولذلك قال بعض السلف:) هو عامر بن عبد قيس كما سيأتي (لو كشف الغطاء) عن أحوال الآخرة من الحشر والنشر، والوقوف بين يدي الله تعالى وغيرها (ما ازددت) فيها (يقيناً) ليقيني بها، فعبر عن حالته التي هو عليها من غلبة أحوال الآخرة على قلبه باليقين، وأخبر أنه لو عاين ذلك ما ازداد يقيناً لتحققه له، (ثم) بعد المكاشفة (المعاينة والمشاهدة) فالمكاشفة دونهما وهما في رتبة واحدة، وقيل: المعاينة فوق المشاهدة لأنَّ المشاهد هو الحاضر والمعاين هو الناظر، وقيل: المكاشفة فوق المشاهدة ورد بأنّ المشاهدة تقتضي الكشف التام، والمكاشفة قد تكون من وراء حجاب رقيق، (وقال أبو عبد الله بن خفيف: اليقين تحقق الأسرار) أي تحقق العبد الأسرار المعلقة (بأحكام

(قوله: اليقين من زيادة الإيمان) أي لأنّه من جملة ما يشتمل عليه ويحويه. (قوله: لا بمعنى أصل الإيمان) أي لأنَّ التصديق المعتبر في أصل الإيمان لا يفضل اليقين بل الذي يفضله إنما هو ما كان بمعنى الصديقية التي هي أعلى درجات اليقين. (قوله: إلى أنه غير مكتسب) أي يشبه غير المكتسب بغلبته على القلب بتوالي أدلته عليه، أو المراد به ما وقر في القلب من غرائب العلوم المودعة فيه من مواهب الحي القيوم، هذا حاصل ما أشار إليه الشارح، وهو نفيس. (قوله: إلا من ارتفعت درجته) أي بدوام المجاهدة على طريق المتابعة، فترقى إلى ما لم يعلم من الأمور المغيبة، ويشير إلى ذلك خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم».

(قوله: ابتداء اليقين مكاشفة الخ) أي اليقين في ابتداء الأمر يساوي المكاشفة في جزم القلب، فلا يزيد علم العبد بالمكاشفة عن علمه باليقين. (قوله: ما ازددت يقيناً) أي لأنّه بما حصل له من اليقين قد تحقق أمر الآخرة كالمشاهد له عياناً. (قوله: هو الحاضر) أي ومجرّد الحضور لا يفيد مفاد النظر بالمعاينة. (قوله: يحقق الأسرار الخ) أي جزم السر

المغيبات) التي أخبر عنها الأنبياء والأولياء، ووقعت، والمراد بتحقق ذلك غلبة بحكمه على القلب، **(وقال أبو بكر بن طاهر: العلم)** كائن **(بمعارضة الشكوك)** أي الأخذ في تحصيله يعارضه الشك **(واليقين لا شك فيه أشار)** بذلك **(إلى العلم الكسبيّ وما يجري مجرى البديهيّ)** باعتبار ظهور العلم وخفائه **(وكذلك علوم القوم)** الوهبية في الابتداء كسبي وفي الانتهاء بديهي منبهاً في أوائلها ترد على القلب بلا توالٍ فإذا توالت عليه صار المعلوم كأنه مشاهد كما قال بعضهم ما رأيت شيئاً حتى رأيت الله قبله يعني أنّ عمله بالله متوال على قلبه، فلا يخطر له ذكر غيره، إلا بعد ذكره، فيكون ذكره مترتباً وذكر غيره من سائر الكائنات يطرأ ويزول. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: قال بعضهم: أوّل المقامات أي درجات الإيمان المعرفة)**

بأحكام المغيبات وعدم التردّد فيها وثوقاً بصدق خبر المعصوم، أو المحفوظ. **(قوله: ووقعت)** فيه تأمل لأنه يقتضي أنها لو لم تقع بالفعل لا يتحقق يقين الأسرار، وإنْ حمل على المغيبات التي أخبر عنها أنّها تقع في الدنيا كان فيه قصور. **(قوله: العلم كائن بمعارضة الشكوك الخ)** أي فالعلم في ابتداء الأمر يمكن أنْ يعارضه شك بتشكيك الغير لعدم التثبت في دلائله، ولا كذلك اليقين لتوالي أحواله على القلب حتى يغلب عليه، فلا يمكن حينئذ أنْ يعارضه شك. **(قوله: في الابتداء كسبي الخ)** أي بالنظر في الآثار والمصنوعات له تعالى ليستدل بها عليه، ويتوصل بها إليه، والحذر ثم الحذر من الوقوف معها فإنّه أقوى حجاب قال تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [يونس: ١٠١] الآية فأشار بفي إلى معنى زائد على أعيانها الذي يتعلق النظر به لأعلى أجرامها إذ لا فائدة فيها بل ربما صرفت بالاشتغال بها عن عين الحقيقة، ولله در القائل:

ما القد ما الطرف الكحيل وما اللحا ... لولاك تشهد في حلاه وترمق

(قوله: في الابتداء كسبيّ الخ) أي بالنظر في المكوّنات للاستدلال قال في التنوير: والقول الفصل في ذلك أنّه لا بدّ من الأسباب وجوداً، ومن الغيبة عنها شهوداً، فأثبتها من حيث أثبتها الحق بحكمته، ولا تستند إليها لعلمك بأحديته اهـ.

أقول: وذل عين المراد، وفخر المعرفة في مراعاة الأسباب.

(قوله: ما رأيت شيئاً الخ) محصله غلبة حال الحق على قلبه وطرو الغير عليه نادر، ويزول، وفي حال طروّه يكون منها على معنى جزئي مما للحق سبحانه وتعالى. **(قوله: أوّل المقامات المعرفة)** أي النظر والفكر الموصل إلى المعرفة والغرض من ذلك ترتيب المقامات في ابتداء السير إلى الله تعالى، أقول: والناس ثلاثة بحسب مقاماتهم: رجل رأى نفسه مستحقاً للمدح والثناء فهلك، ورجل رأى نفسه ليس أهلاً لذلك لم يشعر بإحسان الله إليه واشتغل بذم نفسه على ما هي متلبسة به، وما فرط منها فسلم، ورجل

بالله بالنظر والفكر (**ثم اليقين**) المستغنى عنهما بوضوح المطلوب منهما (**ثم التصديق**) بما أخبر به الأنبياء عن الله تعالى (**ثم الإخلاص**) لله في العمل (**ثم الشهادة**) أي الإقرار باللسان شكراً (**ثم الطاعة**) لله بالاشتغال بأفعالها على ما يأتي بيان ذلك كله. (**والإيمان اسم يجمع هذا كله أشار هذا القائل**) بذلك (**إلى أنَّ أوّل الواجبات هو المعرفة بالله سبحانه، والمعرفة لا تحصل إلا بتقديم شرائطها وهو النظر الصائب**) وما يتوقف عليه (**ثم إذا توالت الأدلة**) على القلب (**وحصل**) بها (**البيان صار بتوالي الأنوار**) الحاصلة منها (**وحصول الاستبصار كالمستغني عن تأمل البرهان، وهو حال اليقين ثم تصديق الحق**) أي تصديق العبد الحق تعالى (**فيما أخبر**) به (**عند إصغائه إلى إجابة**) الأمر (**الداعي**) له (**فيما يخبر**) به (**عنه من أفعاله سبحانه في المستأنس**) أي المستقبل (**لأنَّ التصديق إنما يكون في الإخبار**) لا في الإنشاء (**ثم الإخلاص فيما يتعقبه**) أي التصديق، أو فيما يفعله العبد(**من أداء الأوامر**) وترك المناهي (**ثم بعد ذلك إظهار الإجابة بجميل الشهادة**) أي الإقرار كما مر (**ثم أداء الطاعات بالتوحيد**) أي معه (**فيما أمر به و**) مع (**التجرّد عما زجر عنه وإلى هذا المعنى**) يعني المعبر عنه بالشهادة (**أشار الإمام أبو بكر محمد بن فورك رحمه الله فيما سمعته يقول: ذكر اللسان فضيلة يفيض عليها القلب**) أي يخرج منه على اللسان لأنَّ القلب متى امتلأ بشيء نطق

مثل نفسه كعروس قد أفضت زنا، وأهلها يريدون بها الزفاف، فتطلب الستر عند المواجهة وتنظر لنقصها في الحال، فغمّ، وما وراء هذه المراتب فهو لأهل الحقيقة.

(**قوله: ثم اليقين**) أقول: وإمارة من تحلى بنعته وتجمل بحقيقته استحياؤه إذا مدح من غيره، وأثنى عليه أهل حينه، وذلك لأنه إنْ كان بما فيه بحسب الظاهر استحيى من أنْ تكون له نسبة مع مولاه، فيما من به عليه وأولاه، وإنْ كان بما ليس فيه فيستحي منه تعالى إذ قد ستره فيما هو فيه، وهو يجري عليه ثناه الجميل بما لم يكن من شأنه، فهو لا يشهد من نفسه وجوداً وإنْ كان موجوداً. (**قوله: ثم التصديق بما أخبر به الأنبياء الخ**) أي بما أخبروا به من الوعد والوعيد وغيرهما من بقية أحكام الشرائع. (**قوله: ثم الإخلاص لله في العمل**) أي إيقاعه لذات الله تعالى طلباً لمرضاته نعم لا يضر في ابتداء الأمر ملاحظة الأعواض على ذلك.

(**قوله: والمعرفة لا تحصل الخ**) يشير بذلك إلى أنَّ أوّل الواجبات على المكلف إنما هو النظر الموصل للمعرفة لا نفس المعرفة، وهو كذلك لتوقفها عليه. (**قوله: ثم تصديق الحق الخ**) محصله أنّه الإذعان القلبي لخبر الحق الوارد على ألسنة الرسل الدعاة إلى الهدى، فيما يتعلق بأحكام المستقبل كالحشر والنشر وما بعدهما.

(**قوله: فيما يتعقبه**) أي يترتب عليه من أحكام الأوامر والنواهي. (**قوله: فضيلة يفيض عليها القلب الخ**) أي فالأصل وجود العرفان القلبيّ بواسطة زيادة أنوار البصائر،

ببعضه اللسان. (**وقال سهل بن عبد الله: حرام على قلب**) أي ممنوع (**أنْ يشم رائحة اليقين**) الكامل بما عند الله (**وفيه سكون إلى غير الله تعالى**) لأن القلب متى امتلأ بشيء لم يسع غيره، وقد قال الله تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤] (**وقال ذو النون المصريّ: اليقين**) بزوال الدنيا والإقدام على الله تعالى (**داع إلى قصر الأمل، وقصر الأمل يدعو إلى الزهد**) في الدنيا لقلة قدرها وسرعة زوالها (**والزهد**) فيها المقتضي للتفرغ لعمل الآخرة (**يورث الحكمة**) التي هي وضع الشيء في محله (**والحكمة تورث النظر في العواقب**) أي عواقب الأعمال مما يخشى منه ما ينقصها أو يبطلها. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصري يقول: ثلاثة من أعلام اليقين قلة مخالطة الناس في العشرة**) أي معاشرتهم (**وترك المدح لهم في العطية**) وإنْ أمر الآخذ منهم بشكرهم، والدعاء لهم، ولا يلزم منهما المدح لأنهما يحصلان بنحو جزاك الله خيراً وأكرمك الله وأعاننا على مكافأتك، والمدح ذكر المحاسن الذي يقرن غالباً بدخول العجب على الممدوح (**والتنزه عن ذمهم عند المنع**) أي منعهم من الإعطاء لأن المانع في الحقيقة غيرهم، وهو الله تعالى، ولا يليق الذم بغير الفاعل، وذم الفاعل هنا يخشى منه ذم الفاعل حقيقة، وبالجملة من تيقن أنّ الله هو الرزاق له في سائر أحواله حصلت له الثلاثة، (**وثلاثة من أعلام يقين اليقين**) وهو أرفع درجات اليقين (**النظر إلى الله سبحانه في كل شيء**) بأنْ يسبق نظر العبد إليه تعالى في كل ما يهمه (**والرجوع إليه**) تعالى (**في كل أمر**) من ضر أو بلاء ليكشفه (**والاستعانة به**) تعالى (**في كل حال**) يرومه (**وقال الجنيد رحمه الله: اليقين هو استقرار العلم الذي يتقلب ولا**

فيفيض ما فيه على جارحة اللسان. (**قوله: اليقين بزوال الدنيا الخ**) يريد بيان ثمرة اليقين وإمارة تحققه. (**قوله: ثلاثة من أعلام اليقين**) أي فمن تحقق بها ثبت له مقام اليقين، وإلا فهو دعوى بغير دليل. (**قوله: قلة مخالطة الناس الخ**) أي فلا تخالطهم إلا لحاجة قوية، أو ضرورة للبعد عن أخلاقهم رغبة في نيل ما وعد به على لسان سيد الكمل ﷺ بسبب قوة يقينه فيه.

(**قوله: وترك المدح لهم**) أي ترك المدح بغير شاهد العلم المشروع، وإلا فهو مندوب إليه. (**قوله: والتنزه عن ذمهم الخ**) المقصود النهي عن ذمهم بمقتضى حظ النفس لا بمقتضى حق الحق تعالى بشاهد العلم. (**قوله: وثلاثة من أعلام يقين اليقين الخ**) أقول: ذلك من المبالغة في اليقين بإثبات يقين له، والمراد قوة اليقين. (**قوله: وقال الجنيد الخ**) هو قريب مما قبله إذ المآل واحد.

يحول ولا يتغير في القلب) أي هو توالي العلم على القلب بحيث يستقر فيه، فيصير في قلب العبد باستشعاره نظر الحق إليه، ومراقبته له كالعلم الضروري. **(وقال ابن عطاء: على قدر قربهم من التقوى أدركوا ما أدركوا من اليقين)** كما يشير إليه خبر: «ما تقرب إليّ المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم».

(وأصل التقوى مباينة النهي) أي البعد عن المنهي عنه **(ومباينة النهي مباينة النفس)** أي البعد عنها وعن شهواتها، والقيام بالمطلوب منها، وإن ثقل عليها **(فعلى قدر مفارقتهم النفس)** وشهواتها **(وصلوا إلى اليقين، وقال بعضهم: اليقين هو المكاشفة والمكاشفة على ثلاثة أوجه مكاشفة)** حاصلة **(بالإخبار)** بأن يعلم غيره بمعلومات الله تعالى التي أخبر بها الله تعالى ورسوله **(ومكاشفة)** حاصلة **(بإظهار القدرة)** أي قدرته تعالى بالدليل، وهو الإطلاع على عجائب صنع الله تعالى وبدافع

(قوله: على قدر قربهم الخ) حاصله أنّه نيل الخيرات، والوصول إلى عالي المقامات في مخالفة النفس، فشمر الساعد واطلب الجدّ في خلافها. **(قوله: أي البعد عن المنهي عنه)** أقول: ومن المنهي عنه اليأس من غفران الذنب لاستعظامه عند الفاعل، فحينئذ اللازم في حق الإنسان الرجوع عن ذلك، وجعل مفتاح الرجوع التوبة، والإنابة رجاء في الله وخوفاً منه إذ اليأس من الرحمة كوجود الاغترار بالله، فإنَّ الله تعالى لا يتعاظم ذنباً يغفره، قال حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره: وكما اتخذت الذنب والعود إليه حرفة فاتخذ التوبة والعود إليها حرفة، فما أصر من استغفر، ولو عاد إلى الذنب في اليوم سبعين مرّة على أنَّ الذنب الواقع منك قد يكون آخر ذنب قدر عليك، وذلك يصرفه عنك، أو يصرفك عنه بأنْ تستقيم على التوبة لوجوه صدقك، أو تعاجلك المنية أو تصرفك المواقع عن فعله فمن العصمة أنْ لا تجد، ومن العصمة أنْ لا تقدر، وإنْ لم يكن شيء من ذلك، فالذنب قد محي عنك بوجود التوبة فبرئت من الإصرار، وهذا رأس الغنيمة تدبره وعض عليه بالنواجذ. **(قوله: فعلى قدر مفارقتهم النفس الخ)** أي فوصولهم على حسب خروجهم عن مألوفات النفس التي بشاهدها يتحقق الحزن، وينغلق باب الفتح، ولذلك قال صاحب الحكم العطائية: إنْ أردت أنْ يفتح لك باب الرجاء فاشهد ما منه إليك، وإنْ أردت أنْ ينفتح لك باب الحزن، فاشهد ما منك إليه وإنْ أردت أنْ يفتح لك كل منهما فاشهد كلاً منهما في عين الآخر، فيستوي رجاؤك وخوفك، فتكون على كمال في حالك.

(قوله: والمكاشفة على ثلاثة أوجه) أقول: الأولى والثانية وسيلة إلى الثالثة، إذ الأولى بشهود علم النقل، والثانية بشهود علم العقل، وكل وسيلة إلى علم الفيض والإلهام بذوق خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم». **(قوله: وهي مكاشفة**

حكمته (**ومكاشفة القلوب**) وهي حاصلة (**بحقائق الإيمان**) في القلوب، وهي مكاشفة بكمال الذات والصفات، فهذه المراتب الثلاث تشملها المكاشفة كما تقرر فإن الله تعالى كاشف عبده بها، وأطلعه عليها، ويختلف باختلاف مراتب الخلق، فمنهم ما يكاشفه الله بجميعها ومنهم من يخصه ببعضها، وإذا حصلت المكاشفة، وتوالت على القلب حتى قلت الغفلة عنها سميت يقيناً.

(**واعلم أنَّ المكاشفة**) المشهورة (**في كلامهم عبارة عن ظهور الشيء للقلب باستيلاء ذكره**) له وغلبته عليه (**من غير بقاء للريب**) أي الشك والمراد به مطلق التردّد الشامل للظن (**وربما أرادوا بالمكاشفة ما يقرب مما يراه الرائي بين اليقظة والنوم**) بأنْ يطرأ عليه سنة خفيفة، فيرى فيها أشخاصاً، ويسمع منهم كلاماً (**وكثيراً ما يعبر هؤلاء عن هذه الحالة**) المسماة بالمكاشفة (**بالسبات**) أي الراحة للأبدان لأنَّ العبد يزول إحساسه بنفسه وتكون كليته مع ما يراه. (**سمعت الإمام أبا بكر بن فورك يقول: سألت أبا عثمان المغربيّ فقلت**) له: (**ما هذا الذي تقول**) وهو قولك: (**قال**) لي: (**الأشخاص كذا وكذا**) ورأيت أشخاصاً قالوا لي كذا وكذا (**تراهم معاينة أو مكاشفة فقال**) له: بل (**مكاشفة**) دل ذلك على أنّ إدراك البصر في هذا الوقت يبطل، ويبقى العبد مشغولاً بالحالة التي هو فيها مع ما يراه (**وقال**) عامر (**ابن عبد قيس: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً**) تقدّم تقريره، (**وقيل: اليقين رؤية العيان بقوّة الإيمان**) الذي محله القلب يعني رؤية اليقين بقوّة الإيمان كرؤية العيان بالبصر لأنّ الإيمان إذا توالى

بكمال الذات) أي بمظاهر أسمائها وصفاتها. (**قوله: ويختلف باختلاف مراتب الخلق**) أي ويدل لذلك قوله تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦]. (**قوله: سميت يقيناً**) أي وهو مختلف أيضاً باختلاف درجة صاحب مقامه. (**قوله: الشامل للظنّ**) أي وهو إدراك الطرف الراجح.

(**قوله: وربما أرادوا بالمكاشفة الخ**) أي فحينئذ هي نوع خاص من أنواعها، ولذا ثبت انها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوّة. (**قوله: دل ذلك على أنّ إدراك البصر الخ**) أي لأنَّ وظيفة الحواس الحادثة إنما تتحقق بإعتبار حال التركيب المقيد، فإذا خرج الإنسان من ذلك إلى فضاء الشهود المطلق بطلت تلك الحواس بحالة عموم الكشف، والإدراك بواسطة رجوع الروح إلى عالمها الأصلي في هذه الحالة فافهم.

(**قوله: لو كشف الغطاء**) أي الحجاب عن معلوماتي بأنْ عاينتها ما ازددت يقيناً لثبوت اليقين بها من قبل بقوّة الإيمان. (**قوله: يعني رؤية اليقين**) أفاد بذلك أنَّ في المقام تجوزاً وتشبيهاً لا حقيقة، وذلك ظاهر.

على القلب بحيث صار غالباً عليه صار ما تضمنه من المغيبات كالمشاهد بالعين، **(وقيل: اليقين زوال المعارضات)** له لأنَّ الإيمان متى غلب على القلب زال ما يعارضه لأنَّ المحل الواحد لا يقبل الضدين. **(وقال الجنيد رحمه الله: اليقين إرتفاع الريب)** أي الشك **(في مشهد الغيب)** لأنَّ العبد يشاهد بنور اليقين المغيبات مما أخبر به الأتقياء، أو وهبه له الرب، فيصير مشاهدة القلب مشاهدة غالبة عليه مشغلة له عن غيره، فينتفي كل شك، والمراد به مطلق التردّد **(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: في قول النبي ﷺ في عيسى ابن مريم عليه السلام: «لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء كما مشيت فيه»[1] قال رحمه الله أشار بهذا إلى حال نفسه ﷺ ليلة المعراج**

(قوله: وقيل: اليقين زوال المعارضات) أي بواسطة قوّة الإيمان، والتسليم، والرضا بمشهد البسط والانبساط، قال تعالى في حق الآباء والأبناء ﴿لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا﴾ [النساء: ١١] فالبسط من مشهد الجمال بمنزلة الأب، والقبض من نتيجة أفعالنا بمنزلة الإبن فافهم.

(قوله: لا يقبل الضدّين) أي فلا يكون القلب جازماً متردّداً في شيء واحد في آن واحد. **(قوله: وقال الجنيد: الخ)** هو أخص مما قبله. **(قوله: اليقين ارتفاع الريب)** أي بسبب قوّة فهم القلوب، وعلم الأسرار بحسب النور الموضوع في باطن القلب، وحقيقة ذلك النور مختلفة: نور العقل، ونور الطبع، ونور الروح، ونور القلب ونور سويداء القلب، ونور السر، وهو أعظم الأنوار وأجلّها، وأكملها، ولكل من هذه الأنوار نور بالتأويل، والتنزيل، والتحويل، والتنقيل، ولكل مقام فيها شرح لا تسعه العقول فضلاً عن السطور، وما يعلم جنود ربك إلا هو فافهم. **(قوله: في مشهد الغيب)** أشار بذلك إلى مدد نور اليقين المودع في القلوب، فهو من خزائن الغيوب فائض من نور الميثاق يوم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] فهو للقلب بمثابة نور العين لكن بعد ورود نور الإلهام الوارد من خزائن الغيوب الذي هو بمثابة نور الشمس المنبسط على المنظور فيه، وهو لا يبقى فيه ريب فافهم.

(قوله: لو ازداد يقيناً الخ) أي لو ازدادت أنوار يقينه لمشى في الهواء، وزيادة تلك الأنوار ينكشف بها آثار الحق ونعوته، وكلاهما باطنان، وهي إنما توجب ما قلناه من الكشف المذكور مع تمكنها من القلب، فيرى الآثار على ما يليق بها في هذه الدار، وفي الأخرى على حسب شاهد المتابعة، ويرى نقص كل شيء بل نفيه بوجود الحق تعالى إذ لو ظهرت صفاته اضمحلت كائناته، والحاصل أنَّ المراد من الخبر الشريف أنَّ المسيح

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٧٥).

لأنّ في لطائف المعراج أنه ﷺ قال: «رأيت البراق قد بقي») واقفاً مع جبريل (ومشيت) في الهواء مرتفعاً إلي رفرف إلى حيث أراد الله أنْ يناجيه فيه، وقال له جبريل: وما منا إلا له مقام معلوم، فأشار الأستاذ بذلك إلى ما ذكر من أنَّ النبيّ ﷺ نال مقاماً أعلى مما ناله عيسى عليه السلام، وهو المشي في الهواء، ومراده ﷺ إنْ مشي الموقنين في الهواء لا يستعظم بفضل الله عليهم. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أحمد بن عليّ بن جعفر يقول: سمعتُ إبراهيم بن فاتك يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السري يقول: وقد سئل عن اليقين**) أي علامته (**سكونك**) بقلبك (**عند جولان الموارد**) من تغير الأسباب والأحباب، وزوال الحرص والجزع عند خوف فوات المحبوب ونحوها (**في صدرك لتيقنك أنّ حركتك فيها لا تنفعل ولا ترد عنك مقضياً**) من سوء بل ذلك مختص بالله تعالى، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت أبا جعفر الأصبهاني يقول: سمعت علي بن سهل يقول: الحضور أفضل من اليقين لأنَّ الحضور وطنات واليقين خطرات كأنه جعل اليقين إبتداء الحضور، والحضور دوام ذلك، وكأنه جوز حصول اليقين**

عليه السلام لم يبلغ اليقين المحمدي وإلا لسار على القدم الأحمدي حيث أسرى بجسمه الشريف وروحه الشريفة حتى قطع فلك الهواء، وارتفع عنه بما لا يعلمه إلا الله تعالى، وبذلك تعلم أنَّ المشي في الهواء المنفي عن المسيح ليس المراد به مطلق مشي في الهواء بل مقام مخصوص منه، والله أعلم. (**قوله: لمشى في الهواء**) أي زيادة عن المشي في الماء، فهو أقوى منه بسبب قوة الحال فافهم.

(**قوله: وقال له جبريل**) أي حين تأخر عن المشي معه، وعاتبه في ذلك. (**قوله: لا يستعظم بفضل الله عليهم**) أي لثبوت خرق العوائد في حقهم. (**قوله: سكونك بقلبك الخ**) أقول: ذلك بالنسبة للمريدين وإلا فحال العارفين التلذذ، والفرح، والسرور بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه وأفعاله، وهذا الاختلاف بالقوّة والضعف منشؤه قوّه قوة الإيمان وضعفه، فإنَّ الإيمان إذا كان في ظاهر القلب يعني على الفؤاد أورث محبة متوسطة، فإذا دخل باطن القلب دخل في سويدائه أورث الحب النافع المثمر لما ذكرناه.

(**قوله: عند جولان الموارد**) أي عند توارد الواردات الغير ملائمة للنفوس والملائمة لها. (**قوله: لتيقنك أنَّ حركتك الخ**) أي فمقامه متمكن وثابت، واليقين خطرات على معنى أنّه ابتداء للحضور المتمكن صاحبه فيه، فلا يتم اليقين إلا بالحضور، فكان الحضور على هذا أفضل منه.

(**قوله: وكأنه جوز حصول اليقين خالياً الخ**) أقول: وهو وجيه لأن اليقين من

خالياً من الحضور، وأحال جواز الحضور بلا يقين ولهذا قال النوري: اليقين المشاهدة يعني أنَّ في المشاهدة يقيناً لا شك فيه) أي فلا تتم المشاهدة إلا بيقين **(لأنَّه لا يشاهده تعالى من لا يثق بمأمنه)** أي من لا يقين عنده بإيمانه، فمن لا يقين له لا مشاهدة له، **(وقال أبو بكر الوراق: اليقين ملاك القلب)** أي استيلاؤه عليه بأنْ يغلب عليه حال الإيمان بحيث لم يبق فيه متسع لغير الموقن المعلوم **(وبه)** أي اليقين **(كمال الإيمان)** ويعبر عنه بالحقيقة كما قال ﷺ: «لكل حق حقيقة فحقيقة كل شيء كمال له»[1] وهو غلبته على القلب **(وباليقين)** بالله تعالى وبصفاته **(عرف الله تعالى)** وجلاله وانفراده في سلطانه **(وبالفعل)** وهو غريزة يتبعها العلم بالضروريات عند سلامة الآلآت ويقال غير ذلك: كما بينته في شرح آداب البحث **(عقل عن الله تعالى)** أمره

النور، وهو قد يكون حجاباً بوقوف القلوب معه كما تكون الأغيار حجاباً للنفوس بوقوفها عندها فتقف القلوب كما تقف النفوس، وإنْ كان حجاب القلوب نورانياً، وحجاب النفوس ظلمانياً، ووقوف القلوب بالنور سببه الأنس به، والتعشق بوجوده استحلاء له، وحباً فيه مع القنوع به وعدم الالتفات إلى ما وراءه بغلطه في أنَّه غاية مقصده، وقد قال ابن الجلاء من وقف بهمته على شيء دون الحق فإنه الحق، وبهذا علم أنَّ اليقين الكامل ما كان معه حضور ومشاهدة فافهم والله أعلم.

(قوله: ولهذا قال النوري: الخ) حاصله أنَّ اليقين الكامل هو ما كان معه مشاهدة لازم لها الحضور، فمن لا يقين له لا مشاهدة له، ومن لا مشاهدة له لا يقين يكمل له، ولله در ابن الفارض حيث قال:

ولئن رضي غيري بطيف خياله ... فأنا الذي بوصاله لا أكتفي

فما قنع رضي الله تعالى عنه بما قنع به غيره بل، ولا بالوصال وكمال الشهود، وذلك لعلوّ همته. **(قوله: اليقين ملاك القلب)** أي فاليقين في الحقيقة هو ما استأصل القلب بجمعه عليه وعدم الإحساس بغيره. **(قوله: وباليقين عرف الله)** أي باليقين الكامل بالله وبصفاته عرف الله إذ المعرفة تشمل المكاشفة والمشاهدة والمعاينة، وكلها لا يتوصل إليها إلا باليقين، قال التستريّ قدس الله سره:

تقيدت بالأوهام لما تداخلت ... عليك ونور العقل أورثك السجنا
وهمت بأنوار فهمنا أصولها ... ومنبعها من أين كان فما همنا
فقد تحجب الأنوار للعبد مثلما ... وأكثر من في الناس لم يدع الأمنا

تأمله فإنَّه دقيق رقيق. **(قوله: ويقال غير ذلك)** أي فيقال هو الإدراك أوالمسائل.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في (الإيمان ١١٥) والعجلوني في (كشف الخفاء ٢/ ٢٠٨).

ونهيه، ووعده ووعيده، وغيرهما مما جاء به الكتاب والسنة. **(وقال الجنيد رحمه الله تعالى: قد مشى رجال باليقين على الماء ومات بالعطش أفضل منهم يقيناً)** فلا ملازمة بين خوارق العادات وقوّة اليقين، فقد يقوى يقين العبد بما يخلقه الله له بلا سبب، وقد تكون خوارق العادات لزيادة اليقين، وقد يستوي إثنان في اليقين ويجري الله خوارق العادات لأحدهما لطفاً به وعوناً على مأربه أو لنفع غيره بها لا لزيادة اليقين. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جعفراً يقول: قال إبراهيم الخواص: لقيت غلاماً في التيه)** أي المفازة التي يتاه فيها **(كأنه سبيكة فضة**

(قوله: عقل عن الله) أي لأنّه مدار الفهم والإدراك، وهما قاصران لحدوثهما والله أعلم.

(قوله: مشى رجال باليقين على الماء) أقول: فصاحب القلب يؤثر من مشى على من لم يمش، وصاحب السر علم الحكمة فيما أسر وما أفشى إذ هو الذي يعلم ما يتحقق به الأولياء والعارفون من أحوال المنازلات، ومنازلات الأحوال، وحقائق المعارف، ومعارف الحقائق، فالجاهل بذلك قد يندفع عن الولي بجهله كما اندفع الكفار عن النبي كذلك حيث قالوا: ﴿مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٣]، وقالوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧] إلى غير ذلك، ثم اعلم أنّ ما ستر الحق تعالى أولئك إلا غيرة عليهم وصيانة لهم، والله أعلم.

(قوله: ومات بالعطش أفضل منهم) أي فالخوارق قد تكون مع زيادة نور اليقين، وقد لا تكون مع ذلك، فتحصل على يد المفضول دون الفاضل، ومع هذا فالمزية بخوارق العادات لهم لا تقتضي أفضليتهم على غيرهم، وكلهم من أهل كهف الإيواء معرفتهم أصعب من معرفته تعالى لأنّ الله تعالى ظاهر بكماله وجماله، فإذا أراد الله تعالى أنْ يعرفك ولياً من أوليائه طوى عنك وجود بشريته، وأشهدك وجود خصوصيته. **(قوله: فلا ملازمة بين خوارق العادات الخ)** أقول: وذلك وجه صعوبة معرفة الولي قال في التنوير: قال بعضهم: الإيمان بطريقتنا هذه ولاية أي لأنّ الإيمان بالفتح لا يكون إلا بالفتح اهـ.

ثم الولي يعرف بثلاث: إيثار الحق، والإعراض عن الخلق، والتزام السنة بالصدق، قال الجرجاني: الولي الفاني في حال الباقي تولى الله سياسته، فتوالت عليه أنوار التولي وفي الإشارة عن الله إنما سميت الأولياء أولياء لأنهم يلوني دون ما سواي من خلقي، وحاصله أنّ الولي من تولاه الله فلم يدعه لغيره لا ظاهراً ولا باطناً، وتولى الله فلم يعرج على غيره بحال، وبحسب هذا فكلهم محفوظون بحفظه واصلون إليه على قدر نصيبهم وحظهم.

(قوله: كأنه سبيكة فضة) أي ذاتاً وصفةً بإشراق الأنوار الحسية والمعنوية. **(قوله:**

فقلت) له: (**إلى أين**) تذهب (**يا غلام فقال: إلى مكة فقلت: بلا زاد ولا راحلة ولا نفقة، فقال لي: يا ضعيف اليقين الذي يقدر على حفظ السموات والأرض لا يقدر أن يوصلني إلى مكة بلا علاقة**) بفتح العين، وهي ما يتبلغ به من العيش، قال ذلك لقوّة يقينه ولطف ربه به، وإنْ كانت السنة حمل الزاد في السفر، ولا يدل على ضعف اليقين مطلقاً، فإنَّ الأنبياء والأئمة حملوه في السفر لكنهم لم يعتمدوا عليه، وإنما اعتمدوا على ربهم، (**قال**) إبراهيم (**فلما دخلت مكة إذا أنا به في الطواف، وهو يقول: يا عين سحي**) بالدمع (**أبداً. يا نفس موتي كمداً ولا تحبي أحداً**). محبة حقيقية (**إلا الجليل الصمدا، فلما رآني**) الغلام وتفرس مني أني متعجب منه (**قال لي: ياشيخ أنت بعد على ذلك الضعف من اليقين**) أي الضعف الموجب لسؤاله له عن السفر بلا زاد، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت النهرجوريَ يقول: إذا استكمل العبد حقائق اليقين صار البلاء عنده نعمة**

فقال لي: ياضعيف اليقين الخ) منه يعلم سر طلب الزاد والراحلة والرفقة في السفر من أنّ الغالب على الخلق ضعف اليقين، فطلب منهم ما تقدم رحمة بهم وشفقة عليهم، وذلك كله باعتبار المبتدئين، أما العارفون من الكاملين، فهم وإنْ ظهروا بالأسباب لا يعتمدون إلا على رب الأرباب، فأخذهم بها لكونهم أئمة لغيرهم ممن يقتدى بهم والله أعلم.

(**قوله: يا عين سحي أبداً**) أي ابكي أبداً شوقاً على وصال الحبيب، يا نفس موتي كمداً أي حزناً على ذلك ولا تحبي أحداً أي لا تميلي إلى أحد ميلاً بغير شاهد العلم إلا الجليل أي العظيم الصمدا أي المقصود لجميع ما سواه، فأحبيه بدوام عباداته وطاعاته.

(**قوله: إذا استكمل العبد حقائق اليقين الخ**) اعلم أنَّ هذا المقام إنما يتم لأولياء الله تعالى الذين هم أبواب أبوابه، ومعرفتهم مفاتيح تلك الأبواب، وأسنان هذه المفاتيح حفظ الحرمة، وحسم الخدمة، واتساع الرحمة، ودوام الحشمة، وذلك كما قيل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم

فهنيئاً مريئاً لمن ذاق أو شاهد بعض من ذاق، فقد قيل: المطر قريب عهد بربه، فيستحب البروز فيه والتبرك به وقت نزوله هكذا ذكره الشارع ﷺ، وهو مطر من السحاب فما ظنك بالمؤمن العارف بربه، فهو من الأحرى والأولى النظر إليه حيث هو الصادق بالله السائر لله وبالله، إذ في ذلك سعادة الدارين عند مصادفة المحل والتوفيق، فتهيأ أيها الأخ الشفيق.

(**قوله: صار البلاء عنده نعمة الخ**) أي بحيث يجد له لذة بسبب شهوده مصدر الأحكام والأفعال واستغراقه في ذلك، وقوله: والرخاء مصيبة أي خشية الامتحان، وخوف التقصير في الشكر على ذلك لأنه كما يمتحن بالفقد يبتلى بالوجود. (**قوله: وقال**

والرخاء مصيبة) فمن استكمل الإيمان، وقوي يقينه بحسن صنيع الله له عد البلاء نعمة لما وعد عليه من الثواب، وعد الرخاء نقمة لما يلزمه فيه من الشكر، وخوف الحساب. **(وقال أبو بكر الوراق: اليقين على ثلاثة أوجه: يقين خبر)** وهو العلم الحاصل عن خبر الأنبياء بما غاب عن المشاهدة من الجنة والنار وغيرهما من أحوال يوم القيامة، **(ويقين دلالة)** وهو ما حصل بالنظر الدال على حدوث العالم، وقدم محدثه وكماله، وكمال صفاته، **(ويقين مشاهدة)** وهو العلم الذي يخلقه الله تعالى في قلوب أنبيائه وأوليائه ويحتمل أنْ يكون مراده باليقين الأول علم اليقين لحصوله عن العلم من الخبر، وبالثاني عين اليقين لاطلاع العبد من نفسه على مدلوله بوضوح الدليل، وبالثالث حق اليقين لكون الحق تعالى ينشئه في قلوب المتقين بلا سبب ولغلبته على قلوبهم، **(وقال أبو تراب النخشبيّ رأيت غلاماً في البادية يمشي بلا زاد فقلت: إنْ لم يكن معه يقين فقد هلك، فقلت: يا غلام في مثل هذا الموضع)** تكون **(بلا زاد فقال: يا شيخ ارفع رأسك)** وأنظر **(هل ترى غير الله)** أي ملكاً لغير الله **(تعالى)** ففهمت منه أنّه قوي اليقين بأنّ مالك الملك هو الذي يدبره ويحفظه **(فقلت)** له: **(الآن اذهب حيث شئت)** فهذا إنما يكون لمن قوي يقينه، ورأى لطفاً من الله عليه به، فيجري على عادته مع الله ولا يكون مغروراً بخلاف من دخل على التجربة لا ينبغي له أنْ يغرر بنفسه، فإنّه مخطىء وإنْ سلم لضعف يقينه.

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت محمد بن عيسى يقول: قال أبو سعيد الخراز العلم ما استعملك) في الصحة

أبو بكر: الخ) أقول: تقدم نظيره في كلام بعضهم فلا تغفل. **(قوله: اليقين على ثلاثة أوجه)** أي وحصولها للعبد الموفق على هذا الترتيب. **(قوله: وهو العلم الذي يخلقه الله الخ)** أي بواسطة إشراق أنوار القلوب الواردة من خزائن مكنونات الغيوب، فهو العلم الإلهامي الذوقي المسبب عن الفيض الإلهي، وذلك بالنسبة للأولياء والصالحين يكون نتيجة أعمالهم بذوق خبر: «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم»، فهو علم وهبيّ.

(قوله: لحصوله عن العلم من الخبر) أي باعتبار وجوب صدق المخبر كما هو ظاهر. **(قوله: ولا يكون مغروراً)** أي بإلقاء نفسه في الهلاك. **(قوله: بخلاف من دخل على التجربة)** أي في ابتداء سيره قبل أنْ يتخلق بأحكام الرياضات والمجاهدات.

(قوله: العلم ما استعملك الخ) أي العلم النافع ما قادك إلى العمل به، وقوله: واليقين ما حملك أي ما حملك على سكون السر بشهود أنّ: «ما شاء الله كان، وما لم

وهو العلم بالأحكام الشرعية **(واليقين ما حملك)** وهو العلم بأنّه لا فاعل إلا الله، ولا معين سواه، ولا يجري عليك إلا ما سبق لك عنده **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عثمان الأدمي يقول: سمعت إبراهيم الخوّاص يقول: طلبت المعاش لأكل الحلال)** فرأيته في اصطياد السمك **(فاصطدت السمك، فيوماً وقعت في الشبكة سمكة فأخرجتها)** منها **(وطرحت الشبكة في الماء فوقعت)** سمكة **(أخرى فيها فرميت بها)** أي بالشبكة، وأخرجت منها السمكة **(ثم عدت)** إلى طرح الشبكة في الماء **(فهتف بي هاتف)** فقال: **(لم تجد معاشاً إلا أنْ نأتي من يذكرنا)** ويسبحنا **(فتقتلهم)** نزل السمك منزلة من يعقل، فعبر عنه بما يعبر به عمن يعقل **(قال: فكسرت القصبة)** المتصلة بالشبكة **(وتركت الاصطياد)** ليس ذلك إنكاراً للاصطياد، ولا لطلب الحلال بل عادة الله تعالى أنْ يؤدّب أولياءه بخواطر ينبههم بها على أنّهم لا يسكنون إلى غيره تعالى، فمتى علم تعالى من أحدهم سكوناً إلى غيره نبهه ليرجع إليه، ويعتمد عليه دون الأسباب والله أعلم.

يشأ لم يكن» ويحتمل أنَّ معناه ما كان باعثاً لك على الجد والاجتهاد في معاملته تعالى.
(قوله: في اصطياد السمك الخ) إنما اختاره لعدم الشبهة في حله. **(قوله: فهتف بي هاتف)** أي رحماني عناية به ليتنبه للأعلى من ذلك بالبعد عن الوقوف مع الأسباب.
(قوله: ويسبحنا) أي بدلالة قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] الآية.

باب الصبر

هو حبس النفس على كريه يتحمله أو لذيذ يفارقه، وهو ممدوح ومطلوب.
(قال الله عز وجل ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾) [النحل: ١٢٧] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ

باب الصبر

قال بعضهم: الصبر على أنواع بعضها أفضل من بعض، الأول الثبات على الكتاب والسنة قولاً وفعلاً وحركةً وسكوناً، والثاني استواء النعمة والنقمة مع وجود الإحساس بشهود مقام الرضا، والثالث وجود لذة في النقمة، وكراهة في النعمة بواسطة يقين وعد الأجر وخوف الامتحان، والنوع الأول ثابت مع باقي الأنواع التي بعده، وأسباب الصبر شهود مصدر الأفعال واليقين بما أعده الله للصابرين، وخوف التسخط بالمقدور، فيحرم الأجر ويكسب الوزر، والعلم بعدم فائدة الجزع، واعلم أنه قيل في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] أنَّ الصبر دون المصابرة، وهي دون المرابطة لأنَّ المعنى اصبروا بحبس نفوسكم على طاعة الله، وصابروا بقلوبكم على الرضا بالبلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله، وقيل: اصبروا في الله وصابروا بالله، ورابطوا مع الله وحكمه مختلف وجوباً وندباً بحسب اختلاف ما يتعلق به، فهو تعتريه الأحكام، وقيل: الصبر أفضل من الشكر لأنَّ الشاكر مع المزيد، والصابر مع الله بذوق قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ١٤٦]. **(قوله: هو حبس النفس الخ)** أي القيام عليها بمطالعة ما أعده الله تعالى للصابرين، وما توعد به المتسخطين حتى يكمل لها مقام الرضا بما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه الجارية على وفق علمه وإرادته بحكمته الباهرة للعقول.

(قوله: قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرُوا﴾ الخ) أي وقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [الأحقاف: ٣٥] وقال: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ [المعارج: ٥] وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾ [آل عمران: ٢٠٠] وقال: ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ [فصلت: ٣٥] وقال: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ [الشورى: ٤٣] وقال: ﴿وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [البقرة: ١٧٧] وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وقال: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠] إلى غير ذلك من الآيات.

﴿أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] وقال: ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]. **(وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي)** رحمه الله **(قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا أحمد بن عليّ الخراز قال: حدثنا أسيد بن زيد قال: حدثنا مسعود بن سعد عن الزيات عن أبي هريرة عن عائشة رضي الله عنها رفعته)** إلى النبي ﷺ **(قال ﷺ: «إنّ الصبر عند الصدمة الأولى»[1] وأخبرنا عليّ بن**

(قوله: قال الله عز وجل: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] المعنى واصبر على ما أصابك من بعضهم من فنون الآلام والأذية، وعلى ما عاينت من إعراضهم عن الحق بالكلية، وما صبرك إلا بالله استثناء مفرّغ من أعم الأشياء أي، وما صبرك ملابساً ومصحوباً بشيء من الأشياء إلا بالله أي بذكره والاستغراق في مراقبة شؤونه، والتبتل إليه بمجامع الهمة، وفيه من تسليته عليه الصلاة والسلام تهوين مشاق الصبر عليه وتشريفه بما لا مزيد عليه، أو المراد إلا بمشيئته المبنية على الحكم البالغة المستتبعة للعواقب الحميدة، فالتسلية حينئذٍ من حيث الاشتمال على الغايات الجميلة، وقيل: إلا بتوفيقه ومعونته، فهي من حيث تسهيله وتيسيره والله أعلم.

(قوله: قال ﷺ الخ) أي وقال: أيضاً «ما أُعطي أحد شيئاً أفضل من الصبر»[2] وقال: «الصبر نصف الإيمان»[3] وقال: «الصبر الإسلام والسماحة». **(قوله: قال ﷺ)** أي وسببه على ما رواه مسلم يرفعه إلى أنس بن مالك أنَّ النبي ﷺ: «أتى على امرأة تبكي على صبي لها فقال لها: «اتق الله واصبري» فقالت: «وما تبالي بمصيبتي»، فلما ذهب قيل لها: إنّه رسول الله ﷺ فأخذها مثل الموت فأتت بابه فلم تجد على بابه بوابين فقالت: يا رسول الله لم أعرفك فقال: «إنما الصبر عند الصدمة الأولى أو عند أول صدمة». **(قوله: إنّ الصبر الخ)** المعنى أنَّ الصبر الكامل أجره هو الصبر الواقع في أوّل وقت المصيبة لأنه الأشق إذ بعد ذلك الوقت تهون المصائب كما هو مشاهد، فمن ابتلي

---

(١) أخرجه البخاري (جنائز ٣٢، ٤٣) (أحكام ١١) ومسلم (جنائز ١٥، ١٤) وأبو داود (جنائز ٢٣) والترمذي (جنائز ١٣) والنسائي (جنائز ٢٢) وأحمد بن حنبل (٣، ١٣٠، ١٤٣، ٢١٧).

(٢) أخرجه أبو داود في (السنة الزكاة ب ٢٩) والترمذي في (السنن ٢٠٢٤) والنسائي في (سننه الزكاة ب٨٣).

(٣) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ١٨٧، ٩/ ٥، ١٥٢، ٢١١) والسيوطي في (الدر المنثور ١/ ٦٦) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٤/ ٢٧٧) وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٥١٢) وابن حجر في (تغليق التعليق ١٨) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٦٤٩٨) والشهاب في (مسند ٥، ١٥٨) والشجري في (أمالي ١/ ١٢٧، ٢/ ١٩٤) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٣١، ٤/ ٦٠) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٣/ ٢٢٦) وابن الجوزي في (العلل المتناهية ٢/ ٣٣١) والهيثمي في (مجمع الزوائد ١/ ٥٧) والألباني في (السلسلة الضعيفة ٤٩٩).

أحمد رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا أحمد بن عمر قال: حدثنا محمد بن مرداس قال: حدثنا يوسف بن عطية عن عطاء بن أبي ميمونة عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الصبر عند الصدمة الأولى ثم الصبر») أولاً وبالذات على قسمين، وثانياً وبالعرض (على) ثلاثة (أقسام صبر على ما هو كسب للعبد وصبر على ما ليس بكسب له فالصبر على) الشيء (المكتسب) له (على قسمين صبر على ما أمر الله تعالى به) من واجب ومندوب (وصبر على ما نهى عنه) من حرام ومكروه (وأما الصبر على ما ليس بمكتسب للعبد، فصبره على مقاساة ما يتصل به من حكم الله) تعالى عليه (فيما) له (فيه مشقة) من الآلام والأسقام في نفسه وولده وخادمه ونحوها. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن محمد يقول: سمعت الجنيد يقول: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل هين على المؤمن) وإنْ كانت فيه صعوبة ما من حيث فراق محبوبيه من ولده ونحو ذلك لكمال الجزاء لأنّه تعالى وعد به لمن

في نفسه أو في ولده أو في ماله، وصبر وقت الابتلاء ولم يجزع ولم يشك لأحد شكوى ضجر كان صبره من أكمل الصبر، وجزاؤه من أعظم الجزاء، والله الموفق.

(قوله: عن أنس بن مالك الخ) أي وقد روى الترمذي يرفعه إلى أبي سعيد الخدري أنّ ناساً من الأنصار سألوا النبيّ ﷺ «فأعطاهم» ثم سألوه فأعطاهم ثم قال: «ما يكون عندي من خير فلن أدخره عنكم، ومن يستغن يغنه الله، ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله، وما أعطي أحد شيئاً هو خير وأوسع من الصبر» وقال فيه حديث حسن صحيح، ورواه مالك في الموطأ يرفعه إلى أبي سعيد. (قوله: ثم الصبر أولاً وبالذات الخ) حاصله أنّه حبس النفس على فعل الطاعات، واجتناب المحرمات هذا هو كسب العبد ثم حبسها على الرضا بما يجريه الحق تعالى من أحكامه التي لا تلائم النفس. (قوله: أولاً وبالذات) مراده أنّ القسمة باعتبارات الصبر في أوّل النظر ثنائية، وباعتبار ما يعرض لأحد القسمين ثلاثية، وذلك واضح. (قوله: على قسمين) أي وحكمه باعتبار ما أضيف إليه فتعتريه الأحكام، واعلم أنّ درجات المندوب منه متفاوتة كما لا يخفى على من تأمله. (قوله: المسير من الدنيا إلى الآخرة سهل) أي بشاهد علم النقل والعقل. (قوله: وإنْ كانت فيه صعوبة ما الخ) يظهر منه حمله على انتقال العبد بالموت من الدنيا، وهو الأظهر وإنْ تبادر من كلام الشارح خلافه (واعلم) أنّ درجات الصبر متفاوتة على حسب تفاوت المعرفة بالله تعالى وعظمته وجلاله، والمعرفة بالآخرة، وتفصيل ما أعده الله فيها للصابرين والمعرفة بفوائد الصبر وثمراته في الدنيا، وما يدخل به على القلوب من الراحات، وما يصرف به عنها من الهموم وأنواع الجزع، وغير ذلك.

ترك شهوات الدنيا كما قال تعالى: ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١] فهو سهل هين بالنسبة لما يأتي (**وهجران الخلق في جنب الله تعالى**) أي طاعته (**شديد**) لمخالفته هوى النفس من حظوظها أو راحتها الدنيوية (**والمسير من النفس**) بعدم الإلتفات لهواها (**إلى الله تعالى**) بالعمل لمحض أمره (**صعب شديد**) للمخالفة المذكورة (**والصبر مع الله**) حتى لا يرجع الصابر إلى الإلتفات لما ذكر (**أشد**) مما ذكر. (**وسئل الجنيد عن الصبر فقال: هو تجرع المرارة**) والمشاق (**من غير**) ظهور (**تعبيس**) بخلاف التصبر، فالمتصبر يتحمل المشاق وتظهر عليه، وإنما يمنعه من التسخط، وترك ما هو فيه خوف الله، والنار بخلاف الصابر فإنّه قد زال عنه المشاق، وتعود حملها، فلم يبق عليه في تحمل ذلك مشقة. (**وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد**) من حيث أنّه إذا أزيل عنه هلك أو إنْ كثر منافع العبد في رأسه، فمتى حصل الصبر للعبد حصلت له جميع منافعه الدينية والدنيوية، ومتى فقد هلك دينه، فلم يقم بشيء منه، (**وقال أبو القاسم الحكيم: قوله تعالى: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟﴾** أمر منه بالعبادة) يعني بالصبر (**وقوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾** عبودية) [النحل: ١٢٧] أي تذلل وافتقار من العبد لمولاه في جميع ما هو فيه، وإعلام له بأنّه لا يقدر على القيام بالصبر بل يستعين بربه فيه (**فمن ترقى من درجة لك**) في نحو أصبر أو أصلي لك (**إلى درجة بك**) في نحو أصبر أو أصلي

(**قوله: شديد**) أي بالنسبة لابتداء الإرادة، وإلا فقد تحصل له الوحشة بسببهم في النهاية. (**قوله: صعب شديد**) أي ولذا كان سر القبول ومع ذلك هو بالنسبة لغير الكامل أما هو فهو عليه هين لين. (**قوله: والصبر مع الله الخ**) أي على معنى دوام مراقبة الله في حقه على العبد.

(**قوله: من غير ظهور تعبيس**) أي بسبب تمكنه من مقام الرضا. (**قوله: بخلاف التصبر الخ**) محصل الفرق بين الصبر والتصبر أنّ الأوّل خلق، والثاني تخلق بتكلف. (**قوله: بمنزلة الرأس من الجسد**) أي على معنى أنّ كمال الإيمان لا يكون إلا إذا صاحبه الصبر، وإلا فلا يكون أما أصل الإيمان فثابت مطلقاً ولو جامعه إثم الجزع. (**قوله: أمر منه بالعبادة**) أي حث على مظهر التكليف، وقوله: ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] عبودية أي إرشاد لمتابعة مقاماتها من التبري من الحول والقوّة. (**قوله: فمن ترقى من درجة لك**) أي المشعرة بالاستقلال بالفعل إلى درجة بك أفعل كذا أي المؤذنة بالتبري من الحول والقوة. (**قوله: فقد انتقل من درجة العبادة**) أي فعل الطاعات على جهة التكليف والاستقلال إلى درجة العبودية أي التي هي الاعتراف بالعجز والتبري من الحول والقوة.

بك (**فقد انتقل من درجة العبادة إلى درجة العبودية قال ﷺ: «بك أحيا وبك أموت وبك أجادل وبك أقاتل»** (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا جعفر الرازي يقول: سمعت عياشاً يقول: سمعت أحمد يقول: سألت أبا سليمان عن الصبر فقال: والله ما نصبر على ما نحب**) لأنا لو كلفنا الدوام على أكل أفخر الأطعمة وألذها لنفرنا من ذلك وتألمنا (**فكيف**) نصبر (**على ما نكره**) مما يخالف هوى النفس، فلا نقدر على الصبر عليه إلا بعون الذي أمرنا به، (**وقال ذو النون**) المصري: (**الصبر التباعد عن المخالفات**) للأوامر (**والسكون عند تجرع غصص البلية**) وفي نسخة البليات بنزول الآلام والأسقام، وذهاب الولد ونحوه (**وإظهار الغنى مع حلول الفقر بساحات المعيشة**) هذا حال من تمكن في صبره، (**وقال ابن عطاء: الصبر الوقوف مع البلاء بحسن الأدب**) بأن لا يجزع الصابر، ولا يتسخط، وإنْ بلغ أعلى مقامات الصبر نال مقام الرضا، (**وقيل: هو**) أي الصبر (**الفناء في البلوى بلا ظهور شكوى**) هذا قريب من كلام الجنيد السابق ويمتاز عنه بما دل عليه الفناء من شدة البلاء، (**وقال أبو عثمان: الصبار**) هو (**الذي عود نفسه الهجوم على المكاره**) بخلاف المتصبر والصابر، فالمتصبر يتكلف حمل ما أصابه ويقاسي مشقته، والصابر يحمل ذلك بدون مشقة، وإنْ وجد ألماً، والصبار كذلك مع زيادة في الصبر لأنه للمبالغة في درجات الصبر فهو يهجم على كل مكروه مشق بلا

(**قوله: قال ﷺ: «بك أحيا» الخ**) أي لا بغيرك كما يؤذن به تقديم المعمول، وفيه الإشارة والرمز بهواتف الحقيقة فافهم.

(**قوله: ما نصبر على ما نحب**) محصله أنه لولا نعمة التوفيق من الله تعالى لما قدر أحد على متابعة سيد الكمل ﷺ. (**قوله: الصبر التباعد عن المخالفات الخ**) محصله أنّه حبس النفس على فعل المأمورات واجتناب المنهيات، وعدم القلق والشكوى عند الامتحان مع إظهار شرف النفس عند الحاجات سكوناً مع القناعة والتعفف. (**قوله: بأنْ لا يجزع الخ**) أقول: وليس من الجزع والشكوى ذكر المصائب لحبيب، أو طبيب ليسليه، أو يداويه. (**قوله: هو الفناء في البلوى**) أي الاستهلاك فيها مع قوّة شدائدها بلا ظهور شكوى أي جزع وقلق، وأكمل من ذلك عدم الجزع باطناً كما لا يخفى. (**قوله: هو الذي عود نفسه الخ**) ليس المراد منه التعرض للهلكات اختياراً لحرمته شرعاً بل المراد أنه عند حلولها به قهراً يدوم على القيام على نفسه بحملها على الصبر البالغ درجة الكمال.

(**قوله: بخلاف المتصبر والصابر الخ**) أقول: أخذ هذا كله من جواهر الصيغ الثلاث إذ التصبر تكلف الصبر، والصابر من قام به الصبر بدون مبالغة، والصبار كذلك مع

كلفة، ويجد اللذة فيه فضلاً عن المرارة والمشقة، (**وقيل: الصبر**) هو (**المقام**) أي القيام (**مع البلاء بحسن الصحبة كالمقام**) أي كالإقامة (**مع العافية**) بأنْ يساوي حاله في البلاء حاله في العافية، (**وقال أبو عثمان: أحسن الجزاء على عبادة**) من العبادات (**الجزاء على الصبر ولا جزاء فوقه قال الله سبحانه**: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾)[النحل: ٩٦] لأنَّ من عمل حسنة جوزي بعشر بل بسبعمائة للحديث المشهور فيه «بل يجازي بغير حساب» قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]. (**وقال عمرو بن عثمان: الصبر هو الثبات مع الله تعالى وتلقي بلائه بالرحب والدعة**) أي السكون. (**وقال الخواص: الصبر هو الثبات على أحكام الكتاب والسنة**) سواء كان في البلايا أم في غيرها، (**وقال يحيى بن معاذ: صبر المحبين أشد من صبر الزاهدين واعجباً كيف يصبرون**) أي المحبون (**وأنشد**) في ذلك (**الصبر يحمد في المواطن كلها. إلا عليك**) بمعنى عنك (**فإنه لا يحمد.**) لأنَّ الصبر

المبالغة. (**قوله: ويجد اللذة فيه الخ**) يحتمل أنّه من المبالغة في الصبر، ويحتمل الحقيقة باعتبار شهود المبلي في البلاء، والمعذب في العذاب بل هذا أقرب ويشير إلى هذا المقام قول قائلهم شعراً:

ألفت الضنى حتى تطاول مكثه فلو زال عن جسمي بكته الجوارح

والله أعلم. (**قوله: بأنْ يساوي حاله الخ**) أي بأنْ يكون في حال البلاء صابراً، وفي حال العافية شاكراً، ويحتمل عدم وجدان الألم واللذة بسبب فنائه في المبلي والمنعم.

(**قوله: أحسن الجزاء الخ**) أقول: وإنْ لم يكن من جزاء الصبر إلا معية الحق تعالى لكفى، كما أشار إلى ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]. (**قوله: لأنَّ من عمل حسنة الخ**) تعليل مع بيان لقوله تعالى: ﴿بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] ومحصله مضاعفة جزاء الصبر أو كونه بغير حساب. (**قوله: الصبر هو الثبات الخ**) أي الثبات بالصبر على البلاء، والشكر على العافية والله الموفق.

(**قوله: صبر المحبين الخ**) أقول: يكاد أنْ يكون من البديهي إذ لكل شيء من مألوفات النفس بدل ترجع إليه وتعتاده بالقيام عليها به، ولا كذلك في المحبوب إذ لا بدل له ولا حياة للروح بدونه. (**قوله: وا عجبا الخ**) حكمة ذكره إيهام ما قبله إمكان الصبر من المحبين مع أنّه قريب من رتبة المستحيل لخفاء سببه خفاء تاماً والله أعلم.

(**قوله: الصبر يحمد**) أي يكون محموداً بالثناء على من تحقق به، وقوله في المواطن كلها أي في جميع المنازلات التي ينازلها العبد من حقوق الحق المطلوبة منه إلا عليك بمعنى عنك إيهام المحبوب، فإنّه إنْ أمكن تحققه، ولو على بعد فإنه لا يحمد بل

يكون لله وبالله وعلى الله وكل منهما محمود، ويكون عن الله وهو مذموم لدلالته على قلة الرغبة في القرب منه، وامتثال أوامره، وتجنب نواهيه، فهو بعيد عن الله، وصبر المحبين عن الله محال لأنَّه ينافي المحبة، فهو أشق عليهم إنْ جرى به القدر فإنّه يهلكهم لما هم فيه من تحمل الضرر. **(وقال رويم: الصبر ترك الشكوى)** لله ولغيره هذا من علامات الصبر لأنفسه، وقيل: الصبر ثلاث مقامات أولها ترك الشكوى، وهي للتائبين، والثانية الرضا بالمقدور وهي للزاهدين، والثالثة المحبة لما يصنع المولى وهي للصديقين.

(وقال ذو النون) المصري: **(الصبر هو الاستعانة بالله تعالى)** عليه والصابر قسمان: صابر متحمل لرجاء الثواب، وصابر متبرىء من حوله وقوته مستغن بالله، وبينهما بون. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الصبر كاسمه)** في المرارة والمشقة وشدة المعاناة في التداوي به **(أنشدنا)** الشيخ **(أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أنشدني أبو بكر الرازي قال: أنشدني ابن عطاء لنفسه: سأصبر كي ترضى)** يا رب **(وأتلف حسرة. وحسبي أن ترضى ويتلفني صبري)** أي

يذم. **(قوله: وصبر المحبين عن الله محال)** أي عادة كما يعلم من بقية كلامه أو المراد أنّه مستبعد استبعاداً كلياً بدليل قوله: بعد فهو أشق عليهم الخ. **(قوله: الصبر ترك الشكوى لله الخ)** أي لفناء مراد العبد في مراد الرب، وقوله: ولغيره أي على وجه القلق لا لمثل حبيب أو طبيب.

(قوله: وهي للتائبين) أي وذلك لأنَّهم رجعوا إلى الله، ومن رجع إليه سكن لقضائه، وقوله: وهي للزاهدين أي وذلك لأنَّ من زهد في الدنيا رضي بكل ما يجريه الحق من تصاريف أحكامه، وقوله: وهي للصديقين أي لأنَّ من صدق في الحب التذ بكل ما يصدر عن محبوبه.

(قوله: الصبر هو الاستعانة بالله الخ) أي بشاهد أنّه لا قوة لمخلوق على شيء إلا بتوفيقه تعالى وإقداره. **(قوله: صابر متحمل لرجاء الثواب)** أي ثقة بوعد الكريم وذلك من منازل العوام، وقوله: وصابر متبرىء من حوله وقوته أي بفنائه واستغراقه في ذات المبتلي، وهو من منازل العارفين الخواص. **(قوله: الصبر كاسمه الخ)** أي وذلك بالنسبة للمريدين في ابتداء سيرهم إلى الله تعالى لا بالنسبة للعارفين المحققين، فهو عندهم سهل لا مشقة فيه بل ربما يجدون فيه لذتهم.

(قوله: سأصبر كي ترضى الخ) أي أدوم على سكون قلبي وطمأنينته عند ما تجريه عني من تصاريف أحكامك، ولو كان في ذلك تلف نفسي حسرة وحزناً على ما فاتني من

مقصودي رضاك، وإنْ كان فيه تلفي مما أقاسيه، ويكفيني رضاك وإنْ كان صبري عنك يتلفني لأنَّ العبد قد يؤدّبه مولاه، ويزيله عن مقامه الذي قربه إليه، ويبعده عنه لما اختاره له وارتضاه، فإذا كان العبد متأدباً في صبره مع مولاه جرى على قلبه ما اختاره له من تلفه إذا كان فيه رضاه، (**وقال أبو عبد الله بن خفيف: الصبر**) يعني من قام به الصبر (**على ثلاثة أقسام متصبر وصابر وصبار**) تقدم الكلام عليها. (**وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: الصبر مطية لا تكبو**) لخبر: «من تأنى أصاب أو كاد» ولا يمكنه التأني وترك العجلة إلا بالصبر، فمن جعل الصبر مطيته استقام في سيره وبعد خطوه في علمه وعمله. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي ابن عبد الله البصري يقول: وقف رجل على الشبلي فقال: أي صبر أشد على الصابرين فقال: الصبر في الله تعالى**) وهو الصبر على تغيير الأخلاق المذمومة، والاتصاف بالمحمودة، والاشتغال بأنواع الطاعات (**فقال: لا، قال: الصبر لله**) وهو الصبر على ذلك مع التبري من الحول والقوة.

(**قال: لا، قال: الصبر مع الله**) وهو الصبر على ما يرد على القلب من الله، وهو متأدب معه في حمل ما يرد منه راضٍ بذلك (**قال: لا، قال: فإيش الصبر**) الأشد (**قال: الصبر عن الله**) وهو أن يبعد الله العبد عنه بعد تقريبه إليه فيلازم الباب، ويتمرّغ في التراب (**فصرخ الشبلي صرخة كادت روحه أن تتلف**) لأنَّ قلبه لم يحمل

شهود جمالك وجلالك وتحقق رضاك، حيث تعلقت بذلك قدرتك وإرادتك، ويكفيني رضاك بدلاً عن كامل مألوفاتي من الحال والمقام والقرب، ولله در من قال شعراً:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوم

تدبره فإنّه في غاية الرقة. (**قوله: تقدم الكلام عليها**) أي وأنها مرتبة في الفضيلة على هذا الوجه المذكور.

(**قوله: الصبر مطية لا تكبو**) أي مركب لا يخيب راكبه عن بلوغه مقصوده الدنيوي والأخروي لخبر: «من تأنى أصاب أو كاد» أي فهو بتأنيه وعدم عجلته قد يهتدي إلى صواب العمل، فيفعله، وقد لا يهتدي إليه غير أنَّه بتأنيه بعد عن الوقوع في الخطأ، وقرب من فعل الصواب، وبالضد يعلم حكم ضده. (**قوله: لخبر من تأنى الخ**) تمامه ومن تعجل أخطأ أو كاد، وإنما اقتصر على ما ذكره لأنَّه شاهد الباب. (**قوله: وهو الصبر على تغيير الأخلاق الخ**) أي وذلك من أصعب المنازل إذ فيه مخالفة النفس وإرجاعها عن مألوفاتها. (**قوله: مع التبري الخ**) أي بشهود الإعانة الإلهية في جميع الحركات والسكنات. (**قوله: راضٍ بذلك**) أي بالفناء عن مراده في مراد ربه. (**قوله: فهذا الصبر**

البعد، ولا سماع ذكره، فهذا الصبر مذموم كما سيأتي، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت أبا محمد الجريري يقول: الصبر أن لا يفرق بين حال النعمة و**) حال (**المحنة مع سكون الخاطر فيهما**) بالنظر لاختيار الله لك لأنك لا تدري أي الحالين أصلح لك في دينك وهو أعلم بما يصلحك، (**والتصبر هو السكون مع البلاء مع وجدان أثقال المحنة**) وتكلفها بخلاف الصبر، فإنّه لا وجدان لذلك فيه وإنْ وجد فيه ألم كما مرّ. (**وأنشد بعضهم**) ما يدل على زيادة كتم الصبر، وهو (**صبرت**) على حبك يا الله (**ولم أطلع هواك**) أي حبك (**على صبري. وأخفيت ما بي منك**) من الهوى (**عن موضع الصبر * مخافة أنْ يشكو ضميري صبابتي**). أي ما أجد ممن حبك، وما أقاسيه من صبر ولوعة، (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: فاز الصابرون بعز الدارين**) دار الدنيا ودر الآخرة (**لأنهم نالوا من الله معيته قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾** [البقرة: ١٥٣] لا بالزمان ولا بالمكان بل بالعلم والإحاطة مع الكل، وبالحفظ مع الأولياء، وبالنصر والمعونة مع الأنبياء، (**وقيل: في معنى قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾** [آل عمران: ٢٠٠] الصبر دون المصابرة والمصابرة دون المرابطة أي اصبروا على الطاعات وصابروا مع نبيكم في جهاد عدوّكم، ورابطوا الخيل، واحبسوها للجهاد،

مذموم) أي شرعاً وعقلاً. (**قوله: مع سكون الخاطر فيهما**) أي بسبب قوة الصبر عند المحنة، والشكر وقت النعمة استغراقاً في مرادات الله تعالى فيه. (**قوله: بخلاف الصبر الخ**) أي فهو أفضل من التصبر كما هو ظاهر. (**قوله: صبرت على حبك يا الله الخ**) أي حبست نفسي على كتم حبي إياك، وعدم إظهاره غيرة مني عليك، فلم أطلع عليه كائناً من الكائنات حتى نفس الحب الحاصل عندي مبالغة في الإخفاء، وقوله: وأخفيت ما بي منك الخ أي سترت ما أصابني من حبك وميلي بكليتي إليك عن موضع الهوى أي عن قلبي وسري مبالغة بعد مبالغة، وقوله: مخالفة أنْ يشكو ضميري صبابتي أي لأجل الخوف من طوارق غرامي وشوقي أنْ يغلب عليّ فتجري مدامعي فتنم بأشواقي قهراً ولا أدري لعدم اختياري لذلك، ويسهل فهم هذه المبالغات الفائقة أنّه بواسطة قوته على عدم إظهار آثار المحبة على شاهده حتى كأنه غير حاصل له شيء من أنواع المحبة بالغ حتى جعل هذه الحالة من قبيل الإخفاء على نفسه وضميره، وهذا كما ترى في غاية اللطافة، والرقة، والمبالغة.

(**قوله: الصبر دون المصابرة**) أي لأنّ فيها بذل النفس في مرضاة الرب، وقوله: والمصابرة دون المرابطة أي لزيادة المرابطة ببذل المال زيادة عن النفس مع هجر الوطن والأهل غالباً. (**قوله: وقيل في معناه الخ**) أي وهي مرتبة في الفضيلة على حسب ما

(**وقيل**:) في معناه (**اصبروا بنفوسكم على طاعة الله تعالى وصابروا بقلوبكم على البلوى في الله، ورابطوا بأسراركم على الشوق إلى الله وقيل**:) في معناه (**اصبروا في الله**) أي في طاعته (**وصابروا بالله**) أي بعونه (**ورابطوا مع الله**) أي بالأدب معه ودوام تعظيمه. (**وقيل**: **أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام تخلق بأخلاقي، وإنَّ من أخلاقي أنني أنا الصبور**) أمره أنْ يبالغ في الصبر لأنَّ صبوراً للمبالغة، (**وقيل**: **تجرع الصبر فإنْ قتلك قتلك شهيداً**) لكونك مجاهداً في طاعة الله (**وإنْ أحياك أحياك عزيزاً**) لتحملك الأذى، (**وقيل**: **الصبر لله عناء**) أي مشقة وكلفة (**والصبر بالله بقاء**) أي عون منه (**والصبر في الله بلاء**) أي اختبار، وامتحان بما ينزل من القضاء (**والصبر مع الله وفاء**) لما امتحن به (**والصبر عن الله جفاء**) أي بعد وإعراض عنه نعوذ بالله من ذلك. (**وأنشدوا**) في ذلك (**والصبر عنك فمذموم عواقبه. والصبر في سائر الأشياء محمود**. **وأنشدوا**) أيضاً:

(**وكيف الصبر عمن حل مني** ... **بمنزلة اليمين من الشمال**)

بل أعظم:

(**إذا لعب الرجال بكل شيءٍ** ... **رأيت الحب يلعب بالرجال**)

تقدم. (**قوله**: **وقيل في معناه**: **اصبروا في الله الخ**) أقول: فكل منهم قد تكلم على الصبر بحسب ما نال من شربه على حسب استعداده. (**قوله**: **تخلق بأخلاقي الخ**) فيه أنَّ شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا، قلت: قد قرره شرعنا بالكتاب والسنة. (**قوله**: **تجرع الصبر**) أي تحمل مشاقه، فإنْ قتلك أي فإنْ كان سبباً في قتلك مت شهيد المجاهدة في الطاعة وإنْ أحياك على معنى الحفظ منه عشت عزيزاً رفيع القدر في الدنيا والآخرة.

(**قوله**: **وقيل الصبر لله عناء**) أي لأنَّ هذا المقام يبقى معه إحساس النفس بعادتها، وقوله: والصبر بالله بقاء أي لفناء النفس بإعانة الله، وشهود الأفعال من مصدرها، وقوله: والصبر في الله بلاء أي ابتلاء منه تعالى لعبده هل يدوم على الرضا أو لا، وقوله: والصبر مع الله وفاء أي فهو من ثمرة ما قبله، ومن نتائجه، وقوله: والصبر عن الله جفاء أي سببه قسوة قلب العبد، وعموم غفلاته حتى تعمى بصيرته، وذلك بسابق القضاء الأزليّ نعوذ بالله من ذلك. (**قوله**: **والصبر عنك الخ**) هو كالدليل على ما قبله، وقوله: فمذموم عواقبه أي عقلاً وشرعاً لما يترتب عليه من الجفاء والبعد عن منازل الأخيار، ومقام المقربين. (**قوله**: **وكيف الصبر الخ**) استفهام إنكاريّ معناه أنَّ ذلك لا يصح وقوعه إذ لا غنى للإنسان عن يمينه، ولا عن شماله بل هو إلى اليمين أشد احتياجاً، وقوله: إذا لعب الرجال الخ معناه أنَّ الكاملين في مقامات الرجولية وإنْ استخفوا بكل شيء وقدروا عليه

وفي نسخة تقدم البيت الثاني على الأول.

(وقيل: الصبر على الطلب عنوان الظفر) أي علامته **(والصبر في)** بمعنى على **(المحن علامة الفرج)** وذلك لأنّ لكل بلاء أمداً، وإذا منّ الله على العبد بالصبر خف عليه أمره، وخفته دليل الفرج. **(سمعت منصور بن خلف المغربي رحمه الله يقول: جرّد واحد للسياط)** أي للضرب بها **(فلما)** ضرب بها ثم **(رد إلى السجن دعا ببعض أصحابه فتفل)** بالمثناة **(على يده وألقى من فمه دقاق الفضة)** على يده **(فسئل)** عن ذلك **(فقال: كان في فمي درهمان، وكان على حاشية الحلقة)** التي نحن فيها **(لي عين)** تراني كيف أضرب فيها **(فلم أرد أنْ أصيح لرؤيته)** أي لرؤية الرائي بها **(إياي)** بل صبرت وتحملت المشقة لرؤيته إياي **(فكنت أعض على الدرهمين فتكسرا في فمي)** في ذلك دلالة على أنّ من استشعر نظر الحق إليه في صبره على ما تحمله يشتد صبره وهذا الصبر أعني الصبر لرؤية المبلي فوق الصبر لكثرة الجزاء **(وقيل: حالك التي أنت فيها رباطك)** أي حفظ لك **(وما دون الله تعالى أعداؤك، فأحسن المرابطة في رباط حالك)** والمرابطة تجري في كل ملازمة تكون حراسة في سبيل الله سواء حرست من إنس أم جن أم غيره، **(وقيل: المصابرة هي الصبر على الصبر حتى يستغرق الصبر في الصبر، فيعجز الصبر عن الصبر)** فغاية الصبر أنْ يستغرق العبد

ولعبوا به لا طاقة لهم على مغالبة الحب لقهره إياهم، وغلبته على قلوبهم، فهو الذي يلعب بهم لأنهم يصيرون معه بدون حركة إرادية، ومع ذلك فالكلام من باب التقريب للعقول القاصرة على حسب ما تعهد وتألف، وإلا فلا يمين ولا شمال بل، ولا الجملة جميعها بالنسبة لأقل ما للمحبوب الحق تعالى اسمه وجلت عظمته.

(قوله: وقيل: الصبر على الطلب) أي على عدم سرعة إجابة المطلوب بداوم الإلحاح. **(قوله: عنوان الظفر)** أي إمارة على الوصول إلى المقصود، وقوله: والصبر في المحن الخ أي حبس النفس وقت الامتحان والاختبار على عدم القلق، والشكوى علامة على الفرج بزوال سبب الامتحان والابتلاء. **(قوله: على حاشية الحلقة الخ)** أقول: ذلك تقريب للعقول بالمحسوس على ما يعهد من عادة النفوس. **(قوله: فوق الصبر لكثرة الجزاء)** أي لأنّه وقوف مع حظ النفس من نيل ما وعد به الحق. **(قوله: وقيل حالك الخ)** حاصل الغرض منه الحث على الاستغراق والفناء، وجمع الهمة على ما وصفك به الحق من الأحوال، وأقامك فيه من منازل الكمال، فما دون الله أي كل شيء سواه تعالى أعداؤك لا يجوز لك الرجوع إليه، ولا التفات له لأنّه يشغل عن المقصود، ويبعد عن الرب المعبود. **(قوله: صابر الصبر الخ)** محصله المبالغة حيث جعل للصبر صبراً، وجعل له استغاثة بقوّة سلطانه عليه حتى صاح المحب بالصبر صبراً، وغاية المقصود أنّه صبر

جهده في الصبر، ثم يرى صبره قليلاً في جنب ما يليق بمولاه في مقام الصبر **(كما قيل: صابر)** الصابر **(الصبر فاستغاث به الصبر)** وطلب الخلاص منه لعجزه عن مقاومته **(فصاح المحب بالصبر صبراً)** أي صاح بصبره اصبر لمحبوبك على ما يريد، وذلك لاستحلائه مرارة الصبر لعلمه بما فيه من الخير، ولما كان الصبر مراً مكروهاً كان حبس النفس عليه صبراً على الصبر، وذلك يستلزم استمرار البلاء، ورُوي الشطر الثاني:

فنادى الصبور يا صبر صبراً

ورُوي قبل ذلك بيت آخر:

وهوان صوت المحب من ألم الشو ق، وخوف الفراق يورث ضرا

(وقيل: حبس الشبلي وقتاً في المارستان، فدخل عليه جماعة فقال) لهم **(من أنتم: فقالوا: أحباؤك زائرين فأخذ يرميهم بالحجر)** اختباراً لمحبتهم له **(وأخذوا يهربون)** منه **(فقال:)** لهم: **(يا كذابون لو كنتم أحبائي)** صادقين **(لصبرتم على بلائي)** اعتباراً بنفسه فيما هو فيه من بلاء السجن في المارستان، ونسبته إلى الجنون، وليس بمجنون، **(وفي بعض الأخبار)** قال الله: **(بعيني)** أرى **(ما يتحمل المتحملون من أجلي)** فأجازيهم عليه **(وقال الله تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾** [الطور: ٤٨]. **(وقال بعضهم: كنت بمكة حرسها الله تعالى فرأيت فقيراً طاف بالبيت، وأخرج من جيبه رقعة وانظر فيها، ومر فلما كان بالغد فعل مثل ذلك فترقبته أياماً، وهو يفعل مثل ذلك، فيوماً من الأيام طاف، ونظر في الرقعة، وتباعد قليلاً وسقط ميتاً)** لما غشيه من العظمة والهيبة بتأمله ما فيها **(فأخرجت الرقعة من جيبه فإذا فيها واصبر ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَا﴾** وقبل رؤي حدث) أي شاب **(يلطم وجه شيخ بنعله فقيل له**

على مرضاة الحق سبحانه وتعالى حتى فني صبره وفني هو عن شهوده كحسبانه قليلاً بل كالعدم في جنب ما صبر لأجله، والله أعلم بمراد أحبائه.

(قوله: ولما كان الصبر مرّاً مكروهاً) أي بشاهد حظ النفس كان حبس النفس الخ تسهيل للتجوّز في جعله للصبر صبراً آخر. **(قوله: وقيل: حبس الشبلي الخ)** فيه تنبيه على أنّ دعوى المحبة مع عدم تحمل أعبائها، والصبر على مشاقها دعوى زور وبهتان بشهادة العيان والله أعلم.

(قوله: بعيني الخ) أي بإحاطة علمي بذلك أجازيهم على ما يعالجون من أجلى من الصبر على تحمل المشاق. **(قوله: واصبر لحكم ربك)** بإهمالهم إلى اليوم الموعود، وإبقائك فيهم مع مقاساة الأحزان والهموم فإنك بأعيننا أي في حفظنا وجانبنا بحيث نراقبك ونكلؤك

ألا تستحي) كيف **(تضرب حر وجه شيخ بمثل هذا)** حر الوجه ما بدا من الوجنة **(فقال: جرمه)** أي ذنبه عظيم **(فقيل)** له: **(وما ذاك: فقال: هذا الشيخ يدعي أنه يهواني)** أي يحبني **(ومنذ ثلاث)** من الأيام **(ما رآني)** الغرض من ذلك أنَّ من يتحمل المحبة لا يليق به البعد عن محبوبه وإنْ كانت الحكاية من أقبح ما يمثل به. **(وقال بعضهم: دخلت بلاد الهند فرأيت رجلاً بفرد عين يسمى فلاناً الصبور فسأل عن حاله فقيل: هذا في عنفوان شبابه)** أي أوله **(سافر صديق له فخرج في وداعه فدمعت إحدى عينيه ولم تبكِ الأخرى فقال لعينه التي لم تدمع لم لم تدمعي على فراق صاحبي لأحرمنك النظر إلى الدنيا وغمض عينه فمنذ ستين سنة لم يفتح عينه)** فيه دلالة على أنَّ العبد إذا أحسن من نفسه الفتور عن الأسف، والندم على ما فاته من الخير أدبها بالآداب الجائزة فيمنعها بعض مشتهياتها الناجزة في ما لم يخل ذلك بشيء من أمر دينه، وغاية هذا الرجل أنَّه أغلق عينه ومنعها شهواتها الناجزة. **(وقيل في قوله تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا﴾** [المعارج: ٥] **الصبر الجميل أنْ يكون صاحب المصيبة في القوم لا يدري من هو** لكمال صبره وتحمله بحيث لم يظهر على ظاهره من ألمه شيء كما قال بعضهم: كنا إذا حضرنا الجنازة لا ندري من نعزي، **(وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لو كان الصبر والشكر بعيرين لم أبال أيهما ركبت)** لأنّ كل ما يرد عليَّ من الله أعده نعمة فإنْ كان فيه ألم حسن صبري فيه أو راحة حسن شكري فيه، فكلٌ منهما عليّ سهل، **(وكان ابن شبرمة رحمه الله إذا نزل به بلاء قال:)** هذه **(سحابة)** تمر **(ثم تنقشع)** أي تنكشف، فيه دلالة على كمال معرفته بقلة دوام البلاء والنعم، وإنّ كلاً منهما لا يدوم في الدنيا، فكل من تعود الصبر وعلم ثمرته سهل عليه تحمله عند أول صدمة، ثم لا يزال أمره يخف حتى ينقضي، **(وفي خبر أنَّ النبي ﷺ سئل عن الإيمان فقال:)** «وهو **(الصبر)** عن الشهوات المكروهة، **(والسماحة)**

وجمع العين للإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ. **(قوله: بتأمله ما فيها)** أي مما يدل على إحاطة علم الله به مع تقصير نفسه في عبادة ربه. **(قوله: وإنْ كانت الحكاية من أقبح ما يمثل به)** أي بالنسبة لما فعله الشاب بالشيخ وإلا فلا قبح في تحمل الشيخ إذا كانت محبته لله مع العفة والكتمان إذ تقريب الغائب بالشاهد واقع وكثير على لسان الشرع والعقل. **(قوله: أنْ يكون صاحب المصيبة الخ)** أقول: ومثل ذلك في غاية الندور، ومن أغرب ما يكون. **(قوله: لم أبال أيهما ركبت)** أي فحاله رضي الله عنه دائر مع الصبر عند الابتلاء والشكر عند العطاء، وهكذا تكون الكمل من عباد الله. **(قوله: قال: هذه سحابة الخ)** أي فكان يسلي نفسه، ويسهل لها سبيل الصبر لتدوم على إئتلافه. **(قوله: فقال: هو الصبر)** أقول: ذلك على حد

بالقربات» ولذلك قيل: الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر، فالصبر على البلايا والشكر على النعم، وفيه دليل على أنَّ الإيمان يطلق على أعمال الجوارح.

(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ رحمه الله قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن ظاهر الصوفي: قال: حدثنا محمد بن علي) التيجانيّ **(قال: حدثنا محمد بن إسماعيل البخاري قال: حدّثنا موسى بن إسماعيل قال: حدّثنا سويد بن حاتم قال: حدّثنا عبد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جدّه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الإيمان فقال:)** «هو (الصبر والسماحة)» كما تقدم، **(وسئل السريّ)** السقطي **(عن الصبر فجعل يتكلم فيه، فدبت على رجله عقرب وهي تضربه بإبرتها ضربات كثيرة وهو ساكن فقيل له: لِمَ لِمْ)** وفي نسخة لا **(تنحها فقال: استحييت من الله أنْ أتكلم في الصبر ولم أصبر)** فيه أن العبد لا يتكلم في شيء من علوم المقامات والأحوال الصالحات حتى يكون متخلقاً به ليسلم من الدخول في ذم الله لمن يقول ما لا يفعل فيسلم من مقته كما قال: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ [الصف: ٣] لكن هذا المقت إنما يكون للمرائي في كلامه الذي يوهم الناس أنّه متخلق بما يقول ليعظم قدره عندهم، وللكذاب المتشبع بما لم ينل وهو المدعي بمقام لم يبلغه.

(وفي بعض الأخبار الفقراء الصُبَّر) بفتح الباء مع تشديدها **(وهم جلساء الله تعالى يوم القيامة)** يقربه منهم بفضله ورحمته، وجزائه قال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الإنسان: ١٢] الآية، **(وأوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه «أنزلت بعبدي بلائي فدعاني فما طلته بالإجابة فشكاني فقلت: يا عبدي كيف أرحمك من شيء به**

قوله ﷺ «الحج عرفه»(١). **(قوله: وهو ساكن)** أقول: مثل ذلك من أخلاق الصوفية، وإلا فله الذب بشاهد علم الشرع بل عليه إنْ أضره. **(قوله: يقربه منهم)** أي قرب مكانة لا مكان، تعالى الله عن ذلك علوا كبيراً. **(قوله: فماطلته)** أي لم أجبه بعين مسألته، وإلا فالإجابة لا بد منها على حسب الوعد الحق، وإنما تكون الإجابة بمقتضى الحكمة العلية، والله أعلم.

---

(١) أخرجه أبو داود في (سننه المناسك ب ٦٩) والترمذي في (السنن ٨٨٩) والنسائي في (السنن ٥/ ٢٥٦، ٢٦٤) وابن ماجه في (السنن ٣٠١٥) والبيهقي في (السنن الكبرى ٥/ ١٥٢، ١٧٣) والحاكم في (المستدرك ١/ ٢٦٤، ٢/ ٢٧٨) وابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٩٤) والألباني في (إرواء الغليل ٤/ ٢٥٦) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ٢٨٩) والزيلعي في (نصب الراية ٣/ ٩٢، ٩٣) وابن حجر في (تلخيص الحبير ٢/ ٢٥٥) وابن الجوزي في (زاد المسير ١/ ٢١٠) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٢٠٦١، ١٢٠٦٥) والبخاري في (التاريخ الكبير ٢/ ١١١، ٥/ ٢٤٢) وابن خزيمة في (الصحيح ٢٨٢٢) والعقيلي في (الضعفاء ٢/ ٣٢) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٤٠) والدارقطني في (السنن ٢/ ٢٤١) والحاكم في (المستدرك ١/ ٤٦٤، ٢/ ٢٧٨).

أرحمك» في ذلك دلالة على أنه سبق في علمه تعالى أنَّ رحمته لعبده تكون على هذا البلاء الذي هو شرط للصبر، فكيف يسأل رفعه؟ فالعبد إنما ترتفع درجته بحسن صبره على ما ابتلاه به، فالبلاء شرط للصبر المرتب عليه الجزاء العظيم، فإذا ابتلاه ربه ببلاء فدعاه أنْ يعافيه منه، فكأنَّه يقول: يا رب أزل عني ما به ترحمني، (وقال ابن عيينة في معنى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا﴾ [السجدة: ٢٤] قال) زايد: (لما أخذوا برأس الأمر) وهو الصبر لما مرّ أنَّه من الدين بمنزلة الرأس من الجسد (جعلناهم رؤساء) أي أئمة يقتدى بهم. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: إنَّ الصبر حده أنْ لا تعترض) أنت (على التقدير) عليك بما حل بك (فإما إظهار البلاء على غير وجه الشكوى) كانْ يخبر به صاحبه ممن سأله عن حاله من قريب، أو طبيب أو نحوه (فلا ينافي الصبر قال الله تعالى: في قصة أيوب ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤] مع ما أخبر عنه تعالى أَنَّه قال: ﴿مَسَّنِيَ الضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وسمعته أيضاً (يقول: استخرج) الله (منه) أي من أيوب مع كماله صبره (هذه المقالة يعني قوله: مسني الضر لتكون) المقالة (متنفساً) بفتح الفاء (لضعفاء هذه الأمة) ممن مسه الضر حيث يدعونه بها إقتداء، فينفس كربهم ويرحمون، (وقال بعضهم) قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا﴾ ولم يقل صبوراً أو صباراً (لأنَّه لم تكن جميع أحواله الصبر) حتى يتوالى عليه فيها (بل كان في بعض أحواله يستلذ البلاء، ويستعذبه، فلم يكن في حال الاستلذاذ صابراً) لكونه يعده نعمة، ومن يعده نعمة، فأدبه الشكر (فلذلك لم يقل: صبوراً) أو صابراً، وهذا ثناء من الله تعالى على أيوب عليه السلام لكونه لم يكن في بعض أحوال بلائه صابراً بل كان متنعماً شاكراً، وحال الشكر أتم من حال الصبر. (سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول: حقيقة الصبر) أي غلبة حاله على القلب (الخروج من البلاء على حسب الدخول فيه) أي بقدره لأنَّ غالب جزع الناس منه إنما هو عند أول صدمته، ولذلك كان الصبر

(قوله: فكأن يقول: الخ) الغرض الحث على الرضا، والصبر، وإلا فالدعاء مندوب إليه ولا سيما في وقت الشدائد. (قوله: لما مر) أي عن عليّ كرم الله وجهه. (قوله: حده) أي غايته وثمرته عدم الاعتراض والشكوى بل الرضا بالبلوى. (قوله: استخرج الله منه الخ) أي قدر وقوع هذه المقالة منه لحكمة التنفيس على الضعفاء كما يرشد إليه قوله جل شأنه: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٨]. (قوله: بل كان في بعض أحواله يستلذ البلاء) أي بواسطة شهوده المبلي فيه، ولذا قال قائلهم شعراً:

ألفت الضنى حتى تطاول مكثه ... فلو زال عن جسمي بكته الجوارح

عند الصدمة الأولى أعظم، فإذا كان العبد ناظراً إلى الحق المبليّ كان حاله في أول دخوله كحاله في آخره (**مثل أيوب عليه السلام فإنّه قال في آخر بلائه**: ﴿مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] **فحفظ**) لما اشتد عليه البلاء (**أدب الخطاب حيث عرض**) بعد قوله: مسني الضر (**بقوله: وأنت أرحم الراحمين**) أي فصبرني لأنّك أرحم الراحمين، ورحمتك للناس عامة وأنا منهم (**ولم يصرح بقوله: ارحمني**) فلم يذكر مسني الضر شكوى عن البلوى بل ذكره توطئة لطلب الصبر، ولم يقل: وأنت أرحم الراحمين طلباً لزوال البلاء بل للصبر عليه. (**واعلم أنّ الصبر**) بالنسبة للصابرين (**على ضربين: صبر العابدين وصبر المحبين فصبر: صبر العابدين أحسنه أنْ يكون محفوظاً**) لشدة احتياجهم إليه في الأعمال (**وصبر المحبين أحسنه أنْ يكون مرفوضاً**) أي متروكاً ليشتد قلقهم في الوصول إلى مطلوبهم، ويزول عنهم صبرهم لسرعة وصولهم إلى محبوبهم. (**وفي معناه**) مما يدل على نفي صبرهم (**أنشدوا: تبين يوم البين**) أي الفراق والبعد (**إنْ اعتزامه**) أي عزمه (**على الصبر من إحدى الظنون الكواذب**) المعنى أنه في حال قربه من محبوبه، وتنعمه بأنسه به إذا عزم على أنّه إنْ أبعده صبر، فلما ورد وقت الامتحان والابتلاء تبين أنَّ عزمه كان ظناً كاذباً، (**وفي هذا المعنى**) أيضاً (**سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول: أصبح يعقوب عليه السلام وقد وعد الصبر من نفسه**) أول النهار (**فقال**) لبنيه: (﴿فَصَبۡرٞ جَمِيلٌۖ﴾ [يوسف: ٨٣] أي فشأني صبر جميل، ثم لم يمس حتى قال: ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾) [يوسف: ٨٤] لما امتلأ قلبه من حبه.

(**قوله: كان حاله في أوّل دخوله كحاله في آخره**) أقولّ بل قد يكون حاله التلذذ في أوله والتضرر بزواله في آخره خوف الامتحان بالعافية. (**قوله: أنْ يكون محفوظاً**) أي دائماً لا ينفك عن ذلك. (**قوله: تبين يوم البين الخ**) حاصل معناه كما أشار إليه الشارح مع بعض إيضاح أنَّ المحب قد يخيل إليه في حالة قربه من محبوبه أنّه يمكنه الصبر على فراقه لو اتفق وهذا التخيل من الظنون الكاذبة بل من الأوهام الفاسدة إذ كيف يكون بقاء الجسم بدون روح. (**قوله: أصبح يعقوب عليه السلام الخ**) أقول: صبره وعدمه بالله، وفي الله، ولله راجع الفصل اليعقوبي تفهم والله أعلم.

باب المراقبة

هي لغة دوام ملاحظة المقصود، واصطلاحاً دوام النظر بالقلب إلى الله تعالى،

باب المراقبة

المراقبة هي لغة: الخوف منه تعالى بالنظر إلى إشراف العبد على إحاطة العلم القديم به، وهي تنقسم إلى مراقبة العلم، وإلى مراقبة الحال، وهي المقصودة هنا، أما مراقبة العلم فهي الإشراف على أنّه تعالى المنفرد بالأحكام، فيراقبه فيما أوقعه به أو زواه عنه، وذلك يكون عند خواطر القلوب، وأوّل دعائها، وعند عزوبها وعقودها، وعند ابتداء الأفعال بالجوارح وفي أثنائها، وقبل التمام وبعد الختام، وذلك يختلف باختلاف كمال العلم والجهل بالأحكام، وأما مراقبة الحال فهي أنْ يغلب على قلب العبد انفراد الحق بالأفعال، ورؤية من سواه تعين الافتقار إلى النوال من غير تخلل غفلة إلا اليسير الجاري مثله على الصديقين والمقربين، وقال بعضهم: المراقبة على ثلاث درجات مراقبة الحق في السير إليه، ومراقبة نظر الحق إلى العبد، ومطالعة الأزل بمراقبة السبق، فالأولى مراقبة الأحكام، والثانية مراقبة الاطلاع، والثالثة مراقبة الانخلاع أي التبري من الأفعال، وقال بعضهم: المراقبة على درجات ومقامات على حسب هم العبيد المقربين، فقد يراقب العبد قلبه ويقتدي به في حكمه، وذلك إذا أشرقت الأنوار الأقدسية على القلب، والنفس والسر، فصاروا أئمة يهتدى بهديهم، ويستضاء بأنوارهم بالنسبة لما تحتهم من عالم هيكلهم، ومملكة جسدهم، وله الإشارة بقول قدوة العارفين وإمام الكاملين، صلى الله عليه وعلى إخوانه النبيين والمرسلين وسلم: «استفتِ قلبك وإنْ أفتاك المفتون»[1] وسبب المراقبة معرفة العبد صفات الحق وكمالاته ويقينه بوعده ووعيده، وجزمه بأحكامه وأنّه لا مردَّ لها، والدليل على مراقبة كل آية وخبر دل على وجوب النية، والتثبت قبل الفعل قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠] الآية وهذه الآية تقريب للأذهان وجري على المعتاد، وإلا فهو تعالى منزه عن الجهات بل وجميع الآيات الدالة على الأسماء والصفات دليل على المراقبة، واعلم أنّ المراقبة من أعظم أسباب الاستقامة وأداء

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١/ ١٣١، ١٦٠، ٧/ ٤٢، ٦٠، ٢٩٨) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٠).

وترقب ما يبدو من أفعاله وأحكامه، ويعبر عنه باستشعارك نظر الله إليك في حركاتك وسكناتك، وسببها معرفة الله بصفاته ومعرفة وعده، ووعيده، وأحكامه، وثمرتها حسن الأدب والسلامة من شدائد الحساب والتحلي بحلية الأولياء ذوي الألباب، وهي ممدوحة ومطلوبة (قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] أي فراقبوه أنتم أيضاً.

(وأخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن بن محمد بن إسحاق قال: حدثنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق قال: حدثنا يوسف بن سعيد بن مسلم قال: حدثنا خالد بن يزيد قال: حدثنا إسماعيل ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه قال: جاء جبريل عليه السلام إلى النبي ﷺ

العبادة على أكمل وجوه الطلب، وغاية البعد عما به يكون العطب، واعلم أنّه من مراقبة الحال أنْ يراقب العبد حاله أنْ يشوبه حظ نفس كما يراقب عمله أنْ يقع على غير وجهه، فيقع في الخسران، فتكون أحواله مبرأة من حظوظها منعكفة على موافقة مجريها، فإنْ خطرت خطرة عجب، واعتماد على عمل، أو سكون إلى حال كان متيقظاً لها مبادراً بالإصلاح لما يكون فيها، ومن المراقبة أيضاً مراقبة حفظ الأدب مع الله تعالى بعد حصول المقامات، وبلوغ أعلى الدرجات مراقبة محفوفة بالحياة معضودة بالحمد على جزيل العطاء، قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وحكم المراقبة الوجوب في مراقبة القيام بالواجبات، والتحفظ عن ارتكاب المحرمات، والندب في مراقبة حب الراحات وتضييع الأوقات، وتأخير المندوبات والوقوع في المكروهات وتضييع الأوقات في المباحات. **(قوله: دوام ملاحظة المقصود)** أي سواء كان دينياً أو دنيوياً فهو أعم من المعنى الاصطلاحي. **(قوله: دوام النظر بالقلب الخ)** يحتمل أنّ معناه دوام استحضار القلب إحاطة علم الله تعالى بحركاته وسكناته، وترقب ما يبدو من أحكامه تعالى، ويحتمل أنّه النظر بعين البصيرة إلى كمالاته تعالى، ويرجح الأوّل قول الشارح ويعبر عنه الخ. **(قوله: وسببها معرفة الله الخ)** هو من إضافة المصدر للمفعول أي معرفة العبد ذات الحق، وصفاته، ويقينه بوعده ووعيده، وجزمه بأحكامه وأنّه لا مرد لها. **(قوله: وثمرتها)** أي فائدتها ونتيجتها حسن الأدب، أي بإيقاع جميع الطاعات على أحسن وجوه طلبها حتى يسلم من العطب، ويفوز بالأرب. **(قوله: والتحلي بحلية الأولياء)** أي الاتصاف بصفاتهم، والولي فعول بمعنى مفعول أي من تولي الحق أمره أو بمعنى فاعل أي قام بعبادة ربه. **(قوله: وكان الله على كل شيء رقيباً)** أي مراقباً وعالماً ومطلعاً لا يعزب عن علمه شيء. **(قوله: وقال: إنّ الله كان عليكم رقيباً)** فائدتها بعد الآية التي قبلها التأكيد والتنصيص على خصوص المقام. **(قوله: جاء جبريل الخ)** الغرض من سياقه ما

في صورة رجل فقال: «يا محمد ما الإيمان؟ فقال: أنْ تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله والقدر خيره وشره»[١] قال: صدقت قال: فيعجبنا من تصديقه النبي ﷺ وهو يسأله ويصدقه، قال: «فأخبرني ما الأسلام؟ قال: «الإسلام أنْ تقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت»[٢] قال: صدقت» قال: فأخبرني ما الإحسان؟ فقال: (**الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»[٣] قال: **صدقت الحديث**) أي قال: «فأخبرني عن الساعة قال: «ليس المسؤول عنها بأعلم من السائل» قال: فأخبرني عن إمارتها قال: «أن تلد الأمة ربتها وأنْ ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان»[٤] ثم ذهب (**هذا الذي قاله ﷺ**) من قوله:

اشتمل عليه في بيان الإحسان من قوله: أنْ تعبد الله الخ فهو محل شاهد الباب، ودليل طلب المراقبة من العبد، وأنَّ هذا مقام العارفين المحققين إذ الحق سبحانه وتعالى لا يعامل إلا بمثل هذا لأنه لا يليق بكمالاته تعالى إلا مثل هذا الطريق لأنَّ غيره لا يخلو عن تقصير بواجب الحق على العبد، والله تعالى الموفق، هذا، وفي الخبر إشارة إلى رؤية الأولياء كالأنبياء للملائكة، فإنَّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم رأوا جبريل وأخبرهم النبي ﷺ أنه جبريل. (**قوله: فقال: «أنْ تؤمن بالله الخ»**) يؤخذ من الحديث مغايرة الإيمان والإسلام، وهو كذلك على ما عليه جمهور المتكلمين. (**قوله: الإحسان الخ**) أي فدل الخبر على تقسيم الإحسان إلى مرتبتين الأولى عبادة العبد ربه كأنَّه يراه وهي أتم وأعلى، والثانية أن يعبده مستشعراً أن الله تعالى يراه ولا خفاء في تفاوت الحال بيننا فمن تصرف لشخص بحضوره ورؤيته كان تصرفه أتم وأبلغ من تصرفه لمن يعتقد أنَّه يراه، وهذه قاعدة المراقبة في كلامهم ومقتضى الأدلة المثبتة لها، وهي مقام الإحسان، والله يحب المحسنين. (**قوله: كأنك تراه**) أي بقوة استحضارك لكمالاته تكون كأنك مشاهد له، فحينئذ تؤدي ما له من العبادة على أحسن حال، وقوله: فإن لم تكن تراه الخ معناه أنَّك بسبب كثرة غفلاتك لو انتفت رؤيتك إياه فكن على علم أنه يراك ويجازيك، فقم بما له من الحق عليك. (**قوله: أنْ تلد الأمة ربتها**) أي سيدتها على معنى أنَّه يكثر التسريّ بالإماء

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٩٤).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٥٢، ٣/ ٤٧٣) وعبد الرزاق في (المصنف ٩٨٢٤، ٢٠٣٣٦) وابن أبي شيبة في (المصنف ١١/ ٤٥).

(٣) أخرجه ابن ماجه في (السنن ٦٣).

(٤) أخرجه مسلم في (صحيحه الإيمان ١) والنسائي في (سننه الإيمان ب ٥) وأبو داود في (سننه السنة ب ١٦) والبيهقي في (السنن الكبرى ٦٣) وأحمد بن حنبل في (المسند ١/ ٥٢، ٢/ ٣٩٥) والبيهقي في (السنن الكبرى ١٠/ ٢٠٣) والألباني في (إرواء الغليل ١/ ٣٣) (وبغوي ١/ ٢٨) والبغوي في (شرح السنة ١/ ٩) وابن حجر في (فتح الباري ٥/ ١٧٩).

(فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك إشارة إلى حال المراقبة) من العبد (لأنّ المراقبة) أي ابتداءها (علم العبد باطلاع الرب سبحانه عليه فاستدامته لهذا العلم مراقبة لربه) وبعضهم جعل الإشارة إلى ذلك بقوله: «أنْ تعبد الله كأنك تراه» بقوله: «فإنْ لم تكن تراه فإنّه يراك»، وإنّ في الحديث مراقبتين مراقبة العبد للحق في القول الأول، وعكسه في القول الثاني (وهذا) أي ما ذكر من مراقبة العبد للحق (أصل كل خير له ولا يكاد يصل إلى هذه المرتبة) وهي المراقبة (إلا بعد فراغه من المحاسبة) لنفسه، وهي التثبت قبل الفعل ليزنه بميزان الشرع (فإذا حاسب نفسه على ما سلف له وأصلح حاله في الوقت ولازم طريق الحق، وأحسن بينه وبين الله تعالى مراعاة القلب، وحفظ مع الله تعالى الأنفاس راقب الله سبحانه في عموم أحواله، فيعلم أنّه سبحانه عليه رقيب، ومن قلبه قريب يعلم أحواله، ويرى أفعاله، ويسمع أقواله: ومن تغافل عن هذه الجملة فهو بمعزل عن بداية الوصلة) به تعالى، (فكيف) لا يكون بمعزل (عن حقائق القربة)؟ منه أي المراقبة له. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجزيري يقول: من لم يحكم) أي يتقن (بينه وبين الله التقوى والمراقبة) في أفعاله (لم يصل إلى الكشف والمشاهدة) فمن أحكم ذلك فيما ذكر وتكرر عليه قلت غفلاته وارتفعت حالاته، وهو المراد بالكشف

فيصرن مستولدات، فذلك من إمارات قرب الساعة. (قوله: وبعضهم جعل الإشارة الخ) أقول: ووجه كل ظاهر. (قوله: وهذا أي ما ذكر الخ) مراده رضي الله عنه أنّ درجة المراقبة شريفة، ورأس كل شرف، فلا تجامع بقاء الحظوظ إذ هي ظلمات، والمراقبة أنوار، فعلى العاقل التخلي من رجس ميل النفس، والتحلي بجمال جميل الأنس. (قوله: إلا بعد فراغه من المحاسبة الخ) أي لأجل أنْ يقوم بما عليه للحق تعالى وللخلق في الماضي والحال، والتحفظ في الاستقبال عسى بذلك يصل إلى مقام الإفضال. (قوله: وحفظ مع الله تعالى الأنفاس) أي بأنْ لا يكون منه نفس إلا فيما يرضاه الحق تعالى. (قوله: ومن قلبه قريب) أي بإحاطة علمه تعالى به. (قوله: فهو بمعزل الخ) أي لأنّ التحلي لا يكون إلا بعد التخلي. (قوله: من لم يحكم الخ) أي ولذا قيل: نظرت عين بصيرة المراقبة لمحة من جمال الحضرة فأشغلتها عن كل ما ينظر بنظره، وقيل: قعد قلب بمرصاد المراقبة لحضرة الأحباب، فسمع عجة لذيذ الخطاب، فأمن خوف المهالك حين سمعه هنالك، وقيل: زار الخيال في مرآة الأوهام، فأوجب الهيام فكيف لو تحقق بالوصال في حضرات الشهود والجمال؟ وقيل: جرى بريد الفكر في ميادين الأنظار وأطلق بازي الصيد ليحصل بعض الأطيار فإذا به آثار غزالة الحي، فآثرها على كل حي حتى على سلمى وليلى ومي فافهم والله أعلم.

(قوله: وارتفعت حالاته) أي فيترقى للعلوم الغيبية والفيوضات الرحمانية وذلك

والمشاهدة. (سمعت الأُستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: كان لبعض الأمراء

بالكشف أو المشاهدة أو المعاينة أو المكافحة على حسب استعداد العبد المقرب. اهـ.

تنبيه وإيقاظ:

قيل: من المراقبة ما رُوي أنَّ علي بن بكار قال: كنا جلوساً مع إبراهيم بن أدهم رضي الله عنه في المصيصة عند الجامع فقدم رجل من خراسان فقال: أيكم إبراهيم بن أدهم فقال له القوم: هذا فقال له إني جئتك من جهة إخوتك بعثوني إليك، فلما سمع ذكر إخوته قال فأخذه بيده ونحاه. وقال له: ما حاجتك؟ فقال: أنا مملوك ومعي فرس وعشرة آلاف درهم، وقيل: دينار بعث بها إخوتك إليك فقال له: إنْ كنت صادقاً فأنت حر، وما معك فهو لك إذهب ولا تخبر أحداً قلت: وهذا منه غاية في مراقبة حاله، وأحكام ربه، وحفظ وقته، واعلم أنَّ غرضي بذكر هذه الحكاية تقريب حكم الغائب بحال الشاهد ليتنبه من هو في الغفلات راقد لأنّه إذا ثبت هذا من مثل هذا الصعلوك، فكيف يكون الحال مع ملك الملوك؟ فافهم.

فائدة:

قيل: إنّه جاء رجل إلى ذي النون المصريّ وقال له: والله إني أحبك فقال له ذو النون: إنْ كنت عرفت الله فحسبك الله وإنْ كنت لم تعرفه فاطلب من يعرفه حتى يدلك عليه، قلت: وذلك من ذي النون غاية في المراقبة حيث كان مراده نقله إلى محبة من محبته لأجله مكافأة له إنْ كان قد عرف الله أو دلالته على من يعرفه الله إنْ لم يكن هو قد عرفه، وعلى كل حال فقد راقب الله كل المراقبة نفعنا الله تعالى ببركة أسراره، ثم أقول ومما يدل على كمال مراقبة ذي النون قوله فيما نقل عنه أنّه قال: نظرت في الأمر فوجدت رأس الدين أنْ يعرف الإنسان نفسه، ونظرت فإذا معرفة الله تعالى أن يعرف المرء قدره، ونظرت فإذا لا يصل العبد إلى الله تعالى وعليه لغيره بقية، قلت: وذلك بالغ في المراقبة لأنَّ قوله: أنْ يعرف الإنسان نفسه صحيح، فإنَّ من عرف نفسه عرف ربه أي من عرفها بعجزها وضعفها وأنها متعبدة مأمورة منهية موعودة متوعدة كان ذلك أصلاً في قيامها بحق ربها، وهو رأس الدين، وسبب يوصل إلى معرفة الرب جل جلاله، وقوله: ونظرت فإذا معرفة الله أنْ يعرف المرء قدره يعني بالذل، والمسكنة، والفقر الذاتي والنقص الطبيعي وعرف ربه بجلاله وعظمته، وعزته وغناه الذاتي وكماله الحقيقي، فإذا استقر هذا كله في نفسه كان عارفاً بربه وخالصاً ممن ذمهم الحق تعالى بقوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، ونظرت فإذا لا يصل أحد وعليه بقية لغيره يعني لا يتصرف أحد على حسب الأمر والنهي في سائر حركاته وسكناته، وفي قلبه تعلق بالحظوظ العاجلة، فإنها حجاب تمنعه من الوصول إلى ربه، فتأمل والله الموفق.

وزير فكان بين يديه يوماً فالتفت) الوزير (إلى بعض الغلمان الذين كانوا وقوفاً لا لريبة، ولكن لحركة أو صوت أحس به منهم، فاتفق أنَّ ذلك الأمير نظر إلى هذا الوزير في تلك الحالة فخاف الوزير أنْ يتوهم) منه (الأمير أنه نظر إليهم لريبة فجعل ينظر إليه) أي إلى الأمير (كذلك) أي ملتفتا إلى جهة أخرى كنظره الأول (فبعد ذلك اليوم كان هذا الوزير يدخل على هذا الأمير أبداً، وهو ينظر إلى جانب حتى توهم) ذلك (الأمير أن ذلك خلقة وحول فيه) وزال من قلب الوزير ما توهمه من الأمير، (فهذه مراقبة مخلوق لمخلوق فكيف مراقبة العبد لسيده) مقصود ذلك أن من علت رتبته مع مولاه ينبغي أنْ يكون أدبه أشرف أدب، فيراعي فيها حرمة الملك، ولو في أدنى سبب خوفاً من البعد والعطب. (سمعت بعض الفقراء يقول: كان أمير له غلام يقبل عليه أكثر من إقباله على غيره من غلمانه، ولم يكن أكثرهم قيمة، ولا أحسنهم صورة فقالوا له في ذلك:) أي ما السبب فيه؟ (فأراد الأمير أن يبين لهم فضل الغلام في الخدمة على غيره فيوماً من الأيام كان راكباً ومعه الحشم) أي الخدم (وبالبعد منهم جبل عليه ثلج، فنظر الأمير إلى ذلك الثلج وأطرق فركض الغلام فرسه ولم يعلم القوم لماذا ركض، فلم يلبث إلا يسيراً حتى جاء، ومعه شيء من الثلج فقال له الأمير: ما أدراك أني أردت الثلج فقال الغلام: لأنك نظرت إليه ونظر السلطان إلى

(قوله: وسمعت بعض الفقراء يقول: الخ) أقول هي مثل ما قبلها في الغرض، والمراد التأكيد والتقريب ليتشوق من رام وصوله إلى الحبيب اهـ.

لطيفة

من باب شهود أنْ لا فاعل غيره تعالى، وعدم الإلتفات إلى غيره، ما رُوي عن أحمد بن خضرويه البلخيّ أنه اقترض من رجل مائة ألف درهم لأمر عرض له فقال له الرجل: ألستم الزهاد في الدنيا ما تصنع بهذه الدراهم فقال له: أشتري بها لقمة وأضعها في فم مؤمن ولا أجترىء على الله أنْ اسأله ثوابها قال له الرجل: ولـمَ؟ قال: «لأنَّ الدنيا كلها تزن عند الله جناح بعوضة»[1] فما مائة ألف درهم من الدنيا في جناح بعوضة، وما قدرها قلت: وذلك بالغ في المعرفة لأنَّه وقع من متثبت مراقبة لمولاه لا يحمله ما سمعه من التوبيخ بالزهد والاعتراض على كثرة الإقتراض على النفور والخروج عن حد الاعتدال في الجواب إذ قوله: أشتري بها لقمة الخ تقليل للدنيا، وتحقير لها، وتنبيه على أنَّ كل ما يعامل به الله تعالى ليس بعظيم إذا صحت فيه النية، وزاد قوله: ولا أجترىء الخ لأجل زيادة التحقير للدنيا حيث علله بأنَّه جزء يسير من جناح بعوضة فافهم.

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير سورة ١٨، ٦) ومسلم (منافقين ١٨) وابن ماجه (زهد ٣).

شيء لا يكون عن غير قصد صحيح فقال) لهم (الأمير: إنما أخصه بإكرامي) له (وإقبالي) عليه (لأنّ لكل أحد شغلاً وشغله) أي الغلام (مراعاة لحظاتي، ومراقبة أحوالي) المقصود أن المراقبة أصل كل خير، وهي تنقسم إلى مراقبة الأفعال، ومراقبة النوازل ومراقبة الله تعالى، وإنَّ المراقب هو المبادر لرضا مولاه، وإنَّ من دامت مراقبته لمولاه قربه واصطفاه وميزه على غيره، ووالاه (وقال بعضهم: من راقب الله) تعالى (في خواطره) الواردة على قلبه (عصمه الله في جوارحه) لأنَّ أول عامل من الإنسان قلبه والخواطر تدعو إلى أعمال القلوب والجوارح فتارة تكون من الشيطان، وتارة تكون من النفس، وتارة بواسطة الملك، وتارة من الله بلا واسطة بأن يخلقها في قلب العبد، فمن تثبت عند خواطره وعلم حكم ما دعت إليه ووزنه بالشرع، وقبل ما ينبغي قبوله ونفى عن قلبه ما ينبغي نفيه سلم في عقود قلبه، وفي أفعال جوارحه.

(وسئل أبو الحسين بن هند: متى يهش) أي يخبط ويسوق (الراعي غنمه بعصا الرعاية عن مراتع الهلكة) إلى مراتع السلامة بأن ينقلها من الحشيش المضر لها إلى النافع لها؟ (فقال: إذا علم أنّ عليه رقيباً) قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[1] فالعبد مأمور بأنْ يراعي جميع أفعاله، فلا يفعل شيئاً منها إلا إذا كان مأموراً

(قوله: وهي تنقسم إلى مراقبة الأفعال) أي لأجل أنْ يوقعها على أحسن حالاتها، وقوله: ومراقبة النوازل أي ما ينزل ويجري من أحكام الرب جل جلاله، فإنْ كان ملائماً شكراً وغيره صبر ورجع في شأنه إليه، وقوله: ومراقبة الله تعالى أي لأجل أن يدوم على استحضار إحاطة العلم القديم بسائر الكائنات، وهذه المراقبة تعم ما قبلها من المراقبات والله أعلم.

(قوله: من راقب الله تعالى في خواطره الخ) إعلم أنَّ الخواطر هي ما يرد على قلب العبد من الواردات التي تصدر تارةً من ظلمة الشيطان والنفس، وأخرى من نور الملك وفيوضات القدر، وإنَّ الكامل من ثبت قلبه حالة ورودها حتى علم الحق من الباطل بمراعاة ميزان السيد الكامل، فنفى الخبيث وأقبل على الطيب، فسلم بذلك من خطأ العزم، وزلة الفعل كما وضحه الشارح.

(قوله: سلم في عقود قلبه) أي في عزماته وتصميماته التي تكون بشاهد العلم الشرعي. (قوله: متى يهش الخ) المراد تشبيه حال العبد مع نفسه بحال الراعي مع غنمه، فكما أنَّ الراعي لولا مراقبة مالك الغنم ما هشها عن مراتع الهلكة، فكذلك الإنسان لولا

---

(١) أخرجه الخطيب البغدادي في (الفقيه والمتفقه ١/ ٤٧).

به ومأذوناً له فيه، ولا تتم له هذه الرعاية إلا باستشعاره نظر الحق إليه.

(**وقيل: كان ابن عمر رضي الله عنه في سفر فرأى غلاماً يرعى غنماً**) فأعجبه حسن رعايته لها في الظاهر، فأراد أن يختبر باطنه هل ذلك عن دين أو عادة (**فقال له: تبيع من هذه الغنم واحدة فقال**) له: (**إنها ليست لي فقال: قل لصاحبها أنّ الذئب أخذ منها واحدة فقال**) له (**العبد: فأين الله**) فإنّه يعلم ذلك ويؤاخذني به؟ (**فكان ابن عمر يقول بعد ذلك إلى مدة: قال ذلك العبد فأين الله**) لأنّه لما علم بذلك دينه ومراقبته لله أعجبه حاله، وصار عبرة له يتذكر به زماناً، ورُوي أنّه سأل عن رب الغنم فاشتراه والغنم وأعتقه ووهبها له (**وقال الجنيد: من تحقق**) أي ثبت (**في المراقبة خاف على فوت حظه من ربه لا غير**) لأنّ المراقبة على درجات، فقد يراقب العبد أَحكام ربه ليسلم من العقاب وقد يراقبها لزيادة الثواب، وقد يراقبها ليرتفع الحجاب، وقد يراقبها ليكون من الأحباب، فإذا وصل إلى هذا الحال الشريف راقب ربه وأدام نظره لما يتفضل به عليه ليسلم من الغفلات التي يفوت بسببها حظه من مولاه، فمراقبته له بهذا التقدير خوفاً من فوات حظه منه أفضل المراقبات. (**وكان بعض المشايخ له تلامذة فكان يخص واحداً منهم بإقباله له عليه أكثر مما يقبل على غيره فقالوا له في ذلك:**) أي ما السبب فيه؟ (**فقال: أبين لكم ذلك فدفع إلى كل واحد من تلامذته طائراً**) الأولى طيراً (**وقال له: اذبحه بحيث لا يراه أحد ودفع إلى هذا**) الواحد طيراً وقال له: مثل ذلك (**أيضاً فمضوا ورجع كل واحد منهم وقد ذبح طائره**) لكونه لم ير بمكان الذبح أحداً من بني آدم (**وجاء هذا**) الواحد (**بالطائر**) معه (**حياً فقال له: (هلا ذبحته فقال: أمرتني أنْ أذبحه بحيث لا يراه أحد، ولم أجد موضعاً لا يراه فيه أحد**) إذ لم أجد موضعاً إلا والله يراه فيه (**فقال: لهذا أخصه بإقبالي عليه**)، فيه دلالة على أنّ مقام المراقبة لله تعالى أفضل المقامات وإنْ ارتفعت مقامات العابدين،

مراقبة الحق تعالى في جميع أفعاله وما يجري من أحكامه لما سلم من القواطع عن الوصول، ولما بلغ غاية المأمول. (**قوله: فقال له قل لصاحبك الخ**) فيه أنّ ذلك حمل على الكذب، وهو لا يجوز قلت: لعله رضي الله عنه رأى لذلك مسوغاً بالتعريض أو غيره. (**قوله: فكان ابن عمر يقول: الخ**) أي لأنّ الحكمة ضالة المؤمن يأخذها من حيث وجدها. (**قوله: فاشتراه الخ**) أنظر ثمرة الصدق والمراقبة العاجلة كي تعلم كيف يكون الحال في الآجلة. (**قوله: ليكون من الأحباب**) أي ذلك أعلى مقامات المراقبة. (**قوله: التي يفوت بسببها حظه من مولاه**) أي والحظ لمثل هذا هو القرب والفناء في مرادات الرب. (**قوله: وكان بعض المشايخ الخ**) قد تقدم ذكر هذه القصة وإنما أعادها لرعاية المقام. (**قوله: الأولى طيراً**) أي لأنّ الطائر حقيقة المتلبس بالطيران بالفعل وليس مراداً.

وقوي اجتهادهم فإنهم مشغولون بصلاح قلوبهم وأحوالهم، والمراقب لله قد غلب على قلبه نظره إليه في سائر تصرفاته، وكان الشيخ يعرف فضيلة هذا التلميذ، ورفعة مقامه عن بقية تلامذته، فكان يقربه لذلك، ويخصه بأسراره دونهم، فلما بلغه تغيرهم لذلك عرّفهم بما ذكر رفعة مقامه عليهم، ثم علمه بعدم إمكان ما أمره به شيخه يحتمل أنْ يكون خطر له وقت الأمر به لكنه اتبع أمر شيخه لإقامة الحجة على بقية التلامذة، وأنْ يكون خطر له ذلك بعد مضيه وتفتيشه، **(وقال ذو النون المصري رحمه الله: علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى، وتعظيم ما عظم الله تعالى، وتصغير ما صغر الله تعالى)** ولا يتم للعبد ذلك إلا باستشعاره نظر الله إليه في حركاته وسكناته، وإليه أشار خبر «أنْ تعبد الله كأنك تراه» العبادة في حالة كأنك تراه أتم منها في حالة فإنّه يراك، **(وقال النصر أباذي: الرجاء يحركك إلى الطاعات)** أي يحمل عليها لأنْ العبد إذا رجا شيئاً ينفعه تحركت نفسه إلى تحصيله **(والخوف)** من الله **(يبعدك عن المعاصي)** لأن من خاف شيئاً هرب منه، فمن خاف المعاصي التي هي أسباب استحقاق العقاب هرب منها **(والمراقبة)** لله تعالى في حركاتك وسكناتك **(تؤدّيك)** أي توصلك **(إلى طرق)** أي درجات **(الحقائق)** التي هي عندهم غلبة ما أنت فيه على قلبك حتى لا تشتغل بغير ربك، وربما شغلك ذلك عن نفسك. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سألت جعفر بن نصير عن المراقبة فقال:)** هي **(مراعاة السر)** وهو ما يقع في قلب العبد من الأوامر والنواهي **(لملاحظة**

(قوله: علامة المراقبة إيثار ما آثر الله تعالى) أي ولذا قيل: سوق الشوق به تطيب المحبة والذوق، ولهذا ترى الأشباح تابعة للأرواح شعر:

وما زال لي شوق إليك يقودني | يذلل مني كل ممتنع
إذا كان قلبي سائراً بزمامه | فكيف لجسمي بالمقام بلا قلب

وقيل: روح المحب المشوق كالغصن الممشوق كلما مرت به نسمة لطيفة أوجبت له حركة ظريفة شعر:

أهتز عند تمني وصلها طرباً | ورب أمنية أحلى من الظفر

وقيل: المحب أبداً يخاف فوت الوصال وينشد لسان حاله قول من قال:

وكم فرصة فاتت فأصبحت نادماً | تعض عليها الكف أو تقرع السنا

والحاصل أنّ علامة المراقبة منحصرة في متابعة سيد الكاملين ﷺ. **(قوله: أتم منها في حالة فإنّه يراك)** أي لأنّها قد تجامع الغفلة فتأمل. **(قوله: أي يحمل عليها)** أي ولذا سمي سائقاً. **(قوله: يبعدك عن المعاصي)** أي بواسطة سطوات وعيده. **(قوله: إلى طرق)** أي غاية الحقائق، فالمراد أطراف النهايات. **(قوله: مراعاة السر الخ)** أي ولذا

نظر الحق تعالى) إليه بأنْ يستشعر نظره إليه **(مع كل خطرة)** تخطر له، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت الجريري يقول: أمْرُنا هذا مبني على فصلين هو)** الأولى وهما **(أنْ تلزم نفسك المراقبة لله تعالى)** في حركاتك وسكناتك كما مرّ **(و)** أنْ **(يكون العلم على ظاهرك قائماً)** بأنْ تكون حركاتك وسكناتك موزونة بالشرع، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا القاسم البغداديّ يقول: سمعت المرتعش يقول: المراقبة مراعاة السر بملاحظة الغيب)** أي بملاحظة الغائب عنك من الحكم التي تظهر عند وجودها **(مع كل لحظة ولفظة، وسئل ابن عطاء عن أفضل الطاعات فقال: مراقبة الحق)** تعالى **(على دوام الأوقات)** كما أشار إليه الخبر السابق، فأفضل العبادات رؤية المعبود في وقت العبادة، فإنه أبعد من الزلل كما مرت الإشارة إليه.

(وقال إبراهيم الخواص: المراعاة) للأحكام **(تورث المراقبة، والمراقبة تورث خلوص السر والعلانية لله تعالى)** أي في أفعال القلب والجوارح. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ: رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: أفضل ما**

قيل: إذا نزل المحبوب للمحب في عالم الغيب زاد الهيام، وامتنع الكلام إلا عند الشكوى من ألم البلوى، وذلك بشهادة قول بعضهم شعراً:

الحب ما منع الكلام الألسنا ... وألذ شكوى عاشق ما أعلنا

وقيل: حضر المحب مع الحبيب المقام فسكر بسكر أهل الهوى والغرام شعر:

سكران سكر هوى وسكر مدامة ... فمتى يفيق فتى به سكران

وقيل: دخل المحب ليلة حمى الحبيب عند غفلة الواشي والرقيب، فالتذ بسماع الخطاب في حضرة الأحباب شعر:

يا ليلة بالحمى ما كان أطربها ... من طيبها رقصت من تحتها النجب

(قوله: وهو ما يقع في قلب العبد) أشار بذلك إلى تقدير مضاف في كلام المصنف أي مراعاة وارد السر. **(قوله: لملاحظة نظر الحق الخ)** علة لقوله: هي مراعاة السر. **(قوله: مبني على فصلين الخ)** محصله المتابعة في الجوارح الظاهرة والمراقبة في السرائر الباطنة. **(قوله: مراعاة السر الخ)** حاصله أنها الوقوف مع الأدب والتسليم لفعل العظيم الحكيم. **(قوله: المراعاة للأحكام الخ)** أي فالمراعاة للأحكام بالمتابعة تورث المراقبة، فهي من أسبابها والمراقبة تورث خلوص السر أي عن الأغيار بواسطة جمع الهمة على نظر القلب لعظمة الرب. **(قوله: المحاسبة والمراقبة)** أي المحاسبة على ما يصدر من الأقوال والأفعال بل وعلى الأنفاس أيضاً.

يلزم به الإنسان نفسه في هذه الطريقة) أي طريقة الصوفية (المحاسبة والمراقبة) وتقدم بيانهما (وسياسة عمله بالعلم) بأنْ يزن ما هو فيه بالعلم الشرعيّ وهو يجري في الأعمال، والأحوال، والحقائق، فوزن الأعمال أنْ تقع على مقتضى الطلب، ووزن الأحوال أنْ يلازمها شرط الأدب، ووزن الحقائق أنْ يغلب الحق على القلب حتى لا يلتفت إلى غيره، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا عثمان يقول: قال لي أبو حفص: إذا جلست للناس) أي لوعظهم (فكن واعظاً لقلبك ولنفسك) لينتفعوا بوعظك فإنّه إذا صلحت نيتك في وعظ نفسك خرج الكلام من قلبك، وله وقع في قلب السامع (ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنّهم يراقبون ظاهرك والله) سبحانه (يراقب باطنك) وفي نسخة رقيب باطنك، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا جعفر الصيدلانيّ يقول: سمعت أبا سعيد الخراز يقول: قال لي بعض مشايخي: عليك بمراعاة سرك) في الأفعال (والمراقبة) لله فامتثل أمره، ولهذا (قال: فبينما أنا يوماً أسير في البادية إذا أنا بخشخشة خلفي) لا أدري ما هي (فهالني) أي أفزعني (ذلك فأردت أنْ التفت فلم التفت) حفظاً لسري مع الله، وهو أنْ لا أفزع من غيره (فرأيت شيئاً واقفاً على كتفي فانصرف) عني (وأنا مراع لسري ثم التفت) إليه (فإذا أنا بسبع عظيم) أفاد بذلك أنّه ينبغي للعبد مراعاة سره ليقوى بها يقينه بأنه لا ضار ولا نافع، ولا معطي ولا مانع، إلا الله. (وقال الواسطي: أفضل الطاعات حفظ الأوقات) أي الأحوال التي فيها العبد (وهو أنْ لا يطالع العبد غير حده) بأنْ لا يطلب غير حاله الذي هو فيه قبل أنْ يحكمه، ويقف حيث أوقفه الله إلى أنْ ينقله (ولا يراقب) فيه (غير ربه ولا يقارن غير وقته) أي غير حاله الذي هو فيه.

(قوله: شرط الأدب) أي وهو التحقق بمقام الرضا والتسليم. (قوله: فكن واعظاً لقلبك ونفسك) أي كن واعظاً لذلك قبل أنْ تعظ غيرك ليسمع، ويفيد وعظك لغيرك وتتخلص ممن قال تعالى في حقهم: و﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦] الآية وقيل شعراً:

إبدأ بنفسك فانهها عن غيها ... فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

إلى آخر ما قيل. (قوله: فإنّهم يراقبون ظاهرك الخ) أي ولهذا ثبت عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قال لبعض أصحاب رسول الله ﷺ: أعددت جواباً لعمر فأعدد جواباً لله أو كما قال. (قوله: قال فبينا أنا يوماً أسير الخ) فيه تنبيه على قوّة التأثير والتأثر من الأستاذ والتلميذ نفعنا الله بهما.

(قوله: أفضل الطاعات حفظ الأوقات) محصله الحث على الاجتهاد في أحكام حاله، وعدم التطلع إلى غيره حتى ينقله الحق بإشارة الصدق.

باب الرضا

هو مصدر رضيت يقال: رضيت عنه، وبه، وعليه، وكلها بمعنى، فهو مرضي ويقال: مرضو على الأصل، وهو لغة: المراقبة والقبول للأمر بسهولة، واصطلاحاً: ترك الاختيار، ويقال: الوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدماً ولا

باب الرضا

قال بعضهم: الرضا هو عدم الاعتراض على ما يجري به الحق تعالى من الأحكام بشهود أنَّ أفعاله وأحكامه تعالى لا تخلو عن الحكم، فهو نهاية التوكل، وأوّل أحواله من المقامات الكسبية، وآخره ونهايته من الأحوال الغير مكتسبة، وقيل: الرضا هو سرور القلب بأقضية الرب، وقيل: غير ذلك، والدليل عليه ما رواه الترمذي يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنّه قال: «ما عاب رسول الله ﷺ طعاماً قط كان إذا اشتهاه أكله وإلا تركه»[1]، وروى الترمذي أيضاً يرفعه إلى أنس رضي الله عنه أنّه قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين فما قال لي أف قط، وما قال لشيء منعته لم منعته؟ ولا لشيء تركته لم تركته؟ وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقاً، ولا مسست خزاً قط، ولا حريراً ولا شيئاً كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكاً ولا عطراً كان أطيب من عرق النبي ﷺ»[2] وقال فيه: هذا حديث حسن صحيح. **(قوله: يقال: رضيت الخ)** أي فيتعدى بالحروف الثلاثة. **(قوله: فهو مرضيّ)** أي عنه، وقوله: ويقال مرضوّ أي به فيستعمل يائياً وواوياً. **(قوله: وهو لغة المراقبة الخ)** أي انتظار ما يجريه الحق من تصاريف أحكامه، فإذا وقع تلقاه بالقبول والبشر لاءمه أم لا يلائمه.

(قوله: واصطلاحاً ترك الاختيار الخ) أي ترك الاختيار بواسطة نظر القلب إلى قديم اختيار الحق تعالى، أقول: وذلك من أسباب الرضا لا من حقيقته، فإنَّ من علم أنَّ المقدور مفروغ منه وإنَّ المتخذ لا يفيد شيئاً كان ذلك سبب رضاه بما قدره مولاه.

---

(١) أخرجه أبو داود في (سننه ٣٧٦٣) وابن ماجه في (سننه ٣٢٥٩) والترمذي في (سننه ٢٠٣١) وابن تيمية في (الكلم الطيب ١٨٤).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ١٦).

متأخراً، ولا يستزيد مزيداً، ولا يستبدل حالا، ويقال غير ذلك، كما سيأتي، وسببه تفكر العبد في تفاصيل منن الله تعالى عليه، وما خصه به من غير عمل منه وثمرته عدم الاعتراض على شيء من المقدور، والسلامة من كراهته فلا يتمنى أنّه لم يقع ولا زواله بعد وقوعه، وهذا لا يمنع الدعاء بما لم يقع من الخيرات إذ الدعاء بالممكن لا يمنع الرضا بالحاصل، وإنْ زال ضمناً فإنّه غير مقصود، والرضا ممدوح ومطلوب (**قال الله سبحانه وتعالى**: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المجادلة: ٢٢] **وأخبرنا علي بن أحمد الأهوازي رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا الكريمي قال: حدثنا يعقوب بن إسماعيل السلال قال: حدثنا أبو عاصم العباداني عن**

(**قوله: ترك الاختيار**) أي بالنسبة للمتمكن في مقام التفويض، ولذلك كان أوّل الرضا نهاية التوكل كما قدمناه. (**قوله: ويقال: الوقوف الصادق الخ**) أي ولذلك أشار بعضهم حيث قال شعراً:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوّم

فالرضا هو فناء مراد العبد في مراد سيده.

(**قوله: تفكر العبد في تفاصيل الخ**) أي وفي كمال معرفته بما له تعالى من الصفات، وعموم تعلقها بالكائنات، وقدرته وإرادته لسائر الممكنات، فمن تقررت هذه المعارف في قلبه أذعنت نفسه إلى معروفه، وحكمه، وأمره، وسلمت ورضيت خصوصاً إذا علم أنَّ التسخط لا يجدي بل يفوت الخيرات العاجلة والآجلة، فلا يسعه إلا أنْ يسلم ويرضى إذ غير ذلك شأنُ العاجز المحروم الخاسر. (**قوله: تفكر العبد**) أي بشهود أنّ الخير فيما اختاره الله بحكمته، فيسكن وينشرح قلبه لجميع ما يجريه الحق تعالى من تصاريفه في خلقه. (**قوله: وهذا لا يمنع الدعاء بما لم يقع من الخيرات**) أي حيث كان من الممكن وقوعه نعم إنما يكون ذلك بقصد الامتثال لأمر الحق سبحانه بالدعاء والطلب. (**قوله: رضي الله عنهم**) استئناف آخر بعدما حكي من حال الصادقين في التوحيد، وفي الأحكام الشرعية، وأنَّ صدقهم المستمر ينفعهم يوم القيامة وأن لهم ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ﴾ [البينة: ٨] جيء به لبيان أنّه عز وجل أفاض عليهم غير ما ذكر من الجنات مما لا قدر لها عنده، وهو رضوانه الذي لا غاية وراءه، كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿وَرَضُواْ عَنْهُۚ﴾ [المجادلة: ٢٢] إذ لا شيء أعز منه حتى تمتد إليه أعناق الهمم، وقوله جل جلاله: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [المجادلة: ٢٢] إشارة إلى نيل رضوانه، وقيل إلى نيل الكل وإنما كان هذا الفوز عظيماً لأنّه على حسب المفوز به ولا أعظم من رضوان الله. (**قوله: رضي الله عنهم الخ**) أي حيث تجلى عليهم بالتوفيق

الفضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في مجلس لهم إذ سطع»[(١)] أي ارتفع (لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم) إليه (فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم) بنوره (فقال: يا أهل الجنة سلوني قالوا: نسألك الرضا عنا قال تعالى: رضاي) عنكم (قد أحلكم داري وأنالكم كرامتي هذا أوانها فسلوني قالوا: نسألك الزيادة) على ذلك (قال: فيؤتون بنجائب) كنجائب الإبل (من ياقوت أحمر أزمتها زمرد أخضر وياقوت أحمر فجاؤوا) راكبين (عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها) بإسكان الراء أي بصرها (فيأمر الله سبحانه بأشجار عليها الثمار وتجيء جوارٍ من الحور العين وهن يلقن نحن الناعمات فلا نبؤس) أي فلا نجد عندنا شدة من بأس الرجل يبؤس بأساً إذا كان شديد البأس أي الشدة (ونحن الخالدات) أي الدائمات البقاء (فلا نموت أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله سبحانه بكثبان) أي تلال (من مسك أبيض أذفر) بالمعجمة أي بين الذفر بفتح الفاء أي الرائحة الطيبة (فتثير) الكثبان (عليهم ريحاً) أي رائحة (يقال لها: المثيرة حتى تنتهي بهم إلى

لطاعته، وأجزل إحسانه إليهم، وقوله: ورضوا عنه أي حيث داموا على عبادته وإمتثال أمر طاعته، وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨] وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥] وقال حكاية عن الذي آمن ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤] وقال ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨] إلى غير ذلك من الآيات. (قوله: إذ سطع له نور الخ) ذلك عبارة عن تجل خاص للحق سبحانه وتعالى: لإتحاف عبيده المؤمنين معه في هذا المشهد العظيم، والله أعلم.

(قوله: فقال: يا أهل الجنة سلوني الخ) أي قال ذلك لهم بواسطة ملك، أو بلا واسطة مع التنزيه عن الحروف والأصوات تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. (قوله: وأنالكم كرامتي) أي إكرامي إياكم. (قوله: فيأمر الله سبحانه بأشجار الخ) أي يأمر أنْ تدنو منهم لتفكههم بثمارها «مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[(١)]. (قوله: أزواج قوم مؤمنين الخ) أي مصدقين بما جاء على ألسنة الرسل كرام أي ذوي كرامة. (قوله: أي الرائحة الطيبة) هذا بحسب المقام وإلا فالأذفر شديد الرائحة مطلقاً

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٦٤٨) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٤/ ٥٥٢) والسيوطي في (الدرر المنثور ٥/ ٣٦٤) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٩٧٧٨) والسيوطي في (اللآلىء المصنوعة ٢/ ٢٤٤) وابن عراق في (تنزيه الشريعة ٢/ ٣٨٤).

(٢) أخرجه البخاري (بدء الخلق ٨) (تفسير سورة ٣٢) (توحيد ٣٥) ومسلم (إيمان ٣١٢) (جنة ٢ ـ ٥) والترمذي (تفسير سورة ٣٢، ٢، ٥٦، ١) وابن ماجه (زهد ٣٩) وأحمد بن حنبل (٥، ٣٣٤).

جنة عدن، وهي قصبة الجنة) أي وسطها (فتقول الملائكة: يا ربنا قد جاء القوم فيقول) الله (تعالى: مرحباً بالصادقين مرحباً بالطائعين قال: فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً) لاشتغال كل بتمتعه بذلك (ثم يقول) الله تعالى للملائكة: (ارجعوهم إلى القصور بالتحف قال: فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً، فقال رسول الله ﷺ: فذلك قوله تعالى: ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت: ٣٢] وقد اختلف العراقيون، والخراسانيون في الرضا

طيبة، أو لا. (قوله: أي وسطها) المراد خيارها وأحسنها. (قوله: فيكشف لهم الحجاب) اللام بمعنى عن إذ لا يحجب الحق شيء تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً. (قوله: حتى لا يبصر بعضهم بعضاً) أي لما يغشاهم من الجمال والجلال. اهـ.

فائدة:

اعلم أنّ فوائد الرضا لا تدخل تحت حصر، وذلك لأنّ الآفات المعتورة على قلب العبد وبدنه مما يكرهه ويخافه في سائر الأوقات بل وفي سائر الأنفاس لا تنحصر، فإذا حل في مقام الرضا وتمكن فيه أمن من التسخط بشيء منها، وحفظ من فتنتها، وعاش عيش الأحرار، ولم يكن عليه سلطان لغير الواحد القهار، ويكفيه التخلي في العبودية عن شهواته، والتحلي بالحرية في سائر أوقاته وحالاته، فيتخلص من قول سيد البشر «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» الحديث، لأنّه كلما كثر أربابه والملاك توالت عليه طرق الهلكات، وكلما تحرّر عن رق الأغيار طاب عيشه في هذه الدار وفي تلك الدار. (قوله: وقد اختلف العراقيون الخ) أقول: هذا الخلاف إنْ رجع إلى الأحوال الكائنة عن المعاني القائمة بالقلوب ككون العبد خائفاً، أو راضياً، أو راجياً أو غير ذلك، فهذه المعاني إذا قامت بالقلوب توجب لها أحكاماً، وهي أحوال على رأي مثبتها، والصحيح أنّها ليست من متعلقات القدرة بل تابعة للمعنى الموجود بالقدرة، وإن كان الخلاف في نفس المعاني الطارئة على القلوب الموجبة للأحوال كالخوف، والرجاء، والزهد والتوكل، وغيرها هل هي مقدورة للعبد أو المقدور أسبابها، فالذي ذهب إليه أبو بكر بن الطيب أنّها مقدورة له، واستدل عليه بتعلق الطلب به، وخالف في ذلك أبو المعالي وقال: المقدور الذي هو مرتبط التكليف هو النظر وإليه ميل المحاسبي لما تكلم على الخوف فذكر أنّ العبد إذا خوّف نفسه هاج منه الخوف لا يملكه، والذي يظهر من كلام أهل التصوف أنّهم يريدون بالأحوال غير ما يريده أرباب الأصول، فإنّ الأحوال عند أهل الأصول كل صفة لموجود لا تتصف بالوجود على حيالها، والأحوال عند القوم عبارة عما يعتور القلوب من المعاني، ولا يثبت فيها، والمقام ما يدوم قالوا: فالأحوال مواهب والمقامات مكاسب، والأحوال بروق فإنْ بقيت فحديث نفس، وقالوا: كإسمها تحول عن القلب، ولا تدوم

هل هو من الأحوال أو من المقامات؟ فأهل خراسان قالوا: الرضا من جملة المقامات وهو نهاية التوكل، ومعناه أنه يؤول إلى أنّه مما يتوصل إليه العبد باكتسابه، وأما العراقيون فإنهم قالوا: الرضا من جملة الأحوال وليس ذلك كسباً للعبد بل هو نازلة تحل بالقلب كسائر الأحوال، ويمكن الجمع بين اللسانين) أي قولي الفريقين **(فيقال: بداية الرضا مكتسبة للعبد، وهي من المقامات، ونهايته من جملة الأحوال وليست بمكتسبة)** له كالنوازل الضرورية كالرعشة، والرعدة بالحمى وتقدم ذلك. **(وتكلم الناس في الرضا، فكل عبر)** بما قاله: **(عن حاله وشربه)** بكسر الشين أي نصيبه **(فهم في العبارة عنه مختلفون كما أنهم في الشرب والنصيب من ذلك متفاوتون)** عطف النصيب على الشرب للتفسير **(فأما شرط العلم)** بكون العبد راضياً **(والذي هو لا بدّ منه)** فيعلم من قوله: **(فالراضي بالله تعالى هو الذي لا يعترض على تقديره)** عطفه على الشرط تفسير له. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق)** رحمه الله **(يقول: ليس)** ثمرة **(الرضا أنْ لا تحس)** أنت **(بالبلاء)** ولا بالألم **(إنما)** ثمرة **(الرضا أنْ لا تعترض على الحكم والقضا)** وإنْ أحسست بالبلاء والألم موافقاً كان لهواك أو مخالفاً له لجهلك بعاقبة ذلك الحكم، وحسن ظنك باختيار الله لك، وتقريبه أنَّ الطبيب، إذا سقى العليل مراً من الأدوية، فهو يجد مرارته، ويتألم لشربه إلا أنه راضٍ بشربه محب له لما يرجوه من العافية وثوقاً بعلم الطبيب، **(واعلم أنّ الواجب علىَ العبد أنْ يرضى بالقضاء الذي أمر بالرضا به)** ويرضى ببعض المقضيات لا بكلها **(إذ ليس كل ما هو بقضائه يجوز للعبد أو يجب عليه الرضا به كالمعاصي وفنون محن المسلمين)** قال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ [الزمر: ٧] فلا يجوز للعبد الرضا بسائر المعاصي،

فيه، والمقامات ما تحقق العبد فيه من الأخلاق، فقام كل أحد موضع إقامته فافهم والله أعلم.

(قوله: هل هو من الأحوال) أي الغير مكتسبة، أو من المقامات يعني المكتسبة، هذا مراده. **(قوله: وهو نهاية التوكل)** أي التفويض. **(قوله: بل هو نازلة)** أي بطريق الفيض الإلهي. **(قوله: ويمكن الجمع الخ)** محصله جعل الأحوال ثمرة المقامات. **(قوله: فأما شرط العلم الخ)** المراد بيان ما يحقق إتصاف العبد بالرضا والعلم بكونه راضياً، وهو عدم اعتراضه على شيء من المقدرات. **(قوله: ليس ثمرة الرضا أنْ لا تحس الخ)** أي أصل تحقق الرضا لا يشترط في ثمرته عدم الإحساس بالبلاء أما كماله فيشترط في ثمرته ذلك بل قد تكون اللذة بالبلاء خلفاً عن وجدان الألم في هذه الحالة. **(قوله: واعلم أنّ الواجب الخ)** أقول: الذي يلزم العبد الرضا به هي الأفعال الجارية عليه من ربه في دنياه التي لم يأمر بتجنبها، فإنَّ الله لم يرضَ لعباده الكفر، ولا الفسوق، ولا تعاطي

وإنْ كانت مرادة لله بناء على المشهور من أنَّ الأمر غير الإرادة، وأنَّ الله يأمر بما لا يريد وقوعه من العبد، وينهي عما يريد وقوعه منه، فإذا قدر الله عليه بمعصية، فلا يجوز له الرضا بها بل يبكي ويتألم، ويسأل السلامة منها ومن قال: أنَّ الرضا الإرادة حمل العباد في الآية على المؤمنين كما حملوا على الخلص في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ

المكروهات، بل ندبهم إلى البعد عنها، وهذا هو المعلوم من أدلة الشرع مع أنَّ جميع الأفعال والحركات والسكنات واقعة بإرادته تعالى خيرها وشرها، إذ الحامل على الرضا وعدمه الأمر والنهي، وهو تعالى يأمر بما لا يريد وقوعه عند أهل الحق لأنَّه قد أمر الكفار بالإيمان، ولم يرده منهم، وإلا لم يكونوا كفاراً، ولا سبيل إلى إنكار كونه مريداً لكفرهم، إذ لا فاعل غيره، فالعلم بانفراده تعالى بالأفعال قائم بالقلوب، والعبيد مصرفون بأوامره ونواهيه عالمون بأنَّهم لا يجري عليهم ولا على غيرهم إلا ما أراده، فإذا رسخت في قلوبهم هذه العلوم رضوا باختيار مولاهم، وتركوا ما يختارونه لأنفسهم، واعلم أنَّ الرضا ينقسم إلى واجب ومندوب، فالواجب ما حجز عن التسخط وكراهية القضاء منه تعالى، والمندوب ما حجز عما لم يمنع الشارع منه كالتوسع في المأكل والمشرب والملبس والمنكح، وغير ذلك من بقية الشهوات الجائزة، أو يقال في الرضا: المندوب هو سكون القلب تحت مجاري الأقدار، المخالفة للهوى الذي لم يمنع الشرع ارتكابه كالتوسع في المعيشة زمن الحياة، والحاصل أنَّه يجب الرضا بقضاء الله تعالى، وقدره إذا دل عليه شاهد علم الشرع لا مطلق قضاء، وقدر الشامل للكفر والمعاصي فالقضاء والقدر باعتبار مصدرهما يجب الرضا بهما مطلقاً سواء كان متعلقهما خيراً أو شراً والمقضي به يجب الرضا به بشاهد علم الشريعة لا كالكفر والمعاصي.

فائدة:

هل يمكن العبد الرضا بما فتح الله عليه به من الخيرات مع طلبه لما ندبه الشرع إليه من الزيادات أو يكون رضاؤه بما هو فيه مانعاً له من النظر إلى ما سواه؟ قلت: الأوّل هو الصحيح، ولا يمنع الرضا بالحاصل طلب ما لم يحصل لأنَّ متعلق الرضا هو الحاصل، ومتعلق الطلب هو ما لم يحصل وإذا اختلف المتعلق وتعدد أمكن القيام بالنفس، وإنما غير الممكن كون الفعل الواحد مسخوطاً مرضياً في حال واحد كيف وسادات الراضين لا يزالون طالبين؟ ثم قولنا الأوّل هو الصحيح يشهد له قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] فمعرفة الإنسان صلاحية فعلق القدرة القديمة بكل ممكن، وانتفاء نهايات كمالات الحق وإحساناته تحمله على الطلب من ربه جل شأنه وعمله بحسن نظره له والاختيار لما من به عليه من إحسانه في الحال يوجب له الرضا بما جرت به الأقدار، وإذا اختلف الموجب والموجب، فلا بعد في الرضا والطلب.

لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] وقد تكلمت على هذه المسألة بما يتعين لوقوف عليه في أوائل الكتاب قبل باب في ذكر مشايخ هذه الطريقة.

(**وقال المشايخ: الرضا باب الله الأعظم يعنون أنَّ من أكرم بالرضا فقد لقي بالترحيب الأوفى، وأكرم بالتقريب الأعلى**) لأنَّ من أكرم بالرضا صارت جميع أفعال الله عنده مرضية نعماً يشكره عليها، فقد فتح له باب عظيم في تيسير الطاعات.

(**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ قال: حدثنا العباس بن حمزة قال: حدثنا ابن أبي الحواري قال: قال عبد الواحد بن زيد: الرضا باب الله الأعظم**) لأنه سبب لتيسير الطاعات على العبد، ولرؤيته أنَّ جميع ما ينزل عليه من الله نعم، فيشكره في جميع أحواله، (**وجنة الدنيا**) لأنَّه سبب لراحة القلب من هموم التقديرات، (**واعلم أنَّ العبد لا يكاد يرضى عن الحق تعالى**) أي لا يتصف بالرضا عنه تعالى (**إلا بعد أن يرضى عنه الحق تعالى لأنَّ الله عز وجل**) لو لم يرض عنه لم يخلق له الرضا بقضائه، ولأنَّه تعالى (**قال**: ﴿رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُۚ﴾

(**قوله: وقد تكلمت على هذه المسألة الخ**) محصله إجمالاً أنَّه فرق بين القضاء والمقضي، فنفس القضاء باعتبار مصدره يجب على العبد الرضا به، وإنْ تعلق بكفر أو معصية، أما المقضي فإنْ كان من قبيل المحن والبلايا الدنيوية، فكذلك يجب الرضا به أما الدينية كالكفر والفسق، فلا يجب الرضا به بل لا يجوز. (**قوله: الرضا باب الله الأعظم**) أي وذلك لأنَّ من أوصله الله إليه جرت عليه الخيرات بسهولة، وبعدت عنه القواطع والشواغل لرؤية ذلك صادراً من مولاه فهو حينئذٍ باب أعظم يدخل منه إلى الخيرات لسعة صدر المتصف به، والفضل لله سبحانه وتعالى لأنَّ رضاه قد سبق الرضا، ولولا ذلك ما خرج عبد من عذاب الضيق إلى رحمة الفضاء، ولذا نقل عن بشر الحافيّ أنه ذهب إلى أنّ الرضا أفضل من الزهد لأنَّ الراضي لا يتمنى فوق منزلته، والزاهد يمتنى فوق منزلته، ومراده الرضا بواقع حاصل، ولذا قيل في معنى قوله ﷺ: «أسألك الرضا بعد القضاء» أنّه لما كان الرضا بما سيقع عزم على الرضا، ولا يدري تحققه بعد قال النبي ذلك، والحاصل أنَّ الرضا جماع كل الخيرات، فمن منح الرضا توصل به إلى سائر الخيرات الدنيوية والأخروية. (**قوله: لأنّه سبب راحة القلب الخ**) أي وذلك لما تقدم من أنَّ أوّل الرضا غاية التوكل والتفويض. (**قوله: واعلم أنَّ العبد لا يكاد الخ**) حاصله أنَّ نعت العبد تابع لتوفيق الرب، فحينئذٍ لا يكون رضا العبد إلا بعد رضا الرب كما يدل عليه قوله عز سلطانه: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ [التوبة: ١١٨]. (**قوله: قال: رضي الله عنهم الخ**) أي وقال قائلهم شعراً:

رضيت وقد أرضى إذا كان مسخطي ... من الأمر ما فيه رضا من له الأمر اهـ

[المجادلة: ٢٢] فقدم رضاه في الذكر على رضاهم، وهو يدل على الاهتمام برضاه، وأنّه المقدم لأنّه تعالى هو المريد للأفعال. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق**) رحمه الله (**يقول: قال تلميذ لأستاذه: هل يعرف العبد أنّ الله تعالى راضٍ عنه؟ فقال: لا كيف يعلم ذلك ورضاه غيب**) عنه؟ (**فقال**) له (**التلميذ: بل يعلم ذلك فقال: كيف**) يعلمه؟ (**فقال: إذا وجدت قلبي راضياً عن الله تعالى علمت أنّه راضٍ عني**) لأنّه لو لم يكن راضياً عني لم يخلق لي الرضا بالأمر المرضي به (**فقال**) له (**الأستاذ: أحسنت يا غلام، وقيل: قال موسى عليه السلام: إلهي دلني على عمل إذا عملته رضيت به عني، فقال: إنك لا تطيق ذلك فخر موسى عليه السلام ساجداً له متضرعاً فأوحى الله تعالى إليه: يا ابن عمران إنّ رضاي في رضاك بقضائي**) فإذا رضيت بقضائي فاعلم أني رضيت عنك لأني أنا الخالق لرضاك. (**أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ رحمه الله قال: أخبرنا أبو جعفر الرازيّ قال: حدثنا العباس بن حمزة قال: حدثنا ابن أبي الحواري قال: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: إذا سلا العبد**) أي صرف (**عن الشهوات فهو راضٍ**) لأنها إذا صرفت عنه وحسن ظنه بربه دائماً، وأنّه يجري عليه ما فيه صلاحه، فقد رضي بجميع ما يجريه عليه مما يجوز الرضا به، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت النصر أباذي يقول: من أراد أن يبلغ محل الرضا فليلزم ما جعل الله تعالى رضاه فيه**) إذ لا يتوصل إلى رضا مولاه إلا بفعل ما أمره به، (**وقال محمد بن خفيف: الرضا**) أي بالنسبة إلى متعلقه (**على قسمين رضا به ورضا عنه، فالرضا به أن**)

(**قوله: قال تلميذ لأستاذه: الخ**) فيه تنبيه على أنّ الفضل مواهب لا يختص بشيخ ولا تلميذ، قال جل شأنه: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤] وإنّ الله تعالى قد يؤدّب الأكابر بالأصاغر ليدوموا على الوقوف مع الأدب، وإنّ المزية لا توجب الأفضلية. (**قوله: فقال: إذا وجدت قلبي راضياً الخ**) إنْ قلت قد يقع العبد بعد ذلك في المخالفات، قلت: معلومات الله تعالى متعددة يعلمها بعلم واحد قديم، فهو عالم بمعصيته أيضاً وخالق لها. (**قوله: فقال له الأستاذ: أحسنت الخ**) أي لأنّه لا يقع في ملك الله إلا ما قضاه وقدره، فمن أراد به خيراً في وقته خلق له الخير والرضا بما يجوز الرضا به شرعاً. (**قوله: فقال: إنّك لا تطيق ذلك**) فيه إشارة إلى صعوبة الرضا بالقضاء، وأنّه لا يكون إلا بالتوفيق الإلهي. (**قوله: إذا سلا العبد**) أي فالسبب الأعظم في الوصول إلى مقام الرضا هو مخالفة النفس، وزجرها عما تألفه وتعتاده. (**قوله: من أراد أنْ يبلغ الخ**) محصله أنّ ذلك إنما يكون بالعمل بالأوامر، والبعد عن المناهي إذ الخير كله في الاتباع، والشر كله في الابتداع.

(**قوله: على قسمين**) الظاهر أنّ كلاً يلزم الآخر. (**قوله: يقول طريق السالكين الخ**)

يرضاه) العبد (مدبراً له) بأنْ يفعل ما أمره به مولاه واختاره ودبره له، فيكون راضياً به (والرضا عنه) رضاه (فيما يقضي) به عليه من النوازل في نفسه، أو ولده أو ماله أو نحوها.

(سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق) رحمه الله (يقول: طريق السالكين) إلى الله (أطول وهو طريق الرياضة) لأنَّ عمل المريد مترتب على ما وضحت أدلته، وعلمت فضيلته شرعاً من الأخلاق الحميدة، والبعد عن الأخلاق الذميمة، فهو يتكلف ذلك، فكانت طريقه طويلة بدوام المجاهدة والرياضة والإعراض عن العوائد السابقة، (وطريق الخواص أقرب) وأيسر لمن يسر عليه (لكنه أشق) على النفوس لسرعة مفارقة الهوى دفعة، والرضا بالمر من القضاء جملة كما أشار إلى ذلك بقوله: (وهو أن يكون عملك بالرضا ورضاك) مقروناً (بالقضا)، وهذا كمن يبحث عن مطلب، فإنْ صادفه استغنى به، وإلا فقد تعرّض لهلاك نفسه إذ الرضا بما يجريه الحق مع مخالفته للهوى عظيم عند الله لكنه مخوف لأنّه يعرض العبد لتسخطه بما يفعله مولاه، فإنْ سلم من ذلك ورضي بما يجوز رضاه به فقد نال غاية الطاعات.

(وقال رويم: الرضا) هو (أنْ لو جعل الله جهنم على يمينه ما سأل أن يحولها إلى يساره) مراده أنَّ الرضا هو من إذا نزل به أشد البلاء، وهو حرّ النار لا يكرهه، ولا يتمنى زواله عنه لأنَّ العاقبة مغيبة عنه، ولم يرد نار الآخرة إذ نارها وجميع أسباب دخولها من كفر ومعصية لا يرضاه العبد بل يبكي ويتألم، ويتضرع أنْ لا يبتلى به، (وقال أبو بكر بن طاهر: الرضا إخراج الكراهية من القلب) فيما نزل به من البلاء (حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور) لعلمه بأنَّ ما نزل به اختيار مولاه له وإنْ جهل

الغرض من ذلك أنَّ المريدين في أول الإرادة يتكلفون تبديل الأخلاق الذميمة بالحميدة، فيشق ذلك عليهم لبقاء حياة نفوسهم، ولا كذلك الخواص، فإنّهم بواسطة فناء نفوسهم يكون عزمهم قوياً، فيسهل ذلك عليهم بهجومهم دفعة واحدة.

(قوله: وهو أن يكون الخ) أقول: يسهل ذلك بالنسبة لمن فني عن مراداته في مرادات الحق سبحانه وتعالى لا بالنسبة لغيره ممن له بقايا في نفسه ومراده. (قوله: وقال رويم: الرضا الخ) المراد بالرضا هذا الفرد الكامل منه، وقوله: أنْ لو جعل الخ أقول: وهذا لا يتم إلا لمن بلغ مقام التفويض للرب سبحانه وتعالى. (قوله: ما سأل أن يحولها الخ) أي لأنَّ الراضي لا اختيار له فيما قضاه مولاه، ولا كراهة عنده من حيث نفسه، وغرضه وهواه، ولا يمنع ذلك من استعاذته من جهنم امتثالاً.

(قوله: حتى لا يكون فيه إلا فرح وسرور) قلت: وذلك معنى قول المحاسبي في

حسن عاقبته، **(وقال الواسطي رحمه الله تعالى: استعمل الرضا جهدك)** بأنْ تجعل همتك بعد الرضا بما نزل بك من البلاء متعلقة بالرضا بذلك **(ولا تدع الرضا يستعملك)** بحسن لذته، وشرف منزلته بحيث تسكن نفسك لما نلته من شريف الحال والمال، وتشتغل به عن التطلع لما بعده من المقامات **(فتكون محجوباً بلذته ورؤيته عن حقيقة ما تطالع)** بما يتفضل الله به عليك **(واعلم أنّ هذا الكلام الذي قاله الواسطي شيء عظيم، وفيه تنبيه على مقطعة للقوم خفية)** تقطعهم عن بلوغ مرادهم من الحق تعالى **(فإنّ السكون عندهم إلى الأحوال حجاب عن محوّل الأحوال، فإذا استلذ رضاه ووجد بقلبه راحة الرضا حجب بحاله)** الذي سكن إليه. **(عن شهود حقه)** أي ربه تعالى، أو حقه الذي فوق حاله، فلا ينبغي للنفس أنْ تسكن إلى حال، وتقف معه بل حقها أنْ تعرف النعم، وتشكر عليها وترقب المزيد من الحق ناظرة إليه **(ولقد قال الواسطي أيضاً: إياكم واستحلاء الطاعات)** أي التلذذ بنوع منها، والوقوف معه **(فإنّها سموم قاتلة)** الأولى فإنه سم قاتل أي استحلاء الطاعات، **(وقال ابن خفيف: الرضا سكون القلب إلى أحكامه)** تعالى أي نوازله بأنْ لا يقلق منها **(وموافقة القلب**

كتاب القصد في سؤالاته لشيخه أبي جعفر محمد بن موسى قلت رحمك الله: ما معنى الرضا؟ قال: سرور القلب بمر القضا، وقاله النوريّ أيضاً: لما سئل عن الرضا، وكل يرجع إلى قول رويم: استقبال الأحكام بالفرح، ثم قال المحاسبي في الكتاب المذكور: قلت: فما ضد الرضا؟ قال: السخط، قلت: وما معنى السخط؟ قال: تبرم القلب وكراهته لحلول القضاء، وكثرة الاختيار منه بالتملك.

(قوله: حتى لا يكون الخ) قلت: وذلك أتم أحوال الراضين، وهو السرور في مبادي الأقدار، ولو لم تلائم، وذلك لكمال المعرفة بحسن اختيار الله تعالى في كل حال، وذلك باعتبار كمال الرضا لا باعتبار أصله. **(قوله: ولا تدع الرضا يستعملك)** أي بوقوفك معه باستحسانك له، فتكون محجوباً بذلك عما وراءه من المقامات، وهكذا كل مقام لا ينبغي الوقوف معه لما تقدم من أنّه يصير حجاباً عن الأعلى منه. **(قوله: حجاب عن محوّل الأحوال)** أي فالتفات العبد إلى هذا النعت المقدّس يذيبه بسطوات خوف التغيير إذ الرب على كل شيء قدير. **(قوله: وترقب المزيد الخ)** أقول: ذلك إنما يكون لضعيف السير أما قويه ممن سبقت له العناية فلا يقصد غيره تعالى. **(قوله: الأولى فإنّه سم الخ)** أي لأنّ المحدث عنه الاستحلاء. **(قوله: الرضا سكون القلب الخ)** أقول: ذلك حقيقة الرضا بما يقع من القضاء مع زوال الجزع من القلب وسلب الاختيار، وذلك لأنّ الموافقة في سائر الأحوال شأن الراضين عن الله الذي بيده الأمر لا إله سواه، قال قائلهم شعراً:

إذا شئت أنْ ترضى وأرضى وتملكي ... زمامي ما عشنا معاً وعنانيا

بما رضي الله به واختاره له، وسُئلت رابعة العدوية متى يكون العبد راضياً؟ فقالت: إذا سرته المصيبة كما سرته النعمة) هذا بالغ وإنما يتم للعبد ذلك إذا حسن ظنه بربه، ولطفه به، وأنّه لا يجري عليه إلا ما فيه صلاحه فيسر حينئذٍ بجميع ما يجريه عليه، ومتى سر بذلك كان راضياً به.

(وقيل: قال الشبلي بين يدي الجنيد لا حول ولا قوّة إلا بالله فقال له الجنيد:) لفهمه عنه أنّه قال ذلك لثقل ما ورد عليه حتى استعان بلا حول، ولا قوّة إلا بالله **(قولك: ذا)** أي لا حول ولا قوّة إلا بالله **(ضيق صدر)** أي يدل عليه **(وضيق الصدر)** إنما يكون **(لترك الرضا بالقضاء، فسكت الشبلي)** أما لما فهمه الجنيد أو لأنّه كان راضياً ولكنه تبرأ من دعوى هذا المقام، ورآه إنما هو بحول الله وقوّته، وعونه، فإنَّ كل مقام لا قوة للعبد على القيام به، إلا بعون ربه. **(وقال أبو سليمان الداراني: الرضا)** الكامل **(أنّ لا تسأل الله تعالى الجنة، ولا تستعيذ به من النار)** بل تكل أمرك إلى ربك لعلمه بحالك ولطفه بك في سائر أحوالك وتعتمد على الله تعالى في أنْ يأتيك بما يصلحك، فتسكن نفسك لذلك، وتفتر عن سؤال المصلحة لعلمك بأنّها تحصل لك منه للطفه بك، ووصفه للراضي بترك ما ذكر لا من حيث أنّه عبادة بل من حيث أنّه رضا بحسن ما أجراه عليه مولاه، فلا ينافي أنْ يسأل الله ذلك عبادة لأمر مولاه به. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغداديّ**

ألا فارمقي الدنيا بعينيّ واسمعي بأذنيّ دوماً وانطقي بلسانيا

(قوله: فقالت: إذا سرته المصيبة الخ) أقول: هذا أمر يستبعده كثير من الناس من حيث العادة، وسببه نظرهم إلى إحدى جهتي الفعل، وغفلتهم عن الجهة الأخرى، وذلك لأنّ الفعل قد يكون متعباً للبدن منعماً للقلب، فمن نظره من جهة إتعابه للبدن عده مؤلماً، ومن نظره من حيث منفعته وفائدته رآه موافقاً خفيفاً ملذاً للقلوب، وإذا خفت الأعمال على القلوب تبعها البدن بجوارحه، وهذا أمر جارٍ في سائر التصرفات العادية كالصناعات والتجارات، فإنّهم يهون عليهم تحمل الأثقال لما يرجونه من حسن الثمرات والفوائد، هذا وقولها إذا سرته الخ لعله بمراعاة حال السائل ومقامه، وإلا فمقامها نفعنا الله ببركاتها كراهة النعمة خوف الفتنة والسرور، والمصائب طلباً لرضا الحبائب. **(قوله: أما لما فهمه الجنيد الخ)** الأولى عدم الترديد والاقتصار على الأوّل حيث هو اللائق بمقام الجنيد لأنّه إمام العارفين، وقدوة المسلكين. **(قوله: الرضا أنْ لا تسأل الله الجنة)** أي حال كونك واقفاً مع حظك، والغفلة عن مراد ربك، أما إذا كان بقصد العبادة، فهو غير ضار بل هو من أسباب الحسنى وزيادة. **(قوله: ثلاثة من أعلام الرضا الخ)** مراده بالرضا الفرد الكامل منه كما هو ظاهر إذ لا يتم ذلك إلا للعارفين من المحققين.

يقول: سمعت محمد بن أحمد بن سهل يقول: سمعت سعيد بن عثمان يقول: سمعت ذا النون المصريّ رحمه الله يقول: **ثلاثة من أعلام الرضا ترك الإختيار قبل)** نزول **(القضاء وفقدان المرارة)** والمشقة **(بعد)** نزول **(القضاء وهيجان الحب)** والتنعم بما نزل من البلاء **(في حشو البلاء)** لأنّ الراضي بحسن ما يجريه الله عليه لا إختيار له، وإنما هو مذعن لما يختاره الله له لعلمه بفضل ربه عليه، وحسن اختياره له فيما يجريه عليه، ومتى كان له اختيار في نفسه، فهو مع نفسه راضٍ بحكمها لا بحكم ربه، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت محمد بن جعفر البغداديّ يقول: سمعت إسماعيل بن محمد الصفار يقول: سمعت محمد بن يزيد المبرد يقول: قيل للحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما: أنّ أبا ذر يقول: الفقر)** الذي يفر منه الناس **(أحب إليّ من الغنى)** لقلة قدر الدنيا عنده **(والسقم)** الذي يتألمون منه **(أحب إليّ من الصحة)** لما يرجوه من كثرة الثواب على الصبر على السقم **(فقال)** الحسين: **(رحم الله أبا ذر)** حيث قال: ما قال: **(أما أنا فأقول: من اتكل على حسن اختيار الله تعالى له لم يتمن غير ما اختاره الله له)** فأبو ذر له اختياره، والحسين لا اختيار له بل رضي بما اختاره الله له، وهو أسلم وأبعد من تطرق الآفات المقرونة بالإختيارات، فكلامه في الرضا، وكلام أبي ذر في الزهد، والصبر، **(وقال الفضيل بن عياض لبشر الحافي: الرضا أفضل من الزهد في الدنيا لأنّ الراضي)** بمنزلة هو فيها **(لا يتمنى فوق منزلته)** بخلاف الزاهد، واعترض على التعليل بأنّه إنْ

(قوله: ترك الاختيار الخ) أي لأن الراضي لا تدبير له إلا ما دبره مولاه فيما أمره به، أو نهاه عنه، فإقدامه وإحجامه لمولاه لا لهواه، وكذلك يكون الحال بعد وقوع المقدر، فلا يتمنى زواله، ولا يريده لعله بحسن اختيار مصرف الأمور، فيكون قلبه في حال البلاء ناظراً إلى الله فرحاً بحسن اختياره مسروراً بمقاديره.

(قوله: قيل للحسين بن علي الخ) أقول: كلام أبي ذر بالغ في الزهد والإعراض عن الدنيا حتى صار ما يكره لغيره لذيذاً عنده، وذلك لما يرجوه من الجزاء، وكلام الحسين رضي الله عنه بالغ في الرضا، وفيه إشارة إلى أنّ من كمل توكله على الله تعالى لعله بحسن اختياره له نقله ذلك إلى مقام الرضا. **(قوله: لقلة قدر الدنيا الخ)** أي ولكراهة ما كرهه الله تعالى. **(قوله: لما يرجوه من كثرة الثواب الخ)** أي وذلك بسبب قوّة يقينه في صدق وعد الحق، وقول الصدق. **(قوله: فكلامه)** أي الحسين في الرضا أي ومقام الرضا أعلى من مقام الزهد.

(قوله: بخلاف الزاهد) أي فهو يتمنى قطع الشواغل ليتنعم بالمناجاة، فهو يطلب انتقاله عما هو فيه. **(قوله: إذا لا منافاة الخ)** أي لأنّ متعلق الرضا إنما هو الواقع والذي

أُريد بأنه لا يتمنى خلاف ما وقع به القدر، فصحيح، وإلا فلا إذ لا منافاة كما مر بين الرضا بما وقع، وسؤال ما لم يقع، فكذا تمنيه له، وقد يجاب بأن المراد أنه لا يتمنى فوق منزلته لكراهته لها. (**وسئل أبو عثمان عن قول النبيّ ﷺ: «أسألك الرضا بعد القضاء»**) أي لم قيد الرضا ببعد القضاء (**فقال: لأنّ الرضا**) بما ينزله به القضاء (**قبل**) نزول (**القضاء عزم على الرضا**) لا نفسه (**والرضا بعد**) نزول (**القضاء هو الرضا**) وهذا جار في سائر المقامات من الزهد والتوكل وغيرهما، فالعزم على كل مقام ليس هو نيله وبلوغه، فكم من شخص يزعم أنّه زاهد، والذي عنده معرفة الزهد، فإذا لاح له شيء من الدنيا ظهر له من نفسه من الرغبة فيه خلاف ما كان يظنه ولذلك قال الجنيد: علم التوحيد ووجوده متباينان لأنّ علم التوحيد أنْ يعرف بالدليل أنّ الله واحد ووجوده غلبته على القلب، وتحققه فيه بحيث يشاهد فيه كل فعل. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله الرازيّ يقول: سمعت ابن أبي حسان الأنماطي يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان يقول: أرجو أن أكون عرفت طرفاً من الرضا**) بحيث (**لو أنه لو أدخلني النار**) يعني الشدة العظيمة لا النار الكبرى (**لكنت بذلك راضياً**) لعلمي بأنه

ينافيه تمني زواله، ولا ينافيه سؤاله لما لم يقع، فالراضي لا يتمنى زوال ما أجراه الله عليه، وإنْ سأل وطلب وتمنى ما هو أرفع منه، فليس الزوال مطلوباً له، وإنْ كان يلزم من وقوع مطلوبه زوال ما هو فيه إنْ كان مما يضاده، وإلا فالمسألة واضحة.

(**قوله: فقال: لأنّ الرضا الخ**) محصله أن الفعل أي الوقوع بالفعل أقوى على التحقق من العزم لأنّه قد لا يتيسر وإنْ كان صاحب العزم مأجوراً على عزمه.

فائدة:

من أحوال الراضين نفعنا الله ببركات أنفاسهم طيب القلوب، وموافقة المحبوب، وسرعة جريان البركات عليهم من الغيوب، وذلك لأنّهم استراحوا من خطور الاعتراض والالتفات إلى الأعراض، وسكنت منهم دواعي الأغراض قد تنعموا بدوام نظرهم إلى جميل الألطاف من مولاهم، وانشرحت صدورهم بحسن الإسعاف ممن رضي عنهم وأرضاهم، فكيف يجدون لقلوبهم ألماً والآلام محجوبة عنهم؟ أشغلهم به وباختياره عن حظوظ أنفسهم فضلاً عن دنياهم، وموافقة محبوبهم هي السبب في رضاه عنهم، وتعجيل البركات إليهم. (**قوله: ولذلك قال الجنيد الخ**) محصله أنّ المعتبر ثمرات العلم لا نفسه لأنّ مجرّده يضر بالإنسان، فالله تعالى يعاملنا بالفضل والإحسان.

(**قوله: يعني الشدّة الخ**) دفع به ما يقال النار مأمور شرعاً بالبعد عنها، والإستعاذة

تعالى يفعل بي ما هو أنفع لي، وأصلح لما جربته من أفعاله، وتكرّر علي من أفضاله، **(وقال أبو عمر الدمشقي: الرضا ارتفاع الجزع)** من العبد **(في أي حكم كان)** من الأحكام الموافقة والمخالفة له من البلايا التي تجري عليه مما يجوز الرضا به، وذلك بأنْ يتلقاه بالقبول لما يرجوه من الثواب، **(وقال الجنيد رحمه الله: الرضا رفع الاختيار)** بأنْ لم يبق للعبد بعد نزول القضاء به اختيار في زواله، **(وقال ابن عطاء: الرضا نظر القلب إلى قديم اختيار الله تعالى للعبد، وهو ترك التسخط)** فإذا غلب على قلبه أنَّ ما سبق به القضاء لا بدّ من وقوعه لم يبق لاختياره فائدة بل يختشى من اختياره أنْ يقع بسببه في التسخط لقضاء الله، **(وقال رويم: الرضا استقبال الأحكام)** يعني البلايا التي يجوز الرضا بها **(بالفرح)** والسرور فيه زيادة على الرضا إذ يكفي فيه عدم تغير القلب، وإنْ لم يكن فرح، **(وقال المحاسبي: الرضا سكون القلب تحت مجاري الأحكام)** يعني البلايا لعلمه أنّ المقادير لا تبديل لها، **(وقال النوري:)** وفي نسخة ذو النون **(الرضا سرور القلب بمرّ القضاء)** وهو المخالف لهوى النفس، فحلوه مفهوم بالأولى، وهذا قريب مما قاله رويم، لكن في ذلك زيادة وهي الاستقبال، فإنّه يقتضي تقديم السرور على نزول القضاء. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت الجريري يقول: من رضي بدون قدره رفعه الله تعالى فوق غايته)** أخذاً من خبر «من تواضع لله رفعه الله» ومن هنا جاز للراضي بمنزلة أنْ يدعو بأرفع منها ويسألها ويتمناها، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أحمد بن عليّ يقول: سمعت الحسن بن علوية يقول: قال أبو تراب النخشبي: ليس ينال الرضا من الدنيا في قلبه مقدار)** لأنّ من أحبها حباً شديداً تألم لفقدانها، فهو يكره زوالها، والراضي لا بدّ أنْ يرضا بكل ما يجريه الله تعالى عليه، وافق غرضه، أو خالفه كما مرّ. **(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أخبرنا أبو**

بالله تعالى من ضررها وأسباب دخولها، فكيف يصح الرضا بها؟ وأقول: ذلك غير لازم لأنّ معنى كلامه: أنّه لم يختر دخولها ولا تسبب فيه لأنّ ذلك ينافي النهي، أما سكون قلبه بعد جريان الأقدار من غير اختياره فهو من شيم صغار الراضين. **(قوله: وقال أبو عمر الخ)** أقول: الذي قبله أبلغ منه فكل إناء بالذي فيه ينضح. **(قوله: الرضا نظر القلب الخ)** أقول: وبواسطة التسليم تفهم حكمة الحكيم. **(قوله: فيه زيادة الخ)** أي فهو من المبالغة في التمكن من مقام الرضا. **(قوله: فحلوه مفهوم بالأولى)** أقول: ذلك بالنسبة للمريدين أما العارفون والمحققون فلا فرق عندهم بين مُرّه وحلوه بل شأنهم كراهة حلوه خوف المحنة إذا كان مما يلائم النفس. **(قوله: ومن هنا الخ)** تأمله فإنّه دقيق والله ولي التوفيق. **(قوله: ذاق طعم الإيمان الخ)** تأمل ما منحه ﷺ من إشارات الحكم وجوامع

عمرو بن حمدان قال: حدّثنا عبد الله بن شترويه قال: حدثنا بشر بن الحكم قال: حدثنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن الهادي عن محمد بن إبراهيم عن عامر بن سعد عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله»[1] لا بغيره (رباً) فلا ينال المقامات العالية من الإيمان والمحبة، والرضا، وغيرها إلا من لم يبق في قلبه ربوبية لغير الله، ولذلك قال ﷺ: «تعس عبد الدينار والدرهم والقطيفة والخميصة» فكل من أحب شيئاً من الدنيا حباً شديداً حتى تعلق قلبه به واشتغل بحفظه جاز أنْ يسمى رباً له، وهو له عبد لخدمته له، ولهذا قيل للجنيد: ما تقول: فيمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مص نواة يتلذذ بها؟ فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم فسماه عبداً لشهوته، وإنْ قلت: فمتى نظر العبد في أفعال الله به وجريان نعمه عليه ورضي بإختياره له ذاق طعم الإيمان ووجد لذته وحلاوته بخلاف من لم يصل إلى هذا المقام وتعاطى الأعمال الشاقة، وتحملها بالصبر، وإنْ كان أجره عظيماً، (**وقيل: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أما بعد فإنَّ الخير كله في الرضا فإنْ استطعت أنْ ترضى فارض وإلا فاصبر**) وكل منهما خير، (**وقيل: إنَّ عتبة الغلام بات ليلة يقول إلى الصباح: إنْ تعذبني فأنا لك محب، وإنْ ترحمني فأنا لك محب**) فهو محب لكل ما يرد عليه منه مؤلماً كان أو غير مؤلم، وهو معنى الرضا فإنَّ المحب أبداً راض، بكل ما يريد من محبوبه. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الإنسان خزف**) أي فخار خلق من طين (**وليس للخزف من الخطر**) أي القدر والمنزلة (**ما يعارض فيه حكم الحق تعالى**) فيه دلالة على أنَّ من لم يبلغ مقام الرضا كره ما يجريه الله عليه من الأقدار، وصار في صورة المعارض لرضا الله تعالى وقدره (**وقال أبو عثمان**

الكلم لأنّه يتأمل معنى الرب، وأنه من التربية، وأنَّ الحق تعالى هو المربي، والعبد هو المربي، ولا اختيار للثاني مع الأوّل تفهم تخصيص اسم الرب بالذكر، وأنّه ينبغي للعبد الفناء عن كامل مراداته واختياراته في مرادات الرب واختياراته. (**قوله: فإنْ استطعت أنْ ترضى الخ**) ذلك يفيد أنَّ مقام الرضا أشق وأعلى من مقام الصبر، وهو كذلك. (**قوله: بات ليلة الخ**) أقول: يدل ذلك على قوّة تمكنه من مقام الرضا. (**قوله: فيه دلالة**) أي وتنبيه بتذكير الأصل على أنَّ مثله لا يصح أنْ يكون في صور المعارضات للحق سبحانه وتعالى.

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٥٦) والترمذي (إيمان ١٠) وأحمد بن حنبل (١، ٢٠٨).

الحيري: منذ أربعين سنة ما أقامني الله تعالى في حال عال **(فكرهته)** وإنّ كان ثم أعلى منه **(وما نقلني إلى غيره)** مما هو دونه **(فسخطته)** فهو راضٍ بكل ما يجريه عليه مما يجوز الرضا به. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: غضب رجل على عبد له فاستشفع العبد إلى سيده إنساناً)** فشفع له عنده **(فعفا عنه فأخذ العبد يبكي فقال له الشفيع: لم تبكي وقد عفا عنك سيدك؟ فقال له السيد: إنما يطلب الرضا)** مني **(ولا سبيل له إليه فإنما يبكي لأجله)** ولا يلزم من عفوه عنه رضاه عنه، وهو إسباغه عليه النعم، وما تعوده منه من اللطف والإكرام، قال بعضهم: فتح علي باب من البسط فزللت زلة فحجبت عن مقامي كذا كذا سنة فلم يؤاخذ، ولم يعاقب، وإنما سلب ما كان في مَن الإكرام والإنعام.

(قوله: غضب رجل على عبد له الخ) اعلم أنَّ العبودية انقياد مع التسليم، ومشي على الصراط المستقيم، وإنْ شئت قلت: العبودية هي وصف العبد الفاني بمحبوبه المستعذب مر الملام لأجل قصده ومرغوبه:

وهان عليّ اللوم في جنب حبها ... وقول الأعادي أنني لخليع
أصم إذا نوديت باسمي وإنني ... إذا قيل لي يا عبدها لسميع

فحينئذٍ العبودية هنا فناء الشاهد في المشهود مع وصف البقاء على أدب الحدود، فالعبد من لا براح له عن الباب، ولا شيء يزعجه عن الأعتاب، فهو دائماً باكي العين خشية البين فافهم.

(قوله: ولا يلزم من عفوه عنه الخ) أي ولذا ثبت عن الشافعي رضي الله عنه أنَّه قال: رضا الله أحب إليّ من عفوه انتهى.

باب العبودية

هي تذلل وتبرؤ من الحول والقوّة في عبادته، ويقال غير ذلك مما سيأتي وأصلها العبادة، وهي القيام بالفعل المطلوب شرعاً، وهي ممدوحة ومطلوبة. **(قال الله عز وجل: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] وأخبرنا أبو الحسن الأهوازي رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا عبيد بن شريك قال: حدثنا يحيى قال: حدثنا مالك عن حبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن عمر بن الخطاب عن أبي سعيد الخدريّ وأبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله إمام عادل وشاب**

باب العبودية

قول: العبودية من أشرف مقامات العبيد، وأس جميع الكمالات، وأنواع التسديد، ولهذا نعت بها ﷺ في أشرف المواطن قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وقال: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]، والفرق بين العبودية والعبادة أنّ العبادة رضا العبد بأحكام الرب، والعبودية رضا الرب بما يفعله العبد.

(قوله: هي تذلل الخ) اعلم أنّ العبودية لله إذا صح مقامها للعبد حصلت له الحرية عن كل ما سواه تعالى، وإذا بقي للنفس سكون ما لبعض الحظوظ، فهو عبد لما سكن إليه، ومنه «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم» الحديث. **(قوله: وأصلها العبادة)** أي فمتى قام العبد بأعباء العبادة مخلصاً فيها متبرئاً من حوله وقوته، وصل إلى مقام العبودية التي هي أشرف المقامات. **(قوله: حتى يأتيك اليقين)** اعلم أنّ المراد باليقين الموت، فما دام العبد حياً عاقلاً قادراً فهو مكلف بعبادة ربه على ما ذهب إليه جماعة الموحدين خلافاً لمن أضله الله تعالى، وطمس عين بصيرته. **(قوله: في ظله)** أي ظل عرشه، أو المراد بذلك رعايتهم بالإكرام، والحفظ من هول هذا اليوم.

(قوله: إمام عادل) أي في أحكام رعيته، وقوله: وشاب نشأ الخ أي لأنّه ممن عجب منه ربنا كما في خبر: «عجب ربك من شاب لا صبوة له، ومن شيخ يتصابا»، وقوله: قلبه معلق بالمسجد المراد به اشتغال قلبه بعبادة ربه، وقوله: ورجلان تحابا في

نشأ بعبادة»)[1] وفي رواية في عبادة (الله تعالى «ورجل قلبه معلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه، ورجل دعته امرأة ذات حسن وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه»)[2] لأنهم بذلك خالفوا أهويتهم، ولازموا طاعة ربهم. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: العبودية أتم من العبادة فأوّلاً) الفعل المطلوب (عبادة ثم عبودية ثم عبودة، فالعبادة للعوام من المؤمنين) لأنّ غايتهم أن

الله أي أحب كل منهما صاحبه لغرض ديني لا دنيوي، وقوله: ورجل ذكر الله خالياً أي بعيداً عن الناس بقلبه، وإنْ خالطهم بجسده، وقوله: ففاضت عيناه أي وجلاً وهيبة، وقوله: ورجل دعته امرأة أي بغية، وقوله: حتى لا تعلم شماله الخ هو مبالغة في إخفاء الصدقة وسترها عن الغير. (قوله: فأوّلاً الفعل المطلوب عبادة الخ) اعلم أنّ من جملة المطلوب الدعاء والطلب منه تعالى على حسب أمر الشرع وتكليفه غير أنه لا يكون على وجه التسبب بأنْ يرى العبد وقوع ما يريده ملزوماً للطلب، أو لازماً له على وجه التسبب، فهو وإنْ كان يقتضيه ظاهر النصوص فباطن الحقيقة يدفعه، وهي الأصل، فوجب مراعاتها وتأويل النصوص بأنّ ذلك على وجه المقارنة والتوقيت بأنْ يعتقد أنّ الدعاء عبودية اقترنت بسبب الحاجة كاقتران الصلاة بوقتها وترتيب الإجابة كترتيب ثواب الأعمال على الأعمال، فالعطاء من وجه الفضل والعمل لمحض العبودية، واقترانهما لإظهار الحكمة، ولذلك قال بعضهم: فائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يديه تعالى، وإلا فالرب يفعل ما يشاء، ثم أقول: انتفاء الفهم باعتقاد السببية أنّه إنْ أعطى لم يشكر، وإنْ

---

(١) أخرجه البخاري في (صحيحه ١/ ١٦٨، ٢/ ١٣٨، ٨/ ١٢٦) ومسلم في (صحيحه الزكاة ب ٣ رقم ٩١) والترمذي في (السنن ٢٣٩١) والنسائي في (السنن ٨/ ٢٢٢) وأحمد بن حنبل في (المسند ٢/ ٤٣٩) وابن عبد البر في (التمهيد ٢/ ٢٨٠، ٢٨١) وابن خزيمة في (الصحيح ٣٥٨) والبغوي في (شرح السنة ٢/ ٣٥٤) والمنذري في (الترغيب والترهيب ١/ ٢١٧) وابن حجر في (فتح الباري ٢/ ١٤٣، ١٢/ ١١٢) وابن مبارك في (الزهد ٤٧٣) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٤/ ١١٢، ٥/ ٧، ٦/ ١٧٥، ٩/ ٢١٤) وابن حجر في (تلخيص الحبير ٣/ ١١٥) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٧٠١) وابن الجوزي في (زاد المسير ١/ ٣٢٥) وابن عبد البر في (تجريد التمهيد ٤٨) وبغوي ١/ ٢٩٣ والربيع بن حبيب في (المسند ١/ ١٥، ٥٣، ٦٩) والبيهقي في (الأسماء والصفات ٣٧١) وابن كثير في (التفسير ١/ ٤٧٧، ٤/ ٣١٣) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ١/ ٢٩٦، ٢/ ١٥٧، ٣/ ١٠١، ٢٨٧) وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٤٥٢، ٦/ ٢٥٠) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٢/ ٢٣٩) والبغوي في (شرح السنة ٢/ ٣٥٤).

(٢) أخرجه النسائي (قضاة ٢) والموطأ (شعر ١٤).

يعلموا من الشرع ما أمروا به، ونهوا عنه، ويقوموا بمقتضاهما، وهذه صفة العابدين **(والعبودية للخواص)** لما فيها من زيادة التذلل والتبريء من الحول والقوّة **(والعبودة لخاص الخاص)** لكمال معرفته بربه حيث أتى بما طلب منه ورأى نفسه محلاً لجريان قضاء الله فيه، ولتوفيقه له في فعل ما طلب منه، فقلبه أقرب إلى مقام الجمع، وهو إفراد الحق بالفعل من الثاني لأنَّ الثاني شاهد لنفسه كسباً واختياراً وإنْ كان مفتقراً لعون ربه، فيما يختاره، والأوّل أقرب إلى مقام التفرقة لكونه يرى نفسه عابداً محسناً مطيعاً، ويطلب الجزاء على عمله، والحاصل أنَّ الأوّل واقف مع الأعمال، والثالث مستغرق في الجلال والجمال، والثاني متبرىء له هو فيه نظر العون الكبير المتعال، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: العبادة لمن له علم اليقين، والعبودية لمن له عين اليقين، والعبودة لمن له حق اليقين)** وتقدم بيانها،

شكر كان على ضعف في شكره لملاحظة السبب في التحصيل لأنَّ الفرح بالمنة من غير استشعار سبب أقوى منه مع استشعاره، وإنْ منع لم يرض، وإنْ رضي فلا يكون من حيث رؤية اختيار الحق بل من حيث رؤية تقصيره وهو نقص.

(قوله: لكمال معرفته بربه) أي حيث شهد سبق عناية الحق به حيث أوجده من العدم وآثره بالنعم، وخصصه بالكرم، وعرفه بانفراده بالوحدانية، واتصافه بالصفات العلية مما هو محتاج إليه وهو غني عنه فيه، وفي غيره، وكل ذلك جرى من غير استحقاق ولا وسيلة سابقة إذ كان عدماً محضاً. **(قوله: حيث أتى بما طلبه منه الخ)** أي فقد قام بالطلب لإظهار العبودية، وللقيام بحق الربوبية، وعلامة ذلك التفويض في القصد، والتوكل في التوجه، والرضا بالواقع من عطاء أو منع، فيشكر في العطاء، ويقابل المنع بالقبول، ويبني ذلك على التحقق بخالص التوحيد وعقد القلب بالامتثال في كل وجه، قال أبو الحسن رحمه الله: لا يكن حظك من الدعاء الفرح بقضاء حاجتك دون الفرح بمناجاة مولاك، فتكون من المحجوبين.

(قوله: ورأى نفسه محلاً لجريان الخ) أي بشهود معنى خبر: «قد جف القلم بما أنت لاقٍ»، قال الواسطي رحمه الله: أقسام سبقت ونعوت أجريت كيف تنال بأعمال وتكتسب بسعايات؟ فافهم. **(قوله: فقلبه أقرب إلى مقام الجمع)** أي لأنّه في عين التفرقة بشهود أنَّ له نفساً هي محل لجريان فعل الحق تعالى، أما المتحقق بمقام الجمع فهو الفاني عن شهود نفسه بل هو الفاني عن هذا الفناء. **(قوله: العبادة لمن له علم اليقين الخ)** محصله أنَّ العبادة للمريدين السائرين، والعبودية للمقربين، والعبودة للعارفين، ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤].

(قوله: والعبودية لمن له حق اليقين) أي ممن شهد أنَّ الثواب يتعلق بالأعمال

(وسمعته) أيضاً (يقول: العبادة لأصحاب المجاهدات) لأنهم أصحاب أعمال (والعبودية لأرباب المكابدات) لأنهم أصحاب أحوال (والعبودة صفة أهل المشاهدات) لأنهم أصحاب مراقبة وإقبال، وإلى ذلك أشار بقوله: (فمن لم يدخر عنه) تعالى (نفسه) بأنْ أتعبها في أعمال البدن من الصبر والصلاة وغيرهما من سائر القربات (فهو صاحب عبادة، ومن لم يضن) أي يبخل (عليه) تعالى (بقلبه) بأنْ أتعبه في الفكر في الملك والملكوت وسائر المخلوقات (فهو صاحب عبودية، ومن لم يبخل عليه) تعالى (بروحه) بأنْ أتعبها له في طلب العون منه والإستغراق في جماله وكماله (فهو صاحب عبودة، ويقال: العبودية القيام بحق الطاعات بشرط التوفير) أي موفرة كاملة (و) بشرط (النظر إلى ما) حصل (منك) من الطاعات (بعين التقصير) بأنْ تراها مع كمالها لا تصلح لجلاله تعالى وعظمته (و) بشرط (شهود ما يحصل من مناقبك) أي أنه إنما يحصل (من التقدير) أي تقدير الله تعالى

والأحوال ببساط الكرامات، فهما في الظاهر الوسائل عند الطلب، ولم يكونا في محل القسمة الأزلية، ولا في وقتها إذ لا وقت، فعلة كل شيء إحسانه وكرمه، وكيف يدخل في أفعاله العلل، وهو الفاعل المختار الغني عن الكل ويرحم الله القائل:

بلا عمل مني إليه اكتسبته ... سوى محض فضل لا بشيء يعلل

(قوله: وتقدّم بيانها) أي من أنَّ علم اليقين هو الحاصل عن النظر في البرهان، وعين اليقين هو الحاصل من توالي ذلك البرهان على الجنان، وحق اليقين هو استقرار ذلك العلم في القلب حتى كأنه عيان.

(قوله: بأن أتعبها له في طلب العون الخ) أقول: ذلك بالنسبة للمريدين أما بالنسبة للعارفين من المحققين فهو إنما يكون بفنائهم عن أنفسهم استغراقاً في محبته سبحانه وتعالى.

(قوله: العبودية القيام الخ) محصله أنّها لا تتحقق لعبد إلا إذا قام بما أَمر به من العبادة حالة كونها كاملة قد شهد نفسه مقصراً فيها، وأنّها من محض المنة عليه من البارىء تعالى. (قوله: العبودية القيام بحق الطاعات الخ) أي وذلك لأنَّ شأن العباد معرفة الأشياء بأصولها، وتعرف الأسباب الموصلة ليتوصلوا بها إلى مراداتهم، لكن لما تضمن ذلك الدعاوي بأنَّ لهم قوّة يتوصلون بها لما يريدونه ردوا لعلمه تعالى ومشيئته حتى لم يبق لهم دعوى، ولا تصح لهم أسباب، ولا يجري لهم نظر في تصريف الحق تعالى، فتصرفهم بحكم التصريف، وتعرفهم بحكم التعريف دائمين على أوجه التكليف، والحاصل أنَّ العبودية هي حقيقة المتابعة لسيد الكاملين مع التبري من الحول والقوّة بذوق أنَّ الفضل بيده تعالى، والله أعلم.

وفعله، وذلك لأنَّ من كملت عبوديته لربه أوقع طاعاته على الوجه المذكور. **(ويقال: العبودية ترك الإختيار فيما يبدو من الأقدار)** هذه صفة أرباب الأحوال من حيث أنّهم نالوا درجة الرضا فكأنه قال: العبودية الإرتفاع عن الأعمال إلى درجات الأحوال، **(ويقال: العبودية التبرؤ من الحول والقوّة، والإقرار بما يعطيك)** الله **(ويوليك من الطول)** أي الغنى **(والمنة)** أي النعمة، هذه أيضاً صفة أرباب الأحوال، وهو أنَ يتبرأ العبد مما ذكر، ويرى نفسه محلاً لما يجريه الله عليه، وإنَّ الله هو الفاعل، **(ويقال: العبودية معانقة ما أمرت به، ومفارقة ما زجرت)** أي نهيت **(عنه)** هذه عبادة لا عبودية لأنَّ صاحبها مع الأعمال، ولم يرتق إلى الأحوال. **(وسئل محمد بن خفيف متى تصح العبودية؟ فقال: إذا طرح)** العبد **(كله)** أي ثقله **(على مولاه وصبر معه على بلواه)** هذا يشمل التوكل والصبر

(قوله: ترك الاختيار الخ) أي تركه بواسطة فنائهم عن مراداتهم واختياراتهم في مرادات الحق، واختياراته فراراً من شؤم اختيارهم إلى حسن اختياره تعالى. **(قوله: الارتفاع عن الأعمال)** أي البعد عن استحسانها، وعن الوقوف مع كمالها بالترقي إلى شهود درجات الأحوال الواردة على القلوب من فيض كنز الأفضال.

(قوله: العبودية التبرؤ من الحول والقوّة) أي لأنَّ مستند الأشياء بأسرها إنما هو مشيئته تعالى، وعلى ظهور أثرها ترتبت الأحكام، فمن يرد الله أنْ يهديه يشرح صدره للإسلام، فإذا قاعدة التحقيق ليس إلا بسابقة التوفيق، وكل شريعة حقيقة، ولا ينعكس، فالشريعة من عين الحكمة، والحقيقة من عين الحكم، والحاصل أنَّ عباداتهم وطاعاتهم نفعنا الله ببركاتهم من عين الرحمة الإلهية، فرحمة الله هي الوسيلة إلى رحمته، وقد أشار قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] إلى ذلك فإنّهم كتبوها بالتاء الطويلة قيل: لما دخل عليها من رائحة الفعل وهو المقدر قبلها أعني قولهم: إنَّ وجود رحمة الله قريب من المحسنين، والداعي لهذا التقدير وصف الرحمة بالتذكير في قوله: قريب، فالأعمال علامات لا موجبات فافهم.

(قوله: والإقرار الخ) المراد بذلك تحقق العبد بمقام الشكر بشهود أنَّ المنة له تعالى. **(قوله: العبودية معانقة الخ)** أي وذلك لأنَّ الحق تعالى متصف بالقدرة والحكمة، ولكل منهما تعلق في الوجود يتعين بإعتباره، ولا يصح نفيه بمقاله، فإثبات لبعدهما دون الآخر نقص في النظر، وخطأ في العرفان، وزلة في الإدراك، فلزم إثبات الجميع لثبوتهما، وإلا فهو ضلال أو قريب منه «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» فاعرف ذلك حقه، والله وليّ هدايتك.

(قوله: فهو إذا طرح العبد كله) أي تحقق بمقام التوكل والرضا والتسليم. **(قوله:**

والرضا، وذلك صفة أرباب الأحوال أيضاً. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس البغدادي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت ابن مسروق يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يصح)** أي لا يصلح **(التعبد لأحد حتى لا يجزع من أربعة أشياء: من الجوع والعري والفقر والذل)** لأنّ الأحوال والمقامات إنما تنال بكمال الجدّ من التفرّغ من المشغلات، والعبد إنما يمنعه من التفرغ منها للطاعات هذه الأربع، فكل منها يؤلم وتفر منه النفس، فإذا لم يخف العبد منها لكمال زهده في الدنيا، وصبره على المشاق نال العبودية، **(وقيل: العبودية أنْ تسلم إليه)** تعالى **(كلك وتحمل عليه كلك)** أي ثقلك لما في ذلك من التوكل والتفويض، وذلك من أشرف المقامات، **(وقيل: من علامات العبودية ترك التدبير وشهود التقدير)** هذه أيضاً صفة أرباب الأحوال لأنّ ترك التدبير من علامات التوكل والتفويض، وشهود التقدير من علامات المراقبة، وهما من علامات العبودية، **(وقال ذو النون المصري رحمه الله: العبودية أنْ تكون أنت عبده)** تعالى **(في كل حال كما أنّه ربك في كل**

أي ثقله) أشار به إلى أنّ الكاف في كله بالفتح. **(قوله: لا يصح التعبد لأحد الخ)** أي فلا يتحقق معنى العبودية لأحد إلا إذا ثبت له مقام التوكل، والصبر، والزهد والرضا حتى يتفرغ عن الشواغل في عبادة ربه.

(قوله: أنْ تسلم إليه تعالى كلك)[1] أي وذلك يتحقق بمقام التفويض والتسليم، وقوله: وتحمل عليه كلك بفتح الكاف على معنى قصد المعونة الإلهية.

(قوله: من علامات العبودية التدبير الخ) اعلم أنّ التخلق بالأدب تارة يحمل على ترك الطلب والتدبير بشهود إحاطة علم اللطيف الخبير، وقد يحمل على الطلب بتجلي صفات الجود والكرم، وقد يحمل على التفويض بمحاسن رجاء التعويض فهو أي الأدب إذا يدل على الطلب وعلى الموافقة عند جريان العوائد، وعلى ملاحظة الأسباب، وظهور أثر الكسب والإكتساب، وعلى التفويض، وموقعه عند تعذر الأسباب ورجحان الحقيقة بلمعان أنوار المشاهدة الموجب لملاحظة العبودية في عين تعظيم الربوبية وعلى السكون، وهو عند غلبة الحقيقة ونفي شواهد الخليقة، وقد وقعت هذه جميعها من أنبياء الله تعالى مختلفة، فهذا إبراهيم سأل لسان صدق في الآخرين، وغير ذلك من مصالح الدنيا والدين، واكتُفي بعلمه تعالى عندما زج به في المنجنيق حيث قال **(حسبي من سؤالي علمه بحالي)** فافهم. **(قوله: أنْ تكون أنت عبده الخ)** أي فتدعو امتثالاً وتقصد تفويضاً لأنّه كما

---

(١) أخرجه الترمذي (ثواب القرآن ٢٥) والدارمي (فضائل القرآن ٦).

حال) بأنْ تكون معه راضياً متذللاً لما يجريه عليك، **(وقال الجريري: عبيد النعم كثير عديدهم)** أي عددهم لتغيرهم بتغيرها، فإنَّ طيب أحوالهم مع العوافي، وتوالي النعم عليهم، وضده مع ضدها **(وعبيد المنعم عزيز وجودهم)** لقلة الراضي بكل ما يجريه الله عليه، وحاصل ما قاله الإشارة إلى أنَّ العبودية حال يثمرها النظر إلى الله تعالى، وكمال المعرفة بجلاله وعظمته، فيذل العبد في نفسه، ويكمل انقياده لأوامره، ويرضى بكل ما يجريه الله عليه بخلاف عبيد النعم الذين إذا تغيرت النعم تغير حالهم. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: أنتَ عبد من أنت في رقه وأسره، فإنْ كنت في أسر نفسك فأنت عبد نفسك، وإنْ كنت في أسر دنياك فأنت عبد دنياك)** لاشتغالك بحفظ من أنت في أسره، ولهذا **(قال رسول الله ﷺ «تعس عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس عبد الخميصة»)** إنْ أُعطي رضي، ومن لم يعط لم يرض والخميصة كساء أسود مربع له أعلام قاله الجوهري: وتقدم في رواية مع الخميصة القطيفة، وهي دثار مخمل قاله الجوهري، **(ورأى أبو يزيد رجلاً)** عليه علامة الغفلة عن شغله بآخرته **(فقال له: ما حرفتك فقال: خر بنده)** لفظة أعجمية خادم حماري **(فقال)** داعياً له بأنْ يزول عنه شغله بخدمة حماره، ويرجع إلى خدمة مولاه **(أمات الله تعالى حمارك)** الذي شغلك عن آخرتك **(لتكون عبد الله)** ومشغولاً بأوامره **(لا عبد الحمار. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: لا تصفو لأحد قدم في العبودية حتى يشاهد أعماله عنده رياء وأحواله**

لا يصح أنْ يكون السؤال سبباً لا يصح أنْ يكون تذكيراً، قال صاحب الحكم: إنْ قلته بالسببية فجل حكم الأزل أنْ ينضاف إلى العلل، وإنْ قلت: تذكيراً، فالتذكير للإغفال ولا إغفال، وإنْ قلت: تنبيهاً فالتنبيه للإهمال ولا إهمال، وكيف يصح شيء من ذلك وهو غني كريم رحيم عالم؟ فافهم.

(قوله: أنْ تكون أنت عبده الخ) أي فتكون كالطفل مع مربيه لا حركة ولا اختيار، ولا يكون ذلك إلا لمن تمكن في مقام الرضا والتسليم. **(قوله: فإنْ طيب أحوالهم الخ)** أي فمحبتهم وعبادتهم للإحسان لا للمحسن إذ لو كانت لذات المحسن ما حصل لهم تغير في صفاتهم بتغير النعم مع أنه قد ورد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]، ومثل هؤلاء عبيد لما تعلقت به قلوبهم كما يشير إليه خبر «تعس عبد الدينار» الحديث. **(قوله: وعبيد المنعم عزيز)** أي نادر وجودهم إذ من شيمهم التوكل والرضا والتسليم مع المراقبة لما يجريه العليم الحكيم. **(قوله: أنتَ عبد من أنت في رقه الخ)** أي فكل شخص عبد لما تعلق قلبه به لتهافته وجمع همته عليه.

دعاوي) مع سلامتهما في الواقع من ذلك بأنْ يتبرّأ من إضافتهما إليه، فإنَّه إنْ أضاف إليه الأعمال كان مرائياً لكونه نظر فيها لغير الله، أو الأحوال كان مدعياً لما لا يملكه، فإذا شاهد أعماله عنده رياء، وأحواله دعاوي كان مخلصاً لإضافته ذلك إلى الله كما مرّ.

(وسمعته) أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت عبد الله بن منازل يقول: العبد عبد ما لم يطلب لنفسه)** من غير حاجة **(خادماً فإذا طلب لنفسه)** حينئذٍ **(خادماً فقد سقط عن حدّ العبودية وترك آدابها)** لكونه عظم نفسه ورآها أهلاً لأنْ تخدم، وحقها أنْ تكون خادمة، أما من طلبه لحاجة كعجزه فلا يسقط عن حدّ العبودية، ويرى الفضل لمولاه عليه في لطفه به في حال عجزه حتى سخر له من يخدمه، ويعينه على طاعته.

(وسمعته) أيضاً **(يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت ابن مسروق يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يصلح للعبد التعبد حتى يكون بحيث لا يرى عليه أثر المسكنة في العدم، ولا أثر الغنى في الوجود)** لأنَّ حقيقة العبودية عدم تعلق القلب بالمحبوبات، ورؤية الفضل لخالق البريات، فإنْ ابتلي بفقر فلا يرى عليه أثر الذلة والمسكنة لفوات ما عدمه من نعم الدنيا، وإنْ أجريت عليه النعم، فلا يظهر عنده افتخار لعدم قدر نعم الدنيا في قلبه

(قوله: **فقال داعياً له: الخ)** أي فليس القصد الدعاء بإهلاك الحمار بل بنقل قلبه عن الاشتغال به ليتفرغ لعبادة ربه. (قوله: **لا تصفو لأحد قدم الخ)** محصله طلب التبرّي من الحول والقوّة بشهود أنّ الفضل للحق تعالى حيث منّ عليه بنعمة التوفيق مع دوام النظر بالنقص لما يبدو من نفسه. (قوله: **كان مرائياً)** أي مع ما فيه من الإدراك الخفي الحاصل بنسبة شيء من الأفعال لغيره تعالى.

(قوله: **كان مدعياً لما لا يملكه)** أي وذلك لأنّ الأحوال من الهبة لا من الكسب على أنّ الحال لا بقاء لها.

(قوله: **ما لم يطلب لنفسه الخ)** أي لأنَّ العبودية التذلل والخضوع، وفي طلب الخادم من غير حاجة إليه نوع إعزاز للنفس، وهما متنافيان. (قوله: **لا يصح للعبد التعبد الخ)** محصله الحث على الرضا والقناعة ليدوم له الشرف في الدنيا والآخرة.

(قوله: **عدم تعلق القلب بالمحبوبات)** أي من حيث ما للنفس فيها من الحظ، وقوله: ورؤية الفضل لخالق البريات أي بذوق معنى قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]. (قوله: **فلا يظهر عليه افتخار)** أي بل الذي ينبغي أنْ يظهر عليه الانكسار خشية الامتحان بما يلائم حظ النفس.

للزهد فيها، ورؤية جميع ما هو فيه من ربه، **(وقيل: العبودية شهود الربوبية)** وهو سبب عظيم في دوام العبودية لأنَّ العبد إذا توالت عليه مراقبته لجلال مولاه ذل في نفسه بالنظر لما هي عليه من جهة طبعها لا بالنظر لما خصها به ربها من كرامته.

(سمعتُ الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول: قيمة العابد بمعبوده كما أنّ شرف العارف بمعروفه) فكل من عبد شيئاً بمعنى أحبه فرفعته وقيمته على حسب معبوده، فمن عبد زوجته، أو ولده، أو قماشه، أو الشيطان، أو نحوه، فهو عبده وقيمته على قدر من عبده، ومن عبد الله خالصاً فرفعته في الدنيا والآخرة على حسب جلال الله، كما أنّ رفعة العبد من رفعة سيده، وكذا العارف رفعته على حسب معروفه، فليس من عرف الشر كمن عرف الخير، وليس من عرف غير الله كمن عرف الله. **(وقال أبو حفص رحمه الله تعالى: العبودية زينة العبد)** لما فيها من التذلل، والافتقار، والتبري من الحول والاقتدار، **(فمن تركها تعطل من الزينة)** بهذه الأمور. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا جعفر الرازيّ يقول: سمعت عباس بن حمزة يقول: حدّثنا أحمد بن أبي الحواريّ قال سمعت النياجي:)** بكسر النون **(يقول: أصل العبادة)** وهو الإخلاص فيها الذي لا

(قوله: وقيل: العبودية الربوبية) أي فلا يتحقق معنى العبودية للإنسان إلا إذا شهد نعوت الربوبية، ومن نعت العبد اللازم له الفاقة الدائمة، فإذا وردت على قلبه مذاكرتها أثارت له شهود نعوت الربوبية، فخير أوقات العبد وقت شهد فيه فاقته أني مولاه دون غيره لأنَّ ذلك يقطع عن الخلق، ويوصل إلى الملك بالحق. **(قوله: شهود الربوبية)** أي بما لها من الجمال والكمال، والجلال، فيذل في نفسه اعتبار أصلها والمآل.

(قوله: قيمة العابد بمعبوده) أي ولذا قيل: من أراد أن ينظر مقامه فليتأمّل فيما الحق فيه أقامه، فحينئذٍ ما للعبد من المنازل والمنازلات على حسب عبادته على وجه مراقبة معبوده، وشهوده له فيها على ما يليق به من النعوت والصفات، وعبادته أيضاً هي حلية زينته إذ بها تحقق عبوديته المحققة لدوام افتقاره لربه، فالعبادة والعبودية والفاقة الدائمة زينة المريد السالك، وفائدته وعيده الذي يفطر فيه على صوم المجاهدة وينحر فيه نفسه بسيف التبرّي من الحول والقوّة، والمخالفة، شعر:

قالوا غداً العيد ماذا أنت لابسه ... فقلت خلعة ساق حبه جرعا
فقر وصبر هما ثوبان تحتهما ... قلب يرى ألفه الأعياد والجمعا

(قوله: زينة العبد) أي لما فيها من تحقيق ما للرب سبحانه من العز، والكمال، والجمال والجلال.

(قوله: فمن تركها تعطل الخ) أي لتخليه عن المقصود من حكمة إيجاده. **(قوله:**

يتم إلا بكمال المعرفة، بإنفراد الحق بوجوب الطاعة وأنّه لا فعل لغيره منحصر (**في ثلاثة أشياء لا تردّ**) أنت (**من أحكامه**) تعالى من بلاياه وغيرها (**شيئاً ولا تدخر عنه شيئاً**) من أعمالك (**ولا يسمعك تسأل غيره حاجة**) إذ لا فعل لغيره، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا الحسين الفارسي يقول: سمعت ابن عطاء يقول: العبودية**) منحصرة (**في أربع خصال**) تجمع أسباب الدنيا والآخرة (**الوفاء بالعهود**) من كل مأمور به قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] (**والحفظ للحدود**) من كل منهي عنه (**والرضا بالموجود**) مما فتح الله به من أمور الدنيا والآخرة (**والصبر عن المفقود**) مما تلف ومما لم يفتح الله به من ذلك، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الكتاني يقول: سمعت عمرو بن عثمان المكيّ يقول: ما رأيت أحداً من المتعبدين في كثرة من لقيت بمكة ولا غيرها ولا أحداً ممن قدم علينا في المواسم أشدّ اجتهاداً ولا أدوم على العبادة من المزني رحمه الله تعالى**) لكمال معرفته بوعد ربه ووعيده، وما أعده الله للمطيعين وحذر منه المخالفين، (**ولا رأيت أحداً أشدّ تعظيماً لأوامر الله تعالى منه**) لكمال معرفته بربه وتعظيمه لأوامره ونواهيه، (**وما رأيت أحداً أشدّ تضييقاً على نفسه**) منه من حيث سلوك الورع والزهد، والتوكل، والرضا، والمحبة وغيرها من المقامات، (**و**) لا أشدّ

يقول: أصل العبادة الخ) أي سرّ قبولها في ثلاثة أشياء في تحقق العبد بحقيقة هذه الثلاثة، ومحصلها التخلق بمقام الرضا والتحلي بجمال القناعة، والتزين بزينة الشكر. (**قوله: لا ترد أنت من أحكامه الخ**) أي وذلك لأنها قد تظهر الفاقة، والعبد قد يجد بها من مزيد الإيمان والعلم والمعرفة والحقيقة ما لم يجده بغيرها إذ العبودية فيها أظهر، والدعوى فيها أبعد، والنفس فيها أقرب إلى الحق، والصوم والصلاة تعرض لهما الدعوى، ونواقص الشوائب من الرياء وغيره.

(**قوله: من بلاياه وغيرها شيئاً**) قال في التنوير: وفي البلايا والفاقات من أسرار الألطاف ما لا يفهمه إلا ذوو البصائر ألم تر أنّ البلاء يخمد النفس ويذلها ويخرسها عن طلب حظوظها، ومن أثر البلايا وجود الذلة ومعها يكون النصر، ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣]، وبذلك يتبين الفرح بالبلاء كما كان حال أرباب الهمم العالية. (**قوله: العبودية منحصرة في أربع خصال**) أي لا تتم ولا يوصف صاحبها بأنّه عبد الله إلا بها، ومحصلها متابعة سيد الكاملين وإمام المرسلين ﷺ في فعل المأمورات والبعد عن المنهيات، والرضا بالقسمة الإلهية.

(**قوله: والصبر عن المفقود**) أي لأنّ في ذلك بسط المواهب من الفتوحات العرفانية وغيرها، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾

(توسعة على الناس منه) من حيث أنه يأمرهم بما أمروا به وينهاهم عما نهوا عنه، (سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: ليس شيء أشرف من العبودية ولا اسم) أي وصف (أتم للمؤمن من الاسم) أي الوصف (له بالعبودية، ولذلك قال سبحانه في وصف النبي ﷺ ليلة المعراج وكان أشرف أوقاته) في الدنيا ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ

[النمل: ٦٢]. (قوله: من المزني) هو من أصحاب إمامنا الشافعيّ رضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم بفضله وكرمه. (قوله: ولا أشدّ توسعة على الناس الخ) أي عملاً بقول سيد الكاملين لإمام المحبين علي بن أبي طالب رضي الله عنه «لأنْ يهدي الله بك رجلاً خير لك من حمر النعم»[1]. (قوله: يقول ليس شيء أشرف من العبودية) أي وذلك لما فيها من دوام الذلة، قال أبو يزيد: قيل لي خزائننا مملوءة فإنْ أردتنا فعليك بالذلة والافتقار، وقال الكيلاني: أتيت جميع أبواب الحق فوجدت عليها الازدحام حتى أتيت باب الذلة والافتقار فوجدته خالياً فدخلت منه، فالتفت فإذا أنا قد سبقت القوم، وتركت الناس على الأبواب، قال قائلهم:

لا يبعدنك عتبنا عن بابنا ... فالعهد باق والوداد مصان
فبحبنا وبلطفنا وبجاهنا ... شاع الحديث وسارت الركبان
فإذا ذللت لعزنا ولجاهنا ... ذلت لعزتك الملوك وهانوا

وبالجملة فمظهر العبودية هو من مجالي نعوت الربوبية كما يشير إليه خبر كنت: «كنزاً مخفياً»، فتأمل. (قوله: سبحان الذي أسرى الخ) اعلم أنّ سبحان علم للتسبيح كعثمان للرجل وحيث كان المسمى معنى لا عيناً وجنساً لا شخصاً لم تكن إضافته من قبيل زيد المعارك وحاتم طيء، ونصبه بفعل متروك الإظهار تقديره أسبح الله سبحان، وفيه ما لا يخفى من الدلالة على التنزيه البليغ من حيث الاشتقاق من التسبيح الذي هو الذهاب والإبعاد في الأرض ومنه فرس سبوح أي واسع الجري، ومن جهة النقل إلى التفعيل، ومن جهة العدول من المصدر إلى الاسم الموضوع له خاصة، وهو علم يشير إلى الحقيقة الحاضرة في الذهن ومن جهة قيامه مقام المصدر مع الفعل، وقيل: هو مصدر كغفران بمعنى التنزيه، ففيه مبالغة من حيث إضافته إلى ذاته المقدّسة، والإسراء السير بالليل خاصة كالسري.

وقوله: ليلاً لإفادة قلة زمان الإسراء بما فيه من التنكير الدال على البعضية من حيث الإفراد ويؤيده قراءة من الليل أي بعضه، وإيثار لفظ العبد للإيذان بتمحضه عليه الصلاة والسلام في عبادته تعالى، وبلوغه في ذلك غاية الغايات، ونهاية النهايات حسبما يلوح به

---

(١) أخرجه مسلم (قدر ٤، ٥) والترمذي (زهد ٥٧).

أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١] **قال فيه: (فأوحى إلى عبده ما أوحى)** مع أنه دعا غيره من الأنبياء بأسمائهم كيا موسى يا عيسى يا صالح، ودعاه بيأيها النبيّ يأيها الرسول ونحوهما تشريفاً له **(فلو كان اسم أجلّ من العبودية لسماه به)** في هذه الحالة **(وفي معناه أنشدوا:**

يا عمرو ناري عند زهرائي ... يعرفه السامع والرائي
لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي)

فإنّ ذلك يدل على أنّ عادة العرب في إكرام بعضهم بعضاً أنْ يدعو كل منهم غيره بأشرف الأسماء عنده وأحبها إليه، **(وقال بعضهم: إنما هو)** يعني المسقط

مبدأ الإسراء ومنتهاه، وإضافة التنزيه أو التنزه إلى الموصول المذكور للإشعار بعلية ما في حيز الصلة للمضاف، فإنّ ذلك من أدلة كمال قدرته تعالى، وبالغ حكمته، ونهاية تنزيهه عن صفات المخلوقين، وقوله: من المسجد الحرام اعلم أنّه اختلف في مبدأ الإسراء فقيل: هو المسجد الحرام بعينه عند الحجر كما ورد عنه ﷺ وقيل: هو دار أمّ هانىء بنت أبي طالب كما رواه ابن عباس، وعليه فالمراد بالمسجد الحرام الحرم لإحاطته بالمسجد، واعلم أنّه اختلف في وقت الإسراء وفي كونه في اليقظة أو في المنام، والحق أنّه كان في المنام قبل البعثة، وفي اليقظة بعدها، واختلف أيضاً أنّه كان جسمانياً أو روحانياً، والحق أنّه كان جسمانياً كما ينبىء عنه التصدير بالتنزيه، وما في ضمنه من التعجب على أنّ الروحاني ليس عرضة للإنكار كما وقع لقريش، وليس هو من خوارق العادات هذا، وعلى كونه جسمانياً لا استحالة فيه، فإنّه قد ثبت في الهندسة أنّ قطر الشمس ضعف قطر الأرض مائة ونيفاً وستين مرّة، ثم إنّ طرفها الأسفل يصل إلى موضع طرفها الأعلى بحركة الفلك الأعظم مع معاوقة حركة فلكها لها في أقل من ثانية، وقد تقرّر أنّ الأجسام متساوية في قبول الأعراض التي من جملتها الحركة، وإنّ الله قادر على كل ما تحيط به حيطة الإمكان، فيقدر على أنْ يخلق مثل تلك الحركة أو أسرع منها في جسد النبي ﷺ، وباقي تفصيل هذه القصة يطلب من محله، فلا نطيل بذكره.

(قوله: وقال فيه: فأوحى إلى عبده ما أوحى) أي فأوحى جبريل إلى عبده عبد الله تعالى وإضماره لغاية ظهوره ما أوحى أي من الأمور العظيمة التي لا تفي بها العبارة، قيل: أوحى إليه أنّ الجنة محرّمة على الأنبياء حتى تدخلها، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

(قوله: وفي معناه أنشدوا يا عمرو الخ) أقول: ولذا قال صاحب الحكم: إذا أردت ورود المواهب عليك صحح الفقر والفاقة لديك، قلت: وتصحيح ذلك بتقدير عدمك واستشعار ألمك، وتتبع ذلك بالتفصيل في شواهد أحوالك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠] فافهم. **(قوله: وقال بعضهم الخ)** محصله أنّ المعطل للعبودية شهود

للعبودية (**شيآن سكونك إلى اللذة**) أي استحسانك لها، ووقوفك معها (**واعتمادك على الحركة**) المتقضية للغفلة عن المحرّك ولفقدان التوكل (**فإذا أسقطت عنك هذين**) الشيئين (**فقد أدّيت العبودية حقها**) لتبريك من الحول والقوّة (**كما قال الواسطي: احذروا لذة العطاء**) أي لذة وصول النعم إليكم (**فإنّها غطاء**) أي ستر (**لأهل الصفاء**) عن وصولهم إلى مقاصدهم، (**وقال أبو علي الجوزجانيّ: الرضا دار العبودية، والصبر بابه، والتفويض بيته**) لأنّ أوّل العبودية العبادة وهي القيام بالمأمورات واجتناب المنهيات، ولا يقوم العبد بذلك إلا بالصبر، فهو باب الخيرات والوصول إلى أعلى الدرجات، فإذا وصل العبد إلى هذه الدرجات الرفيعات رضي بكل ما يرد عليه من الله، ولو بغاية المشقات، وإذا تمكن في هذا فوّض أمره إلى الله واستراح من هم التقديرات (**فالصوت على الباب والفراغة في الدار، والراحة في البيت**) بنى هذا القائل العبودية على ثلاثة أركان: الصبر، والرضا، والتفويض، والصبر أوّلها وهو الباب، وعليه يكون الصوت والدعاء فإنْ أذن له دخل الدار وهي مقام الرضا الواسع، ولهذا شبهه بالدار، فإذا تمكن في الرضا دخل البيت، وهو التفويض، وهو محل الراحة، والدار موضع الفراغ من الأعمال الشاقة التي كانت على الباب. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: كما أنّ الربوبية نعت للحق لا تزول**

النعمة مع الغفلة عن حق المنعم فيها، والوقوف مع أثر القدرة مع الذهول عن الفاعل القادر.

(**قوله: فإذا أسقطت عنك هذين الخ**) قال الشاذلي: نفعنا الله ببركات معارفه تصحيح العبودية بملازمة الفقر والعجز، والذل، والضعف لله تعالى، وأضدادها أوصافه تعالى، فما لك ولها فلازم أوصافك، وتعلق بأوصافه، ومن بساط العجز الحقيقي يا قدير من للعاجز سواك يا عزيز من للذليل سواك تجد الإجابة طوع يدك، واستعينوا بالله واصبروا إنّ الله مع الصابرين، أقول: ولله در من قال في دعائه: إلهي قد صح إفلاسنا من طاعتك، فمن أحق منا بصدقات عفوك. (**قوله: احذروا لذة العطاء الخ**) المراد النهي عن الاشتغال بالنعم مع الغفلة عن المنعم كما لا يخفى. (**قوله: الرضا دار العبودية الخ**) محصل ذلك أنّ طريق الوصول إلى الحق سبحانه منحصر في حبس النفس على فعل المأمورات، وترك المنهيات والرضا بأحكام الرب، والتسليم لما يجريه في الخلق.

(**قوله: بني هذا القائل الخ**) أي فهي المحققة للعبودية التي هي أشرف نعوت الإنسان، وعند التحقق بذلك يمدّ العبد بأوصاف الرب، فيصير قادراً به غنياً به عزيزاً به قوياً به، فيعود الفقر غنى، والعجز قدرة، والضعف قوّة والذل عزاً ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ﴾ [النمل: ٦٢] في مقام الرضا، والصبر والتفويض.

(**قوله: فإذا تمكن في الرضا الخ**) لا يخفى عليك أنه تقدّم عن بعضهم أنّ أوّل

عنه، **فالعبودية صفة للعبد لا تفارقه ما دام)** في الدنيا والآخرة **(وأنشد بعضهم)** في هذا **(فإن تسألوني)** عني بالنسبة إلى الله **(قلت: ها أنا عبده. وإن سألوه)** أي الله عني **(قال: هذاك مولائي)** أي عبدي ومملوكي، أو وإنْ سألوا العبد عن الله قال: هذاك مولاي، ويكون فيه التفات، ومقصوده أبي علي بما قاله أنَّ العبد إذا علم أنَّ العبودية وصفه اللازم له فينبغي له أنْ يعطي هذا الوصف حقه من القيام بوصف العبودية، وهو أنْ يقوم بحقوق الربوبية. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول:)** في صاحب العبادات **(العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء عليها)** لأنها لكون صاحبها معتنياً بإتقانها وإيقاعها على وجهها تحتاج إلى الإخلاص، وأنى للعبد به، فهو أحوج إلى الصفح والعفو منه إلى أنْ يطلب العوض والجزاء والثواب على عمله، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت النصر أباذي يقول: العبودية إسقاط رؤية التعبد في مشاهدة المعبود)** فصاحبها بعد عن الآفات لأنَّه مخلص إذ أعماله وسائر أحواله يجريها الحق عليه خالصة مبرأة من العلل وهو يراها فضلاً من ربه عليه فيستحي من دعواها لنفسه فضلاً عن طلبه الجزاء عليها منه.

(وسمعته) أيضاً **(يقول: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت الجريريّ يقول: سمعت الجنيد يقول: العبودية ترك الأشغال)** التي لا تعين على الآخرة **(والاشتغال بالشغل الذي هو أصل الفراغة)** من كل ما يضرّ بأن يشتغل العبد بالطاعات، ويرى الفضل لمجريها عليه في عموم الأوقات، فإذا وصل إلى هذه الحالة استراح قلبه من هم التقديرات، ورضي وفوّض أمره إلى خالق البريات، وهذه هي الفراغة من كل ما يضر، والاستراحة فيما ينفع ويسر والله أعلم.

مقامات الرضا غاية مقامات التوكل، وما هنا ربما ينافيه، فلعل كلاً تكلم بحسب شربه.

(قوله: فالعبودية صفة للعبد الخ) أي صفة ذاتية له لا تقبل الانفكاك كما أشار له الشارح. **(قوله: أو وإنْ سألوا الخ)** لأنَّ المولى كما يطلق على العبد يطلق على السيد غير أنَّ ما قبله أولى.

(قوله: العبادات إلى طلب الصفح الخ) محصل ذلك أنَّ سر القبول والجزاء هو إخلاص النية وذلك من النادر لزيادة المشقة فيه، فحينئذٍ الأقرب لصاحب العبادة إنما هو طلب العفو والصفح للزوم تقصيره في عبادة ربه. **(قوله: وصاحبها بعيد عن الآفات)** أي فهو من أعلى المقامات لأنَّ صاحبه دائماً في لذة المشاهدة له تعالى.

(قوله: العبودية ترك الأشغال الخ) حاصله أنها المتابعة للشريعة مع الفناء عن كامل مألوفات الطبيعة.

باب الإرادة

هي عندهم التجرّد لله في السلوك إلى كمال التوحيد، وهي ممدوحة ومطلوبة (قال الله عز وجل: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢] وقال: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٠] وقال: ﴿فَفِرُّوٓا

باب الإرادة

أي سلوك طريق العبادة، وهو لا يكون إلا بالمتابعة لسيد الكائنات ﷺ وذلك لا يتم إلا بعد معرفة أحكام شريعته التي هي خير الشرائع، وهي لا تحسن إلا بالجدّ في التلقي عن شيخ محقق حتى يصح أنْ يعبد رب الأنام، وبغير هذا لا يمكن الوصول، ولا يحصل نيل المأمول، فإياك والإهمال، فتحرم الأفضال، ولا تغتر بفقراء الوقت فإنَّ حالهم من جملة المقت، فلا توافقهم في كثير ولا قليل بل تابع صاحب الخلق الجميل، واعلم أنَّ للعبادة دسائس لأنَّ للنفس فيها حظاً خفياً لأنها ربما احتوت على رياء وتصنع وتزين وقصد غرض أو عوض، والاطلاع عليها ربما جر لتزكية النفس وإظهار سر المطلع عليه، وتعظيمه لأجله إلى غير ذلك من الدسائس التي لا يطلع عليها إلا أولو البصائر، والحاصل أنَّ الطاعة قد تحتوي على حظ كما تحتوي عليه المعصية بل ربما كان هذا أضر لخفائه وظهور حظ المعصية، فيمكن دفعه دون ذاك، فإياك والدسائس لتغنم النفائس، هذا والإرادة إنما يعنون بها ملازمة الطاعات، والتجرد عن المألوفات.

(**قوله: هي عندهم**) أي معاشر الصوفية التجرد لله الخ، وقيل: هي نهوض القلب في طلب الحق تعالى. (**قوله: ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي**) أي مثل صهيب وعمار وخبيب ونحوهم، وقيل: المراد بهم أهل الصفة، وكانوا نحو سبعمائة رجل قيل: إنَّه قال قوم من رؤساء المشركين الكفرة لرسول الله ﷺ: نح هؤلاء القوم الذين كأن ريحهم ريح الضأن حتى نجالسك كما قال قوم نوح عليه الصلاة والسلام: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] فنزلت، والتعبير عنهم بالموصول لتعليل النهي بما في حيز الصلة، ومعنى قوله تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] يعني دائبين على الدعاء في جميع الأوقات، وقيل: في طرفي النهار، وقوله: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ أي يقصدون بالدعاء والطلب ذاته تعالى، فلا يلتفتون إلى غيره.

إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الذاريات: ٥٠] **(وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان قال: حدّثنا أحمد بن عبيد قال: حدّثنا هشام بن علي: قال: أخبرنا الحكيم بن أسلم قال: أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن حميد عن أنس رضي الله عنه أنّ النبيّ ﷺ** قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً استعمله»[١] فقيل له كيف يستعمله يا رسول الله؟ فقال: «يوفقه لعمل صالح قبل الموت»[٢] ومن وفقه الله للتجرد تجرد **(والإرادة بدء طريق السالكين)** بمعنى التجرد السابق **(وهي اسم لأوّل منزلة القاصدين إلى الله تعالى، وإنما سميت هذه الصفة)** المسماة بذلك **(إرادة)** مع أنّه لا إرادة فيها للعبد **(لأنّ الإرادة مقدّمة كل أمر، فما لم يرد العبد شيئاً لم يفعله، فلما كان هذا)** البدء **(أول الأمر لمن سلك طريق** التوصل إلى **(الله تعالى سُمي إرادة تشبيهاً بالقصد)** أي الإرادة **(في الأمور الذي هو مقدّمتها والمريد على موجب الاشتقاق)** بفتح الجيم **(من له إرادة كما أنّ العالم من له علم لأنّه من الأسماء المشتقة ولكن المريد في عرف هذه الطائفة من لا**

(قوله: فقال يوفقه لعمل صالح) أي بعيد عن المعطلات للأجور، وهو لا يكون إلا بالصدق والإخلاص في العمل، ومن الصدق محبة العبد أنْ لا يرى عمله غير من له العمل، قال أحمد بن أبي الحواري: من أحب أنْ يعرف بشيء من الخير ويذكر به، فقد أشرك في عبادته، وقال ابن أدهم: ما صدق الله من أحب الشهرة. **(قوله: ومن وفقه الله للتجرد تجرد)** أي فالاعتماد على ما سبق من التقدير بحكمة الرب الخبير، ونهاية الأمر أنّ الإرادة إمارة على الإرادة، فهي من قبيل قول سيد الكمل: «اعقل وتوكل». **(قوله: وإنما سميت هذه الصفة)** أي التي هي التجرد إرادة أي على معنى أنها مرادة له لأنّ الإرادة أي بمعنى القصد والعزم مقدمة كل أمر لسبقها واشتراط تقدّمها في كل عبادة تعتبر لها نية على أنّ قصد كل شيء لا بدّ منه في تحقق ذلك الشيء لأنه إذا لم يقصد لم يفعل كما صرح به الشارح، والحاصل أن تسمية ذلك التجرد إرادة فيه توسع بإطلاق اسم السبب على المسبب.

(قوله: ولكن المريد الخ) أي وذلك لأنّ العبادة من غير تجرد لا تثمر نفعاً، قال في لطائف المنن: اعلم أنّ مبنى أمر الولي على الاكتفاء بالله والقناعة بعلمه، والاغتناء بشهوده، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣] وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] وقال: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت: ٥٣] فمبنى أمورهم في بدايتهم على الفرار من

---

(١) أخرجه الترمذي (قدر ٨) وأحمد بن حنبل (٣، ١٠٦، ١٢٠، ٢٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (جهاد ١٠٢) وأبو داود (وتر ١) (علم ١٠) والترمذي (وتر ١) وابن ماجه (إقامة ١١٤) والدارمي (صلاة ٢٠٨).

إرادة له) أي لا اختيار له في نفسه، ولا تمييز لمراده وإنما تجرد لمراد الحق تعالى به ومنه.

(فمن لم يتجرد عن إرادته لا يكون مريداً) على طريقة هؤلاء **(كما أنَّ من لا إرادة له على موجب الإشتقاق لا يكون مريداً، وتكلم الناس في معنى الإرادة فكل عبر على حسب ما لاح لقلبه فأكثر المشايخ قالوا: الإرادة ترك ما عليه العادة)** لأنَّ من اجتهد في طلب الحق أعرض عن عاداته **(وعادة الناس في الغالب التعريج في)** أي الإقامة على **(أوطان الغفلة، والركون إلى اتباع الشهوة والإخلاد)** أي إدامة البقاء **(إلى ما دعت إليه المنية)** أي البغية **(والمريد منسلخ عن هذه الجملة)** أي التعريج، والركون والإخلاد إلى ما ذكر **(فصار خروجه)** عاداته **(إمارة ودلالة على صحة الإرادة فسميت تلك الحالة)** التي هو فيها **(إرادة وهي خروج عن العادة، فإذن ترك العادة إمارة الإرادة)** لا حقيقتها **(فأما حقيقتها فهي نهوض القلب في طلب الحق سبحانه،**

الخلق والانفراد بالملك الحق، وإخفاء الأعمال وكتم الأحوال، تحقيقاً لفنائهم وتثبيتاً لزهدهم وعملاً على سلامة قلوبهم، وحباً في إخلاص أعمالهم حتى إذا تمكن اليقين وأيدوا بالرسوخ والتمكين، وتحققوا بحقيقة الفناء وردّوا إلى وجود البقاء، فهناك إنْ شاء الله سبحانه أظهرهم هادين لعباده، وإنْ شاء سترهم فاقتطعهم من كل شيء إليه. **(قوله: وإنما تجرد لمراد الحق به ومنه)** أي فلا ينظر إلى ما سواه بشاهد أنَّه لو نظر له الحق بالرضا لا يضره نظر ما سواه بغيره، ولو نظر إليه بغير الرضا لا ينفعه نظر ما سواه به، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ١٧] وإن يردك بخير فلا راد لفضله قال بعضهم: يا مرائي قلب من ترائيه في يد من تعصيه فافهم.

(قوله: فمن لم يتجرد عن إرادته) أي اختياره بأنْ يتبرأ من حوله وقوّته، ويشهد الفضل لربه المحسن له لا يكون مريداً على طريقة هؤلاء أي في اصطلاح الصوفية وعرفهم، وقوله: كما أنَّ من لا إرادة له أي لا تجرد له على موجب الاشتقاق أي الأخذ على ما تقدّم لا يكون مريداً أي متجرداً، والحاصل أنَّ المتابعة وصف العبد والتجرد عن الاختيار والحول والقوّة رسمه وحقه المطلوب منه.

(قوله: على حسب ما لاح لقلبه) أي على قدر شربه، وحظه بمقتضى استعداده. **(قوله: قالوا: الإرادة ترك ما عليه العادة)** أقول: سيأتي أنَّ ذلك من إمارتها لا لبيان حقيقتها، وإلا فهي نهوض القلب في طلب الحق.

(قوله: وعادة الناس الخ) أي عادتهم بحسب ما جبلوا عليه من حب الراحات بموجب عمى الغفلات، واتباع الشهوات بدنيّ البشريات. **(قوله: والمريد منسلخ الخ)** أي وانسلاخه باعتبار تحققه بحقيقة أمره ونعته. **(قوله: فهي نهوض القلب الخ)** أي

ولهذا يقال: **إنها**) أي الإرادة (**لوعة**) أي حرقة في الفؤاد (**تهوّن كل روعة**) أي فزعة. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول**: حاكياً عن ممشاد الدينوريّ **أنه قال: مذ علمت أنّ أحوال الفقراء جدّ كلها**) لا هزل فيها (**لم أمازح فقيراً، وذلك أنّ فقيراً قدم عليّ فقال**) وكان به جوع: (**أيها الشيخ أريد أن تتخذ لي عصيدة فجرى على لساني إرادة**) أي تشتهي إرادة (**وعصيدة فتأخر الفقير**) أي فلما سمع منه الفقير ذلك أخذته غيرة وقولي حاله، وتأخر وانصرف (**ولم أشعر به فأمرت باتخاذ عصيدة، وطلبت الفقير، فلم أجده فتعرفت خبره فقيل لي: إنّه انصرف من فوره وكان**) عند انصرافه (**يقول في نفسه**:) أي مخاطباً لها (**إرادة وعصيدة إرادة وعصيدة، وهام على وجهه حتى دخل البادية، ولم يزل يقول هذه الكلمة حتى مات**) مقصوده بذلك أنّ الفقراء قلوبهم صافية مترقبة لما يرد عليها من الله، ولهذا قيل: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق لا بالعلم لغلبة الأحوال عليه، فإذا رفق العبد به حتى ينجلي عنه ما هو فيه نفعه وانتفع به، وإذا طالبه بالعلم وهو في غلبة الحال أهلكه، وهذا الفقير كان جائعاً، واحتاج إلى طعام وعرف من نفسه أنّه لا يمكنه ابتلاع الخشن، فقصد هذا الشيخ معتمداً على معرفته بعادات الفقراء وطلب منه ما يوافق جوعه، وهو العصيدة، فأجرى الله على لسان الشيخ إرادة وعصيدة، فسمعه الفقير فهام على وجهه فكان ذلك مع جوعه السابق سبب موته. (**وعن بعض المشايخ قال: كنت بالبادية وحدي فضاق صدري فقلت: يا إنس كلموني يا جن كلموني، فهتف بي هاتف أيش تريد**) من كلامهم (**فقلت: أريد الله تعالى فقال**) الهاتف: (**متى تريد الله تعالى يعني أنّ من قال للإنس والجن: كلموني متى يكون مريداً لله تعالى**) لأنّ من كان قلبه مجموعاً مع الحق لم يلتفت لإنس ولا جن ولا غيرهما من سائر المخلوقات، فعلم أنّ الإرادة

وسبب ذلك في الحقيقة سبق العناية الإلهية وإلا فهو كما أشار صاحب الحكم حيث قال: سوابق الهمم لا تخرق أسوار الأقدار. (**قوله: نهوض القلب في طلب الحق**) أي عزمه وتصميمه، وتوجهه بكليته إلى القيام في طلب مرضاة الحق تعالى.

(**قوله: لوعة الخ**) محصله أنّ الفقراء الصادقين في سيرهم إلى الله تعالى لا هزل عندهم بل كل ما سمعوه أخذوه على وجه الجدّ، وإنْ كان في ذلك هلاكهم، فلا ينبغي معهم استعمال الهزل أصلاً.

(**قوله: فالقه بالرفق**) أي الترفق وقوله: لا بالعلم أي المجرّد عن الرفق. (**قوله: نهام على وجهه**) أي لما فهمه من بقاء حظوظ النفس التي لا تجامع الإرادة. (**قوله: فقال الهاتف الخ**) يشير إلى أنّ من العطب التعرّض لغير الحق بالطلب فافهم.

(**قوله: فعلم أنّ الإرادة الخ**) مراده الكامل منها. (**قوله: لا يفتر**) أي كل منهما،

إفراد الحق بالقصد، والطلب والإعراض عن كل مشغل **(والمريد لا يفتر)** عن الإجتهاد في الطاعات **(آناء الليل والنهار، فهو في الظاهر)** متصف **(بنعت المجاهدات، وفي الباطن)** متصف **(بوصف المكابدات)** قد **(فارق الفراش ولازم الانكماش)** أي الإسراع إلى الطاعات أو التذلل والإستكانة **(وتحمل المصاعب، وركب المتاعب، وعالج الأخلاق ومارس المشاق، وعانق الأهوال، وفارق الأشكال كما قيل)** في معنى ذلك، **(ثم قطعت الليل في مهمه)**. أي مفازة بعيدة **(لا أسد أخشى ولا ذيباً * يغلبني شوقي فأطوي السرى)**. أي السير ليلاً **(ولم يزل ذو الشوق مغلوباً * سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله تعالى يقول: الإرادة لوعة)** أي حرقة **(في الفؤاد لدغة)** بالمهملة، ثم المعجمة أي حرقة **(في القلب غرام في الضمير انزعاج في**

وذلك باعتبار الشأن فيهما. **(قوله: فهو في الظاهر)** محصله أنّه مستعمل للجوارح الظاهرة منه في جهاد العبادة، وللباطنة في مكابدتها فراق المألوف، والعادة مع إخلاص الصدق له تعالى فيهما. **(قوله: فارق الفراش)** أي عملاً بقوله جل جلاله: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] وقوله: ولازم الإنكماش أي استعمل طريق الخفاء بعداً عن الظهور والشهرة، وذلك أظهر مما درج عليه الشارح كما لا يخفاك.

(قوله: وعالج الأخلاق) أي عالج تبديل الذميم منها بالحميد، وقوله: ومارس المشاق أي تحملها واصطبر على مضارها ومؤلماتها، وعانق الأهوال أي لابسها ولم يجزع منها، وقوله: وفارق الأشكال أي الأمثال شغلاً عنها بخالقها، وقوله: كما قيل: الخ التشبيه في مطلق ترك المألوف وعدم المبالاة بأسباب الفزع، والخوف. **(قوله: ثم قطعت الليل في مهمه الخ)** إنما خص الليل بالذكر لأنَّ الفزع والوحشة فيه أشدّ منهما في النهار، وقوله: لا أسد أخشى الخ أي على ما هو شأن أمثاله ممن غلب عليهم جلال الحق تعالى حتى لا يخافوا غيره، وقوله: يغلبني شوقي أي يزيد اشتياقي وغرامي حتى لا تقوى طبيعتي على تحمله، فأطوي السرى أي السير ليلاً، وذلك في طلب وصولي إلى من أحبه غير أنه لما كان شأن أمثالي عدم المصابرة لبعد منازل الأحبة، وعدم الاستعداد بالزاد، وغير ذلك لزم الاعتراف بالانقطاع عن اللحوق، قلت: ولم يزل ذو الشوق مغلوباً فافهم.

(قوله: الإرادة لوعة) أي سببها لوعة أي حرقة في الفؤاد وشغاف القلب، وقوله: لدغة أي احتراق بنار الشوق إلى لقاء المحبوب، وقوله: غرام في الضمير أي هيام واضطراب وقلق سببه محبة مشاهدة الأحباب، وقوله: نيران تتأجج أي نيران أشواق يزيد توقدها ولهبها في القلوب، وسببها الشوق إلى الوصول، وبلوغ المأمول.

الباطن نيران تتأجج) أي تتلهب **(في القلوب)** كل من هذه المذكورات يصلح أنْ يعبر به عن الإرادة لأنّه يدل على كمال الإحتراق في الطلب، وكمال الشوق في تحصيل الأرب، والإعراض عن كل قاطع من حظ أو سبب.

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت أبا بكر السباك يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: كان بين أبي سليمان) الداراني **(وأحمد بن أبي الحواري عقد لا يخالفه أحمد في شيء يأمره به، فجاءه يوماً وهو يتكلم في مجلسه)** بالمواعظ **(فقال)** له: **(إنَّ التنور)** وهو ما يخبز فيه **(قد سجر)** ببنائه للمفعول أي حمي **(فما تأمر)** بما يفعل فيه **(فلم يجبه فقال)** له ذلك أحمد**(مرّتين أو ثلاثة فقال)** له **(أبو سليمان: اذهب فاقعد فيه كأنه)** أي أبا سليمان **(ضاق به)** أي بما قاله أحمد: **(قلبه)** أي قلب أبي سليمان حتى قال: اذهب فاقعد فيه أو كان أحمد ضاق قلبه بقول أبي سليمان ذلك.

(وتغافل عنه أبو سليمان ساعة ثم ذكر) أي تذكره **(فقال: ادركوا)** وفي نسخة اطلبوا **(أحمد فإنه في التنور لأنّه آلى)** أي حلف **(على نفسه أنْ لا يخالفني)** في شيء **(فنظروا فإذا هو في التنور لم تحترق منه شعرة)** كأنه كان يعلم من حال أحمد أنّ العادة انخرقت له في أنّ النار لا تؤثر فيه، فأمره بذلك وامتثل أحمد، وفائدة حكاية ذلك تعريف الناس منزلة أحمد ورفعة مقامه ليقتدي به من بعده، وطلب كمال الجدّ والإمتثال لأوامر المشايخ في السلوك.

(وسمعت الأُستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول: كنت في ابتداء صباي محترقاً) أي شديد الطلب **(في الإرادة، وكنت أقول في نفسي: ليت شعري ما معنى الإرادة)** حتى نالني منها طرف فاشتد طلبي لها.

(وقيل) لي: **(من صفات المريدين)** عشرة أشياء **(التحبب إليه)** تعالى **(بالنوافل)**

(قوله: يقول: كان بين أبي سليمان الخ) أقول: القصد من إيرادها بيان أن ثمرة الصدق في الإرادة هي خرق العادة وبيان قوّة الامتثال حتى وصل بذلك إلى مقام الكمال. **(قوله: كأنه كان يعلم الخ)** أي فلا يقال إنّه قد أمره بمحرم.

(قوله: كنت في ابتداء صباي الخ) الغرض من ذكر هذه القصة بيان ما يلزم المريد في ابتداء سيره إليه سبحانه وتعالى. **(قوله: عشرة أشياء الخ)** الحصر فيها إضافي بالنسبة لبعضهم، فلا ينافي اعتبار زيادة عليها بالنسبة لبعض آخر.

(قوله: التحبب إليه تعالى بالنوافل) أي زيادة عن أَداء الفرائض كما هو معلوم

لأنها الموعود عليها بالمحبة منه في خبر «ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه»[1]، **(والخلوص في نصيحة الأمة)** المترتب عليه ثواب نفعهم **(والإنس بالخلوة)** لخلوص الطاعة من التفات القلب إلى ما يطرق الأذن من الأخبار **(والصبر على مقاساة الأحكام)** ليتحقق به مخالفة عادات العبد **(والإيثار)** منه **(لأمره)** تعالى على ما يميل إليه هواه، **(والحياء من نظره)** تعالى إليه، وذلك حيث يستشعر نظره إليه في سائر أحواله، فيسلم من أنْ يراه مولاه في حالة لا يرضاها، **(وبذل المجهود في)** طلب **(محبوبه)** تعالى من فعل مأموراته بأنْ يجتهد في أنْ لا يخطر بقلبه في سائر تصرفاته غير ربه تعالى، **(والتعرض لكل سبب يوصل إليه)** أي إلى محبوبه، **(والقناعة بالخمول)** ليسلم من آفات الشهرة وما يدخل عليه من تشويش الخلق، وتعلقهم به إذا

بشاهد علم الشريعة. **(قوله: والخلوص)** أي الإخلاص في نصيحة الأمة أي بلا فرق بين قريب وحبيب وغيرهما. **(قوله: والإنس بالخلوة)** أي الاستئناس بها، والوحشة من الاجتماع مع الأمثال الشاغلين عن الحق تعالى.

(قوله: والصبر الخ) أي حبس النفس على الرضا بما يجري به القضاء بالحكمة العلية. **(قوله: ليتحقق به مخالفة عادات العبد)** أي من مثل النفرة من الكريه بشاهد بقاء النفوس.

(قوله: والإيثار منه لأمره تعالى) أي فلا يكون له مراد في ذاته، ولا رجوع إلى مألوفاته، وذلك لقوله ﷺ لعبد الرحمن بن سمرة: «لا تطلب الإمارة فإنَّك إنْ أعطيتها من غير مسألة أعنت عليها، وإنْ أعطيتها عن مسألة وكلت إليها» العبرة فيه بعموم الطلب حيث هو من مظان العطب، فمن تحقق بالعبودية لله لم يطلب شيئاً غير ما أراده مولاه، والحاصل أنَّ معنى الإيثار لأمره تعالى تقديم ما للحق تعالى على ما للنفس والهوى.

(قوله: والحياء من نظره تعالى إليه) أي بواسطة التمكن في مقام المراقبة له تعالى والله أعلم. **(قوله: وبذل المجهود في طلب محبوبه)** أي غاية الاجتهاد والجد في فنائه عن نفسه ليصل إلى فضل ربه. **(قوله: والتعرض لكل سبب الخ)** أي تعطي الأسباب الموصلة إليه تعالى مع البعد عمن يبعده عنه. **(قوله: والقناعة بالخمول)** أي الرضا بالخمول، والخفاء ليسلم من شر الظهور، والشهرة، لأنَّ كل شيء عند الله وله وبحسب ذلك، فلا ينظر العبد لشيء سواه تعالى إذ من المحال أنْ تراه وتشهد معه سواه. ولله در من قال:

مذ عرفت الإله لم أر غيراً ... وكذا الغير عندنا ممنوع
مذ تجمعت ما خشيت افتراقاً ... فأنا اليوم واصل مجموع

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨) وأحمد بن حنبل (٦، ٢٥٦).

عرفوا مقامه ورفعة منزلته عند ربه، **(وعدم القرار بالقلب)** بأنْ يكون خائفاً من ربه **(إلى أنْ يصل إلى الرب)** سبحانه. **(وقال أبو بكر الوراق: آفة المريد)** القاطعة له عن الإرادة **(ثلاثة أشياء: التزويج)** بمعنى التزوج لأنه إذا تعلق قلبه بالزوجة فربما أسرع إليه الفساد لا سيما إذا حدث بينهما أولاد **(وكتبة الحديث)** يعني التفرغ لكتابته وقراءته ودرسه وإنْ كان فيها فضل لأنها تشغله عن القيام بما يخصه من إصلاح قلبه وجوارحه واستقامته مع ربه في إخلاصه، **(والأسفار)** لأنها تشغل القلب سواء لاقى فيها الأشرار لأنَّ ملاقاتهم تورث التغيير وفساد القلب أم الأخيار لأنَّ ملاقاتهم تورث التزين لهم والمراآت بإظهار أعمالهم، **(وقيل له: لم تركت كتابة الحديث، فقال منعتني عنها الإرادة)** لما بينهما من المنافاة كما علم مما مر، **(وقال حاتم الأصم: إذا رأيت المريد يريد غير مراده)** بأنْ نسب نفسه إلى شيء وزعم أنَّه من أهله ثم تبين من باطنه خلاف ما أظهر وسلك طريقاً غير موصلة إلى مقصوده الذي أظهره **(فاعلم أنّه قد أظهر نذالته)** أي خبث باطنه وسوء سريرته التي أخفاها وأظهر غيرها، فإذا ادّعى الإرادة وسلك ضد طريقه من التواني والكسل والمحبة للدنيا وطول الأمل فقد أظهر من أخلاقه ما لا يحسن ظهوره، واطلع الناس على سوء سريرته. **(سمعت محمد بن الحسين)** رحمه الله **(يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الكتانيّ يقول: من حكم المريد أنْ يكون فيه ثلاثة أشياء: نومه غلبة، وأكله فاقة، وكلامه ضرورة)** لأنَّ المريد المجند يصرف عنه كل ما لا حاجة له به لخبر «من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[1]

فالمعرفة تحقق العارف بما يقتضيه جلال معروفه حتى يصير ذلك التحقق كأنّه صفة له لا يتحول عنه، ولا يتزحزح، وبحسب ذلك فيكون نصب قلبه في كل وقت، وعلى كل حال. **(قوله: وعدم القرار بالقلب)** أي عدم استقرار القلب وسكونه لمقام من المقامات لأنَّ السكون لكل كمال حجاب عما وراءه من الكمالات.

(قوله: آفة المريد ثلاثة أشياء) أي من حيث ما للنفس في ذلك من الحظ أما إذا صدرت للامتثال مع مراعاة حق الحق تعالى فلا بأس ولا ضرر بل فيها الجزاء الجميل. **(قوله: لما بينهما من المنافاة الخ)** قد علمت أنّه لا منافاة مع انتفاء حظ النفس. **(قوله: إذا رأيت المريد الخ)** مراده الحث على طريق مساواة الباطن للظاهر لأنَّ خلاف ذلك من شيم المنافقين، قال ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي المنافق عليم اللسان»[2]. **(قوله:**

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ١١) وابن ماجه (فتن ١٢) والموطأ (حسن الخلق ٣) وأحمد بن حنبل (١، ٢٠١).

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل (١، ٢٢، ٤٤).

والذي لا يعنيه هو الذي لا حاجة له به في تحصيل مراده الذي يبغيه.

(وسمعته) أيضاً **(يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجنيد يقول: إذا أراد الله تعالى بالمريد خيراً أوقعه إلى الصوفية)** الذين صفوا وخلصوا من الأخلاق الذميمة واتصفوا بالحميدة، **(ومنعه صحبه القراء)** المقتصرين على التعبد من غير اعتناء بتغيير أخلاقهم الذميمة بالحميدة **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت الرقي يقول: سمعت الدقاق يقول: نهاية الإرادة أنْ تشير إلى الله تعالى فتجده مع الإشارة)** بأن يجري عليك ما أراده وما أشرت إليه فيه، **(فقلت)** له: **(فإيش)** أي فأي شيء **(يستوعب الإرادة)** بحيث لا يكون للعبد في حصول مطالبه اختيار ولا إشارة؟ **(فقال: أنْ تجد الله تعالى بلا إشارة)** بأنْ يجري عليك جميع ما تحتاجه من غير طلب، أو بأنْ يكون دائم النظر إليك والمراقبة لك في سائر أحوالك بلا سبب. **(سمعت محمد بن عبد الله الصوفي)** رحمه الله **(يقول: سمعت عباس بن أبي الصحو يقول: سمعت أبا بكر الدقاق يقول: لا يكون المريد مريداً حتى لا يكتب عليه صاحب الشمال)** ذنباً **(عشرين سنة)** مثلاً بأن

نومه غلبة الخ) أي لأجل أنْ يتفرغ لما خلق له، وقوله: وأكله فاقة أي بعد سبق جوع يشبه الفاقة، وذلك لما في كثرة الأكل من قسوة القلب، وفتور البدن عن العبادة، وقوله: وكلامه ضرورة أي لأنَّ من كثر لغطه كثر سقطه مع أنَّ آفة اللسان أشدّ الآفات، فهو وإنْ صغر جرماً غير أنه عظيم جرماً. **(قوله: إذا أراد الله تعالى الخ)** أقول: وذلك مسلم، فإنَّ للقرين والصاحب تأثيراً في التخلق أيّ تأثير كما هو مشاهد، فعلى العاقل أنْ يتخير له قريناً يعينه على ما به صلاحه في العاجل والآجل.

(قوله: ومنعه صحبة القراء الخ) أنتَ خبير بأنَّ المراد بالقراء المحافظون على أحكام الشريعة والعمل بها كما ذكره الشارح، وحينئذٍ فكيف يكون الحال في قراء الزمن الذي نحن فيه؟ فيلزم الفرار منهم كالفرار من المجذوم وكالفرار من الأسد.

(قوله: نهاية الإرادة الخ) أقول: ويدل على ذلك قول الله تعالى لموسى: فيما حكي عنه: «كن كما أريد أكن لك كما تريد». **(قوله: فقال: أنْ تجد الله تعالى بلا إشارة)** أقول: ولا يتم ذلك إلا بالغنى عن غيره تعالى بحيث يشهد الحق بلا خلق لاندراج حكم الفعل في الصفة من حيث أنه أثرها وبذلك لا يبقى خبر عن الفعل من حيث هو والصفة مضافة لموصوفها، فليس إلا هو وحده وذلك عين الغيبة عن كل شيء به تعالى لرجوع كل شيء إليه، فإذا كان كذلك فيجد العبد ربه بلا إشارة فافهم.

(قوله: حتى لا يكتب عليه الخ) أي وذلك لقوة محافظته بشدّة مراقبته لجلاله

يحفظ من الزلل أو يعقبها بالتوبة قبل أنْ تكتب عليه، فقد جاء في خبر أنَّ كاتب اليمين له نظر على كاتب الشمال، فإنْ زل العبد زلة أمره أنْ يمهل عليه فإنْ تاب لم يكتب وإلا كتبها، **(وقال أبو عثمان الحيري: من لم تصح إرادته بدارا)** أي ابتداء **(لا يزيده مرور الأيام عليه إلا إدباراً)** لأنَّ البناء إنما يكون على أساس صحيح، فمن لم يكن أساس طاعاته على الخوف، والرجاء، والصدق، والإخلاص، وكمال المعرفة بالله ونحوها لم يزده طول الأيام إلا خروجاً عن الطريق، **(وقال أبو عثمان)** أيضاً: **(المريد إذا سمع شيئاً من علوم القوم فعمل به صار)** مسموعه **(حكمة في قلبه إلى آخر عمره ينتفع به)** لأنَّ عمل العبد بالعلم يطلعه على ما فيه من الآفات فيحترز منها فينتفع بعلمه.

(ولو تكلم به) أي بمسموعه **(انتفع به من سمعه ومن سمع شيئاً من علومهم ولم يعمل به كان)** ما سمعه **(حكاية يحفظها أياماً ثم ينساها)** فلا يفيده ذلك شيئاً.

(وقال الواسطي: أول مقام المريد إرادة) أي اختيار إرادة **(الحق سبحانه بإسقاط إرادته)** أي اختياره بأنْ يرضى بإختيار ربه له لما مر من أنَّ المريد من لا إرادة له، **(وقال يحيى بن معاذ: أشد شيء على المريدين معاشرة الأضداد)** لأنَّ ضدّك من لا يجامعك على مقصود لأنه يريد خلاف ما تريده. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا القاسم الرازيّ يقول: قال يوسف بن الحسين: إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص)** التي فيها ترك مندوب أو فعل مكروه **(والكسب**

تعالى. **(قوله: بأنْ يحفظ من الزلل)** أي وذلك لا يكون إلا بمعونته تعالى لعبده وحفظه له. **(قوله: من لم تصح إرادته الخ)** أي فالاعتبار في النهايات إنما هو أحكام البدايات، فمن قوي عزمه في التجرد ابتداء ثبت تحققه انتهاء.

(قوله: على الخوف والرجاء) أي حتى لا يقنط بغلبة سطوات الخوف، ولا يفرط بأنس بسط الرجاء، فيستعمل كلاً من الخوف والرجاء بشاهد علم الشريعة. **(قوله: المريد إذا سمع شيئاً الخ)** حاصله أنَّ حقيقة الحكمة لا تثبت لغير عامل بعلمه على متن الطريقة أما العامل بعلمه المذكور فيثبت له ذلك بواسطة زيادة أنوار الأعمال الواقعة منه حسبما سمع. **(قوله: أوّل مقام المريد)** أي الكامل المتحقق بمقام الرضا والتسليم لما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه. **(قوله: معاشرة الأضداد)** أي ولا سيما إذا كان لا بدّ من معاشرتهم، وأشق من ذلك إذا كلف مصادقتهم، ولذا أشار المتنبي حيث قال:

ومن نكد الدنيا على المرء أنْ يرى ... عدوّاً له ما من صداقته بدّ

فليس يجيء منه شيء) يعتد به وإنْ كان ذلك جائزاً لا إثم فيه، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت جعفر الخلدي يقول: سئل الجنيد ما للمريدين في مجاراة الحكايات) الخارقة للعادة مما وقع للصالحين؟(فقال: الحكايات جند من جنود الله تعالى يقوّي بها قلوب المريدين) فإنَّها تتأثر بها، وتقوى به على اليقين (فقيل له: فهل لك في ذلك شاهد؟ فقال: نعم قوله عز وجل: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾)[هود: ١٢٠] وقد قص الله في كتابه على نبيه ﷺ ما جرى لآدم وإبراهيم ونوح، وعاد، وثمود وغيرهم، وأنَّ العاقبة لهم، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت الجنيد يقول: المريد الصادق) في الإرادة (غني عن علم العلماء) الذي لم تدعه إليه حاجة في إصلاح دينه، أما ما دعت إليه حاجته في ذلك، فهو واجب عليه، وأما علوم الشريعة التي هي فرض كفاية فإنْ قام بها غيره مسقط عنه القيام بها، وإلا فلا، هذا في بيان المريد. (فأما الفرق بين المريد والمراد) بالنظر إلى إصطلاحهم، فهو ما يأتي عقب بيان ما بينهما بالنظر إلى الوجود، وهو ما ذكره بقوله: (فكل مريد على الحقيقة مراد إذ لو لم يكن مراد الله تعالى بأنْ يريده) أي بإرادته له (لم يكن مريداً إذ لا يكون) أي يوجد (إلا ما أراده الله عز وجل، وكل مراد مريد لأنَّه) أي المراد (إذا أراده الحق سبحانه بالخصوصية وفقه للإرادة)، فبينهما تلازم في الوجود (ولكن القوم فرقوا بين المريد والمراد، فالمريد عندهم هو المتبدىء والمراد هو المنتهي و) يقال أيضاً: (المريد) هو

(قوله: الكسب) مراده به الكسب المشغل عن طريق الحق لا مطلق الكسب.

(قوله: فقال: الحكايات جند الخ) يؤخذ منه أنَّ مجرد حفظها ونقلها مع سكون القلب، ودوام نومه، وغفلته، والبقاء مع حظوظ الشهوة من القواطع للعبيد إذ لا فائدة في ذلك بل فيه الضرر بزيادة قيام الحجج.

(قوله: غني عن علم العلماء) أي لتقدم اشتغاله به حتى صح عمله وتحقق اسم المريد له، فشغله بالعمل بعلمه المتقدم يثمر له علوماً أخر بطريق الفيض كما يشير إلى ذلك خبر «من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يكن يعلم»، فحينئذ يستغني عن علم العلماء. (قوله: فأما الفرق بين المريد والمراد) محصل الفرق مختلف بحسب اختلاف مذاهبهم، فكل قد تكلم على قدر شربه وذوقه فيه كما سيتضح من بقية كلامه، وقوله: عقب بيان ما بينهما أي ما بين المريد والمراد بالنظر إلى الوجود أي من التلازم عند تحقق حقيقة المريد والتباين عند خلاف ذلك.

(قوله: ويقال أيضاً المريد هو الذي الخ) أي فالمريد هو المبتدىء الباقي إحساسه

(**الذي نصب بعين التعب وألقى في مقاساة المشاق والمراد**) هو (**الذي كفى بالأمر من غير مشقة فالمريد**) على هذا (**متعن، والمراد مرفوق به مرفه**) ويعبر عن هذا بأنَّ المريد هو المتعنى في السلوك، والمراد هو الملطوف به المعان، (**وسنة الله تعالى مع القاصدين**) رضي الله عنهم (**مختلفة فأكثرهم يوفقون**) أولاً (**للمجاهدات**) في سلوكهم (**ثم يصلون بعد مقاساة اللتيا والتي**) هما اسمان للداهية قاله الجوهري: (**إلى سنى المعالي**) أي رفيعها (**وكثير منهم يكاشفون**) بفتح الشين (**في الابتداء بجليل المعاني**) أي عظيمها بما يخلقه الله في قلوبهم من المعرفة والشوق (**ويصلون إلى ما لم يصل إليه كثير من أصحاب الرياضات، إلا أنَّ أكثرهم يردّون إلى المجاهدات بعد هذه الأرفاق**) جمع رفق (**ليستوفي منهم ما فاتهم من أحكام أهل الرياضة**) ليس مراده أنَّهم يردون إلى ما خرجوا منه من الأخلاق الذميمة والأعمال الشاقة بل مراده أنَّهم يلقون في مقاماتهم العالية من المجاهدات، وملازمة الآداب، والامتحان في ذلك ما لقيه أرباب البدايات في بدايتهم، فإنَّ كل مقام عال لا بد له من موانع تصد عنه. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول**:) في الفرق بين المريد والمراد (**المريد متحمل**) للمشاق لأنَّه في طريق المجاهدات (**والمراد محمول**) عنه تلك المشاق، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول**) في الفرق بينهما: (**كان موسى عليه السلام مريداً فقال**:) أي

بالعادات والمألوفات، والمراد هو الفاني عن النفس وعن عاداتها ومألوفاتها وبذلك كان مرفوقاً به تسهل عليه المكابدات والمجاهدات بخلاف المريد كما لا يخفى.
(**قوله: وكثير منهم الخ**) أي والسبب في ذلك مجرد العناية الإلهية لحكمة يعلمها الله تعالى. (**قوله: لا بد له من موانع**) أي فيستعين عليها صاحب المقام بالمجاهدات.
(**قوله: المراد محمول**) أقول: وسبب ذلك أنَّه آثر الله تعالى على ما سواه، فاستحق الإعانة منه تعالى على مقاصده، وسبب ذلك الإيثار غرس الله محبته في سويداء قلبه إذ حقيقة المحبة أخذ جمال المحبوب لحبة القلب حتى لا يبقى فيه بقية لغيره في حال من الأحوال، ولذا قال بعضهم: المحبة الإيثار مع دوام الحنين إلى المحبوب، فالولي هو العارف بالله الفاني فيه المحب له، فمن ليس له نصيب من هذه فليس له في الولاية من نصيب.

(**قوله: كان موسى الخ**) منه يعلم أنَّ العبرة بعناية الحق بعبده لا بعلو الهمة والقصد ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٧٤] قال أبو العباس في بعض مناجاته: يا قريب أنتَ القريب، وأنا البعيد قربك مني آيسني من غيرك، وبعدي عنك ردني للطلب منك، فكن لي بفضلك حتى تمحو إراداتي بإرادتك يا قوي يا عزيز اهـ.

فإنَّه قال: ﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي﴾ [طه: ٢٥] الآية سأله ذلك لما لقيه عند اجتماعه بفرعون وما يعرفه من غلظته كما قال في محل آخر: ﴿إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ﴾ [طه: ٤٥] (**وكان نبينا ﷺ مراداً فقال الله:**) أي فإنَّ الله (**تعالى**) قال له: (﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝ ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾) [الشرح: ١ - ٤] أي شرحناه لك بالنبوّة وغيرها فشرحه له، ولم يسأله فيه، (**وكذلك قال موسى عليه السلام**) لما تقدم له من سماع الكلام الأزليّ، ونيل تلك الحالة العظيمة: (﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ: لَن تَرَىٰنِي﴾) [الأعراف: ١٤٣] سأله الرؤية لكمال النعمة، فأعلمه أنّه لا قدرة له عليها (**وقال لنبينا ﷺ:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥]، **فرآه ولم يسأله وكان أبو علي يقول: أنَّ المقصود**) بالاستدلال (**قوله: ألم تر إلى ربك وقوله: كيف مدّ الظل ستر للقصة وتحصين للحالة**) أي لحالة الرؤية وظاهر أنَّ الآية ليست صريحة في أنّه رآه لاحتمال أنَّ المراد ألم تر إلى فعل ربك وقد اختلفوا في رؤيته ليلة المعراج والصحيح أنّه رآه، وبالجملة فهو ﷺ أفضل الخلق وإنْ لم تدل الآية على رؤيته، وأما قوله: «لا تفضلوا بين الأنبياء»[1] وقوله: «لا تفضلوني على يونس بن متى»[2] ونحوهما فأجيب عنها بأنّه نهي عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص بعضهم أو عن تفضيل في نفس النبوّة التي لا يتفاوت فيها لا في ذوات الأنبياء المتفاوتين بالخصائص، وقد قال

والغرض بيان فضيلة سيدنا محمد ﷺ على سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام بأنَّ نبينا منح المطالب العالية بدون طلب منه لفنائه في مرادات ربه، ولم يكن كذلك موسى.

(**قوله: وكان أبو عليّ يقول: الخ**) محصله أنَّ المقصود حمله ﷺ على الإقرار بالرؤية الثانية، وقوله: كيف مد الظل من قبيل ستر القصة عن غير الأهل لأجل تحصين حالته عليه الصلاة والسلام عن المعارضات الباطلة.

(**قوله: لاحتمال الخ**) أقول: التقدير خلاف الظاهر وإنْ كان محتملاً. (**قوله: والصحيح أنّه رآه**) أي بعيني رأسه بلا كيف. (**قوله: عن تفضيل يؤدّي الخ**) أي لأنّه حينئذ

---

(١) أخرجه البخاري في (الصحيح ٤/ ١٩٤) ومسلم في (صحيحه الفضائل ب ٤٢ رقم ١٥٩) والطحاوي في (مشكل الآثار ١/ ٤٥٢) والقاضي عياض في (الشفا ١/ ٤٣٩)، والبغوي في (شرح السنة ١٣/ ٢٠٤) والبيهقي في (دلائل النبوة ٥/ ٤٩٢، ٤٩٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٢٣٧٣) (ومناهل الصفا ٢٢، ٣٥) والعلي الغفار في (مختصر العلو ١٠٨).

(٢) أخرجه القاضي عياض في (الشفا ١/ ٢٦٥) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٢/ ١٠٥) و (مناهل الصفا ٢٢).

تعالى: ﴿فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٢١] أو نهى عن ذلك تأدباً وتواضعاً أو نهى عنه قبل علمه بأنّه أفضل، ولهذا لما علم قال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» والمراد آدم وولده وسائر الخلق.

(وسئل الجنيد رحمه الله عن) الفرق بين **(المريد والمراد فقال: المريد تتولاه سياسة العلم)** بأنْ يجاهد نفسه ويروضها في أعمال قلبه وجوارحه بعلم الشريعة، وبذلك يكون محفوظاً عن الزيغ **(والمراد تتولاه رعاية الحق)** تعالى بأنْ يلطف به ويحفظه من الكسل والفتور، ومعلوم أنَّ من حفظ بالشريعة حفظ برعاية الحق، لكن المراد أنَّ رعاية الحق المراد أبلغ، وإعانته له أعم وأسبغ **(لأنَّ المريد يسير)** في مجاهداته من خط مؤلف الحاشية عقب البيت، والله سبحانه وتعالى أعلم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

(قد تم الجزء الأوّل من النتائج الفكرية على الرسالة القشيرية بحمد الله وعونه، ويليه إنْ شاء الله تعالى الجزء الثاني منها، ومبدؤه الكلام على الاستقامة انتهى، وهذه تسويد للتجريد، فمن اطلع فيها على تحريف أو خطأ فليصلح ما اطلع عليه حيث المشغلات كثيرة، والهمم ضعيفة أو عديمة، والحول والقوّة لله، والعصمة والحفظ لرسول الله وأولياء الله كاتبه عروسي عفى عنه) وهذا على تقسيمه. اهـ.

(والمراد يطير) في حسن إعانة الله له **(فمتى يلحق السائر الطائر)** لا يلحقه **(وقيل: أرسل ذو النون)** المصريّ رحمه الله **(إلى أبي يزيد رجلاً وقال له: قل له: إلى متى النوم والراحة وقد جازت القافلة فقال)** له **(أبو يزيد: قل لأخي ذي**

يكون محرماً وربما كان كفراً. **(قوله: «أنا سيد ولد آدم»)** أي وكذا آدم بالأولى إذ في أولاده من هو أفضل منه. **(قوله: والمراد تتولاه الخ)** أي لترقيه إلى التبري من الحول والقوّة، وشهود الفضل لربه سبحانه وتعالى. **(قوله: والمراد يطير)** أي لأنَّ العبد قد يترقى بفكر ساعة إلى ما لا يصل إليه غيره في أعوام مع الجد في العمل. **(قوله: من ينام الليل كله الخ)** أي فخلقه كان محمدياً وله الإشارة بخبر: «نحن معاشر الأنبياء تنام أعيننا، ولا تنام قلوبنا». **(قوله: ولا تقله علومنا)** أي لا تتحمله لعدم ذوقه لنا. **(قوله: فذو النون الخ)** أي فكل قد أصاب حيث سلك طريق الأحباب وإنْ اختلفت المنازل على حسب منح الفضائل، ولله در البوصيريّ حيث قال:

وكلهم من رسول الله ملتمس ... غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

النون: الرجل من ينام الليل كله ثم يصبح في المنزل قبل) وصول (**القافلة**) إليه (**فقال ذو النون: هنيئاً له هذا كلام لا تبلغه أحوالنا**) ولا تقله علومنا إذ علو الدرجة إنما يحصل بحفظ الله ورعايته، فذو النون حرض على كمال المجاهدة في الأعمال ليدرك السابقين، وأبو يزيد أشار إلى التوحيد وجمع الهمة إلى الله تعالى في السلوك والتبري من الحلول والقوّة، وبذلك علم ما بين المقامين وأنَّ الأوّل واقف مع نفسه ومجاهدته والثاني متبرىء مما ذكر، وكلام الأوّل إشارة إلى المريد، وكلام الثاني إشارة إلى المراد والله أعلم.

باب الاستقامة

هي لغة: ضد الاعوجاج، واصطلاحاً: الاعتدال في السلوك عن الميل إلى

باب الاستقامة

(قوله: باب الاستقامة) أقول: سئل بعضهم عن الطريق المقربة منه سبحانه وتعالى فأجاب بقوله: اعلم أنَّ الأمور مبتدؤها، والذي لا ينتفع بشيء إلا به العقل الذي جعله الله نوراً لخلقه وزينة لهم، فيه يعرف العباد خالقهم، وإنَّهم مخلوقون وأنه المدبر، وهم المدبرون، وأنّه الباقي وهم الفانون، واستدلوا به، فعرفوا الحسن من القبيح، وعلموا أنَّ الظلمة في الجهل، والنور في العلم، واستدلوا به على أنَّ الخالق لم يخلق عبثاً، ولا لعباً، وبه علموا أنَّ للخالق محبة وكراهية وطاعة ومعصية، وعلموا به أنَّهم لا يتوصلون إلا بالعلم أعني علم ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه من الأمر والنهي، والوعد، والوعيد، وغير ذلك، وعلموا أنَّهم لا ينتفعون بالعلم دون الإيمان، فيعلم أنَّ الله هو الحق وما سواه باطل، وعلموا أنَّهم لا ينتفعون بالإيمان بدون طاعة وبعد عن معصية، وعلموا أنَّ كلفة الأعمال لا تخف على الأنفس إلا بالصبر عليها، وعلموا به أنَّ ثقل الصبر إنما يخففه الرضا عن الله تبارك وتعالى بكل ما صنع بهم واختاره لهم وساقه إليهم، وعلموا به أنَّ الرضا إنما يتم لهم بالزهد في الدنيا والورع فيها، وعلموا به أنَّ ذلك لا يتم لهم إلا بالصدق، وعلموا به أنَّ الصدق لا يقوى إلا باليقين والثقة وعد به سبحانه وتعالى على لسان رسله، فعلم من كلامه نفعنا الله ببركات علومه أنَّ رأس أمر العبادة العقل، والدليل العلم، والنور الإيمان، والسائق العمل، والمقرب الصبر، فمن لم تكن له قوّة على الصبر ضعف ومن ضعف لم يعمل، ومن لم يعمل لم يتم نوره وبقي في ظلمة، ومن ذهب عنه النور عمي وحاد عن الطريق، ومن لم يبصر فليتبع الدليل، وهو القرآن يهدي الله لنوره من يشاء، والله أعلم.

واعلم أنَّ الاستقامة قد تكون مما طبع عليه بعض العبيد لسبق عناية الله تعالى بهم لكونهم بسابق القضاء على وجه الحكمة من سعداء الدارين المحبين المحبوبين، وقد نظر ما بعد نفوذ القضاء، والقدر بالنسبة للبعض الآخر، وعلى كل حال فدوامها من أكبر أسباب السعادة رزقنا الله تعالى وأحبتنا الاستقامة ودوامها حتى نلقاه آمنين من جميع

جهة من الجهات، ويقال: هي أنْ لا يختار العبد على الله شيئاً ويقال غير ذلك،

المخاوف، ثم اعلم أنَّ الإمام الأجلّ أبا بكر عتيق السمنطاريّ نفعنا الله ببركات علومه ذكر فصلاً جامعاً في الاستقامة وكيفية السلوك رأيت نقله لكثرة فرائد فوائده. قال رضي الله عنه: فصل جامع في السير إلى المولى عز وعلا، فأوّل الاستقامة أنّهم بدأهم الله تعالى بالإرادة لهم في سابق علمه قبل أنْ يخلقهم فعلم منهم أنّهم أولياؤه وأحباؤه وأصفياؤه، وهو الذي لذلك أهلهم، ولم يزل بعد راض عنهم لسابق اصطفائه لهم، وإنْ كان بعضهم معرضاً عنه زماناً ومشتغلاً بغيره أحياناً، فمنهم من أنشأه براً طاهراً وأحسن شأنه باطناً وظاهراً، ثم أقامه على أكمل الطاعات إلى أنْ قبضه إليه، ومنهم من أنشأه كافراً ودون ذلك أو قضى ببعض الذنوب عليه كذلك، فلما جاء أجل التوبة عليهم جرت الخيرات مسرعة إليهم فكشف لهم مولاهم عن قلوبهم صداها، وأنزل فيها نور هداها، ففتحوا أبصار القلوب ومدّوها إلى علّام الغيوب، وأدركهم الخجل والحياء، وحل فيهم الخوف والرجاء وعندها رفع لهم الكريم مولاهم علماً من أعلام التوبة أولاهم، فقصدوا إليه طائرين حتى بلغوا إليه راضين راغبين بصدق النيات والقلوب، فباؤوا إليه بالذنوب، فأقاموا به حتى عرفوه، وأنسوا به وألفوه. انتهى

أقول: والله ولي السول يعني نفعنا الله به أنهم تمكنوا في مقام التوبة ثم أشرفوا منها على عدة أعلام فبنوها بالاهتمام، وسموا إليها بنهضتهم طمعاً في كمال توبتهم فارتقوا منها إلى غنم منها بالتوبة الصادقة من كل جريمة عرفوها أو لاحقة حتى عادت لذنوبهم حالقة، ثم على علم منها فأدوا المظالم، وعزموا على ترك الذنوب والمحارم، ثم إلى علم باجتناب الشهوات وترك الحظوظ والمألوفات مع سائر ما يولد الآفات، ثم إلى علم منها أزهر مضى بنور أقمر، فأيقنوا هنالك إيمانهم، وأحسنوا به إسلامهم، ثم إلى مثله فعرفوا به صدق نيتهم بالدليل، فأشرفوه وأحسنوا قبولهم منه واتبعوه، فهنالك عرفوا فضل أصحاب الرسول وحق أزواجه وأولاده المرشدين من الفحول، فعرفهم الله تعالى بنفسه في سائر المقامات بدلائل الخلق والآيات البينات أعني نقلهم الحق سبحانه من الاعتقاد إلى العلم بالأدلة والبراهين، فنالوا درجة الموقنين، وهم في ذلك ينظرون بعين الاعتبار إلى خلق العزيز الجبار، وأنَّ منهم كيساً مستعملاً وعاجزاً مستكسلاً، ومدققاً سديداً، وعالماً سعيداً، فعلموا أنَّ الله هو المعطي والمانع، وهو الضار والنافع منه مصدر الأشياء جميعاً، وإليه يعودون ذريعاً، ووجدوه ملجأ لحاجتهم، ورجوه لتمام توبتهم، فرغبوا في ذلك إليه، وخضعوا بالذل لديه، فألهمهم التفكر في ملكوته في خلق أرضه، وسمواته، وما أودع بينهما من عجائب خليقته الدالة على وحدانيته في ملكه وربوبيته، ثم اعتبرو أفضل أحبابه وأوليائه وأصفيائه، وكيف جعل فيهم من كرامته مما يميزهم به على الوجه الذي يدلهم على ذلك، ويبلغهم إلى ما هنالك فطلبوا بذلك الأخلاق المرضية، والشيم

الفاخرة السنية، فوجدوا أقصى الأعلام التي رفعت لهم قد انتهت في ذلك بهم إلى علم دين الله جلت قدرته الذي يعلمه خاصته، فعلموا أنّه الدليل على مقصدهم، ومبلغهم إلى مرصدهم، فدعوا الله وسألوه أن يثبتهم بالقول الثابت فيما أملوه ورجوه، فأسعفهم بالتوفيق لطلب العلم، وأيدهم في طلبه بالحلم، فما زال يبصرهم فهماً قدماً قدماً حتى أقامهم على المحبة الواضحة الدالة على كل صالحة، فلما جعلوا في قارعة الطريق وظهر له سلك الغريق جعلوا الصدق والإخلاص رواحلهم، والخوف والرجاء والخوف سائقهم وقائدهم، والعلم الذي دلهم على ذلك رائدهم والجد والاجتهاد رفيقهم، والتسليم إلى الله والتوكل عليه ملتجأهم، والتبري من الحول والقوّة نعتهم، وابتغاء وجه مقصدهم، والاستعانة على جميع ذلك بالحق مرصدهم ولم يزالوا مستقيمين على الطريقة بهذه الأزواد الوثيقة حتى أشرفوا على منازل القبول وانكشفت لهم أعلام الوصول، فجعلوا الرعاية لذلك حاديهم والإعراض عن كل ما دون مولاهم هاديهم، فلما انتهوا إلى عرصات المعرفة وصارت الأشواق لهم مألفة ارتقوا هنالك إلى معارج اليقين، فتنسموا أخبار أحسن الخالقين، فعند ذلك حوّلوا السير إلى السري في طيّ مناهلهم وامتطوا نجب سرائرهم في قطع حجب بصائرهم حتى علوا بذلك إلى عرصات المشاهدة، فخفت عليهم المكابدة، فجعلوا طلب المداومة جليسهم ولزوم القرب والبسط أنيسهم حتى ظفروا بمذاق طعم التوحيد، وتلذذوا باعتناق التجريد والتفريد، فحطوا بفناء الراحة، واستوطنوا منازل السكينة والاستراحة، فصار الطبع منهم مراقبة الجليل مولاهم وأعلى فراديس الجنان مأواهم، فاجتمعوا بأحبابهم ودخلوا أجمعين من بابهم، هذا هو السير إلى الرحمن جلّ وعلا، فإن عزمت على رشد أمرك فهب لمولاك ما بقي من عمرك.

(قوله: هي لغة ضد الاعوجاج) أي سواء في المحسوسات أم في المعقولات دينيات أو دنيويات. **(قوله: الاعتدال في السلوك الخ)** السلوك عند القوم هو السير إلى الله تعالى بمتابعة سنة سيد الكمل ﷺ، وقوله: عن الميل الخ أي عن الانحراف إلى جهة من الجهات التي فيها مخالفة لما ورد عن سيد الرسل وابتداع مذموم لم تشهد له سنته، واعلم أنّه قد ثبت عن عبد الله بن الشخير أنه قال: أتيت رسول الله ﷺ وهو يصلي ولجوفه أزيز كأزيز المرجل، وقال ابن أبي هالة: كان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة، وثبت أنّه ﷺ قال: «إنّه ليغان على قلبي فأستغفر الله في اليوم مائة مرة»[1] وفي رواية: «سبعين مرة»، وعن عليّ رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن سننه فقال: «المعرفة رأس مالي والعقل أصل ديني، والحب أساسه، والشوق

(١) أخرجه الدارمي (رقاق ١٥) وأحمد بن حنبل (٤، ٢١١).

ومجاهدة النفس في كسر الهوى وثمرتها السلامة من الحساب والتخلق بشريف الآداب، وهي ممدوحة ومطلوبة. (قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾)[الأحقاف: ١٣] الآية وقال: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: ١١٢]. (أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود

مركبي، وذكر الله أنيسي، والثقة كنزي، والحزن رفيقي، والعلم سلاحي، والصبر دائي، والرضا غنيمتي، والعجز فخري، والزهد حرفتي، واليقين قوتي، والصدق شفيعي، والطاعة حسبي، والجهاد خلقي، وقرة عيني في الصلاة»[1] فهذا ما كان عليه من الأخلاق فتابعه بالوفاق.

(قوله: أن لا يختار العبد على الله شيئاً) أي أنْ لا يختار على ما يرضيه مما جاء على لسان رسوله شيئاً مما تميل إليه النفوس من الحظوظ والعادات. (قوله: اعتدال يخصه الخ) أشار بذلك إلى أنَّ الاعتدال مختلف باختلاف همم العبيد المقربين.

(قوله: وسببها كمال العلم الخ) أي السبب بحسب الظاهر كمال العلم الخ، أما في الواقع فالسبب سبق عناية الله تعالى بحكمته العلية، فالأمر من الله وإلى الله. (قوله: وثمرتها السلامة من الحساب) أي وما يترتب عليه من أليم العذاب إذ من نوقش الحساب هلك. (قوله: قال الله تعالى: إنَّ الذين قالوا ربنا الله الخ) أي فثناؤه تعالى على الموحدين المستقيمين بالآية الأولى مع ما أعدّ لهم من الثمرات وأمره تعالى نبيه الأكرم بالاستقامة في الآية الثانية يفيد أنها ممدوحة ومطلوبة، والآية الثانية هي المعنية بقوله ﷺ في الخبر الصحيح: «شيبتني هود وأخواتها»[2] قوله: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣] قال أبو السعود المفسر: هذا شروع في بيان حسن حال المؤمنين في الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكافرين فيهما، أي قالوا ذلك اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته، ثم استقاموا أي ثبتوا على الإقرار ومقتضياته على أنَّ ثم للتراخي في الزمان أو في الرتبة، فإنَّ الاستقامة لها الشأن كله، وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله تعالى عنهم في معناها من الثبات في الإيمان وإخلاص العمل، وأداء الفرائض بيان لجزئياتها تتنزل عليهم الملائكة من جهته يمدونهم فيما تعين لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أنَّ الكفرة يقيض لهم قرناء السوء تزين لهم القبائح، وقيل: تتنزل عند الموت بالبشرى،

---

(١) أخرجه النسائي (نساء ١) وأحمد بن حنبل (٣، ١٢٨، ١٩٩، ٢٨٥).

(٢) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ٥٦، ٦).

الطيالسي قال: حدثنا شعبة عن الأعمش عن سالم ابن أبي الجعد عن ثوبان مولى النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: «استقيموا ولن تحصوا»[1]) أي استطيعوا الاستقامة المخالفة للمعتاد **(واعلموا أنَّ خير دينكم)** بعد الإيمان **(الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، والاستقامة درجة به كمال الأمور وتمامها وبوجودها حصول**

وقيل: إذا قاموا من قبورهم، وقيل: البشرى في مواطن ثلاثة عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، والأظهر هو العموم والإطلاق. اهـ.

(قوله: وقال: فاستقم كما أمرت) قال أبو السعود المفسر لما بين في تضاعيف القصص المحكية عن الأمم الماضية سوء عاقبة الكفر، وعصيان الرسل، وأشير إلى أنَّ حال هؤلاء الكفرة في الكفر والضلال، واستحقاق العذاب مثل أولئك المعذبين، وأنَّ نصيبهم من العذاب واصل إليهم من غير نقص، وأنَّ تكذيبهم للقرآن مثل تكذيب قوم موسى عليه الصلاة والسلام للتوراة، وأنه لو لم تسبق كلمة القضاء بتأخير عقوبتهم العامة ومؤاخذتهم التامة إلى يوم القيامة لفعل بهم ما فعل بآبائهم من قبل، وأنَّهم يوفون نصيبهم غير منقوص، وأنَّ كل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين يؤخر جزاء عمله أمر رسول الله ﷺ بالاستقامة كما أمر بها في العقائد والأعمال المشتركة بينه وبين سائر المؤمنين لا سيما الأعمال الخاصة به من تبليغ الأحكام الشرعية، والقيام بوظائف النبوة، وتحمل أعباء الرسالة، وبالجملة فهذا الأمر شامل لجميع الأحكام الأصلية والفرعية والكمالات النظرية والعملية، والخروج عن عهدته في غاية ما يكون من الصعوبة، ولذلك قال رسول الله ﷺ: «شيبتني سورة هود» انتهى كلام المفسر.

(قوله: استقيموا ولن تحصوا) يشير بذلك ﷺ إلى أنَّ حق الاستقامة غير مقدور للبشر لخروجها عن المألوف بالطبع، فحينئذ المطلوب من الاستقامة ما هو مقدور ومستطاع على حسب الطاقة، وذلك من الرحمة والرأفة بالعبيد.

(قوله: واعلموا الخ) أي ويؤكده خبر الصلاة خير موضوع، فاستكثر أو أقل. **(قوله: ولن يحافظ على الوضوء الخ)** أي وورد الوضوء سلاح المؤمن. **(قوله: والاستقامة درجة)** أي صفة وحالة بها كمال الأمور الشرعية، وذلك لأنَّ من أتى بما أمر به حسبما أمر فقد استقام في الإئتمار أي ومن كانت ونزلت به الأخلاط وأراد نيل الاستقامة فليستخرجها بشربة خوف القوت بعد الاغتسال بماء عين الندامة، ثم يقصد العزلة في كهف جبل الانقطاع آيساً من الأنس بما دون الله تعالى، ثم يشرب من منقوع ماء شحوم

---

(١) أخرجه ابن ماجه (طهارة ٤) والدارمي (وضوء ٢) والموطأ (طهارة ٣٦) وأحمد بن حنبل (٥، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨٢).

الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حالته ضاع سعيه وخاب جهده قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ﴾[النحل: ٩٢] أي أفسدت **(غزلها من بعد قوة)** أي إحكام له وبرم **(ومن لم يكن مستقيماً في صفته لم يرتق من مقامه إلى غيره، ولم يبن سلوكه على صحة، فمن شرط المستأنف)** أي المستقبل للعمل **(الاستقامة في إحكام البداية كما أنَّ من حق العارف الاستقامة في آداب النهاية)** وقد أشار إلى بيان درجات أهل الاستقامة في البداية والوسائط والنهاية بقوله: **(فمن إمارات استقامة أهل البداية أن لا تشوب معاملتهم)** مع الله **(فترة)** أي فتور عنها وإلا منعهم ذلك من الزيادة في مراتبهم والترقي عنها إلى ما هو أعلى منها، **(ومن إمارات استقامة أهل الوسائط أن لا**

حنظل العبرة، ويستنشق بدهن أشجار الحزن، ويطعم من غذاء التوكل، ويكتحل من قشر عود الغرام، ولا ينام حتى يرى أنوار التوفيق، ثم يجلس على بساط قدم الصدق والتصديق منتظراً لما يرى من عجائب ابريز التحقيق، فحينئذ يبرأ من العلل، ويأمن طروق الزلل، فتكون حياته لله وموته في الله.

(قوله: ضاع سعيه) أي لأنه بانتفاء الاستقامة يتحقق الابتداع المذموم، وهو لا يجامع الخير إذ هو جماع الشر أعاذنا الله وأحبتنا من ذلك بفضله وكرمه.

(قوله: قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا﴾[النحل: ٩٢] أي ولا تكونوا فيما تصنعون من النقض كالتي نقضت غزلها أي ما غزلته فهو مصدر بمعنى المفعول، وقوله: من بعد قوّة متعلق بنقضت أي كالمرأة التي نقضت غزلها من بعد إبرامه وإحكامه إنكاثاً أي طاقات وانتصابه على الحال من غزلها، أو على أنه مفعول ثانٍ لنقضت، فإنه بمعنى صيرت، والمراد تقبيح النقض بتشبيه الناقض بمثل هذه الخرقاء المعتوهة قيل: إنها ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلاً قدر ذراع وصنارة مثل أصبع، وفلكة عظيمة على قدرها، وكانت تغزل هي وجواريها من الغداة إلى الظهر، ثم تأمرهن فينقضن.

(قوله: لم يرتق من مقامه إلى غيره) أي بل ربما يكون لا مقام له أصلاً بقطع النظر عن مقام الإيمان، وإنْ كان عظيم المنزلة إذ شرط الترقي مصاحبة الأعمال مع الإخلاص. **(قوله: فمن شرط المستأنف الخ)**، مراده أنَّ من شرط صحة الأعمال وكمالها تحقق الاستقامة فيها التي تكون على طريقة متابعة سيد الكمل ﷺ. **(قوله: الاستقامة في آداب النهاية)** أي بأنْ يكون دائم التوجه بالإخلاص والصدق مع التبري من الحول والقوّة دائم المجاهدة فارغ القلب مما سوى الحق تعالى.

(قوله: أنْ لا تشوب الخ) أي فلا يتم لهم معنى الاستقامة التي هي من أعظم أسباب الترقي إلى عليّ المقامات إلا بدوام الجد والاجتهاد. **(قوله: أنْ لا يصحب الخ)** محصله

يصحب منازلهم) أي أنْ لا يمازج أحوالهم (وقفة) معها أي إستحسان لها (ومن إمارات استقامة أهل النهاية أنْ لا يتداخل وفي نسخة يداخل (مواصلتهم) أي مشاهدتهم لمولاهم (حجبة) تمنعهم المواصلة بل يدومون عليها وبما ذكر علم أنَّ الاستقامة لا يستغني عنها أحد من السالكين وإنْ كان لها أعلى وأوسط وأدنى. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الاستقامة لها ثلاثة مدارج أوّلها التقويم، ثم الإقامة ثم الاستقامة فالتقويم) يكون (من حيث تأديب النفوس لأنّه عبارة عن إصلاح الجوارح وتعديلها بنيران الخوف والرجاء لتسلم من المنهيات، وتستقيم على فعل الطاعات، والإقامة) تكون (من حيث تهذيب القلوب) أي تطهيرها من

انتفاء شهود حسن العمل بالرجوع إلى شهود مصدر الأفعال المنعم بالتوفيق والإفضال. (قوله: أنْ لا يتداخل الخ) حاصله عدم الاكتفاء بما شاهدوه من الكمالات وذلك لتمحض القصد منهم لرب البريات. (قوله: حجبة) أي حجاب ومنع، وذلك يكون بالرضا بشيء من السوى استحساناً له إذ بذلك تنحط هممهم، وتنقص درجتهم، ويقفون عن الترقي عما شاهدوه من الكمالات. (قوله: الاستقامة لها ثلاثة مدارج الخ) أي وحاصلها إجمالاً إصلاح الجوارح الظاهرة وتعديلها، وحملها على القيام بأعمال التكاليف، ثم إصلاح الباطنة بحملها على إخلاص المقاصد لله تعالى وحده، ثم وزن واردات القلوب بميزان السنة المحمدية فما وافقها عمل عليه، وإلا أُحجم عنه، واعلم أنَّ الاستقامة صفة الخواص من المحبين المحبوبين الذين لولاهم لعجل الله العقوبة لمن عصاه قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الحج: ٤٠] الآية فقد تفضل الحق تعالى بوجود الخواص ليكون ذلك سبباً في تأجيل العقوبة بل ربما كان سبباً في العفو عنها قال الشاعر:

ألا إنَّ واد الجزع أضحى ترابه ... من المس كافوراً وأعواده رندا
وما ذاك إلا أنَّ هنداً عشية ... تمشت وجرت في جوانبها بردا

(قوله: أوّلها التقويم) أي التعديل على موافقة الأحكام الشرعية، وقوله: ثم الإقامة أي المنزلة التي ينازلها العبد، وقوله: ثم الاستقامة أي الدوام على ما نازله بالجد والصدق والإخلاص مع التبري من الحول والقوّة.

(قوله: فالتقويم يكون الخ) أي وهو لا يتم إلا بعد علم الأحكام الشرعية والعمل به، فقوله: وتعديلها أي تقويمها بنيران الخوف أي بالخوف الذي هو كالنار، وقوله: والرجاء أي الرجاء المخمد لشدة هذه النيران بما فيه من الحنان والرحمة، والحاصل أنْ إصلاح الجوارح وتعديلها يكون باستعمال الخوف فيما يناسبه، والرجاء كذلك حتى لا يقع في الإفراط أو التفريط.

(قوله: والإقامة تكون الخ) أي وذلك يتحقق بالقيام على النفس وردّها عن مألوفاتها

الأخلاق الذميمة، **(والاستقامة)** تكون **(من حيث تقريب الأسرار)** من القلوب بأنْ تكون أفعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا إقامة، فالمعنى الأوّل تمحيص، والثاني تحقيق والثالث توفيق، والاستقامة بالنظر إلى محالها خمسة أنواع: استقامة اللسان، واستقامة القلب، واستقامة النفس، واستقامة الروح، واستقامة السر، فالأولى بالنطق بالحكمة، والثانية بصدق الهمة، والثالثة بحسن الخدمة، والرابعة بتعظيم الحرمة، والخامسة بالإشتغال بالمنعم دون النعمة. **(وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه في معنى قوله)** تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣] لم يشركوا بالله شيئاً **(وقال عمر رضي الله عنه)** في معناه **(لم يزوغوا زوغات الثعالب)** في استقامتهم، **(فقول الصديق رضي الله عنه: محمول على مراعات الأصول في التوحيد)** بأنْ لا يشركوا مع الله غيره، **(وقول عمر رضي الله عنه: محمول على طلب التأويل)** في الآية **(والقيام بشروط العهود)** أي باستقامتها يعني أنَّ كلامه جار على ظاهر الآية المبدوءة بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ من أنهم أقروا بالوحدانية

بالطبع حتى تتهيأ للترقي والقرب من إحسان الرب جل جلاله.

(قوله: فالمعنى الأوّل تمحيص) أي من أسباب غفران ذنوب التقصير، وقوله: والثاني تحقيق أي من أسباب تحقيق ما وعدنا ربنا من الأجور وقوله: والثالث توفيق أي ناشىء عنه ومترتب عليه، وذلك لموافقة ما يرد على القلوب ما قرره حكم الشرع.

(قوله: خمسة أنواع الخ) الظاهر أنَّها مرتبة على طريق التدلّي، وذلك لأنَّ استقامة اللسان إنما تنشأ عن استقامة القلب، واستقامته إنما تنشأ عن استقامة النفس واستقامتها إنما تنشأ عن استقامة الروح، وقوّتها، وهي إنما تنشأ وتقوى عن استقامة السر فتدبر والله الموفق. **(قوله: فالأولى بالنطق بالحكمة)** أي فإمارة استقامة اللسان ذلك وهو إنما ينشأ من إخلاص القلب في عبادة الرب جل جلاله. **(قوله: بصدق الهمة)** أي بإخلاص المقاصد، وقوله: بحسن الخدمة أي بمرافقة الوارد في السنة، وقوله: بتعظيم الحرمة أي بتجلي صفات الجلال، وقوله: بالاشتغال بالمنعم أي بعدم الوقوف مع شيء من السوى. **(قوله: في معنى قوله: ثم استقاموا)** أي من آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ﴾ [الأحقاف: ١٣]. **(قوله: فقول الصديق: الخ)** محصله أنَّ الصديق الأكبر رضي الله عنه حمل على الظاهر في الآية الشريفة لمراعاة الأصول في التوحيد والفارق طلب التفسير والتأويل لمراعاة العطف، والقيام بشرط العهود، ولكل وجهة هو موليها، فرضي الله عن الجميع، فقوله بعد يعني أنَّ كلامه الضمير فيه عائد على الصديق، وإنما كان كلامه جارياً على ظاهر الآية لأنَّ قوله تعالى: **(ثم استقاموا)** أنَّهم استقاموا على التوحيد بأنْ لم يشركوا به غيره. **(قوله: وقال ابن عطاء الخ)** أي فحمل الاستقامة على استقامة السر، وهي

﴿ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ [الأحقاف: ١٣]، (وقال ابن عطاء) في معناه: (استقاموا على انفراد شغل (القلب بالله تعالى) وحده، (وقال أبو عليّ الجوزجاني: كن صاحب الاستقامة لا طالب الكرامة فإنَّ نفسك متحركة في طلب الكرامة، وربك يطالبك بالاستقامة) فاستقم تكن آتياً بما طلبه منك ربك بخلاف من عمل لحصول الكرامة فإنه عمل لغير الله تعالى، فلا يكون مخلصاً وهو مأمور بالإخلاص قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا علي الشبوي) بفتح المعجمة وضم الموحدة وكسر الواو المشددات (يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت له: روي عنك يا رسول الله أنك قلت: شيبتي هود فما الذي شيبك منها) أشيبك منها (قصص الأنبياء، وهلاك الأمم؟ فقال «لا ولكن) إنما شيبني منها (قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾») [هود: ١١٢] إذ قوله: ﴿كَمَآ أُمِرْتَ﴾ يدل على أنَّ الاستقامة تكون بحسب

أعلاها. (قوله: استقاموا على انفراد شغل القلب الخ) أي وذلك بباعث لسان حال قائل: إنْ أعمى الله عين عقلك عن نظر غيره في الدنيا فقد جعل جزاء ذلك في الآخرة، ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] وإنْ قتلك بسيف حبه في العاجل فقد جعل دينك في الآجل ﴿أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] فافهم.

(قوله: كن صاحب الاستقامة الخ) أقول: لما كانت الكرامة قد تكون من حظ النفس نهى عن طلبها وحث على طلب الاستقامة لكونها مطلوب الحق من العبد، ولبعدها عن خط النفس. (قوله: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾) [البينة: ٥] جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوه أي والحال أنهم ما أمروا في كتابهم إلا لأجل أنْ يعبدوا الله مخلصين له الدين أي جاعلين دينهم خالصاً له تعالى، وجاعلين أنفسهم خالصة له في الدين. (قوله: إذ قوله كما أمرت الخ) غرضه بيان وجه زيادة الخوف المؤدي إلى الشيب من الآية الكريمة وحاصله أنَّ المراد بقوله: كما أمرت فعل الطاعة على حسب معرفة العبد بربه بأنْ يوقع فعله على وجه يليق بمعروفه، وذلك كما لا يخفى بعيد عن الطاقة البشرية بل لا يمكن لوجوب استصغار جميع ما يأتي به العبد بالنسبة لما يعرفه من عظمة مولاه سبحانه وتعالى. (قوله: تكون بحسب المعرفة) أي على قدر شرب العبد المقرب، وإلا فقد قيل: الهوية بحر يغرق به شامخ كل عقل، وتنتكس فيه سفينة كل فكر نعم إنْ سار العقل على مطية الفكر على ساحل هذا البحر بدليل الإيقان قدفت إليه أمواجه جواهر أسرار الأزل، وأتحفته بلطائف أنباء الغيوب، فيرى الهداية حق اليقين فتسير به نجائب العناية إلى جبل قاف القرب، فيغسل حظيرة سره في عين ماء الحياة، فيخرج من الظلمات إلى النور.

المعرفة، فمن كملت معرفته بربه عظم عنده أمره ونهيه، فإذا سمع كما أمرت علم أنّه طولب باستقامة تليق بمعرفته بكمال الآمر له، وحقيق لمن فهم ذلك أنْ يشيب إذ لا يطيق أحد أنْ يأتي بعبادة على حسب ما يعرف من عظمة ربه بل لا بدّ أنْ يستصغر جميع ما يأتي به وإنْ كان كاملاً بالإضافة إلى عظمة ربه، ولذلك لما نزل ﴿ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] قلقت الصحابة خوفاً من كونهم لا يقدرون على القيام بمعنى ذلك، فأنزل الله رحمة لهم ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]، **(وقيل: إنّ الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر لأنها الخروج عن المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات)** من حظوظ النفس **(والقيام بين يديّ الله تعالى على حقيقة الصدق ولذلك قال ﷺ: «استقيموا وان تحصوا)»** وتقدم بيانه، **(وقال الواسطيّ: الخصلة التي بها كملت المحاسن، وبفقدها قبحت المحاسن)** هي **(الاستقامة)** حتى لو فقدت من أحد ثم ادعى كرامة قبح منه ذلك، وعدّ نقصاً في حاله، ولو جرى ذلك له كان استدراجاً ومكراً نعوذ بالله من بلائه وفتنته، وقد قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً﴾ [الأنعام: ٤٤]، **(وحكي عن الشبليّ رحمه الله أنّه قال: الاستقامة أنْ تشهد الوقت)** الذي أنت فيه **(قيامة)** قامت بأنْ تستشعر قيامك بين يدي مولاك، فتحسن استقامتك له في دنياك، **(ويقال: الاستقامة**

(قوله: إذ لا يطيق أحد الخ) أي ولذا ورد «سبحانه ما عبدناك حق عبادتك»، الحديث. **(قوله: بالإضافة الخ)** متعلق بقوله: أنْ يستصغر الخ. **(قوله: وقيل: إنّ الاستقامة لا يطيقها إلا الأكابر)** أي وذلك مع قطع النظر عن قوله تعالى: **(كما أمرت)** وإلا فهي لا تطاق أصلاً ولا بالنسبة للأكابر، فلا تغفل. **(قوله: وتقدم بيانه)** أي بقوله: لن تستطيعوا الاستقامة المخالفة للمعتاد. **(قوله: قبح منه ذلك)** أي لأنه زور وبهتان إذ دعوى الكرامة مع فقد الاستقامة كذب صرف.

(قوله: وقد قال تعالى: الخ) دليل على ثبوت الاستدارج. **(قوله: الاستقامة أنْ تشهد الوقت الخ)** محصل ذلك دوام استحضار المراقبة له تعالى في أداء عبادته لتقع على أكمل وجوهها، وحينئذ فتندرج في جملة يحبهم ويحبونه ممن أحدقوا إحداق البصائر، وكشفوا براقع الغفلة عن وجوه السرائر، وقابلوا أشخاص عالم الغيب بصقال مرايا القلوب، والتقطوا جواهر المعاني من نثار عقود كلم الوحي فحضروا بقلوب غير ملتفتة إلى القوالب، وخرجوا بعقولهم من ديار هياكل الصلصال إلى أطوار مراتب القدس، وطلبوا بنجائب الهمم جنائب جلال الوحدانية، ومالوا بمشام أرواحهم إلى انتشاق نسمات الفردانية تدبر تفهم والله أعلم. **(قوله: ويقال: الاستقامة الخ)** بيان لها باعتبار متعلقاتها وحال المبتديء. **(قوله: بنفي الحجبة)** أي ينفي أسبابها كشهود حسن الأعمال، والوقوف

في الأقوال بترك الغيبة) ونحوها كالنميمة والكذب، (وفي الأفعال بنفي البدعة، وفي الأعمال) أي الطاعات (بنفي الفترة) أي الفتور عنها، (وفي الأحوال بنفي الحجبة) التي تمنع من بقائها. (سمعت الأستاذ الإمام أبا بكر محمد بن الحسين بن فورك رحمه الله يقول: السين في الاستقامة سين الطلب) فقوله: ثم استقاموا (أي طلبوا من الحق تعالى أن يقيمهم) أولاً (على توحيدهم ثم على استدامة عهودهم وحفظ حدودهم، قال الأستاذ: واعلم أنَّ الاستقامة) وفي أعظم الكرامات (يوجب دوام الكرامات قال الله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾) [الجن: ١٦] أي طريقة الإسلام ﴿لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا﴾ [الجن: ١٦] أي كثيراً من السماء (ولم يقل: سقيناهم بل قال: لأسقيناهم يقال: أسقيته إذا جعلت) أي هيأت (له سقياً) وسقيته إذا ناولته ليشرب (فهو يشير) بما قاله: وعداً للمستقيمين (إلى الدوام) أي دوام الخير من المطر، وما

مع ذلك من كل ما يشغل عنه تعالى. (قوله: يقول: السين الخ) أقول: هو وجيه جداً لأنَّ الاستقامة لا تكون إلا بمعونة إلهية، وهداية قيومية. (قوله: واعلم أنَّ الاستقامة الخ) أقول: لما كان ما أراد التنبيه له من أنَّ الاستقامة توجب دوام الكرامة من مهم الأشياء قدم قوله: إعلم ليتوجه المخاطب بكليته إلى هذه الفائدة الجليلة بل ربما يقال: إنَّ الاستقامة من أعظم الكرامات لأنَّه لا يمنحها عبد إلا بسابق العنايات. (قوله: قال الله تعالى: وأن لو استقاموا الخ) أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة على أنَّه استمع أي أنَّ الجن أو الأنس أو كلاهما لو استقاموا على الطريقة التي هي ملة الإسلام لأسقيناهم ماء غدقاً أي لوسعنا عليهم الرزق، وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنَّه أصل المعاش والسعة، ولعزة وجوده بين العرب، وقيل: لو استقام الجن على الطريقة التي هي ملة الإسلام لأسقيناهم ماء غدقاً.

قوله: وقيل: لو استقام الجن على الطريقة المثلى أو لو استقام أبوهم الجان على ما كان عليه من عبادة ربه وطاعته، ولم يستكبر عن السجود لآدم عليه السلام، ولم يكفر وتبعه ولده في الإسلام لأنعمنا عليهم ووسعنا عليهم رزقهم.

(قوله: ولم يقل: سقيناهم) محصله الجري على الفرق ما بين سقى وأسقى وأنَّ الثاني الرباعي يفيد الدوام المناسب لكون الثمرات المترتبة على الاستقامة دائمة لا تنقطع بخلاف الأول الثلاثي، فهو لا يفيد تكراراً ولا دواماً. (قوله: وما قاله: جار الخ) أقول: يكفي في مثل ذلك القول به وإنْ لم يكن مشهوراً. (قوله: قال الجنيد: الخ) حاصله استعظام ما عليه الشاب في حالتي الفقد والوجود حيث لما امتحن بالفقد صبر وطلب ودام على الجد والاجتهاد، ولما وجد شكر ولزم، وهكذا حال الكمل من المحبين المحبوبين رضي الله عنا بهم أجمعين.

يترتب عليه، وما قاله جار على قول من فرق بين سقاه وأسقاه، والمشهور أنهما بمعنى، ويقال: سقيته لنفسه وأسقيته لماشيته وأرضه. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: قال الجنيد، لقيت**) وأنا سائر إلى الحج (**شاباً من المريدين في البادية تحت شجرة من شجر أم غيلان فقلت**) له: (**ما أجلسك ههنا فقال: حال افتقدته**) أي فقدته (**فمضيت وتركته، فلما انصرفت من الحج إذا أنا بالشاب قد انتقل إلى موضع قريب من الشجرة فقلت**) له: (**ما جلوسك**) أي ما أجلسك (**ههنا؟ فقال: وجدت ما كنت أطلبه في هذا الموضع فلزمته**).

(**قال الجنيد: فلا أدري أيهما**) **أي حاليه** (**كان أشرف**) هل هو (**لزومه لافتقاد حاله أو لزومه للموضع الذي نال فيه مراده**) فائدة هذه الحكاية أنَّ المستقيم إذا تعذرت عليه استقامته فحقه التثبت ودوام الطلب، وإذا فتح عليه بما كان فقده فحقه الشكر والثناء وحفظ الأدب، وكلاهما من الاستقامة، ولهذا قيل: الصوفي ابن وقته لا التفات له إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل، فهذا كان في حال مع الله، وهو سائر إلى الحجاز طيب العيش مع مولاه، فلما أدركه التغير في حاله جلس إلى الأرض متفكراً باحثاً عن السبب، فلما مر به الجنيد سأله عن جلوسه فقال: حال فقدته فلما رجع وجده قد انتقل إلى موضع قريب من ذلك الموضع، فسأله عن ذلك فأجابه بأنَّه وجد ما كان فقده فقال الجنيد: لا أدري أي حاليه أشرف هل هو تثبته وطلبه لما فقده، أو أدبه وشكره على ما وجده، هكذا يكون حال المستقيمين مع مولاهم في حالتي المنع والعطاء لا يحجبهم منعه له عن دوام التضرع والطلب، ولا يشغلهم إحسانه إليهم عن دوام الشكر لنعمه والأدب.

(**قوله: فحقه التثبت الخ**) أي ولذا قيل: قف على الباب لا ليفتح لك الباب يفتح لك الباب. (**قوله: لا التفات له الخ**) أي لأنَّه تضييع للوقت بلا فائدة مع أنَّ الأمر ليس إليه فافهم.

(**قوله: وهكذا يكون حال المستقيمين الخ**) أي لفناء مراداتهم في مراد مولاهم جل شأنه.

باب الإخلاص

هو ما يأتي في كلامه، وسببه علم العبد باحتياجه إليه في العمل النافع له في دنياه وأخراه، وثمرته السلامة من العقاب والعتاب ونيل علو الدرجات في الجنات، وهو ممدوح ومطلوب.

(**قال الله عز وجل**: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣] **وقال**: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البيّنة: ٥]. (**أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي، قال: أخبرنا**

باب الإخلاص

أقول: هو روح سر القبول، ومن أعظم أسباب بلوغ المأمول، ومن إمارات السعادة الأبدية حيث هو يحقق الرضا من رب البرية إذ الموصوف به من أهل العنايات، وممن منح أعظم الكرامات، وقد أشار صاحب الحكم العطائية إلى ذلك حيث قال: الأعمال صور قائمة وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها قلت: فلا عبرة حينئذ بصورة لا روح فيها كما أنه لا قيام لروح دون صورتها، هذا، ويحتمل أنَّ إضافة سر إلى الإخلاص بيانية، ويحتمل إرادة ما هو أخص من الإخلاص، وهو الصدق المعبر عنه بالتبري من الحول والقوّة، وكلاهما مطلوب الإخلاص لنفي الرياء، والصدق لنفي العجب. (**قوله: هو ما يأتي في كلامه**) أي من أنَّه إفراد الحق في الطاعة بالقصد، فانظره إنْ شئت.

(**قوله: وسببه، علم العبيد الخ**) مراده السبب الظاهر أما هو في الباطن فهو عناية الحق بالعبد أزلاً. (**قوله: وثمرته السلامة من العقاب**) أي لمن راآى بطاعته وقوله: والعتاب أي بالنسبة لمن قصد الثواب مثلاً. (**قوله: ألا لله الدين الخالص**) استفهام تقريريّ وتقديم المعمول لإفادة الاختصاص به تعالى وخلوصه تجريده من المعطلات كالرياء والنقاق، والشك، والريب، ونحو ذلك.

(**قوله: ما أمروا وقال: وما أمروا إلا ليعبدوا الله**) جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا، أي والحال أنهم ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾ في كتابهم إلا لأجل أن ﴿لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥] أي جاعليه دينهم خالصاً له تعالى وجاعلين أنفسهم خالصة له في الدين حنفاء مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام، انظر بقية الآية.

أحمد بن عبيد البصريّ قال: حدثنا جعفر بن محمد الفريابي قال: حدثنا أبو طالوت قال: حدثني هاني بن إبراهيم بن أبي عبلة العقيليّ قال: حدثني عطية بن وشاح عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاث لا يغل»[1]) بفتح الياء مع ضم الغين أي لا يخون مع كسرها أي لا يحقد (**عليهن قلب مسلم إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر ولزوم جماعة المسلمين**) فمن تعمر قلبه بالثلاثة سلم من الخيانة والحقد. (**وقال الأستاذ: الإخلاص**) أي الكامل (**إفراد الحق**) تعالى (**في الطاعة بالقصد**) أي الإرادة (**وهو أنْ يريد بطاعته التقرب إلى الله**) تعالى (**دون شيء آخر من تصنع لمخلوق أو اكتساب محمدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، ومعنى من**) سائر (**المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى**) كأنْ يريد بعبادته ثواب الآخرة وإكرامه في الدنيا وسلامته من آفاتها، أو استعانته على أمور دينه كمن يرائي والديه ليدعوا له بالخير، وشيخه ليعينه على مقاصده الدينية، فليس ذلك من الإخلاص الكامل بل ولا من مطلق الإخلاص إلا فيما يريد به ثواب الآخرة أو الإكرام في الدنيا والسلامة من آفاتها، فلا يخرج عن حد الإخلاص خلافاً لما أفهمه كلامه، فدرجات الإخلاص ثلاث: عليا ووسطى ودنيا، فالعليا أنْ يعمل العبد لله وحده امتثالاً لأمره، وقياماً بحق عبوديته، والوسطى أنْ يعمل لثواب الآخرة والدنيا أنْ يعمل للإكرام في الدنيا، والسلامة من آفاتها وما عدا لثلاث من الرياء وإنْ تفاوتت أفراده، (**ويصح أنْ يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين**) بأنْ لا

أي وعلى كلٍ فالمعنى ظاهر، وهو البعد عن الخيانة والحقد. (**قوله: وهو أنْ يريد الخ**) أي فيكون عمله إمتثالاً للأمر بقصد التقرب إليه تعالى. (**قوله: من تصنع الخ**) هو وما عطف عليه من الرياء وإنْ كان بعض صوره لا يحبط عملاً فتدبر. (**قوله: كان يريد بعبادته الخ**)أقول: هو وإنْ لم يكن من الرياء المحبط للعمل غير أنّه مما يدل على إنحطاط الهمة عن درجة الكمال. (**قوله: خلافاً لما أفهمه كلامه**) أي قيل تقدير الشارح قوله: أي الكامل في حد الإخلاص. (**قوله: فالعليا ان يعمل العبد الخ**) أقول: وأعلى منها أنْ يعمل محبة له تعالى وإجلالاً. (**قوله: والوسطى أنْ يعمل الخ**) أقول: وأعلى منها أنْ يعمل امتثالاً لأمره وقياماً بحق عبوديته، ولذا نقل عن رابعة العدوية أنّها قالت:

عبدوك خوفاً من لظى عبدوا لظى لا ربنا

(**قوله: والدنيا أنْ يعمل الخ**) أي وأعلى منها أنْ يعمل لثواب الآخرة. (**قوله: وإنْ تفاوتت أفراده**) أي في عظم الإثم وضده، وذلك كالتصنع لمخلوق لغرض دنيوي، أو

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٤، ٨٠، ٨٢) والترمذي (علم ٧).

يلتفت العبد إلى مدحهم ولا إلى ذمهم، ولا إلى ما في أيديهم، **(ويصح أن يقال: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص)** هو قريب مما قبله **(وقد ورد خبر مسند أنّ النبي ﷺ أخبر عن جبريل عن الله سبحانه أنّه قال: الإخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببته من عبادي)** وذلك لا يحصل إلا لمن بعد عنه الأغيار في معاملة الحق تعالى حتى حصل بينه وبين الحق تعالى في السر مناجاة ومحادثات، فهذا هو الذي بينه وبين الله سر أي معاملة خفية، وقد قيل: من لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر أي على شغل قلبه بغير ربه، فلم يتب عنه. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: وقد سألته عن الإخلاص ما هو؟ فقال: سمعت علي بن سعيد، وأحمد بن محمد بن زكريا وقد سألتهما عن الإخلاص فقالا: سمعنا علي بن إبراهيم**

لغرض دينيّ. **(قوله: تصفية الفعل الخ)** أي ولذا قيل: من أفرد الحق بالطاعة كان هو المخلص عند الجماعة إخلاص المخلص يظهر بحاله دون ترجمة قاله المخلص: تراه يخفي الأعمال ويسترها برداء الحال وإذا سئل عنها لم يخبر بقال بل ينفي وصفه عند السؤال، فمن رأيته يحرص على ظهور قبائحه الخسيسة، ويكتم أحواله السنية النفيسة، فاستدل بذلك على مقام اختصاصه، وعلو درجته في إخلاصه، تدبر.

(قوله: الإخلاص سر من سري الخ) قال بعضهم: السر ما أخفته الضمائر غيرة من أنْ يطلع عليه غير المنعم به سبحانه وتعالى، وهو من روح القبول، ومن أعظم أسباب بلوغ المأمول، وقال بعضهم أيضاً بالمخلص لا يخفى حاله على الخاصة النقاد وإنْ التبس على العوام بحسب الاعتقاد لأنَّ ما استودع في غيب الجنان قد يظهر على ظاهر الإنسان وما عساه أنْ يكتمه اللسان قد تفضحه فراسة الأذهان، فلابس خلعة الإخلاص متوج عند العوام والخواص، فكلامه مقبول وحاله معقول، فمن رأيته يكسل عن العبادة في الخلاء، وينشط لها في الملأ، فاعلم أنّه بعيد عن الإخلاص لم يحم حومة الخواص، فالمخلص هو من يزداد نشاطاً إذا خلا بالحق وبعد عن مواطن الخلق إنْ قام قام بالله، وإنْ قعد قعد بالله ومع الله، وإنْ تحرك فلا يقصد غير الله، وإنْ سكن اطمأن بالله، وإنْ سأل سأل من الله وإنْ عمل عمل لله، وإنْ أعطي أخذ من يد الله، فجميع شؤونه بالله وفي الله وإلى الله، فلا حول له ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: وذلك لا يحصل إلا لمن بعد عنه الخ) أي فهو بواسطة فنائه من جميع الأغيار له تعالى تشرق في قلبه شمس الأنوار الإلهية، فتكون جميع حركاته وسكناته من الله وفي الله وإلى الله، وذكره وفكره وحديثه وصمته كذلك بالواردات والإلهامات بواسطة ملك أو بدون ذلك.

(قوله: أي على شغل قلبه) أي ومن حاله كذلك لا يتم له السير إلى الله تعالى لبعده

الشقيقي وقد سألناه عن الإخلاص) فقال: سمعت محمد بن جعفر الخصاف، وسألته عن الإخلاص فقال: سألت أحمد بن بشار عن الإخلاص ما هو؟ قال: سألت أبا يعقوب الشريطي عن الإخلاص ما هو قال: سألت أحمد بن غسان عن الإخلاص ما هو؟ سألت عبد الواحد بن زيد عن الإخلاص ما هو قال: سألت الحسن عن الإخلاص ما هو؟ قالت: سألت حذيفة عن الإخلاص ما هو قالت: سألت النبي ﷺ عن الإخلاص ما هو قال: «سألت جبريل عن الإخلاص ما هو قال: سألت رب العزة عن الإخلاص ما هو قال: هو سر من سرى استودعته قلب من أحببته من عبادي»[1] هذا الخبر تأكيد لما قبله بزيادة ذكر السند. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الخلق) بأنْ لا يفرح برؤيتهم لما هو فيه من العمل ليمدحوه أو يصلوه أو لئلا يستقصوه، (والصدق التنقي من مطالعة النفس) بأن يتخلص من الإعجاب بأن لا يستحسن عمله ولا يضيفه إلى نفسه، (فالمخلص لا رياء له والصادق لا إعجاب له). ما ذكره هو أدنى مراتب الإخلاص والصدق، فإنَّ أعلاها أنْ لا يسكن العبد إلى عمله وحسنه، وإنْ كان صحيحاً ويراه فضلاً من ربه. (وقال ذو النون المصريّ: الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه والصبر عليه، والصدق لا يتم إلا بالإخلاص فيه، والمداومة عليه) فبين الإخلاص والصدق تلازم، فمن أخلص في مقام وصدق في سلوكه وصبر عليه حتى أحكمه نقله الله إلى ما فوقه، وسئل

عن منازل القرب. (قوله: بزيادة ذكر السند) أي المنتهي إلى رب العزة وكفاه بذلك شرفاً وفخراً. (قوله: الإخلاص التوقي الخ) أقول: وأكمل من ذلك التوقي عن ملاحظة ما سوى الحق تبارك وتعالى.

(قوله: بأنْ لا يفرح الخ) تصوير لبعض ما صدقات عدم ملاحظة الخلق. (قوله: والصدق التنقي من مطالعة النفس) أي بواسطة شهود أنَّ الحق تعالى هو المنفرد بالأحكام بدليل. ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] وببرهان «قل كل من عند الله» وبشاهد ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧] وبغير ذلك من الآيات البينات. (قوله: ما ذكره هو أدنى مراتب الإخلاص والصدق) أي لأنَّه يصدق بسكون العبد إلى عمله، وحسنه، وذلك من الهمة الدنية. (قوله: الإخلاص لا يتم الخ) أي لا تتم سببيته في الترقي من مقام إلى أعلى منه إلا بذلك، وقوله: والصدق لا يتم الخ أي لا تتم ثمرته من القبول وبلوغ المأمول إلا كذلك، وقوله: فبين الإخلاص والصدق تلازم معناه أنَّه متى تحقق الإخلاص

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٤٤).

الجنيد عنهما أهمها واحد أو بينهما فرق فقال: بينهما فرق الصدق أصل والإخلاص فرع، والصدق أصل كل شيء، والإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في الأعمال والأعمال لا تكون مقبولة إلا بهما. **(وقال أبو يعقوب السوسي: متى شهدوا في إخلاصهم الإخلاص احتاج إخلاصهم إلى إخلاص)** فحق المخلص أنْ لا يرى إخلاصه، ولا يسكن إليه فمتى خالف ذلك لم يكمل إخلاصه بل سماه بعضهم رياء فقال: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين، وسيأتي مع بيانه. **(وقال ذو النون: ثلاث من علامات الإخلاص استواء المدح والذم من العامة)** أي جميع الناس لا من بعضهم فقط لمعنى يخصه، وهذا أول درجات الإخلاص، وهو السلامة من الرياء، **(ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال)** بأنْ لا ينظر إلى نفعها ولا إلى ضررها حتى تنسى مدح الخلق لك أو ذمهم على عملك لكمال شغلك بإخلاصك **(ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الآخرة)** بأنْ لا يخطر لك على عملك جزاء دنيوي ولا أخروي. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربيّ يقول:**

لزمته مصاحبة الصدق وكذا إذا ثبت الصدق لزمه مقارنة الإخلاص فيهما يكون الترقي.

(قوله: الصدق أصل) أي لعمومه للأقوال والأفعال لكل من الجوارح الظاهرة أو الباطنة بخلاف الإخلاص حيث هو يخص القلوب، فكان كالفرع لذلك. **(قوله: متى شهدوا الخ)** أي، ولذلك تقدم عن ذي النون أنَّ الإخلاص لا يتم إلا بالصدق فيه، فما هنا تقدم علمه مما تقدم عن ذي النون فذكره لزيادة الإيضاح.

(قوله: رياء العارفين أفضل الخ) أي لأنَّ إخلاص المريدين قد يجامع بعض الحظوظ، ولو رجعت إلى الدين كالعمل مع استحسانه أو مع التصنع به لأمر ديني أو مع طلب الجزاء عليه.

(قوله: ثلاث من علامات الإخلاص الخ) أي الكامل منه كما هو واضح، وإنْ كان أكمل مما ذكره من استواء المدح، والذم الميل إلى الذم منهم أكثر من المدح كما لا يخفى على من له بصيرة.

(قوله: لمعنى يخصه) أي ككونه، أصله أو فرعه، أو شيخه، أو يحبه مثلاً. **(قوله: ونسيان رؤية الأعمال الخ)** أي نسيان ذلك بواسطة ذوق معنى قوله جل وعز: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] فيشهد حينئذٍ أنَّه لم يصدر منه عمل إلا بمعونة الحق تعالى، فيوجب له ذلك أنْ يستحي من طلب الجزاء على عمله حيث الأمر منه وإليه. **(قوله: حتى تنسى الخ)** فنسيان مدح الخلق وذمهم يترتب على نسيان رؤية الأعمال في الأعمال. **(قوله: ونسيان اقتضاء الخ)** أي ولذا قيل: من فضله

الإخلاص ما لا يكون للنفس فيه حظ بحال) بأنْ لا يكون فيه رياء ولا عجب **(وهذا إخلاص العوام، وأما إخلاص الخواص فهو ما يجري عليهم)** من ربهم **(لا بهم)** من الأعمال خالصة كاملة **(فتبدو منهم الطاعات وهم عنها بمعزل ولا يقع لهم عليها رؤية، ولا بها اعتداد)** وإنما اعتدادهم برحمة ربهم وفضله عليهم **(فذلك إخلاص الخواص)** في أعمالهم الجارية عليهم من ربهم، وما ذكره حد للعمل الخالص لا للإخلاص، **(وقال أبو بكر الدقاق: نقصان كل مخلص في إخلاصه رؤية إخلاصه)** في عمله رؤية استحسان له لا رؤية كمال وصحة، **(فإذا أراد الله تعالى)** لعبد الرياء والعجب **(أسقط عن إخلاصه رؤيته لإخلاصه)** رؤية إستحسان **(فيكون مخلَصاً)** بفتح اللام وهو من أخلصه الله من كل نوب **(لا مخلِصاً)** بكسرها، وهو من أخلص في عمله، **(وقال سهل: لا يعرف الرياء)** ويتجنبه **(إلا مخلص)** لأنَّ الإخلاص ضد الرياء، فمن لم يشتغل به ولم يقصد تخليص عمله من الشوائب لم يسلم من الرياء لدخوله عليه، وهو لا يشعر، ومن اشتغل به اتقاه وسلم منه لمعرفته به. **(سمعت أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت الوجيهي يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: قال لي رويم: قال أبو سعيد الخراز: رياء العارفين أفضل من إخلاص المريدين)** لأنَّ غاية المريد المبتدىء أنْ يخلص عمله من الرياء

عليك أنْ خلق ونسب إليك فهو يشير إلى هذا المعنى كما لا يخفى.

(قوله: الإخلاص ما لا يكون للنفس الخ) أي وذلك لفراغ القلب وسلامة الوقت، وحضور قلب العبد في حال عبادته، وبذلك كله كان العمل الكثير من غيره قليلاً لمزاحمته بالأضداد، وكان من مثله القليل كثيراً باعتبار ما يترتب عليه من فضل ربه سبحانه وتعالى.

(قوله: بأنْ لا يكون فيه رياء ولا عجب) أي كمحبة الثناء من الخلق على العمل، وكشهود حسن العمل والوقوف مع ذلك. **(قوله: فهو ما يجري عليهم من ربهم)** أي شهود جميع ما يصدر عنهم من ربهم لا منهم. **(قوله: وهم عنها بمعزل)** أي لكمال فنائهم عن أفعالهم وتمام اشتغالهم برحمة ربهم وقربهم منها.

(قوله: وقال أبو بكر: الخ) هو قريب مما قبله عن أبي يعقوب السوسي. **(قوله: فيكون مخلصاً بفتح اللام)** أي وهو من تجرد عن رؤية إخلاصه رؤية استحسان، وبذلك كان أعلى درجة من المخلص بكسر اللام لصدقه بمن ثبتت له هذه الرؤية وبينهما بون بعيد.

(قوله: لا يعرف الرياء إلا مخلص) أي لأنَّ الاتصاف بالإخلاص لا يكون إلا بعد توقي الرياء بأنواعه، وذلك لا يتأتى إلا بعد معرفته كما وضحه الشارح. **(قوله: رياء**

المبطل له ويكون مخلصاً ثم يدخل فيه العجب لكونه أضافه لنفسه وقد يسلم عمله من الرياء والعجب، وتسكن نفسه إليه وإلى حسنه، ويعتمد عليه فيكون نقصاً، والعارف يرى نفسه محلاً لجريان طاعاته بشروط كمالها، ويكون مشغولاً بإفراد ربه بعمله الشريف عن سكون نفسه إلى عمله، فإذا سكنت نفسه إلى عمله عده رياء لكونه خطر بباله في عمله غير الله، وإذا كان هذا رياء العارفين فأين هو من إخلاص المريدين الذين تخلصت أعمالهم من الرياء المحرم خاصة، وبينه وبين ما عده العارفون رياء درجات، **(وقال ذو النون: الإخلاص ما حفظ من العدو)** أي من **(أن يفسده)** هذا حد للعمل الخالص لا للإخلاص.

(وقال أبو عثمان: الإخلاص نسيان رؤية الخلق) في العمل **(بدوام النظر إلى فضل الخالق)** عليك به هذا إخلاص العارفين فإنهم يخلصون عملهم حتى من

العارفين الخ) أقول: رياؤهم هو رؤيتهم الإخلاص كما تقدم فلا تغفل. **(قوله: أن يخلص عمله من الرياء المبطل له)** أي المبطل لثواب عمله مثل التصنع بالعمل للمخلوق لغرض دنيوي، وذلك هو الرياء المحرم. **(قوله: لكونه قد أضافه لنفسه)** أي غفلة عمن تفضل عليه بالتوفيق. **(قوله: ولتكن نفسه إليه)** أي فيقف عن الترقيّ وينحجب عن درجات القرب.

(قوله: والعارف يرى نفسه الخ) أي فيكون عمله غير منظور إليه عنده لا نفعاً ولا غيره، فهو دائماً إنما يطالع إحسان الحق تعالى إليه. **(قوله: وبينه وبين ما عداه الخ)** أي لوجود الفرق الظاهر بين من يجتنب المحرم ومن تجتنب خلاف الأفضل. **(قوله: الإخلاص ما حفظ الخ)** يقرأ حفظ على صيغة المبني للمجهول، ويصح أنْ يقرأ مبنياً للفاعل. **(قوله: الإخلاص ما حفظ الخ)** ما واقعة على عمل أي عمل حفظ إفساد العدوّ مثل النفس والهوى والشيطان بأنْ وقع كاملاً على موافقة السنة الشريفة، ولذلك قد أشار الشارح نفعنا الله به.

(قوله: الإخلاص نسيان رؤية الخلق الخ) هو بيان للإخلاص بلازمه، وإلا فحقيقة الإخلاص إفراد المعبود بالعبادة، ثم اعلم أنَّ ذلك حال قوم شربوا بكأس الصفاء فورثوا الصبر على طول البلاء، ثم تولهت قلوبهم في الملكوت، وجالت فكرهم بين سرايا حجب الجبروت، واستظلوا تحت رواق الندم بسبب مطالعة صحيفة الخطايا فأورثوا أنفسهم الجزع حتى وصلوا إلى غاية الزهد بالصعود على سلم الورع، فاستعذبوا مرارة ترك الدنيا، واستلانوا خشونة المضجع حتى ظفروا بحبل النجاة وعروة السلامة فسرحت أرواحهم في الفلا حتى أناخوا في رياض النعيم فخاضوا بحر الحياة وردموا خنادق الجزع، فنزلوا بفناء العلم واستقوا من غدير الحكمة رضي الله تعالى عنهم وعنا ببركاتهم.

رؤيتهم له استحساناً، (**وقال حذيفة المرعشي: الإخلاص أنْ تستوي أفعال العبد في الظاهر والباطن**) بأنْ يكون عمله لله في الظاهر كعمله له في الباطن، فلا يتغير بوجود الخلق ولا بعدمهم (**وقيل: الإخلاص ما أريد به الحق**) تعالى (**وقصد به الصدق**) هذا حد للعمل الخالص لا للإخلاص (**وقيل: الإخلاص الإغماض عن رؤية الأعمال**) أي لا يراها استحساناً بأنْ يكمل شغله بالله حتى لا يبقى فيه متسع لغيره من عمل ولا غيره. (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت علي بن عبد الحميد يقول: سمعت السريّ يقول: من تزين للناس بما ليس فيه**) من الطاعات (**سقط من عين الله تعالى**) لكونه مرائياً إنْ كان تزينه طلباً لحمدهم، وخوفاً من ذمهم، وكذاباً متشبعاً إنْ كان تزينه طلباً لإظهار كمال ليس فيه، كما قال ﷺ: «المتشبع بما لم ينل كلابس ثوبي زور»[1]، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عليّ بن بندار الصوفي**) وفي نسخة الصيرفيّ (**يقول: سمعت عبد الله بن محمود يقول: سمعت محمد بن عبد ربه يقول: سمعت الفضيل**) بن عياض (**يقول: ترك العمل من أجل الناس رياء**) من حيث يتوهم منهم أنَّهم ينسبونه بالعمل إلى الرياء فيكره هذه النسبة، ويحب دوام نظرهم له بالإخلاص، فيكون مرائياً بتركه محبة لدوام نسبته إلى الإخلاص لا للرياء،

(**قوله: الإخلاص أنْ تستوي الخ**) هو تعريف باللازم أيضاً كما لا يخفى وقريب مما قبله. (**قوله: الإخلاص ما أريد به الحق**) أي عمل أريد به الحق فما واقعة على العمل ولذلك قال الشارح: هذا حد للعمل الخ.

(**قوله: هذا حد الخ**) أي وإنْ لزمه تحقق الإخلاص كما هو ظاهر. (**قوله: الإخلاص الإغماض الخ**) أي فصاحب هذا المقام يرى نفسه محلاً لجريان الطاعة بشروط كمالها، وهو تعريف للإخلاص باللازم. (**قوله: لكونه مرائياً**) إن قلت: كيف يشمل هذا قوله بما ليس فيه، قلت: لأنَّ الرياء يبطل ثمرة العمل فكأنّه لم يلابس عملاً. (**قوله: كلابس ثوبي زور**) تقدم أنه وصل كمي الثوب بآخرين لإيهام أنهما ثوبان، وليس كذلك في الواقع.

(**قوله: فيكون مرائياً بتركه**) أي بتركه للعمل وقوله: محبة لدوام نسبته الخ أي نسبته المذكورة عند الناس، وقوله: لا للرياء أي لم يكن تركه للعمل لخوف وقوعه في الرياء، والحاصل أنَّ ثبوت الرياء في حقه إنما هو من تركه محبة في دوام نظر الخلق له بالإخلاص لا للرياء لأنّه لم يصدر منه ما يرائي به كما هو ظاهر.

---

(١) أخرجه مسلم (لباس ١٢٧) وأبو داود (أدب ٨٣) وأحمد بن حنبل (٦، ٩٠، ١٦٧، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣).

(**والعمل من أجل الناس شرك**) لكونه أشرك في عمله غيره (**والإخلاص أن يعافيك الله منهما**) أي من الرياء والشرك. (**وقال الجنيد: الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله**) فلا يؤثر فيه أحد من هؤلاء لما في القلب المتصف به من إفراد ربه بالعمل بسره، وهذه الحالة إنما يخص الله بها خواصه من أوليائه الذين انصرفت الدنيا عن قلوبهم، لذلك قالوا: من لم يكن بينه وبين الله سر فهو مصر كما مر (**وقال رويم: الإخلاص من العمل**) أي فيه هو الذي (**لا يريد عليه صاحبه عوضاً من الدارين**) داريّ الآخرة والدنيا (**ولا حظاً من الملكين**) ملك اليمين وملك الشمال بأنْ يكون عمله لله لا يريد به سواه ولا من دنياه ولا من أخراه، وما قاله حد للعمل الخالص لا للإخلاص، (**وقيل لسهل بن عبد الله: أي شيء أشدّ على النفس؟ فقال: الإخلاص لأنّه ليس لها فيه نصيب**) غالباً لأنَّ الغالب على عملها أنّ يكون لغرض دنيوي أو أخروي، وهذا في حق المريد السالك أما من كملت معرفته بمولاه ولم تبق له لذة في دنياه ولا أخراه سوى مناجاته والتلذذ بقربه بكشف الحجب عنه حتى يراه فهو في أكبر نعيم وأكثر حظ لكونه ليس له لذة في سواه.

(**وسئل بعضهم عن الإخلاص فقال: أنْ لا تشهد**) أي لا تطلع (**على عملك**) أحداً (**غير الله تعالى**) اكتفاءً بنظره وعلمه، وهذا إنما يتم بكمال الزهد في الدنيا، (**وقال بعضهم: دخلت على سهل بن عبد الله يوم الجمعة قبل الصلاة بيتاً فرأيت في البيت حية، فجعلت أقدم رجلاً وأؤخر أخرى**) خوفاً منها فأدرك سهل مني ذلك

(**قوله: لكونه أشرك في عمله غيره**) يشير بذلك إلى أنَّ المراد الشرك العمليّ لا الاعتقاديّ أعاذنا الله منهما. (**قوله: الإخلاص سر بين الله تعالى وبين العبد**) المراد إثبات فضيلة الإخلاص على غيره من الأعمال، ولهذا كان من شيم خواص الخواص كما ذكره الشارح. (**قوله: فهو مصر**) أي على عدم التنزه عن الإلتفات إلى غيره تعالى. (**قوله: هو الذي لا يريد الخ**) أي وذلك بشهود أنَّ الله تعالى هو الفاعل لا غيره، وأنَّ العبد محل لجريان فعل الحق فقط بدون مدخلية له فيه وهذا نعت العارفين بربهم ممن حفتهم العناية الإلهية قبل وجودهم وبعده رضي الله عنهم وعنا بهم.

(**قوله: هو الذي لا يريد**) أي العمل الذي لا يريد الخ، ولذلك قال الشارح: وما قاله حد للعمل الخالص لا للإخلاص. (**قوله: لكونه ليس له لذة الخ**) أي مع عدم الإلتفات إلى الإخلاص أو غيره اللازم له سهولة الإخلاص عليه سهولة تامة.

(**قوله: أنْ لا تشهد الخ**) أي على معنى عدم الإلتفات إلى غيره سبحانه وتعالى في

(فقال) لي **(ادخل لا يبلغ)** أي لا يصل **(أحد حقيقة الإيمان وعلى وجه الأرض شيء يخافه)** هو لأنّه لا نافع ولا ضار إلا الله، فلا خوف في الحقيقة إلا من الله، وإنْ كان في الوجود مخوفات عادية كالنار والحية والأسد لأنها لا تفعل شيئاً بنفسها بل بإرادة الله وفعله، فالخوف الحقيقي أنْ يخاف العبد أنْ يسلط الله عليه شيئاً من ذلك **(ثم)** كمل له سهل ذلك بأنْ أراه شيئاً من خوارق العادات حيث **(قال)** له: **(هل لك)** غرض **(في صلاة الجمعة)** في مسجد النبي ﷺ **(فقلت)** له: **(بيننا وبين المسجد مسيرة يوم وليلة فأخذ بيدي)** وطويت لنا الأرض **(فما كان إلا قليل حتى رأيت المسجد)** المذكور **(فدخلناه وصلينا)** فيه **(الجمعة ثم خرجنا فوقف)** هو على باب المسجد **(ينظر إلى الناس وهم يخرجون)** عنه **(فقال: أهل لا إله إلا الله كثير)** لأنَّ منهم المخلص وغيره **(والمخلصون منهم قليل)** فعل كل ذلك تقوية لهذا الذي دخل عليه، وتعليماً له، فإنّه قصده لينتفع به فانتفع، بجميع ذلك. **(أخبرنا حمزة بن يوسف الجرجاني قال: حدثنا محمد بن محمد عبد الرحيم قال: حدثنا أبو طالب محمد بن زكريا المقدسي قال: حدثنا أبو قرصافة محمد بن عبد الوهاب العسقلاني قال: حدثنا زكريا بن نافع قال: حدثنا محمد بن يزيد القراطيسيّ عن إسماعيل ابن أبي خالد عن مكحول قال: ما أخلص عبد)** في جميع أفعاله **(قط أربعين يوماً إلا**

العمل. **(قوله: لا يبلغ أحد الخ)** أي لأنَّ من حقيقة الإيمان غلبة الخوف منه تعالى اللازم له عدم الخوف من غيره لعدم الإلتفات إليه. **(قوله: وإنْ كان في الوجود الخ)** الواو للحال وإنْ وصلية.

(قوله: ثم كمل له سهل ذلك الخ) أي كما هو شأن الرحماء من أمة سيد الأنَام عليه أفضل الصلاة وأتم السلام من أنّهم يريدون نفع إخوانهم المؤمنين، ولا سيما من قصدهم ودخل حماهم وطيّ الأرض وبسط الزمان من الكرامات المشهورة التي لا ينكرها إلا بدعي أعاذنا الله من ذلك.

(قوله: فقال أهل لا إله إلا الله كثيراً الخ) أي ويشهد له خبر: «العالمون هلكي إلا العالمون والعالمون هلكى إلا العاملون، والعاملون هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم»، ولذلك قال قائلهم شعراً:

خليلي قطاع الفيافي إلى العلا ... كثير وإنَّ الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة ... وليس على كل الوجوه قبول

(قوله: أربعين يوماً الخ) تخصيص هذا العدد لسر علمه ﷺ وإلا فهو منوط بإرادة الحق تعالى ولا مدخلية للزمان قل أو كثر.

ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه) فلا ينطق لسانه إلا بما حققه قلبه وأحكمه، وهذا معنى الحكمة وهو وضع الشيء موضعه، فإذا وزن جوارحه بالعلم وأوقعها لله وحده كان مخلصاً في جميع أعماله، فإذا دام على ذلك أربعين يوماً صار حاله على أتم الوجوه وأحسنها. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان يقول: سمعت عبد الرزاق يقول: سمعت يوسف بن الحسين يقول: أعز شيء في الدنيا الإخلاص)** لأنه على خلاف ما تهواه النفس قال: (**وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه)** بعد كونه فيه على لون (**ينبت فيه على لون آخر)** هذا إنصاف عظيم منه، فهو دائم في الاجتهاد في دفع ما يشينه، (**وسمعته)** أيضاً (**يقول: سمعت النصر أباذي يقول: سمعت أبا الجهم يقول: سمعت ابن أبي الحواريّ يقول: سمعت أبا سليمان يقول: إذا أخلص العبد)** في عمله (**انقطعت)** وفي نسخة انقطع (**عنه كثرة الوساوس والرياء)** لبعد القلب بالإخلاص عن ذلك.

(**قوله: فإذا وزن جوارحه)** أي الظاهرة والباطنة، وقوله: وأوقعها الله أي قصرها على الله وحده، وأفناها عما سواه، فأوقع جميع الأعمال خالصة له تعالى، كان مخلصاً أي كان متحققاً بهذا النعت الشريف.

(**قوله: أعز شيء)** أي أندر وأقل شيء في الدنيا الإخلاص، وقوله: لأنه على خلاف ما تهواه النفس أي النفس الحية في غالب الخلق التي تطالب بما فيه حظها. (**قوله: وكم اجتهد الخ)** يشير بذلك إلى صعوبة حمل النفس على الإخلاص لتمكن عادتها، فتجريدها عن ذلك فيه غاية المشقة وإذا كان ذلك لمثل هذا الأستاذ فغيره أولى والله الموفق.

(**قوله: ينبت فيه على لون آخر)** أي لأنَّ النفس خداعة رواغة إذا زجرت عن وجه حسنته على وجه آخر، فعلى العاقل الحذر من دسائسها. (**قوله: انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء)** أقول: بل بالعناية الإلهية ينقطع أصل كل منهما اهـ.

باب الصدق

هو الحكم المطابق للواقع، ويقال غير ذلك كما سيأتي، ومحاله اللسان والقلب والأفعال، وكل منها يحتاج إلى لفظ يخصه، فهو في اللسان الإخبار عن

باب الصدق

اعلم أنَّ الصدق معتبر في كامل العبادات وأساس في قبولها، وفي الترقي إلى عليّ درجاتها والمراد به فيها دوام الجد، والاجتهاد في أدائها على حسب مطلوب الشارع ﷺ، ومن أسباب ثبوته العلم بفوائده وثمراته في الدنيا والآخرة بحسب الوعد الحق، والخبر الصدق، وبأنّه مما يرضي الرب وضده يسخطه، وغير ذلك والصدق يطلق لمعان منها الإخبار عن الشيء بما هو عليه وخلافه الكذب، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢] ومنها صدق الوفاء وهو يشمل صدق القلب والجوارح، ومنه قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] ومنه صدق الوعد، وقد يطلق على الحق قاله الطبري في قوله تعالى: ﴿فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ﴾ [القمر: ٥٥] أي مقعد حق لا لغو فيه ولا تأثيم، وقد يطلق على تحقيق الظن بالفعل قاله الطبري أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [سبأ: ٢٠] أي وقع ما ظنه بهم من قوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢] ﴿وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، وعلى كل وجه فالصدق في القول الحق، وفي الفعل الوقوع عقيب العزم، وفي القلب التثبت والجد في تحصيل الفعل، وحكمه الوجوب، أو الندب، أو الجواز في القول والفعل والنية، هذا وعلامة الصادق في الحال عند أهل الحق من الرجال أنْ تعلوه الهيبة والجلال كما أنَّ صاحب المقام ترى عليه أُنس الجمال. (**قوله: هو الحكم المطابق للواقع**) أي حزم القلب الموافق لما في نفس الأمر، وعلم الله تعالى.

(**قوله: ومحاله اللسان الخ**) أي ما يعتبر فيه الصدق ويتحقق فيه اللسان بأنْ لا يصدر منه إلا ما وافق الواقع من الأخبار، وقوله: والقلب أي بأنْ لا يكون فيه من الجزم إلا ما كان عن دليل وبرهان مع العزم، وقوله: والأفعال أي بأنْ لا تفتر عن العمل بالأحكام.

(**قوله: والأفعال**) يريد ما يشمل أفعال القلوب كما يعلم من باقي كلامه. (**قوله: الإخبار عن الشيء الخ**) أقول: ما ذكره هو حقيقة الصدق في الظاهر والباطن، وإلا

الشيء على ما هو عليه، وفي القلب العزم الأكيد وفي الأفعال إيقاعها على وجه النشاط والجد، وسببه الوثوق بخبر المتصف به، وثمرته مدح الله والخلق للمتصف به.

(قال الله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩] أمر بالكينونة معهم لشرفهم عنده. (**أخبرنا الإمام أبو بكر محمد بن فورك رحمه الله قال: أخبرنا عبد الله بن جعفر بن أحمد الأصبهاني قال: حدثنا أبو بشر يونس بن حبيب قال: حدثنا أبو داود الطيالسي قال: حدثنا شعبة عن منصور عن أبي وائل عن عبد الله ابن مسعود عن النبي ﷺ**) أنّه قال: «لا يزال العبد يصدق ويتحرى الصدق»[1] أي: يقصده ويجتهد فيه (**حتى يكتب** عند الله صديقاً ولا يزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً». **قال الأستاذ: والصدق عماد الأمر، وبه تمامه وفيه نظامه**) فلا يغتني عنه العبد في مقام من المقامات، وإنْ تفاوتت إذ بالإخلاص يتحقق المقام وبالصدق الذي هو الجد يسلك العبد فيه، فمن وزن حاله بميزان الشرع وكان فاتراً في سلوكه لم ينتقل عن مقامه، ومن منّ عليه بالصدق قطع

فالخالي عن الإثم يكفي فيه مطابقة الاعتقاد. (**قوله: العزم الأكيد**) أي مع قصره على مرضاة الرب تعالى.

(**قوله: على وجه النشاط والجد**) أي مع موافقة الكتاب والسنة. (**قوله: وكونوا مع الصادقين**) قال نافع: مع محمد وصحبه في الجهاد في الشدة والرخاء، وقال سعيد بن جبير: مع أبي بكر وعمر، وقال ابن جريج وابن حبان: مع المهاجرين والأنصار، وقال قتادة: يعني الصدق في النية والعمل في السر والعلانية.

(**قوله: أمر بالكينونة الخ**) أي مع ما في العطف من الاهتمام بهم كما لا يخفى على متأمل. (**قوله: حتى يكتب عند الله صديقاً**) أي والصديق من بالغ في الصدق حتى ترقى إلى مقام الصديقين ويكفي في ثبوت شرفهم عطفهم على النبيين في قوله تعالى: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [مريم: ٥٨] مع تقديمهم على الشهداء فيه فتدبر. (**قوله: والصدق عماد الأمر الخ**) أي ويدل عليه ما رواه مالك في الموطأ يرفعه إلى صفوان بن سليم أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جباناً؟ قال: نعم فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً؟ قال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: فقال: «لا» وهذا منه ﷺ تشديد في أمر الكذب حتى جعله ليس من صفات المؤمنين.

---

(١) أخرجه الطبراني في (المعجم الصغير ١/ ٢٤٣) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٦٨) وأبو نعيم في (حلية الأولياء ٥/ ٤٣).

(قوله: ولذلك كان أكل العارفين فاقة الخ) أي لأنَّ كلاً من الثلاثة المذكورة إذا زادت كانت من الحجب المانعة عن الوصول إلى درجة المقربين. **(قوله: قال الله تعالى:** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾**)** الإشارة إلى المطيعين، والجمع باعتبار معنى من في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ [النساء: ٦٩] كما أنَّ الإفراد في فعل الشرط باعتبار لفظها، وما فيه من معنى البعد مع القرب في الذكر للإيذان بعلو درجتهم، وبعد منزلتهم في الشرف، وهو مبتدأ أخبره مع الذين أنعم الله عليهم، والجملة جواب الشرط، وترك ذكر المنعم به للإشعار بقصور العبارة عن تفصيله وبيانه، وقوله: من النبيين بيان للمنعم عليهم والتعرض لمعية سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مع أنَّ الكلام في بيان حكم طاعة نبينا ﷺ لجريان ذكرهم في ذكر النزول مع ما فيه من الإشارة إلى أنَّ طاعته عليه الصلاة والسلام متضمنة لطاعتهم لاشتمال شريعته على شرائعهم التي لا تتغير بتغير الإعصار رُوي أنَّ نفراً من أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: يا نبي الله إنْ صرنا إلى الجنة تفضلنا بدرجات النبوّة فلا نراك، وقال الشعبيّ: جاء رجل من الأنصار إلى رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال: «ما يبكيك؟ فقال: يا رسول الله بالله الذي لا إله إلا هو لأنت أحب إليّ من نفسي وأهلي ومالي وأني لأذكرك وأنا في أهلي فأخذني مثل الجنون حتى أراك، وذكرت موتي وإنك ترفع مع النبيين وأني إنْ أدخلت الجنة كنت في منزلة أدنى من منزلتك، فلم يردّ النبي ﷺ فنزلت، ورُوي أنَّ ثوبان مولى رسول الله ﷺ كان شديد الحب له عليه السلام قليل الصبر عنه، فأتاه يوماً وقد تغير وجهه، ونحل جسمه، وعرف الحزن في وجهه فسأله رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ما بي من وجع غير أني إذا لم أرك اشتقت إليك واستوحشت وحشة شديدة حتى ألقاك، فذكرت الآخرة فخفت أنْ لا أراك هناك لأني عرفت أنك ترفع مع النبيين وإنْ أدخلت الجنة كنت في منزل دون منزلتك، وإنْ لم أدخل فذاك حين لا أراك أبداً فنزلت، فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى أكون أحب إليه من نفسه، وأبويه، وأهله، وولده والناس أجمعين»[1] حكي ذلك عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، ورُوي أنَّ ناساً قالوا: يا رسول الله الرجل يحب قوماً ولم يلحق بهم قال ﷺ: «المرء مع من أحب»[2] وقوله:

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٨) (إيمان ٣) ومسلم (إيمان ٦٩، ٧٠) والنسائي (إيمان ١٩) وابن ماجه (مقدمة ٩) وأحمد بن حنبل (٣، ١٧٧، ٢٠٧، ٢٧٥، ٢٧٨، ٤، ٣٣٦).

(٢) أخرجه البخاري (أدب ٩٦) ومسلم (بر ١٦٥) والترمذي (زهد ٥٠) (دعوات ٩٨) والدارمي (رقاق ٧١) وأحمد بن حنبل (١، ٣٩٢، ٣، ١٠٤، ١١٠، ١٥٩، ١٦٥، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٨، ١٩٢، ١٩٨، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢١٣، ٢٢٢، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٥٥، ٢٦٨، ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٨٨، ٣٣٦، ٣٩٤، ٤، ١٠٧، ١٦٠، ٢٣٩_٢٤٩، ٣٩٢، ٣٩٥، ٣٩٨، ٤٠٥).

بعضك قلَّ نيلك منه، وإذا أعطيته كلك أعطاك بعضه، ولذلك كان أكل العارفين فاقة، ونومهم غلبة وكلامهم ضرورة لصرف كليتهم إلى ما هم فيه، **(وهو)** أي الصدق **(تالي درجة النبوة قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾** [مريم: ٥٨] الآية، عملاً بالتقديم في الذكر الدال على الأهمية أو بناء على أنّ الواو للترتيب لكن الأصح خلافه، **(والصادق)** أي لفظه **(الاسم اللازم)** المشتق **(من الصدق)** فهو اسم لمن قام به الصدق، **(والصدّيق المبالغة)** أي اسم دال على المبالغة مشتق **(منه)** أي من الصدق، **(وهو)** أي الصديق **(الكثير الصدق الذي الصدق غالبه)** أي غالب عليه **(كالسكير)** الكثير السكر من شرب المسكر **(والخمير)** الكثير شرب الخمر **(وبابه)** وهو كل ما كان بزنة فعيل كالشرير **(وأقل الصدق)** الذي يشتق منه صادق **(استواء السر والعلانية)** عند من قام به الصدق، **(والصادق من صدق في أقواله)** خاصة **(والصديق من صدق في جميع أقواله وأفعاله وأحواله)** هذا اصطلاح، والقياس ما دل عليه كلامه السابق أنَّ الصادق من قام به الصدق بلا كثرة والصديق من قام به الصدق بكثرة. **(وقال أحمد بن خضرويه: من أراد أنْ يكون الله تعالى معه فليلزم الصدق فإنّ الله تعالى قال: إنَّ الله مع الصادقين)** أي بالعون والحفظ

والصديقين أي المتقدمين في تصديقهم المبالغين في الصدق والإخلاص في الأقوال والأفعال، وهم أفاضل أصحاب الأنبياء عليهم السلام وأماثل خواصهم المقرّبين كأبي بكر الصدّيق، وقوله: والشهداء أي الذين بذلوا أرواحهم في طاعة الله، وفي إعلاء كلمته، وقوله: والصالحين أي الصارفين أموالهم في طاعة الله وأعمارهم في مرضاته، وليس المراد بالمعية الاتحاد في الدرجة، ولا مطلق الاشتراك في دخول الجنة بل كونهم فيها بحيث يتمكن كل واحد منهم من رؤية الآخر، وزيارته متى أراد، وإنْ بعد ما بينهما من المسافة، وقوله: ﴿وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء: ٦٩] الرفيق الصاحب من الرفق، وهو لين الجانب واللطافة في المعاشرة قولاً وفعلاً.

(قوله: أو بناء الخ) لا حاجة إليه بعدما قدّمه. **(قوله: المشتق من الصدق)** أي من فعله إذ الاشتقاق إنما هو من الأفعال لا من المصادر.

(قوله: فهو اسم) أي اسم فاعل وهو حقيقة فيمن قام به الفعل. **(قوله: وأقل الصدق الخ)** مراده به الشامل للصدق في الأقوال والأفعال والأحوال.

(قوله: من صدق في أقواله خاصة) أي جرياً على الحقيقة اللغوية، وقوله: والصديق من صدق الخ أي جريا على اصطلاح الصوفية، وإلا فهو من قام به الصدق على طريق الكثرة على ما قدمه. **(قوله: أنْ يكون الله معه)** أي بالإعانة والنصر.

لأنهم صدقوا فيه، وفي القيام بحقه وقوله: مع الصادقين سبق قلم، إنما هي مع الصابرين وليست مما نحن فيه.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: الصادق يتقلب في اليوم أربعين مرة) مثلاً في أحواله ومعاملاته على ما يقتضيه الدليل مما هو الأفضل في حقه ويدور مع الدليل حيث دار **(والمرائي يثبت على حالة واحدة أربعين سنة)** مثلاً يستحسن حاله ويظنها موصلة لمقصوده من رفعته عند الخلق فهو يعمل في الحقيقة في غضب ربه وإبعاده عنه.

(وقال أبو سليمان الداراني: لو أراد الصادق أنْ يصف ما في قلبه) من المواهب **(ما نطق به لسانه)** لعجزه عن نطقه به لأنَّ العبد لا يمكنه أنْ يعبر بلسانه عن كل ما يدركه من المحسوسات لعسر العبارات، فكيف بمواهب القلوب الحاصلة من علام الغيوب؟ ولذلك كان ﷺ أكثر ما يجري على لسانه، «لا ومقلب القلوب»[1] وقيل: القلب أشد تقلباً من ريشة في الصحراء في الريح العاصف، فمن تجسس لقلبه في وقت فراغه وجد بعض ما ذكر فقط.

(قوله: سبق قلم) أي ولا لوم فيه، فجل من لا يسهو. **(قوله: الصادق يتقلب الخ)** أي فهو لعلوّ همته لا يرضى إلا بالأفضل من الأخلاق والأعمال، فكلما ظهر له أكمل مما كان عليه انتقل إليه وذكر الأربعين للتكثير لا للحصر في عدد مخصوص.

(قوله: والمرائي يثبت) أي لانحطاط همته، وخسة طبعه يدوم على حالة واحدة بسبب استحسانه إياها جهلاً بما خفي عنه مما وراء ذلك من الأكمل. **(قوله: ما نطق به لسانه)** أي غيرة بعدم إفشاء الأسرار بإبرازها من معادنها، ولا سيما عند غير الأهل لها من المحجوبين، ويحتمل كما قال الشارح: إنَّ ذلك لعجزه عن نطقه به، وذلك يدل على كثرة ما يرد على قلوب الصادقين جزاء لصدقهم حتى يعجزوا عن التعبير عما يجدونه من الواردات والفيوضات.

(قوله: وقيل: القلب أشد تقلباً الخ) ولذا قيل:

وما سمي الإنسان إلا لنسيه ... وما القلب إلا أنه يتقلب

(قوله: في مواطن الهلكة الخ) المراد الهلكة في الحس والظاهر، وإلا فهي منجات في الحقيقة، ونفس الأمر يعني إذا تكلم على ظنّ السلامة.

---

(١) أخرجه الترمذي (نذور ١٣) والبخاري (أيمان ٣) (قدر ١٤) (توحيد ١١) والنسائي (أيمان ١، ٢) وابن ماجه (كفارات ١) والدارمي (نذور ١٢) والموطأ (نذور ١٥) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٦، ٦٧، ٦٨، ١٢٧، ٣، ١١٢، ٢٥٧).

(وقيل: الصدق) أي في اللسان (القول بالحق في مواطن الهلكة) ففي مواطن السلامة أولى، فعلى العبد أنْ يقول الحق وإنْ كان مؤلماً ومحله إذا غلب على ظنه نفعه والسلامة في الدين والبدن، (وقيل: الصدق موافقة السر النطق) بأنْ يعبر اللسان عما في القلب حقيقة، (وقال القناد: الصدق) أي في الأفعال (منع الحرام من الشدق) بالمعجمة أي جانب الفم لأنّ من صدق في طلب الحلال منعه الله من تناول الحرام وما فيه شبهة بأنْ لا يمد يده إليه أو لا يمكنه ابتلاعه أو نحو ذلك.

(وقال عبد الواحد بن زيد: الصدق) أي فيها (الوفاء لله سبحانه بالعمل) المطلوب منه، ومنه قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣] وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ﴾ [النحل: ٩١] (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغداديّ يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت

(قوله: الصدق موافقة السر النطق) أقول: فكل قد تكلم على حسب شربه وذوقه يسقى بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأكل. (قوله: منع الحرام) إنما اقتصر عليه في معنى الصدق لأنّ شهوة البطن من جماع المفاسد إذ ينشأ عنها الشهوة الغضبية والفرجية، ولذا ثبت في الخبر. «كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به»[(١)].

(قوله: الوفاء لله سبحانه بالعمل الخ) أي الوفاء به على الوجه الذي أمر بالتأدية عليه من قبله ﷺ. (قوله: ومنه قوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾) [الأحزاب: ٢٣] أي من الثبات مع رسول الله ﷺ، والمقاتلة لأعداء الدين، وهم رجال من الصحابة رضوان الله عليهم نذروا أنّهم إذا لقوا حرباً مع رسول الله ﷺ ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا، وهم عثمان بن عفان، وطلحة بن عبد الله، وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير، وأنس بن النضر وغيرهم رضوان الله عليهم أجمعين، ومعنى صدقوا أتوا بالصدق من صدقني إذا قال الصدق، ومحل ما عاهدوا النصب إما بطرح الخافض عنه وإيصال الفعل إليه كما في قولهم: صدقني سن بكره أي في سنه، وإما بجعل المعاهد عليه مصدوقاً على المجاز كأنهم خاطبوه خطاب من قال لكوماته: نحرتني الأعداء إنْ لم تنحري. وقالوا له: سنفي لك، وحيث وفوا به فقد صدقوه، ولو كانوا انكثوه لكذبوه، ولكان مكذوباً. (قوله: ومنه قوله تعالى: الخ) أي من الصدق الذي هو الوفاء لله سبحانه بالعمل.

(قوله: وقوله: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ﴾) [النحل: ٩١] الخ كرّر الآية ليفيد بالأولى

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٢٢٦، ٦، ٨، ١٠٦) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٩٢٠٧).

الجريري يقول: سمعت سهل بن عبد الله يقول: لا يشم رائحة الصدق) الكامل (**عبد داهن نفسه أو غيره**) بأنْ يسمح باختلال بعض دينه بخلاف المداراة بأنْ يسمح ببعض دنياه جبراً لحاله. (**وقال أبو سعيد القرشي: الصادق**) هو (**الذي يتهيأ له أن يموت**) بأنْ يهجم عليه الموت (**ولا يستحي من سره لو كشف**) للناس بأنْ يستوي ظاهره وباطنه، وربما يكون باطنه خيراً من ظاهره بخلاف من كان عنده نقص يخفيه عن الناس، فهو يكره إطلاعهم عليه في حياته، وبعد وفاته، خوفاً من نزول درجته عندهم فهو يستحي من أنْ ينكشف سره. (**قال الله تعالى**: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة: ٩٤] أي في زعمكم أنَّ الجنة لكم خاصة. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: كان أبو عليّ السقفي يتكلم يوماً**) على الناس أي يعظهم (**فقال له**) أبو محمد (**عبد الله بن منازل: يا أبا علي استعدّ للموت فلا بدّ منه فقال**) له (**أبو علي: وأنت يا عبد الله استعد للموت فلا بدّ منه، فتوسد عبد الله ذراعه ووضع رأسه**) عليه وتمدد (**وقال: قد مت**) فمات (**فانقطع أبو علي**) عن الكلام معه (**لأنّه لا**

مجرّد ثناء الحق على الخلق الوافين بالعهود، وبالثانية أنّ الوفاء بالعهد من الواجب المأمور به.

(**قوله: عبد داهن نفسه الخ**) الفرق بين المداهنة والمداراة أنَّ الأولى بيع الدين بالدنيا، والثانية بيع بعض الدنيا لإصلاح الحال والأُولى محرمة، والثانية مندوبة. (**قوله: عبد داهن نفسه**) أي فعل ما دعته إليه مما لا يشهد له حكم الشرع، وما كفاه ذلك حتى ارتكاب لذلك تأويلاً فاسداً خادع به نفسه وداهنها به. (**قوله: الصادق هو الذي يتهيأ له الخ**) أي وذلك لا يتم للعبد إلا إذا قام على نفسه حتى استقامت على متابعة سيد المرسلين ﷺ.

(**قوله: فهو يكره الخ**) أقول: ما كره لأجله أَقبح مما هو فيه من النقص، فلا حول ولا قوة إلا بالله. (**قوله: فتمنوا الموت**) قبل هذه الآية ما يصرح بالمقصود منها، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ [البقرة: ٣٤] أي الجنة أو نعيم الدار الآخرة عند الله خالصة أي سالمة لكم خاصة بكم كما تدعون بقولكم: أنّه لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، ونصب خالصة على الحال من الدار وعند ظرف الإستقرار في الخبر أعني لكم، وقوله: من دون الناس في محل نصب لخالصة، فتمنوا الموت لأنَّ من أيقن بدخول الجنة اشتاق إلى التخلص إليها من دار البوار وقذارة الأكدار، ولا سيما إنْ كانت خالصة له كما قال علي كرّم الله وجهه: لا أبالي إنْ سقطت على الموت أو سقط الموت علي، وقال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين: الآن أُلاقي الأَحبة محمداً وحزبه، وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه حين احتضر وكان يتمنى الموت جاء حبيب

يمكنه أن يقابله بما فعل) من التهيؤ للموت **(لأنه كان لأبي علي علاقات)** بفتح العين أي أسباب دنيوية **(وكان عبد الله مجرداً لا شغل له)** يمنعه عن شغله بالله، وكان صادقاً في سلوك الطريق، وقطع الأسباب المشغلة عنه تعالى. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: كان أبو العباس الدينوريّ يتكلم)** على الناس في المحبة وغيرها **(فصاحت عجوز في المجلس صيحة)** ووجدت وجداً عظيماً حتى غلب عليها حالها، وظهر على ظاهرها **(فقال لها أبو العباس الدينوري: موتي)** أي إنْ كنت صادقة في أنك مغلوبة **(فقامت وخطت خطوات ثم التفتت إليه)** وقد دعت الله أنْ لا يفضحها فأحست باستجابة الدعاء بالموت **(وقالت: قد مت ووقعت ميتة، وقال الواسطي: الصدق صحة التوحيد مع القصد)** بأنْ يفرد العبد ربه بالقصد، ويجهد في تحصيل القرب منه تعالى، **(وقيل: نظر عبد الواحد بن زيد إلى غلام من أصحابه قد نحل)** بفتح النون مع فتح الحاء وكسرها أي هزل **(بدنه فقال له: يا غلام أتديم الصوم؟ فقال:)** لا **(ولا أديم الإفطار)** أي أصوم وأفطر **(فقال: أتديم القيام بالليل؟ فقال:)** لا **(ولا أديم النوم)** أي أقوم وأنام **(فقال)** له: لما لم ير ذلك كافياً في نحوله **(فما الذي أنحلك فقال: هوى)** أي حب لله **(دائم وكتمان)** له **(دائم عليه)** أي لا يظهره أبداً **(فقال)** له **(عبد الواحد: اسكت)** عن هذه الدعوى **(فما أجرأك)** على الله

على فاقة لا أفلح من ندم أي على تمني الموت، وقوله: ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٣٨] تكرير الكلام لتشديد الإلزام وللتنبيه على أنَّ ترتيب الجواب ليس على تحقق الشرط في نفس الأمر فقط بل في اعتقادهم أيضاً وأنهم قد ادعوا ذلك، والجواب محذوف ثقة بما سبق عليه أي إنْ كنتم صادقين فتمنوه. **(قوله: فقال له أبو محمد: الخ)** فيه دليل على غاية صدقه رضي الله عنه، ومن ذلك قيل: إنّه لا ينبغي معاملة الفقير بظاهر العلم بل بالرفق كما تقدّم في كلامهم.

(قوله: لأنه كان لأبي علي علاقات الخ) أقول: إنْ كان ذلك ثابتاً بالنقل فمسلم، وإنْ كان فهماً لتأخره عن فعل مثل ما فعل صاحبه، فلا ينبغي لاحتماله وجهاً آخر فحرر.

(قوله: فصاحت عجوز الخ) أنظر همم النساء في الزمان الماضي مع همم رجال زماننا الآن، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. **(قوله: وقد دعت الله الخ)** أنظره هل ذلك منقول، وإلا فما المانع من اطلاعها على اقتراب أجلها، فقالت ما ذكر من غير سبق دعاء.

(قوله: صحة التوحيد الخ) في هذا الحمل نظر إلا أنْ يقال: المسند لازم لحقيقة الصدق التي هي إفراد المعبود بالعبادة. **(قوله: فقال له عبد الواحد: الخ)** أقول: صدور

لقد ادعيت مقاماً عظيماً لا ينبغي لك أنْ تدعيه **(فقام الغلام)** وكان صادقاً في دعواه **(وخطى خطوتين وقال: إلهي إنْ كنت صادقاً فخذني)** إليك **(فخر ميتاً)** ومن هنا قال بعضهم: إذا لقيت فقيراً فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم، فإنك إذا لقيته بالعلم ذاب كما يذوب الثلج. **(وحُكي عن أبي عمرو الزجاجي أنه قال: ماتت أمي فورثت منها داراً فبعتها بخمسين ديناراً فخرجت إلى الحج، فلما بلغت بابل)** موضع بالعراق **(استقبلني واحد من القناقنة)** جمع قنقن، وهو الدليل الهادي والبصير بالماء في حفر القني **(وقال)** لي: **(أيش معك؟ فقلت في نفسي: الصدق خير)** من الكذب **(ثم قلت)** له: **(خمسون ديناراً فقال)** له: **(ناولنيها فناولته الصرة فعدّها فإذا هي خمسون ديناراً فقال: خذها فلقد أخذني صدقك)** أي رهبته فأثرت فيّ فرذتني **(ثم نزل عن الدابة)** التي هو راكبها **(وقال)** لي: **(اركبها فقلت: لا أريد)** الركوب **(فقال)** لي: **(لا بدّ)** منه **(وألح عليّ)** فيه **(فركبتها فقال:)** اذهب **(وأنا)** لاحق بك **(على أثرك)** إلى مكة، **(فلما كان العام المستقبل لحق بي ولازمني)** في الخير **(حتى مات)** فهذه آثار الصدق وبركاته في الدنيا قبل الأخرى. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفر الخوّاص يقول: سمعت إبراهيم الخوّاص يقول: الصادق لا تراه إلا في فرض يؤدّيه أو فضل)** أي ندب **(يعمل)** لربه **(فيه)** لأنّ الطاعة التي هي شغله لا يخرج عنها، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا الحسين بن مقسم يقول: سمعت جعفراً الخوّاص يقول: سمعت الجنيد يقول: حقيقة الصدق أنْ تصدق في موطن لا ينجيك منه إلا الكذب)** في ظنك لكونك تخشى من الصدق فيه على

ذلك منه لم يكن لغرض الإيذاء بصريح الرد عليه بل عملاً بظاهر الشرع غيرة على مقام الربوبية، فهو حينئذ غير آثم بل مأجور، والميت شهيد رضي الله عن الجميع.

(قوله: فخر ميتاً) أي وذلك من أقوى الأدلة على الصدق، ومن إماراته أيضاً دوام الجدّ، والإقبال وترك التفريط في اليسير من الأعمال، فلا يخاف الصادق لومة لائم، ولا يحاذر سلطاناً جائراً ولا يغتر بكثرة الجنود والعساكر، ومن ذلك حال الصديق الأكبر على ما هو المشهور عنه حال وفاته ﷺ حين وقع الاضطراب في موته والاختلاف وهو ثابت القلب مطمئن الجنان على عادة الأشراف والله أعلم.

(قوله: وحُكي عن أبي عمرو الخ) فائدة ذكر هذه القصة بيان ثمرة الصدق في الدنيا قبل الآخرة، فالله تعالى يوفقنا وإخواننا لما يحبه ويرضاه.

(قوله: لا تراه إلا في فرض الخ) أي وذلك لأن الصدق جماع كل خير كما تقدم.
(قوله: حقيقة الصدق الخ) انظره مع حكم الشرع، فلعل الظن غير قويّ.

نفسك الضرر، فينطق به فيه كما في تغيير المنكر، **(وقيل: ثلاث لا تخطىء الصادق)** أي لا تتجاوزه إلى غيره كما جرت عادة الله تعالى به وهي **(الحلاوة)** في منطقه لإتيانه بالحق في رفق وسهولة **(والهيبة)** أي الحرمة له لدوام توفقه عما يكرهه مولاه، وإنكاره المنكر، ولو كان فاعله إياه **(والملاحة)** له لضياء الطاعة على وجهه، وقد قيل: من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار، **(وقيل: أوحى الله سبحانه إلى داود عليه السلام: (يا داود من صدقني في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته)** لخبر: «من أسر سريرة ألبسه الله رداءها»، والغالب على من يعمر باطنه بالصدق والإخلاص أنْ تجري حركاته وسكناته على حسب ما في قلبه، فيظهر الصدق في أحواله وأفعاله.

(وقيل: دخل إبراهيم بن دوحة مع إبراهيم بن ستنبة البادية فقال إبراهيم بن ستنبة لابن دوحة: اطرح ما معك من العلائق قال: فطرحت كل شيء ذكرت) أنه معي **(إلا ديناراً فقال)** لي: **(يا إبراهيم لا تشغل سري إطرح ما معك من العلائق قال: فطرحت الدينار)** لعله طرح ذلك لمن يأخذه، وإلا فطرحه إضاعة مال، وهي حرام أو يقال: إنما يحرم إذا كانت لغير التداوي لا للتداوي لا سيما الأمراض الدينية، وإذا جاز أنْ يتلف العبد مالاً كثيراً للأمراض البدنية، وقد لا تزول، فكيف إذا كانت دينية وحصل بها أدب النفس وزجرها حتى لا تعود، **(ثم قال)** لي: **(يإبراهيم إطرح ما معك من العلائق فذكرت أنّ معي شسوعاً)** أي سيوراً احتاجها **(للنعل)** أي لربطه بها إذا انقطع شسعه **(فطرحتها فما احتجت في الطريق إلى شسع إلا وجدته بين يدي فقال إبراهيم بن ستنبة: هكذا من عامل الله بالصدق)** يلطف به ولا يحوجه إلى سكون

(قوله: ثلاث لا تخطىء الخ) الاقتصار عليها لظهور آثارها، وإلا فلا يخطئه كل خير كما هو واضح. **(قوله: والملاحة له)** أي لإشراف نور باطنه على صفحات وجهه. **(قوله: وقيل: أوحى الله سبحانه الخ)** أي وثبت في الخبر المحمدي: «نية المرء خير من عمله»، فتدبر.

(قوله: والغالب على من يعمر الخ) أي بسبب كثرة الأنوار القلبية تتأثر الجوارح الظاهرة الإنسانية، فتدوم على جدها رغبة في أجرها وقربها. **(قوله: لعله طرح ذلك لمن يأخذه الخ)** أقول: ويحتمل أنَّ المراد طرح تعلق القلب به فلا تلزم حينئذ إضاعة المال إذ الضرر في تعلق القلب في الدنيا لا بذاتها مجرّدة عن التعلق. **(قوله: هكذا من عامل الله الخ)** أي ويدل له قوله جل شأنه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

لسبب، **(وقال ذو النون المصري رحمه الله تعالى: الصدق سيف الله ما وضع على شيء إلا قطعه)** لأنّ المتصف به إنْ دعى الله استجاب له، وإنْ أوذي انتصر له، **(وقال سهل بن عبد الله: أوّل خيانة الصديقين حديثهم مع أنفسهم)** لأنّ الصدّيق من كثر صدقه في جميع أعماله وأحواله فإذا حدث نفسه بالتقصير في صدقه وتمادى على ذلك، فقد خان ربه فيما عزم عليه له.

(وسئل فتح الموصليّ عن الصدق فأدخل يده في كير الحدّاد وأخرج الحديدة المحماة، ووضعها على كفه، وقال: هذا هو الصدق) وهو من باب صدق الإلتجاء إلى الله، فإذا أراد الوليّ أنْ يطلع أحداً على خوارق العادات للحاجة إليه صدق في الالتجاء إلى الله، وفعل فعلاً خارقاً للعادة بإقدار الله له عليه، ومن ذلك ما حُكي أنّ رجلاً كان شديداً في بطشه لا يطيقه من الناس إلا قليل أمسك امرأة وهي تصيح وتستغيث وبيده سكين لا يجسر أحد يقرب منه إلا عقره قال: فبينا الناس كذلك إذ جاءه بشر بن الحرث فحكه بكتفه وكلمه بقوله: الله يراك وما تصنع، فسقط إلى الأرض مغشياً عليه، وذهبت المرأة فلما أفاق سأل عن الذي كلمه فقيل له: هو بشر بن الحرث فقال: وافضيحتاه كيف يراني بعد اليوم فحم الرجل من يومه ومات بعد أيام قلائل.

(وقال يوسف بن أسباط: لأنْ أبيت ليلة أعامل الله تعالى بالصدق أحب إلي من أنْ أضرب بسيفي في سبيل الله تعالى) لأنّ الصدق يحتاج إليه في كل حال بخلاف

(قوله: الصدق سيف الله الخ) كناية عن تولي الحق أمر الصادق بالإعانة والحفظ والنصرة. **(قوله: أول خيانة الصدّيقين الخ)** أي وذلك لأنّ مقتضى الصدق دوام الجد، وتصميم العزم، وهذا الحديث ينافي ذلك فلذا عد من الخيانة. **(قوله: فادخل يده الخ)** أي فقد بينه ببعض كراماته وثمراته. **(قوله: ومن ذلك ما حكي الخ)** أي وهي من نتائج الصدق وتأثيراته، ولا يخفى بركة مس بشر، وقوله له. **(قوله: لأنّ الصدق يحتاج إليه الخ)** أي للزومه فيما يتقرب به إليه تعالى كما تقدم من أنّه أصل كل خير، فلا تتم عبادة إلا به. **(قوله: لأنّه جهاد دائم الخ)** أي ورد العدوّ وقهره أسهل من قهر النفس وردها عن عاداتها ومألوفاتها.

(قوله: الصدق أنْ تكون مع الناس الخ) المراد بذلك دوام العبد على التواضع بشهود التقصير لنفسه، فلا يوقفه استحسان شيء من أعماله حيث ذلك من الغرور بسبب جهل المقدور، وقوله: أو أنْ ترى من نفسك الخ معناه الذي يظهر أنْ أو بمعنى الواو فمراده دوام العبد على قيامه على النفس في خلواته، وبعده عن الناس مثل قيامه عليها في حال اجتماعه بهم على معنى استواء معاملته لربه في الخلوة وغيرها.

الجهاد في سبيل الله، فإذا بات العبد يعامل الله بالصدق في سائر أحواله من قيامه ومنامه، وشرابه، وطعامه، فهو في الجهاد الأكبر لأنّه جهاد النفس، وهو أكبر من الجهاد في سبيل الله لأنّه جهاد دائم متوال. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: الصدق أنْ تكون مع الناس كما ترى من نفسك، أو أن ترى من نفسك كما تكون**) معهم بأنْ يستوي عندك السر والعلانية فلا تخفي عن الناس ما يعلمه الله منك حذراً من ذمهم، ولا تظهر لهم ما يعلم الله خلافه من باطنك طلباً لمدحهم.

(**وسئل الحرث المحاسبيّ رحمه الله عن علامة الصدق**) فأجاب بعلامة الصادق، التي يعرف بها علامة الصدق وفي نسخة عن علامة الصادق (**فقال: الصادق هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الخلق من أجل صلاح قلبه**) هذا تعليل للا يبالي (**ولا يحب إطلاع الناس على مثاقيل الذر من حسن عمله، ولا يكره أنْ يطلع الناس على السيء من عمله، فإنّ كراهته لذلك دليل على أنّه يحب الزيادة عندهم، وليس هذا من أخلاق الصدّيقين**) لمنافاته الصدق. (**وقال بعضهم: من لم يؤد الفرض الدائم لا يقبل منه الفرض المؤقت**) بوقت كالصلوات الخمس، (**قيل له: ما الفرض الدائم؟ قال: الصدق**) كالإيمان لأنّ العبد مأمور به في كل معاملته كما قال تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩] أي نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢].

(**قوله: فلا تخفى عن الناس الخ**) ليس المراد من ذلك ذكر العيوب السرية بل المراد النهي عن التصنع بإظهار الأوصاف الحميدة مع أنّه في نفس الأمر صفاته ذميمة. (**قوله: فأجاب الخ**) أي فكان جوابه ببيان ما يلزم من تعريفه بيان علامة الصدق.

(**قوله: فقال: الصادق هو الذي لا يبالي الخ**) محصله أنّ قلبه قد انقطع عن شهود الخلق بسبب غلبة تعلقه واشتغاله بالحق، فلزم من ذلك أنّ حاله صار مثل ما ذكره. (**قوله: كما قال تعالى: الخ**) وجه الدلالة منها حذف المعمول وهو يؤذن بالعموم في كامل العبادات. (**قوله: قال تعالى: الخ**) وجه الدلالة من الآيتين الشريفتين أنّ التقوى لا تتم إلا بالصدق إذ هو سر قبولها، والثمرة إنما تترتب على وجوده وتحققه في سائر الطاعات والعبادات.

(**قوله: أي نوراً تفرقون به الخ**) أي وذلك النور يقذف في القلب بعد صقل مرآته، فيزيد كشفه بقوّة عين بصيرته، فيفرق العبد بذلك بين الحق والباطل بإمارات ربانية بواسطة ملك أو بدون واسطة.

(**وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أنّه يضرك فإنّه ينفعك، ودع الكذب حيث ترى أنّه ينفعك فإنّه يضرك**) لأنّ الصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، (**وقيل: كل شيء شيء**) يعتد به (**ومصادقة الكذاب لا شيء**) يعتد به إذ لا خير فيها دنيا وأخرى لأنك لا تثق بخبره، وإذا كذب لك كذب عليك، (**وقيل: علامة الكذاب جوده باليمين لغير مستحلف**) لأنّه لما لم يثق بخبر نفسه وخاف من ظهور كذبه بادر إلى تأكيده وستره بيمينه ليتوهم صدقه.

(**وقال ابن سيرين: الكلام أوسع من أنْ يكذب ظريف**) أي في سعة الكلام من المعاريض ما يستغني به الظريف الحسن التصرف عن الكذب، ولقد ذكر من المعاريض لمن أراد أنْ يستخفي من الناس أنّه كان يدوّر دائرة في الحائط، ويقول لخادمه: ضع يدك في هذه الدائرة وقل: ليس هو ههنا، ومنها أنْ يخرج من باب داره بكرة، ويرجع إليها ويقول لخادمه: قل لطالبيّ يا سيدي خرج بكرة، (**وقيل: ما أملق**) أي افتقر (**تاجر صدوق**) لأنّ صدقه يحمله على إظهار العيوب والنصح في المعاملة، وكل من عرف بهذا رغب الناس في معاملته، ومالوا إليه طمعاً في نصحه وحسن معاملته، وبهذا يكثر رزقه قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢].

(**قوله: حيث تخاف الخ**) مراده طلب الصدق في مظان الضرر به، وتجنب الكذب في مظان النفع به، فإنّه قد يكون ما في الواقع خلاف المظنون أو المتوهم، فالصدق نافع مطلقاً، والكذب ضار أبداً، ومع ذلك فلا بد من ميزان الشرع المستقيمة. (**قوله: كل شيء الخ**) الغرض التحذير من مصادقة الكذاب حيث هي ضارة غير نافعة. (**قوله: علامة الكذاب الخ**) أي إمارة تحقق كذبه مبادرته بالحلف لغير من استحلفه، ومثله لا خير فيه، فيحذر ويتجنب.

(**قوله: الكلام أوسع الخ**) المراد أنّ الظريف الحاذق له مندوحة عن الكذب بواسطة سعة معاريض الكلام فالكذب لا يكون إلا من غبي جاهل. (**قوله: وقيل: ما أملق الخ**) مراده الحث على الصدق ببيان ثمرته المألوفة في الدنيا قبل الآخرة اهـ.

باب الحياء

هو ما يمنعك عما يضرك، ويقال تعظيم يمنع من الانبساط، ويقال غير ذلك كما سيأتي، وسببه ملازمة من يستحى منه كأهل العلم والأدب، وثمرته أمن المقت

باب الحياء

اعلم أنّ الحياء صفة وحالة توجب الانقباض والتغير عند بدوّ ما يستحى منه، وهو نوعان حياء من الحق، وحياء من الخلق، فمن جمعهما فقد جمع خيري الدنيا والآخرة، وقد ورد عن السيد الكامل ﷺ: «الحياء خير كله»[1] وورد عنه أيضاً «الحياء لا يأتي إلا بخير»[2] وورد كذلك «الحياء من الإيمان»، وثبت في الخبر «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[3] إلى غير ذلك، فكل من الشرع والعقل قرّره وأثنى على من اتصف به، والحياء جبلي ومكتسب، وكلامه يشملهما. **(قوله: هو ما يمنعك الخ)** ما واقعة على صفة، وحالة تكون للإنسان ينشأ عنها البعد عما يلام عليه شرعاً وعقلاً، وقوله: عما يضرك أي في دينك، فالمدار على ما يضر باعتبار الدين لا باعتبار الدنيا إذ قد يكون مذموماً على ما لا يخفى على من له المام بالفروع.

(قوله: ويقال: تعظيم يمنع الخ) أي تعظيم من ثبت الحياء لأجله وباعتباره، وقوله: يمنع من الانبساط أي من استرسال النفس فيما تميل إليه مما يلام عليه.

(قوله: وسببه ملازمة الخ) أقول: يظهر ذلك في الحياء من الخلق أما الحياء منه تعالى فسببه شهود صفات جلاله وجماله تعالى، ولا يظهر في الحياء الجبلي إذ هو صفة وحالة يخلق عليها الشخص، وسببه عناية الله بالعبد الذي خلقه كذلك. **(قوله: وثمرته أمن المقت الخ)** وهذه ثمرته في الدنيا والآخرة، واعلم أنّ الحياء المطلوب هو على ما يلام عليه في الشرع لا في مجرّد العقل مع حسنه في الشرع لأنّ ذلك نقص في الدين.

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٦١) وأحمد بن حنبل (٤، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (أدب ٧٧) ومسلم (إيمان ٦٠).

(٣) أخرجه البخاري (أنبياء ٥٤) (أدب ٧٨) وأبو داود (أدب ٦) وابن ماجه (زهد ١٧) والموطأ (سفر ٤٦) وأحمد بن حنبل (٤، ١٢١، ١٢٢، ٥، ٢٧٣).

والعذاب، وخفة الحساب وعدم الدعوى، وكثرة الثواب ويكفي في ذلك خبر: «الحياء لا يأتي إلا بخير»، وهو ممدوح، ومطلوب **(قال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾** [العلق: ١٤] أي ما صدر عنه أي يعلمه فيجازيه عليه. **(وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري المزكي رحمه الله قال: أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد بن زياد النحويّ ببغداد قال: حدّثنا إبراهيم بن محمد بن الهيثم قال: حدثنا موسى بن حيان قال: حدثنا المقدميّ عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:** «الحياء من الإيمان»[1])أي الكامل **(وأخبرنا أبو سعيد محمد بن إبراهيم الإسماعيلي قال: حدّثنا أبو عثمان عمرو بن عبد الله البصري قال: حدّثنا أبو أحمد محمد بن عبد الوهاب قال: حدثنا يعلى بن عبيد قال لي أبان بن إسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة الهمداني عن ابن مسعود رضي الله عنه أنّ النبي ﷺ قال ذات يوم لأصحابه: «استحيوا من الله حق الحياء قالوا: إنا نستحيي»**[2] أي حق الحياء **(يا رسول الله والحمد لله قال: «ليس ذلك)**

(قوله: ألم يعلم بأنَّ الله يرى) المحدث عنه قيل: أبو جهل روي أنّه قال في ملأ من طغاة قريش: لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه أو كما قال، فرآه ﷺ فجاء ثم نكص على عقبيه فقالوا: مالك فقال: «إنّ بيني وبينه لخندقاً من نار» وقيل: هو أمية بن خلف كان ينهى سلمان عن الصلاة. ومعنى قوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ [العلق: ١٤] أي يطلع على أحواله فيما يريد بها حتى اجترأ على ما فعل، فقوله: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ الاستفهام فيه تقريري، وقوله: أي ما صدر عنه بيان للمعمول، وهو عام لجميع حركات وسكنات العبد كما هو ظاهر.

فائدة:

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: الإيمان عريان ولباسه التقوى، وريشه الحياء، ورأس ماله العفة.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: باسم التقوى يصام النهار ويقام الليل وهي ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، وقال النبي ﷺ: «المؤمن من أمن جاره بوائقه» أي

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ١٦، ٣) (أدب ٧٧) ومسلم (إيمان ٥٧ ـ ٥٩) وأبو داود (سنة ١٤) والترمذي (بر ٥٦، ٨٠)، (إيمان ٧) والنسائي (إيمان ١٦، ٢٧) وابن ماجه (مقدمة ٩) (وزهد ١٧) والموطأ (حسن الخلق ١٠) وأحمد بن حنبل (٢، ٥٦، ١٤٧، ٣٩٢، ٤١٤، ٤٤٢، ٥٠١، ٥٣٣، ٥، ٢٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (قيامة ٢٤) وأحمد بن حنبل (١، ٣٨٧).

الذي تتوهمونه هو حق الحياء (**ولكن من استحيا من الله حق الحياء فليحفظ الرأس وما وعى وليحفظ البطن وما حوى، وليذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا، فمن فعل ذلك فقد استحيا من الله حق الحياء**»)، وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: **أخبرنا أبو نصر الوزيري قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن محمد قال: حدثنا الغلابي قال: حدثنا محمد بن مخلد عن أبيه قال: قال بعض الحكماء: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحي منه**) واحذروا أنْ لا يمازجه رياء كان يمرّ بأخيه وهو محتاج إلى من يساعده في شغل له فيقف يساعده حياء لحسن خلقه، ثم يعزم على المضي فيقول له الشيطان: الآن يذمك في كونك لم تثبت معه حتى يفرغ من شغله فيساعده رياء بعد أنْ كان حياء (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت ابن عطاء يقول: العلم الأكبر**) وهو معرفة الله تعالى

شروره، وقال ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً فإذا رأيتم المؤمن صموتاً وقوراً فادنوا منه فإنّه يلقن الحكمة»[1]. (**قوله: الحياء من الإيمان**) أي شعبة من شعب الإيمان، والمراد الإيمان الكامل، فمن لا حياء له لا إيمان له.

(**قوله: فليحفظ الرأس وما وعى الخ**) أي فليحفظ حواسه كالنظر والسمع والنطق عما لا يحل بشاهد علم الشرع، وقوله: «وليحفظ البطن وما حوى» معناه أنْ يحفظ نفسه من شهوة البطن والفرج، وقوله: «وليذكر الموت والبلى» أي يدوم على تذكر ذلك ليعمل للآخرة، ويقل تعلقه بالدنيا، وقوله: «ومن أراد الآخرة ترك زينة الدنيا» أي بواسطة أنهما ضرتان لا يجتمع حبهما في قلب مؤمن، وهذا كما ترى من جوامع كلمه ﷺ الجامعة لكل خير، وقوله: «فمن فعل ذلك فقد استحيا» الخ أي بالنسبة لما تطيقه البشرية، وإلا فالحياء اللائق بعظمة الحق تعالى فهو غير مقدور للبشر.

(**قوله: أحيوا الحياء الخ**) مراده الحث على تحقيق صفة الحياء والدوام عليها وتقويتها بمجالسة من يستحي منه، فإنّ الحياء وإنْ كان جبلياً قد يزيد بالكسب بواسطة مطالعة أخلاق الكمل، وحضور مجالسهم.

(**قوله: واحذروا أن لا يمازجه رياء**) الصواب إسقاط لفظة لا إذ المحذر منه نفس ممازجة الرياء كما هو غني عن الشرح، فلعل زيادة لا سبق قلم أو من تحريف الناسخ. (**قوله: العلم الأكبر**) أي الأعظم من كل علم إذ شرف العلم بشرف المعلوم ثمرته ونتيجته، الهيبة والحياء أي بسبب غلبة جلال الحق على قلب العبد، وغلبة إحاطة علمه

---

(١) أخرجه أبو داود (سنه ١٤) والترمذي (رضاع ١١) (إيمان ٦) والدارمي (رقاق ٧٤) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٥٠، ٤٧٢، ٥٢٧، ٦، ٤٧، ٩٩).

ثمرته (**الهيبة والحياء**) لأنّ من عرف الله أجله واستحى منه أي فعل به أفعال المستحيين من المحبة والإكرام والتعظيم، (**فإذا ذهبت الهيبة و**) ذهب (**الحياء**) من قلب العبد (**لم يبق فيه خير، وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا الفرج الورثانيّ يقول: سمعت محمد بن أحمد بن يعقوب يقول: حدثني محمد بن عبد الملك قال: سمعت ذا النون المصريّ يقول: الحياء وجود الهيبة في القلب مع وحشة ما سبق منك إلى ربك تعالى**) يعني أن معرفتك بما سبق لك من المخالفة لربك توجب وحشة بينك وبينه، ونظره إليك في تلك الحالة مع استشعارك لنظره إليك يوجب لك انقباضاً، وحشمة يعبر عنهما بالحياء، (**وقال ذو النون المصريّ: الحب ينطق**) المحب لأنّ من أحب شيئاً أكثر من ذكره (**والحياء يسكت**) المستحي لأنّ من استحى من شيء انقبض منه وسكت (**والخوف يقلق**) الخائف لأنَّ من خاف من شيء قلق وهرب منه، (**وقال أبو عثمان: من تكلم في الحياء و**) هو (**لا يستحي من الله تعالى فيما يتكلم به فهو مستدرج**) أي مأخوذ قليلاً قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم﴾ [الأعراف: ١٨٢] أي نأخذهم

به، وإذ ثبت ذلك لشخص كان هو أيضاً مهاباً عند الخلق جميعاً مستحياً منه، فمن ادعى معرفة الله وتجرد عن الصفتين الشريفتين المذكورتين كانت دعواه زوراً وبهتاناً والله أعلم.

(**قوله: وهو معرفة الله تعالى**) أي علم العبد أورثه ذلك وأثمر له الهيبة والحياء منه تعالى، ومن كان كذلك دام على طاعته، وهرب من مخالفته. (**قوله: لم يبق فيه خير**) أي لا ديني ولا دنيوي.

(**قوله: الحياء وجود الهيبة الخ**) أي من أسباب الحياء وجود الهيبة في القلب التي ينشأ عنها الوحشة من خوف المؤاخذة بسابق التقصير الذي قل التجرد عنه، فاستشعار العبد بأنّ علم الله تعالى قد أحاط به في تلك الحالة يوجب له الحياء من الله، فالسبب حينئذ للحياء إنما هو ذلك الاستشعار.

(**قوله: الحب ينطق الخ**) أي فالمذكور من النطق والسكوت والقلق إمارات تدل على تحقق المحبة والحياء والخوف. (**قوله: من تكلم في الحياء الخ**) أي من كان شربه منه القول دون التخلق فهو مستدرج لأنّه في هذه الحالة أشبه المنافقين الذين ﴿يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٦]، ولذلك قيل:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

فإنّه يدل عل أنّ مثل النهي وعدم التجنب للمنهي عنه كالحث على الشيء مع عدم التخلق بذلك الشيء.

(**قوله: أي مأخوذ قليلاً قليلاً**) أي لأجل عدم استشعاره حتى لا يرجع عن غيه

قليلاً قليلاً. (سمعت أبا بكر بن شكيب رحمه الله يقول: دخل الحسن الحداد على عبد الله بن منازل فقال: من أين تجيء) أي جئت (قال: من مجلس أبي القاسم المذكر فقال: فيما ذا كان يتكلم؟ فقال: في الحياء فقال عبد الله: واعجباه من لم يستحي من الله تعالى كيف يتكلم في الحياء) إذ يقبح بالعبد أنْ يتكلم فيه، وهو مقيم على ما يسخط الله لم يقصد بذلك غيبته بل تنبيهه وتحذيره من أنّ يكون كذلك. (سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا العباس البغداديّ يقول: سمعت أحمد بن صالح يقول: سمعت محمد بن عبدون يقول: سمعت أبا العباس المؤدب يقول: قال سريّ) السقطي: (إنّ الحياء والأنس يطرقان القلب، فإذا وجدا فيه الزهد) وهو الإعراض عن الحلال الصافي (والورع) وهو الإعراض عما فيه شبهة (حطا) أي سكنا فيه (وإلا رحلا) عنه لأنّ الحياء ثمرة دوام المراقبة والأُنس ثمرة دوام العبادة بالإخلاص، فلا يحلان إلا في محل خالٍ عن المشغلات عن الله، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت محمد بن عبد الله بن شاذان رحمه الله يقول: سمعت الحريريّ يقول: تعامل القرن الأول من الناس فيما بينهم بالدين) أي بأوامر الله ونواهيه،

ومألوفه لأنه حينئذ من الظالمين لأنفسهم، وقد قيل في حق الظالم: إنّ الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته. (قوله: قال تعالى: ﴿سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ﴾)[الأعراف: ١٨٢] استئناف مسوق لبيان كيفية العذاب المستفاد من الأمر السابق إجمالاً، والضمير لمن، والجمع بإعتبار معناها كما أنّ الإفراد في يكذب باعتبار لفظها أي سنستنزلهم في العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة من حيث لا يعلمون أنه استدراج، وهو الإنعام عليهم بل يزعمون أنه إيثار لهم وتفضل على المؤمنين مع أنّه سبب لهلاكهم.

(قوله: لم يقصد بذلك غيبته الخ) المراد دفع ما عساه يقال أنّ ذلك من الغيبة، وهي من الكبائر في هذا المقام. (قوله: إنّ الحياء والأنس الخ) محصله أنّ أساس الخير كله الزهد والورع، فمتى غلبا على العبد تحلى بكل كمال كالحياء والأنس والإخلاص والمراقبة، وغير ذلك من صفات الكمال. (قوله: فلا يحلان إلا محل خالٍ) أي لأنّ المشغول لا يشغل قال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]. (قوله: تعامل القرن الأول الخ) الغرض من ذلك بيان ما كان عليه أهل القرون الأول من الأخلاق الحميدة، وقوتهم فيها بسبق القدم، وضعف الدين الآن بما أحدثوا فيه من البدع، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، ويشهد له خبر: «بدا الدين غريباً وسيعود كما بدا»، فمن شاهد الأنوار المحمدية كان هو الأقوى في الدين ثم من شاهد من شاهده إلى حد ما أراد ربنا تبارك وتعالى، فيعلم من ذلك أنّ أهل زماننا إنما هم في عين الظلمة نسأل الله

وأوقعوا كل فعل موقعه فوقعت الأعمال صحيحة **(حتى رق الدين)** أي ضعف، **(ثم تعامل القرن الثاني)** منهم **(بالوفاء)** وهو ما بقي معهم من آثار الدين الحميدة التي تعودوها في الزمن الماضي **(حتى ذهب الوفاء، ثم تعامل القرن الثالث)** منهم **(بالمروءة)** وحسن الأخلاق **(حتى ذهبت المروءة، ثم تعامل القرن الرابع)** منهم **(بالحياء)** فمن كان عنده حياء إنكف عن الرذائل، ومن لا فلا، وقد ورد: «إذا لم تستحي فاصنع ما شئت» يعني إذا قلَّ حياؤك صنعت ما تشاء أو إذا لم يكن في عملك ما يستحى منه فاصنع ما شئت، فإنّه كله جيد، **(حتى ذهب الحياء ثم صار الناس يتعاملون بالرغبة)** أي الرجاء **(والرهبة)** أي الخوف، فمن رجي في نيل شيء منه أنصف في المعاملة لما يرجى منه، ومن خيف ضرره أنصف أيضاً خوفاً من شره، وأما اليوم فأكثر معاملتهم وإنصافهم إنما هو بالرهبة خاصة ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤] فمن خيف شره أنصف في معاملته، وقضيت حاجته، ومن كان بخلاف ذلك استهين وبقيت حاجته في نفسه تتلجلج، فـ ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] **(وقيل)** في معنى البرهان **(في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾** [يوسف: ٢٤] البرهان أنّها ألقت ثوباً على وجه

العفو والعافية وحفظ الإيمان بجاه حبيبه سيد ولد عدنان ﷺ وشرف وعظم.

(قوله: بالدين) أي بواسطة قوّة أنوار مشاهدة المشرع ﷺ، وصدق إيمانهم بما جاء به. **(قوله: وهو ما بقي معهم الخ)** أي فبواسطة بعد أنوار الحبيب كانت المعاملة بذلك. **(قوله: بالمروءة)** أي فلضعف النور بالنسبة لمن قبلهم تعاملوا بالمروءة. **(قوله: ثم تعامل القرن الرابع بالحياء)** أي ولذلك قيل: صفة المؤمن أنْ يكون كثير الحياء قليل الأذى كثير الصلاح قليل الفساد صدوق اللسان قليل الكلام كثير التحمل قليل الزلل، فيكون براً وصولاً وقوراً صبوراً راضياً شاكراً حليماً رفيقاً عفيفاً شفيقاً لا لعاناً، ولا سباباً، ولا نماماً ولا مغتاباً، ولا عجولاً، ولا حقوداً ولا بخيلاً، ولا حسوداً، هشاشاً بشاشاً لا جساساً ولا حساساً يحب في الله ويبغض في الله، ويعطي لله ويمنع لله، هذا، وقال الفضيل: المؤمن قليل الكلام كثير العمل، والمنافق كثير الكلام قليل العمل، وقال عمر بن عبد العزيز: المؤمن قوّته في قلبه، والمنافق قوّته في بدنه. **(قوله: يتعاملون بالرغبة والرهبة)** أي بالنسبة للمخلوقين أمثالهم، وذلك نقص عظيم ونفاق كبير، ثم زاد الحال حتى تعاملوا بالرهبة فقط لقلة من يرجى خيره، وهو غاية النقص فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: وقيل: في معنى البرهان في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ﴾) [يوسف: ٢٤] أي قصدت منه الجماع مع العزم والتصميم، وهمّ بها أي قصد ذلك بمقتضى الطبع البشري من غير رضا، ولا عزم، وتصميم، والقصد على هذا الوجه لا مؤاخذة فيه،

صنم يعبده الكفار (**في زاوية البيت فقال يوسف عليه السلام: ما تفعلين؟ فقالت: أستحي منه**) إذا لم يحجب عني (**فقال يوسف عليه السلام: أنا أولى منك أن استحي من الله تعالى**) وقيل: البرهان أنّه رأى يعقوب عليه السلام عاضاً على إصبعه يحذره، والهمّ مشترك بين حديث النفس والعزم، والأوّل معفو عنه، والثاني مؤاخذ به، فهمه حديث نفس، وهمها عزم.

(**وقيل:**) في حكمة الاستحياء (**في قوله تعالى:** ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: ٢٥] قيل: إنما استحيت منه لأنها كانت تدعوه إلى **الضيافة فاستحيت أن لا يجيب**ـها إليها (**موسى عليه السلام**) فيفوتها مقصودها (**فصفة المضيف الاستحياء، وذلك استحياء الكرم**) وسيأتي بيانه، وقيل: إنها دعته ليأخذ

وعبارة البيضاويّ والمراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري، وذلك مما لا يدخل تحت التكليف بل الحقيق بالمدح، والأجر الجزيل من الله تعالى من يكسف نفسه عن الفعل عند قيام هذا الهم، وقوله: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] قال ابن عباس: مثل له يعقوب فضرب صدره فخرجت شهوته من أنامله، وقيل: إنّه رأى يعقوب يقول: يا يوسف أنعمل عمل السفهاء، وأنت مكتوب في الأنبياء، وقال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد وعكرمة، والضحاك: انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضاً على إصبعيه، وقال محمد بن كعب القرظي: رفع رأسه إلى سقف البيت فرأى مكتوباً في حائط ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء: ٣٢]، وعن علي بن الحسين قال: كان في البيت صنم فقامت المرأة إليه وسترته بثوب فقال لها يوسف عليه السلام: لم فعلت هذا؟ قالت: إستحيت منه أنْ يراني على معصية، فقال يوسف: أتستحي ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه شيئاً فأنا أحق أنْ أستحي من ربي وهرب، فذلك قوله تعالى: ﴿لَوۡلَآ أَن رَّءَا بُرۡهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف: ٢٤] وجواب لولا محذوف قيل: تقديره لجامعها، وقيل: لهم بها وعليهما فلم يقع منه جماع ولا همّ على مقتضى قاعدة لولا الإمتناعية، وفي السمين لولا رؤيته برهان ربه لهم بها لكنه امتنع همه بها لوجود رؤيته برهان ربه، فلم يحصل منه همّ البتة، وبهذا يتخلص من الإشكال الذي يورد هنا، وهوكيف يليق بنبي أنْ يهم بامرأة؟. (**قوله: وقيل: في معنى البرهان**) أي وهو احتجاج الصديق عليها بالأولى مما احتجت عليه به على ما ذكره المؤلف.

(**قوله: والهم مشترك الخ**) جواب عن قوله تعالى: حكاية عن يوسف، وهمّ بها مع عصمته الواجبة له ﷺ. (**قوله: فجاءته إحداهما**) قيل: هي كبراهما واسمها صفوراً أو صفر أو قيل: صغراهما واسمها صفيراً أي جاءته عقب ما رجعتا إلى أبيهما رُوي أنهما لما رجعتا إلى أبيهما وأغنامهما أحفل بطان قال لهما ما أعجلكما؟ قالتا: وجدنا رجلاً صالحاً

أجر ما سقى، والدعاء لأخذ الأجرة ممن شيمته الكرم مؤلم له، فاستحيت مما في نفسها مما ذكرته له بقولها: ﴿لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [القصص: ٢٥]. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد البلاذريّ يقول: سمعت أبا عبد الله العمري يقول: سمعت أحمد بن أبي الحواري يقول: سمعت أبا سليمان الداراني يقول: قال الله تعالى: ‹يا عبدي إنك ما›)** مصدرية ظرفية **(استحييت مني أنسيت الناس عيوبك)** لئلا يفضحوك **(وأنسيت بقاع الأرض ذنوبك)** لئلا تشهد عليك يوم القيامة **(ومحوت من أم الكتاب)** أي أصله وهو اللوح المحفوظ (زلاتك) ولم أطلع عليها أحداً من خلقي **(ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة وقيل: رؤي رجل يصلي خارج المسجد فقيل له: لم لا تدخل المسجد فتصلي فيه؟ فقال استحي منه تعالى أنْ أدخل بيته وقد عصيته)** لأنَّ العادة أنَّ من كمل حياؤه من غيره لم يقرب له موضعاً، **(وقيل: من علامات المستحيي أنْ لا**

رحمنا فسقى لنا فقال لإحداهما: اذهبي فادعيه لي، وقوله: تمشي حال من فاعل جاءت، وقوله: على استحياء متعلق بمحذوف، وهو حال من ضمير تمشي أي جاءته تمشي على استحياء، فمعناه أنَّها كانت على استحياء حالتي المشي والمجيء معاً لا عند المجيء فقط، وتنكر استحياء للتفخيم قيل: إنَّها جاءته متخفرة أي شديدة الحياء، وقيل: قد استترت بكم درعها.

(قوله: قال الله تعالى: يا عبدي الخ) أنظر ثمرة الحياء دنيا وأخرى بالخبر الحق، والوعد الصدق، فالله يوفقنا لما يحب من صفات الكمال، ويهيئنا لنيل الإحسان والأفضال بجاه النبي وصحبه والآل.

قال حاتم الأصم: المؤمن مشغول في الفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله، والمؤمن يحسن ويبكي والمنافق يسيء ويضحك، والمؤمن يحب الوحدة، والمنافق يحب الخلطة، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يأمر وينهي للسياسة، والمنافق يأمر وينهي للرياسة، فإنْ كنت يا أخي جاهلاً بنفسك وغافلاً عنها فاعرضها على هذه الصفات فعند ذلك تعرفها حق المعرفة، فقد يجهل الإنسان لقلة تفقده لها فيعمى عن عيوبها كما يعمى المحب عن عيوب حبيبه والله أعلم.

(قوله: ما مصدرية الخ) أي فالمعنى أنَّك مدة استحيائك مني يصير شأنك ما ذكر.
(قوله: فقال استحي منه تعالى الخ) لعل ذلك صدر لحكمة الحث على التبري من المخالفات، والنهي عن التلطخ بنجس المألوفات، وإلا فالأفضل فعل العبادة في المساجد حيث هي أفضل من غيرها.

يُرى بموضع يستحيا منه) إذ المستحيي من مولاه لا يرى إلا في فرض يأتيه أو نفل يرغب فيه، (وقال بعضهم: خرجنا ليلة فمررنا بأجمة) من قصب (فإذا رجل نائم وفرس عند رأسه ترعى فحركناه وقلنا له: ألا تخاف أنْ تنام في مثل هذا الموضع المخوف وهو مسبع) بضم الميم أي كثير السباع (فرفع رأسه وقال: أنا استحيي منه تعالى أنْ أخاف غيره ووضع رأسه ونام)، فيه دلالة على كمال حيائه من ربه حيث لم يخامر قلبه خوف من غيره حتى من الأماكن التي يخشى منها الأذية. (وأوحى الله سبحانه إلى عيسى عليه السلام وعظ نفسك فإنْ اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني أنْ تعظ الناس) وأنت لم تتعظ، فوعظك لهم بعد اتعاظك أبلغ في انتفاعهم وأسلم لقلوبهم من الاعتراض عليك، (وقيل: الحياء على) سبعة (وجوه: حياء الجناية) بالإخلال بالأمر والنهي (كآدم عليه السلام لما قيل له) في قصته: (إفراراً منا فقال: لا بل حياء منك) لجنايتي، (وحياء التقصير) في عدم إيفاء كمال الحق (كالملائكة) فإنَّهم لحيائهم بتقصيرهم عندهم (يقولون: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، وحياء الإجلال) والتعظيم (كإسرافيل عليه السلام) فإنَّه (تسربل بجناحه حياء من الله سبحانه، وحياء الكرم) أي كرم الأخلاق والصفات (كالنبي ﷺ) «فإنَّه (كان

(قوله: أنْ لا يرى بموضع الخ) المراد بالموضع الموضع الإعتباري أي الحالة والصفة. (قوله: فيه دلالة على كمال حيائه) أي وعلى كمال خوفه من ربه لأنَّه من غلب عليه الخوف من ربه لم يخف غيره، بل ويرزق الهيبة في نفسه.

(قوله: عظ نفسك الخ) خطاب له عليه السلام باعتبار أُمته إذ هو واجب العصمة والغرض الإشارة للبدء بالنفس كما قيل شعراً:

ابدأ بنفسك فانهها عن غيها   فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

(قوله: كآدم الخ) التمثيل به باعتبار ظاهر الحال، وإلا فهو واجب العصمة كغيره من إخوانه النبيين والمرسلين عليهم صلاة وسلام رب العالمين. (قوله: كالملائكة) أي حيث لم يكن منهم وفاء بتسبيح الحق تعالى على حسب ما يليق بكماله.

(قوله: وحياء الإجلال والتعظيم) أي الذي يحصل وقت أنْ يكاشف العبد بالصفات الجلالية للحق تبارك وتعالى. (قوله: كالنبي ﷺ) أي لما ثبت من أنَّه كان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها. (قوله: وحياء الاستحقار) أي استصغار النفس بالنسبة لمقام العظماء المقصودين لحوائج الخلق.

(قوله: مع أنَّه يرجع إلى حياء الكرم) أي كرم النفس ومحاسن الصفات. (قوله: فيستحي هو منه الخ) أقول: وذلك من حياء الكرم أيضاً. (قوله: خمس من علامات الشقاء) أي في الدنيا والآخرة، وشاهد الباب قوله: وقلة الحياء.

يستحي من أمته أنْ يقول لهم) إذا طعموا عنده: (اخرجوا) حياء من تألمهم» (فقال الله عز وجل: ﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، وحياء حشمة هو قد يرجع إلى حياء الإجلال (كعلي) بن أبي طالب (رضي الله عنه حين سأل المقداد بن الأسود حتى سأل رسول الله ﷺ عن حكم خروج المذي) ولم يسأل رسول الله ﷺ استحياء منه، (لمكان) ابنته (فاطمة رضي الله عنها) منه (وحياء الاستحقار) من العبد لنفسه بأنْ لم يرها أهلاً لخدمة من استحيى هو منه (كموسى عليه السلام) فإنّه (قال: إني لتعرض لي الحاجة من الدنيا فاستحيي أنْ أسألكـ)ـها (يا رب فقال الله عز وجل له: سلني حتى عن ملح عجينك، وعلف شاتك، وحياء الأنعام هو) مع أنّه قد يرجع إلى حياء الكرم (حياء الرب سبحانه) فإنه (يدفع إلى العبد كتاباً مختوماً بعدما عبر الصراط وإذا فيه فعلت ما فعلت، ولقد استحييت أنْ أظهره عليك، فاذهب فإني قد غفرت لك. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول في هذا الخبر) المقول عن الرب: (أنّ يحيى بن معاذ قال) في تنزيه الله تعالى وبعده عن مشابهة خلقه: (سبحان من يذنب العبد أي عبده فيستحي هو منه) فلا يفضحه ويعفو عنه.

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت زنجوية اللباد يقول: سمعت علي بن الحسين الهلاليّ يقول: سمعت إبراهيم بن الأشعث يقول: سمعت الفضيل بن عياض يقول: خمس من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء والرغبة في الدنيا، وطول الأمل) ويجمعها كلها في الحقيقة طول الأمل لأنّ من طال أمله اشتد حرصه على الدنيا فيغفل عن الآخرة فيقسو قلبه، فلا تعمل فيه المواعظ ويقل حياؤه وبكاؤه، ومن قصر أمله قل احتياجه للدنيا واجتهد في عمل الآخرة، فيرق قلبه وتعمل فيه المواعظ، ويستحيي من الله، ومن الخلق، ويكثر بكاؤه على تقصيره في حق ربه، فقد ارتبط الخير بقصر الأمل، والشر بطوله.

(وفي بعض الكتب) قال الله: (ما أنصفني عبدي يدعوني فأستحيي أنْ أرده،

(قوله: ويجمعها كلها الخ) أي قطوع الأمل أصل كل المفاسد، والسبب الأعظم في وجودها. (قوله: فقد ارتبط الخبر الخ) أي ولذلك ورد في الخبر «أكثروا من ذكر هاذم اللذات فإنّه ما ذكر في قليل إلا كثره، ولا في كثير إلا قلله»[1]

(قوله: ما أنصفني عبدي الخ) أي لم يعاملني بالإنصاف حيث قابل الإحسان

---

(١) أخرجه الترمذي (زهد ٤) (قيامة ٢٦) والنسائي (جنائز ٣) وابن ماجه (زهد ٣١).

ويعصيني فلا يستحي مني، **وقال يحيى بن معاذ: من استحيى من الله مطيعاً استحيى الله تعالى منه وهو مذنب)** فبالأولى أنْ يستحيي منه وهو مطيع. **(واعلم أنَّ الحياء يوجب التذويب، فيقال: الحياء ذوبان الحشا لإطلاع المولى، ويقال: الحياء انقباض القلب لتعظيم الرب)** كل منهما حياء أرباب الأحوال والسالكين لكمال الدرجات في المعارف، فإذا استشعر قلب عبد رؤية الله له مع كمال إجلاله وتعظيمه ذاب قلبه في نفسه، أو انقبض لسطوة عزة ربه واستشعار قربه. **(وقيل: إذا جلس الرجل ليعظ الناس)** وفي نسخة الخلق **(ناداه ملكاه عظ نفسك بما تعظ به أخاك وإلا فاستحي من سيدك فإنّه يراك)** ويجازيك على عملك. **(وسئل الجنيد عن الحياء فقال: رؤية الالاء)** أي النعم **(ورؤية التقصير)** في العمل **(فيتولد من بينهما حالة تسمى الحياء)** فمن رأى نفسه مقصراً ورأى النعم متوالية عليه حصل له الحياء، وكذا من أجلّ مولاه وأحبه فالنعم موجبة للمحبة ورؤية التعظيم موجبة لاستحقار النفس ورؤية تقصيرها، **(وقال الواسطي: لم يذق لذعات)** بالمعجمة ثم المهملة أي طوارق وأوائل، وفي نسخة طعم **(الحياء من لابس خرق حد)** أي ارتكب منهياً عنه حده الله بحد ومنع من ارتكابه **(أو)** لابس **(نقض عهد)** فيما عاهد الله على القيام به لأنَّ من لم يستح عند ارتكابه شيئاً من ذلك، فلا حياء عنده فيفعل المحرمات، ويخل بالواجبات، **(وقال الواسطي أيضاً: المستحي يسيل منه العرق وهو الفضل الذي فيه)** لأنَّ المستحي

بالإساءة قال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠]. **(قوله: من استحيى من الله مطيعاً)** أي بأنْ دام على شهود تقصيره في عبادة ربه لعلمه أنه غير مقدور له أنْ يعامله على ما يليق بجلاله تعالى. **(قوله: يوجب التذويب)** أي فهو سبب في ذوبان القلب باستشعار اطلاع الحق تعالى على مكنون الضمائر، وظاهر الأعمال مع التقصير الضروري للبشرية.

(قوله: كل منهما حياء أرباب الأحوال والسالكين الخ) أي وأما العارفون أصحاب المقامات فحياؤهم يوجب لهم بسطاً لدوامهم على موائد كرمه تعالى وشهود إحسانه.

(قوله: وإلا فاستحي من سيدك) أي بتأملك وتدبرك معنى قوله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤] الآية. **(قوله: فقال رؤية الآلاء)** أي فهي سبب في تحقق الحياء أي مع عدم القيام بواجب الشكر عليها. **(قوله: لم يذق لذعات الخ)** أي وذلك بواسطة ما تقدم من أنَّ الزهد والورع أصل كل خير، فمن لم يكن زاهداً ولا ورعاً يتهيأ له نوع من الكمال، ولا يخفى ما في قوله: لذعات على من له إحساس. **(قوله: وهو الفضل الخ)** أفاد به أنه ليس المراد خصوص العرق المنفصل من مسام البدن بل ما يشمل الفضول الذي في قلب العبد، فقوله: «وما دام في النفس

يذوب قلبه من شدة ما فيه من الحياء، فيذهب من قلبه وجسده كل فضول **(وما دام في النفس شيء)** يستحي منه ولم يخرج منها **(فهو)** أي صاحبها **(مصروف عن الحياء)** الكامل. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الحياء ترك الدعوى بين يدي الله تعالى)** لأنَّ من كمل حياؤه لم يدع ما لم ينله من المقامات، ولم يصل إليه من الدرجات وهذا من ثمرات الحياء لا نفسه كما علم مما مرّ. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الصوفيّ رحمه الله يقول: سمعت أبا العباس بن الوليد الزوزنيّ يقول: سمعت محمد بن أحمد الجوزجانيّ يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول: ربما أصلي لله تعالى ركعتين فانصرف عنهما)** بالسلامة في محله **(وأنا بمنزلة من ينصرف عن السرقة من الحياء)** لما أراه من تقصيري في القيام بحقوق الله تعالى، فهو مع كمال اجتهاده وأدبه في صلاته لا يرى نفسه موقعاً لها على حسب ما يليق بجلال مولاه وعظمته والله أعلم.

شيء» أي ما بقي في خلقها بقية مما يستحيى منه، فصاحبها بعيد عن مقام الحياء.

(قوله: الحياء ترك الدعوى الخ) أي هو سبب يترتب عليه ترك الدعوى بشهود التقصير في أنواع العبادة للرب سبحانه وتعالى.

(قوله: لم يدع ما لم ينله) أي وما ناله كذلك لأنَّ الحياء يوجب السكوت كما أنَّ المحبة توجب النطق على ما تقدم عن بعضهم. **(قوله: وأنا بمنزلة الخ)** أي شأن من غلب عليه جلال الحق جلت قدرته.

باب الحرية

هي كما سيأتي أنْ لا يكون العبد تحت رق المخلوقات ويقال: الإعراض عن الكل، والإقبال على من له الكل، ويقال: أنْ لا يدخل قلبك سوى الله وكلها متقاربة وهي ممدوحة ومطلوبة. **(قال الله سبحانه:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] قال المملي وهو المؤلف **(إنما آثروا على أنفسهم لتحررهم عما خرجوا منه)** من الدنيا **(وآثروا به)** غيرهم على أنفسهم. **(أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي قال: أخبرنا أحمد بن عبيد البصري قال: حدثنا ابن أبي قماش قال: حدثنا محمد بن**

باب الحرية

اعلم أنَّ سبب الحرية الأعظم إنما هو قصر الأمل على الحق تعالى، وصرف القلب عن كافة الخلق، فباعتقاد أنَّ الفاعل المختار إنما هو الله تعالى لا فاعل غيره تثبت الحرية للعبد من سائر ما سواه تعالى، وحينئذٍ تتحقق عبوديته له سبحانه.

(قوله: أنْ لا يكون العبد تحت رق المخلوقات الخ) أي وسبب كونه تحت رق المخلوقات الوقوف مع الطمع فيما بأيديهم اعتماداً على مظاهر الآثار مع الغفلة عن المؤثر المنعم، وهذا الرق أبعده عن الانفكاك بخلاف الرق المعتاد، فكل من تعلقت نفسه بشيء كان عبده، ولو قلَّ ذلك الشيء، ويشهد لذلك خبر «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»[1] وخبر «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم» الحديث كما ورد فحرّره. **(قوله: الإعراض عن الكل)** أي عدم الاعتماد عن كل ما سواه تعالى اللازم له الإقبال على من له الكل إيجاداً وخلقاً، وهو الحق سبحانه وتعالى، فلا يكون له تعلق، ولا اعتماد إلا عليه. **(قوله: ويقال: أنْ لا يدخل قلبك سوى الله)** أي أنْ لا يدخل قلبك سوى الله دخولاً يمنع من الاشتغال به تعالى، ومن القيام بحقه.

(قوله: ويؤثرون على أنفسهم) أي يقدمون المهاجرين على أنفسهم في كل شيء من أسباب المعاش حتى أنَّه من كان عنده زوجتان ينزل عن واحدة منهما ويزوجها واحداً

---

(١) أخرجه البخاري (مكاتب ٤) وأبو داود (عتاق ١).

صالح ابن النطاح قال: حدثنا نعيم بن مورع بن توبة عن إسماعيل المكي عن عمرو بن دينار عن طاوس عن ابن عباس) رضي الله عنهما (قال: قال رسول الله ﷺ «إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه» وإنما يصير) أمره (إلى أربعة أذرع وشبر) أي إلى قبر عمقه ذلك (وإنما يرجع الأمر إلى آخره، قال) الإمام المملي: (الحرية أنْ لا يكون العبد تحت رق المخلوقات، ولا يجري عليه سلطان المكونات وعلامة صحته سقوط التمييز عن قلبه بين الأشياء فيتساوى عنده أخطار الأعراض) بالراء وفي نسخة الأعواض بالواو، (قال حارثة رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: عزفت) بالزاي أي زهدت (نفسي عن الدنيا فاستوى عندي حجرها وذهبها) ويكفي في الزهد عنها خبر «تعس عبد الدينار والدرهم» فمن تحرر عن رقها شغلاً بربه وإعراضاً عنها فهو الحر عن غير الله، والعبد في الحقيقة لله. (سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: من دخل الدنيا وهو عنها حر) بأنْ دخلها من غير رغبة فيها بل امتثالاً لأمر ربه (ارتحل) عنها (إلى الآخرة وهو عنها حر) لم يتعلق شيء منها بقلبه. (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا محمد المراعي يحكي عن الرقي عن

منهم، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] أي حاجة وخلة، وأصلها خصائص البيت والجملة في حيز الحال، فهذه الآية الشريفة في خصوص الثناء على الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للقتال وللمهاجرين ورضاهم باختصاص الفيء بهم أحسن رضا، وأنَّهم اتخذوا الدار التي هي المدينة والإيمان مباءة، وتمكنوا فيها أشدَّ تمكن من قبل المهاجرين، ولا ريب في أنَّ تقديم الأنصار في ذلك على المهاجرن لظهور عجزهم عن إظهار بعض الأحكام لا عن إخلاصها قلباً واعتقاداً إذ لا يتصوّر تقدمهم عليهم في ذلك. (قوله: إنما آثروا على أنفسهم الخ) الغرض منه بيان مناسبة الآية الشريفة للباب إذ الإيثار من الإمارات الدالة على تحررهم وخروجهم عن التعلق بشيء من الدنيا.

(قوله: إنما يكفي أحدكم ما قنعت به نفسه) أي مما يسد رمقها ويقوم بنيتها، وقوله في الخبر: «وإنما يصير أمره» الخ الغرض منه الزجر عن الطمع عما زاد على قدر الكفاية بتذكير العاقبة، وما يصير أمر الإنسان إليه. (قوله: وإنما يرجع الأمر الخ) أي والاعتبار إنما هو بالمرجع إذ هو المعول عليه لدى العقل.

(قوله: فيتساوى عنده الخ) أي فلا يفرق بين نفيس وخسيس في خاطره وجوداً أو عدماً، وذلك باعتبار شهود مصدر الكائنات جل جلاله. (قوله: قال حارثة: الخ) هو كالتفسير لما قبله. (قوله: ويكفي في الزهد الخ) أي يكفي زاجراً عن التعلق بالدنيا، وحاثاً على الزهد فيها وذلك لأنَّ العبودية للجماد مما لا تسمح به النفوس الإنسانية. (قوله: من دخل الدنيا) أي لابسها وهو عنها حر أي لا تعلق لقلبه بها، وقوله: بل امتثالاً

الزقاق يقول: **من كان في الدنيا حراً منها)** بأنْ تعاطاها لأمر الله لا لهواه **(كان في الآخرة حراً منها)** لكونه لم يرد بعلمه، إلا الله، وهذا قريب مما قبله. **(واعلم أنَّ حقيقة الحرية)** كائنة **(في كمال العبودية)** لأنَّ كمالها إفراغ الجهد في الطلب بالبدن، والقلب في كل ما يرد عليه من الله **(فإذا صدقت لله تعالى عبوديته خلصت عن رق الأغيار حريته، فأما من توهم أنَّ العبد يسلم له أن يخلع وقتاً)** أي في وقت **(عذار العبودية ويحيد بلحظه)** أي ملاحظته **(عن حد الأمر والنهي وهو مميز في دار التكليف)** زعماً منه أنه مشتغل بالربوبية **(فذلك إنسلاخ من الدين)** قاله الجنيد لما قيل له: إنَّ من أهل المعرفة قوماً يقولون: ترك الأعمال من البر زعماً منهم أنهم وصلوا الذي يسرق ويزني أحسن ممن كملوا هذا، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أورادي شيئاً، وكما قال غيره: لما سئل عمن يقول ذلك نعم وصل ولكن إلى سقر. **(قال الله سبحانه لنبيه ﷺ** ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] **يعني الأجل)** أي الموت **(وعليه أجمع المفسرون و)** أجمعوا أيضاً على **(أنَّ الذي أشار إليه القوم من الحرية هو أن لا يكون العبد بقلبه تحت رق شيء من المخلوقات لا من أعراض الدنيا، ولا من**

لأمر ربه أي ليصرفها على حسب الإذن الشرعيّ، وقوله: ارتحل عنها الخ أي فكانت الثمرة له التحرر من التعلق بشيء. **(قوله: ارتحل عنها إلى الآخرة وهو عنها حر)** أي فزهده في الدنيا ابتداء يثمر له الزهد فيها انتهاء بحيث لا يكون له مطلب سوى مشاهدة مولاه جل جلاله.

(قوله: وهذا قريب مما قبله) أقول: الذي يظهر من كلام المؤلف أنَّ ما قبله المراد به أنَّ الزهد في الدنيا ابتداء يثمر الزهد فيها انتهاء كما قدمناه، وهو غير هذا لا قريب منه مع كثرة الفائدة على هذا الحمل، ويحتمل ما قال الشارح أيضاً. **(قوله: في كمال العبودية)** أي فمن كملت عبوديته لله تعالى ثبتت له حقيقة الحرية، ووجهه ظاهر.

(قوله: في كل ما يرد عليه من الله) أي ومن الجملة نزاهة النفس عن التعلق بالدنيا للحظوظ النفسية. **(قوله: فإذا صدقت لله عبوديته)** أي وصدقها بالدوام على الطاعة والعبادة مع الإخلاص في ذلك. **(قوله: فأما من توهم الخ)** الغرض من ذلك الرد على من زعم أنَّ العبد إذا كملت محبته وصل إلى الله فيسقط عنه أعباء التكاليف، ومثل هؤلاء من الكفرة أعاذنا الله من ذلك. **(قوله: إنَّ الذي يسرق ويزني أحسن الخ)** أي لأنَّ غاية مثله أنه فعل كبيرة وهي دون الكفر والعياذ بالله تعالى. **(قوله: قال الله سبحانه الخ)** دليل لبقاء ربقة التكليف ما بقي الإنسان حياً عاقلاً له قدرة ما على أداء العبادة.

(قوله: واجمعوا أيضاً الخ) مراده من ذلك بيان معنى الحرية في كلام القوم نفعنا الله تعالى بهم ليعلم منه بطلان ما ذهب إليه أهل الكفر والضلال ممن

أعواض) وفي نسخة أعراض **(الآخرة فيكون فرد الفرد)** أي لله **(لم يسترقه عاجل دنيا، ولا حاصل هوى، ولا آجل منى)** جمع منية **(ولا سؤال)** وهو ما سأله العبد **(ولا قصد ولا أرب)** أي حاجة **(ولا حظ)** أي نصيب، فالحر من لم يعلق قلبه في الدنيا بعرض، ولا في عمل الآخرة بعوض، ولهذا قال: **(وقيل للشبلي: ألا تعلم أنّه تعالى رحمن فقال لي:)** أي نعم **(ولكن منذ عرفت رحمته ما سألته أنْ يرحمني)** لئلا يكون لي سؤال وقصد وأرب **(ومقام الحرية عزيز، سمعت الشيخ أبا علي رحمه الله يقول: كان أبو العباس السياريّ يقول: لو صحت صلاة بغير قرآن لصحت بهذا البيت، وهو:**

أتـمـنـى عـلـى الـزمـان مـحـالاً   أنْ تـرى مـقـلـتـاي طـلـعـة حـر

خالص بأنْ لا يذل لطمع في دنيا ولا يعمل لعوض في أخرى، **(وأما أقاويل المشايخ في الحرية فقال الحسين بن منصور: من أراد الحرية فليصل العبودية)** أي يواصلها بأنْ يواليها ولا يتخللها فتور، فإذا كملت فيه لذت له حالة الحرية، وظهرت عليه.

(وسئل الجنيد عمن لم يبق عليه من الدنيا إلا مقدار مص نواة فقال: المكاتب عبد ما بقي عليه درهم) أي فأقل فكمال الحرية عن الشهوات أنْ لا يبقى للعبد سكون

تقدمت حكايته. **(قوله: هو أنْ لا يكون الخ)** أقول: ذلك حقيقة الحرية الكاملة.

(قوله: وقيل للشبلي: الخ) تقوية لما قبله مما ذكره في معنى الحرية. **(قوله: ما سألته أنْ يرحمني)** أي وذلك لفناء مراده في مراد مولاه، وذلك لا ينافي طلب الدعاء بالرحمة وغيرها كما لا يخفى. **(قوله: ومقام الحرية عزيز)** أي نادر لصعوبته بمخالفته لما جبلت عليه النفوس البشرية وقوله: سمعت الشيخ أبا علي دليل على ذلك. **(قوله: أتمنى على الزمان محالاً الخ)** أقول: المراد بالمحال في كلامه البعيد، وإلا فهو موجود في أُمته ﷺ لخبر: «الخير في وفي أُمتي إلى يوم القيامة»[1].

(قوله: بأنْ لا يذل الخ) أي وذلك لكون عمله سببه محبة الله تعالى وإجلاله لا غير على حد: «نعم العبد صهيب لو لم يخف الله لم يعصه». **(قوله: أي يواصلها الخ)** أي وذلك معنى الصدق فيها الذي هو سر قبولها. **(قوله: وسئل الجنيد الخ)** هو أيضاً في تحقيق حقيقة الحرية الكاملة.

---

(١) أخرجه علي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٩٥) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٤٧٦) والفتني في (تذكرة الموضوعات ٨٦) والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٨٢) والألباني في (السلسلة الضعيفة ٣٠).

إلى شيء من المخلوقات، ومتى بقيت فيه بقية منعته من كمال الحرية. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت أبا عمر الأنماطي يقول: سمعت الجنيد يقول: إنك لا تصل إلى صريح الحرية، وعليك من حقيقة عبودية بقية**) لأنَّ الحرية لا تكمل إلا إذا كملت العبودية بأنْ لا يذل لطمع في دنيا، ولا يعمل لعوض في أخرى كما مر، (**وقال بشر الحافي: من أراد أن يذوق طعم الحرية ويستريح من العبودية**) يعني لغير الله بأنْ تكون عبوديته لله (**فليطهر السريرة بينه وبين الله تعالى، وقال الحسين بن مسعود إذا استوفى العبد مقامات العبودية**) لله (**كلها يصير حراً من تعب العبودية**) لغير الله (**فيترسم**) وفي نسخة فيتوسم أي يتصف ويتحلى (**بالعبودية**) لله (**بلا عناء**) أي تعب (**ولا كلفة، وذلك مقام الأنبياء والصديقين يعني يصير**) لذلك (**محمولاً لا يلحقه بقلبه مشقة، وإن كان متحلياً بها شرعاً**) فالعبد ما دام متكلفاً في التخلق بالمقامات العلية عليه في الارتقاء من مقام إلى مقام كلفة ومشقة، وإذا تمكن في تلك المقامات لم يبق عليه في القيام بالمقامات كلها كافة، وجرت عليه بلا مشقة في تحملها، وصار محمولاً فيها نظراً لمن تفضل عليه بها، وهذا هو المعبر عنه بالمراد، وكان فيما تقدم منعوتاً بالمريد، **فإذا تحرر عن رق** تحمل أعباء كلف المقامات، وعن السكون إليها، وصار مشغولاً بالمتفضل

(**قوله: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن الخ**) هو قريب مما قبله. (**قوله: فليطهر السريرة الخ**) أي يظهرها بالصدق والإخلاص، والتنزه عن التعلق بالأغيار. (**قوله: إذا استوفى العبد الخ**) أي وذلك إنما يتحقق في فنائه في مراد مولاه، وعدم الإلتفات إلى ما سواه. (**قوله: بلا عناء الخ**) أي لأنّه بالدوام على العمل بحق العبودية كما هو معنى الصدق فيها تصير تلك الأعمال له كالسجية، فلا يناله منها عناء، ولا كلفة، وذلك بإعانة الحق تعالى له، وهذا معنى قوله بعد يعني يصير محمولاً، فحينئذٍ وإنْ شق العمل على جسمه لا يشق على قلبه بل يتلذذ به ويسكن إليه، وقوله: وإنْ كان متحلياً بها شرعاً معناه أنَّ ظهور الأعمال على جوارحه ونسبتها إليه بحكم الشرع لا ينافي كونه محمولاً، ومعاناً بحكم الباطن والحقيقة.

(**قوله: فالعبد ما دام متكلفاً الخ**) معناه أنَّ التكلف والمشقة في الطاعة إنما يكون قبل التمكن في حال الترقي وقطع منازل المقامات، ثم هو إذا تمكن وأخلص وصدق في المقامات لم يبق عليه كلفة البتة لأنَّ الأعمال تجري عليه حينئذٍ بإعانة الله تعالى، فيصير محمولاً ومعاناً ويسمى مراداً بعد أنْ كان مريداً فافهم.

(**قوله: فإذا تحرر عن رق الخ**) الغرض منه بيان درجات التحرر لأجل سهولة السير فيها، والوصول إلى غايتها والله أعلم.

عليه صار حراً عنها، وأول الحرية الخلاص من أسباب الدنيا وأعراضها، وأوسطها خفة أعمال الآخرة والحرية عن الإلتفات لأعواضها، ونهايتها الحرية عن الإلتفات إلى هذه المقامات العلية، وعن السكون إليها شغلاً بالمتفضل بها، وهذه حرية الحرية. (**أنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله قال: أنشدنا أبو بكر الرازي قال: أنشدني منصور الفقيه لنفسه. ما بقي في الأنس**) وفي نسخة الناس (**حر. لا ولا في الجن حر * قد مضى**) أي ذهب (**حر الفريقين**) أي الأنس والجن (**فحلو العيش مر.**) فليس عنده في زمانه من الفريقين حر، وإنما خيارهم من عمل ابتغاء للثواب لا غير (**واعلم أنَّ معظم الحرية**) أي أكثر خصالها كائن (**في خدمة الفقراء**) من التذلل، والانكسار، والأدب معهم لأنَّ العبد لا يمكنه أنْ يخدمهم كما ينبغي ويرى الفضل لهم في استخدامهم إلا إذا زالت عنه نفسه، ولم ير لها قدراً. (**سمعت الشيخ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: أوحى الله عز وجل إلى داود عليه السلام إذا رأيت لي طالباً فكن له خادماً**) وقال ﷺ: «سيد القوم خادمهم»[1]، وسمعت محمد بن الحسين

(**قوله: ما بقي في الإنس حر الخ**) أقول: لما كانت الحرية الكاملة عزيزة ونادرة وجعل هذا الشيخ نفعنا الله به النادر كالمعدوم لأنَّ الحكم للغالب فقال: ما بقي الخ، وهذا على ما لا يخفى لا ينافي وجود الخير واستمراره في أمة من له الشرف إلى انقضاء الدنيا بمقتضى الخبر الصحيح.

(**قوله: فحلو العيش مر**) أي لقلة الخير وكثرة الشر، وإذا كان هذا في زمنه نفعنا الله به، فما ظنك الآن فلا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم.

(**قوله: وإنما خيارهم الخ**) أقول: نسأل الله العظيم ببركة نبيه الكريم أنْ يديم هؤلاء الأخيار، وأنْ يهلك أهل الأهواء والأشرار. (**قوله: في خدمة الفقراء**) محصلة فناء النفس في ذلك عن الحظوظ، وأنتَ خبير بأنَّ المراد بالفقراء الطالبون للحق تعالى على سنن الاستقامة، وعلى طريق المتابعة كما يشهد لذلك ما بعده لا كفقراء زماننا ممن جعلوا ذلك وسيلة لمعاشهم، وتوصلوا بذلك إلى حظوظهم الفاسدة نسأل الله السلامة من مخالطتهم.

(**قوله: إذا رأيت لي طالباً**) أي من أخلص في طلبي وقصدي بأنْ لم يخطر له سواي على بال، فكن له خادماً أي معيناً وناصراً.

---

(١) أخرجه السيوطي في (الحاوي للفتاوي ٢/ ١٠١) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٣٩٢٥) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٧٥١٦، ٧٥١٨، ١٧٥١٩، ٢٤٨٣٤، ٢٤٨٣٥) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ١٠/ ١٨٧) والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٩٥) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٥٦١، ٥٦٢)

رحمه الله يقول: سمعت محمد بن إبراهيم بن الفضل يقول: سمعت محمد بن الروميّ يقول: سمعت يحيى بن معاذ يقول: أبناء الدنيا تخدمهم الإماء والعبيد، وأبناء الآخرة تخدمهم الأحرار والأبرار، في ذلك دلالة على مدح خادم الفقراء، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت عبد الله بن عثمان بن يحيى يقول: سمعت علي بن محمد المصريّ يقول: سمعت يوسف بن موسى يقول: سمعت ابن خبيق يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم بن أدهم يقول: إنَّ الحر الكريم يخرج من الدنيا قبل أن يخرج منها)** لأنها عبارة عن المال والجاه وما يتبعهما، فإنْ زهد فيها خلص من ضررها وخرج عنها، وإنْ أقام معها وأحبها أخرج منها قهراً إما بالزوال أو بالموت، والأول أشرف من الأخير، **(وقال إبراهيم بن أدهم)** أيضاً **(لا تصحب إلا حراً كريماً يسمع ولا يتكلم)** أي يحمل الأذى، ولا يكافيء عليه، ولا يحقد ليجازي وقتاً آخر، هذا كله مدح لمن حسنت أخلاقه، وتحرر عن رق الشهوات.

(قوله: سيد القوم خادمهم) أقول: لما كانت حقيقة السيادة لا تتم إلا لمن ثبتت له العبادة والطاعة، ومن الجملة إعانة الأخ المؤمن بالخدمة كان سيد إخوانه بما ناله من درجات القرب إليه تعالى فتدبر. **(قوله: أبناء الدنيا)** أي المنهمكون عليها المتهافتون على تحصيلها، وملاذها تخدمهم الإماء حيث ذلك من ثمرة الدنيا، وقد يكون لا خلاق لهم في الآخرة، وقوله: وابناء الآخرة أي المتفرغون لأعمالها الفانون في مرضاة خالقهم تخدمهم الأحرار والأبرار أي ممن ثبتت لهم الحرية عن كامل المألوفات والحظوظ، وممن ثبت لهم عمل البر وشتان ما بين الدرجتين.

(قوله: يخرج من الدنيا الخ) أي يتجرد من تعلق قلبه بالدنيا في حالة إختياره قبل أن يخرج منها قهراً واضطراراً بالموت أو غيره.

(قوله: يسمع ولا يتكلم) أقول: وذلك بيان لبعض أخلاقه الحميدة، وإلا فحقيقته من فني عن سائر حظوظ النفس.

باب الذكر

هو ممدوح ومطلوب، (قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا

باب الذكر

قال أبو عبد الله القرطبي في تفسير سورة الكهف في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ١٤] هؤلاء قاموا فذكروا الله على هدايته وشكروه لما أولاهم من نعمه، ثم هاموا على وجوههم منقطعين إلى ربهم، وخائفين من قومهم، فإذا علمت ذلك علمت أنَّ هذه سنة الله في الرسل والأنبياء والفضلاء الأولياء، فأينَ هذا من ضرب الأرض بالأقدام والرقص بالأكمام، ولا سيما في هذا الزمان عند سماع الأصوات الحسان، وتمايل المرد والنسوان هيهات بينهما، والله مثل ما بين السماء والأرض، فهذا محرم عند جماعة العلماء وأكابر الفضلاء، وقد علم أنَّ الفقير لا يتصرّف إلا في واجب أو مندوب، والمكروه عند هذه الطائفة كالمحرم لا سبيل إلى ذكره فضلاً عن فعله، وعلمت أيضاً أنَّ قاعدة أهل الطريق الخروج عن الخلاف، فكيف يقدمون على شيء قد اتفق الناس على منعه ذلك محال في حقهم، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

واعلم أنَّ الذكر عبادة اللسان بموافقة الجنان الذكر إذا دام أوجب الحضور في حضرة المذكور، الذكر قربة للجاهل الغافل، وتقريب للعالم العاقل إذا استغرق العابد في العبادة لا يجد بالذكر زيادة، الذكر بالجهر يكون مع شهود الغيبة والغفلة لعوام المؤمنين، والإسرار به من شأن الخواص المقربين ذكر الفاني بالشهود هو الغاية والمقصود، وشتان بين من ذكر ليستنير، وبين من وجد قبل الذكر التنوير من زعم أنّه ذاكر للمذكور، فقد غفل عن الحضور موجب وجود ذكرك يا إنسان ما جبلت عليه من السهو والنسيان شعر:

وإني أنا المنسيّ من كل ذاكر ... كما أنني المذكور من كل نية

يا لله من أمر عجيب كيف يذكر الحاضر القريب، والذكر لا يختص بالتهليل والتحميد والتسبيح والتكبير بل يشمل ذلك، وكل طاعة لله تعالى على ما هو التحقيق، وهو لساني وقلبي وأفضله ما جمعهما مما جاء به الكتاب العزيز، ثم ما أمر الله به رسولاً من رسله أو نبياً من أنبيائه مما جاء به الكتاب أيضاً، ثم ما ورد عنه ﷺ في الكتب المشهورة الصحيحة ثم ما دعا به العلماء والأولياء والصالحون، ولا عبرة بمجرّد النطق

كَثِيرًا﴾[الأحزاب: ٤١] وقال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وقال:

باللسان مع غفلة القلب عن المذكور إذ الثواب الجزيل الوارد فيه إنما هو مرتب عليهما معاً، والذكر أفضل من الفكر لصحة نسبة الذكر إليه تعالى دون الفكر، وما كان من نعوت الحق فهو أفضل من غيره، والحاصل أنَّ الذكر مطلقاً عبادة نعم ما جمع اللساني والقلبيّ، فهو أفضل ما يثاب عليه على مذهب أهل الحق، واعلم أنَّ الذكر يكون بالثناء على الله تعالى بما له من نعوت الكمال وبدعائه واستغفاره وسؤاله، ولو في حاجات الدنيا، وبطاعاته، وأنواع عباداته، وأرفعها تلاوة القرآن، وبعضه أرفع من بعض من جهة ترتب الجزاء لا بالنظر لذاته إذ الكلام كلام الله تعالى وارد على لسان نبيه ﷺ.

فائدة:

هل الذكر على معنى الثناء على الله تعالى والتنزيه له أفضل، أو الدعاء والتذلل والطلب منه، الجواب الأول أفضل من حيث النقل والمعنى والله أعلم.

(قوله: وهو ممدوح) مراده به الذكر المشروع لا ما عليه أهل هذا الزمان من اجتماعهم مع قوالين بالألحان والرقص، وضرب الأرض بالأقدام والتمايل والتكسر مع ما ينضم إلى ذلك من الباطل المحرم كاستحضار المرد في مجالسهم، والنظر في وجوههم مع الزينة يلبس المصبغات من الثياب، وإذا أنكرت على أحد منهم تبجح بأنَّ ذلك للاستدلال بالضعة على الصانع، وفي ذلك اجتراء وقول عظيم، وكشف لفضائحه، فهو عبد أهانه الله وخذله، وكشف عورته، وأبدى سوأته في العاجل، وله عند الله سوء المنقلب في الآجل. روى أبو داود في السنن أنَّ النبي ﷺ قال: «من خبب زوجة امرىء أو مملوكته فليس منا» والأمرد حكمه كحكمهما، وخبب معناه أفسد من الخب وهو الخداع والإفساد، وقال ﷺ لعلي رضي الله عنه: «لا تتبع النظرة النظرة فإنما لك الأولى وليست لك الآخرة»[1] وقال بقية بن الوليد رحمه الله: قال بعض التابعين كانوا يكرهون أن يُحدق الرجل النظر إلى الغلام والأمرد الجميل الوجه، وقال عطاء رحمه الله: كل نظرة يهواها القلب لا خير فيها، وقال الواسطيّ من كبار الصوفية: إذا أراد الله هوان عبد ألقاه إلى هؤلاء الأنتان الجيف، أو لم تسمعوا إلى قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] وقال بعض التابعين: ما أنا بأخوف من الشاب الناسك من سبع ضار، وما كفاهم ذلك بل ضموا إلى ذلك الدف والرقص، وكشف الرأس، وتمزيق الثياب مع أنَّ ذلك كما لا يخفى على ذي لب أنه لعب وسخف، ونبذ للمروءة وهتك للوقار، ولما كان عليه الأنبياء والصالحون روى أهل التفسير عن

---

(١) أخرجه أبو داود (نكاح ٤٣) والترمذي (أدب ٢٨) والدارمي (رقاق ٣) وأحمد بن حنبل (٥، ٣٥١، ٣٥٣، ٣٥٧)..

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٠]. (أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران ببغداد رحمه الله قال: أخبرنا أبو علي الحسين بن صفوان البرذعيّ قال: حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد أبي الدنيا قال: حدثنا هرون بن معروف قال: حدثنا أنس بن عياض قال: حدثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد عن أبي بحرية عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم) أي مليككم تعالى

عليّ رضي الله عنه أنّه قال: «كان مجلس رسول الله ﷺ مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات، ولا تنتهك فيه الحرم يتواصون فيه بالتقوى متواضعون يوقرون فيه الكبير ويرحمون فيه الصغير، ويؤثرون ذا الحاجة، ويحفظون الغريب» قال: «وكان ﷺ لين الجانب سهل الخلق دائم البشر ليس بفظ ولا غليظ ولا صحاب في الأسواق، ولا فحاش ولا عياب، ولا مزاح يتغافل عما ينتهي قد ترك نفسه من ثلاث كان لا يذم أحداً، ولا يعيره، ولا يطلب عوراته، ولا يتكلم إلا فيما رجى ثوابه إذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، وإذا سكت تكلموا ولا يتنازعون عنده الحديث من تكلم أنصتوا له حتى يفرغ يغضون أبصارهم» ثم إذا لم يكن في الرقص والسماع شيء يذم به إلا أنّه مما أحدثه بنو إسرائل حين اتخذوا العجل إلهاً من دون الله لكفى قبحاً وضلالاً حيث لم يكن اقتداؤهم إلا بالكفار، وما كان هذا أصله يتعين على كل ذي عقل ولب الإنكار عليه، والهروب منه وتولي الظهر عنه، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. **(قوله: وهو ممدوح الخ)** أقول: ويكفي في مدحه وثمرته قوله جل شأنه: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] إذ لا يماثل ذكر الحق تعالى لعبده شيء لا دنيوي ولا أخروي، والذكر مطلوب في جميع الأوقات لا يختص بوقت دون وقت بخلاف غيره من العبادات، فقد يكون مؤقتاً بوقت، ويمتنع في آخر كالصلاة مثلاً. **(قوله: يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)** أي اذكروه بما هو أهله من التهليل والتحميد والتسجيد والتقديس ذكراً كثيراً يعم الأوقات وسبحوه أي نزهوه عما لا يليق به بكرة وأصيلاً أي أول النهار وآخره، وليس المراد القصر على هذين الوقتين، فالتقييد بهما لإبانة فضلهما على غيرهما من الأوقات، فالمطلوب حينئذ تسبيح الإله في جميع الأوقات. **(قوله: يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً)** قال بعضهم: وأقل مراتب الكثرة عمله بما ورد عن سيد الكمل ﷺ من وظائف الأوقات، والمندوب إليه في العبادات وأعلى مراتبها أنْ لا توجد للعبد حالة غفلة عن الحق لحظة من الزمان ما دام يقظاً عاقلاً.

(قوله: قال: حدثنا الخ) أي: ورواه أيضاً مالك في الموطأ. **(قوله: ألا أنبئكم)** أي أُخبركم بخير أعمالكم أي بأفضلها وأكثرها ثواباً، وأزكاها أي أكثرها طهرة لكم وبركة

(وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والورق) لكم **(و)** من **(أنْ تلقوا عدوكم فنضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا: ما ذاك يا رسول الله؟ قال: ذكر الله تعالى»**[1])، وأخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسين قال: حدثنا يعقوب بن إسحق بن إبراهيم قال: حدثنا الديريّ عن عبد الرزاق عن معمر عن الزهريّ عن ثابت عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله»[2] وأخبرنا علي بن أحمد بن عبدان رحمه الله قال: حدثنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا

عند مليككم أي المتصرف فيكم بالأمر والنهي، وأرفعها في درجاتكم أي أقوى أسباب تقربكم من رحمة ربكم وإحسانه وخير من إعطاء الذهب والورق أي أكثر ثواباً منه، ومن أنْ تلقوا أي، وأفضل من لقيكم العدوّ فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم في الجهاد، وذلك من قبيل الترغيب وإلا فالجهاد أفضل من الذكر، ولا سيما المفروض منه.

فائدة:

قراءة القرآن ذكر ودعاء، ولا سيما هو في نفسه عبادة يتقرب بها إلى الله تعالى، وقد سماه الله ذكراً حيث قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] وقال: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤] أي ذكره باللسان مع حضور القلب سواء كان بالتهليل أو غيره من بقية أنواع الذكر. **(قوله: وأخبرنا أبو نعيم الخ)** أي وروى الترمذيّ يرفعه الأغرّ أبي مسلم أنه شهد على أبي هريرة وأبي سعيد الخدري أنّهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال: «ما من قوم يذكرون الله تعالى إلا حفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده»[3] وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(قوله: لا تقوم الساعة الخ) فيه دلالة على أنّه بوجود الذكر يستدل على بقاء الخير، وبعدمه على وجود الأهوال.

فائدة:

حقيقة الذكر في القلب وذلك ضد الغفلة، فالإنسان ذاكر وغافل، فهو من أعمال القلب، وهو إخبار عن معلوم ونطق بمفهوم، فاجمع ذكر القلب واللسان فهو الأفضل، وإلا فكل فيه خير ووسيلة إلى القرب. **(قوله: وأخبرنا عليّ بن أحمد الخ)** معناه قريب

---

(١) أخرجه الموطأ (مس القرآن ٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في (صحيحه الإيمان ب ٦٦ رقم ٢٣٤) وعبد الرزاق في (المصنف ٢٠٨٤٧) والبغوي في (شرح السنة ١٥/٨٩) وابن حجر في (فتح الباري ١٣/١٩).

(٣) أخرجه الترمذي في (السنن ٣٣٧٨) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٨٢٢، ١٨٩١).

معاذ قال: حدثنا أبي عن حميد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله الله»[1] لأنها لا تقوم إلا على شرار الناس، وأما خبر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله»[2] أي الساعة فالمراد بالساعة فيه ما قرب منها ويؤيده رواية «حتى يخرج الدجال» وقد روي أنَّ الدجال يقتله عيسى ابن مريم عليه السلام، ويخرج بعده يأجوج ومأجوج فيقتلون من اتبع الدجال الذي قبل عيسى، ويتحصن عيسى ومن معه في رؤوس الجبال فيسلط الله على يأجوج ومأجوج داء أعناقهم فيموتون كموت رجل واحد ثم يتناقض الأمر حتى لا يبقى في الأرض إلا شرار الناس وعليهم تقوم الساعة.

(قال الأستاذ: والذكر ركن قوي في طريق الله سبحانه بل هو العمدة في هذا

من معنى الحديث قبله، واعلم أنّه ينبغي للذاكر والداعي قوّة التوجه بالقلب، وتصميم العزم باعتقاد الإجابة، وقوّة الرجاء، وعدم استبطاء الإجابة كأنْ يقول: دعوت فلم يستجب لي. **(قوله: وأما خبر لا تزال طائفة الخ)** الغرض منه الجمع بين الأخبار حتى لا ينافي بعضها بعضاً وهو ظاهر.

(قوله: ثم يتناقص الأمر) أي ينقص شيئاً فشيئاً حتى ينعدم. **(قوله: والذكر ركن قويّ)** أي أصل وأس عظيم في طريق الله أي في السبيل الموصل إليه.

فائدة:

روى الترمذيّ يرفعه إلى أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله ﷺ قال: «من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير في يوم مائة مرة كان له عدل عشر رقاب، وكتب له مائة حسنة، ومحيت عنه مائة سيئة، وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا واحد عمل أكثر من ذلك»[3] انتهى، وروى الترمذيّ أيضاً يرفعه إلى أبي ذر أنّ

---

(١) أخرجه مسلم في (صحيحه الإيمان ب ٦٦ رقم ٢٣٤) والنسائي في (سننه الفتن ٣٥، ٢٢٠٧) والترمذي في (سننه ٢٢٠٧) وأحمد بن حنبل في (المسند ٣/ ١٠٧، ٢٠١، ٢٦٨) وأبي عوانة في (المسند ١/ ١٠١) والتبريزي في (مشكاة المصابيح ٥٥١٦) والبغوي في (شرح السنة ١٥/ ٨٩) والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٥٤) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣٨٤٨٥، ٣٨٥٧٢) والهيثمي في (مجمع الزوائد ٧/ ٣٣١، ٨/ ١٢) وابن حجر في (فتح الباري ١٣/ ٨٥، ٢٨٧).

(٢) أخرجه الحاكم في (المستدرك ٤/ ٤٤٩، ٥٥٠) وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ١/ ٦٥) والخطيب البغدادي في (شرف أصحاب الحديث ٤٨) وعلي القاري في (الأسرار المرفوعة ١٩٥).

(٣) أخرجه الترمذي (إيمان ١٧) (جهنم ٩) وابن ماجه (زهد ٣٧) وأحمد بن حنبل (٢، ٦٨، ١٢٨، =

الطريق، ولا يصل أحد إلى الله) أي إلى رحمته وفضله **(إلا بدوام الذكر، والذكر على ضربين: ذكر اللسان وذكر القلب)** فإن اقتصر على أحدهما فالثاني أفضل ثم لا ينبغي أنْ يترك الذكر باللسان مع القلب خوفاً من أنْ يظن به الرياء بل يذكربهما جميعاً، ويقصد وجه الله، وقد تقدم أنَّ ترك العمل لأجل الناس رياء، **(فذكر اللسان به يصل العبد إلى استدامة ذكر القلب والتأثير)** يكون **(لذكر القلب)** لأنّه الأس لأنَّ ما سواه من

رسول الله ﷺ قال: «من قال في إثر صلاة الفجر وهو ثانٍ رجليه قبل أنْ يتكلم لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كتب الله له عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيآت، ورفع له عشر درجات وكان يومه ذلك في حرز من كل مكروه وحرس من الشيطان ولم يتبع بذنب أنْ يدركه في ذلك اليوم إلا أنْ يشرك بالله» وروى مالك في الموطأ يرفعه إلى أبي هريرة أنه قال: «من سبح دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد ثلاثاً وثلاثين، وكبر ثلاثاً وثلاثين، وختم المائة بلا إله إلا وحده لا شريك له له الملك، وله الحمد، وهو على كل شيء قدير غفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر»[1]. **(قوله: أي إلى رحمته وفضله)** يشير إلى أنَّ المراد الوصول المعنويّ إذ لا مسافة بين العبد وربه تعالى. **(قوله: والذكر على ضربين)** أي على نوعين، والمراد الذكر من حيث هو أما إذا أطلق الذكر في لسان الشرع، فالمراد به اللساني خاصة على أنَّ هذا بالنسبة لأوّل زمن الإرادة أما العارفون والمحققون فذكرهم بسائر قواهم وأجزاء تركيبهم لخروجهم عن قيد التركيب الجسمانيّ إلى فضاء الشهود الرحمانيّ، وله أشار سلطان العارفين حيث قال:

إذا ما بدت ليلى فكلي أعين ... وإنْ هي ناجتني فكلي مسامع

فتأمل. **(قوله: فالثاني أفضل)** أي لبعده عن الرياء والغفلة، وغير ذلك، وفي ذلك إشارة إلى أنَّ في مجرد اللساني فضيلة، وهو كذلك حيث هو وسيلة إلى ما هو أعلى منه. **(قوله: ثم لا ينبغي أنْ يترك الخ)** أي لأنَّ الخير المحقق لا يترك للشر المتوهم، وقوله: وقد تقدم الخ ترقي في عدم الانبغاء المذكور. **(قوله: فذكر اللسان به يصل العبد الخ)** أي

= ٢١٠، ٢١٤، ٢٣٨، ٣٠٢، ٣١٠، ٣٦٠، ٣٧١، ٣٧٥، ٤٨٣، ٣، ١١٦، ١٧٣، ١٧٨، ٢٧٦، ٣٤٥، ٣٨٣، ٤، ١٠٣، ٢٨٥، ٢٨٦، ٥، ٣٩١، ٦، ٤٤٢).

(١) أخرجه البخاري (أذان ١٥٥) (فضائل أصحاب النبي ٩) (نفقات ٦، ٧) (دعوات ١٠، ١٧) (تفسير سورة ٥٠، ٢) ومسلم (ذكر ٨٠، ٨١) (مساجد ١٤٢) وأبو داود (أدب ١٠٠) والترمذي (مواقيت ١٨٥) دعوات ٢٤، ٢٥) والنسائي (سهو ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥) وابن ماجه (إقامة ٣٢) والدارمي (صلاة ٩٠) والموطأ (قرآن ٢٢) وأحمد بن حنبل (١، ١٠٦، ٢، ٢٣٨، ٣٧١، ٤٨٣، ٥، ١٥٨، ١٨٤، ١٩٠، ٦، ٤٤٦).

الجوارح تابع له في الصلاح والفساد، (**فإذا كان العبد ذاكر بلسانه وقلبه**) معاً (**فهو الكامل في وصفه في حال سلوكه، سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: الذكر منشور الولاية**) لأنه سبب التقرب والوصول كما أنَّ منشور الولاية بين الناس مكتوب يشهد للعبد بأنه ولي ولاية (**فمن وفق للذكر فقد أعطي المنشور**) كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢] أي بحفظي وإكرامي (**ومن**) فتح له باب الذكر، ورزق اللذة فيه ثم (**سلب الذكر**) بأنْ ابتلي بشيء من الدنيا حتى أغفله عنه (**فقد عزل**) عن الولاية، (**وقيل: إنَّ الشبلي كان في ابتداء أمره ينزل كل يوم سرباً**) أي طريقاً (**ويحمل مع نفسه حزمة من القضبان**) من الخشب (**فكان إذا دخل قلبه غفلة**) وفتور عن العبادة (**ضرب نفسه بتلك**) القضبان من (**الخشب حتى يكسرها على نفسه**) ويجد الألم (**فربما كانت الحزمة تفنى قبل أن يمسي**) من يومه (**فكان**) حينئذ (**يضرب بيديه ورجليه على الحائط**) حتى يجد الألم فيزول عنه بذلك ما هو فيه من الغفلة والفتور حتى يصير الخير له عادة، فيستغني عن هذه المجاهدة، (**وقيل: ذكر الله بالقلب**) لكونه مما لا يستغني العبد عنه في أوّل كل عمل وحال (**سيف المريدين به**

فهو وسيلة إلى ما به التأثير وللوسائل حكم المقاصد. (**قوله: والتأثير يكون لذكر القلب**) أي التأثير في تنوير القلب وزيادة واردات الرحمن إنما هو لذكر القلب.

(**قوله: لأن ما سواه الخ**) أي ويؤيده خبر «ألا وإنَّ في الجسد مضغة»[1] الحديث.

(**قوله: الذكر منشور الولاية**) أي كالمنشور في الدلالة على ثبوت الولاية لمن اتصف به من العباد والمنشور أصله ما يكتب لمن ولي ولاية على جهة من الجهات ليعلم أهل تلك الجهة تحقق ولايته عليهم.

(**قوله: فمن وفق للذكر**) أي اللساني المقترن بالقلبيّ. (**قوله: أي بحفظي وإكرامي**) أفاد به أنَّ المراد بذكر الحق للعبد إنما هو الحفظ والإكرام إذ الحقيقة اللغوية غير ممكنة في حقه تعالى نعم إنْ أُريد بذكر الحق لعبده ثناؤه عليه لم يكن بعيداً والله أعلم.

(**قوله: ومن فتح له باب الذكر**) أي بأنْ وفق للإكثار منه وقوله: ورزق اللذة فيه مراد فيها اللذة المعنوية العقلية لا الحسية الطبيعية على أنَّه يمكن أنْ تكون اللذة حسية بالنسبة لبعض الذاكرين. (**قوله: حزمة**) بضم الحاء لا غير. (**قوله: فكان إذا دخل قلبه غفلة**) قلبه مفعول مقدم، وغفلة فاعل مؤخر، وقوله: ضرب نفسه الخ لعله رأى ذلك اجتهاداً وأنَّه لا ينفعه في القيام على نفسه غير ذلك، وإلا فمثل ذلك لم يرد في تأديب النفس. (**قوله: لكونه مما لا يستغني العبد عنه**) أي لأنَّ الشرط في أوّل أمر المريدين

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٩) ومسلم (مساقاة ١٠٧) وابن ماجه (فتن ١٤) والدارمي (بيوع ١).

يقاتلون أعداءه وبه يدفعون الآفات التي تقصدهم وأنَّ البلاء إذا أظل العبد) أي دنا منه، وفي نسخة قد ينزل بالعبد **(فإذا فزع بقلبه إلى الله)** والتجأ إليه **(سبحانه يحيد)** أي يعدل **(عنه في الحال كل ما يكرهه، وسئل الواسطي عن الذكر فقال:)** هو **(الخروج عن ميدان الغفلة إلى فضاء المشاهدة)** يعني حلول الغفلة إلى طول المشاهدة للمذكور بالقلب **(على)** نعت **(غلبة الخوف)** من الفتور والانقطاع عن الذكر **(و)** نعت **(شدة الحب له. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن الحسين يقول: سمعت أبا محمد البلادريّ يقول: سمعت عبد الرحمن بن بكر يقول: سمعت ذا النون المصريّ يقول: من ذكر الله تعالى ذكراً على الحقيقة)** أي الذكر الكامل، وهو الاستغراق في المذكور **(نسي في جنب ذكره كل شيء)** حتى

تحرير مقاصدهم، وإخلاص نياتهم، وإفراغ قلوبهم من الشواغل. **(قوله: وأنَّ البلاء)** أي الامتحان. **(قوله: يحيد عنه الخ)** أي ويشهد لذلك خبر «إنَّ الدعاء والقضاء ليتعالجان» الحديث. **(قوله: فقال: هو الخروج عن ميدان الغفلة الخ)** أشار به نفعنا الله به إلى أعلى أنواع الذكر لأنه قد يكون مع غفلة، ومع يقظة، ومع حضور، ومع شهود، ومن المعلوم أنَّ كل نوع أعلى مما قبله، وأقل مما بعده غير أنَّ الأدنى يترجى معه الترقي إذ فيه تعرض لنفحات رحمة الله سبحانه وتعالى بما هو مقدور العبد قال ﷺ: «إن لله في أيام دهركم نفحات فتعرضوا لنفحات رحمة الله» وقال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] فجعل بوجود ذكرك إياه وجود ذكره لك، ومن ذكره مولاه وفقه، وهداه، وسمح له وتولاه، وآواه فأكرم مثواه تدبر تفهم والله أعلم.

(قوله: يعني طول الغفلة الخ) أي فالغفلة الضارة ضرراً بيناً إنما هي الغفلة الطويلة أمّا القصيرة فقل أنْ يتخلى عنها أحد، والمراد بفضاء المشاهدة دوام استحضار عظمة المذكور المعبر عنه بالمراقبة. **(قوله: على نعت غلبة الخ)** المراد أنْ يكون الذاكر خائفاً راجياً. **(قوله: من ذكر الله تعالى الخ)** يدل له قوله جل شأنه ﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: ٨] ومدار ذلك على ثلاثة: معرفة الحق، وإجلاله، والعبودية له ومراتب ذلك غير متناهية. **(قوله: من ذكر الله الخ)** الغرض منه بيان ثمرة الذكر إذا تجرّد عن العوائق المبطلة له. **(قوله: نسي في جنب ذكره كل شيء)** أي لأنَّ من تنبه إليه أنس به، ومن حضر معه خضع له، ومن نسي ما سواه فني به، ومن فني به غاب عمن سواه، فشهد أنَّ الله تعالى هو الضار والنافع لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، وذلك مقام الإحسان الثابت في صحيح مسلم لما سأله جبريل عنه فقال: «أنْ تعبد الله كأنك تراه» فمتى علم الذاكر سماع مولاه لخفي ذكره ونجواه نسي في جنب ذكره ما سواه لكمال اشتغاله به، ولزم من ذلك حفظه عن كل شيء يخشاه، وكان الله تعالى له في جميع

كونه ذاكراً (**وحفظ الله تعالى عليه كل شيء وكان له عوضاً عن كل شيء وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عبد الله المعلم يقول: سمعت أحمد المسجديّ يقول: سئل أبو عثمان فقيل له: نحن نذكر الله تعالى، ولا نجد في قلوبنا حلاوة فقال: احمدوا الله**) واشكروه (**على أنّ زين جارحة من جوارحكم بطاعته**) أي بالذكر، فإذا شكرتموه على ذلك نقلكم إلى ما هو أعلى في درجات الذكر، وهو وجود اللذة به، ثم إلى ما هو أرفع من وجودها، وهذا إرشاد بالغ وفاء بقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، (**وفي الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا فيها فقيل له: وما رياض الجنة؟ فقال: مجالس الذكر**) فإنّ لله تعالى سيارات من الملائكة يطلبون حلق الذكر، فإذا أتوا عليهم حفوا بهم»[(١)] (**أخبرنا أبو الحسن علي بن بشران ببغداد رحمه الله قال: حدثنا أبو علي**) الحسين (**بن صفوان**) البرذعيّ (**قال: حدثنا ابن أبي الدنيا قال: حدثنا الهيثم بن عياش عن عمر بن عبد الله أنّ خالد بن عبد الله بن صفوان أخبره عن جابر بن عبد الله قال: خرج علينا رسول الله ﷺ فقال: «يا أيها الناس ارتعوا في رياض الجنة قلنا: يا رسول الله ما رياض الجنة؟ قال: مجالس الذكر»**) الحديث (**قال**) المملي تفسيراً لذلك (**اغدوا وروحوا**

أَحواله عوضاً عما سواه. (**قوله: وحفظ الله تعالى الخ**) أي وذلك هو موقف الفناء لأنّه في هذه الحالة لا يصح له فهم وجود سوى وجود الحق تعالى لا في ذكره ولا في غيره، وذلك من ثمرات الصدق في الذكر. (**قوله: وكان له عوضاً عن كل شيء**) أقول: ومن كان الله عوض ما فاته ما فقد شيئاً كما أنّ من فقد الله ما وجد شيئاً أعاذنا الله من ذلك.

(**قوله: على أنّ زين الخ**) أي وذلك من وسائل الترقي، فهو بهذا الإعتبار من النعم الجليلة.

(**قوله: وهذا إرشاد بالغ الخ**) المشار إليه قوله: واشكروه وما وقع بإزائه الشكر هو ذكر اللسان، وإنما طلب الشكر في مقابلته لأنّه مما تعيش به القلوب، وتغرس فيها به اللذة، فهو نعمة وأيّ نعمة. (**قوله: إذا رأيتم رياض الجنة الخ**) يحتمل أنّ المراد التشبيه بجامع اللذة في كل، والنعيم في كل، ويحتمل أنّه من إطلاق اسم المسبب على السبب فتدبر. (**قوله: يطلبون حلق الذكر**) أي يطلبون أهل تلك الحلق لإتحافهم وحفظهم مثلاً. (**قوله: ارتعوا الخ**) من رتعت الماشية في الكلأ أكلت ما شاءت منه، والمراد تفكهوا وتلذذوا بما هو كرياض الجنة في مطلق اللذة والنعيم، أو بما يوصل إلى ذلك، ويكون سبباً فيه على ما قدّمناه قبل. (**قوله: اغدوا الخ**) الغدو الذهاب أوّل النهار والرواح الرجوع

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات ٨٢) وأحمد بن حنبل (٣، ١٥٠).

واذكروا من كان يحب أنْ يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده، فإنَّ الله سبحانه ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه) قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧] والكل من فضله، وفي صحيح مسلم أنّه ﷺ قال: «لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده» قال النوويّ: ولا تنحصر فضيلة الذكر في التسبيح، والتهليل، والتحميد، والتكبير ونحوها بل كل عامل لله تعالى بطاعة، فهو ذاكر الله تعالى قاله سعيد بن جبير رضي الله عنه: وغيره من العلماء، وقال عطاء رحمه الله: مجالس الذكر مجالس الحلال، والحرام كيف تشتري وتبيع، وتصلي، وتصوم، وتنكح، وتطلق، وتحج وأشباه هذا.

آخره، والمعنى اذكروا الله في جميع الأوقات مع المراقبة، وقوله: من كان يحب الخ المراد منه الحث على دوام الذكر على الوجه الأكمل مع المراقبة والإجلال بحضور القلب وقوّة توجهه إلى الله وبيان الثمرة بقوله: فإنَّ الله ينزل العبد منه الخ.

(قوله: قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾) الفاء للدلالة على ترتيب الأمر على ما قبله من موجباته أي اذكروني بالطاعة أذكركم بالثواب، وهو تحريض على الذكر بما يوجبه، واشكروا لي ما أنعمت به عليكم من النعم، ولا تكفرون بجحدها وعصيان ما أمرتكم به.
(قوله: قال تعالى: فاذكروني أذكركم) تقدم أنّ المراد بذكر الله لعبده إحسانه إليه، وتقريبه من حظائر كرمه، أو ثناؤه عليه، فلا تغفل.

(قوله: وقال: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾) [إبراهيم: ٧] قال بعضهم: شكر العبد لمولاه دوامه على طاعته وعبادته، وقوله: والكل من فضله المراد بالكل توفيق العبد للشكر، وما يعطيه الحق من الزيادة في مقابلة شكر عبده جميع ذلك من فضله وإحسانه سبحانه وتعالى.

(قوله: لا يقعد قوم الخ) التعبير بالقعود نظراً للغالب، وإلا فالثمرات المذكورة لا تختص بالقاعد بل تعمه وغيره كما لا يخفى. (قوله: إلا حفتهم الملائكة) أي إلا أحاطت بهم لإتحافهم وحفظهم، وقوله: وغشيتهم الرحمة أي عمتهم حتى صارت كالغشاء الساتر لجميعهم، وقوله: ونزلت عليهم السكينة أي طمأنينة القلب، وقوله: وذكرهم الله فيمن عنده أي أثنى عليهم ثناء يطلع عليه أهل الملا الأعلى، والمراد أحسن إليهم على هذا الوجه. (قوله: قال النوويّ الخ) المراد منه بيان المقصود من الذكر وأنّه يشمل سائر الطاعات بتهليل، أو تسبيح، أو تحميد، أو تكبير أو غير ذلك.

(قوله: الذكر مجالس الحلال والحرام الخ) مراده أنّ علم أَحكام الله تعالى تعليماً أو تعلماً من قبيل الذكر فهو يشمل ذلك كغيره، فهو يؤيد ما قاله النووي رحمه الله. (قوله:

فإنَّ جميع ذلك ينقل العبد من الغفلة إلى ذكر الله وطاعته، (**وسمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمداً الفراء يقول: سمعت الشبلي يقول**) لتلامذته (**أليس الله تعالى يقول: أنا جليس من ذكرني ما الذي استفدتم من مجالسة الحق تعالى**) نبههم بذلك على التجسس لفوائد الذكر، وما يهبه الله للذاكرين من الخيرات كوجود اللذات في الذكر، وكمال الاستغراق في المذكور، وسماع الخطاب، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عبد الله بن موسى السلاميّ يقول: سمعت الشبليّ ينشد في مجلسه:**

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة وأيسر ما في الذكر ذكر لساني)

ودوامي عليه وإن كان القلب ذاكراً (**وكدت**) وأنا (**بلا وجد أموت من الهوى**) أي الحب (**و**) لما فتح عليّ الوجد والأحوال (**هام عليّ القلب بالخفقان**) أي ذهب

سمعت الشبليّ يقول: الخ) يريد نفعنا الله ببركات علومه ومعارفه أنْ ينبه التلامذة عى ما به الترقي في درجات الذكر والآداب فيه من أنَّ الأولى لهم دوام ذكر القلب حتى تقل غفلاتهم، وتكثر وارداتهم فإنّهم إذا لازموا الذكر القلبيّ واستولى على قلوبهم بغلبته عليها، فلا تعرض لها بعد ذلك غفلة ولا فترة بواسطة ما يقذف فيها من أنوار اليقين.

(**قوله: أليس الله تعالى يقول: الخ**) الاستفهام فيه تقريري وهو حمل المخاطب على الإقرار بما يعلم الذي هو تحقق ذلك وثبوته. (**قوله: نبههم بذلك الخ**) أي ليكونوا ذاكرين الله تعالى حق ذكره بواسطة دوام مراقبتهم إياه بنعت الجلال ليثمر لهم ذكرهم ما أشار إلى بعضه المؤلف.

حكاية يناسب ذكرها لمناسبة المقام: قال منصور بن عمار الواعظ: خرجت ليلة من الليالي ظننت أنَّ الفجر قد طلع، وإذا هو ليل فقعدت على دهليز مشرف، وإذا أنا بصوت إنسان يدعو ويبكي ويقول: وجلالك ما أردت بمعصيتك مخالفتك، ولقد عصيتك إذ عصيتك بجهلي، وما أنا بكمالك جاهل، ولا بنظرك مستخف سوّلت لي نفسي وأعانني عليها شقوتي وغرني سترك المرخي عليّ، فمن عذابك من ينقذني، ومن أيدي ربانيتك من يخلصني، وبحبل من أتصل إنْ قطعت حبلك عني وا سوأتاه إذا قيل للمخفين: جوزوا، وللمثقلين حطوا فيا ليت شعري أمع المثقلين أحط أم مع المخفين أجوز ويحي كلما طال عمري كثرت ذنوبي ويحي كلما كبر سني كثرت خطاياي فيا ذلي كم أتوب وكم أعود، ولا أستحي من ربي قال: فلما سمعت كلام هذا الإنسان وضعت فمي في باب داره وقلت: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم) ﴿نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم: ٦] قال: فسمعت اضطراباً عظيماً، ثم سكن فظهر أنَّ الشاب قد قضى نحبه. انتهى. فتأمل يا أخي رقة هاتيك القلوب، وشدة خوف الخطوب، فالله يرحمهم ويرحمنا ببركات أنفاسهم. (**قوله: ذكرتك الخ**) أي تذكرنك على معنى دام قلبي

الاضطراب وشدّة الطلب للمذكور **(فلما أراني الوجد)** حين انتقلت منه إلى الوجود المذكور بقوله: **(إنك حاضري شهدتك)** بالقلب **(موجوداً بكل مكان)** أي لم أغفل عنك في حالةٍ من الأحوال **(فخاطبت موجوداً بغير تكلم)** مني لي **(ولاحظت)** بقلبي **(معلوماً بغير عيان)** أي بصر بعيني، والمعنى ألم أكلمه مع الغفلة بل مع المشاهدة واستشعار سماعه لكلامي، ورؤيتي له بقلبي، وهذا هو المشار إليه في بيان الإحسان بخبر «أنْ تعبد الله كأنك تراه فإنْ لم تكن تراه فإنه يراك».

(ومن خصائص الذكر أنه غير مؤقت) بوقت معين **(بل ما من وقت من الأوقات إلا والعبد مأمور بذكر الله إما فرضاً وإما ندباً)** إلا في الأوقات التي ورد الشرع باستثنائها كوقت الجلوس لقضاء الحاجة، ووقت الجماع ووقت الخطبة لمن سمعها

على مراقبتك لا على معنى التذكر بعد سبق الغفلة على ما يوهمه اللفظ، وقوله: وأيسر أي أسهل، وأقل ما في أنواع الذكر ذكر لساني مع حضور قلبي وقتاً ما، وأعلاها الاستغراق جميع الأوقات في الذكر على الوجه المذكور مع عدم خطور السوى على القلب، وقوله: وكدت أي قاربت وأنا بلا وجد أي بلا شوق كامل أموت من الهوى أي أفنى وأنعدم مما أصابني من هواك وحبك، وقوله: ولما فتح على الوجد أشار الشارح إلى أنّ مدخول الواو محذوف قدره بقوله: ولما فتح علي وهو ظاهر، والهيمان زيادة التعلق بالمحبوب المرتب عليه حيرة المحب، والخفقان داء يعتري القلب خطر ربما يسرع به الموت، وقوله: فلما أراني الوجد الخ محصله انتقاله منه إلى الوجود على ما ذكره الشارح بوجه بليغ، وقوله: شهدتك جواب لما، والمراد بالمشاهدة انكشاف الأسماء والصفات بمظاهرهما العين البصيرة.

وقوله: فخاطبت موجوداً يعني وجوداً مطلقاً بغير تكلم لفظي بل معنوي بلسان قلبي، وقوله: ولاحظت معلوماً بغير عيان الملاحظة الانكشاف، الحاصل باللحظ الذي هو مؤخر العين لكن المراد مطلق الإنكشاف وقوله: معلوماً أي بالآيات والبراهين الدالة على تحقق ذاته ودوام صفاته، وقوله: بغير عيان أي معاينة بل ببصيرة القلب بواسطة ما انكشف لها من إحاطة العلم القديم بسائر الحركات والسكنات.

(قوله: ومن خصائص الذكر الخ) الغرض بيان شرف الذكر على غيره من باقي العبادات قال تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وطلبه من العبد في غالب أحيانه يدل على زيادة فضيلته. **(قوله: إما فرضاً وإما ندباً)** أي كتكبيرة الإحرام، ونحو الذكر في الركوع والسجود في الصلاة.

(قوله: كوقت الجلوس الخ) أي لكراهته في مثل ذلك، وما بعده مثله، وقوله: ووقت الخطبة أي تقديماً للأهم على المهم.

(والصلاة وإنْ كانت أشرف العبادات) بعد الإيمان لخبر: «إنَّ العبد إنما يحاسب يوم القيامة عن صلاته، فإنْ قام بها نظر في بقية أعماله» **(فقد لا تجوز في بعض الأوقات والذكر بالقلب مستدام في عموم الحالات قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾)** [آل عمران: ١٩١]. سمعت الأستاذ الإمام أبا بكر بن فورك

(قوله: قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾الخ) [آل عمران: ١٩١] المراد بهم الذين لا يغفلون عنه تعالى في عامة أوقاتهم لاطمئنان قلوبهم بذكره، واستغراق سرائرهم في مراقبته لما أيقنوا أنْ كل ما سواه فائض منه، وعائد إليه، فلا يشاهدون حالاً من الأحوال في أنفسهم، ولا في غيرهم إلا منه وإليه، وقوله تعالى: ﴿قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١] يشير إلى أنْ ذلك بحسب كل شأن من شؤونه سواء كان ذلك من حيث الذات، أو من حيث الصفات والأفعال، وسواء قارنه الذكر اللسانيّ أو لا، وقوله: **(وعلى جنوبهم)** متعلق بمحذوف معطوف على الحالين أي وكائنين على جنوبهم أي مضطجعين، والمراد تعميم الذكر للأوقات كما مر، وقوله: (﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾)[آل عمران: ١٩١] أي يتفكرون في أفعاله سبحانه أثر بيان تفكرهم في ذاته تعالى على الإطلاق فهي آيات تكوينية مرشدة للمتفكر فيها على الوجوب الذاتي له تعالى، والوحدة الذاتية، والملك القاهر، والقدرة التامة، والعلم الشامل والحكمة البالغة، وغير ذلك من صفات الكمال، ومرشدة أيضاً على تحقق حقيقة المعاد لأنَّ من قدر على هذا الإنشاء العجيب بلا مثال يحتذيه، وقانون ينتحيه، فهو على إعادته بالبعث أقدر، فحكم المتفكر بأنَّ ذلك ليس إلا لحكمة باهرة هي جزاء المكلفين بحسب أعمالهم واعتقاداتهم التابعة لأنظارهم فيما نصب لهم من الحجج، والدلائل، والإمارات، والمخايل، واعلم أنَّ الأعمال غير مختصة بالجوارح بل متناولة للقلبي بل هو أشرف أفراده كما يرشد إليه قوله جل جلاله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] أي ليعرفون كما أعرب عنه خبر «كنت كنزاً مخفياً» الحديث، وإنما طريق المعرفة النظري التفكر فيما ذكر من شؤونه تعالى.
(قوله: قال الله تعالى: (﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ﴾ الخ) دليل لمشروعية الذكر في عموم الأحوال، وفي جميع الأوقات، وأما حمل الذكر في الآية الكريمة على الصلاة في هذه الأحوال حسب الاستطاعة كما قال ﷺ لعمران بن الحصين: «صل قائماً فإنْ لم تستطع فقاعداً فإنْ لم تستطع فعلى جنب»[1] تومىء إيماءً، فمما لا يساعده سياق النظم الجليل، ولا سباقه، وبذلك تعلم ما يأتي للشارح نفعنا الله بعلومه من قوله: ما قاله ليس تفسيراً للآية لأنَّها إنما جاءت في بيان الصلاة وقت الأعذار، وتعلم أنَّ فيه نظراً ظاهراً.

---

(١) أخرجه البيهقي في (السنن الكبرى ٢/ ٣٠٤، ٣/ ١٥٥) وابن خزيمة في (الصحيح ٩٧٩، ١٢٥٠) والخطيب البغدادي في (تاريخ بغداد ٦/ ٢٤).

رضي الله عنه يقول: قياماً بحق الذكر، وقعوداً عن الدعوى فيه ما قال: ليس تفسيراً للآية لأنها إنما جاءت في بيان الصلاة وقت الأعذار وإنما هو من باب الاعتبار، فإنّه جار في سائر الأعمال، فإنَّ المطلوب من العبد أنْ يقوم بها لله على وجهها ويتبرأ من دعوى قيامه بها إلا بعون ربه عليه، **(وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يسأل الأستاذ أبا علي الدقاق فقال: الذكر)** للشيء **(أتمّ أم الفكر)** فيه **(فقال الأستاذ أبو علي الدقاق: ما الذي يقول الشيخ فيه: فقال الشيخ أبو عبد الرحمن: عندي الذكر أتم من الفكر لأنّ الحق سبحانه يوصف بالذكر)** لأنّه ذا كر لكل شيء إذ لا يخفى عليه شيء **(ولا يوصوف بالفكر)** لأنّه وسيلة لتحصيل ما لم يحصل وهو محال على الحق تعالى **(وما وصف به الخلق، فاستحسنه الشيخ أبو علي رحمه الله)** فإذا منّ الله على العبد

تنبيه:

قيل لبعضهم: ما علامة السعادة والشقاوة؟ فقال: علامة السعادة أنْ تطيع الله تعالى وتخاف أنْ تكون مردوداً وعلامة الشقاوة أنْ تعصي الله تعالى، وترجو أنْ تكون مقبولاً، ويؤيده قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠] وقال الجنيد رضي الله عنه: يخلص إلى القلوب من بره تعالى على حسب ما خلصت القلوب به إليه من ذكره، فانظر ماذا يخالط قلبك، وقال أيضاً: الأنس بالمواعيد والتعويل عليها خلل في الشجاعة، والوقت إذا فات لا يستدرك، وليس شيء أعز من الوقت، قلت: وهذا منه تحريض على الذكر، ونهي عن القنوع به في وقت دون وقت وهي أوقات المواعيد، فالشجاعة عمل الإنسان بما سمع فيها، وتكون المواعيد محركة له على الدوام، ولذا قال: الوقت إذا فات لا يستدرك، فهو يريد الحث على عمارة الأوقات بالذكر. **(قوله: وإنما هو من باب الاعتبار)** أي المعنى المعبر لعدم ما ينافيه لعموم اللفظ، وإنْ كان المورد خاصاً.

(قوله: فإنّه جار الخ) أي فإنَّ هذا المعنى جار في سائر الأعمال التي من جملتها الذكر. **(قوله: فقال: الذكر للشيء أتم أم الفكر فيه)** أي أم الفكر فيه مجرداً عن الذكر وإلا فمن المعلوم أنَّ اجتماعهما من أكمل العبارات. **(قوله: عندي الذكر أتم من الفكر)** لعل المراد ذكر اللسان مع حضور القلب، وقصده وتوجهه، وإلا فمجرد ذكر اللسان مع غفلة القلب قليل الفائدة بالنسبة إلى الفكر، قال الجنيد رضي الله تعالى عنه: رأيت إبليس في المنام وهو عريان فقلت له: ألا تستحي من الناس فقال: الناس في مسجد الشونيزية أضنوا جسدي وأحرقوا كبدي، فلما انتبهت غدوت على مسجد الشونيزية فرأيت جماعة، وقد وضعوا رؤوسهم على ركبهم يتفكرون، فلما رأوني قالوا: لا يغرنك حديث الخبيث، قلت: وفيه تنبيه للجنيد على دوام الذكر والفكر فيه، وإنّه الذي يقصم ظهر الشيطان.

بالذكر لشيء استغنى به عن الفكر الذي يحصله به، فكان الذكر أتم، **(وسمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت الكتاني يقول: لولا أنّ ذكره فرض عليّ)** بأمره **(لما ذكرته إجلالاً له)** أي لما رأيت نفسي أهلاً لأن أذكره لإجلالي له **(مثلي)** في الحقارة **(يذكره ولم يغسل فمه)** بعد ذكره **(بألف توبة متقبلة عن ذكره)** أي لأنّ من اتى بما لا يليق به فاللائق به التوبة منه، **(وسمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله ينشد لبعضهم)** في معنى ذلك **(ما إنْ)** زائدة **(ذكرتك)** يا الله **(إلا هم)** أي أراد **(يزجرني. قلبي وسري وروحي عند ذكراكا * حتى كان رقيباً منك يهتف)** أي بصوت **(بي. إياك ويحك والتذكار إياكا)** أي إذا خطر لي أنْ أذكرك قام بقلبيّ وسري وروحي زجر يبعدني عن ذكرك، وكان محذراً يحذرني بقوله: إياك أنْ تقرب التذكار إياك لكوني لست أهلاً له.

(ومن خصائص الذكر أنّه جعل في مقابلته الذكر) من الله للذاكر حيث **(قال الله**

(قوله: استغنى به عن الفكر الذي يحصله به) أي لا عن مطلق الفكر، وقوله: فكان أتم أي أتم من الفكر المخصوص المذكور في كلام الشارح ووجه الأتمية ما فيه من القيام بحق العبودية بامتثال قوله جل جلاله: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ﴾ مع أنّه من الوسيلة إلى مطلق الفكر الذي به يكون الترقي إلى عليّ المقامات.

(قوله: لولا أنّ ذكره فرض الخ) مراده أنّه لولا طلب الذكر منه شرعاً لما رأى نفسه أهلاً لذكره تعالى من حيث استصغار نفسه، وعظم أمر المذكور في قلبه فيكون ذكره فرضاً كان أو نفلاً لأجل الامتثال فقط.

(قوله: مثلي في الحقارة يذكره الخ) جملة مستأنفة ذكرت أيضاً حالاً لما قبلها وتعليلاً له. **(قوله: ولم يغسل فمه)** أي يطهره بألف توبة متقبلة عن ذكره ليس المراد حقيقة العدد بل التكثير فقط. **(قوله: لأنّ من أتى بما لا يليق به)** أي بقطع النظر عن كونه مأموراً بالذكر أما بعد اعتبار الأمر فهو من المطلوب فرضاً أو نفلاً. **(قوله: ما إنْ ذكرت الخ)** محصله إفادة أنّه من حيث أمره بالذكر ذاكر، ومن حيث استصغار نفسه مع شهود جلال ربه مستحي متذلل صاغر ﴿يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: ٦٠]. **(قوله: ومن خصائص الذكر الخ)** أقول: إنْ لم يكن له من الخصائص غير هذا لكفى في مزيد شرف الذاكر.

تنبيه:

قال النوري: جبل بيني وبين قلبي منذ أربعين سنة، فلا اشتهيت شيئاً، ولا تمنيت شيئاً منذ عرفت ربي عز وجل وأنشد:

ذكرت ولم أذكر حقيقة ذكره ... ولكن بداوي الحق تبدو فأنطق

تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾[البقرة: ١٥٢] أي أثني عليكم (**وفي خبر أنّ جبريل عليه السلام قال لرسول الله ﷺ: إنّ الله يقول: أعطيت أمتك ما لم أعطِ أمة من الأمم**) فقال: «وما ذاك يا جبريل» قال قوله تعالى: (فاذكروني اذكركم) فإنّه (**لم يقل تعالى: هذا لأحد غير هذه الأمة**) وهذا في حق من أحب ربه، وتوالى ذكره على قلبه حتى أحبه ربه، (**وقيل: إنّ الملك**) الذي يقبض الأرواح (**يستأمر الذاكر في قبض روحه**) إكراماً وتشريفاً له، ويجري الله على لسانه ما تكمل به منزلته عنده، ولا يختار إلا ما سبق له. (**وفي بعض الكتب إنّ موسى عليه السلام قال: يا رب أين تسكن؟ فأوحى الله تعالى إليه**) أسكن (**في قلب عبدي المؤمن، ومعناه سكون الذكر في القلب**) فقوله: تسكن أي يسكن ذكرك بحذف مضاف (**فإنّ الحق سبحانه وتعالى منزه عن كل**

إذا ما بدا ذكر لذكر ذكرته ... يغيبني عن ذكر ذكري فأغرق

وأغرق بالذكر الذي قد ذكرته ... عن الذكر بالذكر الذي هو أسبق

قلت، وفي هذا منه رضي الله تعالى عنه إشارة إلى مراتب الذكر، ودرجة الذاكرين في ذكرهم فقوله: ذكرت ولم أذكر الخ إشارة إلى أوّل درجة الذاكرين من العارفين من أنّهم يدومون على شهود التقصير في عبادتهم، وأنّهم لا طاقة لهم على القيام فيها بواجب حقه تعالى بشاهد خبر: «سبحانك ما عبدناك حق عبادتك» وقوله: ولكن بداوي الحق الخ يريد بها أوائل نعمه تعالى الواردة على قلبه الباعثة فيه التحرك إلى الذكر، وقصده التي هي نعمة التوفيق والهداية، وقوله: فأنطق أي تكون سبباً في نطقي بذكره سبحانه وتعالى، وقوله: إذا ما بدا ذكر الخ توضيح لما ذكرناه مع زيادة أنّه في هذه الحالة يستغرق فيها أوقاته، ويغرق فيها أي ينعدم عن خطور السوى بقلبه، وقوله: وأغرق بالذكر الخ يشير به إلى أنّه في حالة استغراقه على الوجه الذي تقدم إذا ظهر له ذكر الله إياه قبل ذكره هو غيبه، فيستغرق في شهود فضل الله تعالى عليه بالذكر له قبل ذكره، فهو حينئذ قد حيل بينه وبين شعوره بذكره بواسطة استغراقه في نظره إلى فضل ربه عليه بسابق ذكره إياه، فهو غريق في درجات الذكر وأحوال المذكور محجوب عن كونه ذاكراً.

(**قوله: وهذا في حق من أحب ربه**) أي هذا الجزاء، وهذه الثمرة بالنسبة لمن أحب ربه بأنْ ذكره محبةً وإجلالاً، فكان ذكره حق الذكر لا لمطلق ذاكر. (**قوله: يستأمر الذاكر الخ**) أي يستأذن الذاكر ليفعل ما يأمره به إكراماً وتشريفاً له، وإنْ كان في نفس الأمر لا يتم إلا ما تعلقت به إرادة ربه تعالى، وقوله: ويجري الله الخ أي يوفقه الإله للنطق بما تكمل به منزلته، وترتفع به درجته وإنْ كان في الواقع ونفس الأمر لا يختار إلا ما سبق له في العلم القديم على مقتضى الحكمة الباهرة لتحتم ما سبق به القضاء الأزلي. (**قوله: فأوحى الله تعالى إليه اسكن في قلب عبدي المؤمن**) يشير الخبر إلى أنّ المؤمن كامل

سكون) وحركة **(وحلول وإنما هو)** أي السكون **(إثبات ذكر وتحصيل)** له في قلب العبد بأنْ يسكن الذكر ويحصل فيه. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ يقول: سمعت فارساً يقول: سمعت الثوريّ يقول: سمعت ذا النون وقد سألته عن الذكر فقال: هو غيبة الذاكر عن الذكر)** بأنْ يكون العبد مستغرقاً في المذكور **(ثم أنشأ يقول: لا لأني أنساك أكثر ذكراك)** بلساني **(ولكن بذاك يجري لساني)** أي لم يحملني على كثرة الذكر بلساني زوال غفلتي ونسياني لك عن قلبي بل أنا ذاكرك بقلبي بكل حال، ولكن لامتلاء قلبي بك جرى ذكرك على لساني، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، **(وقال سهل بن عبد الله: ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادي: يا عبدي ما أنصفتني أذكرك وتنساني وأدعوك إليّ وتذهب إلى غيري،**

الإيمان تدوم له مراقبة الحق تبارك وتعالى، ويدوم ذكره فحينئذ أل في المؤمن للعهد والمعهود هو الكامل.

(قوله: فقال: هو غيبة الذاكر عن الذكر) أي ويقال: لمثل هذه الأحوال صوامع الذكر، وهي المواطن المعنوية التي تصون الذاكر عن التفرق، والشتات عن مذكوره، وتجمع همته عليه بالكلية، ويقال لها أيضاً صورة الإرادة، وهي انقطاع النفس عن رؤية وقوع شيء بإرادة غير الله، وشهوده وقوع جميع الأشياء بإراداته جلّ شأنه، وهذا هو الذكر حق الذكر.

(قوله: ثم أنشأ يقول: الخ) أقول: وما أنشأه من بديع القول حيث هو من الإنشاء بلسان الأحبة (﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ١٠٥]) فافهم. **(قوله: لا لأني أنساك الخ)** محصله مع ما فيه من الرقة واللطافة أنه دائم الذكر بالقلب واللسان، وإنما تارةً يدرك ذكر لسانه لرجوع بعض إحساسه، وتارةً يشتغل بمذكوره ويستغرق فيه فيغيب فيه عما سواه، فيجري ذكره على لسانه من غير إحساس له بذلك لفيضانه عن امتلاء القلب، والله أعلم بأحوال خلقه.

(قوله: فإنَّ من أحب شيئاً الخ) هو بمعنى خبر وارد ساقه كالدليل على مدعاه.
(قوله: ما من يوم إلا والجليل سبحانه ينادي) أي ينادي بنفسه على ما يليق به أو يأمر ملكياً ينادي وقوله: يا عبدي ما أنصفتني الخ في تقديم قوله: يا عبدي بإضافة التشريف ما يقصم الظهور بالنسبة لمن كان له قلب أو ألقى السمع، وهو شهيد، وبعبارة أخرى يقال في تقديم ذلك: تأنيس واسترجاع بلطف على حد قوله جل شأنه: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣]، وقوله: أذكرك وتنساني أي أحسن إليك وأثني عليك، وأنتَ تدوم على مخالفتي والإعراض عني، وتذهب إلى غيري فتشتغل بما يفنى، وترغب عما يبقى، وقوله: وأذهب عنك البلايا أي الامتحانات في البدن، وفي غيره وأنت معتكف

وأذهب عنك البلايا وأنتَ معتكف على الخطايا يا ابن آدم ما تقول غداً) في الجواب: (إذا جئتني) كل ذلك مأخوذ من أدلة وردت به. (وقال أبو سليمان الداراني: إنَّ في الجنة قيعاناً) أي أمكنة مستوية من الأرض (فإذا أخذ الذاكر في الذكر أخذت الملائكة في غرس الأشجار) فيها جزاء لعمله (فربما يقف بعض الملائكة) عن الغراس (فيقال له: لمَ وقفت فيقول: فتر صاحبي) عن العمل فجوزي بذلك لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦] والخبر: «إنما هي أعمالكم ترد عليكم»[١] وهؤلاء الملائكة يحتمل أنَّهم يطلعون على أعمال العباد، ويحتمل أنْ تكون الملائكة الموكلون بالعباد ينقلون إليهم أحوالهم، (وقال الحسن) البصري: (تفقدوا) أي اطلبوا (الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة والذكر وقراءة القرآن، فإنْ وجدتم) الحلاوة فذاك (وإلا فاعلموا أنَّ الباب) أي باب النشاط في الأعمال (مغلق) بسبب قسوة في

على الخطايا، ومصرّ على المخالفات، وقوله: يا ابن آدم ما تقول غداً أي يوم العرض عليّ، فماذا يكون جوابك إذا سألتك وأجبتني، وفي هذا ما يذيب القلوب، ويوجب القيام بالحق المطلوب، ولكنه غير بعيد صدوره من المحبوب نسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

(قوله: وقال أبو سليمان الخ) المراد من نقل كلامه رضي الله عنه بيان بعض ثمرات الذكر. (قوله: إنما تجزون ما كنتم تعملون) أي ثواب أعمالكم. (قوله: ترد عليكم) أي يرد عليكم ثوابها وجزاؤها. (قوله: تفقدوا أي اطلبوا الخ) والمراد بالحلاوة المذكورة مطلق اللذة، وقد أفاد بذلك أنَّ من إمارات القبول وجود الحلاوة والنشاط، ويعلم منه حكم ضد ذلك.

(قوله: وإلا فاعلموا الخ) معناه أنَّ وجود اللذة في الأعمال يسهلها، ويحمل على النشاط فيها، ولذلك عبر عنه بالفتح أي فتح باب التيسير، فإذا لم يوجد ما ذكره، فالباب مغلق لم يفتح بعد.

لطيفة

نقل في مناجاة أبي يزيد أنه قال: ليس العجب من حبي لك، وأنا فقير إنما العجب من حبك لي، وأنت ملك قدير، قلت: وهو بالغ وذلك لأنَّ الفقير المحتاج إذا أحب القادر الغني المنعم لا يتعجب منه لأن ذلك بمقتضى الطبع، والفقر والحاجة، وإنما العجيب وما به الشرف والكمال حب الملك القادر الغني للعبد الفقير الذليل مع استغنائه عنه، وتنزهه عن الحاجة إليه تعالى الله علوّاً كبيراً، ويوضح ذلك ويقويه ما نقل عن أبي

---

(١) أخرجه العجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٥١، ٢/ ٧٠).

القلوب ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محمد: ٢١] (وقال حامد الأسود: كنت مع الشيخ إبراهيم الخواص في سفر فجئنا إلى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته وجلس وجلست معه، فلما كان برد الليل وبرد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ) خوفاً منها (فقال) لي: (اذكر الله فذكرت) الله (فرجعت ثم عادت فصحت به فقال) لي: (مثل ذلك) أي اذكر الله (فلم أزل إلى الصباح في مثل تلك الحالة فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة، وقد تطوّقت به فقلت) له: (ما أحسست بها؟ فقال: لا منذ زمان ما بت ليلة أطيب من البارحة) أي الليلة، فيه دلالة على أنَّ ذكر الله من الصادق يدفع عنه كل بلاء لتوكله عليه، ولأنَّه لا ضار ولا نافع سواه، وقد حُكي أنَّ عامل إفريقية كتب إلى عمر بن عبد العزيز يشكو إليه كثرة الهوام عنده أي الحيات والعقارب، فكتب إليه عمر: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ۚ وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [إبراهيم: ١٢]، قيل: وهي تنفع من البراغيث، وقد جربت فصحت. (وقال أبو عثمان: من لم يذق وحشة الغفلة) عن الذكر (لم يجد طعم أنس الذكر) لأنَّ من لم يستأنس لم يستوحش إذ كيف يستوحش من الشيء من لم يستأنس به، فمن منَّ الله عليه بأنسه ولذة مناجاته، ثم أغفله عن ذلك وجد في قلبه وحشة البعد، فلا يجد هذه الوحشة إلا من تقدم له الأنس، فمن ذاق تلك الوحشة وجد طعم ذلك الأنس. (سمعت محمد بن

يزيد أيضاً أنَّه قال: غلطت في ابتداء أمري في أربعة أشياء توهمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه، فلما انتبهت رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته تقدمت معرفتي، ومحبته أقدم من محبتي، وأنه طلبني أولاً حتى طلبته، أقول: وذلك صحيح لأنَّ الله تعالى هو الذي اختصه في أزله قبل أنْ يخلقه بجميع هذه الصفات، وهوالذي خلقها له في وقت قيامها به، وأما طلبه أولاً فلأن الباريء تعالى لم يزل امراً ناهياً واعداً متوعداً مخبراً متسخبراً إلى سائر أقسام الكلام الأزلي.

(قوله: فجئنا إلى موضع الخ) في ذكر هذه القصة دلالة على صدق التجاء الأستاذ إلى الحق تبارك وتعالى. (قوله: فيه دلالة على أنَّ ذكر الله الخ) أي ووجهه ظااهر، وذلك لأنَّه دائماً يغلب عليه الخوف منه تعالى ومن كان كذلك لم يخف غيره بل يخاف منه كل شيء لما يجعل الله له من الجلالة والهيبة. (قوله: وهي تنفع من البراغيث) أي بشرط صدق النية وقوّة العزيمة. (قوله: لأنَّ من لم يستأنس الخ) أي لأنَّ الشيء إنْ لم يدرك لا يتعقل ضده كما لا يخفى. (قوله: وجد في قلبه وحشة البعد) أي من ألم فراق ما ألفه واعتاده من لذة ذكر ربه تعالى. (قوله: فمن ذاق تلك الوحشة الخ) أي ولذلك قال قائلهم:

لا يعلم الشوق إلا من يكابده ... ولا الصبابة إلا من يعانيها

عبد الرحمن بن عبد الله الذبيانيّ يقول: سمعت الجريريّ يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت السريّ يقول: مكتوب في بعض الكتب التي أنزلها الله تعالى إذا كان الغالب على) قلب (عبدي ذكري عشقني وعشقته) يعني أحبني وأحببته قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] لكن اللفظ المذكور يحتاج إلى توقيف (وبإسناده) المذكور أيضاً (أنّه أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام بي فافرحوا) قال تعالى: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] أي بما فتح الله عليهم من فضله (وبذكري) ومناجاتي والأنس بي (فتنعموا) لأنَّ ذلك أفضل نعيم، (وقال الثوري رحمه الله تعالى: لكل شيء عقوبة، وعقوبة العارف بالله انقطاعه عن الذكر) لأنَّ العارف بها مقرب، وهذه محبة العارفين، ومن أحب شيئاً أكثر من ذكره، فمتى شغل الله العبد بغيره حتى أنساه إياه، أو فتر عن ذكره دل ذلك على عقوبة لجرم وقع منه.

وربما كان ذلك سبباً لعلوّ درجته لشدّة وجده، ودوام قلقه كما جاء في خبر «إنّ العبد يذنب الذنب فيكون سبب سعادته»[1]، (وفي الإنجيل: اذكرني حين تغضب) ولا تتعدَ الحدود (أذكرك حين أغضب) ولا أؤاخذك بجرمك (وارض بنصرتي لك فإن نصرتي لك خير لك من نصرتك لنفسك) في ذلك تنبيه على السعي

(قوله: لكن اللفظ المذكور) أي الذي هو إطلاق لفظ العشق عليه تعالى يحتاج إلى توقيف، أي إذن وارد من الشارع ﷺ، وفيه أنّه يكفي في سند الجواز مثل هذا الأستاذ لأنَّ مثله لا ينقل من قبل الرأي، فلعل وجه الإستدراك أنَّ شرع من قبلنا ليس شرعاً لنا وإن ورد في شرعنا ما يقرره. (قوله: أي بما فتح الله عليهم من فضله) أشار به إلى أنَّ معنى ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ [يونس: ٥٨] فبفضلي وإحساني فليفرحوا. (قوله: لأن ذلك أفضل نعيم) أي في الدنيا والآخرة نعم مشاهدة الحق تعالى، وسماع كلامه يوم القيامة لا يماثله شيء. (قوله: انقطاعه عن الذكر) أي لأنّه قد احتجب عما به تلذذه وتنعمه. (قوله: والمحبة إما لتوالي النعم الخ) أقول: لما كانت المحبة تستدعي نوعاً جاذباً بالقلب المحب بين ذلك بأنه بالنسبة له تعالى إما شهود النعم وتواليها عند من قصر همته ووقف مع الآثار، وإما شهود صفات الجمال والكمال عند العارفين المحققين ممن انخلع عن الآثار بشهود انفراد المؤثر سبحانه وتعالى. (قوله: وربما كان ذلك سبباً لعلوّ الخ) أي وذلك هو الأليق بمقام العارف وإن صح أن يكون للتكفير أيضاً. (قوله: اذكرني حين تغضب الخ) المراد تذكرني بإحاطة علمي بك وتذكر وعيدي ووعدي تتكسر منك القوّة الغضبية، وتنطفىء نيرانها منك، ويرشد إلى ذلك قوله ﷺ لبعض أصحابه وهو يضرب

---

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٨/ ٢٤٤) والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٢٥٣).

في إزالة الغضب لئلا يعمل بمقتضاه وهو من الأخلاق التي تزيل العقل، **(وقيل لراهب: أأنت صائم فقال: صائم بذكره)** عن ذكر غيره أي ممسك عنه كالمسك عن المفطرات، **(فإذا ذكرت غيره أفطرت)** في ذلك تنبيه للسائل على درجة أرفع مما سأل عنه، فإنه سأله عن الإمساك عن الطعام الذي فيه فضيلة الصوم، فأجابه بالإمساك عن ذكر غير الله لدوام شغله بالله، **(وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان)** بأن سلطه الله عليه بواسطة عدوّ من الإنس **(صرع)** الشيطان بذلك القلب الذي تمكن فيه الذكر، فيفسد عليه حاله **(كما يصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان)**

غلاماً له «يا فلان الله أقدر عليك منك عليه»[1] فقد نبه بجلال الله سبحانه وتعالى وقدرته وعظمته وإحاطته علمه به، فانكف عن الضرب وأعتق الغلام، وما ضرب بعد ذلك أحداً. **(قوله: خير من نصرتك الخ)** أنت خبير بأنَّ التفضيل على غير بابه بل المقصود أصل الفعل إذ لا خير في نصرة العبد لنفسه. **(قوله: في ذلك تنبيه على السعي في إزالة الغضب)** أي وحث على الحلم وإيثار العفو، ولا سيما مع القدرة على المؤاخذة. **(قوله: فقال صائم بذكره عن ذكر غيره)** قال بعضهم: قد تكلم بعض المتأخرين في ملازمة ذكر اسم الجلالة الذي هو الله مفرداً مع تكريره طلباً لجمع الهمة، وكمال الحضور، وليستغرق القلب في الخضوع والخشوع، وقال قول القائل: الله مفرداً كلام غير مفيد، ولا بدّ في إفادته معنى مستقلاً من أنه يضاف إليه زيادة كقوله: الله معي، أو ناظر إليَّ أو راحمي، أو نحو ذلك، وهذا منه وإن صح معناه في اللغة من حيث أنَّ الإسم المفرد المبتدأ به إنما تكمل فائدته بالخبر عنه، فهو لا يخرج عن كونه ذكراً ومتضمناً الفائدة، ودالاً على وجود ذات موصوفة بالألوهية باعتبار إضافة التأله إليه سبحانه وتعالى، وهو التعبد أو العلوّ والرفعة فكلما كرر العبد الاسم الشريف تكررت هذه المعاني على قلبه، فيحصل ما أشاروا إليه من معنى نحو معي لأنَّه ملازم للقلب لا يفارقه أبداً إذ هو معتقد، تأمله فإنه نفيس. **(قوله: وقيل: إذا تمكن الذكر من القلب الخ)** فيه فائدة الفرق بين صرع الشيطان من الإنسان وعكسه. **(قوله: ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الخ)** من المعلوم أنَّ الإضافة تأتي للشرف والكمال، فالمراد بالعباد معهودون وهم الصادقون في عبوديتهم بدوام جدهم في عبادتهم، فمثلهم من يُقال في شأنهم: ﴿لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥] أي تسلطك بغلبتك على قلوبهم، وذلك لحفظهم بالأنوار الإلهية وكفاهم شرفاً أي شرف بهذه الإضافة، والله أعلم.

رقيقة: قال سهل: استجلب حلاوة الزهد بقصر الأمل، واقطع أسباب الطمع بصحة

---

(١) أخرجه مسلم (إيمان ٣٤، ٣٥، ٣٦) وأبو داود (أدب ١٢٤) والترمذي (بر ٣٠) وأحمد بن حنبل (٤، ١٢٠).

الأنسب بما قبله من الشيطان **(فتجتمع عليه)** أي **(الشياطين فيقولون ما لهذا)** الشيطان صرع **(فيقال: قد مسه الإنس)** بقلبه بخلاف مس الجن للإنس فإنهم يسلكون فيه ويتكلمون على لسانه، فيتحركون بأعضائه ولذلك قال النبي ﷺ: «ما سلك عمر فجاً إلا سلك الشيطان فجاً غير فجه وصارعه فصرعه»[1] وذلك لكمال قوته، وصحة عزمه، واعتماده على ربه قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٥]، **(وقال سهل)** بن عبد الله **(ما أعرف معصية أقبح من نسيان)** أي ترك **(هذا الرب تعالى)** لتركه ما ينفعه، واشتغاله بما لا ينفعه، **(وقيل: الذكر الخفي)** وهو عمل القلب أو العزيز وجوده من العارف كأن يستغرق في ذكره حتى يغفل عن نفسه، وذكره لكمال شغله بمذكوره **(لا يرفعه الملك)** إلى الله **(لأنه لا اطلاع له عليه، فهو سر بين العبد وبين الله)** تعالى **(وقال بعضهم: وصف لي ذاكر في أجمة)** فيها سبع **(فأتيته فبينا هو جالس إذا سبع عظيم ضربه ضربة واستلب منه قطعة فغشي عليه وعليّ فلما أفاق)** وأفقت **(قلت: ما هذا الأمر، فقال: قيض الله تعالى هذا السبع عليّ، فكلما داخلني فترة)** في عبادتي **(عضني عضة كما رأيت)** هذا من اللطف والاعتناء بمن يريد الله دوام ذكره له وشغله به حيث يقيض له من يؤذيه ويؤلمه إذا

اليأس وتعرض لرقة القلب بمجالسة أهل الذكر، واستجلب نور القلب بدوام الحذر، واستفتح باب الحذر بطول الفكرة وتزين لله تعالى بالصدق في جميع الأحوال، وتحبب إليه بتعجيل الانتقال، وإياك والتسويف، فإنه بحر يغرق فيه الهلكى، وإياك والغفلة فإن فيها فساد القلب، وإياك والتواني فيما لا عذر فيه فإنه ملجأ النادمين، واسترجع سالف الذنوب بشدة الندم، وكثرة الاستغفار، فتأمل يا شقيقي إشارات الحق، وإمارات الصدق تعرف ثمرة عمارة القلوب بظهور حكم أنوار المحبوب على لسان المراد المخطوب لتشمر عن ساعد الجد والاجتهاد، فقد قرب الميعاد فلا تقنطك الذنوب، بل اقرع باب الفتح تجد المطلوب لأنَّ موائد الكرم لا تبيد، والمواهب الربانية دائماً تزيد، واسمع نصيحة أخ شقيق، فقد قيل: الرفيق قبل الطريق، ولا سيما والسفر طويل، والزاد قليل، والله أعلم.
(قوله: أي ترك هذا الرب) المراد بتركه ترك طاعته وعبادته اشتغالاً عنها بالحظوظ والعادات الضارة. **(قوله: والعزيز وجوده)** ظاهر عطفه على قوله وهو عمل القلب أن مراده ما يشمل اللفظي، وربما لا يوافقه قول المصنف بعد لا يرفعه الملك لأنه لا إطلاع له عليه. **(قوله: هذا من اللطف الخ)** أي وذلك بواسطة سابق الحكمة والقضاء الأزليين.

---

(١) أخرجه البخاري (فضائل أصحاب النبي ٦) (أدب ٦٨) (بدء الخلق ١١) ومسلم (فضائل الصحابة ٢٢) وأحمد بن حنبل (١، ١٧١، ١٨٢، ١٨٧).

غفل ليشتد حذره من الغفلة، ويعظم أجره على صبره على ما يقاسيه وإلا فالله قادر على أنْ يخلق له ذكره، ويزيل منه غفلته من غير عض السبع كما ابتلى الأنبياء والأولياء بالآلام والأسقام زيادة في درجتهم، وإن كان قادراً على أن ينيلهم ما أنالهم بغير مشقة، ولكن هذه سنته لأن أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن يحيى يقول: سمعت جعفر بن نصير يقول: سمعت الجريري يقول: كان بين أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله، فوقع يوماً على رأسه جذع فانشج)** به **(رأسه فسقط الدم، فاكتتب على الأرض الله الله)** فيه تنبيه على أن الذكر إذا توالى على العبد خالط لحمه ودمه، وهو دليل على شرفه ورفعة مقامه.

خاتمة

نسأل الله تعالى حسنها. قال: يحيى بن مُعاذ الرازي: لست أبكي عى نفسي إن ماتت إنما أبكي على حاجتي إنْ فاتت، وقال أيضاً في بعض مناجاته: يكاد رجائي لك مع الذنوب يغلب رجائي لك مع الأعمال لأني أجدني مع الأعمال أعتمد على الإخلاص، وكيف أحرزها وأنا بالغدر معروف، وأجدني في الذنوب أعتمد على عفوك وكيف لا تغفرها وأنت بالجود موصوف. إلهي أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذب الكلام على لساني ثناؤك، وأحب الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاؤك انتهى.

باب الفتوة

هي كما سيأتي أن تكون ساعياً في أمر غيرك، ويقال هي: أن لا تشهد لك

باب الفتوة

هي إيثار الغير على النفس، وهي مختلفة قوّة وضعفاً، فأدناها الإيثار بالجاه والمال وأعلاها الإيثار بالنفس زيادة عن المال، وهي إنما تنشأ من كمال المروءة، وطهارة النفس من الشهوة الحيوانية، ومثل هذا في زماننا صار كالحديث المفترى كيف لا وقد ثبت قول بعضهم في سالف الأزمان شعراً:

مررت على المروءة وهي تبكي ... فقلت: على م تنتحب الفتاة

فقالت: كيف لا أبكي وأهلي ... جميعاً دون خلق الله ماتوا

هذا ويدل على الفتوّة قوله جل شأنه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ﴾ [المجادلة: ١٢] أي فتصدّقوا قبلها مستعار ممن له يدان، وفي هذا الأمر تعظيم للرسول ﷺ، وانتفاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال، والتمييز بين المخلص والمنافق ومحب الآخرة ومحب الدنيا، واختلف في الأمر، فقيل للندب، وقيل للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى: ﴿ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١٣] لأنه وإن اتصل به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولاً، ولسان حاله يقول: إذا رسمنا هذا مع عبدنا الذي جعلناه دليلاً علينا وهادياً إلى جمالنا ومرشداً لخطاب حضرتنا، فكيف يكون الأمر في جنابنا، فنحن أولى وأحرى، فلا بدّ حينئذ من تقديم البذل، ثم أقول بذل العوام لما به قيام الأشباح، وبذل الخواص للمهج والأرواح، فافهم وربي أعلم. **(قوله: هي كما سيأتي أن تكون ساعياً الخ)** الأولى أنْ يُقال في معناها هي ملكة في الشخص تحمل على البذل والجود بل تقتضي قوّة الإيثار، وهو من لطف ربنا الرحمن. **(قوله: ويقال هي أنْ لا تشهد الخ)** الأولى أنْ يُقال: هي قوّة تقتضي البذل مع شهود الفضل له تعالى. **(قوله: وهي ممدوحة)** أي مثني على الموصوفين بها ومطلوبة أي ندب الشارع إليها. **(قوله: قال تعالى انهم فتية)** جمع قلة للفتى كالصبية للصبي سموا بذلك لتحقق ما كانوا عليه من حال الفتوة فإنهم كانوا من أشراف الروم أرادهم دقيانوس على الشرك، فهربوا منه بدينهم وهذه الجملة استئناف تحقيقي مبني على تقدير السؤال من قبل المخاطب،

فضلاً ولا ترى لك حقاً على غيرك، ويقال غير ذلك وسيأتي وهي ممدوحة ومطلوبة. (**قال الله تعالى**: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾) [الكهف: ١٣] إذ الفتية جمع فتى، وهو الشاب الكامل مأخوذ من الفتوة قال المملي: (**أصل الفتوة أن يكون العبد ساعياً أبداً في أمر غيره**) بأن يقضي حاجته، ويترك خصومته، ويتغافل عن زلته، ويقرب من يؤذيه ويكرمه، ويعتذر إلى من جنى عليه (**قال رسول الله ﷺ: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم»**[1] **أخبرنا به علي بن أحمد بن عبدان قال: أخرنا به أحمد بن عبيد قال: حدثنا به إسماعيل بن الفضل قال: حدثنا به يعقوب بن حميد بن كاسب قال: حدثنا به ابن أبي حازم عن عبد الله بن عامر الأسلمي، عن عبد الرحمن بن هرمز الأعرج، عن أبي هريرة، عن زيد ابن ثابت رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال الله في حاجة العبد ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم»**) التقييد بهذا جرى على الغالب (**سمعت الأستاذ أبا علي الدّقاق رحمه الله يقول: هذا الخلق**) بضم الخاء واللام أي الفتوة (**لا يكون كماله إلا لرسول الله ﷺ فإن كل أحد في القيامة يقول: نفسي نفسي، وهو عليه السلام «يقول: أمتي أمتي»**[2]) كما وردت به الأخبار الصحيحة، وذلك لأن الشغل بالغير

وقوله: آمنوا بربهم، أوثر الإلتفات للإشعار بعلمية وصف الربوبية لإيمانهم، ولمراعاة ما صدر منهم من المقالة حسبما سيحكى ء بهم، وقوله: وزدناهم هدى أي ثبتناهم على ما كانوا عليه من الدين وأظهرنا لهم مكنونات محاسنه، وفيه التفات من الغيبة إلى ما عليه سبك النظم سباقاً وسياقاً من التكلم. (**قوله: وهو الشاب الكامل**) أي الكامل في الجود، وسعة البذل. (**قوله: من الفتوة**) أي مأخوذ منها وهي ملكة تحمل صاحبها على البذل والجود، بل على الإيثار كما تقدم. (**قوله: بأن يقضي حاجته الخ**) ويجمع هذا كله قول سيد البشر ﷺ: «وخالق الناس بخلق حسن»[3] فمن تخلق بالخلق الحسن امتثالاً لهذا فقد تفتى والله أعلم. (**قوله: لا يزال الله في حاجة العبد**) أي بالإعانة والنصرة والتوفيق، وقوله: «ما دام العبد في حاجة أخيه المسلم» أي مدّة كونه ساعياً في قضاء حاجة أخيه المسلم. (**قوله: التقييد بهذا**) أي بقوله: المسلم في الخبر جرى على الغالب أي لأن قضاء حاجة الذمي كذلك. (**قوله: هذا الخلق الخ**) التخصيص لمراعاة المقام وإلا فكمال

---

(١) أخرجه البغدادي في (موضح أوهام الجمع والتفريق ١/ ١٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (توحيد ٣٦)، (تفسير سورة ١٧) (فتن ١) ومسلم (إيمان ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٤٦) والترمذي (قيامة ١٠) والدارمي (مقدمة ٨).

(٣) أخرجه الترمذي (بر ٥٥) والدارمي (رقاق ٤٧) وأحمد بن حنبل (٣، ٥، ١٥٣، ١٥٨، ١٧٧، ٢٢٨، ٢٣٦).

عن النفس في هذا المقام غاية الفتوة. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: الفتوة**) محلها (**بالشام واللسان**) أي حسن النطق به محله (**بخراسان**) هذا جرى على الغالب من أهل كل إقليم من هذه الأقاليم، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: سمعت محمد بن نصر بن منصور الصائغ يقول: سمعت محمد بن مردويه الصائغ يقول: سمعت الفضيل يقول: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان**) أي زلاتهم، هذا ونظيره مما يأتي بعض الفتوة. (**وقيل: الفتوة أنْ لا ترى لنفسك فضلاً على غيرك**) وإن عرفت فضلك ظاهراً لخفاء باطنه وخفاء العاقبة عليك لجواز التبديل والتغيير، (**وقال أبو بكر الوراق: الفتى من لا خصم له**) لكمال أخلاقه الحميدة، وبعده عن الذميمة، وذلك بأن يزهد في الدنيا مالاً وجاهاً، فلا يخاصم غيره وإن خاصمه غيره أعرض عنه، (**وقال محمد بن عليّ الترمذي: الفتوة أنْ تكون خصماً لربك**) أي لأجله (**على نفسك**) بأن تمنعها من الميل إلى الشهوات والكسل والبطالات وتحثها على الاستقامة على الطاعات لا للخوف والرجاء بل لكمال المحبة والتلذذ بالمناجات، (**ويُقال: الفتى من لا يكون خصماً لأحد**) هو بمعنى ما مرّ عن الوراق. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول: سمي أصحاب الكهف فتية لأنهم آمنوا بربهم بلا**

كل خلق لا يكون إلا له ﷺ. (**قوله: غاية الفتوّة**) أي والسبب في ذلك فناء العبد عن نفسه طلباً لمرضاة ربه. (**قوله: هذا جرى على الغالب الخ**) أي وإلا فقد توجد الفتوّة في غير الشام وحسن النطق في غير العراق، والصدق في غير خراسان لكنه من المعلوم أنّ الحكم للغالب. (**قوله: بعض الفتوّة**) أي حينئذ فالاقتصار عليه للإئتمام به، ومثله يقال في غيره من قول من لم يستوفِ حقيقتها. (**قوله: لخفاء باطنه**) أي من القبول أو غيره ككونه من المدخول والمعلول بوجه خفي غير ظاهر. (**قوله: الفتى من لا خصم له**) أي لقوّة فنائه عن حظوظه، فسبب خصومته غير موجود لأنّ الخصومة لا تتحقق إلا لمن زاحم غيره على محبوب له فمن زهد في الدنيا مالاً وجاهاً لا خصم له فيها، بل ولا خصم له في الآخرة أيضاً كما لا يخفى. (**قوله: أن تكون خصماً لربك**) أقول: هو أبلغ مما قبله إذ من كان كذلك لم يكن له خصم، ويزيد بمخاصمة نفسه، وحثها على طرق الإستقامة. (**قوله: سمي أصحاب الكهف فتية**) أي سماهم الله تعالى بهذا الإسم لأنهم آمنوا بربهم بلا واسطة رسول أو ملك؛ بل كان إيمانهم بالفطرة لسابق عناية الله بهم. (**قوله: الفتى من كسر الصنم**) الصنم: هو الصورة من حجر أو غيره تتخذ لتعبد من دون الله. (**قوله: سمعنا فتى يذكرهم**) أي يعيبهم، فلعله فعل ذلك بها، فقوله: يذكرهم

واسطة) وقيل: لكونهم فتياناً فارقوا أهلهم وخرجوا إلى ربهم فارين إليه معرضين عن حظوظهم الدنيوية فمدحوا بكونهم تركوها لله، ولذلك خرقت لهم العادة فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعاً ولم يتغير لهم حال. **(وقيل: الفتى من كسر الصنم، قال الله تعالى:** ﴿سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٦٠] وقال تعالى: ﴿فَجَعَلَهُمْ جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] وصنم أكل إنسان نفسه فمن خالف هواه) ونفسه **(فهو فتى على الحقيقة)** ليس هذا تفسيراً للآية بل هو اعتبار لأنَّ إبراهيم عليه السلام إنما كسر الأصنام التي كانوا يعبدونها، ولكن لما كان العبد كثير الاشتغال بشهواته ولذاته سميت نفسه صنماً لكونه مسخراً لها كالعبد كما قال ﷺ «تعس عبد الدينار والدرهم والخميصة» فسماه عبداً لهذه الأشياء لذلك، **(وقال الحرث المحاسبي: الفتوة أن تنصف)** غيرك **(ولا تنتصف)** منه بأن تعطي الحق الذي عليك، ولا تطالب بحقك غيرك لزهدك في الدنيا، وكمال عدلك وإنصافك وهذه بعض الفتوة اقتصر عليه اعتباراً بحال السائل، **(وقال عمر بن عثمان المكي: الفتوة حسن الخلق)** لإشتماله على جميع الصفات الحميدة، **(وسُئل الجنيد عن الفتوة فقال: أن لا تنافر فقيراً ولا تعارض غنياً)** هذا يجمعه الزهد في الدنيا، **(وقال النصراباذي: المروءة شعبة**

مفعول ثان لسمعنا لتعلقه بالعين أو صفة لفتى مصححة لتعلقه بها، وقوله: فجعلهم جذاذاً أي قطعاً. يقال لمعنى مفعول من الجذ الذي هو القطع. روي إن آزر خرج به في يوم عيد لهم، فبدأوا ببيت الأصنام، فدخلوا فسجدوا لها، ووضعوا بينها طعاماً خرجوا به معهم، وقالوا إلى أنْ ترجع بركة الآلهة على طعامنا فذهبوا وبقي إبراهيم عليه السلام، فنظر إلى الأصنام، وكانت سعبين صنماً مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب، وكان من ذهب وفي عينيه جوهرتان تضيئان بالليل فكسر الكل بفأس كان في يده، ولم يبق إلا الكبير، وعلق الفأس في عنقه، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٨]. **(قوله: وصنم كل إنسان نفسه الخ)** غرضه أنَّ الصنم في الحقيقة إنما هو النفس، فمن أقدره الله تعالى على كسرها بمخالفة هواها، فقد أقدره على كسر كل صنم ظاهر وباطن من كل باطل يخالف وجه الشرع. **(قوله: إنما كسر الأصنام الخ)** هو وإن كان ذلك باعتبار معنى الآية الشريفة إلا أنَّ السبب فيه ما تقدم من كسر النفس. **(قوله: ولكن لما كان العبد الخ)** الغرض منه بيان نكتة تسمية النفس صنماً. **(قوله: الفتوّة أن تنصف غيرك الخ)** أي ويشهد له خبر: «المؤمن هين لين سهل إذا باع سهل إذا إشترى سهل إذا قضى، سهل إذا اقتضى»، وياء هين ولين فيه مخففة. **(قوله: ولا تطالب بحقك غيرك)** الغرض نفي الشدة في المطالبة لا مطلقاً وإنْ كان التفتي كامل لا يتحقق إلا بنفيها مطلقاً. **(قوله: الفتوّة حسن الخلق)** أقول: قد استوعب حقيقة الفتوّة فلله دره. **(قوله: أن لا تنافر فقيراً**

من **الفتوة وهو)** أي ما ذكر من الفتوة **(الإعراض عن الكونين)** أي الدنيا والآخرة **(والأنفة)** أي الاستنكاف **(منهما بأن يعمل العبد فلا يكون له حظ سوى موافقة مولاه، والعمل بما يرضاه، (وقال محمد بن علي الترمذي: الفتوة أن يستوي عندك المقيم)** عندك **(والطارىء)** عليك في عدم التكلف وسرعة الإكرام، وهذا يخف في حال الطارىء عند أكثر الناس، فإذا طالت إقامته عندهم وتكلفوا له استثقل، ولذلك كانت الضيافة ثلاثة أيام، فمن كملت فتوته استوى إكرامه للطارىء عليه، ومن طالت إقامته عنده وذلك لكمال خلقه، وهوان الدنيا عليه. **(سمعت محمد بن حنبل يقول: سمعت أبا سهل بن زياد يقول: سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول: سئل أبي ما الفتوة فقال: ترك ما تهوى)** أي تشتهي **(لما تخشى)** عواقبه، **(وقيل لبعضهم: ما الفتوة؟ فقال: أن لا يميز)** العبد **(بين أن يأكل عنده وليّ أو كافر. سمعت بعض العلماء يقول: استضاف مجوسي إبراهيم الخليل عليه السلام)** أي طلب من إبراهيم أن يضيفه **(فقال)**: أضيفك **(بشَرط أنْ تسلم فمر المجوسي)** أي جاوزه ولم يطعه **(فأوحى الله تعالى إليه نحن منذ خمسين سنة نطعمه)** وهو مستمر **(على كفره فلو ناولته لقمة من غير أن تطالبه بتغيير دينه)** لكان خيراً لك **(فمضى إبراهيم عليه السلام على أثره حتى أدركه واعتذر إليه فسأله عن السبب، فذكر له ذلك)** فانشرح صدره به، **(فأسلم المجوسي)** في ذلك تنبيه على حقارة الدنيا عند الله وقد حصل لإبراهيم عليه السلام ما طلبه من المجوسيّ وإجراء الحق على يديه، **(وقال الجنيد: الفتوة كف**

الخ) قاله مراعاة لحال المخاطب وإلا فما ذكر قبله أبلغ منه. **(قوله: الإعراض عن الكونين)** أي لأن من علت همته وارتفعت منزلته بسابق العناية الإلهية لا يلتفت إلى شيء من الآثار بسبب فنائه في المؤثر، فلا شهود له لغيره، وذلك أعلى درجات الفتوة وأشرف منازلها. **(قوله: بأنْ يعمل العبد فلا يكون له حظ الخ)** أي فيكون عمله للمحبة والإجلال لا غير. **(قوله: وهذا يخف الخ)** أقول: لعله باعتبار أكثر ناس زمانه، وإلا فناس هذا الزمان لا يوجد ذلك فيهم إلا بالنسبة للنادر منهم، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

(قوله: ولذلك كانت الضيافة ثلاثة أيام) أي اعتباراً بغالب الأخلاق فلم تزد عن ذلك خشية الملل. **(قوله فقال: ترك ما تهوى الخ)** هو وإنْ كان بليغاً إلا أنَّ ما تقدَّم عن النصر أباذي أبلغ منه فكل قد تكلم بحسب شربه. **(قوله: لما تخشى عواقبه)** أي ولما ترجوه مما أعده الله تعالى لمن كان كذلك. **(قوله: فقال: أنْ لا يميز الخ)** أي وذلك لفنائه في مرضاة ربه وسيده لمزيد محبته، وهذا لا ينافي فضل أكل الولي وأقل مؤمن على أكل الكافر الذمي. **(قوله: استضاف مجوسي الخ)** تقدمت هذه القصة، وإنما أعادها لمناسبة المقام.

الأذى) (عن الناس، وبذل الندى) لهم يعني الجود بالموجود، (وقال سهل بن عبد الله: الفتوة إتباع السنة) وهي ما كان عليه النبي ﷺ، وقد سُئلت عائشة عن خلقه ﷺ فقالت: قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] (وقيل: الفتوة الوفاء) بما عليك لله تعالى ولخلقه (والحفاظ) أي وحفظك الحدود بأن لا تتعداها، (وقيل: الفتوة فضيلة تأتيها) أنت أي تتصف بها بأن تكون أعمالك صالحة (ولا ترى نفسك فيها) بأن تتبرأ فيها من حولك وقوّتك وترى أنها من فضل ربك عليك، (وقيل: الفتوة أنْ لا تهرب إذا أقبل) عليك (السائل وقيل: أن لا تحتجب من القاصدين) إليك المال أو جاه أو علم أو مساعدة بل تفرح بقدومهم عليك وتجيبهم إلى قصدهم، (وقيل: أن لا تدخر) شيئاً (ولا تعتذر) للسائل مع تمكنك من مساعدته، أما اعتذراك له مع عدم تمكنك فزيادة فضل له وتطييب لخاطره كما قيل: ولا بدّ من شكوى إلى ذي مروءة. يواسيك أو يسليك أو يتوجع.

(وقيل) الفتوة (إظهار النعمة وإسرار المحنة) لأنّه تعالى إذا أنعم على عبد نعمة أَحب أَنْ يظهرها فإنَّ إظهارها سبب لشكرها، وإسرار المحن دليل على الصبر،

(قوله: الفتوة كف الأذى عن الناس الخ) لعل هذا قاله باعتبار حال المخاطب، فلا ينافي أعلى من ذلك الجود بالنفس، وأعلى من الجود بالنفس ترك الكونين. (قوله: الفتوة إتباع السنة) أي وهذا أعلى أنواع الفتوة فلله دره.

(قوله: فقالت قوله تعالى الخ) أي فقرأت الآية الشريفة بقصد بيان خلقه ﷺ أو قالت قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ الخ كاف في بيان خلقه فخبر قوله تعالى، مخذوف كما قدرناه، ولا يخفى عليك عند التأمل معنى الآية الكريمة وما اشتملت عليه، إنك تجدها كافلة بما يعتبر في محاسن الأخلاق، وكرائم الشيم. (قوله: وقيل: الفتوى الوفاء الخ) أي وهذا أصل كمال الفتوة، فمن تخلق به ترقى إلى الإعراض عن الكونين الذي هو أعلى أنواع الفتوة، وعطف الحفاظ على ما قبله من عطف الخاص على العام اهتماماً به. (قوله: الفتوة فضيلة الخ) محصله أنَّ الفتوة التبرؤ من الحول والقوّة. (قوله: وقيل: أنْ لا تدخر الخ) المنهي عنه الادّخار اعتماداً على المدّخر، وخوفاً من الضرر عند عدمه، وإلا فالادخار بدون ذلك لا بأس به بل هو مندوب إليه اقتداء به ﷺ وإنْ كان ادخاره عليه الصلاة والسلام للتشريع.

(قوله: ولا بدّ من شكوى الخ) أي لا غنى للإنسان عن ذلك على هذا الوجه إنما الممتنع منها ما كان على وجه الضجر والقلق.

(قوله: أحب أن يظهرها) بدليل ما ثبت في ذلك من الخبر الصحيح.

واحتمال الأذى، ولأنّه بأسرارها يسلم من إطلاع الخلق على نقصه وما نزل به، ففي ذلك كمال المروءة، وإظهار النعم وكلاهما من الفتوة.

(وقيل:) الفتوة **(أنْ تدعو عشرة أنفس)** مثلاً **(فلا تتغير إنْ جاء تسعة أو أحد عشر)** فالفتى هو الذي إذا صنع طعاماً للأكل، ودعا جماعة لا يتألم إذا تأخر بعضهم لأنَّ تألمه دليل على أنّه اعتنى بطعام له وقع ولم يأت من دعاه، ولا إذا زادوا على من دعاهم، وإنْ تكلف زيادة لمن زاد لأن ذلك يدل على محبته للدنيا، وأصل الفتوة الإعراض عنها، **(وقيل: الفتوة ترك التمييز)** في طعامك بين أكله من حبيب وبغيض ومستحق، وغيره لزهدك في الدنيا، وتقدم نظير هذا. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: قال أحمد بن خضرويه، لامرأته. أم عليّ: أريد أن اتخذ دعوة أدعو فيها عياراً)** هو اسم للأسد أي شجاعاً **(شاطراً كان في بلدهم رأس الفتيان فقالت)** له **(امرأته إنك لا تهتدي إلى دعوة الفتيان)** فكيف برأسهم **(فقال: لا بدّ)** لي منها **(فقالت: إنْ فعلت فاذبح الأغنام والبقر، والحمر، وألقها من باب دار الرجل إلى باب دارك، فقال: أما الأغنام والبقر فأعلم)** حكمة ذبحها وإلقائها فيما ذكرت **(فما بال الحمر)** تذبح وتلقى ثم **(فقالت تدعو فتى إلى)** باب **(دارك فلا أقل من أنْ يكون لكلاب المحلة)** في ذلك **(خير)** هذا أيضاً يرجع إلى الزهد في الدنيا والإعراض عنها، **(وقيل: اتخذ بعضهم دعوة)** لقوم **(وفيهم شيخ شيرازي، فلما أكلوا)** منها وأخذوا في السماع **(وقع عليهم النوم في حال السماع فقال الشيخ الشيرازي لصاحب الدعوة: أيش السبب في نومنا؟ فقال: لا أدري اجتهدت في جميع ما أطعمتكم إلا الباذنجان فلم أسأل عنه، فلما أصبحوا سألوا بائع الباذنجان)** عنه **(فقال: لم يكن لي**

(قوله: وقيل: الفتوة أنْ تدعو الخ) الغرض الحث على أنْ يكون محض القصد مطلق البذل لمطلق الإخوان من غير التفات إلى المبذول والمبذول له.

(قوله: لزهدك في الدنيا) أي القصد إنما هو فعل ما يرضيه سبحانه. **(قوله: قال أحمد: الخ)** تأمل فتوة نساء أهل الزمن الماضي، فما بالك برجاله، وتدبر ما عليه أهل زمننا نساء ورجالاً، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(قوله: فاذبح الخ) لعل المراد بقولها، وألقها الخ قوة البذل للمأكول من غير التفات إلى الآكل فكأنه والحالة هذه ملقى لغير آكل، فلا يقال: إنَّ في ذلك إضاعة مال.
(قوله: فقال الشيخ الشيرازي الخ) في ذلك دلالة على صدقهم في معاملتهم لربهم حيث داموا على التجسس لحركاتهم الظاهرة والباطنة رضي الله تعالى عنهم، ورضي عنا ببركاتهم.

شيء) من المال (**فسرقت الباذنجان**) وكان ألف واحدة (**من الموضع الفلاني وبعته فحملوه**) أي بائعه (**إلى صاحب الأرض**) التي سرق منها (**ليجعله في حل**) منه (**فقال لهم (الرجل**) تعجباً بعد أن سألوه في ذلك (**تسألون مني ألف باذنجانة قد وهبته**) أي السارق (**تلك الأرض**) بما فيها من النبات (**ووهبته ثورين وحماراً وآلة الحرث لئلا يعود إلى مثل ما فعل**) من السرقة، في ذلك دلالة على كمال فتوة صاحب الأرض فإنهم سألوه استحلال السارق من الباذنجان، فوهبه هذه المذكورات، وعلى أنَّ الطعام الذي يؤكل من غير حل يؤثر في الأبدان والقلوب ما يشوش في الدين والفهم، وعلى ما يترتب من الخيرات على طلب التوبة والاستحلال.

(**وقيل: تزوّج رجل بامرأة فقبل الدخول ظهر بالمرأة الجُدري**) بضم الجيم وفتح الدال بفتحهما (**فقال الرجلُ**) لطفاً بها في نفي الحزن عنها بظهوره على ما بها من الجدري: (**اشتكت عيني ثم قال: عميت**) أنا أو عميت عيني، والمراد عيناه (**فزفت إليه المرأة ثم ماتت بعد عشرين سنة**)، وهو فيها يوهم المرأة أنَّه أعمى لئلا تحزن (**ففتح الرجل عينيه**) بعد موتها (**فقيل له في ذلك فقال: لم أعم ولكن تعاميت حذراً**) وفي نسخة حذاراً من (**أنْ تحزن فقيل له:**) لكمال مروءته وشفقته على الخلق (**سبقت الفتيان**) هذا يشبه ما وقع لحاتم الأصم لما جاءته المرأة تستفتيه فخرج منها ريح في حال كلامها معه فاستحيت وتداركها وجبر حالها بأنْ قال: ارفعي صوتك حتى أسمع ما تقولين: ففرحت لكونه لم يسمعها فتصامم كما تعامى الآخر، ولذلك سُمي الأصم، (**وقال ذو النون المصري: من أراد الظرف**) أي كمال الظرف والفتوة (**فعليه بسقاة الماء ببغداد**) ليتعلم منهم ذلك (**فقيل له: كيف هو**) أي حالهم (**فقال: لما حملت إلى الخليفة فيما نسب إليّ من الزندقة رأيت سقاء عليه عمامة، وهو متردّ بمنديل مصريّ، وبيده كيزان خزف رقاق فقلت**) لما رأيت من ظرفه في لباسه وكيزانه بحيث توهمت أنَّه ساقي السلطان (**هذا**) أي أهذا (**ساقي السلطان فقالوا: لا هذا ساقي العامة فأخذت**) منه (**الكوز وشربت**) منه (**وقلت لمن معي: أعطه ديناراً**) فأعطاه ديناراً (**فلم يأخذه وقال**) له: (**أنتَ أسير**) قد استدعيت للخليفة، ومعك من يحفظك من

(**قوله: فقال لهم الرجل: الخ**) تأمل سوقه الزمان الماضي وصدقهم، والمزارعين وتفتيهم، وحبهم للخير مع خاص أهل زمننا فضلاً عن عامتهم تعلم فضيلة السبق والله أعلم.

(**قوله: ولكن تعاميت**) أي تكلفت العمى ويرشد إليه قول بعضهم:

ليس الغبي بسيد في قومه ... لكنَّ سيد قومه المتغابي

قبله ليوصلك إليه (**وليس من الفتوة**) والمروءة (**أن آخذ منك شيئاً**) وأضيق عليك، فرأى منه ذو النون بذلك كمال أخلاقه ومروءته في باطنه مع ظرف ظاهره، (**وقيل: ليس من الفتوة أن تربح على صديقك قاله بعض أصدقائنا**: رحمه الله تعالى **وكان**) هذا البعض (**فتى يسمى أحمد بن سهل التاجر، وقد اشتريت منه خرقة بياض فأخذ**) مني (**الثمن**) الذي كان (**رأس ماله فقلت له: لا تأخذ ربحاً فقال: أما الثمن فآخذه ولا أحملك**) به (**سنة**) بأنْ أتركه لك (**لأنه ليس له من الخطر**) أي القدر عندي (**ما اتخلق به معك، ولكن لا آخذ الربح إذ ليس من الفتوة أن تربح على صديقك**) ففي ذلك وجهان من الفتوة استقلال رأس المال، فلم ير أنْ يهبه لأخيه لإستقذاره له، وكونه لم يربح عليه، (**وقيل: خرج إنسان يدّعي الفتوة من نيسابور إلى نسا**) اسم لبلدة (**فاستضافه رجل**) منها (**ومعه جماعة من الفتيان، فلما فرغوا من أكل الطعام خرجت جارية تصب الماء على أيديهم فانقبض النيسابوري، عن غسل اليد وقال: ليس من الفتوة أنْ تصب النسوان الماء على أيدي الرجال فقال واحد منهم، أنا منذ سنين أدخل هذه الدار لم أعلم أنْ امراة تصب الماء على أيدينا أم رجلاً**) كل منهما كلامه يتقتضي أنّه متصف بالفتوة وإنْ كان الثاني أكمل فيها لتركه فضول النظر الذي لا حاجة إليه إذ من الفضول تمييز العبد ما في دار غيره من متاع وخادم وغيرهما مما لا حاجة به إليه. (**سمعت منصور المغربي يقول: أراد واحد أنْ يمتحن نوحاً النيسابوري العيار**) أي الشجاع (**فباع منه جارية في زي غلام، وشرط أنّه غلام وكانت وضيئة الوجه**) أي حسنة (**فاشتراها نوح على أنها غلام ولبثت عنده شهوراً كثيرة فقيل للجارية هل علم**) نوح (**أنك جارية فقالت: لا إنه ما مسني، وتوهم أني غلام**) فيه إشارة إلى أنّه فتى حيث منع نفسه من الميل إلى الشهوات الدنيوية، (**وقيل: إنَّ بعض الشطار طلب منه تسليم غلام كان يخدمه إلى السلطان فأبى**) لحسن خدمته له (**فضربه ألف سوط فلم يسلم**) إليه الغلام (**فاتفق أنّه احتلم تلك الليلة وكان**) بردها (**برداً شديداً، فلما أصبح**

(**قوله: وليس من الفتوة أن آخذ منك شيئاً**) أقول: وإذا كان هذا الخلق لسقاة الماء ببغداد، فما ظنك بظرفائها وأعيانها وخواصها.

(**قوله: وقيل: ليس من الفتوة أن تربح الخ**) أي فالربح على الصديق خلاف المروءة، ولذا كان مما تردّ به الشهادة على ما ذهب إليه إمامنا الشافعيّ رضي الله تعالى عنه. (**قوله: فقال واحد منهم:**) انظر كمال الأخلاق والفناء عن كامل الحظوظ، ولكن إذا تم الإصطفاء بعد العبد عما به يكون الجفاء. (**قوله: فباع منه جارية**) أي باع له فمن بمعنى اللام، وهو كثير في كلامهم. (**قوله: حيث منع نفسه الخ**) أي فهو كامل العفة وشرف النفس.

اغتسل بالماء البارد فقيل له: **خاطرت بروحك**) باغتسالك في هذا البرد بالماء البارد (**فقال: استحييت من الله تعالى أنْ أصبر على ضرب ألف سوط لأجل**) فوات منفعة تحصل لي من (**مخلوق**) وهي خدمة هذا الخادم (**ولا أصبر على مقاساة برد الإغتسال لأجله**) تعالى ولأجل القيام بطاعته رجاء فضله ورحمته، في ذلك من الفتوة أنَّه آثر ما ينبغي إيثاره، وترك حفظ نفسه من المخاطرة بروحه بما فعله، (**وقيل: قدم جماعة من الفتيان لزيارة واحد يدعي الفتوة فقال الرجل**) المزور لغلامه، (**يا غلام قدم السفرة**) للجماعة (**فلم يقدم فقال له الرجل ذلك ثانياً وثالثاً فنظر بعضهم إلى بعض فقالوا: ليس من الفتوة**) والمروءة (**أن يستخدم الرجل من يتعاصى عليه في تقديم السفرة كل هذا**) التعاصي إذ من أخلاق الخادم أنْ يبادر لما لم يؤمر به من الخير فكيف لما أمر به؟ (**فقال الرجل**) لغلامه: (**لم أبطأت بالسفرة**) أي بتقديمها (**فقال الغلام: كان عليها نمل فلم يكن من الأدب تقديم السفرة إلى الفتيان مع**) وجود (**النمل**) فيها (**ولم يكن من الفتوة إلقاء النمل من السفرة فلبثت حتى دب النمل**) منها (**فقالوا له**) لما اطلعوا على باطن أمره: (**دققت يا غلام**) في الفتوة والأدب (**مثلك من يخدم الفتيان**) في ذلك من الفتوة أنَّ الخادم لا ينبغي له أنْ يتعاصى أويتخلف عما أمر به في حقّ المكرمين لكونه يشوش عليهم، وأنْ لا يحضر السفرة والنمل عليها، وأنْ لا يزعج النمل بالقتل والرمي، (**وقيل: إنَّ رجلاً نام بالمدينة المشرفة من الحاج فتوهم أنَّ هميانه**) أي كيسه (**سرق فخرج فرأى جعفر الصادق**) وهو لا يعرفه (**فتعلق به وقال له: أنت أخذت همياني فقال له: أيش كان فيه؟ فقال: ألف دينار فأدخله داره ووزن له ألف دينار فرجع الرجل إلى منزله ودخل بيته فرأى هميانه في بيته، وكان قد توهم أنَّه**) حمله معه على عادته من حرصه عليه وأنَّه (**سرق**) منه (**فخرج إلى جعفر معتذراً**) مستغفراً مما جرى منه (**ورد عليه الدنانير فأبى أنْ يقبلها وقال: شيء أخرجته من يدي**) لله تعالى (**لا أسترده فقال الرجل، من هذا فقيل: جعفر**) بن محمد (**الصادق**)، في ذلك دلالة على كرم جعفر الصادق وحفظه لمرءوته وصيانته لعرضه،

(**قوله: فقال: استحييت من الله الخ**) أقول: لعله ظن السلامة وإلا فإلقاء النفس في الهلكة غير جائز شرعاً. (**قوله: فقال الرجل المزور الخ**) تأمل أخلاق الخدم والمخدومين تعلم أنَّهم كانوا محبين ومحبوبين، وتدبر تأثر الخادم بأخلاق المخدوم يظهر لك أنك وخادمك في غاية الذم والشؤم.

(**قوله: في ذلك دلالة على كرم جعفر الخ**) كيف لا يكون كذلك، وهو ممن أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وإعانته للملهوف، وشفقته على عباد الله، (**وقيل: سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد عن الفتوة فقال**) له جعفر: (**ما تقول أنت؟ فقال شقيق:**) هي (**أن أعطينا شكرنا، وإنْ منعنا صبرنا فقال جعفر: الكلاب عندنا بالمدينة كذلك تفعل، فقال شقيق: يا ابن بنت رسول الله ﷺ ما الفتوة عندكم فقال:**) هي (**إن أعطينا آثرنا، وإنْ منعنا شكرنا**) على المنع لأنا نعد البلايا نعمة، فنشكر عليها، وفي ذلك تنبيه على تفاوت منازل السالكين، وفي نسخة بعد ما ذكر فقال شقيق: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

(**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الجريري يقول: دعانا الشيخ أبو العباس بن مسروق ليلة إلى بيته**) لضيافة (**فاستقبلنا صديق لنا فقلنا له: ارجع معنا فنحن في ضيافة الشيخ فقال: إنه لم يدعني فقلنا: نحن نستثني**) لك أي نستأذن لك عند الدخول (**كما استثنى رسول الله ﷺ لعائشة رضي الله عنها**) حيث صنع له ﷺ رجل من الصحابة طعاماً وأتى إليه ليدعوه بالإشارة فأشار ﷺ إليه، وهذه يعني عائشة، فسكت ثم أشار إلى النبي مرّة أخرى فأشار النبي ﷺ إليه، وهذه يعني عائشة، فقال: نعم، وتشبيه الحكاية بقصة عائشة في مطلق الإستئذان، وإلا فالاستئذان في الحكاية كان بعد الدعاء والإجابة، وفي قصة (**عائشة كان بينهما**) فأخذناه أي صديقنا (**معنا فلما بلغ باب الشيخ أخبرناه بما قال**) صديقنا لنا (**وقلنا**) له: (**فقال:**) قد (**جعلت**) أنت (**موضعي**) وفي نسخة جعلت بالبناء للمفعول أي جعلت أنا بموضع (**من قلبك أنْ تجيء**) أي لأجل أنك جئت (**إلى منزلي من غير دعوة**) أولاً لحسن ظنك بي (**عليّ كذا وكذا إنْ**) أي ما (**مشيت**) أنت من باب منزلي (**إلى الموضع الذي تقعد فيه منه إلا على خدي وألح عليه**) في إجابته لذلك فأجاب (**ووضع**) هو (**خده على**) حصير على (**الأرض وحمل الرجل فوضع**) وهو محمول (**قدمه على خده من غير أن يوجعه**) أي حمل حتى صارت قدمه على خده بحيث لا يضره نقله، ويمكنه سحب وجهه (**وسحب الشيخ وجهه على**) الحصير التي على (**الأرض**) وقدم المحمول على خده (**إلى أن بلغ موضع جلوسه**) وجه فتوته كمال سروره وتواضعه بفرحه بقدوم هذا الزائر عليه من غير دعوة، ولذلك لما سمع بعضهم من يتكلم في الأخوة فقال: هل فيكم

(**قوله: لأنا نعد البلايا نعمة**) أي نظراً لأن أفعاله تعالى لا تخلو عن الحكم والمصالح للعباد، وإنْ لم تظهر للبشر في الخارج، ويشهد له خبر «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع». (**قوله: فقلنا له: ارجع معنا**) أي لقوّة رجائهم في الإجابة قالوا ذلك. (**قوله: فقال: من قلبك**) محصله أنَّ ما فعلته من المجيء بدون سابق دعوة مني لك بجعلك موضعي من قلبك إذ هذا شأن المحب مع المحبوب حقيقة أو تنزيلاً على

من تطيب نفسه أنْ يدخل يده في كم أخيه فيأخذ من دراهمه ما شاء من غير استئذان؟ قالوا: لا، قال: فلم تكمل إخوتكم ولا فتوتكم. **(واعلم أنَّ من الفتوة الستر على عيوب الأصدقاء لا سيما إذا كان لهم فيه)** أي في عدم الستر **(شماتة الأعداء. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: كان يقال للنصر أباذي كثيراً)** نصحاً لا غيبة **(أنَّ عليا القوال يشرب بالليل)** وينشد عند الشربة **(ويحضر مجلسك بالنهار)** وكان ينشد عنده الأبيات المتضمنة للمحبة والشوق ونحوهما مما يطيب به قلوب المريدين **(وكان لا يسمع فيه ما يقال)** له فيه **(فاتفق أنَّه كان يمشي يوماً ومعه واحد ممن يذكر علياً بذلك عنده، فوجد علياً مطروحاً في موضع، وقد ظهر عليه أثر السكر، وصار بحيث يغسل فمه)** مما خرج عليه من باطنه **(فقال الرجل)** في نفسه: **(إلى كم نقول فيه: للشيخ ولا يسمع)** فيه كلاماً **(هذا عليّ على الوصف الذي نقول)** له: **(فنظر إليه النصر أباذي)** وكره إطلاعه على ذلك طلباً للستر **(وقال)** تأديباً **(للعذول:)** أي اللائم له **(احمله على رقبتك وانقله إلى منزله)** ولا تكشفه فسترك له أفضل من إظهارك لي نقصه، وإذ قد كشفته لي فلا تتركه مكشوفاً لكل الناس **(فلم يجد بدّاً من طاعته فيه)**، وجه الفتوة في ذلك ما أشار إليه النصر أباذي من كونه لم يصدق ذلك أوّلاً، ولا يحب أنْ يطلع عليه آخراً، **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا علي الفارسي يقول: سمعت المرتعش يقول: دخلنا مع أبي حفص على مريض نعوده ونحن جماعة فقال)** أبو حفص للمريض: **(أتحب أنْ تبرأ)** من مرضك **(فقال: نعم فقال لأصحابه: تحملوا عنه)** بأنْ نقتسم ما هو فيه من الألم، فتحملوا عنه بأنْ دعوا الله فيه، فأجابهم كعادة الأولياء **(فقام العليل)** من علته **(وخرج معنا وأصبحنا كلنا)** مرضى **(أصحاب فراش نعاد)**. وقد أتى النبي ﷺ رجل أعمى فقال: يا رسول الله ادع الله أنْ يردّ بصري فقال: «إنْ شئت دعوت لك، وإنْ شئت صبرت فهو خير لك»[1] فاختار الدعاء فأمره أنْ يصلي، ويدعو، ويتشفع به ﷺ، ففعل فردّ الله تعالى بصره.

قراءة جعلت بالبناء للمفعول. **(قوله: الستر على عيوب الأصدقاء الخ)** لعل المراد بالصديق مطلق الأخ في الدين، فالمراد مطلق المحبوبين، ولو بالقوّة، ويؤكده خبر «إنَّ الله ستير يحب من عباده الستيرين». **(قوله: نصحاً لا غيبة)** ذكر ذلك نظراً لظاهر الحال من العدالة وإلا فلا غيبة في فاسق تجاهر بفسقه في ذكر ما فسق به.

(قوله: فسترك له أفضل) أي ولا سيما إذا كان معذوراً في سكره. **(قوله: دخلنا مع أبي حفص الخ)** فيه دلالة على كمال رأفتهم بإخوانهم وصدقهم في معاملتهم لربهم حيث أجاب تعالى سؤلهم رضي الله عنهم وأرضاهم عنا.

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات ١١٨).

باب الفراسة

بكسر الفاء مأخوذة من التفرّس، وهو التثبت والنظر يقال: تفرست فيه الخير إذا تثبت فيه ونظرت إليه، والتفرس يطلق أيضاً على التوسم من السمة، وهي العلامة، والفراسة قد تكون عادية تعرف بقرائن الأحوال، وقد تكون موهبة إلهامية يخلقها الله في القلب، وهي المرادة غالباً عند القوم، وعرفت بأنها الاطلاع على ما في ضمائر الناس، وبغير ذلك كما سيأتي في كلامه، وهي ممدوحة. **(قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾** [الحجر: ٧٥] **قيل: للمتفرسين أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله تعالى قال: أخبرنا أحمد بن علي بن الحسين الرازي: قال: حدثنا محمد بن أحمد بن السكن قال: حدثنا موسى بن داود قال: حدثنا**

باب الفراسة

سببها ذكاء القريحة، وقوّة الإدراك، وكثرة الاختبار للأشياء الخفية بقرائن دقيقة يستند إليها فيما يظن أو يتوهم مع زيادة نور بصيرة الناظر بسبب تجرد نفسه عن الأمور المظلمة للقلوب، فبواسطة ما ذكر يدرك الأشياء على ما هي عليه بإلهام بواسطة ملك أو بدونها، وعلى كل فهي من كمال الخلق، وطهارة النفس ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ [البقرة: ١٠٥] وهي نوعان: فراسة حكمية وفراسة شرعية الأولى تعلم بالعلامات، والثانية تتحقق بالمكاشفات فراسة الحكيم تعليمية وفراسة المؤمن نورانية: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله». **(قوله: مأخوذة من التفرس الخ)** أي فسببها النظر بإمعان ودقة حتى يصل به إلى إدراك ما خفي عن غيره عادة وحينئذ، فمعنى الفراسة لغة أخص منه اصطلاحاً إذ المعنى اللغوي خاص بالفراسة العادية والاصطلاحي يعمها، والوهبية الإلهية، ومثل ذلك يقال في قوله بعده والتفرس يطلق أيضاً على التوسم. **(قوله: يطلق أيضاً على التوسم)** أي الذي ينشأ عن إمعان النظر في العلامات. **(قوله: وهي المرادة الخ)** أي وهي أصدق في إفادة علم القلب لأنّ الأولى قد لا تفيد علماً من أجل تخلف العلامات والقرائن العادية. **(قوله: وعرّفت بأنها الإطلاع الخ)** أي وذلك الإطلاع بقوّة إدراك البصائر بواسطة زيادة أنوار القلوب الإلهية. **(قوله: قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ**

محمد بن كثير الكوفي قال: حدثنا عمرو بن قيس عن عطية عن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله عزّ وجلّ»[1] والفراسة خاطر يهجم على القلب) بصدق يفيد العلم (فينفي ما يضادّه)من ظن وشك ووهم (وله على القلب حكم) وقهر (اشتقاقاً) أي أخذاً (من فريسة السبع) يقال: فرس الأسد بفتح الراء فريسته، وافترسها أي دق عنقها (وليس في مقابلة الفراسة) لكونها تفيد العلم بخلق الله كما علم (مجوزات للنفس) أي احتمالات من ظن وغيره كما علم (وهي) أي الفراسة أي قوتها (على حسب قوّة الإيمان) بتواليه على قلب العبد، وكثرة ذكره له، وغلبته على قلبه حتى صار حالاً له، وذلك يحصل بصغر الدنيا في عينه، وغلبة ذكر الجنة، والنار، والحساب، والعرش وأمر الله ونهيه، ووعده ووعيده ونحوها.

(فكل من كان أقوى إيماناً كان أحدّ فراسة) فإذا وصل العبد إلى تلك الحالة كان إيمانه قوياً، وقلبه هو الذي نسخ فيه الخواطر الصحيحة المعبر عنها بالفراسة، وبالإلهام، وبالمكاشفة، (وقال أبو سعيد الخرّاز: من نظر بنور الفراسة نظر بنور

لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾) [الحجر: ٧٥] أي إنْ فيما ذكر من القصة، لآيات: لعلامات يستدل بها على حقيقة الحق، للمتوسمين أي المتفكرين المتفرسين الذين يثبتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء على ما هو عليه. (قوله: «اتقوا فراسة المؤمن») أي احذروها، وهي بكسر الفاء من التفرس، وهي ملكة في النفس ينشأ عنها قوّة عين البصيرة فيدرك بها العبد ما خفي وهي لا تخطىء أصلاً. (قوله: والفراسة خاطر الخ) مراده الفراسة المذكورة في الخبر. (قوله: يفيد العلم) أي جزم القلب بالشيء الذي تفرسه. (قوله: من ظن وشك ووهم) الأوّل هو إدراك الطرف الراجح، والثاني إدراك الطرفين على السواء، والثالث إدراك الطرف المرجوح.

(قوله: وله على القلب حكم الخ) أي بسبب غلبته على القلب بدون اختيار (قوله: اشتقاقاً) أي اشتقت اشتقاقاً، وأخذت أخذاً من فريسة السبع، فهو مصدر لفعل محذوف. (قوله: وليس في مقابلة الفراسة الخ) توضيح لما قبله من قوله: وله على القلب حكم. (قوله: مجوزات) هو بصيغة المفعول أي أشياء تجوزها النفس وقوله: من ظن، وغيره بيان لتلك الأشياء. (قوله: وذلك يحصل الخ) بيان للسبب في قوّة الإيمان التي هي سبب في قوّة الفراسة. (قوله: فكل من كان أقوى إيماناً الخ) أي وقوّة الإيمان بسبب كثرة طوارق علوم الأدلة النقلية والعقلية على القلب والتأمل فيها. (قوله: المعبر عنها بالفراسة

---

(١) أخرجه الترمذي (تفسير سورة ١٥، ٦).

الحق) تعالى، ولهذا كان نورها أفضل أنوار المقامات **(وتكون موادّ عمله)** الحاصل بها بواسطة الفراسة **(من الحق)** تعالى **(بلا سهو ولا غفلة بل)** هو **(حكم حق جرى على لسان عبد)** أكرمه الله، **(وقوله:)** أي أبي سعيد **(نظر بنور الحق يعني بنور خصه به الحق تعالى)** أي بغير واسطة بل أنشأه في قلبه بغير كسب منه، وإلا فنور العقل ونور الشرع هو نور الحق أيضاً، **(وقال الواسطيّ: إنّ الفراسة سواطع أنوار)** أي أنوار مرتفعة يدرك بها علوم ومعارف **(لمعت)** أي أضاءت **(في القلوب، وتمكين معرفة)** أي ومعرفة متمكنة **(حملت السرائر)** الكائنة **(في الغيوب)** أي نقلتها **(من غيب إلى غيب حتى يشهد)** من اتصف بذلك **(الأشياء من حيث أشهده الحق سبحانه إياها، فيتكلم على ضمير الخلق)** بما وهبه الحق له من علم ما لم يعلمه غيره من المغيبات. **(ويحكى عن أبي الحسن الديلميّ)** وكان له مقصود في الإطلاع على أرباب الفراسة **(أنه قال: دخلت أنطاكية لأجل)** رجل **(أسود قيل لي: إنّه يتكلم على الأسرار)** بالفراسة **(فأقمت فيها إلى أنْ خرج من جبل لكام)** بكسر اللام جبل بالشأم **(ومعه شيء من المباح يبيعه، وكنت جائعاً منذ يومين لم آكل شيئاً) فأتيته لأمتحنه** في صورة

الخ) أفاد أنّ العبارات الثلاثة عن معبر عنه واحد، وهو علم القلوب بأعين البصائر. **(قوله: ولهذا كان نورها الخ)** أنت خبير بأنّ جميع أنوار المقامات من نور الحق تبارك وتعالى نعم له تعالى أنْ يفضل بعض خلقه على بعض لحكمة يعلمها. **(قوله: وتكون مواد علمه الخ)** المراد بالموادّ الأصل والمنشأ، وما به الإمداد كما لا يخفى. **(قوله: بلا سهو ولا غفلة)** أي كائنة تلك الموادّ للمتفرس حالة كونه متجرداً من السهو والغفلة. **(قوله: بغير كسب منه الخ)** جعله غير مكسوب للعبد لا ينافي أنّ قوتها تابعة لزيادة الإيمان الذي قوته بقوّة العلم، ودوام العمل. **(قوله: سواطع أنوار)** أي أنوار ساطعة، فهو من إضافة الصفة للموصوف، وهي كناية عن العلوم والمعارف التي منّ الله بها على صاحب الفراسة، وقوله: لمعت أي أضاءت تلك الأنوار بواسطة زيادة التمكين في العلم، وقوله: وتمكين معرفة أي معرفة متمكنة، فإضافته من إضافة الصفة للموصوف أيضاً وعطفه على ما قبله من عطف السبب على المسبب لأنّ تمكين المعرفة هو السبب في تلك الأنوار، وقوله: حملت السرائر أي ما أكنته ضمائر الخلق، وقوله: الكائنة في الغيوب أي المتحققة، والحاصلة فيه بالنسبة للمتفرس قبل تفرسه، وقوله: من غيب إلى غيب الغيب الأوّل هو ضمائر الخلق المعلومة له تعالى مما هو غائب عن المتفرس، والغيب الثاني هو قلب المتفرس قبل تفرسه، ويحتمل أنّ الغيب الأوّل عالم الملكوت، والغيب الثاني عالم الملك، وباقي كلامه ظاهر والله أعلم.

(قوله: فأتيته لأمتحنه الخ) إنْ قلت: هذا من التجسس الذي لا يعني، وقد منع

مشترٍ (قلت له: بكم) تبيع (هذا وأوهمته أني أشتري) منه (ما بين يديه فقال: اقعد ثمّ) وأشار إلى مكان (حتى إذا بعناه نعطيك) من ثمنه (ما تشتري به شيئاً) فدلني ذلك على فراسته (فتركته وسرت إلى غيره أوهمه أني أساومه) كأني ما فهمت ما قاله: (ثم رجعت إليه وقلتُ له: إنْ كنت تبيع هذا فقل لي: بكم) تبيعه (فقال: إنما جعت يومين اقعد ثم حتى إذا بعناه نعطيك) من ثمنه (ما تشتري به شيئاً) فزادني ذلك بياناً لصحة فراسته (فقعدت) حيث أشار (فلما باعه أعطاني شيئاً ومشى فتتبعته فالتفت إليّ، وقال لي: إذا عرضت لك حاجة فأنزلها بالله تعالى) وحده فلا تحجب عنها بل تقضى فكانت أبلغ موعظة، وأحسن إرشاد (إلا أنْ يكون لنفسك فيها حظ) بأنْ تلتفت إلى نفسك وتسكن إلى عملها (فتحجب عن حاجتك) التي طلبتها من الله تعالى فلا تقضى. (وسمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد بن عبد الله يقول: سمعت الكتاني يقول: الفراسة مكاشفة اليقين، ومعاينة الغيب) أي ليست بظن ولا شك ولا وهم، وإنما هي علم موهبي لخبر: «اتقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله». (وهو) أي مقام الفراسة (من مقامات الإيمان) كما أشار إليه في الخبر بتخصيصها بالمؤمن (وقيل: كان الشافعي، ومحمد بن الحسن رحمهما الله في المسجد الحرام فدخل رجل) عليهما (فقال محمد بن الحسن: أتفرس) فيه (أنّه نجار قال الشافعي: اتفرس) فيه (أنّه حدّاد فسألاه) عن صفته (فقال: كنت قبل هذا حدّاداً و) أما (الساعة أنجر) هذه الفراسة من قسم الفراسة العادية التي تعرف بقرائن الأحوال

الشارع منه، قلت: بل يعني لقصد الانتفاع والتبرك بمثل هذا الأستاذ على أنّه ليس من التجسس في شيء. (قوله: إلا أنْ يكون لنفسك فيها حظ الخ) فيه إرشاد إلى أنّ من أراد قضاء حاجته، فليمحض قصده لله سبحانه وتعالى مع التفويض له سبحانه والتبري من الحول والقوّة.

(قوله: الفراسة مكاشفة اليقين) أي ثمرتها ذلك إذ المستفاد منها علوم إلهية متلقاة بواسطة إشراق النور في بصائر القلوب، وذلك لا يحتمل التردّد.

(قوله: من مقامات الإيمان) أي لأنّه قد تقدّم أنّها تنشأ عن قوته، ودوام الجد في الأعمال. (قوله: فقال: كنت قبل هذا حدّاداً الخ) فيه دلالة على أنّ فراسة الشافعيّ رضي الله تعالى عنه أقوى من فراسة محمد بن الحسن لبعد ما يستدل به على كونه حداداً وقرب ما يستدل به على كونه نجاراً. (قوله: المستنبط) أي المأخوذ من قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، وقوله: من يلاحظ الغيب أبداً أي وذلك لفراغ سره عن الأغيار، وامتلاء قلبه بالأنوار، فهو لا يغيب عنه شيء، ولا يختفي عليه شيء لتوالي واردات الحق على قلبه وظهور أمارات الصدق على سره. (قوله: المستنبط الخ) أنت

لكنها لا تتمحض له إذ لا بدّ فيها من إشراق ونور (**وقال أبو سعيد الخراز: المستنبط**) المشار إليه في الآية الآتية (**من يلاحظ الغيب أبداً ولا يغيب عنه ولا يخفى عليه شيء**) مما ألهمه الله له وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] **والمتسوم** المذكور في الآية الآتية (**هو الذي يعرف الوسم**) أي العلامة (**وهو العارف بما في سويداء القلوب**) أي حبتها (**بالإستدلال والعلامات قال الله تعالى**: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [النساء: ٨٣] **أي العارفين بالعلامات التي يبديها** أي يظهرها الله (**على الفريقين من أوليائه وأعدائه، والمتفرس ينظر بنور الله تعالى، وذلك سواطع أنوار لمعت في قلبه فأدرك بها المعاني وهو**) أي نور الله (**من خواص**

خبير بأنَّ المستنبط والمتوسم والمتفرس لا بدّ لكل منهم من مدد نور الحق وإنْ استند علم كل في ظاهر الحال إلى استدلال وعلامات، غير أنَّ المتفرس قد لا يكون له مستنداً إلاّ نور الحق تعالى.

(**قوله: وهو الذي دل عليه قوله تعالى**: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾) أي يستكشفونه من كبار الصحابة الخبراء العلماء بالتجاريب، وشرائط الوعد والوعيد المأخوذ ذلك من أخباره ﷺ الصادرة بالوحي كوعد بالظفر، أو تخويف من الكفرة، والسبب في الآية الشريفة أنّ ناساً من ضعفة المسلمين الذين لا خبرة لهم بالأحوال كانوا إذا أخبرهم الرسول ﷺ بما أوحي إليه من وعد الظفر بالعدوّ، أو تخويف منه يذيعونه ويفشونه من غير فهم لمعناه، ولا ضبط لفحواه على حسب ما كانوا يفهمونه ويحملونه عليه من المحامل وعلى تقدير الفهم منهم قد يكون مشروطاً بأمور تفوت بالإذاعة، فلا يظهر أثره المتوقع فيكون ذلك منشأ الاختلاف المتوهم، فقيل لهم: ولا ردّوه، أي الأمر الذي جاءهم إلى الرسول أي عرضوه عليه مستكشفين لمعناه وإلى أولي الأمر منهم مثل كبار الصحابة البصراء في الأمور ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾، فالمراد بالمستنبطين الراذون، وضمير منهم لكبار الصحابة، والحاصل أنّ الغرض بيان جناية تلك الطائفة، وسوء تدبيرهم أَثر بيان جناية المنافقين، ومكرهم، وإرشادهم إلى وجه الصواب في مثل هذه الأمور.

(**قوله: وهو العارف الخ**) أي وعرفانه بواسطة تمكنه من المقام، وبعد قلبه عن الأسقام، فهو حينئذٍ لا يخفى عليه الحق حيث هو فلا يعول إلا على الصدق.

(**قوله: وذلك**) أي المذكور من نور الله هو سواطع أنوار أي أنوار ساطعة أي أضاءت بإشراقها في قلبه، فاطلع بسببها على المعاني الغائبة التي هي من أحكام ضمائر الخلق، ولا يخفى ما في التعبير بالسطوع في جانب الأنوار من الإشارة إلى قوّة تأثيرها في القلب.

الإيمان) كما عرف **(والذين هم أكبر منه)** أي من المتوسم **(حظا الربانيون)** المنسوبون إلى الرب تعالى بمعاملتهم له، وهم الذين **(قال الله تعالى)** فيهم ﴿وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّۦنَ﴾ [آل عمران: ٧٩] **يعني علماء حكماء متخلقين بأخلاق الحق نظرا في مصالح العباد (وخلقاً)** بالإتصاف بالصفات الجميلة كالكرم والحلم والعفو **(وهم فارغون عن الأخبار عن الخلق، والنظر إليهم والاشتغال بهم)** لاشتغالهم بربهم، **(وقيل: كان أبو القاسم المنادي)** سُمي منادياً لما يأتي **(مريضاً وكان كبير الشأن من مشايخ نيسابور فعاده أبو الحسن البوشنجي، والحسن الحداد واشتريا بنصف درهم تفاحاً في الطريق نسيئة، وحملاه إليه)** لكون المريض يجد بذلك راحة **(فلما قعد قال أبو القاسم:)** وقد رأى عليهما ظلمة **(ما هذه الظلمة)** التي عليكما **(فخرجا وقالا: أيش فعلنا وتفكرا فقالا: لعلنا)** أصبنا بذلك لكوننا **(لم نؤد ثمن التفاح)** بائعه **(فأعطياه الثمن وعادا إليه)** أي إلى أبي القاسم **(فلما وقع بصره عليهما قال: هذا عجب يمكن الإنسان أن يخرج من الظلمة بهذه السرعة أخبراني عن شأنكما فذكرا له القصة)** أي قصة شراء التفاح نسيئة وكيفية القضاء **(فقال: نعم)** أي صدقتما **(كان يعتمد)** أي يتكل **(كل واحد منكما على صاحبه في إعطاء الثمن)** فيتأخر قضاء حق الرجل فيتضرر **(والرجل يستحي منكما في التقاضي فكان)** أي الشأن **(تبقى التبعة)** عليهما **(وأنا السبب)** في شرائكما منه نسيئة فأنا **(إنما رأيت ذلك فيكما)** في ذلك فضيلة للثلاثة، فإنه كاشفهما، وهما تفطنا لوجه الظلمة ثم تخلصا منها. **(وكان أبو القاسم المنادي هذا يدخل السوق كل يوم ينادي)** أي يدلل على الأمتعة **(فإذا وقع بيده ما فيه كفايته من دانق)** ذهباً **(إلى نصف درهم)** فضة **(خرج منه، وعاد إلى رأس وقته)** ومراعاته **(ومراعاة قلبه)** فيه دلالة على أنَّ مراعاة وقته وقلبه أهم أموره، وأنه إنما يرجع إلى كسبه لدفع ضرورته، وأنْ

(قوله: **أي من المتوسم)** لعل الأولى أنْ يقول: أي من المتفرس إلا أنْ يقال: هو بمعناه. **(قوله: المنسوبون إلى الرب)** إنْ قلت: الكل منسوب إليه تعالى، قلت: لهم زيادة تمكين فافهم. **(قوله: يعني علماء حكماء الخ)** أي علماء بعلم النقل والذوق، وقوله: حكماء من الحكمة التي هي تحقيق العلم، وإتقان العمل، وقوله: متخلقين بأخلاق الله أي قائمين بما أمروا به، ونهوا عنه لا تلحقهم فترة، ولا غفلة لا بالنسبة للخالق، ولا بالنسبة للمخلوق، وقوله: وخلقاً أي باستجماع صفات الكمال، وقوله: وهم فارغون الخ أي لاشتغالهم به تعالى لا يلتفتون إلى ما سواه. **(قوله: وهم فارغون عن الأخبار عن الخلق الخ)** أي عن الأخبار التي مرجعها النفس، وعن الاشتغال بهم كذلك، فلا ينافي التفاتهم إليهم بوجه الحق. **(قوله: كان أبو القاسم الخ)** أقول: وإنْ كانت الفراسة نوعاً من الكرامة إلا أنَّ هذه القصة لحقيقة الكرامة أقرب. **(قوله: سمي**

ما يأكله من أحل ما يقدر عليه، فإنّ أحل ما أكل المرء من كسبه. **(وقال الحسين بن منصور: الحق تعالى إذا استولى على سر)** أي قلب بأنْ اشتغل به تعالى العبد حتى صار غالباً على قلبه **(ملكه الأسرار)** كلها **(فيعاينها)** العبد **(ويخبر عنها)** فيصير مملوكاً مالكاً، وهو المتفرس والمكاشف، **(وسئل بعضهم عن الفراسة فقال:)** هي **(أرواح)** أي نفوس بمعنى خواطر نفوس **(تتقلب في الملكوت)** أي لا شغل لأربابها إلا النظر في كمال الله وجلاله، وفي أمره ونهيه، ووعده ووعيده ومراقبته **(فتشرف على معالي الغيوب فتنطق)** بنطق أربابها **(عن أسرار الخلق نطق مشاهدة لا نطق ظن وحسبان)** خصها الله بذلك لكمال شغلها به، وانقطاع همها عن غيره، **(وقيل: كان بين زكريا الشخشتني)** نسبة إلى شخشتن قرية بنيسابور **(وبين امرأة سبب)** مكروه **(قبل توبته فكان يوماً واقفاً على رأس أبي عثمان الحيري بعدما صار من خواص تلامذته فتفكر في شأنها)** أي المرأة **(فرفع أبو عثمان رأسه إليه)** لكونه اطلع على تفكره فيما تاب عنه **(وقال له: أما تستحي)** من ربك إذ لا يليق بمن تاب واستقامت أحواله أنْ يذكر ما كان متلذذاً به بل كمال توبته أنّه إذا خطر له ذلك استحى من ربه، وتألم لما كان من ذلك. **(قال الأستاذ الإمام)** المملي **(رحمه الله: كنت في ابتداء وصلتي بالأستاذ أبي علي الدقاق رحمه الله تعالى عقد لي المجلس في مسجد المطرز)** بنيسابور **(فاستأذنته وقتاً في الخروج إلى نسا، فأذن لي فيه فكنت أمشي معه يوماً في طريق مجلسه فخطر**

مناديا لما يأتي) أي من كونه يدلل على الأمتعة كل يوم في السوق. **(قوله: وعادا إليه)** فيه التفات إلى الغيبة من الحضور. **(قوله: كان يعتمد الخ)** أي ربما كان ذلك فيتضرر البائع. **(قوله: والرجل يتسحي منكما)** أي قد يستحي منكما في التقاضي الذي هو طلب الحق. **(قوله: تبقى التبعة عليهما)** لعل الأنسب عليكما. **(قوله: خرج منه)** أي صرفه على موجب الإذن الشرعي بالوجه الأكمل. **(قوله: فإنّ أحلّ الخ)** انظره مع ما هم عليه فقراء زماننا، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. **(قوله: بأنْ اشتغل الخ)** تصوير لاستيلاء الحق على أسرار عباده وقلوبهم. **(قوله: فيصير مملوكاً الخ)** أما كونه مملوكاً فلتحقق عبوديته، وأما كونه مالكاً فللأسرار.

(قوله: فقال: هي أرواح الخ) إذا تأملت التعبير عن الخواطر بالأرواح تعلم ما هو غني عن الإيضاح. **(قوله: تتقلب في الملكوت)** أي الذي هو عالم الغيب الذي هو مقابل لعالم الملك. **(قوله: وفي أمره ونهيه الخ)** تأمل وجه شمول الملكوت لذلك فإنّه ربما يخفى إلا إنْ اعتبر المنشأ أو الحكمة.

(قوله: فتفكر في شأنها الخ) منه يعلم أنّ ذلك التفكر كان ملابساً لبعض حظوظ النفس الشهوانية، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. **(قوله: إلى نسا)** هي بفتح النون مع المد أو

بالي ليته ينوب عني في مجالسي أيام غيبتي فالتفتَ إليّ وقال لي: أنوب عنك أيام غيبتك فيعقد المجالس فمشيت) معه (قليلاً فخطر ببالي) لأجل (أنّه عليل يشق عليه أنه ينوب عني في الأسبوع يومين) فقلت في نفسي: (فليته يقتصر على يوم واحد في الأسبوع فالتفت إليّ وقال: إن لم يمكني في الأسبوع يومان أنوب عنك في الأسبوع مرة واحدة فمشيت معه قليلاً فخطر ببالي شيء ثالث فالتفت إليّ وصرح بالإخبار عنه على القطع) به من غير احتمال هذا كالصريح في أنه مكاشفة، وأما ما قبله فيحتمل أنّه كذلك، ويحتمل أنّه موافقة ومصادفة، فيظنها التلميذ مكاشفة، وهي بكل حال ألطاف من الله وتنبيهات يجريها الله على لسان الشيخ لينتفع بها من أراد سعادته، ويقوي بها نيته في اقتدائه بشيخه، وانتفاعه بما يرد عليه منه. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت جدي أبا عمرو بن نجيد يقول: كان شاه الكرمانيّ حادّ الفراسة) بتشديد الدال أي حديدها (لا تخطىء) فراسته (ويقول: من غض بصره عن المحارم وأمسك نفسه عن الشهوات) من الحلال وغيره (وعمر باطنه بدوام المراقبة) لله واستشعار نظره إليه في سائر أحواله (و) عمر (ظاهره باتباع السنة) بأنْ لا يلابس في عبادته بدعة (وتعوّد أكل الحلال) للتقوى على عبادته لا لشهوته (لم تخطىء فراسته) لكماله في درجات الإيمان. (وسئل أبو الحسن النوريّ من أين تولدت) أي نشأت (فراسة المتفرسين) في القلوب (فقال: من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ﴾ أي: خلقت في آدم ﴿مِن رُّوحِى﴾ [ص: ٧٢، الحجر: ٢٩] أي

القصر. (قوله: فيحتمل أنّه كذلك) أقول، وهو الأقرب، والذي بعده، وإنْ احتمل فهو بعيد. (قوله: ويقول: من غض بصره الخ) الغرض بيان أسباب صدق الفراسة لأجل سلوك سبيلها. (قوله: فقال: من قوله تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾) الخ محصله الإشارة إلى أنَّ أصل الفراسة إيجاد الله تعالى وخلقه لا دخل لكسب العبد فيها لكونها ترد على القلوب القدسية قهراً، فهي من متعلقات الروح. (قوله: فإذا سويته) أي صورته بالصورة الإنسانية أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه، ونفخت فيه من روحي هو تمثيل لإفاضة ما به الحياة بالفعل على المادّة القابلة ولا نفخ ولا منفوخ، ولا يخفى أنّ الروح من عالم الأمر، وهو لا يفتقر في إيجاده إلى مدة ولا إلى مادة.

(قوله: من قوله تعالى الخ) وجهه أنّ الفراسة هي الإطلاع على ما في الضمائر بواسطة إشراق أنوار البصائر، وهذا الاطلاع من وظائف الروح التي هي من عالم الأمر والنور المضافة إليه تعالى في الآية الكريمة للتشريف، فحينئذٍ اتضح أنّ الفراسة علوم ومعارف مختصة بالروح المتحققة بخلقه تعالى. (قوله: وبه سُمي عيسى الخ) أي بكونه خلق بدون أب ذكر سُمي روح الله، وبكون الفراسة ينشئها الله في قلوب أوليائه بدون

خلقي وبه سُمي عيسى عليه السلام روح الله أي خلقه بلا ذكر، ولما كانت الفراسة ينشئها الله في قلوب أوليائه سميت روحاً ونوراً كما في خبر «اتقوا فراسة المؤمن» (**فمن كان حظه من ذلك النور أتّم كانت مشاهدته أحكم**) أي أتقن (**وحكمه بالفراسة أصدق**) لأنّها تفيد العلم (**ألا ترى كيف أوجب نفخ الروح فيه**) أي في آدم (**السجود له بقوله تعالى**: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُواْ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩، ص: ٧٢] **وهذا الكلام من أبي الحسن النوري فيه أدنى غموض وإيهام بذكر نفخ الروح**) في استدلاله به على تولد الفراسة منه لأمرين أحدهما إيهام لجعله الموجب لسجود الملائكة لآدم نفخ الروح والموجب له إنما هو أمره تعالى به لكنه لم يأمرهم به حتى خلق فيه الروح ثانيهما إيهام (**لتصويب**) قول: (**من يقول: بقدم الأرواح ولا**) أي وليس الأمر (**كما يلوح لقلوب المستضعفين**) من أنها قديمة بل هي حادثة (**فإن الذي يصح عليه النفخ والاتصال**) بالأجسام (**والانفصال**) عنها (**فهو قابل للتأثير والتغيير وذلك من سمات الحدوث**) أي علاماته (**وإنَّ الله سبحانه خص المؤمنين ببصائر وأنوار بها يتفرسون، وهي في الحقيقة معارف**) مخلوقة (**وعليه يحمل قوله ﷺ: «فإنَّه ينظر بنور الله» أي بعلم وبصيرة**) منه تعالى (**يخصه الله تعالى**) به (**ويفرده به من دون**) أي غير (**أشكاله وتسمية العلوم والبصائر أنواراً غير مستبدع، ولا يبعد وصف ذلك بالنفخ، والمراد منه الخلق**) كما تقرر. (**وقال الحسين بن منصور: المتفرس هو المصيب بأوّل مرماة إلى مقصده، ولا يعرج على تأويل وظن وحسبان**) لأنَّ الفراسة مما يخلقه الله في قلب العبد من غير كسب منه، وهو من ثمرات الإيمان الكامل، فلا بدّ أنْ يكون متعلقه معلوماً لأنَّه موهبة يدركه العبد قطعاً فأين هو من الظن والحسبان الذي هو من آثار المنجمين. (**وقيل: فراسة المريدين تكون ظناً**) لأنها لا

واسطة سميت روحاً أيضاً. (**قوله: فمن كان حظه من ذلك النور**) أي الذي هو أصل الروح أتم أي أقوى كانت مشاهدته وإطلاعه أحكم، واعلم أنَّ قوّة الروح لا تكون إلا عن فناء النفس. (**قوله: ألا ترى الخ**) استدلال على قوله: من قوله تعالى الخ. (**قوله: فيه أدنى غموض**) أي خفاء. (**قوله: لتصويب قوله: من يقول: بقدم الأرواح**) أي مع أنَّ ذلك طريق فاسد، وضلال مبين ذهب إليه بعض المعتزلة. (**قوله: فإنَّ الذي يصح عليه النفخ الخ**) أي فإن كان ما يصح أنْ يكون أثراً عن قدرة الله تعالى، فهو متغير، وكل متغير حادث لا يصح له القدم. (**قوله: معارف مخلوقة**) أي تطرق القلوب بدون كسب من العبد. (**قوله: غير مستبدع**) أي لأنَّ إطلاق اسم السبب على المسبب شائع وكثير. (**قوله: هو المصيب الخ**) أقول: لا يظهر ذلك في الفراسة العادية بل في الإلهية بوسايط الأنوار القدسية. (**قوله: الذي هو من آثار المنجمين**) أي وهي تخطىء كثيراً، وقد تصيب

تثبت لكنها إذا تكررت وصارت حالاً لصاحبها (**يوجب**) له (**تحقيقاً**) أي يقيناً، (**وفراسة العارفين**) لتمكنهم بالمراقبة واشتغالهم بالله (**تحقيق**) أي يقين (**يوجب**) لهم (**حقيقة**) وهي كما مر حال غالب على القلب، ومن تمكن في الفراسة، وتوالت عليه أنواعها حصلت له المكاشفة والمعاينة، (**وقال أحمد بن عاصم الأنطاكي: إذا جالستم أهل الصدق فجالسوهم بالصدق فإنَّهم جواسيس القلوب**) أي متفحصون عن أحوالها (**يدخلون في قلوبكم ويخرجون منها من حيث لا تحسون**) بهم فإنّه تعالى يطلعهم على ما لا يطلع عليه غيرهم لتسلم قلوبهم من المشوشات، ومن جالسهم بالصدق رجى له الانتفاع، وما قاله بالغ في النصح، فإنّ الصادق من عامل الله بالصدق في سائر أعماله، فمن جالس من هذه حاله بغير الصدق خشي عليه من الآفات، ومن مقت قلوب الصالحين له. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعتُ منصور بن عبد الله يقول: سمعت الخلدي يقول: سمعت أبا جعفر الحدَّاد يقول: الفراسة أوّل خاطر بلا معارض فإن عارض**) الخاطر (**معارض من جنسه، فهو خاطر وحديث نفس**). تقدم إن الخواطر تارة ينشئها الحق تعالى بغير واسطة ويسمى الرباني، وهو المسمى بالفراسة، فلا يكون إلا حقاً وصدقاً، فلا يعارضه شيء لأنه كرامة، وتارة ينشئها بواسطة الملك أو الشيطان أو النفس لأنَّ القلب عليه ملك ونفس وما نشأ بواسطة الملك يعارضه فيه الشيطان والنفس، فكلما أمر الملك بخير عارضه الشيطان والنفس بشر، وكلما أمر الشيطان أو النفس بشر عارضه الملك بخير إلى أنْ يقوي الله العبد ويزين له ما يدعو إليه الملك، كما قال تعالى: و ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ٧] ممتناً على عباده بذلك، (**ويحكى عن أبي عبد الله**

اتفاقاً. (**قوله: تكون ظناً**) أي لأنها من العاديات الناشئة عن تحكيم القرائن. (**قوله: أي يقين**) أي وذلك لأنها علوم إلٰهية تطرق القلوب لا تحتمل التردّد. (**قوله: فجالسوهم بالصدق**) أي بالصدق في التسليم لما يبدو منهم من الأقوال والأفعال، وغاية التباعد عن شوائب الاعتراض عليهم في حركاتهم وسكناتهم، وقوله: فإنَّهم جواسيس الخ تعليل لذلك.

(**قوله: يدخلون في قلوبكم الخ**) أي يشرفون على ما في القلوب بعلم مكاشفاتهم، ويرجعون كذلك من غير شعور بذلك منكم. (**قوله: خشي عليه من الآفات**) أي من آفات الإعتراض، وعدم التسليم، وقوله: ومن مقت الخ أي، ومن غضب قلوب الصالحين والضمير في قوله: له يعود على المعترض. (**قوله: الفراسة أوّل خاطر الخ**) غرضه بيان الفرق بين الخاطر الرباني الحاصل بدون واسطة وبين غيره مما يكون بواسطة ملك أو غيره. (**قوله: إلى أنْ يقوي الله العبد**) أي السابق عناية الحق له. (**قوله: ودعا بنار**

الرازي نزيل نيسابور قال: كساني ابن الأنباري صوفاً، ورأيت على رأس) شيخي (**الشبلي قلنسوة ظريفة تليق بذلك الصوف، فتمنيت في نفسي أن يكونا جميعاً لي، فلما قام الشبلي من مجلسه التفت إليّ**) أي اتبعني (**فتبعته وكان عادته**) أنه (**إذا أراد أن أتبعه يلتفت**) وفي نسخة التفت (**إليّ، فلما دخل داره دخلت**) معه (**فقال لي: انزع الصوف فنزعته فلفه وطرح القلنسوة عليه، ودعا بنار فأحرقهما**) بها اقتداء بموسى عليه السلام في تحريقه ما كان فتنة لبني إسرائيل في دينهم، وبسليمان عليه السلام فيما فعله بالخيل، فإنها لما شغلته عن عبادته حتى توارت الشمس بالحجاب، فقال: ردّوها علي، فطفق مسبحاً بالسوق والأعناق، وروي أنّ أحمد بن أبي الحواري غرق كتبه في البحر، وقال: إنما أردتك لمعرفة الله تعالى، وإذا عرفته فلا حاجة لي بك، وروي أنّ أحمد بن حنبل دفن كتبه، واحتملت هذه الأفعال وإن كان فيها إضاعة مال، وهي منهي عنها في شريعتنا لأنّ محل النهي عنها إذا كانت لغير التداوي لا للتداوي لا سيما الأمراض الدينية كما هنا إذ فيه قطع النفس عن شهوات مضرة في الدين، (**وقال أبو حفص النيسابوري: ليس لأحد أنْ يدعي الفراسة، ولكن يتقي الفراسة من الغير لأنّ النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن» ولم يقل تفرسوا، فكيف يصح دعوى الفراسة لمن**) أي ممن (**هو في محل اتقاء الفراسة**) يعني ليس لأحد أن يدعيها كاذباً وإلا فلو منَّ الله عليه بها كان له دعواها وذكرها لمن ينتفع بها، وقد نقل أن الجنيد وغيره بلغهم عمن اشتهر بالفراسة، فقصدوه وامتحنوه ووجدوه كما قيل وقد تقدمت قضية الأنطاكي الذي أتى من الجبل ومعه شيء يبيعه مع من جاءه واختبره وأما أنه ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن» ولم يقل: تفرسوا فلأن الفراسة غير مكتسبة كما مر فلا تطلب، (**وقال أبو العباس ابن مسروق: دخلت على شيخ**) مريض (**من أصحابنا أعوده، فوجدته على حالة رثة، فقلت في نفسي: من أين يرتقي هذا الشيخ: فقال لي: يا أبا العباس دع عنك هذه الخواطر الدنيئة، فإن لله تعالى ألطافاً**

فأحرقهما بها) أقول: لما كان الشيخ من أطباء القلوب وشأن الطبيب أنْ يعالج كل مريض بما يصلح له قد ساغ له مثل هذا الإحراق. (**قوله: ليس لأحد أن يدعي الفراسة**) أي ولا غيرها من باقي المقامات إذ الدعوى من مطفئات النور ولو كانت بحق، فدعوة المرء تطفيء بهجته ولو بحق، فكيف المدعي زللاً فالكمال كله في التبري من الحول والقوّة بشهود المنعم دون النعم. (**قوله: وذكرها لمن ينتفع بها**) أي أو للتحدث بالنعمة إذا اقتضاه الحال، وأمن على نفسه من الاغترار. (**قوله: غير مكتسبة**) أي لكونها من غير مقدورات العبد إذ هي خواطر ربانية وهذا ظاهر في الفراسة الإلهية أما العادية الناشئة عن تحكيم القرائن فلا يظهر فيها ذلك. (**قوله: فقد تكون نعم الله الخ**) بل لك أنْ تقول: إنها

خفية) فلا تنظر لظاهر الحال فقد تكون نعم الله على بعض عبيده في قلوبهم وإن كانت خفية عن الخلق أعظم من نعمه الظاهرة، **(ويحكى عن الزبيدي قال: كنت في مسجد ببغداد مع جماعة من الفقراء فلم يفتح علينا بشيء أياماً، فأتيت الخواص لأسأله شيئاً، فلما وقع بصره علي قال: الحاجة التي جئت لأجلها يعلمها الله أم لا؟ فقلت: بلى)** يعلمها **(فقال: اسكت ولا تبديها)** أي تظهرها **(لمخلوق، فرجعت ولم ألبث إلا قليلاً حتى فتح علينا بما فوق الكفاية)**، فيه طلب السعي فيما يقوي الله به اليقين. **(وقيل: كان سهل بن عبد الله يوماً في الجامع فوقع حمام في المسجد من شدّة ما لحقه من الحر والمشقة فقال سهل: إن شاهاً الكرماني مات الساعة إنْ شاء الله، فكتبوا ذلك فكان)** الأمر **(كما قال:)** وذلك لأنَّ وقوع الطائر في المسجد من شدّة الحرّ خلاف عادته في كل زمن، فلما رآه سهل وقع في نفسه إنَّ شاهاً الكرماني الذي هو حمام مسجد بلده لكثرة ملازمته المسجد مات. **(وقيل: خرج)** الشيخ **(أبو عبد الله التروغنذي)** نسبة إلى تروغنذ بالغين والذال المعجمتين **(وكان كبير الوقت إلى طوس، فلما بلغ خرو قال لصاحبه:)** وهو تلميذه **(اشتر)** لنا **(الخبز فاشترى ما يكفيهما فقال: اشتر أكثر من ذلك فاشترى صاحبه ما يكفي عشرة أنفس تعمداً)** أي قصداً **(فكأنّه لم يجعل لقول ذلك الشيخ تحقيقاً)** أي وقعاً **(قال: فلما صعدنا إلى الجبل إذا بجماعة قيدتهم اللصوص لم يأكلوا منذ مدّة، فسألونا الطعام فقال لي: قدم إليهم السفرة)** فقدمتها إليهم فيه تنبيه على إطلاع الشيخ على أحوال هؤلاء المقيدين، وكونهم جياعاً، فأمر بتكثير شراء الخبز، فهذه فراسة. **(قال الأستاذ الإمام)** المملي رحمه الله: **(كنت بين يدي الأستاذ الإمام أبي علي)** الدقاق **(رحمه الله يوماً، فجرى حديث الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي رحمه الله وأنّه يقوم في السماع موافقة للفقراء فقال الأستاذ أبو علي: مثله في حاله)** ومقامه يفعل هذا **(لعل السكون أولى)** وأليق **(به ثم قال في ذلك المجلس: امض إليه فستجده وهو قاعد في بيت كتبه، وعلى وجه الكتب مجلدة)** بتشديد اللام**(حمراء مربعة صغيرة فيها أشعار الحسين بن منصور،**

هي النعم في الحقيقة لأن ما يفاض على القلوب قد يعجز العبد عن التعبير عنه. **(قوله: يعلمها الله أم لا)** أقول: دعاه إلى ذلك الترديد حكم الإرشاد وإلا فالأدب واللائق تركه. **(قوله: وقيل: كان سهل الخ)** ظاهر ذلك أنه من الفراسة العادية الناشئة عن تحكيم القرائن مع أنه للكرامة أقرب كما هو ظاهر. **(قوله: فهذه فراسة)** أي وهي من نوع الكرامة. **(قوله: لعل السكون أولى به)** أي كما هو شأن الكمل من العبيد قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡجِبَالَ تَحۡسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِۚ﴾ [النمل: ٨٨]. **(قوله: فاحمل تلك المجلدة الخ)** لعله

فاحمل تلك المجلدة، ولا تقل له شيئاً وجئني بها وكان) الوقت (وقت هاجرة فدخلت عليه، فإذا هو في بيت كتبه، والمجلدة موضوعة بحيث ذكر) الأستاذ أبو علي (فلما قعدت أخذ الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي رحمه الله في الحديث وقال: كان بعض الناس) أي إنسان (ينكر على أحد) أي وأحد (من العلماء حركته في السماع فرؤي ذلك الإنسان يوماً خالياً في بيت وهو يدور كالمتواجد فسئل عن حاله فقال: كانت مسألة مشكلة علي، فتبين معناها، فلم أتمالك من السرور حتى قمت أدور فقيل له: مثل هذا يكون حالهم) أي الفقراء، ومن وافقهم، فلا ينكر على أحد (فلما رأيت ما أمرني به الأستاذ أبو علي رحمه الله، وما وصف لي على الوجه الذي قال وجرى على لسان الشيخ أبي عبد الرحمن ما كان قد ذكره به تحيرت وقلت: كيف أفعل بينهما ثم فكرت في نفسي وقلت: لا وجه إلا الصدق فقلت) للشيخ أبي عبد الرحمن: (إنَّ الأستاذ أبا علي وصف لي هذه المجلدة، وقال لي: احملها إليّ من غير أنْ تستأذن الشيخ، وأنا هو ذا أخافك وليس يمكنني مخالفته، فأي شيء تأمرني فأخرج) مجلداً آخر (مسدساً من كلام الحسين) بن منصور (وفيه تصنيف له) أي للشيخ أبي عبد الرحمن (سماه كتاب الصيهور في نقض الدهور) ألفه في الرد على الدهرية القائلين بقدم العالم والصهيور مشتق من الصهر بمعنى ما في قوله تعالى: ﴿يُصْهَرُ﴾ أي يذاب ﴿مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ﴾ [الحج: ٢٠]، (وقال) لي: (احمل هذا) المجلد (إليه وقل له: أني أطالع تلك المجلدة، فأنقل منها أبياتاً إلى مصنفاتي فخرجت) من عنده إليه، وبذلك علم أنّ كلاً من شيخي المؤلف كاشف الآخر بما جرى في مجلسه، وأنَّ المؤلف فهم أنّ السلميّ كاشف الدقاق بما قاله، ولهذا تحير. (ويحكى عن الحسن الحداد رحمه الله أنه قال: كنت عند أبي القاسم المنادي، وعنده جماعة من الفقراء فقال لي: اخرج وأتهم بشيء) يأكلونه (فسررت حيث أذن لي في التكلف للفقراء، وأن آتيهم بشيء بعد ما علم فقري قال: فحملت مكتلاً) هو شبه الزنبيل يسع خمسة عشر صاعاً (وخرجت فلما أتيت كة سيار رأيت شيخاً بهما فسلمت عليه

تحقق الرضا فلم يستأذن في الأخذ. (قوله: فقال كانت مسألة مشكلة الخ) أي فلم تكن الحركة للعبث بل للسرور بالظفر بفهم نفيس معناها. (قوله: فلا ينكر على أحد) أي لأنَّ اللوم لؤم ولا ينتج خلاف الشؤم. (قوله: وقلت: كيف أفعل بينهما؟) أي مع ثبوت كرامتهما. (قوله: فاخرج مجلداً آخر الخ) لعله رأى أنه فيه الغرض للأستاذ وزيادة. (قوله: ويحكى عن الحسن الحدّاد الخ) فيه إشارة إلى أنَّ من انقطع إلى الله وأراد سبيل الوصول إليه لا ينبغي له أنْ يتلوث بطعام، أو غيره فيه شبهة. (قوله: سكة سيار) هو اسم

وقلت) له: (جماعة من الفقراء في موضع) محتاجون إلى طعام (فهل لك أن تتخلق معهم بشيء فأمر) خادمه بإخراج ما عنده (حتى إذا أخرج إليّ شيئاً من الخبز واللحم، والعنب، فلما بلغت الباب) أي باب أبي القاسم (نادى) في (أبو القاسم المنادي من وراء الباب) بأنْ قال: (ردّه إلى الموضع الذي أخذته منه، فرجعت واعتذرت إلى الشيخ) الذي أمر بإخراج ذلك (وقلت: لم أجدهم وعرضت بأنّهم تفرقوا، أو رددت السبب) يعني الطعام (عليه ثم جئت السوق، ففتح عليّ بشيء فحملته فقال) لي حين بلغت الباب: (أدخل) فدخلت (فقصصت عليه القصة فقال: نعم) أي صدقت (ذاك ابن سيار رجل سلطاني) أي منسوب إلى السلطان وطعامه ليس بصاف (إذا جئت للفقراء بشيء فأتهم بمثل هذا لا بمثل ذاك) محل الاستدلال على الفراسة أمره له بردّ طعام ذلك الشيخ لما ذكر وإذنه له بالدخول بما أتى به ثانياً، ولم يكن رآه في الحالين، ولا علم ما معه إلا بالفراسة.

(وقال أبو الحسين القرافي: زرت أبا الخير التيناتي) وهو في المسجد (فلما ودّعته خرج معي إلى باب المسجد، وقال لي: يا أبا الحسين أنا أعلم أنك لا تحمل معك) لنفسك (معلوماً) تعتمد عليه (ولكن احمل معك هاتين التفاحتين، فأخذتهما ووضعتهما في جيبي، وسرت فلم يفتح لي بشيء ثلاثة أيام فأخرجت واحدة منهما) عند حاجتي إلى أكلها (فأكلتها ثم أردت) عند حاجتي ثانياً إلى الأكل (أن أخرج الثانية) لآكلها (فإذا هما جميعاً في جيبي، فكنت آكل منهما، ويعودان) أي وهما باقيتان بحالهما وبقيت على ذلك (إلى) أنْ انتهيت في سفري إلى (باب الموصل فقلت في نفسي: إنهما يفسدان عليّ حال توكلي إذا صارتا) أي مجموعهما (معلوماً فأخرجتهما من جيبي بمرّة) أي بالكلية لأستريح منهما، ولئلا يسكن قلبي بغير الله (فنظرت) ثم (فإذا فقير) مريض (ملفوف في عباءة يقول: اشتهي تفاحة فناولتهما إياه فلما عبرت) أي جاوزته (وقع) أي خطر (لي أنّ الشيخ إنما بعثهما إليه، وكنت في رفقة في الطريق) وجاوزناه جميعاً (فانصرفت) عنهم ورجعت (إلى الفقير) لأسأله

رجل منسوب إلى السلطنة كما يأتي. (قوله: فهل لك أن تتخلق الخ) مراده تفعل معهم شيئاً من مكارم الأخلاق. (قوله: فأكلتها) لعله سوغ له ذلك ظنه القويّ أنّه المقصود مع قيام الضرورة به.

(قوله: فقلت: في نفسي الخ) أي وهكذا ينبغي للكامل أن يقطع علائقه مما سوى الله تعالى. (قوله: أكل غيرهما) أي مما يوجده الحق إكراماً لمن أرسل التفاح، ومن قصد به من الفقراء. (قوله: وقوله: لا الخ) المراد الجواب عما عساه يخطر بالبال في حق الجنيد مع

الدعاء وانتفع به (فلم أجده)، في ذلك دلالة على أنَّ أبا الخير كوشف بحال الفقير، وأنّه كان يتمنى التفاح وليس هو ببلده، فلما وجد أبا الحسين مسافراً لتلك الجهة حمله التفاحتين أمانة لكنه لم يبين له المقصود منهما حتى يتبينه هو بنفسه، ويعرف صدق همة أبي الخير في الإرسال وأنّه كان إذا أدخل يده في جيبه ليأكل منهما أكل غيرهما، وبقيتا معه أمانة. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن علي يقول: سمعت أبا عمر بن علوان يقول: كان شاب يصحب الجنيد، وكان يتكلم على خواطر الناس فذكر**) ذلك (**للجنيد فقال له الجنيد: أيش هذا الذي ذكر عنك فقال للجنيد: أعتقد**) أي اضمر في قلبك (**شيئاً**) لتعرف به ذلك (**فقال**) له: (**اعتقدت فقال**) له: (**الشاب: اعتقدت كذا وكذا فقال**) له (**الجنيد: لا فقال**) له الشاب: اعتقد شيئاً (**ثانياً ففعل فقال: اعتقدت كذا وكذا فقال**) له الشاب: (**ثالثاً فقال: مثله**) أي كل منهما قال مثل ما قال أوّلاً وثانياً (**فقال**) له (**الشاب: هذا عجب أنت صدوق وأنا أعرف قلبي**) وما فيه (**فقال**) له (**الجنيد: صدقت في الأوّل والثاني والثالث، ولكني أردت أن أمتحنك هل يتغير قلبك**) أو لا فوجدته لم يتغير، وقوله: لا في كل مرة ليس بكذب، وإنما هو تعريض، ومعناه لا يكفيني ذلك في الامتحان، ومحل الاستدلال على الفراسة إطلاع الشاب على ما أضمره الجنيد ثلاث مرات، وتصديق الجنيد له على ما قال، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: اعتل ابن الرقي**) أي مرض (**فحمل إليه دواء في قدح فأخذه، ثم قال: وقع اليوم في المملكة حدث**) أي أمر عظيم والله (**لا آكل ولا أشرب**) الدواء (**حتى أعلم ما هو**) أي الحدث (**فورد الخبر بعده بأيام أنَّ القرمطي دخل مكة في ذلك اليوم، وقتل بها تلك المقتلة العظيمة. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربي يقول: ذكر لابن الكاتب هذه الحكاية فقال: هذا عجب فقلت: هذا ليس بعجب فقال لي أبو علي بن الكاتب: أيش خبر مكة حرمها الله تعالى اليوم فقلت: هو ذا تحارب الطلحيون**) أي بنو طلحة (**وبنو الحسن ومقدّم الطلحيين**) رجل (**أسود عليه عمامة حمراء، وعلى مكة اليوم غيم على مقدار الحرم فكتب أبو علي**) بن الكاتب (**إلى مكة فكان**) الأمر (**كما ذكرت له**)، في ذلك مكاشفتان إحداهما لابن الرقي، والأخرى لأبي عثمان المغربي. (**ويروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دخلت على عثمان بن عفان رضي الله عنه وكنت**

حفظه عن مثله. (**قوله: فورد الخبر الخ**) فيه دلالة على ثبوت كرامته نفعنا الله به.

(**قوله: قال: دخلت على عثمان الخ**) هو غير بعيد كيف وهو ذو النطاقين

رأيت في الطريق امرأة تأملت محاسنها، فقال عثمان رضي الله عنه، يدخل عليّ أحدكم وآثار الزنا ظاهرة عى عينيه، فقلت له: أوحي بعد رسول الله ﷺ فقال، لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة) سمى النظرة بشهوة زنا لخبر: «زنا العينين النظر والفرج يصدّق ذلك ويكذبه». (وقال أبو سعيد الخراز: دخلت المسجد الحرام فرأيت فقيراً عليه خرقتان يسأل الناس شيئاً فقلت في نفسي: مثل هذا) في كونه عاجزاً سائلاً للناس (كَلٌّ) أي ثقل (على الناس فنظر إليّ وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، قال: فاستغفرت) الله (في سري) وتبت إليه (فناداني وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]) فيه مع دلالته على الفراسة جواز الطلب عند الحاجة لأرباب الأحوال. (وحكي عن إبراهيم الخواص أنّه قال: كنت ببغداد في جامع المدينة، وهناك جماعة من الفقراء فأقبل علينا شاب ظريف طيب الرائحة حسن الحرمة) وفي نسخة الخدمة، وفي أخرى الجمة، وهي مجتمع شعر الرأس (حسن الوجه فقلت لأصحابنا: يقع لي) في نفسي (إنّه يهودي فكلهم كرهوا ذلك) واستبعدوه (فخرجت وخرج الشاب، ثم رجع إليهم، وقال: أيش قال الشيخ فيّ: فاحتشموه) أنْ يذكروا له ما قاله فيه: (فألح عليهم) فيه (فقالوا) له: (قال) فيك: (إنّك يهودي قال: فجاءني وأكب على يدي وأسلم فقيل له ما السبب) في ذلك (فقال) إنا (نجد في كتبنا أنَّ الصديق لا تخطىء فراسته فقلت:) أنا (أمتحن المسلمين فتأملتهم وقلت: إنْ كان فيهم صدّيق ففي هذه الطائفة) الصوفية (لأنّهم يقولون:) وفي نسخة يتلون (حديثه) أي كلامه (سبحانه فلبست عليكم) إلا (فلما أطلع هذا الشيخ عليّ وتفرس فيّ) ما قاله (علمتُ أنّه صدّيق وصار الشاب من كبار الصوفية) في ذلك مع دلالته على الفراسة أنَّ من اشتغل بكلام الله وعمل به بلغه الله درجة الصديقية (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن إبراهيم بن العلاء يقول: سمعت محمد بن داود يقول: كنا عند الجريريّ فقال: هل فيكم من إذا أراد الحق سبحانه أن يحدث في المملكة حدثاً أعلمه) به (قبل

والنورين، والخليفة الثالث بإشارة الحق.

(قوله: يصدق ذلك ويكذبه) أي بالفعل أو عدمه. (قوله: فيه مع دلالته الخ) أي وفيه إشارة إلى حفظ القلوب عند الاجتماع بالفقراء كما ينبغي حفظ اللسان مع العلماء.

(قوله: يقع لي في نفسي الخ) سبب مثل هذه الكرامة طهارة القلوب من دنس الأغيار، وحينئذ فلا يقف العبد مع الآثار.

(قوله: فقال: هل فيكم الخ) الغرض بيان ثمرة الاستقامة والزهد والورع، وغير

أن يبديه) أي يظهره في الوجود **(قلنا: لا، فقال: ابكوا على قلوب لم تجد من الله تعالى شيئاً)** لفقدها الفراسة بفقد الاستقامة التي هي الإعراض عن الخلق، وكمال الشغل بالحق تعالى، فلو اتصفت القلوب بذلك عاشت من موت الغفلة، ووجد فيها الإلهام الصحيح والخواطر الصائبة.

(وقال أبو موسى الديلمي: سألت عبد الرحمن بن يحيى عن التوكل) فأجاب بالحال دون المقال **(فقال: لو أدخلت يدك في فم التنين)** وهو نوع من الحيات **(حتى تبلغ الرسغ)** الذي هو محل القطع **(لا تخاف مع الله تعالى شيئاً غيره قال: فخرجت لأبي يزيد لأسأله عن التوكل)** واسمع منه ما يقول فيه: **(فدققت عليه الباب فقال)** لي: مكاشفة **(أليس لك في قول عبد الرحمن كفاية فقلت)** له: **(افتح الباب فقال)** لي: مكاشفة ثانية **(ما زرتني)** أي ما جئتني زائراً بل سائلاً قد **(أتاك الجواب من وراء الباب، ولم يفتح لي الباب قال: فمضيت)** عنه **(ولبثت سنة ثم قصدته فقال: مكاشفة ثالثة (مرحباً جئتني زائراً فكنت)** أي فمكثت **(عنده شهراً)** أنتفع به **(فكان لا يخطر بقلبي شيء إلا حدثني عنه، فعند وداعه لي قلت له: أفدني فائدة فقال: حدثتني أمي أنها كانت حاملاً بي فكانت إذا قدّم لها طعام من حلال امتدت يدها إليه، وإذا كانت فيه شبهة انقبضت يدها عنه)** تضمن ذلك الفراسة في مواضع كما علم، والحث على طلب الحلال، فإنّه من جملة أسباب تطهير القلب ليطلعه على المغيبات، وقد حفظ الله أبا يزيد عن أكل ما فيه شبهة من حين كان في بطن أمه، فإنّ الولد يتغذى من غذاء أُمه فحفظه الله، وهو في بطنها. **(وقال إبراهيم الخواص: دخلت البادية)** وأنا سائر إلى مكة **(فأصابتني شدّة)** في الله تعالى **(فلما بلغت مكة داخلني شيء من الإعجاب)** والسرور بحالي، وكوني قدرت على ما قاسيته من الشدّة في البادية في الله **(فنادتني عجوز يا إبراهيم كنت معك في البادية)** وقاسيت كما قاسيت، ولم يداخلني شيء من الإعجاب **(فلم أكلمك لأني لم أرد أنْ أشغل سرك)** بسماع كلامي لأني

ذلك من الأخلاق الحميدة بذكر ثمرة الفراسة ليحمل السامعين على الجد في المعاملة.

(قوله: فقال: لو أدخلت يدك الخ) أقول: ينشأ هذا من غلبة الخوف على قلب العبد حتى إذا استولى عليه لم يخف غيره تعالى نعم قد يخاف التسليط على أنّه يرجع إلى الخوف منه جل جلاله. **(قوله: بل سائلاً)** أي مع تقدم الجواب عن غيري، وهو شاف. **(قوله: فقال حدثتني أمي الخ)** مراده بيان كرامة أكرمه الله تعالى بها من زمن اجتنانه وهي الاقتصار على الحلال الذي هو من أسباب تنوير القلوب، والتحلي بالتمكن في كامل المقامات ليحمل السامع على مثل هذا الخلق ليصل إلى المقصود. **(قوله: فنادتني عجوز**

كنت محجوبة عنك، فلو كلمتك لسمعت صوتي، ولم ترني فتتشوّش من ذلك **(أخرج عنك هذا الوسواس)** أي حديثك نفسك بما كنت فيه مما قاسيته في البادية. **(وحُكي أنَّ الفرغاني كان يخرج كل سنة إلى الحج، ويمر بنيسابور، ولا يدخل على أبي عثمان الحيري قال: فدخلت عليه مرة وسلمت عليه، فلم يردّ عليَّ السلام فقلت في نفسي: مسلم يدخل عليه، ويسلم عليه، فلا يردّ سلامه)** وكان الفرغاني عاقاً لأمه بحجه كل سنة نفلاً بغير رضاها، فلهذا لم يرد عليه أبو عثمان سلامه زجراً له حتى ينكف عن ذلك كما أشار إليه، **(فقال أبو عثمان)** مكاشفة **(مثل هذا يحج ويدع أمه)** أي يتركها **(لا يبرها قال: فرجعت إلى فرغانة)** بلدي **(ولزمتها)** أي فرغانة أو أمي بالبر والخدمة **(حتى ماتت ثم قصدت أبا عثمان، فلما دخلت)** عليه **(استقبلني وأجلسني)** عنده **(ثم أنَّ الفرغاني لازمه وسأله سياسة دابته)** وخدمتها **(فولاه ذلك)** فتولاه **(حتى مات أبو عثمان رحمه الله، وقال خير النساج كنت جالساً في بيتي فوقع لي)** أي مكاشفة **(أنَّ الجنيد)** واقف **(بالباب فنفيت)** ذلك **(عن قلبي فوقع لي)** ذلك **(ثانياً)** فنفيته عن قلبي **(فـ)**ـوقع لي **(ثالثاً فخرجت فإذا)** أنا **(بالجنيد فقال)** لي مكاشفة **(لمَ لم تخرج مع الخاطر الأوّل)** في ذلك دلالة على أنَّ العارفين بالله إذا علقوا هممهم بشيء فعله الله لهم بقلوبهم لأنَّ الحق تعالى يغار على قلوبهم أنْ تشتغل بغيره، **(وقال محمد بن الحسين البسطاميّ: دخلت على أبي عثمان المغربيّ)** بشيء فقبله وكان ممن يقبل ما يأتيه بلا سؤال **(فقلت في نفسي: لعله يشتهي عليّ شيئاً)** فيسألني فيه فأفوز بقضائه **(فقال أبو عثمان)** مكاشفة **(لا يكفي الناس أنْ آخذ منهم حتى يريدوا مسألتي إياهم)** فيه تنبيه على أنَّ السؤال شديد الكراهة، وأنَّ تركه أفضل لمن تيسر له، **(وقال بعض الفقراء: كنت ببغداد فوقع لي)** في قلبي أني تمنيت **(أنَّ المرتعش يأتيني بخمسة عشر درهماً لأشتري بها)** آلة السفر إلى الحج **(الركوة والحبل والنعل، وأدخل البادية قال: فدق عليَّ الباب ففتحـ)**ـه **(فإذا أنا بالمرتعش معه خريقة)** فيها دراهم **(فقال)** لي

الخ) تأمل فضل ربك، فهو لا يختص بذكر ولا أنثى، وتدبر تمكن هذه العجوز حتى فاقت مثل هذا الشيخ، ورضي الله تعالى عن عباده الصالحين.

(قوله: وسأله سياسة دابته الخ) انظر قوّة هضمهم وخضوعهم في طلب مرضاة وسايطهم إلى الحق تبارك وتعالى. **(قوله: فعله الله لهم بقلوبهم)** أي بواسطة صفاء قلوبهم لتعلقها بربهم، وذلك لتدوم على هذا النعت، فلا تشتغل بغيره. **(قوله: فيه تنبيه الخ)** أي ولذا قيل:

لا تسألنّ بني آدم حاجة ... وسل الذي أبوابه لا تحجب

(خذها فقلت) له: (يا سيدي لا أريد فقال) لي: مكاشفة (فلم تؤذينا) بتمنيك ما أطلعني الله عليك وأتيتك به (كم أردت) من الدراهم (فقلت: خمسة عشر درهماً فقال) لي: خذها (هي خمسة عشر درهماً) فيه دلالة على صحة فراسة المرتعش، ومكاشفته لما وقع في قلب الفقير، وعلى صدق الفقير فيما أتاه به المرتعش حتى حرك الله قلبه، وأتى به إلى بابه، (وقال بعضهم في) تفسير (قوله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام: ١٢٢] (أي ميت الذهن) وفي نسخة الذكر (فأحياه الله بنور الفراسة وجعل) وفي نسخة ويجعل (له نور التجلي والمشاهدة) وهو بذلك (لا يكون كمن يمشي بين أهل الغفلة غافلاً) وذلك لأنَّ الغفلة موت واليقظة حياة، والجهل موت وظلمة، والفراسة حياة ونور، ونور المكاشفة أفضل الأنوار لأنَّ الله إنما يخص به أولياءه، (وقيل: إذا صحت الفراسة ارتقى صاحبها إلى المشاهدة) والمعاينة.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن (السلميّ رحمه الله) يقول: سمعت محمد بن الحسين البغدادي يقول: سمعت جعفر بن محمد بن نصير يقول: سمعت أبا العباس بن مسروق يقول: قدم علينا شيخ فكان يتكلم علينا في هذا الشأن) أي طريق الصوفية (بكلام حسن، وكان عذب اللسان جيد الخاطر فقال لنا في بعض كلامه: كل ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي) لأعرف ما عندكم وأجيبكم عنه (فوقع في قلبي أنَّه يهودي وكان الخاطر يقوى) عليّ بذلك (ولا يزول) عني فذكرت ذلك للجريريّ فكبر أي عظم (عليه ذلك فقلت: لا بدّ أنْ أخبر الرجل) أنَّ الشيخ (بذلك فقلت:) إنك (تقول لنا: ما وقع لكم في خاطركم فقولوه لي: أنّه يقع لي) في خاطري (إنك يهودي فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال: صدقت أشهد أنْ لا إله إلا الله، وأشهد أنَّ محمداً رسول الله وقال) بعد إسلامه: (قد مارست) أي عالجت (جميع المذاهب) أي

الله يغضب إنْ تركت سؤاله　　　وبني آدم حين يسأل يغضب

(قوله: لم تؤذينا الخ) لعل وجه التأذي أنَّه ينبغي من ذلك الفقير وغيره أنْ يوجهوا مقاصدهم إلى الله تعالى في كامل مصالحهم الدينية والدنيوية، ويكره منهم غير ذلك، وإلا فهو من الكاملين في حب الخير والإحسان.

(قوله: وذلك لأنَّ الغفلة موت) أي مثله في عدم الانتفاع بمن قاما به بل الغفلة أضر، وقوله: واليقظة أي انتباه القلب حياة أي مثلها في الانتفاع بل هي الحياة في الحقيقة، ومثل ذلك يقال فيما بعده. (قوله: وقيل: إذا صحت الفراسة الخ) لعل المراد بها العادية، وإلا فالإلهية من نوع المشاهدة والمعاينة. (قوله: فوقع في قلبي الخ) أقول: لا شك ولا ريب في كون ذلك الواقع له من قبيل الإلهام الحق والإنباء الصدق بواسطة

الطرق أي أهلها (**وكنت أقول: إنْ كان مع أحد**) وفي نسخة مع قوم منهم (**شيء فمع هؤلاء فداخلتكم لأختبركم فأنتم على الحق**) فبذلك أسلم (**وحسن إسلامه**) هذه قريبة من الفراسة التي وقعت في الشاب الظريف أنّه يهودي. (**ويحكى عن الجنيد أنّه كان يقول له**) شيخه (**السري: تكلم على الناس**) وذكرهم (**فقال**) له (**الجنيد:**) لا أستحق ذلك عندي (**وكان في قلبي حشمة**) أي مهابة (**من الكلام على الناس فإني كنت اتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت ليلة النبي ﷺ في المنام وكانت**) الليلة (**ليلة جمعة فقال لي: تكلم على الناس فانتبهت وأتيت باب السريّ قبل أنْ أصبح، فدققت عليه الباب فقال**) لي: مكاشفة (**لم تصدقنا حتى قيل لك:**) أي قال لك النبي ﷺ ما قلناه لك (**فقعد الناس في الجامع بالغد فانتشر في الناس أنّ الجنيد قعد يتكلم على الناس فوقف عليه غلام نصرانيّ متنكراً، وقال له: أيها الشيخ ما معنى قول رسول الله ﷺ «اتقوا فراسة المؤمن، فإنّ المؤمن ينظر بنور الله تعالى» قال: فاطرق الجنيد ثم رفع رأسه**) إليه (**وقال**) له: مكاشفة بأنّه نصراني وأنّه حان وقت إسلامه (**أسلم فقد حان**) أي قرب (**وقت إسلامك فأسلم الغلام**) وحسن إسلامه.

قوّة نور القلب. (**قوله: هذه قريبة من الفراسة**) أي وكلاهما من نوع الكرامة. (**قوله: ويحكى عن الجنيد الخ**) في ذلك تنبيه على أنّ الشيخ إذا وجد في تلامذته من يصلح للإرشاد ينبغي له أنّه يأمره به، وإشارة إلى صدق ما فهمه السريّ في الجنيد وإلى دوام اتهام الجنيد نفسه كما هو شأن الكمل من العبيد، فرضي الله تعالى عن الجميع وعنا ببركاتهم.

باب الخلق

هو بضم الخاء مع ضم اللام وإسكانها بسط الوجه، وكف الأذى، وبذل الندى، ويقال غير ذلك كما سيأتي وهو ممدوح ومطلوب. **(قال الله تعالى)** في حق النبي ﷺ ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] **أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي** رحمه الله **(قال: أخبرنا أبو الحسن الصفار البصري قال: أخبرنا هشام)** وفي نسخة تمّام **(بن محمد بن غالب قال: حدثنا معلى بن مهدي قال: حدثنا بشار بن إبراهيم النميري قال: حدثنا غيلان بن جرير عن أنس قال: قيل يا رسول الله أيّ المؤمنين أفضل إيماناً قال: «أحسنهم خلقاً»)** بأن يتخلى عن الأخلاق الذميمة كالشره، والرياء، والعجب والكبر والحسد، ويتحلى بالأخلاق الحميدة كالقنع، والورع، والزهد،

باب الخلق

أي الخلق الحسن، وهو جبلي وكسبي، والثاني يقال له: تخلق وعلى كل منهما فهو من أسباب سعادة الدارين كيف وقد أثنى الحق تعالى على رسوله ﷺ بالخلق حيث قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] فعلى العبد أنْ يتخلق بمكارم الأخلاق، ويستعين على ذلك بكثرة الجلوس مع من خلقهم كذلك، فإنَّ الشيء بالتخلق قد يصير خلقاً، واعلم أنَّ حسن الخلق من أعظم ما أنعم الله به على عباده المقربين المحبوبين لظهور ثمرته دنيا وأخرى. **(قوله: بسط الوجه الخ)** أقول بيان الخلق بما ذكره من قبيل الاقتصار على بعض المعنى، وإلا فجماعة التخلي من الصفات المذمومة، والتحلي بالصفات المحمودة على طريق علم الشريعة المحمدية. **(قوله: قال الله تعالى: الخ)** دليل لقوله: وهو ممدوح ومطلوب إذ الثناء بشيء يقتضي محبته وطلبه. **(قوله: وإنك لعلى خلق عظيم)** أي لا يدرك شأوه أحد من الخلق، ولذلك تتحمل من جهتهم ما لا يتحمله أحد من البشر، وسئلت عائشة رضي الله تعالى عنها عن خلقه ﷺ فقالت: كان خلقه القرآن ألست تقرأ القرآن ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١]، وهذه الجملة كالتي قبلها معطوفة على جواب القسم كما لا يخفى على من له إلمام بالتفسير. **(قوله: قال: أحسنهم خلقاً)** أي فأفاد ﷺ بذلك أنَّ حسن الخلق من أمارات قوة الإيمان لأنه مع التمسك بشاهد المتابعة للإنسان الكامل يتخلى عن الذميم، ويتحلى بالحميد من الأخلاق. **(قوله: «إذ الخلق الحسن» الخ)** تعليل

والتوكل، والرضا، فيصل إلى أفضل المناقب (**إذ الخلق الحسن أفضل مناقب العبد، وبه يظهر جواهر الرجال، والإنسان مستور بخلقه**) بفتح الخاء أي يصرف أفعال أعضائه لما خلقت له (**مشهور بخلقه**) بضمها. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: إنّ الله سبحانه خص نبيه ﷺ بما خصه به**) مما هو معلوم (**ثم لم يثن عليه بشيء من خصاله**) الحميدة التي اتصف بها (**بمثل ما أثنى عليه بخلقه فقال: عز من قائل ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ وقال الواسطي: وصفه**) الله (**بالخلق العظيم لأنّه جاد بالكونين**) أي بحظ الدنيا وحظ الآخرة، فلم يقف عند شيء منهما لاشتغاله بربه (**واكتفى بالله تعالى**) ولهذا كان أفضل الخلق، وقال: «أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وآدم ومن دونه تحت لوائي ولا فخر»، (**وقال الواسطي أيضاً: الخلق العظيم أنْ لا يخاصم**) العبد غيره (**ولا يخاصم**) بأنْ يعفو عمن يخاصمه وذلك (**من شدة معرفته بالله عز وجل، وقال الحسين بن منصور معناه**) أي الخلق العظيم أنّه (**لم يؤثر فيك جفاء الخلق بعد مطالعتك الحق**) بأنْ تعرض عن الأسباب، وتنظر إلى مسببها، (**وقال**

لقوله: قال: «أحسنهم خلقاً». (**قوله: وبه يظهر جواهر الرجال**) أي جواهر نفوسهم لأنّ فيها نفوساً جوهرية لصفائها من الأكدار الحيوانية الشهوانية، وأخرى ظلمانية لتلوثها برجس الحظوظات البشرية، والذي يظهر هذه من تلك إنما هو الخلق.

(**قوله: مستور بخلقه**) أي لأنّه قد يخفى على كثير من أبناء جنسه نوع خصوصيته ومنه، ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾ [الفرقان: ٧]، وقوله: مشهور بخلقه أي لأنّه بالمخالطة مع الغير يصير مشتهراً بالمكارم، ويدل للشق الأول قول صاحب الحكم: سبحان من ستر سر الخصوصية بظاهر أحكام البشرية.

(**قوله: بما خصه به الخ**) إنما أبهمه لأنّ قدرة البشر لا تقوى على حصره حيث هو ﷺ جماع سائر الكمالات. (**قوله: وإنك لعلى خلق عظيم**) لعل الإقتصار في الثناء الحق على ذلك لأنّه جماع البر، وأصل الخير في الدين والدنيا. (**قوله: لأنّه جاد بالكونين**) أي على معنى أنّ قلبه المقدس لم يتعلق بشيء منهما، ولم يشتغل به لذاته.

(**قوله: ولهذا كان أفضل الخلق**) أي لكونه جاد بالكونين، واكتفى بالله تعالى حاز هذا الفضل العظيم الذي هو فضله على ما سواه تعالى مما أبرزته القدرة بالفعل وغيره. (**قوله: أنْ لا يخاصم الخ**) أي لا يبتدىء غيره بالمخاصمة، ولا يعامل من بدأه بها بل يعفو ويصفح، فقوله: بأنْ يعفو الخ تصوير لقوله: أولاً أنْ لا يخاصم الخ.

(**قوله: إنه لم يؤثر فيك جفاء الخلق الخ**) أي على معنى أنّه لا تأخذه في الله لومة لائم بل يصدع بالحق وذلك خلق محمدي. (**قوله: بأنْ تعرض عن الأسباب الخ**) الغرض

أبو سعيد الخراز:) معناه أنّه (**لم يكن لك همة غير الله تعالى**) بأنْ يفرده تعالى بأعماله في كل حال. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ**) رحمه الله (**يقول: سمعت الحسين بن أحمد بن جعفر يقول: سمعت الكتاني يقول: التصوف خلق**) حسن (**من زاد عليك بالخلق**) الحسن (**فقد زاد عليك في التصوف**) لأنّ التصوف مأخوذ من الصفاء من الكدورات والإتصاف بأفضل المأمورات، والخلق الحسن في معنى ذلك، (**ويروى**) وفي نسخة ورُوي (**عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: إذا سمعتموني أقول لمملوك**) لي (**أخزاه الله تعالى فاشهدوا**) على (**أنّه حرّ**) كره رضي الله عنه أنْ يجري على لسانه الخزي لكونه عبارة عن دخول النار، والبعد من لطف الله ورحمته، فإذا أراد العبد أنْ يداوي نفسه لكثرة سهوه، فيعزم على أنّه متى وقع له سهو عاقب نفسه بما يؤلمها من فراق محبوباته، (**وقال الفضيل: لو أنّ العبد أحسن الإحسان كله وكانت له دجاجة فأساء إليها لم يكن من المحسنين**) الكاملين لأنّ كمال الإحسان أنْ لا يكون منه إساءة على أحد فيبدأ بنفسه فيما بينه وبين ربه، ثم فيما بينه وبين خلقه، وقد قيل للجنيد: ما تقول: فيمن لم يبق عليه من شهوات الدنيا إلا مص نواة فقال: «المكاتب عبد ما بقي عليه درهم»، (**وقيل: كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا رأى واحداً من عبيده يحسن الصلاة يعتقه، فعرفوا ذلك من خلقه، فكانوا يحسنون الصلاة**

بيان وجه سهولة الجفاء من الخلق بواسطة شهود مصدر أفعال العباد. (**قوله: والخلق الحسن في معنى ذلك**) أي لأنه لا ينشأ إلا عن نفس صفت عن الشهوات والحظوظ. (**قوله: فاشهدوا على الخ**) أي فمراده تعليق عتقه على ذلك منعاً لنفسه من فحش القول.

(**قوله: من فراق محبوباته**) المراد ما يشمل المفارقة الحكمية المعنوية على ما لا يخفى. (**قوله: لو أنّ العبد أحسن الخ**) تأمل بالمقايسة لإيذاء الأخ المسلم، وحينئذ فالحكيم من يكون على خلق حسن مع سائر الخلق كل بحسبه إذ الحكمة وضع كل شيء في موضعه، ومن أجل ذلك نُقلَ أنّ حكيماً صمت زماناً فقيل له في ذلك: فقال شعراً:

قالوا نراك كثير الصمت قلت لهم ... ما طول صمتي من عي ولا خرس

أأنشر الدرّ فيمن ليس يعرفه ... أم أنشر البز بين العمي في الغلس

فالحكيم من يطوي الغرائب عن غير أهلها وينشرها في محلها شعر:

أطوي الغرائب عمن ليس يعرفها ... فربما جرت الأقدام للزلل

(**قوله: لم يكن من المحسنين**) أي ويدل له خبر: «كل راع مسؤول عن رعيته».
(**قوله: فيبدأ بنفسه**) أي لأجل أنْ يتهيأ بعد ذلك لمعاملة الخلق.

(**قوله: فقال «المكاتب عبد» الخ**) أي والضرر في استصغار الصغير لأنه ينقله إلى

مرآة له، وكان يعتقهم فقيل له في ذلك: فقال: من خدعنا في الله انخدعنا له) ولم يلتفت لقول القائل، ولما نقله إليه من أنَّ فعلهم رياء، وبقي على حسن ظنه نظراً لظاهر عملهم من أنَّهم أرادوا به الله، وفيه مع ذلك دلالة على حسن خلقه، وقلة قدر الدنيا في عينه وسهولة إخراجها عليه (**سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت محمد بن عبد الله الرازيّ يقول: سمعت أبا محمد الجريريّ يقول: سمعت الجنيد يقول: سمعت الحرث المحاسبي يقول: فقدنا ثلاثة أشياء حسن الوجه مع الصيانة**) أي العفاف والسلامة من العجب والكبر (**وحسن القول مع الأمانة، وحسن الإخاء**) أي المؤاخاة في الله بأنْ تخلف أخاك في غيبته وتقوم بحقه في حضرته، وتنصحه إنْ رأيت منه زللاً، وتعينه إنْ رأيت منه خيراً، ولا تبخل عليه بشيء، وتتحمل ما يبدو

درجة الكبير. (**قوله: انخدعنا له**) أي إيثاراً للخيرات، ولو ظاهراً فإنَّه قد يكون من أسباب الإخلاص مآلا.

(**قوله: فقدنا ثلاثة أشياء الخ**) أي وذلك لكثرة أصحاب النفوس اللئيمة الذين من شأنهم صد أرباب الأخلاق الكريمة، وذلك لما جبلت عليه من سوء الطباع، وعدم النفع والانتفاع شعر:

نفوس الأراذل من طبعها ... تصدّ الأفاضل عن نفعها
وردّ العقارب عن لسعها ... تكاليف ما ليس في طبعها

فالحسنة بين السيئتين بين الإفراط الممل والتفريط المخل شعر:

توسط إذا ما شئت أمراً فإنّه ... كلا طرفي كل الأُمور ذميم

(**قوله: حسن الوجه مع الصيانة**) أي جمال الذات مع كمال الخلق، وحسن القول مع الأمانة أي الصدق والتخلق بمعناه بحيث لا يكون الحظ منه مجرد الحكاية، وقوله: وحسن الإخاء الخ أقول: هو أعز من الكبريت الأحمر، ولا سيما في زماننا هذا كيف وقد قيل:

وإذا صفا لك من زمانك واحد ... نعم الصديق وعش بذاك الواحد

قوله: استصغار ما يحصل منك أي ولو في المخالفات عند ابتداء التوجه إلى الحق ولذا قيل: لا تقع بكثرة الذنوب في اليأس، فهي لدى الغفور كالكأس شعر:

لا تيأسنّ وإنْ طال الصدود فقد ... تجفى أناس، وهم في السر أحباب

فإذا ناديت وسمعت لا فلا تكن ممن أَعرض وسلا بل علق رجاءك بمولاك، فإنَّه يبلغك مناك، شعر:

أستشعر اليأس في لا ثم تطمعني ... إشارة في اعتناق اللام بالألف

منه المأخوذ ذلك من آية ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] ونحوها (**مع الوفاء**) بالعهد المأمور به في قوله: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ﴾ [الإسراء: ٣٤] ونحوه، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عبد الله بن محمد الرازي يقول: الخلق**) الحسن (**استصغار ما**) يحصل (**منك**) من الطاعات (**واستعظام ما**) يصل (**منه**) تعالى (**إليك**) لأنك إذا رأيت ما منك حقيراً بالنسبة إلى الله أخلصت وتبرأت من حولك وقوّتك في إيقاعه، وإذا رأيت ما منه إليك عظيماً بالغت في شكره، ورأيت نفسك عاجزاً عن القيام به، (**وقيل للأحنف**) ابن قيس: (**ممن تعلمت الخلق**) الحسن؟ (**فقال من قيس بن عاصم المنقري قيل**) له (**وما بلغ من**) حسن (**خلقه قال: بينا هو جالس في داره إذ جاءت خادم**) أي جارية (**له بسفّود**) بتشديد الفاء حديد يشوى به اللحم (**عليه شواء فسقط من يدها**) وهو حار (**فوقع على ابن له فمات**) بذلك (**فدهشت الجارية فقال**) مطمئناً لها؛ (**لا روعة**) أي فزعة (**عليك أنتِ حرة لوجه الله تعالى**) علم سيدها أنها كانت مغلوبة فعفا عنها، ثم كمل لها التطمين بتحريرها، وهذا يدل على كمال علمه بالله ونظره لقدره، وإنَّ الآجال لا تتقدم ولا تتأخر، وإنَّ ولده لا بدّ من موته بما ذكر، وهذا كله من الأخلاق الحميدة.

(**وقال شاه الكرماني: علامة حسن الخلق كف الأذى واحتمال المؤن**) لأنَّ الأول يدل على الكرم والجود، والثاني على الصبر والشجاعة، وكل منها من أشرف الأخلاق، (**وقال النبي ﷺ: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم»**)[1] لعسر ذلك عليكم في كثير من الأوقات (**فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**) فينصرفون عنكم وهم

(**قوله: باستصغار ما يحصل منك الخ**) أي وأكمل منه الفناء عن جميع ما يبدو منك بشهود أنك مجرى لأفعال الحق تعالى. (**قوله: بينا هو جالس الخ**) فيه تنبيه على أنه فني عن جميع حظوظات النفس وعاداتها، أو على قوّة صبره في ابتداء المحن، وعلى غاية زهده في الدنيا وزهرتها. (**قوله: علامة حسن الخلق الخ**) ذلك من الاقتصار على بعض المعنى اعتباراً بحال المخاطب. (**قوله: لعسر ذلك عليكم الخ**) أقول: ذلك باعتبار البعض مع البعض، وإلا فهو من أبعد البعيد في كامل الأوقات.

(**قوله: فسعوهم ببسط الوجه وحسن الخلق**) أي وذلك أقل ما تتحقق به مواساة الأخ المسلم، ويعز مثله في هذا الزمان، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ٨/ ٢٢) وابن حجر في (المطالب العالية ٢٥٣٩) والمنذري في (الترغيب والترهيب ٣/ ٤١١) وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٤٥٩) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٦/ ٢٢٠، ٧/ ٣٢٠، ٣٣٧) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٣/ ٤٩).

راضون بخلاف من يكون معبس الوجه سيء الخلق، (**وقيل لذي النون المصري: من أكثر الناس هماً قال: أسوأهم خُلقاً**) لأنَّ من ساء خلقه عدم الصبر على ما ابتلي به، وساءت معاملته لمن يعامله من الخلق، ولا يزال في هم وكرب فيما يخالف غرضه، فسوء الخلق يرجع ضرره على صاحبه في دينه ودنياه، وحسن الخلق يكون صاحبه في تنعم وراحة في دنياه وأخراه.

(**وقال وهب: ما تخلق عبد بخلق**) حسن (**أربعين صباحاً إلا جعله الله طبيعة**) يعني عادة (**فيه**) لا يتغير لما وجد فيه من اللذة، فمن جاهد نفسه لينقلها من خلق ذميم إلى خلق حميد، وصبر على ذلك أربعين يوماً صار له عادة حسنة وحسبها الله إليه، ووجد بركة ذلك الخلق في الدنيا والأخرى.

(**وقال الحسن البصري: في قول الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾** [المدثر: ٤] **أي وخلقك فحسن**) ولهذا لم يزل ﷺ مستعملاً للخلق الشريف. (**وقيل: كان لبعض النساك**) أي العباد (**شاة فرآها على ثلاث قوائم**) والرابعة قطعت (**فقال: من فعل هذا**

(**قوله: قال: أسوأهم خلقاً**) أي لأنَّه دائماً في الهم دنيا وأخرى كما أوضحه الشارح، فهو بعيد من الله بعيد من الخلق. (**قوله: إلا جعله الله طبيعة الخ**) أي لأنَّ التخلق قد يصير خلقاً بإعانة الحق عبده. (**قوله: لما وجد فيه من اللذة**) أي لأنَّ من بالحق ذهب فهو ذهب، ومن به وله فهو الذي به وله، ومن كان بالله غناه ذهب عنه عناه لم يجد الأفراح من وجد الألف راح نور يدرك إذا لاح لم يبق لك من لاح، ما كل من سار أتى بخبر سار كن مع الحق بالحق ومع الخلق بلا خلق، جناب الحق فسيح فسيح إذا انتبهت انتهبت فرق بين أقوام هم بأعمالهم أسرى وبين موفق إلى ضحرة القرب أسرى، باختلاف الأطوار اختلفت الأطيار الطريق مهمة، قال الشجاع: مه مه شتان بين محب في باب محبوبه يتذلل، وبين محبوب في الحضرة على مولاه يتدلل تدبر تفهم والله أعلم.

(**قوله: أربعين يوماً الخ**) تقدم مراراً أنَّ تخصيص هذا العدد لسر علمه الشارع ﷺ.

(**قوله: «وثيابك فطهر»**) أي طهر ما ليس بطاهر منها، فإنَّه واجب في الصلاة، فالمراد صيانتها، وحفظها من النجاسات، وغسلها بعد تلطخها وتقصيرها أيضاً فإنَّ طولها يؤدي إلى جر الذيول على القاذورات، وهو أوّل ما أمر به ﷺ من رفض العادات المذمومة، وقيل: هو أمر بتطهير النفس مما يستقذر من الأفعال، ويستهجن من الأحوال، يقال: فلان طاهر الذيل والأردان، وصفوه بالنقاء من المعايب ومدانس الأخلاق. (**قوله: وقيل: كان لبعض النساك الخ**) أقول: كل قد تكلم بملء فيه بما فيه كالإناء لا يرشح إلا بما فيه شعر:

كأنَّ فؤادي مجمر فيه عنبر ... على نار فكري واللسان يروح

بها فقال غلام له: أنا) فعلته (فقال: لِمَ) فعلته؟ (فقال: لأغمك بها فقال، لا) أغم بها (بل) أنا (لأغمن من أمرك بذلك) وهو الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء (اذهب فأنتَ حر) لوجه الله تعالى، فأغاظ بها من أمره بذلك، وهذا غاية في احتمال الأذى والعفو. (وقيل لإبراهيم بن أدهم: هل فرحت في الدنيا قط؟ فقال: نعم) فرحت (مرتين إحداهما كنت قاعداً ذات يوم فجاء إنسان وبال عليّ، والثانية كنت قاعداً فجاء إنسان وصفعني) فرحه بذلك كان لصنع الله، وللرضا بما أجراه عليه مولاه لا لمعصية البائل والصافع، وتقدمت المرة الأولى مع ما يتعلق بها في أواخر باب الخشوع والتواضع، (وقيل: كان أويس القرنيّ إذا رآه الصبيان يرمونه بالحجارة) لاعتقادهم أنّه مجنون (فيقول) لهم: (إن كان لا بدّ) من رميي (فارموني بالصغار) منها (كي لا تدقوا ساقي فتمنعوني عن الصلاة) قائماً، هان عليه احتمال الأذى في الله لكنه خشي من أنْ يرموه

تترجم عما في ضميري مدامعي ‏ ‏ ‏ وكل إناء بالذي فيه ينضح

فبطرق الفخارة الإنسانية تتبين الأخلاق الباطنية شعر:

والمرء يختبر الإناء بطرقها ‏ ‏ ‏ فيرى الصحيح بها من المصدوع

(قوله: فقال لا الخ) فيه دلالة على استغراقه في مرضاة ربه، وفناء نفسه عن عاداتها. (قوله: وقيل لإبراهيم بن أدهم الخ) فيه دلالة على تمام استغراقه في شهود جمال ربه فلا يرى كائناً من الكائنات إلا جميلاً، وهكذا جرت عادة الله في المحبين ممن ثبتت أقدامهم على متابعة سيد المرسلين. (قوله: كان أويس القرني الخ) هو نفعنا الله به من التابعين عاصر النبي ﷺ، ولم يجتمع به، ولم يره لاشتغاله بخدمة أمه.

(قوله: فارموني بالصغار الخ) فيه تنبيه ودلالة على رضاه بما قضاه مولاه، وعلى دوامه على الرغبة في أداء ما طلب منه على الوجه الأكمل حيث صبر على الأذى الفاني لينال النعيم الباقي، فهو دائماً الدهر ما بين غيم وانقشاع، وخفض بأهله وارتفاع شعر:

لا تخشّ من غمّ كغيم عارض ‏ ‏ ‏ فلسوف يسفر عن إضاءة بدر

إنْ يمس عن عباس حالك راوياً ‏ ‏ ‏ فكأنني بك راوياً عن بشره

ولقد تمر الحادثات على الفتى ‏ ‏ ‏ وتزول حتى لا تمر بفكره

(قوله: فلما قرب من الحيّ الخ) فيه دلالة على أنّه محمدي الخلق. (قوله: فيه دلالة على حسن خلقه) أي وعلى اتقاء المعاداة، ولو من الصغير، فمعظم النار من الشرر الحقير شعر:

لا تحقرنّ صغيراً في محاربة ‏ ‏ ‏ إنّ الذبابة أدمت مقلة الأسد

وعلى البعد عن الازدراء حيث قيل: من ازدرى الناس وقع في البأس شعر:

بحجر كبير فيكسر ساقه فيتعذر عليه الصلاة قائماً، **(وشتم رجل الأحنف بن قيس)** وهو يسمعه **(وكان يتبعه)** ويسبه ولا يكافئه عليه **(فلما قرب من الحي)** أي قومه **(وقف وقال)** له: **(يا فتى إنْ)** كان قد **(بقي في قلبك شيء)** تقوله في **(فقله كي لا يسمعك بعض سفهاء الحي فيجيبوك)** وفي نسخة فيؤذوك، فيه دلالة على حسن خلقه واحتمال الأذى وشفقته على الخلق، **(وقيل لحاتم الأصم: أيحتمل الرجل)** الخطأ **(من كل أحد؟ فقال: نعم)** يحتمله أي ينبغي له أنْ يحتمله من كل أحد ليأجر عليه **(إلا)** الخطأ **(من نفسه)** فلا ينبغي له أنْ يحتمله منها بل ينبغي له أنْ يؤدّبها ويزجرها عن ذلك، وإلا قاده ذلك إلى العذاب الأليم، **(ورُوي أنَّ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه دعا غلاماً له فلم يجبه فدعاه ثانياً وثالثاً فلم يجبه فقام إليه فرآه مضطجعاً فقال)** له: **(أما تسمع يا غلام)** دعائي لك **(فقال: نعم)** وفي نسخة بلى **(قال)** له: **(فما حملك على ترك جوابي قال: أمنت عقوبتك فتكاسلت فقال)** له: **(امض فأنت حُر لوجه الله تعالى)** أحسن إليه بتحريره إما مكافأة على إساءته لتكثير الأجر، أو لئلا يفوت عليه بتكرر ذلك منه انتفاعه به في دنياه، فانتفع به في أخراه، **(وقيل: نزل معروف الكرخيّ الدجلة ليتوضأ، ووضع مصحفه وملحفته)** على شاطىء الدجلة **(فجاءت امرأة)** واستغفلته **(وحملتهما)** ومضت بهما **(فتبعها معروف)** برفق **(وقال)** لها: **(يا أختي أنا معروف ولا بأس عليك)** من جهتي **(ألك ابن يقرأ)** القرآن؟ **(قالت)** له: **(لا، قال: فزوج)** كذلك **(قالت: لا، قال: فهات المصحف وخذي الثوب)** وفي نسخة الملحفة لغلبة ظنه أنها ما أخذتهما إلا لحاجة، ففي ذلك حسن الظن بالمسلمين أنّهم إنما يأخذون من أموال الناس ما دعت حاجتهم إليه. **(ودخل**

وما الناس إلا اليأس فاحذر خيارهم	وجانب شرار القوم ما دمت في الدهر

(قوله: أيحتمل الرجل الخطأ الخ) لعل المراد بالخطا فعل ما يخالف وجه الصواب، ولو عمداً. **(قوله: إلا الخطأ من نفسه)** أي وذلك منه بواسطة ما منح من العلم، وأعطي من الحلم، فمن رزق العلوم، وفتحت له خزائن الفهوم لا تحاجبه بنقل الطروس، ولا تجادله بغيرة النفوس مع أنَّ المواهب تفوق المكاسب شعر:

إذا أنكر الجهال حالي بقالهم	وقالوا طروس العلم تشهد بالنقل
أقول لهم: إنَّ العلوم مواهب	خصائصنا تغني عن النقل والعقل

(قوله: أما مكافأة على إساءته الخ) أقول: وإنْ كان عدم الرد مع السماع إساءة غير أنَّ في الجواب عن ذلك منه ثناء على سيده بحسن الخلق، ويحتمل أنَّ التحري له ذلك.

(قوله: ففي ذلك حسن الظن الخ) فيه أنْ يقال: كيف تحسين الظن مع السرقة التي هي من الكبائر، ولو مع الحاجة، والأولى أنَّ ذلك من الرأفة منه بها من إثم السرقة لأجل

اللصوص مرة دار الشيخ أبي عبد الرحمن السلمي) رحمه الله (بالمكابرة) والتغلب (وحملوا ما وجدوا) فيها من الأموال، (فسمعت بعض أصحابنا يقول: سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن يقول: اجتزت) أي مررت مرة (بالسوق فرأيت جبتي على من يزيد) فيها ليشتريها (فأعرضت) عنه (ولم ألتفت إليه) وفي نسخة إليها، فعل ذلك إما ستراً على سارقها، أو لكونه كان احتسبها عند الله لما سرقت فكره أن يرجع فيما تركه لله، وكل منهما يدل على كمال زهده في الدنيا وشفقته، وستره على الخلق، وهو غاية في الأخلاق الحميدة. (سمعت الشيخ أبا حاتم السجستاني يقول: سمعت أبا نصر السراج الطوسي يقول: سمعت الوجيهي يقول: قال الجريري: قدمت من مكة حرسها الله تعالى فبدأت بالجنيد) أي بالسلام عليه (لكي لا يتعنى) أي يتعب بمجيئه (إليّ فسلمت عليه ثم مضيت إلى المنزل، فلما صليت الصبح في المسجد إذا أنا به خلفي في الصف فقلت) له: (إنما جئتك أمس لئلا تتعنى) بمجيئك إلي (فقال: ذاك

أن تأخذ حلالاً طيباً. (قوله: فأعرضت عنه الخ) أي مع مسامحته السارق فيما فعله ليتم ما ذكره الشارح من الشفقة على الآخذ.

(قوله: فبدأت بالجنيد الخ) أي وكان ممن منح بعد علم النقل علم الذوق، فإنْ قلت: ما حقيقة علم الذوق؟ قلت: هو فوق الفوق، وقد حده لساني بما شهده جناني شعر:

الذوق لطف مع الأرواح يبرزه ... معنى اللسان بما في القلب من حكم

فخمرة الذوق تكسب اللطافة وتمحق الكثافة، كؤوسها المعاني وحاناتها حضرة التداني، ودنها العارف وندمانها المعارف، وراووقها الصافي، ومرافقها الموافي، وخلاعها العقلاء وجلا سها النبلاء، فيا من بها بان بها تقلب الأعيان، ويمشي المقعد، ويبصر الأعمى وينطق الأخرس، ويرتوي من الظمأ العطشان، شعر:

ومقعد قوم قد مشى من شرابنا ... وأعمى سقيناه سلافاً فأبصرا
وأخرس لم ينطق ثمانين حجة ... أدرنا عليه الراح يوماً فأخبرا
وآخر بين الناس لا يعرفونه ... سقى خمرة من خمرنا فتجبرا
وميت دعا الساقي به فأجابه ... وسبح للصهباء طوعاً وكبرا
فلو عاين الرهبان سرعة بعثه ... لصلوا له مثل المسيح وأكثرا
فخمرتنا التقوى وعاصرها الهوى ... وما عصرت في دن كسرى وقيصرا

تدبر تفهم والله أعلم.

(قوله: فقال: ذاك فضلك الخ) أقول: وهذا قريب مما نسب لإمامنا الشافعيّ رضي الله تعالى عنه في شأن أحمد بن حنبل حيث قال:

قالوا: يزورك أحمد وتزوره ... قلت: الفضائل لا تفارق منزله

فضلك وهذا حقك) عليَّ إذ حق المسافر إذا قدم أنْ يزوره المقيم، ويسلم عليه لأنّه معذور بوعثاء السفر فلم يترك الجنيد حقه بتفضيله بابتداء السلام عليه. (وسئل أبو حفص عن الخلق فقال: (هو) ما اختار الله عز وجل لنبيه ﷺ في قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ﴾) [الأعراف: ١٩٩] وقد سأل ﷺ جبريل عن تفسيرها فقال: حتى أسأل العالم يعني فسأله فقال له: «صل من قطعك، واعط من حرمك، واعفِ عمن ظلمك»[١]، (وقيل: الخلق أنْ تكون) أنت (من الناس قريباً) بأنْ تأكل مما يأكلونه، وتخالطهم ببدنك فيما يحبونه (و) تكون (فيما بينهم غريباً) بأنْ لا توافقهم بقلبك إذ الغريب من لا شبيه له، ولا قريب، وذلك بأنْ تكون مشغولاً بكليتك بالله كما هو حال العارف، (وقيل: الخلق قبول ما يرد عليك من جفاء الخلق وقضاء الحق) تعالى بأنْ تكون راضياً بكل ما يرد عليك منهما (بلا ضجر ولا قلق) ولا كراهة (وقيل: كان أبو ذر) رضيَ الله عنه (على حوض يسقي إبلاً له فأسرع بعض الناس إليه) إبله أي أدخلها عليه عند الحوض للشرب (فانكسر الحوض) فغضب وكان قائماً (فجلس ثم اضطجع فقيل له في ذلك: فقال: إنْ رسول الله ﷺ أمرنا إذا غضب الرجل أنْ يجلس، فإنْ ذهب عنه وإلا فليضجع) وذلك لينكسر غضبه كما ينكسر بالماء إذا توضأ به لأنَّ الغضب من الشيطان والشيطان خلق من النار، ومنشأ الغضب الحدة والكبر والأنفة، فيقابل ذلك بالتواضع فيكسر الغضب تارة بالماء، وتارة بالجلوس من قيام، وتارة بالإضطجاع من جلوس كل ذلك نزول إلى الأرض، وتنبيه على أنّه منها خلق وإليها مآله.

إنْ زارني فبفضله أو زرته ... فلفضله فالفضل في الحالين له

(قوله: هو ما اختار الله لنبيه الخ) أي مما لا يضاهيه شيء. (قوله: فقال له: صل من قطعك) أي لأنَّ ذلك هو الإحسان إذ وصل من واصلك مكافأة لا إحسان مبتدأ مع أنّ فيه إرغاماً للنفس والهوى والشيطان، ومثل ذلك أو قريب منه يقال فيما بعده.

(قوله: أنْ تكون أنت من الناس الخ) إنما كان هذا من الخلق لأنَّه مع جمعه للخير هو بعيد عما فيه الرياء وذلك قريب من قولهم: الصوفي كائن بائن أي كائن بجسمه مع أبناء جنسه بائن بسره لاتقاء شره. (قوله: قبول ما يرد عليك) أي بشهود مصدر الأفعال جل شأنه، وفي ذلك الحث على فناء النفس عن مألوفاتها، وعن عاداتها، وحينئذٍ يكون من جملة المحبين المتخلقين بأخلاق المحبوبين.

(قوله: فقال: إنْ رسول الله الخ) أي والخير كله في اتباعه عليه الصلاة والسلام.

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل في (المسند ٤/١٤٨، ١٥٨).

(وقيل: مكتوب في الإنجيل يا عبدي اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب) وهو يوم القيامة، وذلك لأنَّ العبد إذا غضب تخلخل عقله وتعدى حدود الله غالباً، فإذا تثبت وذكر حق الله انكسر غضبه ولم يعمل بمقتضاه فيرحمه الله عند غضبه يوم القيامة على من خالفه كما جاء في خبر المحشر: «إنَّ كل نبي إذا أتاه الناس يسألونه الشفاعة حتى يريحهم الله من المحشر فيقول كل نبي إنَّ ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله حتى يأتوا محمداً رسول الله ﷺ فيخر ساجداً لله تعالى فيؤذن له بالشفاعة»، فهذا هو يوم الغضب **(وقالت امرأة لمالك بن دينار: يا مرائي)** وكأنه كان يعرف من التفاته إلى الخلق وسكونه إلى أعماله، ونحوهما مما يعده العارفون رياء ما لا يعرفه غيره من الناس **(فقال)** لها: **(يا هذه وجدت)** أي عرفت **(اسمي الذي أضله أهل البصرة)** أي ضاع منهم فلم يعرفوه، **(وقال لقمان لابنه: لا تعرف ثلاثة إلا عند ثلاثة: الحليم عند الغضب، والشجاع عند الحرب، والأخ عند الحاجة إليه)** في ماله أوجاهه لأنَّ الغالب على النفوس الدعاوي، فإذا جاء وقت التحقيق ظهر صدقها وكذبها، فالعبرة بالتحقيق لا بالدعاوي، **(وقال موسى عليه السلام)** يا **(إلهي أسألك أنْ لا يقال لي ما ليس في، فأوحى الله سبحانه إليه ما فعلت ذلك لنفسي فكيف أفعله لك)** ليس ذلك لقصور قدرته، تعالى عن ذلك

(قوله: وقيل: مكتوب في الإنجيل الخ) تقدم ذكره، وإنما أعاده لمناسبة ذكرالغضب هنا.

(قوله: فقال لها يا هذه الخ) فيه منه إنصاف عظيم حيث اعترف لها بما علمه من نفسه، وهكذا من فني عن نفسه في محبة مرضاة ربه فيا أيها المغتر بعقل الحجاب بنور الكشف الحجاب آب، فشتان بين من باعتقاده نار، وبين من هو بافتقاده ثار، لا يستوي اللاه وأهل الله هذا بطاعته بار، وذاك بمعصيته بار، فالله تعالى لم يخيب من أمله، فيما أم له طابت خمرة الذوق، فزاد بها الغرام، ولاعج الشوق، وطيبت النفوس حين شربتها بحضرة القدوس شعر:

شربنا شراباً طيباً عند طيب كذاك شراب الطيبين يطيب
شربنا وأهرقنا على الأرض فضلة وللأرض من زاد الكرام نصيب

(قوله: لا تعرف ثلاثة الخ) أي ولذا قيل: عند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

(قوله: وقال موسى: الخ) محصله أنَّ الأخلاق وإنْ كملت لا يمنع كمالها من الوقوع فيما لا يليق، فالكامل المطلق هو من لا ينظر إلى ما يصدر من الخلق لاستغراقه دائماً في شهود الملك الحق.

(قوله: ليس ذلك لقصور قدرته الخ) محصله أنَّ ذلك وإنْ كان في نفسه من الممكن

علواً كبيراً، بل لأنَّ ما سبق في علم الله لا بدّ من وقوعه، فذلك إنما هو إخبار منه عما سبق في علمه لا غير، وعليه يحمل قوله: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠] وقوله: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾ [الأنعام: ١١٢] فلو أراد تعالى أنْ لا يكفر به أحد لصح، ولم يقع كفر، لكن لما سبق علمه أنَّه لا بدّ من الكلام فيه، وفي رسوله، ومن الكفر بهما استحال أنْ يقع خلافه، ومحل الإستدلال أنَّ موسى عليه السلام سأل ربه تعالى أنْ يكون كامل الأخلاق حتى لا يتكلم فيه، فأعلمه الله أنَّه قد سبق في علمه أنَّه لا بدّ أنْ يتكلم فيك، وإنْ كملت أخلاقك فأعرض عن الخلق، واشتغل بي فهو أكرم أخلاقك، والله قادر على كل ممكن، **(وقيل ليحيى بن زياد الحارثي وكان له غلام سوء)** أي سيء الخلق: **(لم تمسك هذا الغلام فقال: لأتعلم عليه الحلم)** بأنْ أتعود الصبر بصبري على أخلاقه، والعفو عن زلله، وهذا عند الحاجة إلى خدمته، وإلا فالبعد عن مخالطته أولى، فإنَّها ربما تجر إلى الوقوع في العطب عند تحرك الغضب مع عدم الحاجة **(وقيل في)** معنى **(قوله تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾)** [لقمان: ٢٠] النعم **(الظاهرة تسوية الخلق)** بفتح الخاء **(والباطنة تصفية الخلق)** بضمها، هذا مدح لمن كمل الله له النعمتين، والثانية هي الأصل لخبر «ألا وإنَّ في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»[1] ألا وهي القلب، وإنما كانت تلك ظاهرة، وهذه باطنة لأنَّ تلك

الجائز تعلق القدرة القديمة به إلا أنه بسابق العلم والقضاء الأزليين بخلافه على مقتضى الحكمة الباهرة يستحيل تعلق القدرة به شرعاً وعقلاً حينئذٍ. **(قوله: وإلا فالبعد الخ)** ولذلك ندب طلاق سيئة الخلق من النساء.

(قوله: والباطنة تصفية الخلق) أقول: كيف لا تكون من أشرف النعم، ومن تحلى بها صار محبوب ولي الكرم وإنْ كان مقام الوصال في حضرة الاتصال يتفاوت بحسب الأحوال، شعر:

ليس من لوح بالوصل له ... مثل من سير به حتى وصل
لا ولا الواصل عندي كالذي ... صار إياهم فدع عنك العلل
فمحوه عن سواهم فانمحى ... ثم لما أثبتوه لم يزل
ذاك شيء علق القلب به ... لو تجلى منه للخلق قتل

فإذا أردت التجلي فاحرص على الجلا تفز بحلية التحلي بالحلا، شعر:

---

(١) أخرجه البخاري (إيمان ٣٩) ومسلم (مساقاة ١٠٧) وابن ماجه (فتن ١٤) والدارمي (بيوع ١).

مكشوفة ينظرها كل راء ببصره، وهذه لا يعرفها، ويتصف بها إلا العلماء الراسخون، **(وقال الفضيل)** بن عياض: **(لأن يصحبني فاجر حسن الخلق أحب إلي من أن يصحبني عابدٌ سيء الخلق)** لأنَّ الأول عاص، فإذا أمرته بالطاعة، وزجرته عن المعصية كان في حسن خلقه ما يحمل ما يرد عليه مني، ويرجع إلى الحق إذا عرفه، والثاني حظه من عبادته الذكر وكثرة الصوم والصلاة ونحوها، وحرصه على الدنيا، وغضبه على ما يخالف هواه شديدان فإذا نهيته عما هو عليه من سوء الخلق في ذلك اغتر بظاهر عبادته، ولا يقبل ما دُعي إليه مما ينفعه، وربما قبل في وقت، وإذا خولف في آخر في بعض أغراضه ثار لقضاء شهوته وشدة غضبه ثوران الأسد، وأقل أحواله العناد وعدم رجوعه إلى الحق وعسر السلامة معه عكس الأول، **(وقيل: الخلق الحسن احتمال المكروه)** الذي ينزل به **(بحسن المداراة)** بترك حظه من الدنيا لغيره، وتحمله أذاه من غير إفراط ولا تفريط لأنَّه متى أفرط في المداراة حتى وقع في المداهنة، وقع في الضرر الأخروي، ومتى فرط فيها وقع في الضرر الدنيوي، فالمداهنة تشبه المداراة من حيث كونها سياسة إلاَّ أنها تكون مع التفريط في الدين، والمداراة مع الإهمال لبعض الدنيا، **(وحُكي إنَّ إبراهيم بن أدهم خرج إلى بعض البراري فاستقبله جندي فقال)** له: **(أين العمران فأشار إلى المقبرة)** لأنَّها أول منازل الآخرة وهي التي تعمر بالأعمال الصالحة، فظن الجندي أنَّ ذلك استهزاء به **(فضرب رأسه وأوضحه، فلما جاوزه قيل له: إنَّه)** أي الذي ضربته **(إبراهيم بن أدهم زاهد خراسان فجاءه يعتذر إليه)** من جنايته عليه لكونه لم يعرفه **(فقال)** له: **(إنك لما**

جلالي صفو مرآة التجلي ... جمالاً جلَّ عن شبه ومثل
فزاد القلب في فرحي سروراً ... وحلاني به فحليت كلي

(قوله: لأنْ يصحبني فاجر الخ) أقول: وربما يستأنس له بقول صاحب الحكم العطائية: «رب معصية أورثت ذلاً وانكساراً خير من طاعة أورثت عزاً واستكباراً».

(قوله: لأنَّ الأوّل عاص الخ) محصله أنَّ المعصية مع حسن الخلق، قريب صاحبها إلى الرجوع والانقياد لغلبة انكسار نفسه بذل معصيته، والعبادة مع سوء الخلق بعيد صاحبها من ذلك لغروره بعز طاعته لحمقه وجهله، فلذلك أحب الأوّل دون الثاني. **(قوله: الخلق الحسن احتمال المكروه الخ)** ذلك من قبيل الاختصار على بعض المعنى لمراعاة المخاطب مثلاً. **(قوله: بترك حظه في الدنيا لغيره الخ)** أي لأنَّ حقيقه المدارة المطلوبة ترك بعض الدنيا لإصلاح الدين، وحقيقة المداهنة المنهي عنها ترك بعض الدين لإصلاح الدنيا، وقوله: من غير إفراط ولا تفريط أقول: ذلك معتبر في كل شيء كما يدل له حديث «خير الأمور أوساطها». **(قوله: وحُكي أنَّ إبراهيم الخ)** يدل ذلك على أنَّ

ضربتني سألت الله تعالى لك الجنة فقال) له: (لم، فقال: علمت أني أوجر عليه فلم أرد أن يكون نصيبي منك الخير ونصيبك مني الشر) هذا من حسن الأخلاق حيث أحسن لمن أساء إليه فضلاً عن العفو عنه، وهذا كما نقل عن بعضهم أنَّه قيل له: فلان اغتابك فأخذ طبقاً، وجعل فيه فاكهة، وأهداه إليه ثم قال له: انقلبت منك بخير فكرهت أنْ تنقلب مني بشر، وهذا هو الذي قصده إبراهيم. (وحُكي أنَّ أبا عثمان الحيريّ دعاه إنسان إلى ضيافة فلما وافى باب داره) دخلها الداعي في صورة من يهيء لأبي عثمان الدخول، ثم خرج فلما وصل إليه (قال) له: (يا أستاذ ليس الآن وقت دخولك وقد ندمت) على دعائي لك في هذا الوقت (فانصرف فرجع أبو عثمان فلما وافى منزله عاد إليه الرجل) مرة أخرى (وقال) له: (يا أستاذ ندمت) على قولي لك ليس الآن وقت دخولك إلى آخره (وأخذ يعتذر إليه، وقال أحضر الساعة فقام أبو عثمان ومضى) معه (فلما وافى باب داره قال) له: (مثل ما قال في الأولى: ثم كذلك في الثالثة والرابعة) أي قال مثل ذلك: (وأبو عثمان ينصرف ويحضر فلما كان بعد مرات) كما ذكر (قال: يا أستاذ أردت اختبارك وأخذ يعتذر ويمدحه) بأنَّه حسن الخلق (فقال) له (أبو عثمان: لا تمدحني على خلق تجد مثله مع) وفي نسخة في (الكلاب) إذ (الكلب إذا دُعي) إلى طعام (حضر، وإذا زجر انزجر) في ذلك دلالة على كمال رؤيته الأفعال من الله تعالى، فإنَّه لما دعي لم يتأخر عن الإجابة لما فيها من الفضل وإدخال المسرة على قلب الداعي، ولما رده واعتذر إليه قبل اعتذاره، (وقيل: إنَّ أبا

النفس البشرية قد فنيت منه بسائر عاداتها فلا يتسبعد حينئذٍ ذلك منه.

(قوله: فقال: علمت الخ) أي فكان محمدي الخلق حيث تخلق بالرأفة والرحمة والضمير في قوله: أوجر عليه عائد على الضرب المفهوم من قوله: ضربتني. (قوله: ثم قال: انقلبت منك بخير) أي لأنه يؤجر على الغيبة منه إما بنقل سيئاته إليه أو برفع درجاته، وقوله: فكرهت أنْ تنقلب مني بشر أي وهو إثم الغيبة، والحاصل أنَّه بعد أنْ سامحه من وقوعه فيه بالغيبة أتحفه بطبق فيه فاكهة، وهكذا يكون من تخلق بالأخلاق المحمدية، ومن تابع السنة المصطفوية.

(قوله: وحُكي أنَّ أبا عثمان الخ) فيه تنبيه على فناء الأستاذ عن نفسه، وعلى ما في هذا الامتحان من إساءة الأدب، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، وهذه الحكاية قد تقدمت، وإنما أُعيدت لمناسبة المقام.

(قوله: على كمال رؤيته الأفعال من الله تعالى) أي على معنى أنَّ الخلق محل لجريان الأحكام الإلهية لا كسب لهم فيها إلا ما خفي مما ذهب إليه الأشعري. (قوله: وقيل: إنَّ أبا عثمان الخ) فيه أنَّه قد رحل عن نفسه، وفني عنها كما هو المقصود في

عثمان اجتاز بسكة) أي زقاق (**وقت الهاجرة**) أي شدة الحر (**فألقي عليه من سطح طست رماد فتغير أصحابه وبسطوا ألسنتهم في الملقى**) للرماد (**فقال**) لهم (**أبو عثمان: لا تقولوا شيئاً من استحق**) عند نفسه (**أن يصب عليه النار فصولح على الرماد لم يجز له**) يعني لم يلق به (**أن يغضب**) وأنا عند نفسي استحق النار، فإذا صولحت بالرماد كان لله الفضل عليّ، وهذا منه بالغ في احتمال الأذى، (**وقيل: نزل بعض الفقراء على جعفر بن حنظلة**) ضيفاً (**فكان جعفر يخدمه جداً والفقير يقول**) له: (**نعم الرجل أنتَ لو لم تكن يهودياً فقال جعفر: عقيدتي لا تقدح فيما تحتاج إليه من الخدمة**) أي لا تمنعني من اجتهادي في خدمتك، فإنْ أردت مكافأتي (**فسل لنفسك الشفاء**) من جهلك وعجلتك بالحكم على ما لا تتحققه حيث زعمت أني يهودي (**و**) سل (**لي الهداية**) أي الدلالة على الخير، في ذلك دلالة على كمال خلقه وكان الحامل له على تحمل ما قاله الفقير حمله على جهله مع حسن ظنه به لما رأى من شمائل الخير عليه، وفي سؤاله الهداية له ستر لما هو عليه لأنها صالحة لكل أحد، فهدايته تكون بحسب حاله ومقامه، وعون ربه له.

(**وقيل: كان لعبد الله الخياط حريف**) بفتح الحاء أي معامل (**مجوسي يخيط له ثياباً ويدفع إليه**) بدل خياطته (**دراهم زيوفاً، وكان عبد الله يأخذها**) منه (**فاتفق**) له (**أنّه قام من حانوته يوماً لشغل، فجاء المجوسيّ بالدراهم الزيوف، فدفعها إلى تلميذه فلم**

طريق القوم، واعلم أنّ الرحلة رحلتان رحلة الأرواح ورحلة الأشباح، فرحلة الأرواح انتقال من الكثافة إلى اللطافة، ورحلة الأشباح تكون من مسافة إلى مسافة، شعر:

ألا أيها العاني برحلة جسمه … تدور على الأكوان في تيه حيرة
ترحل إلى جسم بذاتك يا فتى … فأنت هو المقصود في كلّ رحلة

فإذا أنتَ أيها الإنسان إذا كنت جامعاً لمعاني الأكوان، فلا تحجب بك عنك بل افهم حقائق العرفان ترق لحضرة العيان، شعر:

إذا كنت كرسياً وعرشاً وجنة … وناراً وأفلاكاً تدور وأملاكا
وكنت من الكليّ نسخة كله … وأدركت هذا بالحقيقة إدراكا
فقيم التأني بالحضيض مثبطاً … مقيماً مع الأسرى أما آن إسراكا

(**قوله: وهذا منه بالغ في احتمال الأذى**) أي وشهود التقصير في عبادة ربه.

(**قوله: لو لم تكن يهودياً الخ**) تأمل مقابلة الإحسان بغاية الإساءة، وكل إناء بالذي فيه ينضح، فلا حول ولا قوة إلا بالله. (**قوله: وكان عبد الله يأخذها الخ**) في ذلك دلالة على شفقته على خلق الله وطهارة نفسه من دنس ما تهواه، وكيف لا يكون كذلك

يقبلها فدفع إليه الصحاح، فلما رجع عبد الله) إلى حانوته **(قال لتلميذه، أين قميص المجوسيّ فذكر له القصة فقال: بئسما عملت إنّه منذ مدة يعاملني بمثلها، وأنا أصبر عليه)** وآخذها منه **(وألقيها في بئر لئلا يغرّ بها غيري)** وإنْ احتمل أنْ يدفع مثلها لغيره أيضاً، فإنَّ هذا الاحتمال لا يرتفع بأخذه لها، ولا بعدم أخذه، وفيما ذكره دلالة على حسن خلقه حيث أشفق على غيره، وعمل بلا أجرة ينتفع بها. **(وقيل: الخلق السيء يضيق قلب صاحبه)** فقلما ينشرح قلبه لشيء مما يعامل به لأنَّ الأمور كلها لا تجري على مراده، فهو يشبه الحاسد **(لأنه لا يسع فيه غير مراده كالمكان الضيق لا يسع فيه غير صاحبه)** فسوء الخلق كان ضرره على صاحبه، وبذلك يعرف حكم حسن الخلق، **(وقيل: حسن الخلق أنْ لا تتغير)** أنت **(ممن يقف في الصف بجنبك)** من كونه عبداً أو حراً، فقيراً أو غنياً جاهلاً أو عالماً لأنَّ تغيرك منه يدل على الكبر والأنفة فلم يحسن خلقك **(وقيل: من سوء خلقك وقوع بصرك على سوء خلق**

والحضرة الإلهية مطهرة مقدسة لا يدخلها من له أوصاف مدنسة، فلذلك لم يطرقها من غير أهلها طارق، ولا يصل إليها لص ولا فاسق، شعر:

وليس جناب القدس إلا لأهله ... وما كل إنسان بواديه يسرح

ومن ذلك تعلم ومن إشارته تفهم أنَّ تستر أصحاب الكمال من الرجال هو الذي أوجب ظهور الجهال الأنذال، شعر:

لما أباح الليث غابة عرسه ... طنّ البعوض وزمزم الذبان

(قوله: إنّه منذ مدة الخ) أقول «إنما الأعمال بالنيات ولكل من العبيد درجات»(١) وذلك بحسب المقاصد والمطالب لكل قاصد وطالب «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم وإنما ينظر إلى قلوبكم ونياتكم»(٢) فالله تعالى يطهر مقاصدنا، ويعفو بجوده وكرمه عن مفاسدنا. **(قوله: لا يرتفع بأخذه لها الخ)** هو وإنْ كان كذلك إلا أنه ينقص الضرر بإتلاف ما كان يأخذه، و ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، فما فعله هذا العارف هو المقدور له.

(قوله أنْ لا تتغير الخ) فيه مراعاة لحال المخاطب، وإلا فحسن الخلق أعم من ذلك. **(قوله: بل أوّل الأفعال الخ)** أي ولذا قيل: لا تنظر القذى في عين غيرك، وانظر

---

(١) أخرجه البخاري (بدء الوحي ١) (عتق ٦) (مناقب الأنصار ٤٥) (طلاق ١١ [في الترجمة] أيمان ٢٣) إكراه [في ترجمة الكتاب] (حيل ١) ومسلم (إمارة ١٥٥) وأبو داود (طلاق ١١) والنسائي (طهارة ٥٩) (طلاق ٢٤) (إيمان ١٩) وابن ماجه (زهد ٢٦).

(٢) أخرجه مسلم (بر ٣٢) وابن ماجة (زهد ٩) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٨، ٥٣٩).

غيرك) وذلك إما لعدم حسن ظنك بالخلق إذ لو حسن ظنك بهم لحملت أفعالهم على جهة حسنة كما أشار إليه خبر «إذا ظننت فلا تحقق»[1] أي بل أول الأفعال واحملها على أحسن الوجوه، وإما لعدم كمال اشتغالك بنفسك إذ لو كمل لك ذلك، واهتممت بعمارة أوقاتك كان لك في ذلك شغل شاغل عن غيرك فلا تطلع على نقص فيه، ولا كمال، **(وسئل رسول الله ﷺ عن الشؤم فقال:)** هو **(سوء الخلق)** فأكثر ما يضر العبد في حياته ومعيشته سوء خلقه لأنَّ ما يلازم العبد إذا خالف هواه ومصلحته كان فيه شؤم كما أشار إليه خبر «إنْ كان الشؤم في شيء ففي المرأة والدار والفرس»[2] فإذا كان الشؤم في الزوجة المخالفة لغرض الزوج والدار الضيقة السيئة الجوار، والدابة العسرة الانقياد، فهو في سوء الخلق أعظم لشدة ملازمته لصاحبه مع احتياجه إلى إصلاحه ليستقيم له أمر دنياه وأخراه. **(أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد الأهوازي)** رحمه الله **(قال: حدثنا أبو الحسن الصفار البصريّ قال: حدثنا معاذ بن المثنى قال: حدثنا يحيى بن معنى قال: حدثنا مروان الفزاري قال: حدثنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله ادع الله**

الجذع في عينك تكن ممن سلك الطريق واتبع السلف بالتوفيق الموفق، البرّ لا يؤذي الذر بل يتأدب مع الكبير ويرحم الصغير، شعر:

ارحـم أخـي عـبـاد الله كـلـهـم ... وانظر إليهم بعين اللطف والشفقة
وقـرّ كـبـيـرهـم وارحـم صغيرهم ... وراع في كل خلق وجه من خلقه

على أنه قد يكون العيب المنظور في الغير من انحراف الذوق عن الاعتدال، فمن ذلك يكون الطعن في الرجال، شعر:

قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد ... وينكر الفم طعم الماء من سقم

(قوله: في حياته الخ) إنما اقتصر على ذلك لأنه من العاجل المحسوس، وهو لا ينافي ثبوت الضرر في الآجل أيضاً.

(قوله: إنما بعثت رحمة الخ) اعلم أنّ الرحمة رحمتان رحمة مختصة بوصف

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ٥٥٢، ٨/ ٥١ و٧٦) وابن كثير في (التفسير ٧/ ٣٥٧) والسيوطي في (الدر المنثور ٦/ ٩٢) وابن حجر في (فتح الباري ١٠/ ٢١٣ و٤٨٢) وابن عبد البر في (التمهيد ٦/ ١٢٥).

(٢) أخرجه الترمذي (أدب ٥٨) وابن ماجه (نكاح ٥٥) والموطأ (استئذان ٢١) وأحمد بن حنبل (٥، ٣٣٥، ٣٣٨).

تعالى على المشركين قال: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً»[1] فيه دلالة على كمال خلقه ﷺ، فهو إنما بعث ليردّ الخلق إلى الله ويعرفهم فضله عليهم لينشط قلوبهم لطاعته، فيسعدوا دنيا وأخرى، فلو دعا عليهم لهلكوا عن آخرهم على ضلالهم فتفوتهم الدنيا والأخرى.

النعمة، ورحمة مرتبة بوضع الحكمة، فالأولى صرف وجود الفضل، والثانية قد مازجها حكمة العدل، فمثال الأولى كمن أدخل الجنة بغير حساب، والثانية كمن دخلها بعد نار التطهير، فالرحمة المطلقة إحسان الربوبية لكل البرية، والرحمة الخاصة تكون للخواص على بساط مجالي التحقيق، وحينئذٍ فالرحيم من الخلق من تخلق بوصف الرحمن الحق والمرحوم من العباد من حفظ في الدنيا من العار، ووقي في الآخرة من النار.

---

(١) أخرجه الزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٧/ ١٠٧) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٣١٩٩٧) والعراقي في (المغني عن حمل الأسفار ٢/ ٣٦١) وأبو نعيم في (دلائل النبوة ١/ ١٥).

باب الجود والسخاء

هما عند كثير بمعنى، وفرق القوم بينهما كما سيأتي بأنّ السخاء إخراج العبد بعض ما يملكه بسهولة، والجود إخراجه أكثر ما يملكه بسهولة، والإيثار المذكور في الآية الآتية إخراجه جميع ما يملكه بسهولة مع حاجته إليه، فحقيقته تقديمك غيرك على نفسك، ومنه ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦] أي تقدّمون العمل لها على

باب الجود والسخاء

اعلم أنّ الجود على ما تقدم يشمل الجود بالمال، وبالجاه، وبالنفس، وبالكونين، والأخير أرفع الأنواع رتبة لأنّه خلقه ﷺ، وكل من الجود والسخاء لا يتحلى به إلا من كانت نفسه شريفة قانعة فانية في حب الخير راغبة فيما عنده تعالى مما وعد به على لسان سيد الرسل ﷺ، ويقال لمن اتصف بالجود على طريقة القوم: صبيح الوجه، وهو عندهم المتحقق بحقيقة الاسم الجواد، ومظهريته، لتحقق رسول الله ﷺ به، روى جابر أنّه ما سئل عن شيء قط فقال: لا ومن استشفع به إلى الله تعالى لم يرد سؤاله كما أشار إليه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه في قوله: إذا كان لك إلى الله تعالى حاجة فابدأ المسألة بالصلاة على النبي ﷺ، ثم سل حاجتك فإنّ الله تعالى أكرم من أنْ يسأل حاجتين، فيقضي إحداهما ويمنع الأخرى، والوارث له ﷺ في هذا النعت هو الأشعث من الأخفياء الذي ورد فيه «رُبّ أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[(١)].

(**قوله: وفرق القوم بينهما**) أي وبين الإيثار كذلك على ما يأتي في كلامهم فالفضل مواهب على مقتضى حكمة الباري تعالى.

(**قوله: ومنه** ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأعلى: ١٦]) أي تقدّمون اللذات العاجلة الفانية والخطاب إما للكفرة، وعليه فالمراد بإيثار الدنيا هو الرضا، والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٧] أو للكل، وعليه، فالمراد إيثار ما هو أعم مما ذكر وما لا

---

(١) أخرجه مسلم (بر ١٣٨) (جنة ٤٨، ٦).

العمل للآخرة، ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧]، وقريب مما قاله: السماحة والكرم وكل منهما ممدوح ومطلوب.

(قال الله سبحانه: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾) [الحشر: ٩] أي حاجة. **(أخبرنا عليّ بن أحمد بن عبدان)** رحمه الله **(قال: أخبرنا أحمد بن عبيد قال: حدثنا الحسن بن العباس قال: حدثنا سهل قال: حدثنا سعيد بن مسلم عن يحيى بن سعيد عن محمد بن إبراهيم عن علقمة عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «السخي)** أي بماله وجاهه وبسائر ما طلب منه شرعاً **(قريب من الله تعالى قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار والبخيل»)**(١) أي بما ذكر **(بعيد من الله تعالى بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار، والجاهل السخيّ أحب إلى الله تعالى من العابد البخيل»)** لأنَّ الأول سريع الانقياد إلى ما يؤمر به من تعلم وغيره، وإلى ما ينهى عنه بخلاف الثاني، فإنّه ببخله عصى الله على علم بما يضره. **(قال الأستاذ، ولا فرق على لسان القوم)** في تحصيل الأحبية المذكورة (بين

يخلو عنه الناس في الغالب من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة، وقوله: ﴿وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [الأعلى: ١٧] حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ أي تؤثرونها، والحال أنَّ الآخرة خير في نفسها لكون نعيمها مع كونه في غاية اللذة خالصاً من شائبة الغائلة أبدياً لا انصرام له، وعدم التعرض لبيان تكدّر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره. **(قوله: أي حاجة)** أي وسواء كانت مجاعة أو غيرها، فما ذكره أعم مما قاله غيره من تفسير الخصاصة بأنها المجاعة. **(قوله: وبسائر ما طلب منه الخ)** هو من عطف الأعم وفيه التصريح بكيفية السخاء إذ هو إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي على الوجه الذي ينبغي. **(قوله: قريب من الله)** أي من رحمته وقوله: قريب من الناس أي من محبتهم وميلهم إليه بقلوبهم، ومثله يقال فيما بعده. **(قوله: لأنَّ الأوّل سريع الخ)** أي مع ما فيه من الفضيلة المتعدي نفعها.

(قوله: فإنّه ببخله عصى الله الخ) أي وذلك بسبب صدأ قلبه المتراكم عليه من ظلمة نفسه، ووقوفه مع صور الأكوان، فحجب بذلك عن قبول الحقائق وتجليات الأنوار، فإنْ رسخ هذا الوصف فيه غاية الرسوخ وصل إلى الحرمان والحجاب الكلي المسمى ريناً، وراناً المذكور في قوله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾ [المطففين: ١٤]. **(قوله: ولا فرق على لسان القوم في تحصيل الأحبية المذكورة)** أي في تحصيل أصلها، وإلا فهي تتفاوت على حسب تفاوت مرتبتي الجود والسخاء على ما لا يخفى على ذي بصيرة.

---

(١) أخرجه الترمذي (بر ٤٠).

الجود والسخاء) وإنْ كان بينهما فرق معنويّ كما مر، وكما يأتي، **(ولا يوصف الحق سبحانه بالسخاء)** والسماحة **(لعدم التوقيف)** عليهما منه تعالى **(وحقيقة الجود)** ممن اتصف به **(أن لا يصعب عليه البذل)** على ما تقدّم بيانه، **(وعند القوم السخاء هي الرتبة الأولى)** في البذل **(ثم الجود)** لأنّه يشعر بزيادة البذل والسرعة إليه **(بعده)** تأكيداً لما أفادته ثم **(ثم الإيثار، فمن أعطى البعض وأبقى البعض فهو صاحب سخاء، ومن بذل الأكثر وأبقى لنفسه شيئاً فهو صاحب جود، والذي قاسى الضرر، وآثر غيره بالبلغة، فهو صاحب إيثار، كذلك سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول:)** وتقدم بيان ذلك **(قال أسماء بن خارجة: ما أحب أن أرد أحداً عن حاجة طلبها مني لأنّه إنْ كان كريماً أصون عرضه)** عن أنْ يذله لغيري بسؤاله له، فلا أرده خائباً بعد سؤاله **(وإنْ كان لئيماً أصون عنه عرضي)** بأنْ يتكلم فيّ، وينسبني إلى البخل، **(وقيل: كان مورق العجليّ يتلطف في إدخال الرفق على إخوانه)** بحيث أنّه عرف منهم حاجة إلى شيء، فلا يأتيهم به على وجه الصدقة خوفاً من انكسار قلوبهم وقت ذكرهم له بل **(يضع عندهم ألف درهم)** مثلاً بصورة الأمانة **(فيقول: أمسكوها عندكم حتى أعود إليكم)** ثم يتركهم زماناً **(ثم يرسل إليهم)** من يقول لهم: **(أنتم منها في حل)** فأنفقوها فلم يباشرهم بأنها صدقة، كل ذلك شفقة على قلوبهم، وفي ذلك صيانة لماء وجه الفقير، ورفعة لقدره **(وقيل: لقي رجل من أهل منبج رجلاً من أهل المدينة)** المشرفة **(فقال: ممن الرجل)** أي من أهل أي بلد **(فقال: من أهل المدينة فقال له:) لقد أتانا رجل منكم يقال له: الحكم بن المطلب فأغنانا، فقال له المدني: وكيف)** أغناكم **(وما أتاكم إلا في جبة صوف فقال: ما أغنانا بمال، ولكنه علمنا**

(قوله: والذي قاسى الضرر الخ) إنْ قلت من أيّ وجه فضيلة الإيثار مع المنع مما يضرّ بالنفس وقد ثبت في الخبر «ابدأ بنفسك»، قلت: من وجه قوّة صبر المؤثر فكأنه حينئذٍ لا ضرر، والحديث فيمن لم يثق بنفسه صبراً. **(قوله: أصون عرضه، وقوله: بعد أصون عنه عرضي)** أي وكل منهما من المقاصد الشريفة الصحيحة.

(قوله: يتلطف في إدخال الرفق الخ) أي يستعمل طريق الرفق في حالة مواساة الخلق بالمال بوجه لا يكون معه انكسار نفوسهم. **(قوله: بل يضع الخ)** منه يعلم أنّه جدير بأنْ يكون من المشايخ الموصلين إلى الطريقة، ومن الأستائذة في فنون الحقيقة، فقد قيل: الشيخ من علمك بقاله ونهضك بحاله الشيخ من أفاد الطالب وفتح المطالب، الشيخ من كمل في ذاته وكمل بصفاته، الشيخ من إذا حللت حماه، وجدت به الغنى عما سواه، الشيخ من يقيدك في الشهادة والغيب ويطهرك بسره من العيب، الشيخ من ستره الله بحجاب البشرية غيرة على خاصة الخصوصية، والأستاذ من وهب المواهب وأراح نفسه

الكرم فعاد بعضنا على بعض) أي واسى غنينا فقيرنا **(حتى استغنينا)** كلنا إذ الغنى غنى النفس لخبر: «ليس الغنى عن كثرة العرض إنما الغنى غنى النفس»[1] وذلك لأنَّ من استغنت نفسه بالله، ووثق به هان عليه بذل ما في يده في البر ومن كثر ماله ولم يهن عليه بذله، وربما اشتد حرصه على الزيادة فيه، فهو فقير، فهذا المدنيّ لما أتى إلى منبج، ووجد فيها الفقير والغني دلهم على غنى النفس، فزهد ذو المال وهان عليه بذله، وقنع الفقير فاستغنى بما تيسر له، فاستغنوا كلهم. **(سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: لما سعى)** أي وشى **(غلام الخليل)** بن أحمد **(بالصوفية إلى الخليفة)** وسكنت نفسه إلى قوله بأنهم يستحقون القتل بما هم عليه من الزندقة **(أمر بضرب أعناقهم فأما الجنيد، فإنّه تستر بالفقه)** فخلى سبيله **(وكان يفتي على مذهب أبي ثور، وأما الشحام والرقام والنوري وجماعة)** غيرهم **(فقبض عليهم)** للقتل **(فبسط النطع لضرب أعناقهم، فتقدم النوري فقال له السياف: تدري لماذا تبادر فقال: نعم)** أبادر للقتل **(فقال: وما يعجلك فقال: أوثر عليّ أصحابي بحياة ساعة)** هذا من أشد الإيثار، فإنَّ الإيثار قد يكون بالمال، وقد يكون بالنكاح، وقد يكون بإتلاف عضو ومنفعة، وقد يكون بالنفس وهو أعظمها.

من نعت المكاسب، الأستاذ أكمل من الشيخ في الأحوال وأعلى منه في المعارف والأقوال، الأستاذ من جمع دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك، وافتقر لغناه الملك والصعلوك، الأستاذ له تصريف التمكين وإيضاح التبيين، الأستاذ من كمل الدوائر وانطوى في نشره الأوائل والأواخر، الأُستاذ عارف مطلق وسيد سند محقق، الأستاذ فتى الأخلاق حبيب الخلاق، فكل أستاذ شيخ ولا ينعكس كما أنَّ كل مريد تلميذ ولا يلتبس.

(قوله: ولكنه علمنا الكرم) أي فكان الكرم إنما صدر منه، وأخذ عنه، وله الإشارة بخبر: «الدال على الخير كفاعله».

(قوله: هان عليه بذل ما في يده في البر) أي ورضي بكل شيء تيسر له، وإنْ قل.
(قوله: فإنّه تستر بالفقه) أي اتخذه ساتراً لحاله الباطني.

(قوله: وأما الشحام الخ) أي فكانوا ممن كمل الله لهم مقام الرضا والتسليم لما يجريه العليم الحكيم، ولذلك قيض الله لهم النوري، وثبت منه القدم فآثرهم بالحياة وللقتل تقدّم، ووفق السياف، فكان السبب في براءة الإشراف، وألهم القاضي الامتحان

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ١٥) ومسلم (زكاة ١٢٠) والترمذي (زهد ٤٠) وابن ماجه (زهد ٩) وأحمد بن حنبل ٢، ٢٤٣، ٢٦١، ٣١٥، ٣٩٠، ٤٣٨، ٤٤٣، ٥٣٩، ٥٤٠).

(**فتحير السياف**) بأنْ ألقى الله الرعب والحيرة في قلبه لما علم صدق النوري (**وأنهى الخبر إلى الخليفة فردّهم**) أي توقف عن قتلهم، وردّ أمرهم (**إلى القاضي ليتعرف حالهم، فالقى القاضي على أبي الحسين النوريّ مسائل فقهية**) لينظر أجاهل أم عالم (**فأجابه عن الكل ثم أخذ يقول:**) زيادة حسنة تليق بالمقام، وهي (**وبعد، فإنّ لله عباداً إذا قاموا قاموا بالله**) أي بإعانته لا بأنفسهم (**وإذا نطقوا نطقوا بالله وسرد ألفاظاً**) حسنة (**أبكى بها القاضي**) وعرف بها فضله في الأصول والفروع (**فأرسل القاضي إلى الخليفة، وقال: إنْ كان هؤلاء زنادقة، فما على وجه الأرض مسلم**) أي فالذي هم عليه هو الحق، وهو الإسلام، فخلى سبيلهم، (**وقيل: كان علي بن الفضل**) بن عياض (**يشتري من باعة المحلة**) جمع بائع أي من البائعين في الحارة القريبة من منزله (**فقيل له: لو دخلت السوق**) البعيد عن منزلك (**فاسترخصت**) أي فاشتريت بأرخص مما تشتريه من المحلة لكان أنفع لك (**فقال: هؤلاء نزلوا بقربنا رجاء منفعتنا**) لهم وفضلنا عليهم، فإذا مضينا إلى السوق وتركناهم فاتهم مرادهم، فما قاله: كرم النفس وقلة الحرص على طلب الزيادة وعلى نفع الناس المطلوب شرعاً، ولهذا منع الشرع من تلقي الركبان، ومن بيع حاضر لباد، وقال: دع الناس يرزق الله بعضهم من بعض، كل ذلك للتوسعة على الخلق وانتفاع بعضهم من بعض (**وقيل: بعث رجل إلى جبلة**) بن سحيم (**بجارية**) هدية (**وكان**) إذ ذاك (**بين أصحابه فقال: قبيح أنْ اتخذها لنفسي، وأنتم حضور وأكره أنْ أخص بها واحداً**) منكم لأنّ الهدية في العرف لمن حضر (**وكلكم له حق وحرمة وهذه**) الجارية (**لا تحتمل القسمة وكانوا ثمانين**) نفساً (**فأمر لكل واحد**) منهم (**بجارية أو وصيف**) يشترى له، وهذا يدل على كرم نفسه وسهولة إخراج الدنيا عليه، والوصيف: الخادم، ذكراً كان أو أنثى، فقوله: أو وصيف يحتمل أن يكون شكاً من الراوي وأن يكون جبلة خيّر بين الأمرين وأراد بالوصيف الذكر.

(**وقيل: عطش عبيد الله بن أبي بكرة يوماً في طريقه فاستسقى**) ماءً (**من منزل امرأة فأخرجت له كوزاً من ماء وقامت خلف الباب، وقالت تنحوا عن الباب، وليأخذه بعض علمائكم فإني أمرأة من العرب مات خادمي منذ أيام فشرب عبيد الله**

فكان في الحقيقة إحسان، وهكذا حال من تجرد عن نفسه ورجع إلى الله حيث يجازيه بالوقاية من شر ما سواه. (**قوله: فقال: هؤلاء نزلوا الخ**) أي وعملاً بخبر: «الخلق عيال الله وأحبهم إليه أنفعهم لعياله». (**قوله: وأراد بالوصيف الذكر**) هو الظاهر ويرجحه عطفه على الجارية بأو.

الماء، وقال لغلامه: احمل إليها عشرة آلاف درهم) إعانة لها ففهمت أنَّه يسخر بها **(فقالت)** له: **(سبحان الله تسخر بي)** ففهم أنَّها ما رضيت بذلك، وأنَّها لكونها من العرب لا تواجه بمثله **(فقال)** لغلامه: **(احمل إليها عشرين ألف درهم)** فزاد تعجبها بحسب ما فهمته **(فقالت له: اسأل الله تعالى)** لك **(العافية)** مما ابتليت به من السخرية **(فقال)** لغلامه: **(يا غلام احمل إليها ثلاثين ألف درهم فردت الباب وقالت)** له بناء على ما فهمته من أنَّه يسخر بها: **(أفّ لك فحمل إليها ثلاثين ألف درهم فأخذتها)** فشاع أن عبيد الله أرسل إليها ثلاثين ألف درهم، وكانت ذات شرف في نفسها وبيتها، فزاد شرفها بالمال **(فما أمست حتى كثر خطابها)** ورغبوا في نكاحها، وفي ذلك دلالة على كرم عبيد الله، وحسن نيته، وعدم تأثره بما قابلته به. **(وقيل: الجود إجابة الخاطر الأول)** لأنَّه لو لم يجب لخيف على صاحبه تغيره فيما عزم عليه **(سمعت بعض أصحاب أبي الحسن البوشنجيّ رحمه الله يقول: كان أبو الحسن البوشنجي في الخلاء)** يقضي حاجته فوقع في خاطره أنَّ فقيراً يعرفه محتاجاً إلى قميص **(فدعا تلميذاً له وقال له: انزع عني هذا القميص وادفعه إلى فلان فقيل له: هلا صبرت)** إلى فراغك من قضاء حاجتك **(حتى تخرج من الخلاء فقال: لم آمن على نفسي)** من أنْ يكون سبباً في **(أن يتغير عليَّ ما وقع لي من التخلف منه بذلك القميص)** فاستعجلت بالنزع والدفع ليتعذر رجوعها وهذا غاية الجود، **(وقيل لقيس بن سعد بن عبادة، هل رأيت أحداً أسخى منك فقال له: نعم نزلنا بالبادية على امرأة)** كان زوجها غائباً **(فحضر زوجها)** بعد نزولهم **(فقالت له: إنَّه)** قد **(نزل بك ضيفان فجاء بناقة ونحرها)** لهم **(وقال)** لهم بعد طبخها: **(شأنكم بهما فلما كان بالغد جاء بأخرى ونحرها وقال)** لهم بعد طبخها: **(شأنكم بها فقلنا:)** كيف نحرت لنا و(ما

(قوله: إجابة الخاطر الأوّل) اعلم أنَّ الخواطر واردات حق وطوارق باطل، فإنْ ورد بتنزيه الحق وتوحيده فرباني، وإنْ حرك أنواع الطاعة فملكيّ، والوارد الباطل ما يرد باضطراب ومسارعة لأنواع المعاصي، ومثله شيطانيّ فإنْ طرق بغرض وجهة معينة فنفسي، والحاصل أنَّ الوارد يرد من حضرة اسمه القهار، ولهذا يمحق الأوصاف والآثار، وهو يكون للسالك مع الأوراد، ولأهل العناية بلا اختيار ولا مراد، فهو ما أفاد الفوائد، وعلم غرائب الفرائد، وتحصل من كلامه أنَّ سرعة إجابة الخاطر الأوّل من أمارات الجود. **(قوله: فدعا تلميذاً له الخ)** اعلم أنَّ التلميذ والمريد حقيقته على مصطلح القوم هو من فنيت حظوظه النفسية، وخمدت شهواته البشرية فقام بمرسوم الآداب بعد تصحيح مقام المتاب، فهو الميت في حضرة أستاذه المنفذ لما يأمره به من مراده القائم بمقام

أكلنا من التي نحرت لنا البارحة إلا اليسير؟ **فقال: إني لا أطعم أضيافي الغاب)** بالمعجمة وبالموحدة المشددة أي البائت **(فبقينا عنده)** في الضيافة **(يومين أو ثلاثة)** وكان ذلك في الشتاء **(والسماء تمطر وهو يفعل كذلك)** أي مثل ذلك الفعل المذكور **(فلما أردنا الرحيل)** من عنده وكان الرجل إذ ذاك غائباً **(وضعنا له مائة دينار في بيته)** يعتان بها على شأنه **(وقلنا للمرأة:)** ادفعيها له و **(اعتذري لنا إليه ومضينا)** إلى جهة مقصدنا **(فلما متع النهار)** بتخفيف التاء أي ارتفع وسرنا زماناً **(إذا نحن برجل)** فارس **(يصيح خلفنا قفوا أيها الركب اللئام اعطيتموني ثمن قراي، ثم إنه لحقنا وقال)** لنا: **(لتأخذنه وإلا طعنتكم برمحي هذا، فأخذناه)** منه **(وانصرف عنا، فأنشأ يقول:**

وإذا أخذت ثواب ما أعطيته ... فكفى بذاك النائل تكديراً)

في ذلك دلالة على الكرم من الجانبين.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: دخل أبو عبد الله الروذباري دار بعض أصحابه فوجده غائباً) عنها **(وباب بيت له)** بها **(مقفل فقال)** منكراً عليه **(صوفي وله باب بيت مقفل)** أي لا ينبغي لصوفي أن يكون عنده حرص على الدنيا، ولهذا قال: **(اكسروا القفل فكسروا القفل وأمر بجميع)** أي بإخراج جميع **(ما وجد في الدار والبيت وأنفذه)** أي أخرجه وأرسله **(إلى السوق)** فنقلوه **(وباعوه واصلحوا وقتاً)** لهم **(من الثمن)** الذي باعوا به **(وقعدوا في الدار)** لوثوقهم برضا صاحبها بذلك، ومحبته لهم، وشكره لله تعالى على ما منّ به عليه من عدم اعتبار الدنيا عنده، **(فدخل صاحب المنزل)** فوجدهم فيه **(ولم يمكنه أن يقول شيئاً)** مع سروره بذلك **(فدخلت امرأته بعدهم الدار)** أي بعد أن دخلوها وفعلوا ما فعلوا **(وعليها كساء)** وأعلمها زوجها بما جرى، وبمن الداخل عليهم **(فدخلت بيتاً)** من بيوت الدار **(ورمت)** لهم **(بالكساء)** الذي كانت ملتحفة به **(وقالت: يا أصحابنا هذا)**

التجريد على نفسه بغاية التشديد، فهو حينئذٍ طالب للإفادة مع البقاء على العادة، يحضر ويغيب، ويخطىء ويصيب، غير أنَّ التلميذ التحرير دائماً يقصد التحرير، فهو إذا بين النجباء قد يفوق الألباء. **(قوله: فقال: إني لا أطعم أضيافي الغاب)** فيه أنَّ الغاب لا خير فيه، وهو كذلك، ولا سيما ما يبيت فيما من شأنه أنه يصدأ من الأواني. **(قوله: أيها الركب اللئام الخ)** سماهم بذلك لأنهم بذلوا في مقابلة إكرامهم مائة دينار، وهو مما ينافي الكرم عنده. **(قوله: صوفي وله باب بيت مقفل الخ)** أي ولذا قيل: من أقبح القبيح صوفيّ شحيح.

(قوله: ورمت لهم بالكساء الخ) أي لأجل إيثارهم على نفسها، وهو من أقوى

أيضاً (من جملة المتاع) الذي في الدار (فبيعوه) وكملوا بثمنه وقتكم، وفي نسخة فبيعوها بتأنيث الكساء باعتبار أنه ملحفة للمراة (فقال الزوج لها) ليعرفهم فضلها (لم تكلفت هذا باختيارك؟ فقالت: أسكت مثل هذا الشيخ يباسطنا ويحكم) ويدل (علينا) ويتصرف في أموالنا (ويبقى لنا شيء ندخره عنه، وقال بشر بن الحرث: النظر إلى البنجيل) على نفسه وغيره (يقسي القلب) لقساوة قلبه فيؤثر في قلب الناظر إليه ما ينظره منه، فيصير من حزبه، (وقيل: مرض قيس بن سعيد بن عبادة فاستبطأ إخوانه في العيادة له (فسأل عنهم فقيل له:) وفي نسخة فقالوا: (إنهم يستحيون) من عيادتك (مما لك عليهم من الدين) الذي لك بإقراض أو غيره (فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان الزيارة) والعيادة (ثم أمر من) وفي نسخة منادياً (ينادي من كان لقيس عليه دين فهو منه في حل، فكسرت عتبته) وفي نسخة عتبة بابه (بالعشي لكثرة من عاده)، في ذلك دلالة على صدقة، وزهده في الدنيا، وهوانها عليه، (وقيل لعبد الله بن جعفر: إنك تبذل) أي تعطي (الكثير إذا سئلت وتضن) أي تبخل (في القليل إذا نوجزت) أي شوححت (فقال: إني أبذل مالي وأضن بعقلي، وقيل: خرج عبد الله بن جعفر إلى ضيعة له فنزل على نخيل قوم) فيها للاستظلال به أو لغيره (وفيها غلام أسود يعمل فيها) بالسقي وغيره فبينما هو في عمله (إذ أتى الغلام) أي جيء له (بقوته) ثلاثة أقراص (فدخل كلب الحائط) أي غيط النخل (ودنا من الغلام) لما رأى الأقراص فرأى به أثر الجوع (فرمى إليه الغلام بقرص فأكله ثم رمى إليه بالثاني والثالث) لما رآه متشوّقاً جائعاً (فأكله) أي ما رماه إليه وفي نسخة فأكلها (وعبد الله بن جعفر ينظر إليه) فتعجب منه (فقال له: يا غلام كم قوتك كل يوم قال: ما رأيت قال: فلم آثرت) به (هذا الكلب قال: ما هي) أي هذه الأرض (بأرض كلاب) غير

الجود، فرضي الله تعالى عنها وعن زوجها، ومن نحا نحوهم وسلك سبيلهم.

(قوله: ويبقى لنا شيء ندّخره) أي وذلك لا ينبغي. (قوله: النظر إلى البخيل الخ) هو من المبالغة في الزجر عن مصاحبته خشية التأثر بنعته. (قوله: في ذلك دلالة على صدقه) أي وعلى أنه ينبغي للإنسان أنْ يزيل أسباب الحياء منه، وأسباب الوحشة بالأولى من ذلك.

(قوله: فقال: إني أبذل مالي الخ) أي وذلك من أدلة قوّة العقل. (قوله: غير أنه جاء تبعاً الخ) أي فأشبه النزيل فكان من حقه الإكرام. (قوله: وفي ذلك دلالة على كرم عبد الله الخ) أي وعلى إيثار الغلام الكلب على نفسه المعلوم منه بالأولى إيثار إخوانه المؤمنين.

(أنه جاء) تبعاً للناس (من مسافة بعيدة) ورأيته اليوم (جائعاً فكرهت رده قال: فما أنت صانع فقال له: أطوي يومي هذا فقال عبد الله بن جعفر) في نفسه (أألام على السخاء أنّ هذا) الغلام (لأسخى مني فاشترى الحائط) أي حائط النخيل (والغلام وما فيها) أي النخيل وحائطها (من الآلات فأعتق الغلام) أوّلاً ليصير حراً يملك (ووهبها له) وفي نسخة، ووهبها منه، فلما آثر الغلام الله بالكل حرك له قلب عبد الله حتى حصل له كل هذا الخيرله: فما عامل الله أحد بصدق فخاب، وفي ذلك دلالة على كرم عبد الله بن جعفر. (وقيل: أتى رجل صديقاً له ودق عليه الباب فما خرج إليه قال له: لماذا جئتني قال:) جئتك (لأربعمائة درهم دين ركبتني فدخل الدار ووزن له) من ماله (أربعمائة درهم أخرجها إليه، ودخل الدار باكياً فقالت له امرأته) ظناً منها أنّ بكاءه على كثرة الدراهم التي أخرجها: (هلا تعللت) واعتذرت للرجل وأمسكتها عنه (حين شق عليك الإجابة فقال) لها: ما هذا الذي أبكي عليه (إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله حتى احتاج إلى مفاتحتي به) أي بحاله، وهذا غاية الكرم والجود حيث أعطى الكثير، وتألم من التقصير. (وقال مطرف بن الشخير) لأصحابه: (إذا أراد أحدكم مني حاجة فليرفعها) إليّ (في رقعة، فاني أكره أنْ أرى في وجهه ذل الحاجة) بسؤاله لي مباشرة، فيه دلالة على كرمه واستحيائه من سؤال السائل، وإشارة إلى أنّه لو مكنه الإطلاع على حوائج أصحابه بدون ما ذكر لقضاها، ولم يحوجهم، إلى رفع رقعة (وقيل: أراد رجل أنْ يضار عبد الله بن العباس) حسداً لما شاع من كرمه وسخائه، وذلك بأنْ يعجزه ويزيل عنه هذه السّمة الشريفة (فأتى) في غفلة منه (وجوه البلد) أي أعيانه (وقال لهم: يقول لكم ابن العباس: تغدوا عندي اليوم فأتوه فملؤوا الدار فقال) لهم: (ما هذا فاخبر الخبر) ففهم القضية (فأمر) وكلاءه (بشراء الفواكه في الوقت، وأمر بالخبز والطبخ وأصلح) لهم (أمراً) يليق بهم فما فرغوا من أكل الفواكه حتى تهيأت بقية الأطعمة فقدّمها إليهم (فلما فرغوا) من أكلها (قال لوكلائه: أموجود لنا كل يوم هذا) أي هل يأتي في دخلنا كل يوم مثل ما أنفق اليوم (فقالوا: نعم فقال) لهم: (فليتغد هؤلاء كلهم) أي مروا هؤلاء فليتغدوا (عندنا كل يوم) فقابل الحاسد بنقيض قصده، فأراد أنْ ينقص درجته فرفعها الله. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن

(قوله: حتى احتاج الخ) أي وفي ذلك كسر لقلبه، ونوع ذل له نشأ كل منهما من تقصيري بعدم البحث عن حاله. (قوله: وقال مطرف الخ) تأمل مثل هذا منه مع أخلاق خاصة أهل زماننا فضلاً عن عامتهم، فلا حول ولا قوّة إلا بالله. (قوله: وقيل: أراد رجل الخ) انظر ذلك مع أنّه من الكبائر، ولكن لا يبعد على الحسود مثله. (قوله: فرفعها الله)

السلمي رحمه الله يقول: كان الأستاذ أبو سهل الصعلوكي يتوضأ يوماً في صحن داره) من قمقمة (فدخل إليه إنسان وسأله من الدنيا، ولم يحضره شيء) يعطيه له (فقال له: (اصبر حتى أفرغ) من وضوئي (فصبر فلما فرغ قال له: خذ القمقمة واخرج فأخذها وخرج ثم صبر حتى علم أنّه بعد) وأيس من أنْ يلحقه أحد (فصاح وقال: دخل إنسان) عليّ (وأخذ القمقمة) يوهم أنّه اختلسها (فمشوا خلفه فلم يدركوه، وإنما فعل ذلك) أي أوهمهم اختلاس القمقمة (لأنَّ أهل المنزل كانوا يلومونه على كثرة البذل وسمعته) أيضاً. (يقول وهب الأستاذ أبو سهل) الصعلوكي: (جبته من إنسان في الشتاء) مع احتياجه إليها (وكان يلبس) بدلها (جبة النساء حين يخرج إلى التدريس) مع أنّها تذري بقدره (إذ لم يكن له جبة أخرى، فقدم الوفد المعروفون من فارس فيهم من كل نوع إمام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين، فأرسل إليه صاحب الجيش أبو الحسن وأمره بأن يركب للاستقبال) للوفد (فلبس دراعة) بضم المهملة (فوق تلك الجبة التي للنساء، وركب فقال صاحب الجيش: إنَّه يستخف بي) ولم يجعل لنفسه حرمة (أمام البلد يركب في جبة النسوان) ويلقى بها من أقبل علينا من العلماء.

(ثم إنه ناظرهم أجمعين فظهر كلامه على كلام جميعهم) وارتفع عليهم (في كل فن) تكلموا معه فيه، فتبين أنَّ حرمته دينية لا دنيوية، وأنَّ درجته علمية وقلبية لا قالبية. (وسمعته) أيضاً (يقول: لم يناول الأستاذ أبو سهل أحداً شيئاً بيده) على وجه الصدقة (و) إنما (كان يطرحه على الأرض ليأخذه الآخذ من الأرض) لكمال زهده في الدنيا وقلة قدرها في عينه، (وكان يقول: الدنيا أقل خطراً) أي قدراً (من أن أرى لأجلها يدي فوق يد أحد) فأنا أفعل ذلك حتى لا تكون يد الآخذ سفلى (وقد قال ﷺ: «اليد العليا خير من اليد السفلى»[1]) والعليا هي المنفقة، والسفلى هي الآخذة

أي على جري العادة الإلهية في المحسود مع الحاسد، والله أعلم. (قوله: وإنما فعل ذلك الخ) أي ولإمتثال الأمر بإخفاء الصدقة.

(قوله: إمام البلد) أي المقدم على أهلها يركب الخ أي ومثله لا يليق به ذلك، ولكن يبقى النظر في غفلة صاحب الجيش عن التفتيش عن السبب في ذلك. (قوله: فتبين

---

(١) أخرجه البخاري (وصايا ٩) (رقاق ١١) (زكاة ١٨)، (نفقات ٢) ومسلم (زكاة ٩٤ ـ ٩٧، ١٠٦) وأبو داود (زكاة ٢٨) والترمذي (زكاة ٣٨) (زهد ٣٢) (قيامة ٢٩) والنسائي (زكاة ٥٠، ٥٢، ٥٣، ٦٠، ٩٣) والدارمي (زكاة ٢٣) والموطأ (صدقة ٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٧، ٩٨، ١٢٢، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٤٣، ٢٧٨، ٢٨٨، ٣١٩، ٣٦٣، ٣٩٤، ٤٣٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٠، ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٧، ٣، ٣٣٠، ٣٤٦، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٤، ٥، ٢٦٢).

فلم ير لنفسه قدراً في كونه منفقاً لحقارة الدنيا في عينه، ولم يهن عليه أنْ تكون يده فوق من يأخذ صدقته، ويد الآخذ أسفل يده، وفي ذلك دلالة على فضيلته وكمال جوده وسخائه، وزهده في الدنيا. (**وقيل: كان أبو مرثد رحمه الله أحد الكرام فمدحه بعض الشعراء**) بقصيدة (**فقال: ما عندي ما أعطيك، ولكن قدّمني إلى القاضي وادع عليّ عشرة آلاف درهم حتى أقر لك بها ثم احبسني فإنّ أهلي لا يتركوني مسجوناً، ففعل ذلك فلم يمس حتى دفع إليه عشرة آلاف درهم وخرج من السجن**) في يومه وإنما التزم هذا المال العظيم مكافأة لمن مدحه كما جرت به عادة العرب، وخشية أنْ تلحقه النقيصة في كونه لم يكافىء مادحه. (**وقيل: سأل رجل الحسن بن عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه شيئاً**) من الدنيا (**فأعطاه خمسين ألف درهم، وخمسمائة دينار، وقال: إئت بحمال يحمله**) أي ما أعطيه (**لك فأتى بحمال فأعطاه**) أي الحمال (**طيلسانه، وقال: يكون كراء الحمال من قبلي**) في ذلك دلالة على أن الحسن دفع للسائل جميع ما له من النقد بدليل أنّه دفع للحمال طيلسانه إذ لو كان عنده من النقد ما لم يعطيه في أجرة الحمل، لم يعطه طيلسانه أجرة.

(**وسألت امرأة**) فقيرة (**الليث بن سعد سكرجة عسل فأمر لها بزق من عسل فقيل له في ذلك:**) أي أنّها طلبت شيئاً قليلاً فأعطيتها هذا كله (**فقال: إنها سألت على قدر حاجتها، ونحن نعطيها على قدر نعمنا**) أي نعم الله علينا ليتخلق بخلق الله تعالى، فإنّه يعطي للحسنة إذا هم العبد بها أجراً فإنْ عملها أعطاه عشرة أمثالها إلى سبعمائة، ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١]. (**وقال بعضهم: صليت في مسجد الأشعث**) ابن قيس (**بالكوفة الصبح أطلب غريماً لي فلما سلمت**) من الصلاة (**وضع بين يدي كل واحد له حلة ونعلين**) وفي نسخة ونعلان، والحلة ثوبان يؤتزر بأحدهما ويرتدي بالآخر (**وكذلك وضع بين يديّ**) مثل ذلك (**فقلت ما هذا فقالوا: إنّ الأشعث قدم من مكة**) فأمر بهذا (**فهذا لأهل جماعة مسجده فقلت: إنما جئت أطلب غريماً ولست**) من جيرانه فلست (**من جماعته فقالوا: هو لكل من حضر**) وأنت قد حضرت، في ذلك دلالة على كرم الأشعث. (**وقيل: لما قربت وفاة الشافعيّ رضي**

أنّ حرمته دينية الخ) أي ومثله هو الإنسان إذ المرء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه. (**قوله: والعليا هي المنفقة**) العلو والسفل معنوي وافقه الخارج أو لا فتأمل. (**قوله: وفي ذلك دلالة على فضيلته**) أي بواسطة متابعة سيد المرسلين ﷺ. (**قوله: ولكن قدمني إلى القاضي الخ**) أقول: وذلك من أعلى مراتب الجود والكرم.

(**قوله: فأعطاه خمسين ألف درهم الخ**) غير بعيد ذلك من مثله رضي الله تعالى عنه

الله تعالى عنه قال: مروا فلاناً يغسلني وكان الرجل غائباً، فلما قدم أخبر بذلك فدعا بتذكرته) أي بدفتر الشافعي **(فوجد عليه سبعين ألف درهم ديناً فقضاها وقال: هذا غسلي إياه)** في ذلك دلالة على فراسة الشافعيّ في هذا الرجل، وعلى كرم الرجل وسرعة تفطنه لأنَّ الشافعي من الأئمة فلا يرضى بمن يغسله إلا من كان متصفاً بالفضل والدين، ولما عدل عنه، ومال إلى أهل الكرم المتسعين في الدنيا، وبلغ الموصى له بغسله ذلك ظهر له أنَّ مراد الشافعي بغسله طهارته من المطالبة بدينه وأنَّه أهل لذلك، واختاره له فنظر في دفتره، فإذا عليه سبعون ألف درهم فقضاها عنه.

(وقيل: لما قدم الشافعي رضي الله عنه من صنعاء إلى مكة كان معه عشرة آلاف دينار فقيل له: تشتري بها قنية فضرب خيمته خارج مكة وصب الدنانير فكل من دخل عليه كان يعطيه قبضة قبضة فلما جاء وقت الظهر قام ونفض الثوب ولم يبق) منها **(شيء)** وقد فعل الشافعي بذلك ما أشير عليه به فاشترى بالدنانير قنية لأنَّ ما يشتري للقنية هو ما يشترى للانتفاع به دنيوياً كان أو أخروياً، وقد اختار الأخروي وشتان ما بين قصور الجنة والدنيا وخدمهما وثيابهما، وأنهارهما وأشجارهما، وغيرهما، وفي ذلك دلالة على زهد الشافعي رضي الله عنه، **(وقيل: خرج السري يوم عيد فاستقبله رجل كبير الشأن فسلم السري عليه سلاماً ناقصاً)** بأنْ قبض نفسه عن البشر له وأظهر الرجل له البشر **(فقيل له: هذا رجل كبير الشأن فقال: قد عرفته، ولكن رُوي مسنداً أنه إذا التقى المسلمان قسمت بينهما مائة رحمة تسعون لأبشهما فأردت أنْ يكون معه الأكثر)** رغبة له فيما يعظم نفعه الأخروي والتبسم من حيث هو ليس هو بطاعة، وإلا فكيف آثره به مع أنَّ الإيثار به مكروه، ولعله آثره به لأنَّ إمساكه عنه لا يستلزم بشر الآخر، وإنْ كان الظاهر أنَّه فهم منه ذلك، **(وقيل: بكى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوماً فقيل له: ما يبكيك فقال)** مع كمال زهده في الدنيا، وإنفاقه جميع ما في بيت المال: **(لم يأتيني ضيف منذ سبعة أيام و)** أنا **(أخاف أنْ يكون الله تعالى قد أهانني)** ونقص درجتي **(و)** قد **(رُوي عن أنس بن**

كيف وهو بضعة محمدية، ونتيجة علوية، فالكرم إنما يتلقى من قبله. **(قوله: وفي نسخة ونعلان)** أي والنسختان صحيحتان كما هو ظاهر لمن له اطلاع وإلمام. **(قوله: على كرم الرجل)** أي وعلى حل كسبه وماله كما هو اللائق بنظر مثل هذا الإمام رضي الله تعالى عنه. **(قوله: قنية)** أي شيئاً تقتنيه لأجل الانتفاع به. **(قوله: وقد اختار الأخروي)** أي إيثاراً لما يبقى على ما يفنى. **(قوله: وإلا فكيف الخ)** أي ألا نقل أنَّه ليس بطاعة بل قلنا: إنه طاعة فكيف الخ. **(قوله: وقيل: بكى أمير المؤمنين الخ)** تأمل تأثره وتضرره من عدم

مالك رضي الله عنه أنّه قال: زكاة الدار) أي بركتها ونموّها (أنْ يتخذ فيها بيت للضيافة»[1]) لأنَّ أهل الدار لا بد أنْ يحتجبوا عن الضيوف غالباً، والمراد أنَّ البركات والخيرات، إنما تنمو في الدار إذا تكرر عليها الضيوف.

(وقيل في قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾) [الذاريات: ٢٤] ما سبب وصفهم بذلك (قيل: قيامه) عليه السلام (عليهم بنفسه) لا بوكلائه (وقيل:) إنما كانوا مكرمين عنده (لأن ضيف الكريم كريم، وقال إبراهيم بن الجنيد: كان يقال: أربعة لا ينبغي للشريف) أي شريف الهمة الطالب لمعالي الأمور (أن يأنف منهن وإنْ كان أميراً قيامه من مجلسه لأبيه) لأنَّ ذلك يزيده شرفاً عند الله وعند الخلق (وخدمته لضيفه) لأنّها تدل على كمال شرفه، وشدة رغبته في الخير (وخدمته لعالم يتعلم منه) وليقتدي به غيره، ولأنّها كمال في درجته، وتحمل العالم على أنْ يخصه بفوائد (والسؤال عما لم يعلم) مما طلب منه شرعاً لأنّه إما واجب أو مندوب، (وقال ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١] أنهم كانوا يتحرجون) أي يرون الحرج أي الإثم (في أنْ يأكل أحدهم وحده فرخص لهم) بالآية (في ذلك) توسعة لهم فنفت عنهم الحرج والجناح في أكلهم مجتمعين أو متفرقين، (وقيل: أضاف عبد الله بن عامر بن كيريز رجلاً فأحسن) هو وغلمانه (قراه) بحسن القول والفعل له ولمن معه (فلما أراد الرجل أنْ يرتحل عنه لم يعنه غلمانه) فاستنكر الرجل منهم ذلك، رآه مبايناً لما فعلوه معه عند قدومه عليهم (فقيل له:) أي لعبد الله (في ذلك) أي ما السبب فيه (فقال عبد الله: أنهم) وفي نسخة لأنهم (لا يعينون من يرتحل عنا) لمحبتهم لدوام إقامته عندهم وكراهتهم لرحيله عنهم، وهذا غاية في الكرم. (أنشد عبد الله بن باكويه الصوفيّ قال أنشدنا المتنبي في معناه)

(إذا ترحلت عن قوم وقدروا ... على (أنْ لا تفارقهم، فالراحلون هم)

وجود الضيف بالتضرر من وجوده باعتبار حال أهل زماننا تتحقق تأخر الزمان، وفقد أهل الإحسان، فالله تعالى يعوّضنا خيراً.

(قوله: أنْ يأنف منهن) أي بل عليه أنْ يقوم على نفسه حتى تتخلق بذلك لأنّه يزيد الشريف شرفاً في دنياه وفي أخراه. (قوله: فقال عبد الله: انهم الخ) أي لأنَّ العبيد على ما تهوى ساداتهم غالباً. (قوله: أفضل من سخاء النفس الخ) هذا مرجعه إلى الخلاف في

---

(١) أخرجه السهمي في (تاريخ جرجان ٤٠٤).

أي القوم فكان القوم هم الراحلون لكراهتهم ارتحاله من وطنهم، وفي ذلك تحريض على أنْ لا تدع من نزل بك يرتحل عنك وأنتَ متمكن من بقائه عندك فإنْ ذلك من الكرم. (**وقال عبد الله بن المبارك: سخاء النفس عما في أيدي الناس**) أي عدم طلبه منهم، وعدم الرغبة فيه، وهو الزهد في الدنيا (**أفضل من سخاء النفس بالبذل**) لما في يدها، فالزهد في الدنيا أفضل من بذل ما في اليد، (**وقال بعضهم: دخلت على بشر بن الحرث في يوم شديد البرد وقد تعرى من الثياب**) ما يدفع عنه من ألم البرد ودفعه إلى فقير (**وهو ينتفض**) من البرد (**فقلت:**) له (**يا أبا نصر الناس يزيدون في الثياب في مثل هذا اليوم، وأنت قد نقصت**) منها (**فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه**) من البرد (**ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أنْ أواسيهم بنفسي في مقاساة البرد**) بأنْ أخرجت من ثيابي ما كان يدفع عني ألم البرد لفقير، ولم أقدر أنْ اعمهم فوافقتهم بأنْ قاسيت ألم البرد مثلهم، وفيه دلالة على كمال إيثاره بما يحتاجه. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازي يقول: سمعت الدقاق يقول: ليس السخاء أنْ يعطي الواجد**) للشيء (**المعدم**) له (**إنما السخاء أنْ يعطي المعدم**) للشيء (**والواجد**) له بأنْ يتركه له إذا أتاه بأن لا يقبله منه كما هو طريقة إبراهيم بن أدهم، فإنَّه إنما كان يأكل من عمل يده من حراسة البساتين وغيرها مما عرف حاله.

الغني الشاكر والفقير الصابر أيهما أفضل، والذي عليه الفقهاء الأول، والصوفية الثاني، ولكل وجهة هو موليها.

باب الغيرة

هي سقوط الاحتمال وضيق الصدر عن الصبر، ويقال غير ذلك كما سيأتي وهي إنْ لم تكن في مباح فهي مذمومة، ولهذا قال النبي ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[1]، وإنْ كانت في مباح فهي ممدوحة ومطلوبة. **(قال الله تعالى** ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾**)** [الأعراف: ٣٣] أي علانيتها وسرها وإنما حرمها لغيرته كما سيأتي. **(أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي رحمه الله قال: أخبرنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزار ببغداد قال: حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال: حدثنا عبد الله بن مسلم قال: حدثنا محمد بن الفرات عن إبراهيم الهجريّ عن أبي الأحوص عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ:** «ما أحد

باب الغيرة

اعلم أنّها هي كراهية مشاركة الغير فيما للنفس فيه حظ من مال أو جاه أو غيرهما، وهي بهذا المعنى مذمومة لأنّها لا تنشأ إلا عن نحو الحسد كحب الرياسة، أما إذا كانت الغيرة للحق تعالى بأن لا يرضى العبد من قلبه أنْ يميل إلى غير ما يرضيه تعالى، فهي ممدوحة ومطلوبة، وهذا كله إذا أسندت الغيرة للعبد، أما إذا أُسندت للرب تعالى فالمراد منها إرجاع العبد إلى ما يرضيه عند صدور التفاته إلى غيره، غيرة عليه وحفظاً له اهـ.

(قوله: هي سقوط الاحتمال) أي التحمل، وما عطف عليه تفسير له، وقوله: وضيق الصدر عن الصبر أي على مشاركة الغير فيما فيه حظ له. **(قوله: وهي إنْ لم تكن في مباح)** أي فيما خير فيه الشارع المكلف فعلاً أو تركاً، وقوله: فهي مذمومة أي لأنَّ منشأها إما الحسد، وإما حب الرياسة، وهما مذمومان. **(قوله: لا تمنعوا إماء الله الخ)** هذا باعتبار ما كان، وإلا فيجب الآن منعهن من مجامع الرجال مطلقاً لما يترتب على اجتماعهن معهم من الفتن. **(قوله: وإنما حرمها لغيرته)** المراد لحكمة المنع من الفعل أو الترك.

---

(١) أخرجه البخاري (جمعة ١٣) ومسلم (صلاة ١٣٦) وأبو داود (صلاة ٥٢) والدارمي (صلاة ٥٧) والموطأ (قبلة ١٢) وأحمد بن حنبل (٢، ١٦، ١٥١، ٤٣٨، ٤٧٥، ٥٢٨، ٥، ١٩٢، ١٩٣، ٦، ٦٩).

أغير من الله» ومن أجل **(غيرته حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن. أخبرنا علي بن أحمد الأهوازي رحمه الله قال: أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار قال: حدثنا علي بن الحسن بن بنان قال: حدثنا عبد الله بن رجاء قال: أخبرنا حرب بن شداد قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة أنَّ أبا هريرة رضي الله عنه حدثهم أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إن الله يغار، وإنَّ المؤمن يغار، وغيرة الله تعالى)** على عبده المؤمن **(أن يأتي العبد المؤمن ما حرم الله تعالى عليه»**[1] ويبعد الله عنه ذلك ويحميه عنه، ولا يرضاه الله له. **(والغيرة كراهية مشاركة الغير)** أي كراهية من قامت به الغيرة مشاركة غيره له في حقه كأن يكره الرجل مشاركة غيره له في درجته، قيل: وينشأ من ذلك انقسام الناس أربعة أقسام قوم لا يغارون على شيء أصلاً، وهم الذين لا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يغارون على بعض المحرمات كالديوث والقواد، وقوم يغارون على كل شيء حتى على ما أمر الله به مما هو من نوع الحسد، وقوم يغارون على ما أمر الله به دون ما حرمه فيكرهون العبادات ويحبون الفواحش، وقوم يغارون على ما يكرهه الله ويحبون ما يحبه، وهم أهل الإيمان، وقد يتوقف في تسمية بعض ذلك غيرة، **(وإذا وصف الحق سبحانه بالغيرة)** على عبده **(فمعناه أنه لا يرضى بمشاركة الغير معه فيما هو حق له تعالى من طاعة عبده له)** فهو تعالى يصرفه عنه ويحميه عن الوقوع فيه. (حُكي عن السريّ السقطيّ **أنّه قرىء بين يديه** ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾) [الإسراء: ٤٥] فقال السريّ لأصحابه: أتدرون ما هذا الحجاب؟ هذا حجاب الغيرة ولا أحد أغير من الله تعالى) قال المملي: **(ومعنى قوله: هذا حجاب الغيرة يعني أنه لم يجعل الكافرين أهلاً لمعرفة صدق الدين)** بل أبعدهم عنه إرادة لشقاوتهم **(وكان الأستاذ أبو علي**

(**قوله: إنَّ الله يغار الخ**) المراد عدم رضاه تعالى، ومنعه من الشيء كما هو ظاهر.
(**قوله: والغيرة كراهية الخ**) هذا المعنى يعم غيرة الحق، وغيرة الخلق كما هو واضح.
(**قوله: كأن يكره الرجل الخ**) فيه أنّه قاصر على غيرة الخلق المذمومة.

(**قوله: وينشأ من ذلك**) أي من وجود الغيرة وعدمها. (**قوله: والقواد**) عطفه على ما قبله من عطف الأعم. (**قوله: حتى على ما أمر الله به**) أي فلا يفعلونه، وذلك لما قام عندهم من الحسد. (**قوله: وقد يتوقف الخ**) أي لأنَّ حقيقة الغيرة كراهية مشاركة الغير، وذلك يقتضي قيام المغار منه بالشخص ذي الغيرة.

(**قوله: فهو يصرفه عنه**) أي لسبق عنايته به أما غيره فلا يصرفه بل يعاقبه على

---

(١) أخرجه أحمد بن حنبل (٢، ٣٤٣، ٣٨٧) والبخاري (نكاح ١٠٧).

الدقاق رضي الله عنه يقول: **إنَّ أصحاب الكسل عن عبادته تعالى هم الذين ربط الحق بأقدامهم مثقلة الخذلان)** يعني ربط أقدامهم بمثقلات الخذلان عن العبادة بحيث يتمنونها، ولا يجدون عليها عوناً **(فاختار لهم البعد عنه)** تعالى **(فأخرهم عن محل القرب، ولذلك تأخروا)** عن خدمته تعالى **(و)** في معناه **(أنشدوا: أناصب)** أي مشتاق محب **(لمن هويت)** أي أحببته **(ولكن * ما احتيالي لسوء رأي الموالي)** الذين حكموا على وهم هواه وشهوته ونفسه وشيطانه، فهؤلاء هم الذين عاقوه عن خدمة مولاه كما قال تعالى: (﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾) [الجاثية: ٢٣] **(وفي معناه أيضاً قالوا:)** هو **(سقيم)** أي مريض على تخلفه عن طاعة ربه **(ليس يعاد)** أي لا يقصد بالعيادة **(ومريد)** للمنازل الرفيعة **(ولا يراد)** لها هذا من قائله ذم لنفسه وتمنٍ لعافيته من مرضه وكسله. **(سمعت الأستاذ أبا عليّ رحمه الله يقول: سمعت العباس الزوزني يقول: كان لي بداية حسنة وكنت أعرف كم بقي بيني وبين الوصول إلى مقصودي من الظفر بمرادي)** من بعض المقامات العالية **(فرأيت ليلة من الليالي في المنام كأني أتدهده)** أي أتدحرج **(من حالق جبل)** أي من جبل مرتفع قال الجوهري: الحالق هو الجبل المرتفع **(فأردت الوصول إلى ذروته)** بكسر الذال وضمها أي علوه.

(قال: فحزنت) بعد استيقاظي على تقصيري عن مطلوبي من ذروة الجبل **(فأخذني النوم)** أيضاً **(فرأيت)** ما يدل على ما اختاره الله لي دون ما اخترته من أنَّ **(قائلاً يقول: يا عباس الحق)** تعالى **(لم يرد منك أنْ تصل إلى ما كنت تطلب، ولكنه فتح على لسانك الحكمة)** لينتفع بك من تعظه فيتزايد فضلك وأجرك **(قال: فأصبحت وقد ألهمت كلمات الحكمة)** في ذلك تحريض على رضا العبد بالمقام الذي أقامه الله فيه، وإن علم أنَّ فوقه أرفع منه لأنه تعالى عالم بما يصلح عبيده، وبما أهلهم

الفعل، وسبحان من له الحكمة البالغة. **(قوله: هم الذين ربط الحق الخ)** منه يعلم أنَّ الأمر من الله وإلى الله، فلا حول ولا قوّة إلا بالله، وقوله: مثقلة الخذلان أي مثقلة هي الخذلان. **(قوله: وأنشدوا أنا صب الخ)** هو قريب مما قاله الأستاذ: غير أنَّه فيه جري على ظاهر الحال من نسبة الفعل للمكلف. **(قوله: هو سقيم)** أي بالسقم المعنويّ لمرض همته، وضعف سريرته على اللحوق بأهل العنايات. **(قوله: يقول: كان لي بداية حسنة الخ)** محصله أنَّ الخيرة له سبحانه وتعالى، ويشهد له: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨] الآية. **(قوله: في ذلك تحريض الخ)** حاصله وجوب الرضا بما أعطاه الحق تعالى من المقامات، ومع هذا فللعبد أنْ يسأل الأرفع مما ناله على حسب شاهد الشريعة، أما بالنسبة لمقام الحقيقة ففي سؤال الأرفع نوع معارضة على أنّه لا معارضة إذ الغرض الرضا بما منحه وعدم كراهيته، وذلك لا ينافي سؤال غيره. **(قوله: لا على ما**

لحمله، ولا يمنعه ذلك من سؤال المقامات العالية، فالممنوع إنما هو كراهة المقام الذي هو فيه لا سؤال ما هو أرفع منه، فهذا الرائي كانت نفسه متعلقة بذروة الجبل الذي رآه، وهي حالة رفيعة في الدين والقدر يمنعه من ذلك، فحزن على تقصيره عن مطلوبه، فرأى في نومه ما دله على ما اختاره الله له من فتح الحكمة على لسانه كما تقرر. (**وسمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول: كان شيخ من الشيوخ له حال ووقت مع الله فخفي**) عن الناس (**مدة لم يرَ**) أي لم يظهر (**بين الفقراء ثم أنّه ظهر بعد ذلك لا على ما كان عليه من الوقت فسئل عنه فقال: آه وقع حجاب**) يحتمل أنْ يكون ما انتقل إليه دون ما كان عليه، ويحتمل أن يكون أرفع منه، والحجاب على الأول نقص، وعلى الثاني حجاب كمال، وهو شغله من الناس بربه (**وكان الأستاذ أبو علي رحمه الله تعالى إذا وقع شيء في خلال المجلس يشوش**) وبكدر (**قلوب الحاضرين يقول: هذا من غيرة الحق سبحانه**) عليهم حيث (**يريد أن لا يجري عليهم ما يجري من صفاء هذا الوقت**) لعدم أهليتهم له بل أجرى عليهم ما يشوش عليهم ويحجبهم عن ذلك (**و**) قد (**أنشدوا في معناه همت**) أي المحبوبة أو الفوائد التي كانت تجري عليهم لو كانوا أهلاً لها (**بإتياننا**) وفي نسخة بإتيانها (**حتى إذا نظرت * إلى المرآة نهاها وجهها الحسن**) وفي نسخة بعد هذا البيت: ما كان هذا جزائي من محاسنها * عذبت بالهجر حتى شفني أي أنحلني الحزن، وقد يكون ذلك رحمة، وقد يكون عقاباً وإبعاداً (**وقيل لبعضهم: تريد**) أي أتحب (**أن تراه**) تعالى حتى (**فقال: لا فقيل: لم. فقال: لأني أنزه ذلك الجمال عن نظر مثلي**) من حيث أنه لا يصلح لهذه المنزلة في القرب والرؤية أو لأني لا أطيق رؤيته لضعفي عن حمل بغتتها كما جرى لصواحبات يوسف عليه السلام لما أخرجته امرأة العزيز عليهن، فلم يطقن رؤيته لكمال جماله فقطعن أيديهن، وهن لا يشعرن، وامرأة العزيز تنظر إليه معهن

كان عليه) أي بل على أقل منه كما يفيده قوله: آه وقع حجاب إذ لا يتوجع إلا من مثل ذلك.

(**قوله: ويحتمل أنْ يكون أرفع منه**) فيه بعد ظاهر فالأولى الاقتصار على ما قبله.
(**قوله: ويريد أنْ لا يجري الخ**) أي لحكمته الباهرة يصرف عنهم الأكمل من المقامات، والأصفى من الأحوال لعلمه بعدم استعدادهم له. (**قوله: أو الفوائد الخ**) المراد ربها، ففيه مجاز بالحذف أو نفس الفوائد على طريق المجاز العقليّ وذلك واضح. (**قوله: فقال: لأني أنزه ذلك الجمال**) أي بواسطة اعتقادي لذلك لا على معنى إحداث التنزيه له تعالى لأنّه منزه أزلاً وأبداً. (**قوله: كما جرى لصواحبات يوسف الخ**) أي وكما جرى لسيدنا موسى وسيدنا محمد صلى الله عليهما وسلم حيث تلثم موسى ستراً لتأثر ذاته

فلم تتأثر برؤيته لتمكنها في ذلك **(وفي معناه: أنشدوا: إني لأحسد ناظري عليكا *)** يا رب لعدم صلاحية نظري لنعمة الرؤية **(حتى أغض)** أجفاني محبة لزوالها، ولهذا سماه حسداً **(إذا نظرت إليكا)** قيد لحسد ناظريه **(وأراك تحظر في شمائلك)** يعني أفعالك الدالة على كمالك وجلالك **(التي هي فتنتي)** بأنْ يغشى عليّ لكوني لا أطيق حمله **(فأغار منك عليكا)** فلا أحب أنْ يظهر لي من جلالك وعظمتك ما لا أحتمله.

(وسئل الشبلي متى تستريح) من الغيرة **(فقال: إذا لم أرَ له)** تعالى ذاكراً فإني إذا رأيت له **(ذاكراً)** بذكره فغيرتي عليه باقية لأني لا أُحب جريان ذكر محبوبي على لسان غيري ويحتمل أنّه أراد إذا لم أر له ذاكراً غافلاً فإني لا أحتمل من يذكره غافلاً كالعتالين والمنادين على معايشهم، أو ذاكراً صادقاً فإني رأيته وقد أثر ذكره في ظاهره تجدد على أحوال عظيمة لا أطيق حملها، وكنت مستريحاً قبل رؤيتي له، وهذا يجري في مجالس الذكر كثيراً فقد يكون فيها من أرباب الأحوال من يسرع إليه الحال لسماع بعض المقال، فيؤثر حاله في كثير ممن حضر معهم، ويتجدد عليهم أحوال، وتظهر عليه غلبة، وهم يريدون سترها، وما ذاك إلا لمشاهدتهم أرباب الأحوال الشديدة، فيؤثر صدقهم في غيرهم.

(سمعت الأستاذ أبا علي رحمه الله يقول: في قول النبي ﷺ في مبايعته فرساً من أعرابي، وأنّه استقاله فأقاله فقال الأعرابي: عمرك الله تعالى ممن أنت؟ فقال له النبي ﷺ: امرؤ من قريش» فقال بعض أصحابه من الحاضرين للأعرابي: كفاك جفاء أنْ لا تعرف نبيك) وكأنه كان لا يعرف شخصه **(وكان)** الأستاذ أبو علي **(رحمه الله يقول: إنما قال: امرؤ من قريش غيرة)** على مقام النبوة من أنْ يتعرف به إلى غير أهله أو من أنْ يشاركه في معرفته غير أهله **(وإلا كان واجباً عليه التعرف إلى كل أحد أنّه من هو)**

بتجلي التكليم، وأصبح محمد ﷺ صبيحة الإسراء وهو مسفر عن طلعته البهية، والله أعلم.

(قوله: لنعمة الرؤية) أي لنعمة هي الرؤية. **(قوله: ولهذا)** أي لمحبة زوال نعمة الرؤية. **(قوله: إذا نظرت إليكا)** أي أردت ذلك. **(قوله: يعني أفعالك الخ)** أي بواسطة شهود مجالي الصفات العلية. **(قوله: فلا أُحب أنْ يظهر لي الخ)** أي لأدوم متماسكاً يقظاً حتى أقوى على متابعة سيد الكائنات عليه الصلاة والسلام. **(قوله: ويحتمل أنّه أراد الخ)** ذلك هو المتعين في الحمل عليه، ولو اقتصر الشارح على ذلك لكان أولى. **(قوله: وكأنه كان لا يعرف شخصه)** ظاهره أنّه يعرف وصفه مع كونه لا يعرف شخصه لكن يبعده قوله بعد غيرة على مقام النبوة من أنْ يتعرف به إلى غير أهله الخ. **(قوله: وإلا كان واجباً عليه الخ)** أي وإلا نقل غيرة، فكان

ليتعرف كل أحد أنه نبي (**ثم إنّ الله سبحانه أجرى على لسان ذلك الصحابي التعريف للأعرابي**) بأنّ المسؤول نبي الله (**بقوله: كفاك جفاء أنْ لا تعرف نبيك**) الأوجه أنّه لا إنكار على الأعرابي حتى يحتاج إلى الاعتذار عنه بما ذكر لأنّ قوله: ممن أنت سؤال عن القبيلة، فأجابه بأنّه امرؤ من قريش وهو صحيح حسن ولو قال: من أنتَ لأجابه بقوله: نبي الله أو نحوه، (**ومن الناس من قال: إنّ الغيرة من صفات أهل البداية وأنّ الموحد الذي تمكن في التوحيد**) (**لا يشهد الغيرة ولا يتصف بالاختيار**) فلا غيرة له لأنّه لا يرى غير الواحد، وربما اشتغل به عن نفسه، فلا يذكرها.

(**وليس له فيما يجري في المملكة تحكم**) في شيء (**بل الحق تعالى**) (**أولى**) من غيره (**بالأشياء**) كلها (**فيما يقضي**) أي يحكم به (**على ما يقضي. سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا عثمان المغربيّ يقول: الغيرة عمل المريدين**) الذين لم يتمكنوا في التوحيد (**فأما أهل الحقائق فلا**) غيرة لهم لتمكنهم في التوحيد، فلا يروا غير الله كما مر، فلا تفرقة عندهم، وصاحب الغيرة عنده تفرقة لأنّه يرى المغار، والمغار عليه (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا نصر الأصبهاني يقول: سمعت الشبلي يقول: الغيرة**) من العبد (**غيرتان**) غيرة البشرية وغيرة الإلهية، والأولى مذمومة، والثانية ممدوحة (**فغيرة البشرية**) أي حظوظ النفس تكون (**على النفوس**) بأن يغار العبد على حظوظ نفسه أنْ يشاركه غيره (**وغيرة الإلهية**) أي الدينية تكون (**على القلوب**) بأن يغار ذو القلب المعتني بدينه على قلبه أنْ يراه متفكراً في غير ما ينفعه في دينه، وكلما رآه مال إلى خطأ، وغفل عما خلق له ثارت من قلبه الغيرة الإلهية لتكفه عما مال إليه، ويحتمل أنْ لا تقيد الغيرة بالعبد، ويراد الغيرة الإلهية غيرة الله بأنْ يغار على قلب من اختصه فيحفظه عن أنْ يشتغل بغيره لكن كلام الإمام القشيريّ فيما يأتي قد يقتضي أنّه فهم من كلام الشبليّ خلاف هذا.

الواجب عليه التعرف الخ. (**قوله: ثم إنّ الله الخ**) أي فلم يفت التعرف الواجب عليه. (**قوله: الأوجه أنّه لا إنكار الخ**) أي لا إنكار على إجابته بما ذكر إذ الجواب على حسب سؤاله للنبي ﷺ، وهو جواب صحيح حسن لا يحتاج إلى الاعتذار عنه بما تقدم. (**قوله: من صفات أهل البداية**) أي السائرين إلى طلب الحق تعالى. (**قوله: وأنّ الموحد**) أي المحقق العارف لا يشهد الغيرة لفنائه عن نفسه مع صفاتها. (**قوله: الغيرة من عمل المريدين الخ**) هو بمعنى ما قبله، فذكره لزيادة الإيضاح. (**قوله: فغيرة البشرية على النفوس الخ**) أي ومنشؤها كما تقدم إما الحسد، وإما حب الرياسة، وكل مذموم. (**قوله: تكون على القلوب**) أي ويقال للمتصف بها: إنّه يغار لله، ولا يقال: يغار على الله. (**قوله: غيرة الإلهية على الأنفاس**) أي وهي من

(وقال الشبلي أيضاً، غيرة الإلهية على الأنفاس أنْ تضيع) الأنفاس (فيما سوى الله تعالى) بأنْ لا يكون له ميل إلى غير الله تعالى قال القشيري رحمه الله تعالى: (والواجب أنْ يقال) في بيان الغيرة (الغيرة غيرتان غيرة الحق سبحانه على العبد، وهو أنْ لا يجعله) الحق تعالى (للخلق فيضن) أي يبخل بمعنى أنّه لا يجود (به عليهم) بأنْ يشغله تعالى عنهم (وغيرة العبد للحق وهو أنْ لا يجعل شيئاً من أحواله وأنفاسه لغير الحق تعالى) فالحق يغار على عبده الذي حفظه واصطفاه أنْ يدع قلبه لغيره، والعبد يغار على أعماله وأحواله أنْ يقع منها شيء لغير الله إذا علم ذلك (فلا يقال: أنا أغار على الله تعالى) لاقتضاء ذلك أنّه يكره مشاركة غيره له في طاعة الله (ولكن يقال: أنا أغار لله، فإذن الغيرة على الله تعالى جهل، وربما تؤدي إلى ترك الدين والغيرة لله توجب تعظيم حقوقه وتصفية الأعمال له) وذلك حسن، (واعلموا أنّ من سنة الحق تعالى) أي طريقته (مع أوليائه أنّهم إذا ساكنوا غيرا أو لاحظوا شيئاً أو ضاجعوا بقلوبهم شيئاً شوش عليهم ذلك) أحوالهم (فيغار على قلوبهم بأنْ يعيدها خالصة لنفسه فارغة عما ساكنوه أو لاحظوه أو ضاجعوه كآدم عليه السلام لما وطن نفسه على الخلود في الجنة) وسكن له (أخرجه) الله (منها وإبراهيم عليه السلام لما أعجبه، إسماعيل عليه السلام أمره بذبحه حتى أخرجه) أي إعجابه (من قلبه، فلما أسلما) أي خضعا وانقادا لأمر الله (وتله للجبين) أي صرعه عليه (وصفا سره منه أمره سبحانه بالفداء عنه) ففداه بذبح عظيم.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا زيد) الفقيه (المروزي رحمه الله يقول: سمعت إبراهيم بن شيبان يقول: سمعت محمد بن حسان يقول: بينا) وفي نسخة بينما (أنا أدور في جبل لبنان إذ خرج علينا رجل شاب قد أحرقته السموم والرياح) والسموم بفتح السين الريح الحارة قاله الجوهري: فعطف الرياح عليه مع أنّ المراد بها المحرقة أيضاً، لاختلاف اللفظ، ورعاية التفخيم كما في قوله تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ﴾ [البقرة: ١٥٧] (فلما نظر إلي ولى هارباً فتبعته وقلت له) غرضي (تعظني بكلمة) انتفع بها (فقال لي: احذر) من تعلقك بي أو بغيري من سائر المخلوقات لئلا يبعدك عنه تعالى (فإنّه غيور لا يحب أنْ يرى في قلب عبده سواه سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن رحمه الله) أيضاً (يقول: قال النصر أبا ذي: الحق تعالى غيور ومن غيرته أنّه لم يجعل إليه طريقاً سواه) إذ لا فعل لغيره حقيقة، فكل ما

أعلى أنواع الغيرة. (قوله: والواجب أنْ يقال الخ) هو مما يعض عليه بالنواجذ. (قوله: واعلموا أنّ من سنة الحق الخ) الغرض توضيح معنى غيرة الحق تعالى على قلوب من أحبه من العبيد.

(قوله: لاختلاف اللفظ الخ) بيان لسر عطف الرياح على السموم مع أنهما بمعنى

يوصل إليه من طاعة إنما يناله عبده بعونه وفضله (**وقيل: أوحى الله سبحانه إلى بعض أنبيائه أنَّ لفلان إليَّ حاجة ولي أيضاً إليه حاجة فإن قضى حاجتي قضيت حاجته فقال ذلك النبي عليه السلام في مناجاته: «إلهي كيف يكون لك حاجة» فقال: إنه ساكن بقلبه غيري فليفرغ قلبه عنه أقض حاجته**) وإلا فلا أقضيها لما مر أنه غيور لا يحب أنه يساكن غيره، ولا يخفى أنَّ الحق تعالى غني عن العالمين، فلا يحتاج إلى أحد فإطلاق الحاجة عليه تعالى من باب المشاكلة، والمعنى أني ما أقضي حاجته إلا إذا غير قلبه عما هو عليه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]. (**وقيل: إنَّ أبا يزيد البسطامي رأى جماعة من الحور العين في منامه فنظر**) ومال (**إليهن**) لكونه في اليقظة يميل إلى المستحسنات من المخلوقات (**فسلب وقته**) أي حاله (**أياماً**) عقوبة له وزجراً له عن العود لمثله، وفي ذلك من الغيرة أنه تعالى لم يرض لقلبه الشريف أنْ يلتفت إلى مخلوقاته، (**ثم إنه رأى في منامه جماعة منهن فلم يلتفت إليهن، وقال: إنكنَّ شواغل**) عن الشغل بالله، (**وقيل: مرضت رابعة العدوية فقيل لها: ما سبب علتك**) أي مرضك (**فقالت: نظرت بقلبي إلى الجنة فأدبني**) به على ذلك (**فله العتبى**) عليَّ لكونه لا يرضى ذلك (**لا أعود**) لمثله، هذا يدل على شريف حالها، فإنها لمّا زهدت في الدنيا، واشتغلت بالآخرة أعرضت عما سوى الله شغلاً، فلما التفتت بقلبها إلى الجنة وما فيها في بعض الأوقات أدبها الحق تعالى بما شاء من الأدب، فعرفت ذلك منه فتابت ورجعت إليه، وفيه من الغيرة ما مر آنفاً.

(**ويحكى عن السريّ أنه قال: كنت أطلب رجلاً صديقاً لي مدة من الأوقات فمررت في بعض الجبال، فإذا أنا بجماعة زمنى وعميان ومرضى فسألت عن حالهم**) من جماعة (**فقالوا: ههنا رجل يخرج في السنة مرة يدعو لهم فيجدون الشفاء، فصبرت حتى خرج فدعا لهم فوجدوا الشفاء فقفوت**) أي تبعت (**أثره وتعلقت به، وقلت له: بي علة باطنة فما دواؤها؟ فقال: يا سري خل عني فإنه تعالى غيور لا يراك تساكن غيره فتسقط من عينه**) لأنه يغار على قلوب أوليائه أنْ تسكن أو تتعلق بشيء من مخلوقاته. (**قال الأستاذ: ومنهم من غيرته حين يرى الناس يذكرونه**) تعالى (**بالغفلة**) أي معها (**فلا يمكنه رؤية ذلك، وتشق عليه**) الرؤية كما مر ذلك. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: لما دخل الأعرابي مسجد رسول الله ﷺ وبال فيه وتبادر**)

واحد. (**قوله: من باب المشاكلة**) أي فهو من التوسع وسهله المشاكلة.

(**قوله: يميل إلى المستحسنات من المخلوقات**) أي لأجل مشاهدة صنع الخالق

إليه الصحابة لإخراجه قال رحمه الله: **إنما أساء الأعرابي الأدب)** ببوله في المسجد بحضرة النبي ﷺ، وإنْ كان جاهلاً بالحرمة **(ولكن الخجل وقع على أصحابه، والمشقة حصلت لهم حين رأوا من وضع حشمته)** ما رأوا **(كذلك العبد إذا عرف جلال قدره سبحانه يشق عليه سماع ذكر من يذكره بالغفلة وطاعة)** أي ورؤية طاعة **(من لا يعبده بالحرمة)** كما علم ذلك، وإنما بادر الصحابة إلى الإنكار غيرة على شرف المكان لئلا يناله نقص أو زيادة خبث، ولما كان النبي ﷺ أثبت منهم وأرحم وعلم أنَّ الأعرابي إنما فعل ذلك جهلاً نهاهم عن منعهم له من إتمام بوله لأنَّه إما أنْ يتضرر ببقيته أو ينحبس أمكنة أخرى غلبة، ثم أمرهم بأنْ يصبوا عليه ذنوباً من ماء ليطهره، وقوله: لما دخل ظرف لأساء، وجملة إنما أساء الأعرابي الأدب مقول القول.

(حُكي أنَّ أبا بكر الشبليّ مات له ابن كان اسمه أبا الحسن، فجزعت أمه عليه، وقطعت شعر رأسها فدخل الشبلي الحمام وتنور) أي استعمل النورة **(بلحيته)** أي فيها **(فكان كل من أتاه معزياً قال: إيش هذا)** الذي فعلته **(يا أبا بكر؟ فكان يقول)** فعلته **(موافقة لأهلي)** وتطييباً لقلبها **(فقال له بعضهم: أخبرني يا أبا بكر لم فعلت هذا)** فإنَّ قلبي لم يمل إلى أنَّك فعلته موافقة لأهلك **(فقال:)** فعلته لأني **(علمت أنَّهم يعزونني على الغفلة)** أي غافلين عن تعظيم الله **(ويقولون)** لي: **(آجرك الله تعالى)** في مصيبتك، ورزقك الصبر على ما ابتلاك به، ونحو ذلك **(فقديت ذكرهم لله تعالى بالغفلة)** أي معها **(بلحيتي)** يعني أنَّ قلب العارفين لا يحتمل شيئاً من ذلك، فإنَّه مسرور بفعل الله راضٍ به، فهو يتألم بسماع خلاف ما هو فيه فأزال لحيته ليشتغلوا عن تعزيته بما يرون من تغيير بينته، وهذا فعله مداواة لعلل قلبه، فلا يكون مذموماً في حقه **(وسمع النوري رجلاً يؤذن فقال)** له عند تشهده **(طعنة)** أي طعنك الله طعنة **(وسم الموت)** أي مع سمه **(وسمع كلباً ينبح فقال له: لبيك وسعديك، فقيل له: إنَّ هذا)** القول **(ترك للدِّين فإنَّه يقول للمؤذن في)** حال **(تشهده طعنه وسم الموت، ويلبي عند نباح الكلب)** وفي نسخة ويقول للكلب: لبيك **(فسئل عن ذلك فقال: أما ذلك)** المؤذن **(فكان ذكره لله على رأس الغفلة)** عن تعظيم الله أي كان على حكم العادة من غير تعظيم، فجزاؤه على ذلك ما قلته له، **(وأما الكلب)** فإنَّه دعا إلى خير وطاعة لله

جلت قدرته فيترقى إلى شهود صفاته تعالى، فهو ميل حق للقرب.

(قوله: لئلا يناله نقص الخ) أي فإنكارهم لاجتهادهم الذي أداهم إلى خوف النقص، أو زيادة التلويث فهم مأجورون رضي الله تعالى عنهم.

(قوله: وتنور الخ) أي وذلك منه لأجل مداواة قلبه ولدفع تألمه بسماع غير ما فيه،

بحسب ما فهمه الله تعالى ذلك عنه، فإنَّ نباح الكلب منه خير وطاعة **(فقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾)** [الإسراء: ٤٤] وقد علّم الله سليمان عليه السلام كلام الطير، وكلام النمل لما سمعها تقول: ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده، ووجه دخول ذلك في الغيرة كون النوريّ لم يحتمل ذكر المؤذن مع الغفلة.

(وأذن الشبليّ مرة، فلما انتهى إلى الشهادتين قال: لولا أنّك) يا رب **(أمرتني)** بذكره ﷺ **(ما ذكرت معك غيرك)** وذلك لأنه لما غلب عليه دوام ذكر الله بقلبه ولسانه حتى شغله ذلك عن الشغل بغيره لم يحتمل قلبه ذكر غيره معه، ووجه دخول ذلك في الغيرة أنَّ من كملت محبته وغيرته لله تعالى لا يحتمل ذكر غيره في حال غلبة ذكره على قلبه. **(وسمع رجل رجلاً يقول: جلّ الله فقال له)** لما سمعه يذكر الله: ولم ير ما يدل على إجلاله وتعظيمه له **(أحب)** لك **(أنْ تجله عن هذا)** بأنْ تذكره مجلاً معظماً له بقلبك ولسانك حتى يظهر ذلك على جوارحك. **(سمعت بعض الفقراء يقول: سمعت أبا الحسن الخزفانيّ رحمه الله يقول:)** قائل **(لا إله إلا الله)** يقولها: **(من داخل القلب)** عارفاً به محباً له، وقائل **(محمد رسول الله)** يقولها: **(من)** خلف **(القرط)** بضم القاف وإسكان الراء وهو ما يعلق في شحمة الأذن يعني من القفا بغير اختيار **(ومن نظر إلى ظاهر هذا اللفظ توهم أنه استصغر الشرع ولا)** أي وليس **(كما يخطر بالبال إذ الأخطار)** في القلب **(للأغيار بالإضافة إلى قدر الحق تعالى متصاغرة في التحقيق)** وإنْ كان بعضها عظيماً في نفسه، فإنَّ جلالة الله لا توازى بمخلوق، وإنما عظمت الأنبياء لتعظيم الله لهم حتى جعل طاعتهم طاعته فقال: من يطع الرسول فقد أطاع الله هذا مع أنَّ الأدب ترك هذه المقالة لبشاعتها.

ولو قدر أنها جرت على لسان من غلب عليه الحال والبسط، وكان معذوراً فذكرها عنه على وجه المدح له، وحسن حاله ليس بحسن إذ من كمال الأحوال أنْ يحفظ الله العبد في غيبته وحضوره.

وقوله: فعلته موافقة لأهلي الخ اللام فيه للصيرورة حيث لم تكن الموافقة مقصودة.

(قوله: وقد علم الله سليمان الخ) دليل على قوله: بحسب ما فهمه الله تعالى ذلك عنه. **(قوله: ومن نظر الخ)** أقول: وإنْ كان التأويل محتملاً إلا أنَّ بشاعة هذا القول وشناعته وقبح ظاهره لا يخفى على من له أدنى ذوق في طريق الأدب لأنَّ تعظيم رسل الله بأمر الله تعظيم لله، فلا حول ولا قوة إلا بالله.

باب الولاية

وهي عامة وخاصة، فالعامة ولاية الإيمان، ثم ولاية القيام بالمأمورات،

باب الولاية

اعلم أنَّ أولياء الله معدن سره، وهم مطلعون على غيبه المكنون، وهم عرائس الحضرة أسدل الله تعالى عليهم حجاب الغيرة أولياء الله فارقوا هذا العالم بالأرواح، وساكنوهم بما ظهر من هياكل الأشباح، للأولياء قلوب نورها أضوأ من نور الشمس الحسية فيا لها من أنوار مضية، فهم نجوم الأرض لأهل السما، ونورهم لنا ولهم أسمى، شعر:

أمرتقب النجوم من السماء ... نجوم الأرض أبهر في الضياء
فتلك تبين وقتاً ثم تخفى ... وهذي لا تكدر بالخفاء
هداية تلك في ظلم الليالي ... هداية هذه كشف الغطاء

الظهور يكون للرجال بخلعتي القبول والكمال، وقيل: من غلب عليه النور فهو في الظهور، الظهور خلعة من اسمه تعالى الظاهر، فيما يظهر من المظاهر، محب الله مشهود، ومحبوب الله مستور، ظهر نقص الخلال من غلبة توهم الخيال ظهور الرجال بالتأييد، والنصر والإصابة والتسديد ظهور الأخيار بدون إختيار، إياك وطلب الظهور، ففيه قطع الظهور من كان له بالتعظيم بين العوام صورة لم يكن له بالتخصيص عند أهل التحقيق سورة. سئل أبو سعيد رضي الله تعالى عنه عن الولاية فقال: إذا أراد الله أنْ يوالي عبده فتح له باب قربه ثم رفعه إلى مجالس أُنسه، ثم أدخله دار الفردانية، ثم كشف له عن الجلال والعظمة، فيبقى هو بلا هو، فعد ذلك يصير فانياً قد وقع في كلاءة الله وحفظه بريء من دعوى نفسه، وقال أبو يزيد قدس الله سره: الواصلون في ثلاثة أحرف همهم لله، وشغلهم في الله، ورجوعهم إلى الله، وقال الجنيد رضي الله تعالى عنه: الواصل هو الحاصل عند ربه، وقال رويم نفعنا الله به، أهل الوصول أوصل الله إليهم قلوبهم، فهم محفوظون القوى ممنوعون من الخلق أبداً، وقال ذو النون رضي الله عنه: ما رجع من رجع إلا من الطريق، وما وصل إليه أحد فرجع عنه. هذا والولاية هي الاختصاص بوجه من أوجه القرب، وهي قد تكون ولاية عرفان وقد تكون ولاية كرامة،

والخاصة محبة الله للعبد وحفظه له، وهي بكل حال ممدوحة ومطلوبة لكن المراد الخاصة.

(قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [يوسف: ٦٢] أخبرنا حمزة بن يوسف السهمي رحمه الله قال: حدثنا عبد الله بن

وقد تكون ولاية مشاهدة وعيان، وقد يخلق الحق تعالى لعبده المختص أمارة تدل على كرامته، وقد لا غيره، عليه من غيرة وأنواعها لا تنحصر إذ إحسانه تعالى لعبده وتفضله عليه من خزائن جوده وكرمه التي لا تتناهى، وبالجملة هي من أسرار الحق التي لا يعلم كنهها غيره، ولهذا كان الوقت على حقيقة الولي عسر جداً لخفاء الدليل على ولايته.

(قوله: فالعامة ولاية الإيمان) أي التصديق بما جاء به سيد البشر ﷺ، وقوله: ثم ولاية القيام بالمأمورات أي وهي لا تكون إلا بعد تحقق الأولى كما أنَّ ولاية الكرامة، إنما تتحقق بعدهما معاً. (قوله: والخاصة محبة الله للعبد) أي مزيد إحسانه إليه، وحفظه ونصرته كذلك.

(قوله: لكن المراد الخاصة) أي فالولاية عند الإطلاق في إصطلاحهم إنما هي الخاصة. (قوله: قال الله عز وجل: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾) [يونس: ٦٢] قال بعض المفسرين صدرت الجملة بحرف التنبيه والتحقيق لزيادة تقرير مضمونها، والولي لغة القريب، والمراد بالأولياء خلص المؤمنين لقربهم الروحاني منه سبحانه وتعالى كما سيفصح عنه تفسيرهم، وقوله: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أي في الدارين من لحوق مكروه، ﴿وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ من فوات مطلوب، أي لا يعتريهم ما يوجب ذلك لا أنه يعتريهم لكن لا يخافون ولا يحزنون، ولا أنهم لا يعتريهم خوف وحزن أصلاً بل يستمرون على نشاط السرور، وكيف لا واستشعار الخوف والخشية استعظاماً لجلال الله سبحانه وهيبته، واستصغاراً للسعي في إقامة حقوق العبودية من خصائص الخواص المقربين، فالمراد بيان دوام انتفائهما لا بيان انتفاء دوامهما كما يوهمه كون الخبر في الجملة الثانية مضارعاً لأنَّ النفي وإنْ دخل على نفس المضارع يفيد الدوام، والدوام بحسب المقام، وإنما لم يعتريهم ذلك لأنَّ مقصدهم ليس إلا طاعة الله ونيل رضوانه المستتبع للكرامة والزلفى، وذلك مما لا ريب فيه ولا احتمال لفواته بموجب الوعد بالنسبة إليه تعالى، وقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٣] أي آمنوا بكل ما جاء من عند الله، ويتقون أنفسهم عما يحق وقايتها عنه من الأفعال والتروك وقاية دائمة حسبما يفيده الجمع بين صيغتي الماضي، والمستقبل المفيد أنهم هم الذين جمعوا بين الإيمان والتقوى المفضيين إلى كل خير المنجيين من كل شر، فالمراد بالتقوى الجامعة لما تحتها من التوقي عن الشرك التي يفيدها الإيمان أيضاً ولتوقي من كل ما يؤتم

عُدي الحافظ قال: حدثنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد قال: حدثنا محمد بن هارون المقري قال: حدثنا حماد الخياط عن عبد الواحد بن ميمون مولى عروة عن عروة عن عائشة رضي الله عنها أنَّ النبي ﷺ قال: يقول الله تعالى: «من آذى لي ولياً فقد استحل محاربتي» وروي فقد أذنته بالحرب **(وما تقرب إليَّ العبد بمثل أداء ما افترضت عليه، ولا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه» وما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض روح عبدي المؤمن فإنَّه يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه)** ورُوي «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أُحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي عليها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي في نفس عبدي المؤمن

من فعل وترك، أعني تنزه الإنسان عن كل ما يشغل سره عن الحق والتبتل إليه بالكلية، وهي المأمور بها في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢] وهي التي يحصل بها الشهود والحضور والقرب الذي يدور عليه الاسم، وهكذا كان حال من دخل معه عليه الصلاة والسلام تحت الخطاب. غير أنَّ شأن التبتل والتنزه له درجات متفاوتة على حسب تفاوت درجات استعداداتهم الفائضة عليهم بموجب المشيئة المبنية على الحكم الإلهية فأقصاها ما انتهى إليه همم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام حتى جمعوا بذلك بين رياستي النبوة والولاية، ولم يعقهم التعلق بعالم الأشباح عن الاستغراق في عالم الأرواح، ولم يصدهم الملابسة بمصالح الخلق عن التبتل إلى جنات الحق لكمال استعداد نفوسهم الزكية المؤيدة بالقوة القدسية، هذا وملاك الولاية هو التقوى المذكورة، فالأولياء هم المؤمنون المتقون، ويقرب منه ما قيل من أنَّهم الذين تولى الله هدايتهم بالبرهان، وتولوا القيام بحق عبودية الله تعالى والدعوة إليه، وما قيل من أنَّهم هم الذين يذكر الله برؤيتهم أي بسمتهم وسكينتهم وأخباتهم، وما قيل من أنَّهم هم المتحابون في الله كما ورد في خبر حيث قال عليه الصلاة والسلام: «هم تحابوا في الله على غير إرحام منهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إنَّ لوجههم لنوراً وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس» أو كما ورد فهو تعريف بنعت التخصيص لا مطلقاً. **(قوله: فقد استحل محاربتي)** المراد أنَّه قد تعرض لذلك. **(قوله: فقد آذنته)** أي أعلمته بالحرب على حسب الوعيد الحق. **(قوله: يتقرب إلي بالنوافل)** أي بعد أداء الفرائض. **(قوله: حتى أحبه الخ)** محبة الله تعالى لعبده إحسانه إليه بالفعل أو إرادة ذلك فهي صفة فعل أو ذات. **(قوله: وما ترددت في شيء الخ)** هذا جري على المألوف عند المخاطب كما يأتي في كلام الشارح، وإلا فالتردد عليه تعالى محال. قال بعضهم:

يكره الموت وأنا أكره مساته»[1] ورُوي «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة» وفيما ذكر دلالة على شرف الأولياء ورفعة منزلتهم حتى لو تأتى أنّه تعالى لا يذيقهم الموت الذي حتّمه على عباده لفعل، ولهذا المعنى ورد لفظ التردد كما أنّ العبد إذا كان له أمر لا بدّ له أنْ يفعله بحبيبه لكنه يؤلمه فإنْ نظر إلى ألمه انكف عن الفعل، وإنْ نظر إلى أنّه لا بدّ له منه لمنفعته أقدم عليه، فيعبر عن هذه الحالة في قلبه بالتردد، فخاطب الله الخلق بذلك على حسب ما يعرفون، ودلهم به على شرف الولي عنده، ورفعة درجته ثم **(الولي له معنيان أحدهما)** أنّه **(فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره قال الله سبحانه: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦] فلا يكله إلى نفسه لحظة بل يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني)** أنّه **(فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتولى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من**

العمال أربعة: تائب، وزاهد، ومشتاق، وواصل، فالتائب محجوب بتوبته، والزاهد محجوب بزهده، والمشتاق محجوب بماله، والواصل لا يحجبه عن الحق شيء، واعلم أنّ الوصول كثر دورانه في عبارة الصوفية، وكذا الاتصال والمواصلة، وذلك لا يجوز فهمه على ما بعهد من الوصل الحسّي والاتصال الجرميّ، والمواصلة النفسية، وإنما هي عبارات عن أذواق معنوية، ومكاشفات قدسية، قال ابن عطاء الله: وصولك إلى الله وصولك إلى العلم به يعني بجلاله، وعظمته، وكبريائه، ولطفه، وبره، ورأفته، وجماله، ثم قال: وإلا فجل ربنا أنْ يتصل به شيء، فأشار بذلك إلى تمجيده تعالى عن الإتصال الجرميّ والجسمي والعرضيّ والجوهريّ والروحيّ والجسديّ، وأعلم أنّ القوم قد فرقوا بين المتصل والواصل قال أبو سعيد القرشي: الواصل الذي يصله الله فلا يخشى عليه القطع أبداً، والمتصل الذي بجهده يتصل، وكلما دنا انقطع ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ﴾ [القصص: ٦٨] والله أعلم بالحقائق. **(قوله: كنت سمعه الخ)** المعنى كنت حافظاً لجوارحه الظاهرة والباطنة، فلا يترك مراقبة الحق في كامل حركاته وسكناته **(قوله: من أهان لي ولياً الخ)** أي من أوقع الهوان به قولاً أو فعلاً، فقد بارزني بالمحاربة أي فقد تعرض لسخطي وعذابي. **(قوله: حتى لو تأتى أنه لا يذيقهم الموت الخ)** أفاد بذلك أنّ حقيقة التردد تستحيل عليه تعالى، وإنما ذكرت جرياً على المعروف المألوف للمخاطبين. **(قوله: فعبادته تجري على التوالي)** أي من غير كلفة فيها لصيرورتها مألوفة له، ولهذا قال بعض العارفين: يصل الولي إلى رتبة يزول عنه فيها التكليف أي فيكون أولاً يجد كلفة التعب، ثم إذا وصل وجد بالتكليف الراحة والطرب، وذلك من

---

(١) أخرجه البخاري (رقاق ٣٨).

غير أنْ يتخللها عصيان) فالولي بهذا المعنى هو الذي توالت طاعاته لربه، وارتفعت في درجات قربه، وهو ما تضمنه قوله في الخبر السابق «وما تقرب إليَّ عبدي بشيء» إلى آخره، وبالمعنى الأول هو الذي توالت عليه النعم من ربه، والحفظ له في قلبه وجوارحه من الزلات، وهو ما تضمنه قوله في الخبر: «فإذا أحببته كنت سمعه» إلى آخره فهو حينئذٍ يحفظه في قلبه وجوارحه من سمعه وبصره ويده ورجله وغيرها، فيصح وصف العبد بالولي بهذين المعنيين، فيكون ولياً بمعنى توالي طاعاته لربه، وولياً بمعنى توالي فضل ربه عليه كما تقرر، **(وكلا الوصفين)** أي المعنيين **(واجب)** تحققه **(حتى يكون الولي)** عندنا **(ولياً)** في نفس الأمر بحيث **(يجب)** أي يتحقق **(قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء)** لجميع ما أمر به **(و)** يتحقق

باب أرحنا بها يا بلال، فهذا هو مقصد الرجال، وقال عارف: للربوبية سر لو ظهر لعطل نور الشريعة قلت: أي سر الإحاطة بجميع الأفعال بالإيجاد والاختراع فافهم.

(قوله: من غير أنْ يتخللها عصيان) أي ولا فتور. **(قوله: وارتفعت في درجات قربه)** أي ترقت بواسطة كمالها في الدرجات المبلغة لها إلى غاية مراتب القرب من إحسان الرب جل جلاله. **(قوله: الوصفين الخ)** قال قائلهم: فتح طلسم الكنز خذ حروف الطلسم الإنساني واستخرج منها الإسم الروحاني ووفقه بتوفيقك، وتحجب به في طريقك، وإذا جئت الباب ووقفت على الأعتاب اشتغل بصرف العلائق، واستعذ من شر الطارق، ولا تذكر الموكل إلا بأحسن أسمائه، ولا تغفل عن عزيمتك حتى يحضر مسماه، ولتدم بخورك المطيب للوارد في حاله إستحضار العون المساعد، وإياك إذا أذن وفتح وتفضل وسمح أنْ تسارع إلى الأمتعة وأخذ المال، فإنَّ ذلك مهلك في الحال والمآل بل اجعل قصدك الملك لا غير، فإنْ وهبك سر خاتمه في السير فقد ظفرت بكل خير اهـ.

وقال بعضهم: حل معمي السر المكنون هو الولي المصون من سقبت له رعاية وعناية أزلية، ومحبة تلوح عليه في الأبدية

وآثار تلوح على ولي ... كمثل الرقم في الثوب الموشى

فولي الله المحبوب هو خزانة الأسرار والغيوب، وليلة القدر السامية الفعال، والاسم المجاب والحرف الفعال، فلا تعجب إذا ظهرت عليه الكرامات، وخرقت له سبل العادات لأنَّه بفنائه في بقاه صار فعله فعل مولاه شعر:

أمره كله عوائد فينا ... ليس في الكون عندنا خرق عاده

(قوله: وكلا الوصفين الخ) أي فمن ادعى الولاية بدون شاهد المتابعة فدعواه زور وبهتان. **(قوله: بحقوق الله تعالى)** أي وبحقوق عباده.

(دوام حفظ الله تعالى، إياه في السراء والضراء، ومن شرط الوليّ أنْ يكون محفوظاً كما أنَّ من شرط النبي أن يكون معصوماً) لأنَّه مبلغ عن الله ما أرسل به، وقد دلت المعجزة على استحالة خطئه في أحكام ربه، والمراد بكون الولي محفوظاً أنْ يحفظه الله من تماديه في الزلل والخطأ إنْ وقع فيهما بأنْ يلهمه التوبة، فيتوب منهما وإلا فهما لا يقدحان في ولايته، وإذا ثبت أنَّه يشترط فيه كونه محفوظاً **(فكل من كان للشرع عليه اعتراض فهو مغرور مخدوع. سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: قصد أبو يزيد البسطامي)** مجماعته **(بعض من وصف بالولاية)** ليستفيد من أحواله وينتفع برؤيته ومقاله **(فلما وافى مسجده قعد ينتظر خروجه، فخرج الرجل**

(قوله: ومن شرط الوالي الخ) الفرق بين الحفظ والعصمة إمكان المخالفة مع الوصف الأول دون الثاني. **(قوله: وإلا فهما لا يقدحان في ولايته)** أي لعدم ثبوت عصمته كما علم مما تقدم وأنت خبير بأنَّ عصيان الولي ليس هو كعصيان غيره من العامة ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] فلا تغفل تكن مغروراً.

(قوله: فكل من كان للشرع عليه اعتراض) أي بواسطة مخالفة أمر شرعي وفيه أنَّ الأمر كله لله، فلا يسأل عما يفعل، شعر:

يا حكمتي وحكيمي أحكامك الكل حكمة

فإنْ أتى الحق بالنعمة، فذلك منه فضل، وإنْ قضى بالنقمة فهو منه عدل، فنسأل الله تعالى أنْ لا يحجبنا بأحد الوصفين عن شهود الآخر فتكون من المحجوبين به عنه بل اكشف لنا عنك بك يا من نشأ كل وصف لمخلوق عن وصفه لولا وصفك ما كان وصفنا فصفنا من كدرنا حتى نرى وصفك في مرآة وجودنا المستفاد من وجود وجودك إنَّك على كل شيء قدير.

(قوله: فكل من كان للشرع الخ) وحينئذ فاحذر أنْ تخرق سور الشرع يا من يخرج عن عادة الطبع ولا تقل أنا مطلوق من الحدود بما أعطيته في حضرة الشهود، فالذي دعاك هو الذي نهاك، وهو الملك المعبود، فقم بالفناء فيما دعا ونهى تكن من أولي الكمال والنهي، أحبابنا أحبى بنا أنجابنا أنجى بنا، من كان أصحى بي فهو عين أصحابي، إذا انفرد الخصوص بخصائص العرفان صار غريباً بين أهله في الأكوان.

غريب عن الأوطان في كل بلدة إذا عظم المطلوب قل المساعد

غيره:

وما غربة الأوطان في شقة النوى ولكنها والله في عدم الشكل

(قوله: قصد أبو يزيد الخ) قد تقدمت هذه الحكاية، وإنما أعيدت لمناسبة المقام.

وتنخم في المسجد) ورمى بنخامته تجاه القبلة (**فانصرف أبو يزيد**) بمن معه (**ولم يسلم عليه وقال: هذا رجل غير مأمون على أدب من آداب الشريعة، فكيف يكون أميناً على أسرار الحق**) التي وهبها لأوليائه، والغرض من ذلك تحذير الناس من الاغترار بجمال الأفعال وحسن المقال، وجريان خوارق العادات، وانتشار الثناء، وشيوع الذكر في الخلق من غير استقامة فلا يراعى في الولي إلاّ الاستقامة على ما ثبت بالأدلة الصحيحة، وجريان خوارق العادة على يد العبد لا يدل على ولايته بل قد يكون ممكوراً به وكذاباً على ربه، ويكفي في ذلك دليلاً خروج الدجال في آخر الزمان ومعه جنة، ونار، ويحيي، ويميت وهو عدو الرحمن، (**واختلفوا في أنّ الولي هل يجوز**) أي يصح (**أن يعلم أنّه ولي أم لا، فمنهم من قال: لا يجوز ذلك، وقال: إنّ الولي يلاحظ نفسه بعين التصغير وإن ظهر عليه شيء من الكرامات خاف أنْ يكون**

(**قوله: تحذير الناس الخ**) أي ولهذا ورد في صحيح الخبر: «إنّ من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من يرى الناس أنّ فيه خيراً ولا خير فيه»[1]. (**قوله: وحسن المقال**) أي ويشهد له خبر «أخوف ما أخاف على أمتي المنافق عليم اللسان»[2]. (**قوله: وجريان خوارق العادات الخ**) أي لأنها قد تجري على يد المستدرجين والمخذولين، وقد ينتشر الثناء، ويشيع الذكر بدون استقامة لحكمة الغرور. (**قوله: فلا يراعي في الولي الخ**) تأمل هذا مع حال فقراء زماننا هذا، ومن يعتقد فيهم، تعلم أنّه من عموم الجهل بصفة الولي، وعدم الوقوف على شروطه التي من جملتها الاستقامة، ودوامها، فلا حول ولا قوّة إلا بالله.

(**قوله: ويكفي في ذلك**) أي في أنّ مجرد وقوع الخوارق لا يدل على صدق من وقعت على يده. (**قوله: واختلفوا في أنّ الولي الخ**) محصله أنّ العبد المستقيم المسمى بالولي هل يجوز أن يعلم أنّه ولي أم لا، قولان: الأول يجوز لأنّه لا يرى صاحبه في ذلك اشتراط علمه بحسن العاقبة له، والثاني لا يجوز لاشتراطه علمه بذلك، والأول ما عليه الجمهور فهو الأصح.

(**قوله: وقال إنّ الولي يلاحظ الخ**) اعلم أنّ الجمال والجلال غيب مظاهرهما ما يبدو عنهما في حضرة من حضرات التلوين، وأسرار التكوين، وأطوار تجليات التعيين مثال ذلك في التلوين، في أطوار البشرية الكاملة الموصوفة بالنبوّة والرسالة ظهور خوف الإجلال للجلال، ومحبة الجمال للأفضال، ومثاله في الولاية ظهور خوف العافية لعدم

---

(١) أخرجه الترمذي (مواقيت ١٤٩) والبخاري (لباس ٨٩، ٩١، ٩٢، ٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي (حدود ٢٤) (فتن ٥٩) (زهد ٢١) وابن ماجه (حدود ١٢) (زهد ٢١) وأحمد بن حنبل (١، ٢٢، ٤٤، ٣، ٧، ٣٠، ٣٨٢، ٤، ١٢٦، ٥، ٤٢٨، ٤٢٩).

مكراً، **وهو يستشعر الخوف دائماً وأبداً لخوف سقوطه عما هو فيه)** من المنزلة **(وأن تكون عاقبته بخلاف حاله وهؤلاء)** القائلون بذلك **(يجعلون من شرط الولاية وفاء المآل)** أي أن يوفى للولي بالولاية في العاقبة بأنْ يختم له بها، وهو لا يعلمه لاحتمال التبديل والتغيير. **(وقد ورد في هذا الباب)** أي في هذا القول القائل بأنّه لا يجوز أنْ يعلم الوليّ أنّه ولي **(حكايات كثيرة عن الشيوخ، وإليه ذهب من شيوخ هذه الطائفة جماعة لا يحصون، ولو اشتغلنا بذكر ما قالوا لخرجنا عن حدّ الاختصار وإلى هذا كان يذهب من شيوخنا الّذين لقيناهم الإمام أبو بكر بن فورك رحمه الله، ومنهم من قال: يجوز أنْ يعلم الولي أنّه ولي)** لأنَّ العبد يدرك من نفسه ومن غيره كلاً من معنيي الولي السابقين بلا ريب، **(وليس من شرط تحقيق الولاية)** أي العلم بها **(في الحال الوفاء)** أي العلم بالوفاء بها **(في المآل)** فلا يقدح في ذلك احتمال التغيير والتبديل في جوار علمه بأنّه ولي إذ لو قدح فيه لم يعظم الولي والعالم والصالح ولم يهن الكافر والعاصي والمبتدع لاحتمال ذلك، **(ثم إنْ كان ذلك)** أي الوفاء في المآل **(من شرطه)** أي شرط تحقيق الولاية **(أيضاً)** كما قال القائل الأوّل **(فيجوز أنْ يكون هذا الولي خص بكرامة هي تعريف الحق سبحانه إياه أنه مأمون العاقبة)** في أنّه يختم له بالولاية، **(إذ القول بجواز كرامات الأولياء واجب)** أي حق ثابت، فيجوز أنْ يعلم

ثبوت العصمة، فلهذا يكون الولي فيها محرر اللسان ميزان سيره خوفاً من نقصان إحدى الكفتين لأنَّ بهاتين الكفتين يصير له جناحان بهما يسرع على سبب الاستقامة في الدنيا، ويطير على صراط الامتحان في الأخرى، وحكمة ظهورهما تختلف بحسب كل مقام، ففي مقام الخلافة يظهران بالعفو والقصاص لأجل مقام الاختصاص شعر:

له خلق الرحمن في العفو مثل ما ... له خلق الجبار حقاً إذا اقتضى

(قوله: وفاء المآل) أي وأنّى له بعلم ذلك لأنه من المغيب الذي استأثر الله بعلمه.

(قوله: وليس من شرط الخ) محصله مع ما قبله أنَّ الخلف لفظي، فمن اعتبر علم الوفاء ذهب إلى أنَّ الولي لا يصح علمه بأنه ولي، ومن لم يشترطه جوّزه. **(قوله: كلا من معنيي الولي الخ)** أي من أنّه بمعنى فاعل أو مفعول السابق ذكره في أوّل الباب.

(قوله: لم يعظم الولي الخ) أي لم يصح طلب تعظيمه مع أنّه مندوب إليه، ومثله يقال في قوله: ولم يهن الكافر. **(قوله: لاحتمال ذلك)** أي التغيير والتبديل مع أنَّ ذلك خلاف ما نص عليه بشهادة علم الظاهر. **(قوله: ثم إنْ كان ذلك الخ)** أي ثم على فرض تسليم ذلك للقائل الأول، فيجوز أن يكون هذا الولي الخ، أي لأنه لا يتقاعد عن غيره من باقي الكرامات الثابتة في حقه.

أنّه ولي (**وهو وإنْ فارقه**) أي خالطه وجامعه (**خوف العاقبة**) بتقدير أنْ لا يعرفه الحق أنّه مأمونها (**فما هو عليه من الهيبة والتعظيم والإجلال في الحال أشد وأتم**) من خوف العاقبة (**فإنّ اليسير من الهيبة والتعظيم أهدأ**) أي أثقل وأسكن (**للقلوب من كثير من الخوف**) مع أنّ في خوفه من عاقبته زيادة في فضله لا شك في حاله بل هو الموجب لحفظه بفضل ربه (**ولما**) بكسر اللام أي ولما ثبت في الخبر أنّه (**قال ﷺ**) في حق عشرة من أصحابه: (**«عشرة في الجنة من أصحابي»**) وفي نسخة أصحابه (**فالعشرة لا محالة صدقوا الرسول ﷺ وعرفوا**) بأخباره (**سلامة عاقبتهم ثم لم يقدح ذلك**) أي احتمال التبديل (**في حالهم ولأنّ من شرط صحة المعرفة بالنبوّة**) التي هي ولاية الله (**الوقوف على حدّ المعجزة**) من أنّها أمر خارق للعادة مقارن للتحدّي (**ويدخل في جملته**) أي جملة حدّ المعجزة بأنْ يعلم منه (**العلم بحقيقة الكرامات فإذا رأى الكرامات ظاهرة عليه لا يمكنه أنْ لا يميز بينها وبين غيرها**) بل يميز بينهما قطعاً (**فإذا رأى شيئاً من ذلك علم أنّه في الحال على الحق ثم يجوز أنْ يعرف أنّه في المآل يبقى على هذه الحالة، ويكون هذا التعريف له كرامة**) أيضاً فجاز أنْ يعلم الولي أنّه ولي.

(**قوله: وهو وإنْ فارقه الخ**) الأولى تقديمه على قوله، فيجوز أنْ يكون هذا الولي الخ، ويحتمل أنّ ذكره بعده للترقي في ردّ القول الأول، وقوله: خوف العاقبة أي الناشىء من النظر في مقام الجبروتية، وفي أسرار التكوين وظهورهما بأطوار تجليات التعيين، وذلك بحكمة التدبير، وقضاء التقدير في كل تعسير وتيسير، ولذلك قد استوى عند القوم شهود شاهد الجمال والجلال علماً منهم بأنّ ذلك يورث مقام الكمال، تدبر تفهم والله أعلم.

(**قوله: فما هو عليه من الهيبة الخ**) فيه أنّ خوف العاقبة من نوع ما هو عليه من الهيبة الخ، فما معنى الأشدّية والأتمية. (**قوله: مع أنّ في خوفه من عاقبته الخ**) فيه أنّه وإنْ كان كذلك لا يمنع طروق احتمال التغيير والتبديل مآلا. (**قوله: بل هو الموجب لحفظه الخ**) أي فهو يكون حينئذ من الإمارات القوية الدالة على دوام استقامته. (**قوله: أي ولما ثبت الخ**) هو معطوف على قوله: فما هو عليه الخ. (**قوله: ثم لم يقدح الخ**) فيه نظر لأنّه لا يجوز خلف خبره ﷺ، ومجرّد احتمال العقل لا نظر إليه في هذا المقام، تدبره ومني عليك السلام.

(**قوله: العلم بحقيقة الكرامات**) أي لأنّ كلاً من المعجزة والكرامة أمر خارق للعادة والفرق بينهما إنما هو التحدي وعدمه. (**قوله: ثم يجوز أنْ يعرف الخ**) فيه أنّ مجرّد جواز ذلك بدون وقوعه لا يمنع احتمال التغيير والتبديل الذي هو سند القول الأوّل أما إذا وقع بالفعل تعريفه بدوام ذلك إلى عاقبته لم يبق محل للخلاف كما هو واضح. (**قوله:**

(والقول: بكرامات الأولياء صحيح، وكثير من حكايات القوم يدل على ذلك كما نذكر طرفاً من ذلك في باب كرامات الأولياء إنْ شاء الله تعالى، وإلى هذا القول) أي القول بجواز أنْ يعلم الوليّ أنَّه ولي.

(كان يذهب من شيوخنا الذين لقيناهم الأستاذ أبو علي الدقاق رحمه الله) وقد استبعد بعضهم القول بالأول فجعل الخلاف راجعاً إلى أنَّ المؤمن هل يعلم أنَّه نال الولاية، ويختم له بها أو لا، فمن جوّز أنْ تخرق العادة للولي في علم ذلك قال به، ومن لم يجوّزه ورآه من الغيب الذي يختص به الإلٰه منعه. **(وقيل: إنَّ إبراهيم بن أدهم قال لرجل: أتحب أنْ تكون لله عز وجل ولياً فقال: نعم فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرّغ نفسك لله عز وجل، وأقبل بوجهك عليه ليقبل عليك ويواليك)** الخير الجزيل، وذلك بأنْ يكون الحامل لك على طاعاتك له امتثال أمره واجتناب نهيه، وابتغاء وجهه لا طلب حظ آخر عاجل أو آجل كما قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]، **(وقال يحيى بن معاذ في صفة الأولياء: هم عباد تسربلوا بالأنس بعد المكابدة)** السربال: اللباس، قال تعالى: ﴿سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ﴾

والقول بكرامات الأولياء صحيح) أي ولهذا قال بعض العارفين، النبي مشرع للعموم، والولي مشرع للخصوص، أي على معنى أن النبي الرسول الولي مبين للعوام برسالته، وللخواص بولايته لأنَّ الولي بين الأحكام الشرعية مع تبيين الحقائق الكشفية بطريق الوراثة للأنبياء، وهذا لا ينكر في حق السادة الأولياء. **(قوله: وقد استبعد بعضهم القول بالأول)** أي بأنّه لا يعلم الولي أنَّه ولي ولو في الحال، ولكن لقائل أنَّ يقول: لا بعد مع اشتراط علم المآل عند صاحب هذا القول. **(قوله وقيل: إنَّ إبراهيم بن أدهم الخ)** شروع في بيان أسباب الولاية وإماراتها كما يعلم مما بعده.

(قوله: بعد المكابدة) أي ما نالوا الأنس بالله تعالى وحده إلا بعد مكابدتهم في فناء حظوظهم، وقوله: واعتنقوا الروح بعد المجاهدة أي لازموا الراحة بعد اشتغالهم بالمجاهدة لإرادة الوصول إلى مقام الولاية، واعلم أن ولي الله المخصوص هو من دخل حضرة الذات وانجلت عليه حقائق الصفات، وشهد معاني الأسماء بسائر التجليات، فهنالك رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، **فهو الأكسير** يا تحرير هو ولي الله الكبير من حصله حصل له الغنى، واستراح من التعب والعناء، **فإذا** رأيت العارف جلس على بساط الإرشاد ونادى لسان حاله أو قاله للعباد، فبادر أيها الطالب لما فتح من المطالب، وتأمل حروف الهجاء تجدها حرف الألف قد تصور وعم جميع المراتب لما تطور، وكذلك الوليّ الكامل يتطوّر بجميع الأطوار ليقضي سائر الأوطار، شعر:

[إبراهيم: ٥٠] أي لباسهم، فهؤلاء صار لباسهم الذي لا يفارقهم الأنس بالله تعالى بعد مكابدتهم أنفسهم وهواهم حتى استراحوا منها **(واعتنقوا الروح)** بفتح الراء أي الراحة والنعيم **(بعد المجاهدة بوصولهم إلى مقام الولاية)** فالولي على هذا من تنعم بقربه تعالى، وأنس به عن غيره. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت عمي البسطاميّ يقول: سمعت أبي يقول: سمعت أبا يزيد يقول: أولياء الله تعالى عرائس الله، ولا يرى العرائس إلا المحرمون)** الذين تجردوا للحاق بهم وإنْ منَّ الله عليهم بما منَّ به على أولئك صاروا من جملتهم مشغولين عن أنفسهم بكمال أنسهم بالله **(وهم)** أي عرائس الله **(مخدرون)** أي محجوبون **(عنده في حجاب الأنس)** لكمال أنسهم به **(لا يراهم أحد في الدنيا ولا في الآخرة)** إلا المحرمون المذكورون. **(سمعت أبا بكر الصيدلانيّ رحمه الله، وكان رجلاً صالحاً قال: كنت أصلح اللوح في)** بمعنى على **(قبر أبي بكر الطمستاني)** فكنت **(أنقر فيه اسمه في مقبرة الحيرة كثيراً، وكان يقلع ذلك اللوح ويسرق ولم يقلع مثله من غيره من القبور، فكنت أتعجب منه، فسألت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يوماً عن ذلك فقال: إنّ ذلك الشيخ آثر الخفاء)** والخمول عن الناس **(في الدنيا وأنت تريد أن تشهر قبره باللوح الذي تصلحه فيه، وإنّ الحق سبحانه يأبى إلا إخفاء قبره كما آثر هو ستر نفسه)** وهكذا شأن الحق تعالى مع أوليائه أنْ تجري المقادير على ما يحبه لهم في الدنيا، ويفعل ذلك بهم في الآخرة، فكل من أَحب الخمول في الدنيا، وجعله الله له قرّة عينه كمل ذلك له بعد موته. **(وقال أبو عثمان المغربي: الولي قد يكون مشهوراً، ولكن لا يكون مفتوناً)** بأنْ تكون شهرته بركة عليه وعلى غيره، بأنْ

غدوت إماماً للمحبين فاقتضى ... تنوّعهم في الحب أنْ أتلوّنا

ثم اعلم أنَّ الفتح عادة لا يكون بدون مفتاح ولا فتاح، فالفتاح هو التيسير، والمفتاح هو الرجل الكبير، فإذا حصلت ثمرة الهبات انفتح طلسم الكائنات بحقائق كنز الذات، فلا تكن ممن جحد وأنكر لفتح هذا الكنز الأكبر، والله أعلم.

(قوله: الذين تجردوا) أي عن كامل مألوفاتهم وحظوظهم طلباً للحاق بهم. **(قوله: وهم أي عرائس الله مخدرون الخ)** أقول: وذلك باعتبار نوع من الأولياء يغار الحق تعالى عليهم فيجعل عليهم حجاباً عن غيرهم لا بالنسبة لسائرهم لأنَّ منهم من يخالط الخلق لنفع الإرشاد.

(قوله: قد يكون مشهوراً) أي لحكمة الإرشاد والنفع له، وبه، ولكن لا يكون مفتوناً أي بل يكون محفوظاً بحفظ الله تعالى، فلا تشغله شهرته عن مراد سيده، فيدوم

لا تشغله عن ربه، فيسعد بها، وتضاعف أعماله لكثرة من يقتدي به بخلاف من أشغلته شهرته عن ربه، فإنَّه يكون مفتوناً بها. (**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت النصر أباذي يقول: ليس للأولياء**) في أغلب أحوالهم (**سؤال**) بألسنتهم (**إنما هو**) أي سؤالهم في بواطنهم (**الذبول والخمول**) والتذلل تحت جريان المقادير، والرضا بما يجريه الحق عليهم، فأكثر أعمالهم بقلوبهم لأنها محل نظر ربهم، ولأنَّ أعمالها أشدّ من أعمال الجوارح. (**قال: وسمعته**) أيضاً (**يقول: نهايات الأولياء**) في الكرامات (**بدايات الأنبياء عليهم السلام**) فيها كتسليم الحجر والشجر على نبينا ﷺ في أوّل أمره مدّة. (**وقال سهل بن عبد الله: الولي هو الذي توالت أفعاله على الموافقة**) لأوامر الله تعالى بناء على ما مرّ من أنَّ الولي يُسمى وليّاً باعتبار كونه فاعلاً كما يسماه باعتبار كونه مفعولاً، (**وقال يحيى بن معاذ: الولي لا يرائي**) الخلق بعمل الحق (**ولا ينافق**) معهم بل يوافق باطنه ظاهره، فإنْ رأى من أخيه نقصاً نبهه عليه، وإنْ رأى منه فتوراً عن الخير حرضه وأعانه عليه (**وما أقل صديق من كان هذا خلقه**) أي صفته إذ لا يحتمل التنبيه على النقائص إلا من قويت رغبته في الخلاص منها، فيسر بمزيد له عليها، والمتصف بهذا قليل الوجود بل ربما كان في

على التجسس عن سره لينفي عنه الخواطر الدنيئة ويستمر على سنن المتابعة، وطريق الأدب الشرعي، ومن ذلك ليم على العارف الغزاليّ حيث قال: ليس في الإمكان أبدع مما كان مع أنَّ مراده نفعنا الله بعلومه إمكان الحكمة الإلهية لا إمكان القدرة الربانية على ما هو اللائق بفهم كلامه، ثم ومما هو مؤوّل على ما عليه المعوّل قول العارف: أخبرني قلبي عن ربي فقد قال فيه: من أنكر لم يكلم الله إلا موسى إلا كبر قلنا: نعم اختص الله موسى بالكلام والولي بخبر الإلهام، فهو وحي الأولياء الذي هو دون وحي الأنبياء، ففرق بين أخبر وكلم يا من أنكر وتوهم.

(**قوله: ليس للأولياء في أغلب أحوالهم سؤال**) أي في حظ النفس بل في مرضاة الرب سبحانه وتعالى. (**قوله: نهايات الأولياء الخ**) أي لأنَّهم أتباع ولا قوة للتابع على غير مبادي المتبوع، وعلى هذا فقول بعضهم: خضت بحراً وقف الأنبياء بساحله مراده أنهم إنما وقفوا بساحله الأول ولم يتجاوزوه إلى الآخر شفقة منهم في التشريع على ضعفاء المؤمنين، أو مراده الساحل الآخر بعد مرورهم ومشيهم على ذلك البحر.

(**قوله: الولي هو الذي توالت الخ**) أي فمن ادّعى الولاية مجرّداً عن الموافقة فدعواه زور وبهتان. (**قوله: نبهه عليه**) أي وذلك بواسطة التخلق بالأخلاق المحمدية من الشفقة والرأفة بالأمة. (**قوله: إذ لا يحتمل التنبيه الخ**) الظاهر من كلام الشارح حمل الصديق على المنبه بصيغة اسم المفعول، وهو ظاهر. (**قوله: والمتصف بهذا قليل**) أي وحيث

زماننا مفقوداً فلو خالفت أحداً في هواه لخفت على نفسك منه ما تخشاه، هذا في عدم الموافقة فيما يهواه، فكيف لو أظهرت له نقصه، ونبهته على نقصه في أخراه، ولقد صدق من خبر الناس ورأى أنَّ سلامة نفسه في بعده عنهم، وإنما يصحبهم بقدر حاجته إليهم فقال:

عدوّك من صديقك مستفاد فلا تستكثرنّ من الصحاب
فإنّ الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب
احذر عدوّك مرّة واحذر صديقك ألف مرّه
فلربما انقلب الصديـ ـق فكان أعلم بالمضره

ولهذا كان الوليّ الذي يخالط الناس يداري ولا يرائي، ويخالق ولا ينافق **(وقال أبو علي الجوزجاني: الولي: هو الفاني في حاله الباقي في مشاهدة الحق تولى الله سبحانه سياسته فتوالت عليه أنوار التوليّ)** أي تولى الله سياسته **(لم يكن له عن نفسه إخبار، ولا مع غير الله عز وجل قرار)** هذا حال الولي المنقطع إلى الله، وما مرّ حال الولي المتوسط بين الله وعباده، **(وقال أبو يزيد: حظوظ الأولياء مع تباينها)**

كان كذلك، فالعزلة أولى لعدم منفعة الخلطة بل الضرر فيها هو الغالب. **(قوله: عدوّك الخ)** أي فالعداوة قد تنشأ من الصداقة بواسطة مخالفة الهوى كأمر بمعروف، أو نهي عن منكر، وحينئذ فلا ينبغي الاستكثار من الأصحاب، وذلك باعتبار زماننا غني عن البيان.

(قوله: ولهذا كان الولي الخ) أي فهو مع الناس بقالبه، ومع ربه بقلبه، فهو كائن بائن. **(قوله: الولي الفاني في حاله)** أي لأنّه إذا دخل حضرة الذات فنيت منه الرسوم والصفات، فلا يعرج على المقامات، ولا يكون له إليها التفات، فإنْ أردت مثل ذلك، فانهج نهج هذه المسألة، شعر:

ومهما ترى كل المراتب تجتلي عليك فحل عنها فعن مثلها حلنا
وقل ليس لي في غير ذاتك مطلب فلا ضرورة تجلى ولا طرفة تجتنى

(قوله: لم يكن له عن نفسه أخبار) أي لفنائه عما سواه تعالى.

(قوله: المنقطع إلى الله) أي فهو لغيرة الحق تعالى عليه قد حجبه عن غيره. **(قوله: حظوظ الأولياء الخ)** إنْ قلت: هل هناك علامة للوليّ قلت: نعم هو من رأيت طلعته منيرة، فاستدل بذلك منه على صفاء السريرة، ولا سيما إذا قوبل بالقبول من كل قابل ومقبول، شعر:

وسنة الله من يخلص سريرته يعظم الله بين الناس مشهده
فالوجه للقلب كالمرآة تظهره والقلب للوجه كالمشكاة يوقده

تنشأ (**من أربعة أسماء**) من أسماء الله تعالى (**و**) من (**قيام كل فريق منهم باسم منها وهو**) أي ما ذكر من الأسماء الأربعة (**الأوّل والآخر والظاهر والباطن فمن فني عنها**) كلها بحيث لم يلتفت إليها ولا إلى غيرها لشغله بربه (**بعد ملابستها**) وجريانها عليه بحيث كملت بها صفاته (**فهو الكامل التام**) أي هو أجل الأولياء لأنه كملت صفاته جذبه الحق إليه وشغله به عن غيره بكمال ذكره ومناجاته، وإذا تقرّر أنَّ حظوظ الأولياء منشؤها من الأسماء الأربعة، (**فمن كان حظه من اسمه تعالى الظاهر لاحظ عجائب قدرته**) حيث شغله ربه بما أجراه عليه من نعمه في دنياه وما وفق له من عمل أخراه، فهو موقوف على ما أجراه عليه في ظاهره من استقامته في سلوكه إليه وحفظه له عن زلله، (**ومن كان حظه من اسمه الباطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره**) حيث شغله ربه بباطن أمره، وما أسره له عن غيره مما يحدث في قلبه من خواطر وطوارق تطرقه، (**ومن كان حظه من اسمه الأوّل كان شغله بما سبق**) له عند مولاه في أزله من غير عمل سبق منه بل فضل من ربه، (**ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطاً بما يستقبله**) في أخراه مما يقوله ويقال له وقت مثواه بين يدي الله، (**وكل**) منهم مع كونه مشغولاً بربه عن غيره (**كوشف على قدر طاقته إلا من تولاه**

فمرآت القلب الصافي تخبر الناظر بالسر الخافي، شعر:

أصبحت في هيئة المرآة يخبرنا ... صفاؤها عن كل ما فينا من الكدر

فالبصير بصير البصيرة لا بصير الحدقة المنيرة، شعر:

كم من بصير فاقد لبصيرة ... إنْ كان يبصر قلبه لا يبصر

(**قوله: تنشأ من أربعة أسماء**) أي من الاشتغال بمعانيها ومظاهرها، فولاية كل وليّ تنشأ عما خصه الحق تعالى به من مظاهر هذه الأسماء ومعانيها، فالكامل من اشتغل بها ابتداء وفني عنها انتهاء.

(**قوله: لاحظ عجائب قدرته**) أي لاحظ آثارها العجيبة التي منحها هو وغيره دنيا وأخرى. (**قوله: لاحظ ما جرى في السرائر الخ**) أي فكان اشتغاله بواردات القلوب، وطوارق أنوار الغيوب(**قوله: كان شغله بما سبق**) أي من النعم الجمة التي من إماراتها غالباً ما هو عليه في الحال من الأوصاف الحميدة، وحيث كان كذلك يرى الفضل والإحسان إنما هو لمولاه حيث لم يكن لنفسه سابقة في شيء أصلاً. (**قوله: كان مرتبطاً بما يستقبله الخ**) أي ويكون الغالب في تجلي مثل هذا صفات جلال الحق تبارك وتعالى. (**قوله: وكل كوشف على قدر طاقته**) أي على قدر استعداده المقسوم له بالحكمة الباهرة. (**قوله: إلا من تولاه الحق الخ**) أقول: ومن هذا قول العارف: خضنا بحر التوحيد أولاً بالدليل والبرهان، وبعد ذلك وصلنا رتبة الشهود والعيان والأنبياء بأوّل وهلة على ساحل

الحق سبحانه ببره وقام عنه بنفسه) فيكاشف بما هو فوق طاقته من الكرامات **(وهذا الذي قاله أبو يزيد: يشير إلى أنَّ الخواص من عباده)** كالذين فنوا بعد ملابسة الأسماء المذكورة و **(ارتقوا عن هذه الأقسام)** الأربعة إلى ما هو أعلى منها **(فلا العواقب هم في ذكرها، ولا السوابق هم في فكرها ولا الطوارق)** الظاهرة والباطنة **(هم في أسرها، وكذا أصحاب الحقائق)** وهم من جملة الخواص من عباده **(يكونون محوا عن نعوت الخلائق كما قال الله سبحانه وتحسبهم)** لو رأيتهم **(أيقاظا)** لأنَّ أعينهم مفتوحة **(وهم رقود، وقال يحيى بن معاذ: الولي ريحان الله تعالى)** بفتح الراء **(في الأرض يشمه**

العيان، ثم وصلوا إلى ما يعبر عنه بالعرفان، فكانت بدايتهم عليهم الصلاة والسلام نهاية العارفين والسلام، فقول العارف. وكل بلا أيوب بعض بليتي. على معنى أنَّ بلاء أيوب في الجسد دون الروح، وبلاء هذا العارف فيهما معاً في الروح بالأوام، وفي الجسد بالسقام، فافهم ولا ترجع لمن لا يعلم.

(قوله: فيكاشف بما هو فوق طاقته) أي يكون معاناً ومحمولاً بلا تعب ولا نصب لأنَّه نزل على ساحل بحر المعاني الذوقية، فأشرقت عليه هنالك شمس المعارف الكشفية، فصار بذلك أفق طلوعها بنور شروقها، ومحل غروبها بعد بروقها، له التصرف من جواهر التحقيق، واليد الطولى في التدقيق، فيا من دخل بحر التوحيد واستضاء بشمس الذات، واستنار بنور الصفات، وقرأ سورة المكتوم، وفهم تعلق العلم بالمعلوم، ودخل بحبوحة ذلك الفضاء الواسع في حضرات شهود النور الساطع أنت الغريب في الأكوان لما جمعت من حقائق العرفان حضرة غيبك لا تفهم، وأسرار علومك لا تعلم، شعر:

ومذ عنك غبنا ذلك العام إننا ... على بحر أعلى وساحله معنا
وشمس على المعنى توافق أفقنا ... فمغربها فينا ومشرقها منا
ومست يدانا جوهراً منه ركبت ... نفوس لنا لما صفت فتجوهرنا
فما السر والمعنى وما الشمس قل لنا ... وما جوهر البحر الذي عنه عبرنا
حللنا وجوداً واسمه عندنا الفضا ... يضيق بنا وسعاً، ونحن فما ضقنا.
تركنا البحار الزاخرات وراءنا ... فمن أين يدري الناس أين توجهنا

(قوله: يشير إلى أنَّ الخواص الخ) محصله أنَّ العارف لا يكمل حاله، ولا يتم مقامه إلا بعد فنائه عن سائر الكائنات شغلاً بذات المكوّن جلت عظمته لكونه لم يبق فيه متسع لغير ذلك لامتلاء قلبه بمحبة ذاته تعالى.

(قوله: الولي ريحان الله تعالى) مراده أنَّ الكامل من الأولياء يكون مثل الريحان ينتفع به الصديقون وغيرهم ممن لم يصل إلى درجته لكونهم بمشاهدته يجدون راحتهم،

الصديقون) أي الذين كمل صدقهم في سلوكهم نية وعملاً وحالاً، ولم يصلوا إلى مقامات الولاية الخاصة **(فتصل رائحته)** أي الولي **(إلى قلوبهم فيشتاقون به إلى مولاهم ويزدادون عبادة)** ورغبة فيها **(على تفاوت أخلاقهم)** أي صفاتهم، فإذا رأوا وليا لله وشاهدوا عليه آثار القرب وعلامات الحب اشتد شوقهم وتنعموا بأنفاسه الدالة على قربه من ربه، ولهذا كان ريحانة يحيا بها أرواح الصديقين. **(وسئل الواسطي)** عن الترقي في درجات الولاية بأنْ قيل له: **(كيف يغذى الولي)** أي يربى **(في ولايته فقال:)** يغذى **(في بدايته بعبادته)** ليحصل له النشاط والرغبة فيها **(وفي كهولته)** يعني نهايته **(يستره بلطافته)** بأنْ يسبغ نعمه عليه **(ثم يجذبه)** أي ينقله **(إلى ما سبق له من نعوته)** تعالى **(وصفاته)** بأنْ يشغله به تعالى عن غيره لكمال مراقبته له، وتنعمه بحاله، وتلذذه بكماله وجماله **(ثم يذيقه طعم قيامه به في أوقاته)** من وجود اللذات والتنعم بالمناجاة، فهذا نوع مما يغذي الله به بعض أوليائه، وأنواع ذلك لا تنحصر كما يلوح به كلامه فيما يأتي لاختلاف القلوب والنيات والسرعة، والإبطاء في المجاهدات والرياضات.

ويذكرون بشم عطره من إليه دون ما سواه فاقتهم، ويحنون بأحواله، إلى معاهد المحبوب، ويهيمون بأفعاله وأقواله إلى منازل المطلوب إذ المحب يميل إلى مثله، والمشتاق لا يسكن إلا بشهود شكله حيث هو بشير الأحباب، ونقطة دائرة الدعاة إنارة الخطاب.

(قوله: فقال: يغذى في بدايته الخ) أقول: ولذا ثبت في صحيح الخبر «لا يزال العبد يتقرّب إليّ بالنوفل» الخ قال بعض العارفين: الرسالة في برزخ فوق النبوّة، ودون الولاية، قلت: ينكشف هذا بوزن الحقائق، وذلك أنَّ النبوّة تقتضي الأخذ عن الله بواسطة وحي الله، ومقام الرسالة يقتضي تبليغ ما أمر به الله لعباد الله، ومقام الولاية الأخذ عن الله بالله، وهذه الحقائق كلها متحققة فيمن كان رسولاً لله، فافهم التحقيق من كلام أهل الطريق ولا تظن أنّهم معتقدون تفضيل الولاية على النبوة والرسالة كيف وغاية مقام الوليّ أول قدم للنبي، تدبر ولا تبادر بالإنكار عسى أنْ تكون من جملة الأبرار، أقول: والكلام في ولاية غير النبيّ والرسول أما ولايتهما فلا يبعد تفضيلها لدى أصحاب المعقول والمنقول. **(قوله: فقال: يغذى في بدايته الخ)** أقول: لعل ما ذكره بحسب شربه أو بحسب حال المخاطب وإلا فخزائن الفضائل ملأى لا يقدر قدرها، ونعم الله تعالى جمة لا يحصى عددها، وقد قيل: الطرائق على عدد أنفاس الخلائق.

(قوله: ليحصل له النشاط الخ) أي بسبب وجدان لذتها وتحقق ثمرتها. **(قوله: وأنواع ذلك لا تنحصر)** أي حيث أنّها من بساط إحسانات الحق وهي لا تتناهى. **(قوله: لاختلاف القلوب الخ)** أي تفضله تعالى على حسب الاستعداد في ذلك. **(قوله: علامة**

(وقيل: **علامة الولي ثلاثة أشياء: شغله بالله**) بأن يشتغل بالأوراد والعبادات (**وفراره إلى الله**) من الشهوات والمشغلات (**وهمه إلى الله**) وحده بأنْ يغلب على قلبه قربه من ربه، ودوام ذكره له، واستغراقه فيه. (**وقال الخراز: إذا أراد الله تعالى أنْ يوالي عبداً من عبيده**) بأنْ يجعله ولياً له (**فتح عليه باب ذكره**) باللسان مع النية (**فإذا استلذ الذكر**) وتكرّر ذلك عليه (**فتح عليه باب القرب**) من ربه (**ثم**) إذا داوم على ذكر القلب واللسان (**رفعه إلى مجالس الأُنس به**) ووجد اللذة في خلوته به عن الخلق (**ثم**) إذا تمكن أنسه به (**أجلسه على كرسيّ التوحيد**) يعني لم يرَ قلبه إلا الواحد لشغله به (**ثم**) إذا توالى عليه شغله به (**رفع عنه الحجب**) أي المشغلات من حظوظ النفس ونحوها (**وأدخله دار الفردانية**) أي فلا يرى إلا الله الفرد (**وكشف له عن الجلال والعظمة**) حتى أجله وعظمه، وفي نسخة وكشف عنه الجلال والعظمة أي ليريهما له (**فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي**) مع الله (**بلا هو**) أي ناسياً نفسه في ذكره (**فحينئذٍ صار العبد زمناً**) بكسر الميم (**فانياً**) أي لم يشعر من نفسه بحركة، وفني عنها بالكلية لكمال شغله بما يراه من كمال الجلال والعظمة لله (**فوقع**) بذلك (**في حفظه سبحانه، وبرىء من دعاوي نفسه**) لغيبته وفنائه عنها. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا عليّ الروذباري يقول: قال أبو تراب النخشبيّ: إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة في أولياء الله تعالى**) بسوء ظنه بهم وحمل ما يبدو منهم على غير وجهه المحمود، وذلك لأنه لا يعظمهم إلا من عظم

الولي ثلاثة أشياء الخ) أي فمتى انتفت كلاً أو بعضاً من عبد كان لا ولاية له. (**قوله: فتح عليه باب ذكره الخ**) أي لأنّه مفتاح الكمالات الإلهية. (**قوله: فإذا استلذ الذكر**) أي وجد لذته وذاق حلاوته، وقوله: فتح عليه باب القرب أي من رحمته وإحسانه، وقوله: رفعه إلى مجالس الأُنس أي الذي لا يتحقق إلا لمن وجد الوحشة من غير الحق تعالى، وقوله: اجلسه على كرسي التوحيد أي فيشهد أنّ الأمر منه وإليه لا شريك له في الملك، وقوله: أي المشغلات الخ أي بحيث يعمل لا رغبة في جنة، ولا رهبة من نار بل محبة وإجلالاً، وقوله: وكشف له عن الجلال والعظمة أي حتى يشهد آثارهما، وحينئذٍ فيجله الحق تعالى، ويعظمه. (**قوله: فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة**) أي على أثرهما بقي مع الله بلا هو أي بدون ما يشار إليه بهو، قال الشاعر:

رق الزجاج وراقت الخمر ... فتشابها فتشاكل الأمر
فكأنما خمر ولا قدح ... وكأنما قدح ولا خمر

(**قوله: وبرىء**) أي تجرّد وتخلى. (**قوله: إذا ألف القلب الإعراض الخ**) مراده به اعتياد الإعراض بواسطة كثرة تكرّره وتواليه.

في قلبه جلال الله وعظمته، وهذا إنما يحصل لمن دامت مراقبته لله ولاحظ كمال ذاته وصفاته، ومن أعرض عن الله فاته تعظيمه، وإذا فاته تعظيمه فاته تعظيم من عظمهم ووقع فيهم بما ذكر، (**وقالوا: من صفة الولي أن لا يكون له خوف لأنَّ الخوف ترقب مكروه يحل في المستقبل أو انتظار محبوب يفوت في المستأنف**) أي المستقبل (**والولي ابن وقته ليس له مستقبل فيخاف شيئاً، وكما لا خوف له لا رجاء له لأنَّ الرجاء انتظار محبوب يحصل أو مكروه يكشف، وذلك في الثاني**) أي المستقبل (**من الوقت، وكذلك لا حزن له لأنَّ الحزن من حزونة القلب**) أي صعوبته (**ومن كان في ضياء الرضا، وبرد الموافقة فأنى يكون له حزن قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾** [يونس: ٦٢] ما قاله: من أنَّ الولي لا خوف عنده، ولا رجاء، ولا حزن هو في حق بعض الأولياء في بعض الأحوال، وإلا فغالب الأولياء يطرقهم في غالب الأحوال ذلك فإنهم لا يثبتون على حالة مع مولاهم، وإن رضوا بما تجريه عليهم، فإنَّ الذي يرد عليهم تختلف أنواعه من خوف ورجاء وبسط وحزن، فهم محل لما يوضع فيهم، وكيف لا يكون عندهم خوف والهيبة والخشية لا تفارقهم لرؤيتهم جلال الله وعظمته، والمراد بنفي الخوف والحزن عنهم في الآية نفيه عنهم في الآخرة.

باب الدعاء

هو رفع الحاجات إلى رافع الدرجات، ويقال: هو إظهار العجز والمسكنة

باب الدعاء

اعلم وفقني الله وإياك أنَّ لقبول الدعاء مواضع وأوقات عديدة ينبغي الاعتناء بها لقوله ﷺ: «إنّ لله نفحات فتعرّضوا لنفحات الله» فمنها الدعاء بظهر الغيب للأخ المسلم، ومنها حالة الاضطرار، وعند نزول الغيث، وعند الأذان، وعند اصطفاف الناس للصلاة وللجهاد، وفي الثلث الأخير من كل ليلة إلى الفجر، وعند المحتضر فإنَّ الملائكة حضور يؤمنون على الدعاء، ومن الصائم عند إفطاره، والمسافر عند سفره، ومن الوالدين لولدهما وفي يوم الإثنين وليلته، وبين الخطبتين يوم الجمعة وفي ليلة القدر، وعند حدوث الخشوع والقشعريرة في الجسم، وعند غلبة الرجاء وباسم الله الأعظم، وقد اختلف في تعيينه فقيل: هو وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، وقيل: الله لا إله إلا هو الحي القيوم، وقيل: وعنت الوجوه للحي القيوم، وقيل: لا إله إلا أنتَ سبحانك إني كنت من الظالمين، وقيل آخر سورة الحشر، وفي يوم عرفة وفي شهر رمضان وفي السجود في الصلاة، وبالجملة فالدعاء له أجنحة وأركان وأسباب وأوقات، فإنْ صادف الأركان قوي، وإنْ صادق الأجنحة طار، وإنْ صادف الأسباب نجح، وإنْ صادف الأوقات فاز، فأركانه الاضطرار، وأجنحته قوّة الصدق فيما يرجوه ويؤمّله أو يخافه، وأسبابه الصلاة على النبيّ ﷺ وأوقاته ما تقدّم، والدعاء إنما هو لمن كان على جادّة التكليف أما من هو في مقام الرضا أو فيما يقاربه فقد يكون الدعاء في حقه ذنباً يتعين عليه التوبة منه، كما ورد عن بعضهم أنّه قال: تجاسرت البارحة وسألت ربي المعافاة من النار، وبالجملة فالأمر مرجعه حال الداعي ووقته فقد يكون في بعض الأوقات حاله الرضا، وقد يكون حاله الاضطرار فيعامل حالة الرضا بالسكوت، وحالة الاضطرار بالدعاء، والتملق، وإظهار الفاقة، وكل هذا مأخوذ من السنة المطهرة، وعن السلف رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

(**قوله: باب الدعاء**) مراده مطلق الطلب، وهو لا يكون إلا من الأدنى للأعلى غالباً، وفي اصطلاح القوم ما ذكره الشارح بقوله: هو رفع الحاجات إلى رافع الدرجات،

بلسان التضرّع ويقال غير ذلك، وسيأتي بعضه وهو ممدوح ومطلوب. **(قال الله عز وجل: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[غافر: ٦٠] وقال تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]. (وأخبرنا عليٌ بن أحمد بن عبدان رحمه الله قال: أخبرنا أبو الحسين الصفار البصريّ قال: حدّثنا محمد بن أحمد العوديّ قال: حدّثنا كامل قال: حدّثنا ابن لهيعة قال: حدّثنا خالد بن يزيد عن سعيد بن أبي هلال عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ قال: «الدعاء مخ العبادة»)**[(١)] أي خالصها لما فيه من التذلل والتضرّع، ولأنّه تعالى أثنى على المتصف به فقال: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾

ومن المعلوم أنّ الدعاء يكون باللسان مع غفلة القلب، أو مع حضوره، وقد يكون بالقلب فقط، وعلى كل هو من شأن المريدين، أما العارفون المحققون فهم فانون عن مراداتهم في مرادات الحق تعالى، فلا التفات لهم للسؤال أصلاً اكتفاء بما سبق لهم من أنوار الواردات الإلهية رضي الله تعالى عنهم. **(قوله: هو رفع الحاجات الخ)** أي سواء كان باللسان أو بالقلب أو بهما معاً، وهو الأفضل. **(قوله: ويقال: هو إظهار العجز الخ)** أي إظهاره تحقيقاً لحقيقة العبودية، وامتثالاً للأوامر الإلهية، وإلا فالمقدّر كائن لا محالة فافهم ذلك تسلم، وربنا بمصالح عباده أعلم.

(قوله: وقال ربكم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾) [غافر: ٦٠] أي وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦] وفيها تمثيل لكمال علمه بأفعال العباد وأقوالهم وإطلاعه على أحوالهم بحال من قرب مكانه، رُوي أنّ أعرابياً قال لرسول الله ﷺ: أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه، فنزلت هذه الآية الكريمة. **(قوله: وقال ربكم: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾)** اعلم أنّ الإجابة محققة لا بدّ منها عند توفر شروط الدعاء غير أنّها إنما تكون على حسب حكمة الحكيم، فقد تكون بعين المطلوب حالاً أو بعد مدّة، وقد تكون بغيره كذلك، والحاصل أنّ الحق تعالى قد ضمن الإجابة بوعده، وجعلها مطلقة إذ لم يقل: بعين ما طلبتم، ولا متى شئتم، وأكد ذلك الرسول ﷺ بقوله: «ما من داعٍ إلا وهو بين إحدى ثلاث إما أنْ تعجل له طلبته، أو يؤخر له ثوابها، أو يصرف عنه من السوء بمثلها» وقال ﷺ: «يستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي»[(٢)] **(قوله: لما فيه من التذلل والتضرع)** أي وبهما تتحقق العبودية التي هي من أشرف نعوت الإنسان، ولذا قيل:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنّه أشرف أسمائي

---

(١) أخرجه الترمذي (دعاء ١).

(٢) أخرجه البخاري (دعوات ٢٢) ومسلم (ذكر ٩٠، ٩١) وأبو داود (وتر ٢٣) وابن ماجه (دعاء ٧) والموطأ (القرآن ٢٩) وأحمد بن حنبل (٢، ٤٨٧).

[الأنبياء: ٩٠] وكان النبي ﷺ يقول: «اللهمّ إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم وعذاب القبر اللهمّ آت نفسي تقواها وزكها أنت وليها ومولاها اللهمّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها»(١) وكان من دعائه «اللهمّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك»(٢) **(والدعاء مفتاح الحاجة)** أي

(قوله: وكان النبيّ ﷺ يقول: الخ) أي تعليماً لأمّته وامتثالاً للأمر به وإلا فهو معلوم العصمة مغفور له ما تقدّم من ذنبه وما تأخر.

(قوله: اللهمّ) أي يا الله إني أعوذ بك أي أتحسن بك من العجز أي عدم القدرة على طاعتك، وعما يصون وجهي عن سؤال غيرك، والكسل أي فتور الهمة عما ذكر، والجبن أي الخوف من غيرك، والبخل أي على نفسي وغيري، والهرم أي الطعن في السن المخل، وعذاب القبر أي العذاب الواقع فيه، اللهمّ آتِ نفسي تقواها أي وفقها لذلك، وزكها أي طهرها من جميع الأدناس أنت وليها أي متولي أمورها، ومولاها أي مالكها، اللهمّ إني أعوذ بك من علم لا ينفع أي لعدم العمل به أو لعدم قبوله، ومن قلب لا يخشع أي لا يذل ولا يخضع، ومن نفس لا تشبع أي لا تشبع لشرهها، ومن دعوة أي طلبة لا يستجاب لها أي لا تقبل لما صاحبها من التقصير، اللهمّ إني أعوذ بك من زوال نعمتك أي ما أنعمت به عليّ، وتحول عافيتك أي انتفاء معافاتك لي من الذنوب أو القوّة البدنية، أو هما معاً، والعياذ بالله تعالى، وفجأة نقمتك أي انتقامك وجميع سخطك أي غضبك. **(قوله: والدعاء مفتاح الحاجة)** أي سبب في قضائها، وقوله: متروح أصحاب الفاقات أي بواسطة قوّة رجائهم في إنجاز الوعد بالإجابة.

فائدة:

قيل: إنّه كان بين إجابة دعوة موسى وهارون بقوله: قد أجبت دعوتكما وبين سؤالهما أربعون عاماً، قال الشاذلي: نفعنا الله ببركاته في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِيمَا﴾ أي على عدم الاستعجال ﴿وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩] أي الذين يستعجلون في الدعاء، وإنما جعل الله الإجابة في مختاره غيباً لوجوه ثلاثة: أحدها رفقاً بعبده لأنّه رحيم كريم، والكريم إذا سأله من يعز عليه أعطاه أفضل ما علمه له، والعبد

---

(١) أخرجه البخاري (دعوات ٣، ٣٨، ٤٠، ٤٢، ٤٤، ٤٦) ومسلم (ذكر ٤٨ ـ ٥٢، ٧٣ ـ ٧٦) والترمذي (دعوات ٧٦، ١١٠) والنسائي (استعاذة ٧، ١٢، ١٧، ٢٥، ٢٦، ٣٣، ٣٨) وأحمد بن حنبل (٢، ١٨٥، ١٨٦، ٣، ١٧٩، ٢٠١، ٢٣٥، ٢٦٤، ٦، ٥٧، ٢٠٧).

(٢) أخرجه مسلم (ذكر ٩٦) وأبو داود (وتر ٣٢).

قضاؤها (**وهو**) أي الدعاء (**مترَوح**) أي محل راحة (**أصحاب الفاقات**) أن الحاجات (**وملجأ المضطرين**) أي المكروبين الذين مسهم الضر (**وتنفس**) أي محل تنفس (**ذوي المآرب**) أي الحاجات (**وقد ذم الله سبحانه قوماً تركوا الدعاء فقال ويقبضون أيديهم قيل:**) معناه (**لا يمدونها إلينا في السؤال**) فمدها فيه من أدب الدعاء لما فيه من التضرع والبكاء. (**وقال سهل بن عبد الله: خلق الله تعالى الخلق وقال**) لهم: (**ناجوني**) أي بقلوبكم وألسنتكم (**فإنْ لم تفعلوا**) ذلك (**فانظروا إليَّ**) أي راقبوني بقلوبكم (**فإن لم تفعلوا فاسمعوا مني**) أي الوعد للمطيعين والوعيد للعاصين (**فإن لم تفعلوا فكونوا ببابي**) فقراء منتظرين لما ينعم به عليكم (**وإن لم تفعلوا**) وكانت لكم حاجة (**فأنزلوا حاجاتكم بي**) لا بغيري فالمناجاة درجة رفيعة لأنها تدل على كمال المعرفة والقرب من الله فمن فاته فلا تفوته المراقبة ليسلم من ارتكاب المنهيات، ويقوم بالمأمورات، فإن فاته ذلك فليسمع من الله وعده ووعيده فيقوى تثبته عند أفعاله، فإنْ فاته ذلك فيعترف بعجزه وقصوره، ويلازم بابه على وجه الفقر والاحتياج لما لا بدّ له منه، فإنْ عجز عن الافتقار والتذلل فإياه أنْ ينزل حاجته بغيره كما تقرّر ذلك.

(**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: قال سهل بن عبد الله: أقرب الدعاء إلى الإجابة دعاء الحال، ودعاء الحال أنْ يكون صاحبه مضطراً لا بدّ له مما**

جاهل بالصلاح والأصلح، فقد يحب الشيء وهو شر له، وقد يكره الشيء وهو خير له، والثاني لأنَّ ذلك أبقى لأحكام العبودية في نظر العبد، وأقوى في ظهور سطوة الربوبية إذ لو كانت الإجابة على وفق مراد العبد لكان الدعاء منه تحكماً على الله تعالى، وذلك باطل، والثالث أنَّ الدعاء عبودية وسرها إظهار الفاقة، ولو كانت الإجابة بعين المراد حتماً لما صحت فاقة في عين الطلب، فيبطل سر التكليف، ومعنى الإضطرار المطلوب فيه، فتدبر ذلك وعض عليه بالنواجذ.

(**قوله: فمدّها فيه من أدب الدعاء**) أي فرفع اليدين وقت الطلب بحيث يجعل بطن الكفين إلى جهة السماء عند الطلب، وظهرهما إليها عند طلب الدفع لشيء من آداب الدعاء المطلوبة له.

(**قوله: وقال لهم: ناجوني الخ**) محصله أنَّ كمال العبد لا يخرج عن متابعة المذكورات، فإما أن يكون دائم المناجاة بلسانه وقلبه أو دائم المراقبات في سره وعلنه، أو واقفاً مع أوامر الحق ونواهيه، أو بباب الكريم متوقعاً ما سبق في حقه عند ربه أو طالباً منه تعالى ما يعرض له من الحاجات الدنيوية والأخروية وغير خاف أنَّ الأكمل في جمع الكل والله الموفق.

(**قوله: فأنزلوا حاجاتكم بي**) هذا هو محل شاهد الباب. (**قوله: دعاء الحال**) أي

يدعو لأجله) ويدل لذلك قوله: (أخبرنا حمزة بن يوسف السهميّ رحمه الله قال: سمعت أبا عبد الله المكاسبي يقول: كنت عند الجنيد فأتت امرأة إليه فقالت له: ادع الله أنْ يرد عليّ ابني فإنّ ابناً لي ضاع فقال لها: اذهبي واصبري فمضت ثم عادت فقالت له مثل ذلك فقال لها الجنيد: اذهبي واصبري فمضت ثم عادت ففعلت مثل ذلك مرات والجنيد يقول لها: اصبري فقالت له: عيل صبري) أي عجزت عنه (ولم يبق لي طاقة عليه فادع لي فقال لها الجنيد) بعد أنْ ظهر له اضطرارها، وكملت شفقته عليها، ثم دعا لها اعتماداً على ربه: (إنْ كان الأمر كما قلت فاذهبي فقد رجع ابنك فمضت فوجدته ثم عادت تشكر له) فضله (فقيل للجنيد: بم عرفت ذلك) أي مجيئه (فقال: قال الله عز وجل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢] وقد اختلف الناس في أنَّ الأفضل الدعاء أم السكوت عنه (والرضا) بما قدر (فمنهم من قال: الدعاء) أفضل لأنه (في نفسه عبادة قال ﷺ: «الدعاء مخ العبادة» والإتيان بما هو عبادة أولى من تركها) ولأنَّ الدعاء إظهار الافتقار إلى الله تعالى، (ثم هو) أي الدعاء (حق الله سبحانه وتعالى) على العبد (فإن) استجاب للعبد فهو زيادة وإن (لم يستجب للعبد ولم يصل) أي العبد (إلى حفظ نفسه، فلقد قام بحق ربه لأنَّ الدعاء إظهار فاقة العبودية، وقد قال أبو حازم الأعرج: لأنْ أحرم الدعاء أشد عليّ من أن أحرم الإجابة) لأنَّ الدعاء حق الله والإجابة حق العبد، (وطائفة قالوا: السكوت والخمول تحت جريان الحكم أتم) من الدعاء (والرضا بما سبق من اختيار الحق)

دعاء العبد ذي الحال والوصف الذي هو كونه مضطراً لما لا بدّ له منه، ومعنى كونه أقرب كونه أسرع في الإجابة بحسب الوعد الصدق. (قوله: أنْ يكون صاحبه مضطراً) أي ويشهد له قوله عز وجل: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ﴾ [النمل: ٦٢].

(قوله: ثم دعا لها الخ) قدره ليفيد أنَّ قوله: إنْ كان الأمر كما قلت الخ مرتب على إجابة دعائه لها. (قوله: وقد اختلف الناس الخ) تأمل هذا وما منشؤه مع أنَّ الدعاء مأمور به، وهو لا ينافي الرضا بما هو كائن حيث يصدر الدعاء امتثالاً وعبودية على أنَّ المذموم عدم الرضا بما كان بالفعل لا في المستقبل مع النظر إلى طريق الحق، وأنَّ إرادة الترقي فيه محمودة، ولا سيما في الدين، فما فهمت لهذا الخلاف معنى، فتدبر نعم إن حمل الخلاف على الدعاء بما للنفس فيه حظ دنيوي يباح طلبه ربما كان له وجه.

(قوله: فمنهم من قال الدعاء أفضل) أقول: وهوالذي عليه المعول. (قوله: والرضا بما سبق الخ) أنتَ خبير بأنَّ الدعاء لمجرد الامتثال كما قدمناه لا ينافي الرضا بما سبق على أنَّه من أي طريق يعلم السابق مع احتمال تعليق الإعطاء على السؤال.

للعبد (**أولى**) من ذلك (**ولهذا قال الواسطي: اختيار ما جرى لك في الأزل خير لك من معارضة الوقت، وقد قال ﷺ خبراً عن الله تعالى «من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين»، وقال قوم: يجب أن يكون العبد صاحب دعاء بلسانه، وصاحب رضا بقلبه ليأتي بالأمرين جميعاً، والأولى أن يقال إنَّ الأوقات**) والأحوال (**مختلفة**) فرب شخص في خلوة يغلب عليه الدعاء وكمال التضرع والبكاء، فملازمته لحاله أقرب لنيل مقصوده وربما يغلب عليه توالي نعم ربه عليه، وعجزه عن شكرها، فهو مستحي لعجزه عن شكر ما توالى عليه من النعم أنْ يطلب زيادة على ما هو فيه فالسكوت ولزوم الحياء أولى له كما ذكر ذلك بقوله: (**ففي بعض الأحوال الدعاء أفضل من السكوت، وهو الأدب، وفي بعض الأحوال السكوت أفضل من الدعاء، وهو الأدب، وإنما يعرف ذلك في الوقت لأنَّ علم الوقت إنما يحصل في الوقت، فإذا وجد بقلبه إشارة إلى الدعاء**) بأنْ أحس من نفسه الحركة والانزعاج (**فالدعاء له أولى وإذا وجد**) بقلبه (**إشارة إلى السكوت**) اعتماداً على الرضا بما يجريه الحق عليه (**فالسكوت له أولى، ويصح أنْ يقال: ينبغي للعبد أنْ لا يكون ساهياً عن شهود ربه تعالى في حال دعائه ثم يجب عليه**) عنه إرادة الدعاء (**أن يراعي حاله**) ووقته (**فإن وجده من الدعاء زيادة بسيطة في وقته، فالدعاء له أولى وإنْ عاد إلى قلبه وقت الدعاء شبه زجر، ومثل قبض، فالأولى له ترك الدعاء في هذا الوقت وإنْ**)

(**قوله: خير لك من معارضة الوقت**) أقول: لا معارضة مع ملاحظة قصد الامتثال.

(**قوله: وقد قال ﷺ: الخ**) فيه أنَّه لا يدل على مدعاه إذ المراد بقوله فيه: «من شغله ذكري» غلبة الذكر وهي لا تنافي السؤال على أنَّ في السؤال ذكراً، وغاية القصد من الخبر الحث على الفناء عن حظ النفس والاشتغال بالحق، ولو كان ذلك مع وجود السؤال.

(**قوله: وقال قوم الخ**) أقول: هو المتعين في هذا المقام فتمسك به، ومني عليك السلام. (**قوله: والأولى أنْ يقال الخ**) أقول: إنْ كان على هذا شاهد من المنقول فمسلم، وإلا فالأمر أعلم وأحكم فسلم لمن له الأمر تسلم. (**قوله: لعجزه عن شكر الخ**) أقول: العجز مسلم لكنه لا ينافي الطلب، ولا يمنع منه على أنَّه قد ثبت في الخبر «سبحانك لا نحصي ثناء عليك» مع تحقق الطلب والدعاء منه ﷺ.

(**قوله: ثم يجب عليه عند إرادة الدعاء الخ**) انظره من أي نقل عرف فإني لم أطلع على ما يشهد له نعم إنْ أراد بقوله: فإنْ وجد من الدعاء زيادة بسطة الخ كون الداعي على حال الإستقامة في طريق المتابعة، وبقوله: وإنْ عاد إلى قلبه في وقت الدعاء شبه زجر الخ كونه على غير ذلك المذكور كان له وجه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] فتدبر. (**قوله: ويصح أنْ يقال الخ**) ذلك قريب من الصحة إنْ أريد بقوله:

لم يجد في قلبه زيادة بسط ولا حصول زجر، فالدعاء وتركه ههنا سيان فإن كان الغالب عليه في هذا الوقت العلم، فالدعاء أولى لكونه عبادة، وإنْ كان الغالب عليه في هذا الوقت المعرفة، والحال والسكوت فالسكوت أولى ويصح) أيضاً (أنْ يقال: ما كان للمسلمين فيه نصيب) أي صلاح وإظهار للعبودية (أو للحق سبحانه فيه حق) على العبد (فالدعاء أولى) لأنَّ الخير المتعدي أولى من القاصر (وما كان لنفسك فيه حظ فالسكوت أتم) دفعاً للرياء والعجب (وفي الخبر المروي أنّ العبد يدعو الله سبحانه وهو يحبه فيقول) الله عز وجل: «يا جبريل أخر حاجة عبدي فإني أُحب أنْ أسمع صوته، وإنَّ العبد ليدعو الله وهو يبغضه، فيقول: يا جبريل اقض لعبدي حاجته فإني أكره أن أَسمع صوته»[1]. ويحكى عن يحيى بن سعيد القطان رحمه الله تعالى أنه رأى الحق سبحانه في المنام فقال: إلهي كم أدعوك فلا تجيبني فقال: يا يحيى لأني أحب أن أسمع صوتك، وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده إنَّ العبد ليدعو الله تعالى وهو عليه غضبان فيعرض عنه، ثم يدعوه فيعرض عنه، ثم يدعوه فيعرض عنه، ثم يدعوه فيقول الله تعالى لملائكته: (أبى عبدي أن يدعو غيري فقد استجبت له) وقد يدعو العبد فيعلم الحق تعالى أنَّ مصلحته في ضد ما دعا به، فلا يخلقه له رحمة له فيظن لجهله أنَّ تأخير استجابة دعائه مضرٌ له، وهو نافع له، وربما جرى على لسانه: دعوت فلم يستجب لي فيكون سبباً لمنعه الإجابة كما قال ﷺ: «إنه يستجاب لأحدكم ما لم يعجل فيقول: قد دعوت فلم يستجب لي». (وأخبرنا أبو الحسين علي بن محمد

وما كان لنفسك فيه حظ الخ الحظ الذي لم يكن له شاهد من السنة المحمدية.

(قوله: وفي الخبر المرويّ الخ) فيه دلالة على أنَّ تأخير الإجابة قد يكون محبة لتكرير الطلب، وسرعة الإجابة قد تكون بقضاء، فعلى المكلف أنْ يدوم على قرع باب الفتاح بالطلب، ولا يغتر لو أجيب بسرعة.

(قوله: وقال ﷺ الخ) تأمله تعلم فضل الدعاء على السكوت كيف لا، وهو من أسباب القبول.

(قوله: فيعلم الحق تعالى الخ) أي ويشهد له خبر: «لو اطلع أحدكم على الغيب لاختار الواقع». (قوله: في ذلك دلالة على أنَّ صدق الاضطرار الخ) أي وفيه دلالة صريحة على فضيلة الدعاء ببيان ثمرته العاجلة قبل الآجلة.

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٥١) وصاحب (الإتحافات السنية ١٥٣) وابن عساكر في (تهذيب تاريخ دمشق ٢/ ٤٤٧).

ابن عبد الله بن بشران ببغداد رحمه الله قال: حدّثنا أبو عمرو عثمان بن أحمد المعروف بابن السماك قال: أخبرنا محمد بن عبد ربه الحضرميّ قال: أخبرنا بشر بن عبد الملك قال: أخبرنا موسى بن الحجاج قال: قال مالك بن دينار: أخبرنا الحسن عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان رجل على عهد رسول الله ﷺ يتجر من بلاد الشام إلى المدينة، ومن المدينة إلى بلاد الشام، ولا يصحب القوافل توكلاً منه على الله تعالى قال: بينما هو جاء من الشام يريد المدينة إذ عرض له لص) راكب (على فرس فصاح بالتاجر: قف قال: فوقف له التاجر، وقال له: شأنك بمالي وخل سبيلي قال: فقال له اللص: المال مالي وإنما أريد نفسك فقال له التاجر: ما تريد بنفسي شأنك والمال وخل سبيلي قال: فرد عليه اللص مثل المقالة الأولى فقال له التاجر: أنظرني حتى أتوضأ وأصلي وأدعو ربي عز وجل قال: إفعل ما بدا لك قال: فقام التاجر وتوضأ وصلى أربع ركعات ثم رفع يديه إلى السماء فكان من دعائه أن قال يا ودود يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدىء يا معيد يا فعال لما تريد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك، وأسألك بقدرتك التي قدرت بها على خلقك، وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني ثلاث مرات، فلما فرغ من دعائه إذا بفارس على فرس أشهب عليه ثياب خضر بيده حربة من نور، فلما نظر اللص إلى الفارس ترك التاجر ومرّ نحو الفارس فلما دنا منه شد الفارس على اللص فطعنه طعنة أذراه) بمعجمة ساكنة وألف لينة أي ألقاه (عن فرسه ثم جاء إلى التاجر فقال له: قم فاقتله فقال له التاجر: من أنت؟ فما قتلت أحداً قط، ولا تطيب نفسي بقتله قال: فرجع الفارس إلى اللص فقتله ثم جاء إلى التاجر وقال: اعلم أني ملك من السماء الثالثة حين دعوت) المرة (الأولى سمعنا لأبواب السماء قعقعة فقلنا:) هذا (أمر حدث ثم دعوت الثانية ففتحت أبواب السماء ولها شرر كشرر النار، ثم دعوت الثالثة فهبط جبريل علينا قبل السماء وهو ينادي من) ينزل (لهذا المكروب، فدعوت ربي أن يوليني قتله، واعلم يا عبد الله أنه من دعا بدعائك هذا في كل كربة وكل شدة وكل نازلة فرّج الله تعالى عنه وأعانه قال: وجاء التاجر سالماً غانماً حتى دخل المدينة وجاء إلى النبي ﷺ فأخبره بالقصة وأخبره بالدعاء فقال له النبي ﷺ: «لقد لقنك الله تعالى أسماءه الحسنى التي إذا دعي بها أجاب، وإذا سُئل بها أعطى») في ذلك دلالة على أنَّ صدق الإضطرار تكون معه الإجابة كما تمدح به تعالى على لسان من اصطفاه فقال: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ [النمل: ٦٢]. (ومن آداب الدعاء حضور القلب)

(قوله: ومن آداب الدعاء الخ) قف على آداب الدعاء المأثورة لأجل أن تغنم

عنده (وأنْ لا يكون) الداعي (ساهياً فقد رُوي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «إنّ الله تعالى لا يستجيب دعاء عبد من قلب لاهٍ»)[1] وقد عدّ الغزالي آداب الدعاء عشرة وهي في الحقيقة أكثر أنْ يترصد الأزمان الشريفة كيوم الجمعة وشهر رمضان، ووقت السحر، وأنْ يغتنم الأحوال الشريفة كحالة السجود، وإقامة الصلاة، وبعدها وحالة رقة القلب، وأنْ يستقبل القبلة ويرفع يديه ويمسح بهما وجهه في آخره، وأنْ يخفض الصوت بين المخافتة والجهر، وأنْ لا يتكلف السجع، وقد فسر به الاعتداء في الدعاء، وأنْ يتضرع ويخشع ويرهب قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠] وأنْ يجزم بالطلب، ويوقن بالإجابة، ويصدق رجاءه فيه، وأنْ يلح في الدعاء، ويكرره ثلاثاً ولا يستبطيء الإجابة، وأنْ يفتتح الدعاء بذكر الله

الإجابة. (قوله: وأنْ لا يكون الداعي ساهياً) أي غافلاً بل لا بدّ من جمع قلبه على الحق تعالى باستحضار عظمته، وباقي كمالاته.

(قوله: كحالة السجود) أي بشاهد «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[2]. (قوله: وحالة رقة القلب) أي الحاصلة وقت حضوره ومراقبته. (قوله: وأنْ يستقبل القبلة) أي لأنها قبلة الدعاء. (قوله: ويرفع يديه) أي اقتداء به ﷺ لأنه «كان يرفع يديه حتى يرى بياض إبطيه في حالة الدعاء»[3] (قوله: ويمسح الخ) أي إذا لم يكن الداعي في صلاة. (قوله: وأنْ يخفض الصوت) أي لأنّه أقرب إلى الخشوع المطلوب. (قوله: وأنْ لا يتكلف السجع) أي حيث هو مكروه. (قوله: رغباً ورهباً) أي راغبين وراهبين. (قوله: وأن يجزم بالطلب الخ) مراده بذلك عدم التردّد فيه مع حضور قلبه وقوّة رجائه بالإجابة. (قوله: وأنْ يلح في الدعاء) أي بشاهد «إنّ الله يحب الملحين في الدعاء»[4]. (قوله: ويكرره ثلاثاً) أي اقتداء به ﷺ. (قوله: ولا يستبطيء الإجابة) أي بل يرجع إلى نظره لحكمة الحكيم، وأنّ كل شيء عنده تعالى بمقدار وأجل مسمى. (قوله: وأنْ يفتتح الدعاء بذكر الله) أي وأفضل أنواعه الحمد، وأفضل صيغ الحمد الحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه الترمذي (دعوات ٦٤).

(٢) أخرجه مسلم (صلاة ٢١٥) والنسائي (مواقيت ٣٥) (تطبيق ٧٨) والترمذي (دعوات ١١٨) وأحمد بن حنبل (٢، ٤٢١).

(٣) أخرجه البخاري (استسقاء ٢١، ٢٢) (مناقب ٢٣) (مغازي ٥٥) (حيل ١٥) (أحكام ٤١) ومسلم (إمارة ٢٧) (صلاة ٢٣٦) والنسائي (قيامة ٤٢) وابن ماجه (ديات ٢٦) وأحمد بن حنبل (٢، ٢٣٦، ٣٧٠).

(٤) أخرجه ابن حجر في (فتح الباري ١١/ ٩٥) والألباني في (إرواء الغليل ٣/ ١٤٣) والسيوطي في (جمع الجوامع ٥٢٠٨) وابن حجر في (تلخيص الحبير ١٢/ ٩٥) والسيوطي في (الدر المنثور ٥/ ٣٥٦) والعجلوني في (كشف الخفاء ١/ ٢٨٧) وابن عدي في (الكامل في الضعفاء ٧/ ٢٦٢١) والسيوطي الحلبي في (الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة ٤٦) والألباني في (السلسلة الضعيفة ٦٣٧).

أي وبالصلاة على رسوله بعد الحمد لله، والثناء عليه ويختمه بذلك كله وأن يتوب إلى الله، **(ومن شرائطه أن يكون مطعمه حلالاً، فلقد قال النبي ﷺ لسعد: «أطب كسبك تستجب دعوتك»)**[1] ولأنّ أكل الحلال من أهمّ الأمور في صفاء القلب وصلاحه، وإذا صلح صلح الجسد كله لأنه مثل بالزيت والمصباح كلما صفا ورق قوي ضياؤه في البيت، وانكشفت به الأمور الخفية، ولهذا حفظ الله الصالحين في أطعمتهم عن أيسر الشبه التي يعلمها هو دونهم، كان المحاسبي رحمه الله إذا مد يده إلى طعام فيه شبهة لم تمتد، وإنْ امتدت لخفة الشبهة، وأتى بشيء منه لم يبتلعه، ومن الناس من يراه يغلي دوداً فيدعه، وذلك من حفظ الله لهم. **(وقد قيل: الدعاء مفتاح الحاجة)** قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] **(وأسنانها)** الأولى

(قوله: وبالصلاة على رسوله الخ) أي لخبر «لا تجعلوني كقدح الراكب اجعلوني في أوّل دعائكم وفي آخره»[2]. **(قوله: وبالصلاة على رسوله)** أي بأي صيغة من صيغها، وأفضل الصيغ الإبراهيمية، ولا بأس إنْ أتى بالأمية بدل الإبراهيمية.

(قوله: ومن شرائطه) أي شرائط قبوله وإجابته. **(قوله: أنْ يكون مطعمه حلالاً)** أي ليتهيأ للدعاء والمناجاة، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧].

(قوله: لأنّه كلما صفا ورق الخ) أي وذلك لا يتم إلا بحل الطعام مع الاقتصار منه على قدر الحاجة. **(قوله: الدعاء مفتاح الحاجة)** اعلم وفقني الله وإياك أنّه لا ينبغي لك عند تأخر الإجابة التشكك لأنّ ذلك إنما ينشأ من قصور نظرك على الثقة بوعد الإجابة مع الغفلة عما ستره الحق عنك من شرط إجابتها، والصفة التي تكون الإجابة عليها إذ لا يجب عليه تعالى بيان ما يريد اشتراطه بل الذي يصلح في الحكمة ستره إبقاء لسطوة الربوبية في نظر العبد، واستبقاء لأحكام العبودية عليه ألا ترى أنّه وعد نبيه عليه الصلاة والسلام بالنصر في أُحد والأحزاب؟ ودخل مكة وستر شرط ذلك، وهي الذلة التي اقتضت حكمته ترتب النصر عليها، وبعد أظهرها في مقام المنة والتنبيه حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدۡرٖ وَأَنتُمۡ أَذِلَّةٞۖ﴾ [آل عمران: ١٢٣] وقال: ﴿وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ كَثۡرَتُكُمۡ﴾ [التوبة: ٢٥] وقال عليه الصلاة والسلام لابن عباس في وصيته: «واعلم أنّ النصر مع الذل هو سر الإضطرار المشروط في الإجابة» هذا والمراد بالمفتاح في كلامه

---

(١) أخرجه (صاحب الجامع الكبير المخطوط في الجزء الثاني ٢/ ٤٧٤).

(٢) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٥) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٥/ ٤٢) (وعبد الرزاق ٣١١٧) وابن حجر في (المطالب العالية ٣٣١٦) والمتقي الهندي في (كنز العمال ٢٢٥٢، ٢٢٥٣، ٢٢٥٤، ٣١١٧) والفتني في (تذكرة الموضوعات ٨٨) وابن القيسراني في (تذكرة الموضوعات ٩٦٨) والشوكاني في (الفوائد المجموعة ٣٢٧).

وأسنانه أي مفتاح الحاجة (**لقم الحلال، وكان يحيى بن معاذ يقول: إلهي كيف أدعوك**) يا رب (**وأنا عاص، وكيف لا أدعوك وأنتَ كريم**) فتعارض عنده الأمران وبالجملة فشرط استجابة الدعاء طاعة العبد لربه، (**وقيل: مرّ موسى عليه السلام برجل يدعو ويتضرّع**) إلى الله (**فقال موسى عليه السلام: إلهي لو كانت حاجته بيدي قضيتها فأوحى الله تعالى إليه أنا أرحم به منك ولكنه يدعوني وله غنم، وقلبه عند غنمه وإني لا أستجيب لعبد يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى عليه السلام للرجل ذلك فانقطع إلى الله تعالى بقلبه فقضيت حاجته**) فيه دلالة على أنَّ من شرط الدعاء حضور القلب وصحة النية، ففي ترك ذلك قبح، وأقبح منه من يقرأ الفاتحة في الصلاة وهو غافل القلب عما يتكلم به بلسانه مشتغل بأسباب الدنيا (**وقيل لجعفر الصادق ما بالنا ندعو فلا يستجاب لنا فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه**) حق معرفته التي تفيد قلوبكم تعظيمه بل تدعونه مع انفتال عنه وقلة تعظيمه.

(**سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: ظهر بيعقوب بن الليث علة**

السبب في الفتح والإجابة، وقوله: وأسنانه الخ يقال فيه بمثل ما قيل فيما قبله من المفتاح. (**قوله: فتعارض عنده الأمران**) أقول: عند اضطرار العبد، فلا تعارض لغلبة رحمة الله وكرمه. (**قوله: حضور القلب**) أي جمعه عليه تعالى، وقوله: وصحة النية أي بأنْ لا تكون بإثم ولا قطيعة رحم.

(**قوله: وأقبح منه الخ**) أي ووجهه أنَّ من خاطب مثله من الخلق غالباً يلتفت بكليته إليه، فكيف يكون غافلاً في حال مناجاة الحق تبارك وتعالى.

(**قوله: فقال: لأنكم تدعون من لا تعرفونه**) محصل كلامه رضي الله عنه الإرشاد إلى سعة النظر الموجبة لزيادة أنوار السريرة فإنَّ من اتسع نظره ولم يقف مع ظاهر الوعد بالإجابة لا يصدر منه أنَّه يقول: دعوت فلم يستجب لي لرجوعه عند عدم الإجابة إلى الرضا والتسليم لما يجريه العليم الحكيم، واعتقاده أنَّ الحق تعالى هو العالم بما هو الصالح والأصلح في حقه وفي حق غيره، فما كان له في باطن الأمر خير مما طلبه بظاهر الحال على أنه قد يكون تأخر الإجابة لفقد شرط من شروط الدعاء أَو من شروط الإجابة، والحاصل أنَّ مراده بقوله: من لا تعرفونه أنْ من لم يحضر قلبه وقت الدعاء، ويستحضر ما يليق به تعالى من صفات عظمته يكون حينئذ معاملاً له تعالى معاملة من لا يعرفه، فكأنه لا يعرفه، ولذلك لم يستجب له فتأمل.

(**قوله: ظهر بيعقوب الخ**) فيه تنبيه على أنَّ البلايا بالأَمراض وغيرها سببها المعاصي، وأنها ما دامت تمنع من الإجابة وأنَّ في عباد الله من لا تردّ دعوته لمحبته،

أعيت الأطباء فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله تعالى يستجيب له فاستحضر سهلاً فقال) له: (ادع الله عز وجل لي فقال سهل رحمه الله: كيف يستجاب دعائي فيك وفي مجلسك) وفي نسخة حبسك (مظلومون فاطلق كل من كان في حبسه فقال سهل اللهمّ كما أريته ذل المصيبة) بما ابتليته به وعجز عن إزالته (فأره عز الطاعة) التي طلب الخلاص مما هو فيه بأهلها (وفرج عنه فعوفي) من ساعته (فعرض مالاً على سهل فأبى أنْ يقبله فقيل له: لو قبلته ودفعته إلى الفقراء) لكان خيراً لك (فنظر إلى الحصباء في الصحراء فإذا هي جواهر فقال لأصحابه، من يُعطى مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث) في ذلك دلالة على أنَّ من الكرب العظيمة ما لا يفرجها مال، ولا جاه، ولا سلطنة، ولا طب، وإنما يفرجها صحيح الافتقار والتوبة، والالتجاء إلى من بيده النفع والضر (وقيل: كان صالح المري يقول كثيراً: من أدمن قرع باب) أي داوم عليه، وفي نسخة الباب (يوشك أنْ يفتح له فقالت) له (رابعة إلى متى تقول هذا) القول: (متى أغلق هذا الباب حتى يستفتح؟ فقال صالح:) أنا (شيخ جهل و) هذه (امرأة علمت) تكلم صالح من مقام الكسب، والعبودية، فأشار إلى الدعاء والابتهال إلى الله فإنَّه يجيب المضطر إذا دعاه، وتكلمت رابعة من مقام التوحيد فأشارت إلى أنَّ رحمته مبسوطة كما في خبر «إنَّ الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويده بالنهار ليتوب مسيء الليل»(١) أي يبسط رحمته وفضله على عباده، وكل منهما على حق، إلا أنَّ صالحاً عرف علوّ درجة رابعة، وما أشارت إليه فأقر لها بذلك. (سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت أبا بكر الحربي يقول: سمعت

ومن لو نظر إلى الحجر لانقلب ذهباً ويشهد لذلك خبر: «ما أصاب المؤمن من مصيبة إلا بذنب ارتكبه» وخبر «رب أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره». (قوله: كما أريته ذل المصيبة) أي المصيبة التي لا تنشأ غالباً إلا بوقوع المعصية قال ﷺ: «ما أصاب المؤمن من مصيبة إلا بذنب ارتكبه». (قوله: على أنَّ من الكرب الخ) أي وعلى أنَّ التوسل إلى الله بأحبابه وأهل طاعته من أنفع ما يكون في قضاء الحاجات، وهو كذلك.

(قوله: أنا شيخ جهل) أي غفل عن مقام التوحيد، وهذه امرأة علمت أي لم تغفل عن ذلك المقام، ومع هذا فالدعاء من أنواع العبادة ومن أسباب زيادة القرب، ولو بالنسبة للكامل إذ لا أكمل منه ﷺ وهو دائم الدعاء له تعالى، فلا تغفل.

(قوله: عرف علوّ درجة رابعة) أي بسبب دوام التفاتها لحقيقة الأمر وفنائها عن

---

(١) أخرجه مسلم (توبة ٣١) وأحمد بن حنبل (٤، ٣٩٥، ٤٠٤).

السري يقول: حضرت مجلس) أبي محفوظ (معروف الكرخيّ فقام إليه رجل فقال: يا أبا محفوظ ادع الله تعالى أنْ يردّ عليّ كيسي فإنّه سرق، وفيه ألف دينار فسكت فأعاد) له ذلك (ثم سكت فأعاد) له ذلك (فقال معروف: ماذا أقول) لربي يا أخي (أقول) له (ما زويته) أي قبضته (عن أنبيائك وأصفيائك فردّه عليه فقال) له (الرجل: فادع الله تعالى لي فقال: اللهم خر له) فيه دلالة على كمال مراقبة معروف لمولاه، وما يدعو به فإنّه لم يلتفت لحرقة السائل، ولا لكثرة ما ضاع منه من المال، ولا لما عليه أكثر الناس من أنهم يتأسفون ويتألمون لمن أخبرهم بمصيبة له نزلت به، ويزيدونه بذلك ألماً على ألمه فإنّه خلاف معهود الشرع إذ معهوده أنَّ أرباب البلايا يصبرون ويعزون ويهون عليهم ما نزل بهم، ويعرفون أنَّ في الله خلفاً من كل مصيبة، فتثبت معروف، والسائل يكرر عليه السؤال بالدعاء له أنْ يجمع الله عليه كيسه فرفع رأسه له، وقال له: ياأخي شيء زواه الله عن أنبيائه وأوليائه أدعو لك أنْ يأتيك به، فلما سمع منه ذلك قال: ادع الله لي أي بما يراه لي صلاحاً فقال: اللهمّ خر له كما تقرر. (وحُكي عن الليث أنه قال: رأيت عقبة بن نافع ضريراً ثم رأيته بصيراً فقلت له: بم ردّ عليك بصرك فقال: أتيت في منامي فقيل: قل: يا قريب يا مجيب يا سميع الدعاء يا لطيفاً لما يشاء رد عليّ بصري) يردّ عليك بصرك (فقلتها فرد الله عليّ بصري) في ذلك دلالة على فضيلة هذا الدعاء. (سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: كان بي وجع العين ابتداء ما رجعت إلى نيسابور من مرو، وكنت مدّة أيام لم أجد النوم) من شدّة الألم (فتناعست صباحاً فسمعت قائلاً يقول لي: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ

الأسباب استغراقاً في مسببها مع أنه هو أيضاً رفيع الدرجة حيث وقف مع الأسباب عبودية وامتثالاً ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠] فافهم.

(قوله: أقول له: ما زويته الخ) أي وفي الخبر «إذا أحب الله عبداً روى عنه الدنيا»[١]. (قوله: ويزيدونه بذلك ألما الخ) أي فبتأسفهم وتألمهم يزيد ألم المصاب، قوله: فإنّه أي المذكور من تأسفهم وتألمهم خلاف معهود الشرع أي خلاف ما عهد منه من طلب التعزية الحاملة على التصبر والتسلي.

(قوله: فقال: اللهمّ خر له) أي افعل له خير الأمرين عندك. (قوله: فقال: أتيت) على صيغة المبني للمجهول أي أتاني آتٍ في المنام وقوله: فقيل قل أي قال له ذلك الآتي قل الخ. (قوله: على فضلة هذا الدعاء) أي على زيادة فضيلته لثبوت فضيلة مطلق

---

(١) أخرجه الترمذي (طب ١) وأحمد بن حنبل (٥، ٤٢٧).

﴿بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر: ٣٦] فانتبهت وقد فارقني الرمد وزال في الوقت الوجع، ولم يصبني بعد ذلك وجع العين) ببركة صبره على ما ابتلاه وكأنه حين فارقه الرمد كان في ضرورة احتاج فيها إلى بصره. (وحُكي عن محمد بن خزيمة أنَّه قال: لما مات أحمد بن حنبل كنت في الإسكندرية فاغتممت فرأيت في المنام أحمد بن حنبل وهو يتبختر فقلت: يا أبا عبد الله أي مشية هذه فقال: مشية الخدّام في دار السلام) أي الجنة (فقلت) له: (ما فعل الله عز وجل بك فقال: غفر لي وتوجني) بتاج (وألبسني نعلين من ذهب، وقال: يا أحمد هذا بقولك: القرآن كلامي ثم قال: يا أحمد ادعني بتلك الدعوات التي بلغتك عن سفيان الثوري، وكنت تدعو بها في دار الدنيا فقلت: يا رب كل شيء بقدرتك على كل شيء اغفر لي كل شيء، ولا تسألني عن شيء فقال: يا أحمد هذه الجنة فادخلها فدخلتها) في ذلك دلالة على فضيلة الإمام أحمد، وفائدة قوله: يا رب الخ ترجع إليه في الدنيا حيث نبه على أنْ يدعو به فيها لفضيلته، فإنَّ الآخرة ليست دار عمل، (وقيل: تعلق شاب بأستار الكعبة وقال: إلهي لا لك شريك فيؤتى) ويقصد (ولا وزير فيرشى إنْ أطعتك فبفضلك ولك الحمد) على ذلك (وإنْ عصيتك فبجهلي ولك الحجة عليَّ، فبإثبات حجتك عليَّ وانقطاع حجتي لديك إلا غفرت لي فسمع هاتفاً يقول: الفتى عتيق من النار) هذا من أحسن الأسباب في استدعاء الرحمة بالفعل والقول، أما الفعل فالتعلق بالجنان، وأما القول فحسن

الدعاء لكونه من أسباب الإجابة. (قوله: وكأنه حين فارقه الرمد الخ) لعله أخذه من الآية الشريفة التي سمعها.

(قوله: فقال: مشية الخدام في دار السلام) أقول يحتمل أنَّ المراد بذلك مشية من قام على نفسه في الدنيا بالعبادة والخدمة لمولاه، ويحتمل مشية من يشبه الخدم لأهل الجنة بالنسبة للأرفع منه فيها درجة. (قوله: فقلت: يا رب كل شيء) يا خالق كل شيء ومالكه وقوله: بقدرتك على كل شيء أي باقتدارك عليه اغفر لي كل شيء أي مما جنيته على نفسي من ذنوبي ما علمت منها، وما لم أعلم ولا تسألني عن شيء أي قصرت فيه. (قوله: ترجع إليه في الدنيا) لعل الأولى أنْ يقول: أنَّ فائدته في الآخرة إظهار فضيلته الراجعة إليه في الدنيا فتأمل. (قوله: إلهي) منادى محذوف الأداة لا لك شريك في الملك فيؤتى دونك لوجوب وحدانيتك، ولا وزير مواز ومعاون لك في شيء فيرشى لوجوب عموم قدرتك وإحاطة علمك إنْ أطعتك بامتثال أمرك فبفضلك وإحسانك أطعتك إذ لا فعل لغيرك، ولك الحمد، ولك الثناء الجميل، وإنْ عصيتك خالفت أمرك فبجهلي عصيتك، ولك الحجة عليّ بإرسال رسلك وإيجاد الاستعداد فيَّ فأُقسم عليك يا ربي بإثبات حجتك عليّ لما تقدّم، وانقطاع حجتي لديك عندك إلا غفرت لي بمحو سيئاتي

الخطاب لأنّ قوله: فبإثبات حجتك عليّ، إقرار لله بلزوم الحق عليه كما قال: فللّه الحجة البالغة، وقوله: وانقطاع حجتي لديك إقرار بالمعصية، ومن تكون هذه حالته فهو فقير إلى الرحمة، ومن له الحجة فهو المقتدر على ما يشاء ويرغب إليه في العفو عن الخطأ. (**وقيل: فائدة الدعاء إظهار الفاقة بين يديه تعالى**) فإظهارها سبب للرحمة (**وإلا فالرب يفعل ما يشاء**) من رحمة وهلاك لأنّ مالك للكل، فيتصرف في ملكه كيف يشاء، والظلم في حقه محال لأنه إما أنْ يرجع إلى مخالفة الأمر، وارتكاب النهي والله تعالى لا آمرٌ له ولا ناهٍ، أو إلى التصرف في ملك الغير بغير إذنه، ولا ملك حقيقة لغير الله حتى يكون تصرفه فيه ظلماً كما قال تعالى: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ١٧].

(**وقيل: دعاء العامة بالأقوال**) لأنهم يدعون في حوائجهم بألسنتهم وغايته حضور النية. (**ودعاء الزهاد الأفعال**) لأنه يتبرأ من الدنيا ثم يدعو، فأضاف إلى الأقوال الأفعال، وهي إخلاء اليد من الدنيا امتثالاً لأمر الله، (**ودعاء العارفين بالأحوال**) التي هي التضرّع والتذلل بالقلب، فإنّه يضيفها إلى الأقوال والأفعال، وظاهر كلامه أنّ دعاء العامة بالأقوال خاصّة، ودعاء الزاهد بالأفعال خاصة، ودعاء العارف بالأحوال خاصة، (**وقيل: خير الدعاء ما هيجته الأحزان**) على التقصير في حق الله تعالى مع إفراغها الجهد في طاعة الله تعالى.

(**وقال بعضهم: إذا سألت الله تعالى حاجة فتسهلت**) عليك أي عجل قضاؤها فإنْ كانت في أخراك فقد بلغت منتهاك، أو في دنياك (**فاسأل الله تعالى عقب ذلك الجنة، فلعل ذلك يوم إجابتك**) فيجمع له خير الدارين، (**وقيل: ألسنة المبتدئين منطلقة بالدعاء**) فأي شيء خطر لهم من مصالحهم دعوا ربهم فيه، فلا يفرقون بين ما هو وقته وما ليس وقته.

التي جنيتها على نفسي. (**قوله: فإظهارها سبب للرحمة**) أي بحكمة الله الباهرة. (**قوله: ولا ملك حقيقة لغير الله**) أي لأنّ الأشياء في يد المخلوقين من قبيل العواري المستردة، ولذا قيل شعر:

وما المرء إلا كالشهاب وضوءه ... يحور رماداً بعد إذ هو ساطع
وما المال والأهلون إلا ودائع ... ولا بدّ يوماً أنْ ترد الودائع

(**قوله: وغايته**) أي غاية همتهم في الدعاء حضور النية. (**قوله: لأنه يتبرأ من الدنيا**) أي زهداً فيها فهو يطلب حظه الآجل فقط. (**قوله: خير الدعاء ما هيجته الأحزان**) أي لأنّه في هذه الحالة أقرب إلى الإجابة. (**قوله: فأي شيء خطر لهم الخ**) أي مما كان له

(وألسنة المتحققين) أي العارفين بالله **(خرست عن ذلك)** أي عن الدعاء إلا فيما يدعوهم العلم إليه، ويكون هو الأحب عند ربهم وربما كان سكوتهم في وقت أولى من دعائهم فيدع الخيرة لله، وهو يعلم ما في قلبه، فلا ينطلق لسانه ولهذا خرست ألسنتهم لا قلوبهم. **(وسئل الواسطي أنْ يدعو فقال: أخشى أني إنْ دعوت أنْ يقال لي: إنْ سألتنا ما لك عندنا فقد اتهمتنا)** في تأخيره **(وإنْ سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الثناء علينا)** لأنّ الداعي يثني على ربه قبل دعائه فإذا أثنى عليه وطلب منه في الأثر ما لا يستحقه فلم يوقع ثناءه عليه موقعه لأنّه أردفه بما لم يوافقه مما يخالف ما جرى به القضاء **(وإنْ رضيت)** بما أجريناه لك، ولم تدع بشيء **(أجرينا لك من الأمور ما قضينا لك به في الدهور، ورُوي عن عبد الله بن منازل أنّه قال: ما دعوت منذ خمسين سنة ولا أريد أنْ يدعو لي أحد)** لأنّ الدعاء إنما يكون فيما اختاره العبد لنفسه، وابن منازل ممن كمل رضاه بما يجريه عليه مولاه فاستغنى عن الدعاء بحسن اختيار مولاه له فيما قدره وأمضاه، وفي هذا وما قبله ميل إلى أنّ ترك الدعاء أولى والأكثرون على خلافه، قال الغزالي: فإنْ قيل: فما فائدة الدعاء مع أنّ القضاء لا مرد له فاعلم أنّ من جملة القضاء ردّ البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لردّ البلاء ووجود الرحمة، كما أنَّ الترس سبب لدفع السلاح، والماء سبب لخروج النبات من الأرض، فكما أنَّ الترس يدفع السهم فيتدافعان فكذلك الدعاء والبلاء، وليس من شرط الإعتراف بالقضاء أنْ لا يحمل السلاح وقد قال الله تعالى: ﴿وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢] فقدر الله الأمر وقدر سببه. **(وقيل: الدعاء سلم المذنبين)**

شاهد في العلم وحظ النفس. **(قوله: وربما كان سكوتهم)** أي عن سؤال حظهم في وقت أولى من دعائهم بالحظوظ الآجلة. **(قوله: فقال أخشى الخ)** الغرض من ذلك بيان ما في نفس الأمر من أنه لا يكون إلا ما وقع القضاء الأزلي به، ولا يمكن خلافه، ومع هذا فذلك لا ينافي الدعاء امتثالاً وعبودية لأنّه من العبادة التي يثاب العبد عليها بما شاء ربنا والله أعلم.

(قوله: ما دعوت منذ خمسين سنة) أي ما دعوت دعاء بدون شاهد من العلم أما بشاهد منه فادعو، ومثله يقال فيما قبله، وبما قرّرناه تعلم ما في قول الشارح، وفي هذا وما قبله ميل إلى أنّ ترك الدعاء أولى والله أعلم. **(قوله: فاعلم أنّ من جملة القضاء الخ)** أقول: هذا إنما يظهر فيما علق من القضاء على الدعاء لا في مطلق القضاء، فلا تكن من الغافلين.

(قوله: فكذلك الدعاء والبلاء) أي ويشهد له خبر «إنّ الدعاء والقضاء ليتعالجان» الحديث. **(قوله: سلم المذنبين)** أي فهو من الأسباب الظاهرة في العفو عن الذنب.

أي وسيلتهم فلا يصلون إلى عفو الله إلا بتضرعهم ودعائهم كما قال تعالى: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠]، (**وقيل: الدعاء**) هو (**المراسلة**) بينك وبين الله بأن يخلق لك في قلبك الدعاء والتضرع والبكاء على نفسك (**وما دامت المراسلة باقية فالأمر جميل بعد**) بخلاف من استرسل في غفلته وتنعم بشهوته، (**وقيل: لسان المذنبين دموعهم**) أي بكاؤهم على تقصيرهم في حق ربهم، فبكاؤهم على ذلك مع سكوتهم أنفع لهم من دعائهم بألسنتهم مع قساوة قلوبهم. (**وسمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: إذا بكى المذنب**) من خشية الله (**فقد راسل الله تعالى**) فبكاؤه شفيع له فهو الرسول أي الواسطة بين ذنبه وعفو ربه، ولذلك استغنى به عن النطق بلسانه (وفي «معناه أنشدوا:

دموع الفتى عما يجن

أي يستر:

تترجم وأنفاسه تبدين ما القلب يكتم)

فاستغنى بالبكاء والنفس عن التضرع بالدعاء.

(**وقال بعضهم: الدعاء ترك الذنوب**) مع طلب غفرانها لأنَّ طلب غفرانها مع

(**قوله: هو المراسلة**) أي من أسباب الوصول إلى فضل الله تعالى وإحسانه.

(**قوله: وقيل: لسان المذنبين دموعهم**) أي لأنَّ القصد من الدعاء إظهار الفاقة والتذلل له تعالى، والدموع غاية في ذلك كما هو غني عن الشرح، فهي لسان حال ينادي: الغوث الغوث العجلة العجلة، وما ألطفها في استدعائها الإجابة من المحبوب.

(**قوله: مع سكوتهم**) أي عن الحظوظ الشهوانية، وهذا كما ترى لا ينافي الدعاء مع الغفلة عن الحظوظ.

(**قوله: فقد راسل الله تعالى**) أي حصل أسباب القرب من رحمته. (**قوله: دموع الفتى الخ**) أقول وما ألطف قول بعضهم في هذا المعنى شعراً:

كان فؤادي مجمر فيه عنبر ... على نار فكري واللسان يروّح

تترجم عما في ضميري مدامعي ... وكل إناء بالذي فيه ينضح

وقول الآخر:

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدّم

أجد الملامة في هواك لذيذة ... طرباً لذكرك فليلمني اللوّم

وأنفاسه أي أنفاس كربه وأشواقه تبدين أي تظهرن ما القلب يكتم أي الذي يكتمه القلب من الأشواق ولاهج المحبة. (**قوله: الدعاء ترك الذنوب**) أي قبول الدعاء سببه

استمرارها يسد باب الإجابة، قال تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ﴾ [طه: ٨٢] وقد حُكي أنَّ بعضهم أتى مكاسين ليخلص مظلوماً منهم فسألهم فيه فتركوه ثم قالوا له: ادع لنا فقال: قولوا: لذلك الكوز يدعو لكم يعني الكوز الذي يجمعوا فيه الدراهم من الظلم، نبههم على أنكم إنْ تبتم غفر لكم وما يفيد دعائي على استمراركم على الظلم.

(**وقيل: الدعاء لسان الاشتياق إلى الحبيب**) إذ لولا اشتياق العبد للمدعو به لم ينطق لسانه بالدعاء بحصوله، (**وقيل: الإذن في الدعاء خير**) للعبد (**من العطاء**) فلولا أن الحق تفضل على عبده وأَذِنَ له بالدعاء الذي هو سبب العطاء عادة لم ينل العطاء فهو من جملة العطاء، فإذا عجل الله للعبد الدعاء فقد تفضل عليه بالعبادة فإنْ رتب عليه ما دعا به، فقد حصل له مراده، وإلا فقد حصل له بعض العطاء وهو الدعاء، فالدعاء خير من العطاء، فالإذن له فيه كذلك قطعاً.

(**وقال الكتاني: لم يفتح الله تعالى لسان المؤمن بالمعذرة**) والاعتراف بالتقصير بأنْ يدعو الله ويتضرع إليه (**إلا لفتح باب المغفرة**) له فإنَّ الدعاء عبادة كما مرّ فإنْ ترتب عليه المدعو به كان زيادة وإلا فالحق يدخر له جزاء دعائه أو يؤتيه ما هو خير له مما يعلم أنَّ فيه مصلحته، (**وقيل: الدعاء يوجب الحضور**) والمقام للداعي على باب الحق تعالى (**والعطاء يوجب الصرف**) أي انصرافه عن باب الحق، وفي نسخة الإنصراف (**والمقام**) والبكاء (**على الباب أتم من الانصراف بالمثاب**) وفي نسخة بالثواب، (**وقيل: الدعاء مواجهة الحق تعالى بلسان الحياء**) يعني الدعاء المحمود ما

الأعظم ذلك قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]. (**قوله: لسان الاشتياق إلى الحبيب**) أي الشيء المحبوب أو الملك المطلوب. (**قوله: فالدعاء خير من العطاء**) أقول: المراد أنَّه خير من بعض العطاء لا عينه ومطلقه فالفضول عطاء بعض الحظوظ والغرض إفادة أنَّ الدعاء لا بدّ له من الثمن والغاية والمحقق من ذلك نفس الدعاء باعتبار التوفيق له.

(**قوله: والعطاء يوجب الصرف**) أقول: ذلك باعتبار المألوف من عادة البشر وإلا فلا صرف لطالب الحق أصلاً كما هو غني عن البيان، قال عارف وقته:

إنْ كان منزلتي في الحب عندكم ... ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

(**قوله: وقيل: الدعاء مواجهة الحق الخ**) محصله أنَّ من أَدب الدعاء حسن الاستقامة مع استشعار التقصير في حق الحق تعالى. (**قوله: وقد تقدّمت أجرامك**) جمع جرم، وهو الذنب بأنْ تجعلها نصب عينيك لتنكسر نفسك وتذل.

قارنه الحياء لأن الحياء إنما يكون مع استشعار نظر الحق إليك في حال دعائك، فإنْ دعوته وقد تقدّمت أجرامك غلب على قلبك الحياء من الله لكونك تسأله رحمته، وقد عصيت، (وقيل: شرط الدعاء الوقوف مع القضاء بوصف الرضا) بأنْ يرضى العبد بكل ما يرد عليه من الله عقب دعائه لعلمه بأنّ مولاه اختار له، (وقيل: كيف تنتظر) أنتَ (إجابة الدعوة وقد سددت طريقها بالهفوة) أي الزلة، لأنّ السبب في العفو ملازمة الطاعة اللازم لها ترك الهفوة. (وقيل لبعضهم: ادع لي فقال: كفاك من الأجنبية) أي البعد عنه تعالى (أنْ تجعل بينك وبينه واسطة) حاصله أنّه سأله أنْ يدعو له فنبهه على طريق أقرب إلى الإجابة مما سلكه، وهو أنك لو دعوته بنفسك وتضرعت إليه لاستغنيت عني وعن غيري، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام: ٤٣] الآية.

(سمعت حمزة بن يوسف السهمي يقول: سمعت أبا الفتح نصر بن أحمد بن عبد الملك يقول: سمعت عبد الرحمن بن أحمد يقول: سمعت أبي يقول: جاءت امرأة إلى تقي بن مخلد فقالت له إنّ ابني قد أسره الروم، ولا أَقدر على مال) أفديه به (أكثر من دويرة) لي (ولا أقدر على بيعها فلو أشرت إلى من يفديه بشيء) من ماله لكان خيراً لك (فإنّه ليس لي ليل ولا نهار، ولا نوم، ولا قرار) أقر فيه من أجله (فقال لها: نعم إنصرفي حتى أنظر في أمره إنْ شاء الله تعالى قال: فأطرق الشيخ) رأسه (وحرك شفتيه) بالدعاء لها بأنْ يخلص ابنها لها بلا كلفة ولا غرامة، وكان ذلك سراً بينه وبين ربه، فورخ أَصحابه وقت الدعاء ليعرفوا بذلك ما يجريه الحق من القضاء، (قال: فلبثنا مدّة فجاءت المرأة) إلى الشيخ (ومعها ابنها وأخذت تدعو له وتقول: قد رجع سالماً وبه حديث يحدثك به) وهو ما ذكره بقوله: (فقال الشاب: كنت في) وفي نسخة بين (يدي بعض ملوك الروم مع جماعة من الأسارى، وكان له إنسان يستخدمنا كل يوم فكان (يخرجنا) من البلد (إلى الصحراء للخدمة ثم يردنا

(قوله: الوقوف مع القضاء بوصف الرضا) أي سؤالاً ثم هوى النفس أولاً. (قوله: وقد سددت الخ) أي فالذي ينبغي للداعي أنْ يقدم توبته بين يدي دعائه ليكون أرجأ للقبول ولبلوغ المأمول. (قوله: لو دعوته بنفسك) أي بعد تقديم التوبة من الذنب، وملازمة الحلال مطعماً ومشرباً وغيرهما، وبعد ذلك إذا قرعت باب الفتح لفتح بدون واسطة، فتدبر.

(قوله: ولا أقدر على بيعها) أي لشدّة احتياجي إليها. (قوله: فقال لها: نعم انصرفي) أي ليدوم توجه قلبها إلى الله تعالى، ويستمرّ اعتمادها عليه فتسرع إجابة دعائه لها. (قوله: يستخدمنا كل يوم) أي على جري عادتهم في الأَسرى. (قوله: وأحضر الحدّاد) أي لأجل إصلاح هذا القيد.

وعلينا) أي على أرجلنا **(قيودنا)** التي قيدونا بها **(فبينا نحن نجيء من العمل بعد المغرب مع صاحبه الذي كان يحفظنا انفتح القيد من رجلي ووقع على الأرض ووصف اليوم والساعة)** اللتين وقع فيهما القيد **(فوافق الوقت الذي جاءت فيه المرأة)** للشيخ **(ودعا)** لها **(الشيخ)** فيه **(قال: فنهض إليّ الذي كان يحفظني وصاح عليّ وقال لي: كسرت القيد قلت: لا)** بل **(إنّه سقط من رجلي قال: فتحير)** في أمري **(وأحضر أصحابه وأحضر الحدّاد وقيدوني)** ثانياً **(فلما مشيت خطوات سقط القيد)** أيضاً **(من رجلي فتحيروا في أمري فدعوا رهبانهم فقالوا لي ألك والدة قلت: نعم فقالوا: وافق دعاؤها الإجابة، وقد أطلقك الله عز وجل فلا يمكننا تقييدك، فزوّدوني وأصحبوني بمن أوصلني إلى ناحية المسلمين)** في ذلك كرامة للشيخ، ودلالة على أنّ دعاء الوالدين معلوم الإجابة في كل شريعة لشرفهما وحرمتهما عند الله كما قال: ﴿ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان: ١٤] فقرن شكرهما بشكره من الولد لكمال إحسانهما إليه وبرهما به.

باب الفقر

هو التبري من رؤية الملكة، ويقال: هو إرسال النفس في أحكام الله تعالى،

باب الفقر

اعلم أنَّ الفقير ليس له تصرف مما للمكلف إلا في قسمين من الأحكام، وهما الواجب والمندوب، وإذا كان هذا في حق غير المنقطع من الفقراء فما بالك بالمنقطع المتوجه إلى ربه الذي ترك الدنيا وشهواتها وملذوذاتها خلف ظهره، فهو أولى وأوجب بالمطالبة بالاتباع وترك الابتداع أكثر من غيره، وإذا كان كذلك فعليه أنْ يفر من الاجتماع من مجالس الذكر الموجودة الآن إذ لا يشك عاقل في تحريمها، ولا سيما إذا اشتملت على زيادة محرمات مثل الرقص وآلات الملاهي ومرد ممن له جمال، وعليه أنْ يبعد أيضاً من السماع للقوالين الموجودين الآن لأنَّ غناءهم بالألحان والتطريب على أنّه لو سلم من ذلك لم يدخل في باب الواجب والمندوب اللذين ليس له إلا هما، وقد سئل العارف الكبير شيخ الطائفة الجنيد لم لا تسمع وقد كنت تسمع فقال: سمع ممن ومع من يشير رضي الله عنه إلى أنَّ القوال يشترط أنْ يكون هو المربي والمفيض للإمداد والمستمع يكون من المرشدين أو المسترشدين لا كالقوالين الآن، فيتعين على الفقير أنْ يحفظ مهجته بالنهوض إلى ما يجب عليه أو يندب له، وينبغي له أنْ يصون حرمة الخرقة التي ينسب إليها بترك الوقوف على أبواب أبناء الدنيا ومخالطتهم والتعرف بهم، وذلك قبيح في حق العالم، ففي حق الفقير أحرى إذ أنه أقبل على طلب الآخرة وترك الدنيا وأهلها فوقوفه على أبواب من تقدم ذكرهم نقيض طريقته ومقصده، فإنْ تعلق خاطره بشيء من ذلك فهو من أبناء الدنيا وليس له في الفقر حظ، وهذا كله من أخلاق السلف وأحوالهم وسيرتهم الحسنة، أسأل الله أنْ لا يخالف بنا عن أحوالهم بمنه وكرمه، وعلى الفقير أن يجتهد في حفظ مقامه الذي هو فيه عن تدنيه بالتشوف إلى ما في يد غيره أو التعزز بعزهم الفاني، فإذا سلم من ذلك فلا يضره السعي في قضاء حوائج إخوانه المسلمين المضطرين، وبالجملة فالفقراء السالكون ممن مضى نفعنا الله ببركات أنفاسهم على ثلاثة أقسام، فمنهم من كان لا يخالط أحداً من غير جنسه فإنْ وقع له شيء من ذلك قهراً تخلص منه، ولو بالهروب كما وقع لسفيان الثوري لما تولى الخلافة من يعتقده ويحبه ففر

منه بالسفر من بلده، والقسم الثاني كانوا يجتمعون مع غيرهم إذا أتوا إليهم مع حفظ قلوبهم عن الميل إلى دنياهم، والقسم الثالث يذهبون إلى غيرهم وفي ذلك خطر المخالطة والوقوف على الأبواب هذا فإياك وفقراء هذا الزمان فإنَّهم ربما كانوا أضر من الشياطين على المكلفين والله المستعان، ثم اعلم أيضاً أنَّ أقاويلهم فيه كثيرة والذي أقوله: وما توفيقي إلا بالله إنه هو نفض اليدين من الكونين إعتماداً واستناداً وشهوداً ووجوداً، وتأمل سر قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ [النور: ٣٩] ثم هو إحاطي بكل جزء من أجزاء العالم لافتقارها إلى نعمة الإيجاد والإمداد غير أنَّ الوجود الحادث قد يذم من حيث ما فيه من رائحة الوجود الذي هو عين الشرك، شعر:

إثبات غيرك شرك في عقيدتنا ... نفي السوى مذهبي يا قرة العين

فالفقير الكامل هو المتخلي عن الأسباب، المتعلق القلب برب الأرباب، وشرطه كمال إعراضه في الحال والمآل، والتجائه إلى الله تعالى في جميع الأقوال والأفعال عمله لأمر الله امتثالاً غير راجٍ به نوالاً، فيكون ممن افتقر إلى الله تعالى خاصة في كل سبب فلم يسكن قلبه لغيره تعالى، ولم يعتمد على ما سواه، ولم يحمله على الطاعة قصد عوض عليها بل الحامل له أمران جليلان: علمه بشرفية المقام، وصيرورته بذلك من الأحرار الكرام، فكيف يليق بالمملوك أنْ يطلب الأجر من مالكه أو يتشوف للجزاء على عمله نعم إنْ طلب فلأمر مولاه بذلك وندبه إلى ما هنالك، واعلم أنَّ الفقر شعار الصالحين وحلية المحبين ونعت الأولياء، وصفة الأصفياء، قال بعضهم: حقيقته الكاملة التجرد ظاهراً وباطناً عن الفاني من مشتهيات الدنيا مع دوام الرضا باختيار الحق تعالى له، ويقال: هو التجرد بالقلب عن الميل إلى الدنيا وإن لابسها ظاهراً وهو من أكبر أسباب الوصول إلى الحق تعالى لبعد صاحبه عن الشواغل والقواطع، ولا يقال: هو حلية توجب الرضا بالمقدور، وقيل: هو التجرد عن النظر إلى الأعمال والأحوال والمقامات، والخروج عن ذكرها وفكرها اشتغالاً بالله سبحانه لكمال الافتقار إليه، ودوام الإقبال عليه، والفقير لا يرى من نفسه جميلاً ويراها في بحر النعم غريقة، فلكمال نظره إلى مولاه انقطع نظره عما سواه، وقيل غير ذلك والله أعلم.

(قوله: هو التبري الخ) أي ولذا قيل: روح الفقير دائماً خانسة فإنْ عادت خرج من الفقر، فافهم.

(قوله: من رؤية الملكة) لعله يريد المالكية فمعناه البعد عن رؤية المالكية لأحد سواه تعالى. **(قوله: التبرؤ من رؤية الفقر)** أي بعد التجرد عن الميل بالقلب إلى شيء من الدنيا، وقوله: التبرؤ من رؤية الأعمال أي بواسطة الفناء عن أفعاله وصفاته، وقوله:

التبرؤ من رؤية الفقر، والثانية التبرؤ من الأعمال والأحوال والمقامات، والثالثة التبرؤ من رؤية كونه متبرئاً، وهو بكل حال ممدوح ومطلوب.

(قال الله عز وجل: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن شجاع بن الحسين بن موسى البزاز ببغداد قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن الهيثم الأنباري قال: حدثنا جعفر بن محمد الصائغ قال: حدثنا قبيصة قال: حدثنا سفيان عن محمد بن عمرو بن علقمة عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدخل الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام»[1] **هي (نصف يوم)** من أيام الآخرة. **(وأخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس الحيري ببغداد قال: حدّثنا أبو أحمد حمزة بن العباس البزاز ببغداد قال: حدثنا محمد بن غالب بن حرب قال: حدثنا عبد الله بن مسلمة قال: حدثنا محمد بن أبي الفرات عن إبراهيم الهجريّ عن أبي الأحوص عن عبد الله)** رضي الله عنه **(قال: قال رسول الله ﷺ: «إن**

التبرؤ من رؤية كونه متبرئاً أي بالفناء عن نفسه بالكلية، فالأُولى للمريدين، والثانية للواصلين، والثالثة للعارفين المحققين.

(قوله: قال الله عز وجل ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] الخ) للفقراء متعلق بمحذوف أي اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقونه للفقراء أو صدقاتكم للفقراء الذين أحصروا في سبيل الله أي أحصروا بالفقر والجهاد لا يستطيعون لاشتغالهم به ضرباً في الأرض أي ذهاباً فيها للتجارة والكسب، وهم أهل الصفة رضوان الله عليهم كانوا نحو أربعمائة من فقراء المهاجرين يسكنون صفة المسجد يستغرقون أوقاتهم في التعلم والجهاد، فكانوا يخرجون في كل سرية بعثها رسول الله ﷺ ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي من أجل تعففهم عن المسألة تعرفهم يا محمد أو كل أحد ممن له حظ الخطاب مبالغة في بيان وضوح فقرهم بسيماهم من الضعف ورثاثة الحال ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣] أي إلحاحاً، والملح هو من يلازم المسؤول حتى يعطيه من قولهم: لحفني من فضل لحافه أي أعطاني من فضل ما عنده، والمعنى لا يسألونهم شيئاً أو إنْ سألوا لحاجة اضطرتهم إليه لم يلحوا، وقيل: هو نفي لكلا الأمرين جميعاً.

(قوله: يدخل الفقراء الجنة الخ) لعل المراد بالفقراء في الحديث المتجردون عن الدنيا رغبة فيما لهم عند ربهم لا مطلق الخلي عن المال والكسب الذي لم يكن كذلك.

---

(١) أخرجه الدارمي (رقاق ١١٨).

المسكين ليس بالطواف الذي ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان»[1] قال فقيل: من المسكين يا رسول الله؟ قال:) «هو (الذي لا يجد ما يغنيه ويستحي أنْ يسأل الناس، ولا يفطن له فيتصدّق عليه» قال الأستاذ) الإمام القشيري رحمه الله: **(معنى قوله: يستحي أنْ يسأل الناس أي يستحي من الله تعالى أن يسأل الناس لا أنّه يستحي من الناس)** أنْ يسأل الناس، ولبقاء الكلام على ظاهره أيضاً وجه

(قوله: ليس بالطواف) أي لا يعتبر في معنى مسكنته طوافه على الناس ليسألهم شيئاً مما بأيديهم فترده اللقمة الخ. **(قوله: قال: هو الذي لا يجد ما يغنيه)** أي ما يقوم بكفايته، ويستحي من ربه بسبب قوّة يقينه بوعد الحق أنْ يسأل الناس. **(قوله: ولا يفطن له الخ)** أي وعدم الالتفات إليه بواسطة إظهاره الغنى في حالة الفقر، وذلك أفضل من ذات الفقر لأنه قد ستر فقره، وأظهر عفافه تشرفاً وتكرماً وقطعاً لطعمه، أو كان من الأقوياء، ولكن أظهر فقره اختياراً ليتبرك به ويقتدى به.

(قوله: ولبقاء الكلام الخ) أقول: هو وإنْ كان كذلك غير أنَّ حمل كلام النبوة على الوجه الأوّل أولى كما لا يخفى إذ هو الأكمل. **(قوله: والفقر شعار الأولياء)** أقول: ذكر بعضهم فصلاً جامعاً لبعض آداب السلوك، وبعض الآثار عن السلف رضي الله عنهم، وهو أنّه لا بدّ للفقير من الخلوة لأنه بسببها يدرك ما هو فيه من الخطر، ومن النعم ومن تحف المولى سبحانه، ويتبين له بها أشياء كثيرة مما مضى عليه السلف ألا ترى إلى بركة هذه الحكم التي تصدر على ألسنتهم مما ليس لهم قوّة على إصدارها، وذلك ببركة توجهاتهم وإقبال المولى سبحانه عليهم، وأعظم أسباب ذلك الخلوة، فانظر رحمني الله وإياك إلى ما نقله الإمام الحافظ إسماعيل بن محمد بن الفضل الأصبهاني رحمه الله في كتاب سير السلف له عن أبي حازم رحمه الله أنّه قال: قد رضيت من أحدكم أنْ يتقي لدينه كما يتقي لفعله، وقال شيبان: أمران هما خيرا الدنيا والآخرة إذا عملت بهما أتكفل لك بالجنة تحمل ما تكره إذا أحبه الله، وترك ما تحب إذا كرهه الله، وقال بعضهم: قاتل هواك أشد مما تقاتل عدوّك، وقيل لبعضهم: إنك مشدد فقال: كيف لا أشدد وقد صدني أربعة عشر عدواً شيطان يفتنني ومؤمن يحسدني، وكافر يقاتلني، ومنافق يبغضني والعشرة جوع، وعطش، وعرى، وحرّ وبرد، وهوام، ومرض، وفقر، وموت، ونار لا أقاومها إلا بسلاح التقوى؟ وقيل له: مالك؟ فقال: ثقتي بالله وإياسي مما في أيدي الناس، وقال: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه من شيء نحن عليه، وقال: ينبغي

---

(١) أخرجه البخاري (تفسير سورة ٢، ٤٨) (زكاة ٥٣) وأبو داود (زكاة ٢٤) والنسائي (زكاة ٧٦) والدارمي (زكاة ٢) والموطأ (صفة النبي ٧) وأحمد بن حنبل (١، ٣٨٤، ٤٤٦، ٢، ٢٦٠، ٣١٦، ٣٩٣، ٣٩٥، ٤٤٩، ٤٥٧، ٤٦٩).

للمؤمن أنْ يكون أشد حفظاً للسانه منه لموضع قدميه، وقال بعضهم: إنْ لم يكن في المبتدىء خمس خصال فلا يرجى: عقل حسن، واتباع للسنة، وصحبة الأكابر، ومن أين يأكل وحفظ لسانه وصيانته، ومن كتاب سير السلف قال أبو سفيان: إذا رأيت العالم لا يتورع في علمه فليس لك أنْ تأخذ عنه، وكان يقول: وضعوا مفاتيح الدنيا على الدنيا فلم تنفتح، ووضعوا عليها مفاتيح الآخرة فانفتحت، وقال رجل للجنيد: من أصحب؟ فقال: من تقدر أنْ تطلعه على ما يعلمه الله منك، وقيل له مرة أخرى: من أصحب؟ فقال: من يقدر أنْ ينسى ما له ويقضي ما عليه، وقال: من عرف الله لا يسر إلا به، وقال ذو النون: من علامات المحب متابعة حبيب الله في أخلاقه وأفعاله وأوامره ونواهيه وسننه، وقال: من نظر إلى سلطان الله ذهب سلطان نفسه لأنَّ النفوس هالكة عند هيبته.

وقال رويم: لا تزال الصوفية بخير ما تنافروا فإن اصطلحوا أهلكوا، وقال ابن خفيف: قلت لرويم: أوصني فقال: أقل ما في هذا الأمر بذل الروح فإنْ أمكنك الدخول فيه مع هذا، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية، وسئل لقمان وكان عبداً أسود نوبياً ما بلغ بك ما نرى فقال تقوى الله وطول الصمت وترك ما لا يعني.

ومن كتاب السنن للباجيّ رحمه الله قال: ورُوي عن أبي الدرداء إنَّه قال: ثلاث ما أحببت أنْ أعيش يوماً بدونها: الظمأ لله في الهواجر، والسجود في جوف الليل، ومجالسة أقوام ينتقون خيار الكلام كما تنتقي أطايب التمر، وقال بعض الحكماء: جاهد نفسك بأصناف الرياضة، والرياضة على أربعة أوجه: القوت من الطعام والغمض من المنام، والحاجة من الكلام، وحمل الأذى من جميع الأنام، فمن قلة الطعام موت الشهوات، ومن قلة المنام صفو الإرادات، ومن قلة الكلام السلامة من الآفات، ومن احتمال الأذى البلوغ إلى الغايات.

وقال بعضهم: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: طوبى لمن خزن لسانه، ووسعه بيته، وبكى على خطيئته، وقال العنبري: اجتمع أصحاب الحديث على باب الفضيل بن عياض فاطلع عليهم من كوة وهو يبكي فقال: عليكم بالقرآن عليكم بالصلاة، ويحكم ليس هذا زمان حديث إنما هو زمان بكاء وتضرع، واستكانة ودعاء كدعاء الغريق إنما هذا زمان احفظ فيه لسانك، وإخفِ بيتك، وعالج قلبك، وخذ ما تعرف، واترك ما تنكر، أو كما قال.

وقال كعب الأحبار رحمه الله، والذي نفسي بيده لئن أبكي من خشية الله حتى تسيل دموعي على وجهي أحب إليّ من أنْ أتصدق بجبل من ذهب، وقال وهب بن منبه: فقد زكريا ابنه يحيى عليهما السلام فوجده بعد ثلاث مضطجعاً على قبر وهو يبكي فقال: ما هذا يابني فقال: أخبرتني أنَّ جبريل أخبرك أنَّ بين الجنة والنار مفازة لا يطفىء حرها إلا الدموع فقال: إبكِ يا بني.

وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: لأنْ أَدمع دمعة من خشية الله أحب إليّ من أنْ أتصدق بألف دينار، وقال إبراهيم بن أدهم: إنَّ للذنوب ضعفاً في القوة وظلمة في القلب، وإنَّ للحسنات قوة في البدن ونوراً في القلب، وقيل لسفيان الثوريّ رحمه الله، لو دعوت الله عز وجل فقال: ترك الذنوب هو الدعاء، ولقي حكيم حكيماً فقال له: إني لأحبك في الله، فقال: لو علمت مني ما أعلم من نفسي لأبغضتني في الله فقال له الأول: لو أعلم منك ما تعلمه من نفسك لكان لي فيما أعلمه من نفسي شغل عن بغضك، وكان الربيع بن خيثم إذا قيل له: كيف أصبحت؟ يقول: أصبحنا ضعفي مذنبين نأكل أرزاقنا وننتظر آجالنا، وقيل لإبراهيم بن أدهم: من أين عيشك؟ فقال:

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع

وقيل لمحمد بن واسع رحمه الله كيف أصبحت فقال: أصبحت طويلاً أملي قصيراً أجلي سيئاً عملي انتهى كلام الباجي رحمه الله.

وقال بعضهم: الأصحاب ثلاثة: صاحبك وصاحب صاحبك، وعدوّ عدوّك، والأعداء ثلاثة: عدوّك وعدوّ صاحبك وصاحب عدوّك، ورُوي عن بعض العلماء أنّه قال: إنما يدخل الجنة من يرجوها، وإنما يجنب النار من يخشاها وإنما يرحم الله من يرحم، وقال لقمان لابنه: يا بني خف الله خوفاً لا تيأس فيه من رحمته وارجه رجاء لا تأمن فيه من عقابه، فقال: يا أبتاه فكيف وإنما لي قلب واحد فقال: بُنيّ إنَّ المؤمن لو شق قلبه لوجد فيه نور رجاء، ونور خوف، لو وزنا لم يمل أحدهما بصاحبه، وقال لقمان لابنه: يا بني كيف يأمن النار من هو واردها، وكيف يطمئن إلى الدنيا من هو مفارقها، وكيف يغفل من لا يغفل عنه، فلا شك في الموت، فكما تنام تموت، ولا في البعث فكما تستيقظ تبعث يا بني إنَّ الإنسان لثلاثة، فمنه لله، ومنه لنفسه، ومنه للدود والتراب، فروحه لله وعمله له خيراً وشراً، وجسده فهو للدود والتراب.

وقال سفيان الثوري: ما أمن أحد على دينه إلا سلبه، وقال أبو حنيفة: أكثر ما سلب الناس الإيمان عند الموت، وقال إبليس لعنه الله: إذا ظفرت من ابن آدم بثلاث لم أطلبه بغيرها إذا أعجب بنفسه واستكثر عمله ونسي ذنوبه. ويروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّه قال: ما كانت الدنيا هم رجل قط إلا لزم قلبه أربع خصال فقر لا يدرك غناه، وهم لا ينقضي مداه، وشغل لا ينفد أولاه، وأمل لا ينقطع منتهاه وقال الأصمعي: قيل لبعض الصالحين: كيف حالك؟ فقال حال من يتقي ببقائه، ويسقم بسلامته ويؤتى من مأمنه.

وقال بعض الحكماء: إنْ كان شيء فوق الحياة فالصحة، وإنْ كان شيء فوق الموت فالمرض، وإنْ كان شيء يعدل الحياة فالفناء، وإنْ كان شيء يعدل الموت فالفقر،

(والفقر شعار الأولياء وحلية الأصفياء، واختيار الحق سبحانه لخواصه من الأتقياء والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، والفقراء صفوة الله تعالى من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه بهم يصون الحق تعالى الخلق، وببركاتهم يبسط عليهم الرزق) أي يوسعه وينشره **(والفقراء الصُّبَّر)** بضم الصاد وتشديد الباء الصابرون **(هم جلساء الله تعالى يوم**

وكان علي بن أبي عبد الله بن عباس يسمى السجاد لأنّه كان يسجد في كل يوم ألف سجدة شعر:

وغير تقي يأمر الناس بالتقى طبيب يداوي والطبيب عليل

ورُوي أنّ الله أوحى إلى نبي من الأنبياء «هب لي من قلبك الخشوع، ومن عينك الدموع، ثم ادعني أستجب لك، فإني قريب أجيب دعوة الداعِ إذا دعان» هذا وينبغي للفقير أنْ يتفقد حاله ويواظب التبرك بالصالحين وسماع فوائدهم مع التحفظ عليه، وعليهم جهده، وشرح هذا يطول، فالله سبحانه وتعالى يرزقنا وإياك حسن القبول إنّه ولي السول.

(قوله: والفقر شعار الأولياء) إنما شبهه بالشعار لأنّه نعتهم الظاهر على هياكلهم رضي الله تعالى عنهم وهكذا جرت سنة الله في أحبابه، لا جرم مات ﷺ ولم يترك بيضاء ولا صفراء، وغيره من الأنبياء والأولياء لم يكن غناهم إلا بمولاهم، وكانت دنياهم خادمة في جملة الخدم وإنما خدمتهم بخدمة الحق، وفيما نقل يا دنيا اخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك، فلا بدّ حينئذٍ في بداية الأمر من التجرد اقتداء بالصحابة الأخيار مهاجرين وأنصار، فالمهاجرون قد أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، والأنصار لما علموا أنّه لا بدّ من الخروج عن المألوف آثروا على أنفسهم، ولم يلتفتوا إلى ما بهم من الخصاصة فصح أنّ كلاّ ما وصل إلى مطلوبه إلا بالخروج عن وصف الغنى فتأمل.

(قوله: بهم يصون الحق تعالى الخ) أي ببركة وجودهم وأنفاسهم ودعائهم يحفظ الحق تعالى الخلق عن الهلاك وعن الضياع.

فائدة:

أَحسن أحوال العبد دوام افتقاره إلى الله تعالى في جميع أَحواله، وموافقة السنة وملازمتها في جميع أقواله وأفعاله، وطلب قوته من وجه حلال.

(قوله: والفقراء الصبر) أي على كثرة الابتلاء والامتحان بتوفيق المتفضل المنان.

لطيفة

اعلم أنّ الحق تعالى إذا أرسل رياح الابتلاء التي هي عنوان الولاء اطمأنت نفوس الأَحباب، وقلقت ونفرت قلوب من انسدّ عنها فهم إشارات الخطاب، فإنّه إذا أحب عبداً

القيامة) بأنْ يكرمهم ويرفع درجتهم لأنّه تنزه عن أنْ يجلس أَو يجالس لكن لما كان من المعهود فيما بيننا أنَّ من جالس الملوك كان مكرماً مرفوع الدرجة أطلقت المجالسة وأُريد بها ما قلناه، (**بذلك ورد الخبر عن النبي ﷺ**) كما ذكره بقوله: **(أخبرنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ رحمه الله قال: أخبرنا إبراهيم بن أحمد بن محمد بن رجاء الفزاري قال: أخبرنا عبد الله بن محمد بن جعفر بن أحمد بن خشيش البغداديّ قال: حدثنا عثمان بن معبد قال: حدثنا عمر بن راشد عن مالك عن نافع عن ابن عمر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: لكل شيء مفتاح ومفتاح الجنة حب المساكين والفقراء الصبر جلساء الله يوم**

ابتلاه، فالغني بماله وعوافيه تقصفه عواصف هذه الرياح بدليل، فإن أصابه خير اطمأن به، وإنْ أصابته فتنة انقلب على وجهه، والفقير إلى الله هذه الرياح تربيه وتهذبه، وتنمي إيمانه بدليل ﴿وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا﴾ [الأحزاب: ٢٢] وهذا جميعه مستعار من شجر الخريف والربيع لما كان شجر الخريف مستغنياً بكسوة الأوراق وعصفت عواصف الرياح في تلك الآفاق جردتها عن كساويها، ونزهتها عن بلاوي دعاويها، ولما كانت أشجار الربيع مجردة بافتقارها قائمة على ساق اضطرارها نفحتها فلقحتها فكستها من بهيّ الأَزهار، وسندس أوراق الأشجار وعقدت في أفنانها من بطون أَغصانها فنون الأثمار، ولذلك الإشارة بقول من قال:

ما القوم سوى قوم عرفو ... ك وغيرهم همج همج
شربوا بكؤوس تفكرهم ... من خمر هواك فأمرجوا
دخلوا فقراء إلى الدنيا ... وكما دخلوا فيها خرجوا

ثم أَقول: وكل هذا بالنسبة لبدء الأَمر، وأما في الغاية إذا تمكنت المحبة في القلب فهنالك يستوي الحجر والذهب، والجوهر، والصدق هذا ابن عفان وابن عوف والزبير، ومن في معناهم رضي الله تعالى عنهم فضلهم لا يخفى وإنْ كان غيرهم كالصدّيق والفاروق وعلي وأبي ذر، وسلمان، ونحوهم ممن مات قبل، وبعد من التابعين لهم بإحسان، ماتوا على الفقر واختاروه على الغنى خوفاً من أنْ تنقصهم الدنيا شيئاً من حظهم فوفوا بصبرهم أجرهم بغير حساب، هذا وعندي الفقر أفضل من الغنى لأنَّ الأَول من مواطن الإِحسان، والثاني من مظان الإِمتحان والله أعلم.

(قوله: **أطلقت المجالسة وأُريد بها ما قلناه**) أي لقصد التعريف على الوجه المألوف. (قوله: **ومفتاح الجنة حب المساكين**) أَي السبب الموصل إلى دخول الجنة مع السابقين حب المساكين على معنى رحمتهم والشفقة عليهم.

(قوله: **كيف لا وهو حال النبي ﷺ**) أي ومع هذا فلا يقال: كان النبي فقيراً لما فيه

القيامة»[1] في هذا وما تقدم دلالة على شرف الفقراء ومحبة الله لهم، ومن أحب من أحبه الله كان شريكاً له في محبة الله له، وبهذا الإعتبار كان حب المساكين مفتاح الجنة لأنهم فيها، وحبهم سبب لدخولها معهم، وكان الفقراء جلساء الله يوم القيامة، **(وقيل: إنَّ رجلاً أتى إبراهيم بن أدهم بعشرة آلاف درهم)** ليعتان بها **(فأبى أنْ يقبلها منه، وقال له: تريد أنْ تمحو اسمي من ديوان الفقراء بعشرة آلاف درهم لا أفعل)** ذلك، فيه دلالة على شدة حب الفقر عندهم، وأنهم يعضون عليه بالنواجذ، كيف لا وهو حال النبي ﷺ الذي كان يختاره لنفسه، ويدعو به لأهله، ويصف بالفلاح من اتصف به، ففي الخبر «اللهمّ إجعل رزق آل محمد قوتاً»[2] وروي كفافاً، وفيه أيضاً قد أفلح من أسلم، وكان قوته كفافاً وقنعه الله، **(وقال معاذ النسفي: ما أهلك الله تعالى قوماً وإنْ عملوا ما عملوا حتى أهانوا الفقراء وأذلوهم)** كما قالوا لنوح عليه السلام: ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١]، وفي قصة صالح عليه السلام ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِمَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُمۡ أَتَعۡلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحٗا مُّرۡسَلٞ مِّن رَّبِّهِۦۚ﴾ [الأعراف: ٧٥] وما قاساه بلال وصهيب وعمار في أوائل الإسلام معلوم.

(وقيل: لو لم يكن للفقير إلى الله فضيلة غير إرادته وتمنيه سعة أرزاق المسلمين، ورخص أسعارهم) للأشياء التي يحتاج إلى شرائها **(لكفاه ذلك)** أي ما ذكر من إرادته وتمنيه **(لأنه يحتاج إلى شرائها)** بأيسر الأثمان فيريد ذلك ويتمناه **(والغني يحتاج إلى بيعها)** وشتان بين من يتمنى الرخاء للمسلمين لفقره وإنْ كان ذلك

من إيهام التنقيص. **(قوله: اللهم اجعل رزق آل محمد الخ)** أي وهم مؤمنو بني هاشم وبني المطلب في باب الزكاة، وكل مؤمن تقيّ في باب الدعاء وقيل: كل مؤمن ولو عاصياً وهو أولى، وكل تقي في مقام الثناء غير أنَّ المراد هنا الأول.

(قوله: حتى أهانوا الفقراء الخ) أي فتحتم هلاكهم إنما كان بسبب إهانتهم الفقراء، وإذلالهم إياهم. **(قوله: وقيل: لو لم يكن للفقير الخ)** شروع فيما يفضل به الفقير الغني فاعرفه.

(قوله: والغني يحتاج إلى بيعها) أي فهو متعلق بأذيال الهوى والشيطان، ومقتد بأهل الخذلان والحرمان، فمن تعلق بأذيال الملعون الشقي متى يسعد، والمقتدي بالضال

---

(١) أخرجه الهيثمي في (مجمع الزوائد ١٠/ ٨٢) والزبيدي في (إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٨٣) والمتقي الهندي في (كنز العمال ١٦٥٨٧) والسيوطي في (اللآلىء المصنوعة ٢/ ١٧٤).

(٢) أخرجه البخاري (رقاق ١٧) ومسلم (زهد ١٨، ١٩) والترمذي (زهد ٣٨) وابن ماجه (زهد ٩).

تبعاً لحاجته، وبين يتمنى غلاء الأسعار لكثرة فائدته.

(هذا لعوام الفقراء) وفي نسخة: حال العوام من الفقراء، **(فكيف حال خواصهم)** وهم الزهاد الذين ترقوا بإيثارهم على أنفسهم بما هم محتاجون إليه، وبحسن معاملتهم، وبكمال تنعمهم بالذكر والمناجاة لمولاهم.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا بكر بن سمعان يقول: سمعت أبا بكر بن مسعود يقول: سئل يحيى بن معاذ عن الفقر فقال: حقيقة أنْ لا يستغني العبد إلا بالله تعالى) أي دون خلقه لأنَّ من افتقر إليهم لم يستغنَ بالله، وقلّت معرفته به، ومن صحت معرفته به، وأنَّه لا ملك لغيره حقيقة لم يفتقر لغيره، **(ورسمه)** أي الفقر **(عدم الأسباب كلها)** لئلا يكون اعتماده عليها **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت إبراهيم القصار يقول: الفقر لباس يورث الرضا)** بكل ما يجريه به الحق عليه مما سبق به تقديره وقضاؤه **(إذا**

متى يرشد، الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله، وما والاه «تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة والخميلة، إنْ أُعطي رضي وإنْ لم يعطَ لم يرض» ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُواْ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ [يس: ٦٠] ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٠] كتب عليه أنه من تولاه فإنه يضله فتدبر وتفهم عسى أنْ ترجع عما تظن وتعلم.

(قوله: الذين ترقوا بإيثارهم الخ) أي فهم مندرجون فيمن أثنى عليهم الحق تعالى في محكم التنزيل حيث قال: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].
(قوله: فقال: حقيقته أنْ لا يستغني الخ) يريد أنَّ لا تتم للعبد فائدة التجرد إلا إذا غفل عن ذلك التجرد بشهود المنعم به، وبغيره، وإلا فأنت عبد لما نظرت إليه واعتمدت في سيرك عليه، ولله در الصفديّ حيث قال شعراً:

إنْ تم شيء من الدارين فيك فلا ... تطمع تشاهد شيئاً من مناجات
لمن تميل فعبد أنت زل أرباً ... غير المكوّن خلاق الوجودات

قال صاحب الحكم العطائية: ما أحببت شيئاً إلا كنت له عبداً، وهو لا يحب أنْ تكون عبداً لغيره، فهب كلك لمن أنتَ له حتى لا يبقى لك منك شيء فافهم.

(قوله: أنْ لا يستغني العبد إلا بالله تعالى) أي استغراقاً في الله، وفراغاً مما سواه.
(قوله: ورسمه) أي تعريفه بالرسم أنْ يقال: هو عدم الأسباب الخ أي عدمها اعتماداً واستناداً. **(قوله: لباس يورث الرضا)** أي نعت ينشأ عنه الرضا بكل ما يجريه الحق تعالى من تصاريف أحكامه، فمن ادعت نفسه هذا النعت الشريف فليمتحنها عند الابتلاء بما لم

تحقق العبد) أي تمكن **(فيه)** بخلافه قبل تمكنه، فمتى قنع العبد بما رزقه الله من الدنيا وقلَّ تشوقه لها تعود الرضا بما وقع ووافق طبعه، وإذا تعود الرضا بذلك وتمكن فيه انتقل منه إلى الرضا بكل ما يرد عليه، وإنْ خالف طبعه.

(وقدم على الأستاذ أبي عليّ الدقاق رحمه الله فقير في سنة خمس أو أربع وتسعين وثلثمائة من زوزن وعليه مسح) بكسر الميم أي لباس **(وقلنسوة مسح)** بالإضافة أي قلنسوة من مسح **(فقال له بعض أصحابنا بكم اشتريت هذا المسح على وجه المطايبة)** والمداعبة معه ففهم منه أنّه سأل عن حاله الذي هو عليه ليكون اللباس الصحيح هو لباس التقوى كما قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] **(فقال)** له: **(اشتريته بالدنيا)** أي بإعراضي عنها **(فطلب مني)** بيعه **(بالآخرة)** وأسكن إليها **(فلم أبعه بها)** لأنَّ حالي هذا هو شغلي بالله لا بغيره، وسكوني إليه لا إلى غيره، فلو ملت إلى حظ آخر لكنت بعت حظاً بحظ، وكل منهما حادث، وحظي الذي أنا مشغول به هو الذي لم يزل ولا يتغير، وهذا فقر العارفين، ومن عداهم من الفقراء قد يتمسك بالفقر ليكون من السابقين إلى الجنة كما صحت به الأخبار، وإنَّ الكل في الجنة وإنما اختلفوا في البواعث على الأعمال، ففرق بين من عمل لوجهه

يلائمها من الأحكام، فإنْ وجدها صابرة رضاية فذاك، وإلا فليقم عليها حتى ترضى.

(قوله: وقل تشوفه لها) أي إعراضاً عما يفنى للشغل بما يبقى، ولذلك الإشارة بقول صاحب الحكم: إنْ أردت أنْ يكون لك عزٌ لاَ يفنى فلا تستعزن بعز يفنى، قلت: وكل عز دنيوي فانٍ لأنَّه إنما يكون بأسبابها، وهي فانية، كذلك قال في التنوير: فإنْ اعتززت بالله دام عزك، وإنْ اعتززت بغير الله فلا بقاء لعزك إذ لا بقاء لما أنت به متعزز فتدبر.

(قوله: فقال: اشتريته بالدنيا) أي فهو لما علم من غرتها في الباطن لم يلتفت إلى زخرفتها في الظاهر، فمن نظر إلى الدنيا سرته فإنْ اشتغل بها صرفته، فإن اطمأن إليها صرعته، وإنْ أعرض عنها فاتحته، ومن نظر إلى باطنها غمته، فالكيس ينبسط بإدبارها أكثر من إقبالها، ويحترز في إقبالها أشد من إدبارها أليست بدار فناء وزوال، ومحل نقص وارتحال غير أنَّ العبد مبتلى بنفسه معلق بأسباب معاشه ورياشه، فوجب أنْ يتناول على قدر حاجته، والنظر إلى ما وراء ذلك، فهو من خبث النفس.

(قوله: فقال: اشتريته بالدنيا) لعله صدر هذا منه لغرض صحيح كالتحدث بنعمة الله أو لتربية المريدين ممن تبعه، وحينئذٍ فلا يقال: إنَّ فيه إفشاء السر، أو التحدث بما لم ينل، وكل منهما ممنوع منه.

وقربه، ومن عمل لثوابه في جنته وإنْ كان لا بدّ من الثواب. (**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: قام فقير في مجلس يطلب شيئاً**) من الدنيا (**وقال**) على رؤوس الأشهاد: (**إني جائع منذ ثلاثة**) من الأيام (**وكان هناك بعض المشايخ فصاح عليه وقال**) له تأديباً (**كذبت**) في فقرك (**إنَّ الفقر**) لكونه درجة عالية (**سر**) من أسراره تعالى (**وهو لا يضع سره**) إلا عند من افتقر إليه لا إلى غيره فلا يضعه (**عند من يحمله إلى من يريد**) من الإرادة وقرأه بعضهم يزد من الزيادة قال: أي من يزيد في النداء بما ناديت به. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت محمد الفراء يقول: سمعت زكريا النخشبي يقول: سمعت حمدون القصار يقول: إذا اجتمع إبليس وجنوده لم يفرحوا بشيء كفرحهم بثلاثة أشياء رجل مؤمن قتل مؤمناً، ورجل يموت على الكفر وقلب فيه خوف الفقر**) إلى الله تعالى، فقرن خوف الفقر بكبيرتين: قتل المؤمن والموت على الكفر، لأنَّ العبد إذا خاف الفقر اكتسب المال المحرم غالباً، وربما قتل عليه من يجده معه، وربما كفر لنيله إذا احتاج إليه، فخوف الفقر آفة عظيمة، وهذا الفقر الذي اختاره النبي ﷺ وسأل فيه لنفسه وآله، وأما الذي استعاذ به فهو الفقر لغير الله، وهو المنسي للاشتغال بالله، وسيأتي إيضاحه، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت عبد الله بن عطاء يقول: سمعت أبا جعفر الفرغاني يقول: سمعت الجنيد يقول: يا معشر الفقراء إنكم تعرفون بالله، وتكرمون لله**) فأنتم

(**قوله: ومن عمل لثوابه الخ**) أي فإنّه يصير للثواب محباً متعلق القلب به، وكل من تعلق قلبه بشيء كان عبد ذلك الشيء. (**قوله: وإنْ كان لا بدّ من الثواب**) أي لكل عامل غير أنَّ الفرق القصد وعدمه. (**قوله: قام فقير في مجلس يطلب شيئاً الخ**) أي ومن ذلك ما يحكى أنه دخل رجل من العارفين على إنسان وهو يبكي فقال له: ما شأنك قال: مات أستاذي فقال ذلك العارف: ولمَ جعلت من يموت أُستاذك؟ ويقال لك: إذا اعتززت بغير الله فقدته أو استندت إلى غيره عدمته، ﴿وَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِي ظَلۡتَ عَلَيۡهِ عَاكِفٗاۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِي ٱلۡيَمِّ نَسۡفًا إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيۡءٍ عِلۡمٗا﴾ [طه: ٩٧، ٩٨]. (**قوله: تأديباً الخ**) أشار بقوله: تأديباً إلى أنَّ الإيذاء بقصد التأديب جائز، وهو كذلك.

(**قوله: إلا عند من افتقر إليه**) أي وهو لا يفعل ذلك كما فعلت أنتَ. (**قوله: كفرحهم بثلاثة أشياء**) أي وذلك لعظم إثمها وجرمها. (**قوله: لأنَّ العبد إذا خاف الفقر الخ**) أي مع ما فيه من الشك فيما ضمن له الحق تعالى.

(**قوله: وهذا الفقر الذي الخ**) الإشارة راجعة إلى الفقر إلى الله تعالى، ولكن لا

من أهل الله **(فانتظروا كيف تكونون مع الله إذا خلوتم به)** حرضهم بذلك على القيام في خلواتهم بحقوق الله الذي أكرموا لأجله، ومن ذلك كمال الأدب معه، والجد في تحصيل ما يرضيه، وتبريهم من القدرة على شيء من طاعاتهم.

(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت محمد بن الحسن البغدادي يقول: سمعت محمد بن عبد الله الفرغاني يقول: سمعت الجنيد وقد سئل عن الافتقار إلى الله أهو أتم أم الاستغناء بالله تعالى؟ فقال: إذا صح الافتقار إلى الله فقد صح الاستغناء بالله، وإذا صح الاستغناء بالله كمل الغنى به، فلا يقال: أيهما أتم الافتقار أم الغنى لأنهما حالتان لا تتم إحداهما إلا بالأخرى) فمن كمل افتقاره إلى الله كمل استغناؤه عن غير الله بل كمل استغناؤه بالله **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت جعفراً يقول: سمعت دويماً يقول: وقد سئل عن نعت)** الفقير فقال: **(هو إرسال النفس في أحكام الله)** فمن كان

يخفى ما في السياق من الإيهام. **(قوله: حرضهم بذلك على القيام الخ)** أي ليوافق باطنهم ما ظهر من حالهم ليتخلصوا من صورة المنافقين. **(قوله: فقال: إذا صح الافتقار إلى الله الخ)** أي، وذلك لأنَّ معنى التصوف التجرد عن العلل، وكذلك معنى الفقر على ما جرى به البيان في المقال، ولكن القوم قد فرقوا بينهما لانفراد كل منهما بأوصاف تخصه، وعليه الفقر أتم من التصوف لأنَّ التصوف يشير إلى بقية وإنْ خفيت، والفقر التجرد بالكلية على الوجه الذي قد تحقق، وذلك كما قيل:

ألوانها شتى الفنون وإنما ... تُسقى بماء واحدٍ من منهل

(قوله: فقال: إذا صح الافتقار الخ) أي ففي الحقيقة الفقير الصابر هو الغني الشاكر وبالعكس إذ الفقر ملازم للغنى وضده ملازم للضد، فإنَّ الفقر المعتبر ليس هو الفقر من العرض كما أنَّ الغنى ليس بالعرض الكثير قال ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العرض» الحديث فالفقر هو التبري من الحول والقوة، ونسبة شيء من الأشياء إلى النفس، والغني هو الغني بالله تعالى في جميع الشؤون والأحوال، والحاصل أنَّ الافتقار إلى الله والإستغناء بالله متلازمان.

(قوله: هو إرسال النفس الخ) أي ولهذا قيل: الفقر في ظاهر الطريقة غير ما هو في باطن الحقيقة، فالظاهر فقر الزهاد من الأعراض الدنيوية والباطن فقر الأفراد من الأغراض الأخروية شغلاً بالله عن كل ما سواه يعلم ذلك من شهده ورآه.

(قوله: هو إرسال النفس الخ) أي ولذا قيل: من اتصف بحقيقية الافتقار هو الفقير عن إرادة منه واختيار، لا عن ضرورة ردته لمركز الاضطرار، ومحصل ذلك أنَّ الفقير هو

افتقاره إلى الله في كل ما يجريه عليه حتى كملت معرفته بلطفه به وتفضله عليه أرسل نفسه تحت الأحكام في الرضا بجيمع ما يجريه عليه لعلمه بحسن اختياره له، وقل منه الاختيار والاهتمام، (**وقيل: نعت الفقير ثلاثة أشياء: حفظ سره**) فيما بينه وبين مولاه (**وأداء فرضه**) الذي هو أساس تقواه (**وصيانة فقره**) عن غير الله إظهار الكمال استغنائه بمولاه (**وقيل لأبي سعيد الخراز: لم تؤخر عن الفقراء رفق الأغنياء فقال: لثلاث خصال لأنَّ ما في أيديهم غير طيب**) والفقراء الخواص إنما افتقروا من الدنيا اختياراً لا اضطراراً، فلا يطعمهم الله أوساخ الأغنياء بل يطعمهم تارةً بإيثار بعضهم لبعض، وتارةً بكسبهم من وجه صافٍ، وتارةً بخرق العادة لهم (**ولأنَّهم**) أي الأغنياء (**غير موفقين**) غالباً إذ لو وفقوا لبذلوا أموالهم لمن يستعين بها على التفرغ للطاعات (**ولأنَّ الفقراء مرادون بالبلاء**) أي بالفقر كغيره لأنَّ الحق تعالى اختاره لهم فلم يحرك قلوب الأغنياء للإتيان بالأموال إليهم. (**وقيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام إذا رأيت الفقراء فسائلهم**) أي حدثهم (**كما تسائل الأغنياء وإنْ لم تفعل**) ذلك (**فاجعل كل شيء علمتك تحت التراب**) هذا إرشاد إلى نفي الكبر والعظمة على الفقراء، وأنْ تحادثهم كما تحادث الأغنياء خلافاً لما عليه غالب الناس، والغرض من إيحاء الله تعالى ذلك إلى موسى عليه السلام أنْ يعلمه لبني إسرائيل وإلا فالأنبياء معصومون من الكبر، فأجرى الله ذلك مجرى التعليم للأمّة كما قال لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية ولم يطردهم، وربما

من تحقق بالغنى عن كامل مراداته في مرادات الحق تعالى، فهو دائماً يرضى بكل ما يجريه عليه من تصاريف أحكامه. (**قوله: ثلاثة أشياء حفظ سره الخ**) أقول: قد ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾ [المعارج: ١٨] نفعنا الله ببركات علومه.

(**قوله: لأنَّ ما في أيديهم غير طيب**) أي ويؤيد ذلك ما قيل: إنَّه تفاخر الغنى مع الفقر فقال: أنا وصف الرب الكبير، فمن أين أنتَ أيها الحقير فقال الفقر: لولا وصفي ما تميز وصفك، ولولا تواضعي ما رفع قدرك فأنا وصفي وسم بذل العبودية وأنت وصفك نازع الربوبية، ومن نازع قصم، ومن سَلَّم سَلِم.

(**قوله: فلا يطعمهم الله الخ**) أي لا يطعمهم ذلك ليدوم لهم إشراق الأنوار، وشدة قوّة الاستبصار. (**قوله: ولأنهم أي الأغنياء غير موفقين**) أي بدليل ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ [العلق: ٦]، والحكم للغالب كما نبه عليه الشارح. (**قوله: ولأنَّ الفقراء مرادون بالبلاء**) أي الابتلاء المطلق فقراً أو غيره بشاهد خبر «أشدكم بلاء» الحديث. (**قوله: فاجعل كل شيء الخ**) أي لأن ثمرة العلم العمل، فإذا لم يتحقق فلا فائدة في العلم حينئذٍ

قال له أغنياء قريش وعظماؤهم: أبعد عنا هؤلاء الفقراء فإنا نتأذى بروائحهم كبلال، وعمار، وصهيب اجعل لنا يوماً ولهم يوماً فهم بذلك فأنزل الله تعالى ذلك رداً عليهم، وأمره أنهم إذا أتوه فليسلم عليهم فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا﴾ [الأنعام: ٥٤] فكان ﷺ يقول لهم إذا أتوه «مرحباً بمن عاتبني فيهم ربي ويدنيهم إليه»[1]. (وروي عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: لأن أقع من فوق قصر فأتحطم أحب إليّ من مجالسة الغني لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم ومجالسة الموتى قيل: يا رسول الله ومن الموتى؟ قال الأغنياء») ولأنّ

بل الضرر فيه محقق، والعياذ بالله تعالى. (قوله: فهم بذلك) أي تأليفاً للأغنياء عسى أنّهم ينقادون له ﷺ. (قوله: وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا) هم الذين نهى عن طردهم وصفوا بالإيمان بآيات الله تعالى كما وصفوا بالمداومة على عبادته تعالى بالإخلاص تنبيهاً على إحرازهم لفضيلتي العلم والعمل، وتأخير هذا الوصف مع تقدمه على الوصف الأوّل لأنّ مدار الوعد بالرحمة والمغفرة هو الإيمان كما أنّ مناط النهي عن الطرد فيما سبق هو المداومة على العبادة، وقوله: تعالى: ﴿فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ [القصص: ٥٥] أمر بتبشيرهم بالسلامة عن كل مكروه بعد إنذار مقابلهم، وقيل: بتبليغ سلامه تعالى إليهم، وقيل: بأنْ يبدأهم بالسلام، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤] أي قضاها وأوجبها على ذاته المقدسة بطريق التفضل والإحسان بالذات لا يتوسط شيء مّا أصلا أثر تبشيرهم بالسلامة من المكاره، وقبول التوبة منهم، وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرهم إظهار اللطف بهم، والإشعار بعلة الحكم، وقيل: إنّ قوماً جاؤوا إلى النبي ﷺ فقالوا: إنّا أصبنا ذنوباً عظاماً فلم يرد عليهم شيئاً فانصرفوا فنزلت. (قوله: «لأنْ أقع» الخ) سببه أنّ الوقوع إنما يُخشى منه الضرر الدنيويّ بخلاف مجالسة الأغنياء، فإنّ الضرر الذي يخشى منه ديني لأنّ الغنى غالباً يوقع في الكبر، ويخيل لمن قام به غير حقيقة الأمر، وذلك وصف الأعداء المبعدين، والفقر سمة الأحباب، وحلية العبد الأواب من لبس أسماله كان ذلك أسمى له، في وجوه أهله القبول ولهم منه تعالى إجابة السول شعر:

خليليّ قطاع الفيافي إلى العلا ... كثير وإنّ الواصلين قليل
وجوه عليها للقبول علامة ... وليس على كل الوجوه قبول

(قوله: إياكم ومجالسة الموتى) إنما جعلوا من قبيل الموتى لعدم الفائدة في كل بل الضرر من مثلهم أقرب شيء.

---

(١) أخرجه القرطبي في (التفسير ١٩/ ٢١٣).

مجالستهم لا يسمع فيها غالباً إلا مدح الدنيا، وكثرة فوائدها والتمكن من الجاه والمال فيها، وسائر الأعراض والنفس مائلة إلى كل لذيذ، فيتغرس في القلب محبتها، والمراد أنهم موتى القلوب بمحبة الدنيا حتى اشتغلت عن أعمال الآخرة كما قال تعالى: ﴿أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النحل: ٢١] وقال: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢] الآية **(وقيل للربيع ابن خيثم: قد غلا السعر)** فنخشى الجوع **(فقال: نحن أهون على الله من أن يجيعنا)** فإنَّه **(إنما يجيع أولياءه)** فيه دلالة على أنه عرف حقارة الدنيا وأنها لا قدر لها عند الله، وقد زواها عن أنبيائه وأوليائه.

(وقال إبراهيم بن أدهم: طلبنا الفقر فاستقبلنا الغنى) لأنَّ من زهد في الدنيا وتفرغ للطاعات اكتفى منها بأقل القليل، وهو القدر المحتاج إليه منها في الحقيقة لأنَّ المحتاج إليه منها ما كان عوناً على أعمال الآخرة.

(وطلب الناس الغنى فاستقبلهم الفقر) لأنَّ العبد كلما نال من الدنيا شيئاً ورأى رفعة درجته به فيها على غيره طلب الازدياد منها فصار بذلك فقير النفس إلى الازدياد من المال والجاه. **(سمعت محمد بن الحسين يقول: سمعت أحمد بن علي يقول: سمعت الحسن بن علويه يقول: قيل: ليحيى بن معاذ: الفقر)** أي المذموم؟ **(قال:)**

(قوله: فينغرس في القلب الخ) أي وذلك رأس كل خطيئة. **(قوله: والمراد أنهم موتى القلوب)** أي بسبب عموم الغفلة التي هي كنعت الموت بل أضر.

(قوله: وقيل للربيع الخ) فيه دلالة على أنَّه العارف بالله الغني به عمن سواه فيا فقيه الاسم دون المسمى الغلط أوجب تشابك الإسما لو عرفت معنى الفقه والفقيه كنت الحاذق النبيه الفقيه من فقه عن مولاه وفني به عمن سواه، فإنْ كنت بهذا الوصف كنت الفقير صدقاً والفقيه عند الله حقاً.

(قوله: أهون على الله الخ) أي وذلك لأنَّ الابتلاء بنحو الجوع من نعت الأحباب والمقربين. **(قوله: فاستقبلنا الغنى)** أي من طريق قناعة النفس والرضا بما يسد الرمق ويعين على الطاعة. **(قوله: فاستقبلهم الفقر)** أي فقر القلب وهو أشد أنواع الفقر لأنَّ الإنسان يصير مع هذا الخلق لو أعطي الدنيا بحذافيرها ما زاده ذلك إلا نهامة وتهافتاً وحرصاً على تحصيل زائد عما حصل له.

(قوله: لأنَّ العبد الخ) أي ويشهد له خبر «منهومان لا يشبعان أبداً طالب علم وطالب دنيا». **(قوله: قال: هو خوف الفقر)** أي لما يترتب عليه من الشك في الرزق، والتهافت على تحصيل الدنيا، ولو بدون وجه حل، وغير ذلك من المفاسد الدينية.

هو (**خوف الفقر**) أي محبة الغنى لأنَّ محبته تورث فقر النفس فكلما خاف العبد أنْ يفتقر جد في تحصيل الدنيا، (**قيل**) له: (**فما الغنى**) أي الممدوح (**قال:**) هو (**الأمن بالله تعالى**) أي محبة الفقر والقناعة لأنَّ محبتهما تورث الأمن والسكون إلى وعد الله بقوله: (**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ورزق العبد**) وهو ما ينتفع به من طعام وقوّة وصبر وغيرها مضمون لا بد له أنْ يأتيه ما دام حياً، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت أبا بكر الرازيّ يقول: سمعت الجريريّ يقول: سمعت ابن الكريني يقول: إنَّ الفقير الصادق ليتحرز من الغنى حذراً**) من (**أنْ يدخله الغنى فيفسد عليه فقره**) لأنَّ فقره صار قرّة عينه واستغنى به عن غيره، فكلما توهم أمراً يشوش عليه فقره أعرض عنه (**كما أنَّ الغنى يحترز من الفقر حذراً من أن يدخل عليه**) الفقر (**فيفسد غناه عليه**) لأنَّ غناه صار قرّة عينه، فكلما توهم أمراً يشوش عليه غناه هرب منه، وربما لو أتاه فقير يطلب منه شيئاً قطب وجهه عليه، ولذلك قيل في مدح الفقراء الصادقين، إذا افتقروا عضّوا على الفقر ضنة، وإنْ أيسروا عادوا سريعاً إلى

(**قوله: قال: هو الأمن**) أي طمأنينة القلب بوعد الحق، والقناعة بالمقدر من الرزق. (**قوله: بقوله:** ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ﴾) [هود: ٦] أي وبقوله ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا﴾ [العنكبوت: ٦٠]. (**قوله: لا بدّ له أنْ يأتيه الخ**) أي بدلالة قوله ﷺ: «لو يفر المرء من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت». (**قوله: يقول: إنّ الفقير الصادق الخ**) أقول: قد التبس الفقر على غير النبيه فقال: إنَّ الفقير غير الفقيه، وما علم أنَّ الهاء هي الراء، شعر:

إنَّ الفقير هو الفقيه وإنما ... راء الفقير تجمعت أطرافها

والحاصل أنَّ الفقير الفقيه من حط حمل الرحال على أعتاب الرجال حتى أرضعته طري لبن الصدور، وأغنته عن قديد ميت السطور، فانتصح يا فقيه القال، واستمع يا فقير الحال، وافن بالله عن الرسوم، واخرج به عن كل معلوم.

(**قوله: حذراً الخ**) أي ولذا قيل: من ادعى الغنى وقع في العنا بخلاف من أظهرالفقر فإنَّه قد خلص من الأمر.

(**قوله: فيفسد عليه فقره**) أي يفسد عليه رضاه به، وربما أطغاه الغنى كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾ [العلق: ٦] الآية. (**قوله: إذا افتقروا عضوا على الفقر ضنة**) أي تمسكوا به محبةً له، وبخلاً بمفارقته إياهم لما يترتب عليه من الثمرات الدنيوية والأخروية بخلاف مقابله، وهو الغني المرتب عليه غالباً المفاسد، وقوله: وإنْ أيسروا عادوا سريعاً إلى الفقر أي إن رُزقوا اليسار من طريق الحل أكثروا البذل والإعطاء حتى يعودوا إلى الفقر سريعاً الذي هو مرغوب قلوبهم رضي الله تعالى عنهم.

الفقر. (**وسئل أبو حفص بماذا يُقدم الفقير على ربه عز وجل؟ فقال: وما للفقير**) شيء يحسن (**أنْ يقدم به على ربه تعالى سوى فقره**) فالفقر محبوب لأنَّ العبد إنما يقدم على ربه بأحب الأعمال إليه وأشرفها عنده، فهو أحسن ما يقدم العبد به على ربه كيف لا وهو قد استغنى بالله عن غيره.

(**وقيل: أوحى الله سبحانه إلى موسى عليه السلام: أتريد أنْ يكون لك يوم القيامة مثل حسنات الخلق أجمع قال: نعم قال: عُدْ المريض**) بضم العين (**وكن لثياب الفقراء فالياً**) من القمل ونحوه (**فجعل موسى عليه السلام على نفسه في كل شهر سبعة أيام يطوف على الفقراء يفلي ثيابهم، ويعود المرضى**) في ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء على الله، وشرف منزلتهم عنده، وكمال رحمته بهم حيث أمر أنبياءه وأحبابه بأنْ يكرموهم، (**وقال سهل بن عبد الله: خمسة أشياء من جوهر النفس**) من كانت نفسه شريفة اجتمع بها الخمسة، أو بعضها بحسب شرفية نفسه ونزاهتها وهي (**فقير يظهر الغنى**) لأن ذلك يدل على تنزهه عن الخلق، وقوة صبره وزهده، وتوكله إلى أنْ يأتيه الفتح من ربه (**وجائع يظهر الشبع**) لأنَّ ذلك يدل على

(**قوله: فقال: وما للفقير شيء الخ**) أقول: فاسمع يا فقيه النقل، ويا معقول العقل، فقد ستر عنك نور الكشف حجاب آنيتك العقلية، والذوق قد غير طعمه عندك مرارة العلوم النقلية، فالله سبحانه يوفقنا للصواب، ويرزقنا حسن المآب، بجاه حبيب الأحباب ﷺ. (**قوله: في ذلك دلالة على شدة كرامة الفقراء الخ**) أي ولذلك قيل: من استكبر بوصف الغني على الفقير فقد استوجب حكم العكس من القدير، شعر:

ألم تر بيت الفقر يرجى له الغنى ... وبيت الغنى يُخشى عليه من الفقر

فمن افتخر على الفقراء بمال خزانته أو تباهى عليهم بجمال فخارته أذله الله وانكسر وعاه قبيحاً وافتقر:

لا تفخرن بما أوتيت من نعم ... على سواك وخف من كسر جبار

فأنت في الأصل بالفخار مشتبه ... ما أسرع الكسر في الدنيا الفخار

(**قوله: خمسة أشياء من جوهر النفس**) أي من إمارات جوهريتها وخلوصها من صدقة الجاهلات، وظلمة الرعونات. (**قوله: فقير يظهر الغنى**) أي عملاً بقوله جل شأنه ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]. (**قوله: بأنْ يداريه**) أي والمداراة ترك بعض الدنيا أو كلها لإصلاح الدين وهي مندوبة، ومن أمارات كمال الإنسانية وزيادة العقل مع أنّها قد تكون سبباً لتغيير العداوة محبة بحسن المعاملة على أنَّ العداوة قد تطرأ على بعض الأصدقاء وترك الصديق وهجره ليس بالهين، قال الشاعر:

اختيار الجوع لصوم أو كسر شهوة أو رقة قلب **(ومحزون يظهر الفرح)** لأنَّ ذلك يدل على كمال صبره ورضاه بما أجراه عليه ربه **(ورجل بينه وبين رجل عدواة فيظهر له المحبة)** بأنْ يداريه، فإن لقيه بش في وجهه وإنْ أتاه أكرمه بدنيا ليندفع عنه ما يخشى وقوعه وما هو فوق العداوة، ويزول ما في نفس عدوه من الشر، ولذلك قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

إني أحيي عدوّي عند رؤيته ... لأدفع الشر عني بالتحيات
وأظهر البشر للإنسان أبغضه ... كأنه قد ملأ قلبي مسرات
ولست أسلم ممن لست أعرفه ... فكيف أسلم من أهل المودات

(ورجل يصوم) بـ **(النهار ويقوم)** بـ **(الليل ولا يظهر ضعفاً)** لأنَّ ذلك يدل على القوّة وستر الأعمال، والسلامة من الشهرة بين الناس الحاصلة بإظهار الضعف بانحلال بدن ونعاس، ونحوهما مما يدل على القيام والصوم.

(وقال بشر بن الحرث: أفضل المقامات اعتقاد) أي عقد **(الصبر على)** دوام **(الفقر)** أي الافتقار إلى الله تعالى والإعراض عن المال والعمل والحال مستمر على ذلك **(إلى القبر)** يعني الموت **(وقال ذو النون المصريّ رحمه الله تعالى: علامة سخط الله تعالى على العبد خوفه من الفقر)** عما ضمنه الله له لأنه بذلك شاك في الضمان

إستصف خلك واستخلصه أهون من ... تبديل خل فكيف الأمن بالبدل
فأعجز الناس حر ضاع من يده ... صديق ودّ ولم يردده بالحيل

(قوله: إني أُحي عدوي) من التحية عند رؤيته أي عند لقائه ومقابلته لأدفع الشر عني بالتحيات علة لقوله: أحيي بل قد يكون هذا سبباً في تغيير العداوة إلى المحبة بسبب تكرر حسن الملاقاة، وقوله: وأظهر البشر الخ أي عملاً بخبر «إنا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم» وقوله: «ولست أسلم» الخ أي ولذا قيل شعراً:

إحذر عدوك مرة ... واحذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق ... فكان أعلم بالمضرة

(قوله: لأنَّ ذلك يدل على القوّة) أي بسبب صدق المعاملة، وقوّة الإخلاص في العبادة. **(قوله: أفضل المقامات اعتقاد الخ)** أي ولهذا قيل: جواهر معاني الزمان أفضل من أنْ تضيعها في الهذيان فيا لله العجب، فيمن عمره ذهب في جمع الذهب، وهو بما جمع فقير ليس له في القيامة نصير، شعر:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله ... مخافة فقر، فالذي فعل الفقر

(قوله: والحال مستمر الخ) أي لتتم ثمرته وتتحقق فائدته.

(قوله: لأنه بذلك شك الخ) أي كالشاك فيه وإلا كان كافراً، والعياذ بالله تعالى

فهو عاص (**وقال الشبلي أدنى علامات الفقر**) أي الافتقار إلى الله (**أنْ لو كانت الدنيا بأسرها لأحد فانفقها في يوم**) واحد (**ثم خطر بباله**) أي بقلبه (**أنْ لو أمسك منها قوت يوم**) كان خيراً له (**ما صدق في فقره**) لأنَّ العبد إذا كان فقيراً إلى الله وحده لم يكن غنياً بغيره.

فمن زعم أنه ليس له حاجة لغير الله، ثم حبس شيئاً لنفسه، وإنْ كان يسيراً بعد أنْ أنفق الأكثر فهو فقير إلى ما حبسه نعم إذا دعاه الشرع إلى حبسه لأمر اقتضاه فلا بأس به.

(**سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق رحمه الله يقول: تكلم الناس في الفقر والغنى أيهما أفضل**) عند الله للعبد حتى يكتسبه ويتخلق به، فالقائل بالأول نظر إلى أنه بذلك يتفرغ قلبه للعبادة من المشغلات وينال لذة المناجاة، والقائل بالثاني نظر إلى أنه يفعل بالمال الخيرات، وينال به المنافع المتعديات (**وعندي**) قول ثالث: وهو (**أنَّ الأفضل**

لوشك بالفعل. (**قوله: أدنى علامات الفقر الخ**) أي ولهذا أشار ابن أبي الوفاء قدس سره حيث قال:

عجنوا مسك الجمال	برحيق اللطف صرفا
وابتنوا للحب منه	كعبة سمراء هيفا
بنيت حجت إليها	أشرف الأرواح زلفى
قد رأينا الحب فيها	يتجلى ليس يخفى
ما أتاها غير عبد	بعهود الحب وفى
محرم اللذات خليعاً	قد تعرى وتخفى
قال لي المحبوب فيها	لا تبح بالسر تجفى
كيف أجفى وحبيبي	يعلم السر وأخفى

فقوله: قدس الله سره: خليعاً قد تعرى وتخفى قد أشار به إلى المعاني المذكورة في تثليث الطهارة المأثورة، وهي التجرّد عن المال دنيا وأخرى، ثم عن النفس، ثم التجرّد عن هذا التجرّد، والله أعلم.

(**قوله: فمن زعم الخ**) أي ويدل له خبر «المكاتب قنّ ما بقي عليه درهم». (**قوله: تكلم الناس الخ**) محصل ذلك يرجع إلى الخلاف في الفقير الصابر والغني الشاكر أيهما أفضل فعند الفقهاء الأول، وعند الصوفية الثاني، والقلب إليه أميل إذ هو الأسلم والأكمل. (**قوله: وعندي قول ثالث**) أقول: وهو الأكمل حيث هو اختيار سيد الكاملين من الأنبياء والمرسلين عليه وعليهم صلاة رب العالمين، هذا وقال بعضهم: الحق أن

أن يعطى الرجل كفايته ثم يصان فيه) أي فيما أعطيه، وهي حالة متوسطة بين الفقر والغنى «وخير الأمور أوسطها» وهي الحالة التي اختارها النبي ﷺ لنفسه وسألها بقوله: «اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً» وروي كفافاً، وهذه حالة سليمة من آفات الغنى المطغي وآفات الفقر المدقع اللذين كانا يتعوذ منهما ﷺ، فالفقير الصابر بهذا المعنى أفضل من الغني الشاكر، وهو المختار تبعاً لابن الصلاح وغيره، واحتجوا بخبر دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. **(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا عبد الله الرازي يقول: سمعت أبا محمد بن ياسين يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: وقد سألته عن الفقير فسكت حتى خلا)** عن الناس **(ثم ذهب)** إلى محله **(ورجع عن قريب ثم قال: كان عندي أربعة دوانيق)** جمع دانق بكسر النون وفتحها وهو سدس درهم **(فاستحييت من الله عز وجل أنْ أتكلم في الفقر)** وأنا غير متصف به ظاهراً **(فذهبت وأخرجته)** أي ما عندي وفي نسخة وأخرجتها أي الدوانيق، **(ثم قعد وتكلم في الفقر بما يليق به، وسمعته أيضاً يقول: سمعت عبد الله بن محمد الدمشقي يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سألت ابن الجلاء متى يستحق الفقير إسم الفقر؟)** أي يسمى فقيراً **(فقال: إذا لم يبق عليه بقية منه، فقلت: كيف ذلك فقال: إذا كان)** الفقر **(له)** بأنْ ادعاه له والتفت إليه **(فليس)** هو **(له)** فلم يكمل فقره لأنَّ دعواه الفقر التفات منه لنفسه **(وإذا لم يكن له)** بأنْ لم يدعه لنفسه **(فهو له)** فقد كمل فقره، وحاصله أنَّ الفقير الكامل هو المستغني بالله عن غيره حتى عن نفسه، فمن كان عنده بقية التفات كأن التفت لنفسه فضلاً عن غيرها في شيء لم يكمل فقره، وهذه هي البقية التي بقيت عليه في فقره، فمن التفت

الغنى بالعرض للبشرية لا يخرجها عن الافتقار الذي هو من صفاتها الذاتية، وأقول: خاصية مغناطيس فقر الذات هي الجاذبة للعطايا والهبات، فمن كان وصف افتقاره أكثر كان نصيبه أجزل وأكبر، تدبر تفهم وربنا بالحال أعلم.

(قوله: وهو المختار الخ) أقول: وقد اختار غيره أنَّ الغنيَّ الشاكر أفضل من الفقير الصابر، وهو وجيه، وعند التحقيق كل منهما لازم للآخر.

(قوله: سمعت ابن الجلاء الخ) تقدمت هذه الحكاية وأُعيدت لمناسبة المقام والله أعلم. **(قوله: فقال: إذا لم يبق الخ)** محصله التبري من شهود الفقر. **(قوله: فقال: إذا كان الفقر له)** أقول: هذا يدل على أنَّ كمال حال الفقير في تبريه من كل شيء فني من أعماله وأحواله فمتى ادعى أنَّه حصل له مقام الفقر فقد بقيت عليه من نفسه بقية، وإذا لم يرَ لنفسه مقاماً ولا حالاً، فقد كمل فقره وانقطاعه إلى الله تعالى، فهو حينئذ الفقير الكامل.

لفقره في مقاماته العالية لم يكمل فقره، ومن رأى فقره فضلاً من ربه وتبرأ من إضافته إلى نفسه فقد كمل مقامه وتمكن فيه.

(وقيل: صحة الفقر أنْ لا يستغني الفقير في فقره بشيء إلا بمن إليه فقره) وهو الله لأنَّ الفقر الصحيح هو الافتقار إلى من يملك قضاء الحوائج، ولا يملكها حقيقة إلا الله، فالفقير إلى الله هو الغني بالله بأنْ يستغني به عن غيره، وهذا القول قريب من الذي قبله، **(وقال عبد الله بن المبارك: إظهار الغنى في الفقر أحسن من الفقر)** لأنَّ الفقر درجة رفيعة فسترها بإظهار الغنى أحسن منها كما قال تعالى: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣] الآية. **(سمعت محمد بن عبد الله الصوفي)** بن باكويه **(يقول: سمعت هلال بن محمد يقول: سمعت النقاش يقول: سمعت بنان)** الأولى بناناً **(المصري يقول: كنت بمكة قاعداً وشاب بين يدي فجاءه إنسان وحمل إليه كيساً فيه دراهم ووضعه بين يديه)** ليأخذه **(فقال)** له: **(لا حاجة لي فيه فقال: فرقه على المساكين)** فأخذه وفرقه عليهم **(فلما كان العشاء رأيته في الوادي يطلب شيئاً لنفسه فقلت: لو تركت لنفسك شيئاً مما كان معك)** كان خيراً لك **(فقال له: لم أعلم أني أعيش إلى هذا الوقت)** في ذلك دلالة على فقره وزهده وقصر أمله. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت علي بن بندار الصيرفي يقول: سمعت محفوظاً يقول: سمعت أبا حفص يقول: أحسن ما يتوسل)** وفي نسخة يتوصل **(به العبد إلى مولاه دوام الفقر إليه على جميع الأحوال وملازمة**

(قوله: وقيل: صحة الفقر الخ) أي فذلك هو السر المعمي الذي أسره سيد الخلق ﷺ للأنصار حين عتب عليه بعضهم حيث قال: سبحان الله رسول الله ﷺ يعطي قريشاً وسيوفنا تقطر من دمائها فجمعهم في قبة من أدم وقال في حديث طويل: «أما ترضون أنْ يرجعوا إلى رحالهم بالدرهم والدنيا، وترجعون أنتم برسول الله ﷺ» فكأنَّه قال: لا أرضى لكم في جهادكم وبذل أنفسكم وأموالكم بين يدي أنْ تثابوا بغيري فحسبكم من الفضة والعين رجوعكم بالرأس والعين فافهم فهمني الله وإياك، ونفعنا بذلك وسائر الأحبة، «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله»، الحديث.

(قوله: إلا بمن إليه فقره) أي ليندرج في آية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فاطر: ١٥]. **(قوله: في ذلك دلالة على فقره)** أي من صفة الفقر مجردة عن إظهار الغنى إذ هي به مظنة للزيادة. **(قوله: في ذلك دلالة على فقره)** أي حاجته وزهده أي إعراضه عن الدنيا، وقصر أمله أي وهو جماع الخير له.

(قوله: على جميع الأحوال) أي وجوداً وعدماً في كامل الأوقات، وقوله: وملازمة السنة أي وهي ما كان عليه ﷺ من الأخلاق، وهي جماع الخيرات.

السنة في جميع الأفعال وطلب القوت من وجه حلال) المشار إليه بخبر: «قد أفلح من أسلم وكان قوته حلالاً وقنعه الله»[1]، **(وسمعته أيضاً يقول: سمعت الحسين بن أحمد يقول: سمعت المرتعش يقول: ينبغي للفقير أنْ لا تسبق همته خطوته)** أي حالته التي هو فيها بأنْ لا يعلق قلبه من الدنيا بغير ما هو محتاج إليه في الوقت، **(وسمعته أيضاً يقول: سمعت أبا الفرج الورثاني يقول: سمعت فاطمة أخت أبي عليّ الروذباريّ تقول: سمعت أبا عليّ الروذباريّ يقول: كان أربعة في زمانهم)** متفاوتي الدرجة بالنظر إلى الأخذ من الغير وعدمه بغير سؤال **(واحد)** منهم **(كان لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان)** طلباً لكمال سلامته من غرر الأخذ في الدين والدنيا **(وهو يوسف بن أسباط ورث سبعين ألف درهم، ولم يأخذ منها شيئاً)** تورعاً **(وكان يعمل الخوص بيده)** ليأكل من كسبه، **(وآخر)** وهو الثاني **(كان يقبل من الإخوان والسلطان جميعاً)** عملاً بقول النبي ﷺ لعمر رضي الله عنه: «ما أتاك من غير مسألة فخذه»[2] **(وهو أبو اسحق الفزاريّ فكان ما يأخذه من الإخوان ينفقه في المستورين)** المنقطعين للعبادة **(الذين لا يتحرّكون)** للاكتساب عوناً لهم على ما هم بصدده من الاشتغال بالعبادة **(والذي يأخذه من السلطان كان يخرجه إلى مستحقيه من أهل طرسوس)** بفتح الراء ليوصلهم حقوقهم من بيت المال بلا كلفة فيدخل عليه بذلك المسرة، فهو لم يأخذ شيئاً من ذلك في الحقيقة لنفسه.

(والثالث كان يأخذ من الإخوان) لكونه يعلم حل أموالهم **(ولا يأخذ من**

(قوله: أن لا تسبق همته خطوته) أي لأنَّ اس الفقر قصر الأمل، فلا يعدو نظره وقته، فيكون احتياجه إلى الدنيا يسيراً وإتقانه لأعماله وخوف فوات أوقاته عظيماً، فلا يمسك شيئاً في يده لمستقبل وقته، ويرى أنَّ اشتغاله بغير وظيفة الوقت من جملة مقته حذراً من فوات ما نواه بهجوم ما يخشاه، وذلك هو المراد بقولهم: الصوفي ابن وقته لا التفات له إلى ماضٍ ولا مستقبل.

(قوله: من غرر الأخذ في الدين) أي بالاشتغال به عما هو بصدده، وقوله: والدنيا أي بالطغيان الغالب في حق المتوسعين فيها. **(قوله: فكان ما يأخذه الخ)** هو عندي أكمل حالاً من الذي ذكر قبله لأنَّ خلق هذا محمدي. **(قوله: كان يخرجه إلى مستحقيه)** لك أنْ تقول: من أين له علمهم؟ إلا أنْ يقال: يكفي في ذلك اجتهاده.

(قوله: والثالث الخ) أقول: ومثل هذا أكمل ممن قبله لعمله بالسنة، ولعله كان

---

(١) أخرجه مسلم (زكاة ١٢٥) والترمذي (زهد ٣٥) وابن ماجه (زهد ٩) وأحمد بن حنبل (٢، ١٦٨، ١٧٣).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في (التمهيد ٢/١٧).

السلطان) لأنَّ أموال السلاطين لا تخلوا غالباً عن الحرام **(وهو عبد الله بن المبارك كان يأخذ من الإخوان)** عملاً بالخبر السابق **(ويكافيء عليه)** امتثالاً لأمره ﷺ في قوله: «من أسدى إليكم معروفاً فكافؤوه فإنْ لم تقدروا فادعوا له»، **(والرابع كان يأخذ من السلطان، ولا يأخذ من الإخوان وهو مخلد بن الحسين كان يقول: السلطان لا يمن)** لأنَّه لا حق له في المال، والذي آخذه منه حقي الذي جعله الله لي في بيت المال **(والإخوان يمنون)** فلا يقبل منهم شيئاً، وكل من الأربعة قصده جميل وإنْ تفاوتوا **(سمعت الأُستاذ أبا عليّ الدقاق رحمه الله يقول: جاء في الخبر «من تواضع لغني لأَجل غناه ذهب ثلثا دينه»)** أراد به دينه الكامل، أو العلم بحقارة الدنيا **(وإنما كان ذلك)** كذلك **(لأنَّ المرء)** إنما هو **(بقلبه ولسانه ونفسه)** أي سائر جوارحه **(فإذا تواضع لغني بنفسه ولسانه ذهب ثلثا دينه فلو اعتقد فضله)** أي تواضع له **(بقلبه كما تواضع له بلسانه ونفسه ذهب دينه كله)** لأنَّ الدنيا عند الله حقيرة، فعلى العبد حقارتها، فلا ينبغي له أنْ يتذلل بشيء من ذلك في طلبها، **(وقيل: أقل ما يلزم الفقير**

يأخذ من الإخوان الذين يعلم خلوص أموالهم من الشبهة.

(قوله: والرابع الخ) هو دون من قبله حالاً.

فائدة:

الفقر فقران: اختياريّ واضطراريّ فمن اختار الفقر وتخلق به استغنى عن غير مولاه، وامتنع في حقه الإشراف والتطلع إلى ما بأيدي الخلق، فإنَّه متمكن من كسب الحلال الصافي بنفسه عند دعاء حاجته ووقت ضرورته، بخلاف من فقره اضطراري، فله الأَخذ مما علم حله مما بيد غيره عند دعاء حاجته ووقت ضرورته وفاقته، لعدم تمكنه من الكسب المذكور بنفسه، ولكن لا يأخذ إلا ما يحتاجه في وقت الحاجة أو الضرورة فقط، ويرد الزائد صيانة وحفظاً لحرمة فقره ودفعاً لخواطر السوء به والله أعلم.

(قوله: من تواضع لغني الخ) أي وذلك لأنَّ اتصاف الحق سبحانه بالغنى المطلق هو الذي أوجب لنا الفقر المحقق، وبهذا الإتصاف حصلت الألطاف لأنَّ من رحمة الغني أنْ يجود على الفقير، ويجبر المسكين الكسير، شعر:

على بابك الأعلى مددت يد الرجا ... ومن جاء هذا الباب لا يختشي الردى

فما أتى باب الغني الكريم فقير فخاب، ولا قصد حماه فغلقت دونه الأَبواب، وقوله: لغناه يحتمل أنَّ المراد ليصله من غناه شيء، ويحتمل أنَّه لمجرد تعظيمه بملاحظة غناه والله أعلم. **(قوله: فعلى العبد حقارتها)** أي اعتقاد ذلك، والعمل على مقتضى ذلك الاعتقاد. **(قوله: وقيل: أقل ما يلزم الفقير الخ)** أي لأنَّ الشرف في كل مقام بالغنى عنه،

في فقره) من حيث أنّه مسافر إلى ربه عامل في الوصول إلى قربه (**أربعة أشياء: علم يسوسه**) لئلا يزل عن الطريق (**وورع يحجزه**) عن أنْ يقع فيما يكرهه مولاه (**ويقين يحمله**) على العبادة حتى لا يصده عن سفره شيء يخشاه (**وذكر يؤنسه**) لأنّه الذي يوصله إلى مطلوبه من الله، (**وقيل: من أراد الفقر لشرف الفقر مات فقيراً**) لوقوفه مع الفقر، فهو مفتقر لغير الله، وكمال الفقر أنْ لا يفتقر العبد لغير الله، (**ومن أراد الفقر لئلا يشتغل عن الله مات غنياً**) لاستغنائه بالله عن غيره. (**وقال المزين: كانت الطرق الموصلة إلى الله أكثر من نجوم السماء فما بقي منها طريق إلا طريق الفقر وهو أصح الطرق**) لسلامته من الآفات التي تدخل بقية الطرق لكونه تبرياً من الاقتدار على الأعمال. (**سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت الحسين بن يوسف القزوينيّ يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت الحسن بن عليّ يقول: سمعت الثوريّ يقول: نعت الفقير السكون عند العدم والإيثار عند الوجود**) لأنّه يعلم أنَّ الله أرحم الراحمين به وبغيره، فإن منعه الرزق في وقت علم أنَّ ذلك رحمة به فحاله الرضا بذلك، والشكر عليه، وإنْ أولاه من نعمه شيئاً آثر به غيره لعلمه بأنَّ ذلك يحبه الله فلا يزال متردّداً بين الرضا والإيثار محبة للواحد القهار، (**وسمعته**) أيضاً (**يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سئل الشبلي عن حقيقة الفقر فقال:**) هي (**أنْ لا يستغني العبد بشيء دون الله تعالى**) لما مرّ، ولا يكون ذلك إلا لمن كملت معرفته بالله، وأعرض بقلبه عمن سواه، (**وسمعته يقول: سمعت منصور بن خلف المغربيّ رحمه الله يقول: قال لي أبو سهل الخشاب الكبير: الفقر فقر وذل**) أي لله (**فقلت له: لا بل فقر وعز**) أي بالله (**فقال: فقر وثرى**) أي تواضع ونزول إلى الأرض (**فقلت: لا بل فقر وعرش**) أي وارتفاع إلى العرش بالله، وبكرامته، وكلاهما على حق لكن الثاني أكمل همة من الأول. (**سمعت الأستاذ أبا عليّ الدقاق**) رحمه

وعدم النظر إليه والوقوف معه، والمراد فقر القلب. (**قوله: فما بقي منا طريق الخ**) فيه مبالغة لغرض الحث على نعت الفقر وإلا فالطرق لم تزل كثيرة. (**قوله: لكونه تبرياً**) أي يقتضيه بسبب الغنى فيه عن النفس وما لها من الأخلاق.

(**قوله: نعت الفقير السكون عند العدم**) أي طمأنينة القلب بقوّة الرضا بما يجريه الحق في تصاريف أحكامه، وقوله: والإيثار عند الوجود أي ليندرج في جملة من أثنى عليهم الحق تعالى بهذا الخلق، واعلم أنَّ أعلى من ذلك الشكر عند العدم، والإيثار عند الوجود.

(**قوله: لكن الثاني أكمل همة الخ**) أي وذلك لأنَّ نظره إلى الثمرات بخلاف الأول فإنه نظر إلى الوسائل، وهو من أخلاق المريدين، والثاني من أخلاق العارفين من المحققين.

الله (**يقول: سئلت عن معنى قوله ﷺ**: «كاد) أي قارب (**الفقر أن يكون كفراً» قال: فقلت: آفة الشيء وضده على حسب فضيلته وقدره**) أي تعرف فضيلة الشيء وعلو درجته بنزول قدر ضده (**فكل ما كان**) الشيء (**في نفسه أفضل فضده وآفته أنقص كالإيمان لما كان أشرف الخصال كان ضده الكفر**) الذي هو وآفته انقص الخصال، (**فلما كان الخطر على الفقر الكفر بالله أي التغطية**) للحق (**دل على أنه**) أي الفقر إلى الله (**أشرف الأوصاف**) هذا تقرير كلامه، ولا يخفى ما فيه، والحاصل له على ذلك كون الكلام في شرف الفقر، وإلا فظاهر أنَّ الفقر في الخبر هو الفقر إلى غير الله لا إلى الله وذكر هنا ليحترز عنه، فالمعنى أنَّ الفقر إلى غير الله كاد أن يكون كفراً لافتقار صاحبه إلى من لا يملك شيئاً فإنَّ المالك لكل الأشياء حقيقة هو الله، ومن هذا الفقر استعاذ النبي ﷺ، فالفقر كما مرت الإشارة إليه فقران محمود ومذموم، فالمحمود هو الفقر إلى الله تعالى، وهو الفقر الذي اختاره وسأله النبي ﷺ، وسبق بأهله إلى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، والمذموم هو الفقر إلى غير الله، وهو ما استعاذ منه ﷺ.

(**سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يقول: سمعت أبا نصر الهرويّ يقول: سمعت المرتعش يقول: سمعت الجنيد يقول: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق، ولا تلقه بالعلم**) بحاله (**فإنَّ الرفق يؤنسه، والعلم يوحشه، فقلت له: يا أبا القاسم وهل يكون فقير يوحشه العلم؟ فقال لي: نعم الفقير إذا كان صادقاً في فقره فطرحت عليه علمك**) وفي نسخة علماً وفي أخرى علمه (**ذاب كما يذوب الرصاص**) بفتح الراء (**على النار**) لأنَّ الفقراء الغالب عليهم الأحوال التي تثمرها العلوم

(**قوله: كاد الفقر**) أي باعتبار آفته، وهو جعله لغير الله، ومعنى قوله: «كاد الفقر أن يكون كفراً» أي قرب من كونه يكون ساتراً للحق. (**قوله: آفة الشيء وضده**) مراده بالشيء الفقر إلى الله، وبضده الفقر لغير الله، وقوله: على حسب فضيلته أي فضيلة ذلك الشيء وقدره، والآفة جعل ذلك الفقر لغيره تعالى إلا أنَّ في التعبير نوع خفاء وقلاقة. (**قوله: ولا يخفى ما فيه**) محصله كما يعلم من باقي كلامه أنَّ المراد بالفقر في الحديث إنما هو الفقر لغير الله لا الفقر إلى الله الذي الكلام فيه، والمؤلف جعل المقصود في الحديث مدح الفقر إلى الله بذم ضده الذي هو الفقر إلى غير الله، فقد ارتكب خلاف الظاهر من الخبر، والذي دعاه إلى ذلك كون الكلام في شرف الفقر إلى الله والخطب سهل.

(**قوله: لافتقار صاحبه الخ**) أي بإظهار حاجته لمن لا يملك شيئاً. (**قوله: فالقه بالرفق**) أي بالتسليم حتى تستكشف حكمه الحكيم، وقوله: ولا تلقه بالعلم أي بأن تعارضه بالمنقول في علم الشريعة.

(**قوله: الغالب عليهم الأحوال**) أي وهي قد لا تقبلها العقول ولا يحتملها ظاهر

والأعمال، فربما دل ظاهر الفقير على ما يستنكر، فإنْ رفقت به أظهر لك ما هو فيه، وأبداه، وزال عنك وعنه ما تخشاه، وإنْ اعترضت عليه بالعلم لم يحمله قلبه لغلبة حاله على وقته، وربما زاد تغيره وقل الانتفاع به.

وهذا من شؤم الاعتراض عليه، ولذلك طلب ترك ممازحته لأنَّ الغالب عليه الصدق، فيحمل كل ما يقال له على الجد كما مرّ. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت أبا عبد الله الرازيّ: يقول: سمعت مظفر القرمسينيّ يقول: الفقير هو الذي لا يكون له إلى الله تعالى حاجة، قال: الأُستاذ الإمام القشيريّ رحمه الله: وهذا اللفظ)** الذي يعبر عنه وعن مثله بالشطح الذي يقع من الفقير في وقت غلبة الأَحوال والحفظ أكمل منه **(فيه أدنى غموض لمن سمعه)** لأنَّ حقيقة الفقر الاحتياج إلى الله لا إلى غيره مع أنَّ الغموض فيه على من سمعه إنما يكون **(على وجه الغفلة عن مرمى القوم)** ومن تأمله عَلِمَ أنَّه لا غموض فيه **(وإنما أشار قائله إلى سقوط المطالبات وانتفاء الاختيار والرضا بما يجريه الحق سبحانه)** لأنَّ الفقير الصادق هو من علم أنَّ احتياجه في جميع تعلقاته إنما هو إلى الحق تعالى، فإذا تحقق علمه بذلك وافتقر إليه ثم رأى توالي نِعمه عليه في جميع ما هو فيه بغير سؤال منعه ذلك من احتياجه إليه أي سؤاله

المنقول. **(قوله: لغلبة حاله على وقته)** أي على وظيفة الوقت في العبادة وطاعة الرب سبحانه وتعالى.

(قوله: وهذا من شؤم الاعتراض عليه) أي العجلة بالعلم من شؤم الاعتراض.

(قوله: الفقير هو الذي يكون له إلى الله تعالى حاجة) أي حاجة يتوقف قضاؤها على سؤاله وهذا كما ترى لا ينافي سؤاله امتثالاً وعبودية هذا هو المتعين في فهم مثل هذا مما ظاهره يخالف النص.

(قوله: فيه أدنى غموض) أي بإيهام من لا معرفة له الاستغناء عن الطلب والحاجة مع أنه ليس كذلك بل المراد إفادة الرضا بكل ما يجريه الحق من أحكامه لايم النفس أم لا، وحينئذ يسقط الطلب والاختيار، ولا تكون له حاجة يتوقف قضاؤها على سؤاله أو يسقط عنه الطلب الخالي عن شاهد العلم بل يطلب عبودية لا غير.

(قوله: فيه أدنى غموض الخ) أقول: لا غموض فيه على ما أسلفناه قبله فتدبر.

(قوله: إلى سقوط المطالبات) أي التي تخلو عن شاهد العلم وإلا فلا مانع منها بل هي الأكمل إذ هي من الأخلاق المحمدية. **(قوله: منعه ذلك الخ)** أقول: فيه أنَّ الكامل قابل للأَكمل، وفضائله تعالى لا تتناهى ولا منع من السؤال شرعاً بل الطلب مندوب إليه، وتوالي نعم الله على العبد موجب للشكر، ومن جملة ذلك الطلب عبودية.

له، فقوله: لا يكون له إلى الله حاجة أي سؤال لا افتقار، فهو مفتقر إليه لكنه لا يسأله لما يراه من توالي نعمه عليه، وكفايته له. (**وقال ابن خفيف: الفقر عدم الأملاك**) أي عدم إضافة العبد لها إلى نفسه، وإنما جرت عليه فضلاً من ربه (**والخروج من أحكام الصفات**) بأنْ يترك دعواه لما هو فيه من أحواله ومقاماته الشريفة، ويضيفها إلى المتفضل عليه، فالفقير لا يدعي لنفسه مُلكاً عيناً ولا عرضاً، ولا عملاً، ولا حالاً ولا مقاماً إذ كلها ملك لربه، وهو محل لجريانها عليه.

(**وقال أبو حفص: لا يصح لأحد الفقر حتى يكون العطاء**) أي إعطاؤه لغيره (**أحب إليه من الأخذ**) لأنَّ من كمل فقره كان فرحه بما يبذله أكثر من فرحه بما يأخذه لما فيه من الكرم والإيثار والإتصاف بأخلاق المقربين الأبرار، وبالأخذ محتاج إلى شروط في نفسه وفيمن يعطيه، وربما أعطاه غيره لوصف فظنه فيه وهو عارٍ عنه ففيه انخداع واغترار، فخوفه عند الأخذ وفرحه عند البذل أولى به (**وليس السخاء أنْ يُعطي الواجد**) للشيء (**المعدم**) له (**إنما السخاء أنْ يعطي المعدم**) للشيء (**الواجد**) له بأنْ لا يقبله منه إذا أتاه به كما مر بيانه في باب الجود والسخاء. (**سمعت محمد بن الحسين**) رحمه الله (**يقول: سمعت عبد الواحد بن بكر يقول: سمعت الدقي يقول: سمعت ابن الجلاء يقول: لولا شرف التواضع**) والتذلل والعبودية (**لله لكان حكم الفقير**) أي لكان اللائق به وبعزة نفسه واستغنائه عن غير الله (**إذا مشى أنْ يتبختر**) في مشيته تعززاً بمولاه، وغيظاً واستهزاء لعدوّه الشيطان المرصد لعداوته في دنياه.

(**وقال يوسف بن أسباط: منذ أربعين سنة ما ملكت قميصين**) فيه دلالة على تقلله من الدنيا، وبعده عن زهرتها، ومع ذلك فقد حض الشرع على التجمل لا سيما

(**قوله: الفقر عدم الإملاك الخ**) هو ظاهر لا غبار عليه، فلله دره، وإنما يعتبر معه الغناء عن شهود هذا الخلق حتى يلتحق بمقام العارفين. (**قوله: أحبَّ إليه من الأخذ**) أي فيكون بهذا النعت متخلقاً بالأخلاق المحمدية التي هي أكمل الأخلاق البشرية.

(**قوله: لما فيه من الكرم**) أي المتعدي منافعه. (**قوله: والأخذ محتاج إلى شروط**) أي ومنها الحاجة إلى المأخوذ وأنْ لا يأخذ زيادة عما يحتاج إليه في يومه وليلته، ولذلك قد تقرر في مذهب إمامنا الشافعيّ رضي الله تعالى عنه حرمة السؤال من غير المحتاج لغيره من الخلق، وحرمة القبول إذا كان غير محتاج بوجود كفاية يوم وليلة. (**قوله: وربما أعطاه غيره الخ**) أي وقد صح في الخبر «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك». (**قوله: وليس السخاء الخ**) محصله أنَّ التعفف وعدم القبول من الغير أشرف من قبول الشيء من الواجد له.

(**قوله: أن يتبختر الخ**) أي لكن مع ذلك التشبه بحال المتكبرين المعجبين بأنفسهم.

في الأعياد والجمع ومجامع المسلمين، وقد يخالف ذلك ليقتدي بمخالفته غيره. حُكي أن عمر رضي الله عنه خطب وعليه مرقعة فيها إحدى عشرة رقعة بعضها من أدم.

(**وقال بعضهم: رأيت**) في منامي (**كأن القيامة قد قامت وقيل**) للملائكة: (**أدخلوا مالك بن دينار ومحمد بن واسع الجنة فنظرت أيهما يتقدم فتقدم محمد بن واسع فسألت عن سبب تقدمه فقيل لي: إنَّه كان له قميص واحد ولمالك قميصان**) وكان ابن واسع ورعاً، ولا يقبل من أحد شيئاً لكمال ورعه وحذره على نفسه، والمنامات تكون للبشرى والإنذار كما مرّ. (**وقال محمد المسوحي: الفقير**) هو (**الذي لا يرى لنفسه حاجة إلى شيء من الأسباب**) المعتادة وغيرها، إذ الفقير الصادق هو المستغني بالله حتى عن نفسه وأعماله وأحواله، (**وسُئل سهل بن عبد الله متى يستريح الفقير؟ فقال: إذا لم يرَ لنفسه غير الوقت الذي هو فيه**) فلا يرى إلى ماضٍ ولا مستقبل إذ في ذلك تثبت وطول أمَل، فمتى خلا عن ذلك كمل حاله وسلم وقته من خواطر الالتفات إلى ماضي حاله ومستقبله، ولهذا كان الفقير ابن وقته لا التفات له إلى شيء من ذلك، (**وتذاكروا**) أي الفقراء (**عند يحيى بن معاذ الفقر والغنى فقال: لا يوزن غداً**) أي يوم القيامة (**لا الفقر ولا الغنى، وإنما يوزن الصبر**) على البلايا (**والشكر**) على النعم (**فيقال، تصبر**) على البلايا (**وتشكر**) على النعم ليوزن صبرك وشكرك، في ذلك إشارة إلى أنَّ ثواب الفقر إنما هو في الحقيقة على الصبر عليه، ومعلوم أنَّ الصبر إنما يكون على المؤلم والشكر على الموافق، وقد يرى العبد المؤلم له نعمة باعتبار ما يترتب عليه، فيشكر عليه، وقد يغفل العبد عن توالي النعم عليه فيغفل عن الشكر فيعجب بما هو فيه، فيكون ذلك سبباً للهلاك والبلاء نعوذ بالله من ذلك. (**وقيل: أوحى الله تعالى إلى بعض الأنبياء عليهم السلام إنْ أردت أنْ**

(**قوله: ليقتدي بمخالفته غيره**) أنظره فإنَّه خفي الوجه ولا سيما مع حث الشرع على التجمل.
(**قوله: والمنامات الخ**) أي والرؤيا المتقدمة تحتمل الوجهين بحسب حال الرائي.

(**قوله: لا يرى لنفسه حاجة الخ**) لعل المراد منه عدم شهود التأثير لغيره تعالى بل لله تعالى وحده. (**قوله: إذ في ذلك الخ**) أقول: فيه قصور، والأَولى أنْ يقال: لأنَّ الاشتغال بهما يضيع معه الوقت الحاضر فتدبره.

(**قوله: وإنما يوزن الصبر الخ**) المراد به الصدق في الأعمال، والدوام على الجد فيها، والصبر عند المحن، والشكر عند النعم. (**قوله: باعتبار ما يترتب عليه**) أي أو باعتبار صدوره عنه تعالى بحكمته العلية، فهو حينئذٍ محبوب. (**قوله: إنْ أردت الخ**) تقدم

تعرف رضاي عنك فانظر كيف رضا الفقراء عنك) فإنْ رأيتهم راضين عنك فأنا راضٍ عنك لأني راضٍ عنهم، **(وقال أبو أبكر الزقاق: من لم يصحبه التقى في فقره أكل الحرام المحض)** كما لا يخفى، وقول بعضهم: لو كانت الدنيا دماً غبيطاً لكان قوت المؤمن منها حلالاً يحمل، والعياذ بالله على ما إذا أطبق الحرام الأرض، ولم يجد للحلال سبيلاً.

(وقيل: كان الفقراء في مجلس سفيان الثوريّ كأنهم الأمراء) لا للتكبر بل لما هم فيه من الزهد، وحقارة الدنيا في قلوبهم مع كون سفيان من العلماء العارفين بالله المنزلين للناس منازلهم، وفي ذلك دلالة على إكرامه للفقراء. **(سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلميّ رحمه الله يقول: سمعت محمد بن أحمد الفراء يقول: سمعت أبا بكر بن طاهر يقول: من حكم الفقير أنْ لا يكون له رغبة في الدنيا)** لأنَّ من كان فقره اختياراً، وزهداً لا قهراً أو عجزاً لا يرغب فيها لأنه تركها مع تمكنه من تحصيلها بأسبابها **(فإنْ كان)** له فيها رغبة **(ولا بدّ فلا تجاوز رغبته كفايته)** كبيت يكنه، وثوب يستره، وقوت يكفيه لأنَّ ما عداها فضول، والزهد هو الإعراض عن الفضول. **(وأنشدنا الشيخ أبو عبد الرحمن السلميّ رحمه الله قال: أنشدني عبد الله بن إبراهيم بن العلا قال: أنشدني أحمد بن عطاء لبعضهم قال: قالوا غداً لعبد ماذا أنت لابسه. فقلت خلعة ساق حبه جرعا. فقر وصبر هما وثوباي تحتهما. قلب يرى ألفه**

مثله. **(قوله: لكان قوت المؤمن منها حلالاً)** أي لأنَّ الضرورات تبيح المحظورات. **(قوله: فلا تجاوز رغبته كفايته)** أي بحسب الإمكان في التقلل. **(قوله: قالوا: غداً العيد الخ)** يحتمل أنَّه قيل ذلك حقيقة، ويحتمل أنَّه على لسان حال المنهمكين والمتهافتين على الدنيا الذين لا يلتفتون إلا إلى حظوظهم من نحو ملبس ومطعم ومشرب، ولا سيما في مثل وقت العيد مما يتزينون فيه، وقوله: فقلت الخ يجري فيه الاحتمال لأنَّ المذكور أنَّ في قولهم له وقوله خلعة ساق حبه جرعاً أي كسوة محبوب لي سقاني محبته جرعاً، وقوله: فقر وصبر بيان لتلك الخلعة، وقوله: هما ثوبان أي نعتان لي ظاهران من خلقي شبيهان بالثوبين في مطلق الستر والشمول، وقوله: تحتهما قلب أي اشتملا على قلب من شأنه أنَّه يرى من ألفه نفس العيد والجمع، فهو إذا شاهده وراقبه كان ذلك وقت أعياده وجمعه، وقوله: أحرى الملابس أي أحقها في التزين بها وقت ملاقاة الحبيب للزيارة الخلعية التي تفضل بها المحبوب على المحب والنعت الذي نعت به، وقوله: الدهر لي أتم مراده أنَّ غيبة من يحبه عنه بغفلته عن مراقبته تصيره آتماً في كامل أوقاته ودوام حضوره في قلبه يجعل ذلك الزمان عيداً له، وهكذا حال المحبين رضي الله تعالى عنهم

الأَعياد والجمعا. أحرى الملابس أن تلقى الحبيب به. يوم التزاور في الثوب الذي خلعا. الدهر لي مأتم إنْ غبت يا أملي. والعيد ما كنت لي مرآى ومستمعاً. وقيل: إنَّ هذه الأبيات لأبي عليّ الروذباريّ **وقال أبو بكر المصري: وقد سئل عن الفقير الصادق فقال: الذي لا يملك)** شيئاً ولا يدعي شيئاً من الأحوال والمقامات **(ولا يميل)** لشيء من المشتهيات فلا يصير رقيقاً لشيء من المخلوقات، **(وقال ذو النون المصري: دوام الفقر إلى الله تعالى مع التخليط أحب إلي من دوام الصفاء مع العجب)** لأنَّ المخلط لكونه فقيراً إلى الله يتعرض للتوبة بخلاف من به العجب المحرم، وشتان بين فقير متعرض للتوبة، وعاصٍ مقيم على معصيته بعيد من التوبة.

(سمعت أبا عبد الله الشيرازيّ رحمه الله يقول: سمعت عبد الواحد بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر الجوال يقول: سمعت أبا عبد الله الحصريّ يقول: مكث أبو جعفر الحداد عشرين سنة يعمل كل يوم بدينار، وينفقه على الفقراء، ويصوم ويخرج بين العشائين فيتصدق عليه من الأبواب) كانت نيته في كسبه سد خلة الفقراء أو كان قصير الأَمل لا يغلب على ظنه حياته إلى آخر النهار حتى يؤخر بعض كسبه، فإذا عاش وجاع ولم يفتح عليه بشيء سأل الناس.

(سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت أبا عليّ الحسين بن يوسف القزويني يقول: سمعت إبراهيم بن المولد يقول: سمعت الحسن بن علي يقول: سمعت النوريّ يقول: نعت الفقير السكون عند العدم والبذل والإيثار عند

أجمعين. **(قوله: فلا يصير رقيقاً الخ)** أي لأنَّ من تعلق قلبه بشيء كان عبداً له.

(قوله: بخلاف من به العجب الخ) أي وذلك لأنَّ صاحبه كأنَّه ينازع الحق تعالى فيما اختص به من صفة الكبرياء والعظمة، وذلك خطر عظيم.

(قوله: ويخرج بين العشاءين) أي بين المغرب والعشاء فهو من باب التغليب، وقوله: فيتصدق عليه من الأبواب أي بواسطة تعرضه للسؤال في هذا الوقت لحاجة. **(قوله: أو كان قصير الأَمل)** أي مع محبته لسد خلة الفقراء وبذلك يندفع ما يقال: إنَّ حاجته مقدمة شرعاً على حاجة غيره بشهادة خبر «ابدأ بنفسك ثم بمن تعول»[1]. **(قوله: نعت الفقير السكون الخ)** أي لأَجل قوة صبره لا يضطرب، ولا يتحرك ثقة بالوعد الحق.

---

(١) أخرجه البخاري (زكاة ١٨) (نفقات ٢) والترمذي (زكاة ٣٨) (زهد ٣٢) والنسائي (زكاة ٥١، ٥٣، ٦٠) والدارمي (زكاة ٢١، ٢٢) وأحمد بن حنبل (٢، ٤، ١٥٢، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٧٨، ٢٨٨، ٣١٩، ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٩٤، ٤٠٢، ٤٣٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٨٠، ٥٠١، ٥٢٤، ٥٢٧، ٣، ٣٣٠، ٣٤٦، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٤، ٥، ٢٦٢).

الوجود) لأنَّ الموجب لسكونه عند العدم ثقته بضمان الله لرزقه والموجب لإيثاره عند الوجود تحصيل رضا الله. **(وسمعته)** أيضاً **(يقول: سمعت منصور بن عبد الله يقول: سمعت محمد بن عليّ الكتاني يقول: كان عندنا بمكة فتى عليه أطمار)** أي أثواب **(رثة)** أي بالية وغلب على ظني أنَّه فقير من الدنيا **(وكان لا يداخلنا)** في أمورنا **(ولا يجالسنا)** في مجالسنا **(فوقعت)** وفي نسخة فوقع **(محبته في قلبي ففتح لي بمائتي)** وفي نسخة بماية **(درهم من وجه حلال فحملتها إليه ووضعتها على طرف سجادته)** كما هو حسن الأدب مع الفقراء أنْ لا يكلفوا أن يتناولوا ما يؤثرون به بأيديهم بل يوضع عندهم فإنْ أحبوه أخذوه وإلا تركوه **(وقلت له: إنَّه فتح لي ذلك من وجه حلال)** فأتيت به لك **(تصرفه في بعض أُمورك)** وتستعين به على ما أنت بصدده فأخذته عزة الفقر وعمارة الوقت **(فنظر شزرا)** أي نظر الغضبان بمؤخر عينه **(ثم كشف عما هو مستور عني)** بقوله: **(قال: اشتريت هذه الجلسة مع الله سبحانه على الفراغ)** من المشغلات لي عنه **(بسبعين ألف دينار غير الضياع والمستغلات)** منها **(تريد أنْ تخدعني عنها)** وتفسدها عليّ **(بهذه)** الدريهمات **(وقام وبدّدها)** أي فرقها بأنّ انتثرت لما أخذ بطرف سجادته وقام **(وقعدت التقطها فما رأيت كعزه)** ورفعة حاله **(حين مرّ)** وأعرض عنها **(ولا كذلي حين كنت التقطها، وقال أبو عبد الله بن خفيف: ما وجبت علي زكاة الفطر منذ أربعين سنة ولي قبول عظيم بين الخاص والعام.**

(قوله: والإيثار عند الوجود) أي بداعي قوّته في مقام الصبر، وتحمل المشاق وحينئذ فلا يقال: إنَّ اللازم تقديم نفسه في مثل هذه الحالة.

(قوله: يقول: كان عندنا بمكة فتى الخ) في ذلك دلالة على قوة محبة الكتاني لفعل الخير، وعلى غاية نزاهة نفس الفتى بفنائه عن كل حظوظه بسبب تمام صدقه، وتمكنه فيه، رضي الله تعالى عن الجميع وعنا بهم. **(قوله: وغلب على ظني أنَّه فقير الخ)** أي وأنَّه يقبل المواساة. **(قوله: فأخذته عزة الفقر)** أي الفقر إلى الله تعالى التي توجب الإستعناء عما سواه، وقوله: وعمارة الوقت أي اعتبار ما هو حاله فيه كما هو شأن الصوفيّ من كونه ابن وقته لا نظر له إلى ماضٍ ولا إلى مستقبل. **(قوله: بسبعين ألف دينار الخ)** أي فخرج عن ذلك كله رغبة في الانقطاع إليه تعالى، ولا يخفى ما في قوله بهذه الدريهمات من التصغير الموافق لمقصوده.

(قوله: فما رأيت كعزه الخ) أي وغير بعيد ذلك حيث العز به تعالى لا يضاهيه شيء ولا يماثله، وقوله: ولا كذلي المراد به انكسار نفسه بسبب رده.

(قوله: ما وجبت علي زكاة الفطر) أقول: هو قريب مما قبله في الدلالة على طهارة

سمعت الشيخ أبا عبد الله بن باكويه الصوفيّ رحمه الله يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول ذلك) فيه دلالة على تقلله من الدنيا وعلى اختياره الفقر على السعة طلباً لسلامته وطيب قلبه مع الله، وفراغه للتلذذ بمناجاته ومراقبته له في سائر حركاته وسكناته، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت أبا أحمد الصغير يقول: سألت أبا عبد الله بن خفيف عن فقير يجوع ثلاثة أيام وبعد ثلاثة) من الأيام (يخرج ويسأل مقدار كفايته أيش يقال فيه: فقال: يقال) له: (مكد) أي سائل للناس في شيء يأخذه منهم فلم يستغن بالله فليس هو بفقير كامل، نبههم بذلك على ضعفه في الفقر ثم قال للسائل وجماعة: (كلوا واسكتوا) عن سؤال أحوال لم تبلغوها (فلو دخل) عليكم (فقير من هذا الباب لفضحكم كلكم) هذا من حسن تأديبه لأصحابه. (سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول: سمعت عبد الله بن عليّ الصوفي يقول: سمعت الدقي يقول وقد سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى في أحوالهم فقال: هو انحطاطهم) أي فعل ما يوجب انحطاطهم (من الحقيقة) وهي عندهم غلبة الأحوال المطلوبة على القلوب (إلى العلم) بها فإذا نزل عنها إلى درجة العلم بها، ولم تغلب على قلبه غلبت عليه العوائد والمشتهيات، وتفرغت همته للأسباب ووقع في سوء الأدب مع الله، فبغفلته عن مقام الحقيقة واشتغاله بالأسباب وقع في سوء الأدب، (وسمعته) أيضاً (يقول: سمعت محمد بن عبد الله الطبريّ يقول: سمعت خيراً النساج يقول: دخلت بعض المساجد وإذا فيه فقير فلما رآني تعلق بي) مستغيثاً بالله ومستعيناً به مما امتحن به (وقال) لي: (أيها الشيخ تعطف عليّ) بإخلاص مما امتحنت به (فإنَّ محنتي عظيمة فقلت) له: (وما هي فقال: فقدت البلاء) أي الفقر

النفس ونزاهتها. (قوله: كلوا واسكتوا عن سؤال الخ) مراده السؤال المجرد عن العمل بالطريق الموصل إلى الذي لم يبلغوه من تلك الأحوال، فالنهي لم يكن عن مطلق السؤال فتدبر.

(قوله: وهي عندهم غلبة الأحوال الخ) أي الأحوال الناشئة عن جميل الأخلاق المطلوب التحلي بنعتها، وقوله: إلى العلم بها أي العلم المجرد عن تلك الغلبة. (قوله: غلبت عليه العوائد) أي ولو كانت مصحوبة بشاهد علم الشريعة فافهم. (قوله: ووقع في سوء الأدب مع الله) أي بالنظر لما انحط عنه من غلبة الحقيقة فهو حينئذ من قبيل حسنات الأبرار سيئات المقربين.

(قوله: فإنَّ محنتي عظيمة) أي وهي خوفه من صرفه عن الاشتغال بالله تعالى، وهو من أعظم البلايا لزيادة الانحطاط فيه عما كان عليه من المقام. (قوله: وصرفها عنهم

بوجود الدنيا **(وقويت بالعافية)** الدنيوية **(فنظرت)** بإشارته إلى جهة **(فإذا)** هو **(قد فتح عليه بشيء من الدنيا)** في ذلك دلالة على أنهم يرون وجود الدنيا وسعتها نقمة، وصرفها عنهم نعمة أخروية وهو حق، لأنَّ الغالب على الفقير أنْ يكون دائم الرجوع إلى الله سائلاً حوائجه منه لاعتقاده انفراده بالأفعال، والغالب على الغني الرجوع عندما يطرقه طارق إلى ما يملكه، ويقدر على اكتسابه، وكفى بذلك غفلة عن ربه، فهذا الفقير كان دائم الشغل بالله فرآه بعض المحبين فأراد أنْ يصله بما يعتان به على ما هو بصدده فوضع عنده شيئاً، وخرج عنه هارباً فتشوش حال الفقير فيما يصنعه بهذا المال، وما الحيلة في خلاصه منه، فلما دخل عليه هذا الشيخ المسجد ورأى عليه آثار المعرفة وسلوك طريق الجد قام وتعلق به كما تقرر، فهذا كما قال قائلهم:

عضوا على الفقر بالنواجذ

(وسمعته) أيضاً **(يقول: سمعت محمد بن محمد بن أحمد يقول: سمعت أبا بكر الوراق يقول)** لأصحابه: **(طوبى للفقير في الدنيا والآخرة فسألوه عنه)** أي سبب ذلك **(فقال: لا يطلب السلطان منه في الدنيا الخراج ولا)** يطلب **(الجبار)** تعالى منه **(في الآخرة الحساب)** هذا أقل فوائد الفقر وإلا فله فوائد عظام منها راحة القلب من المشغلات ووجود التلذذ بالمناجاة، وسرعة مضيه إلى الجنة كما جاءت به الأخبار الواضحات.

نعمة) أي بالنظر لما يترتب على ذلك من الفوائد الأخروية. **(قوله: وما الحيلة في خلاصه منه)** أي لأنه يسأل عن ذلك يوم القيامة فيقال له: فيم صرفته كما يسأل عن جهة تحصيله وكسبه. **(قوله: طوبى للفقير)** قيل: إنَّ طوبى اسم لجنة مخصوصة وقيل: لشجرة فيها، والأقرب هنا الأول. **(قوله: منها راحة القلب الخ)** أقول: هي وإنْ كانت من أعظم الفوائد الدنيوية غير أنَّها لا تضاهي فائدة عدم الحساب في الآخرة فضلاً عن كونها أعظم منها.

(تم الجزء الثالث، ويليه الجزء الرابع أوله باب التصوف).

فهرس المحتويات